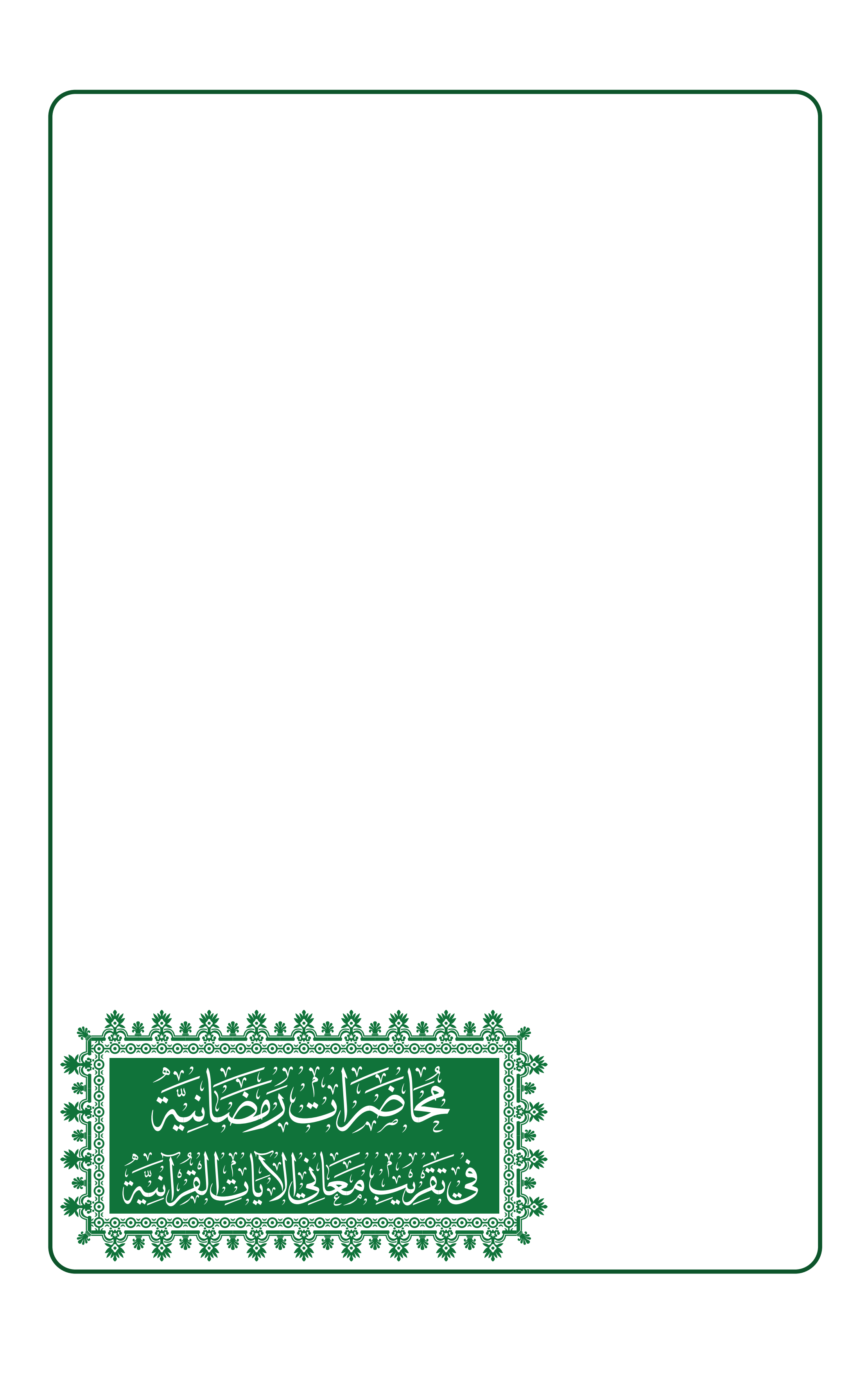

محاضرات رمضانية
في تقريب معاني الآيات القرآنية

بسم الله الرحمن الرحيم



محاضرات رمضانية في تقريب معاني الآيات القرآنية

وبهامشه

بغية العالم المستزيد وضالة المرشد المستفيد

المتضمن للجوابات الصائبة السديدة على الأسئلة المتنوعة المفيدة

الجزء الأول

الفاتحة - الأعراف

تأليف

السيد العلامة المجتهد

محمد بن عبد الله عوض

حفظه الله وأبقاه

مكتبة أهل البيت (ع)

صف وتحقيق وإخراج:



اليمن ـ صعدة ـ ت (٥٣١٥٨٠/ ٧١٣٨٤٢٩٨٩)

الطبعة الثانية

١٤٤٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة مكتبة أهل البيت (ع)

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وبعد:

فاستجابة لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال٢٤]، ولقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران١٠٤]، ولقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى٢٣]، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب٣٣]، ولقوله تعالى: ﴿إنما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة٥٥].

ولقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:((إني تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يَرِدَا عليّ الحوض))، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى))، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أهل بيتي أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء))، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من سرّه أن يحيا حياتي؛ ويموت مماتي؛ ويسكن جنة عدن التي وعدني ربي؛ فليتول علياً وذريته من بعدي؛ وليتولّ وليه؛ وليقتد بأهل بيتي؛ فإنهم عترتي؛ خُلقوا من طينتي؛ ورُزقوا فهمي وعلمي)) الخبر، وقد بيّن صلى الله عليه وآله وسلم بأنهم: علي، وفاطمة، والحسن والحسين وذريّتهما عليهم السلام -عندما جلّلهم صلى الله عليه وآله وسلم بكساءٍ وقال: ((اللّهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً)).

استجابةً لذلك كلّه كان تأسيس مكتبة أهل البيت(ع).

ففي هذه المرحلة الحرجة من التاريخ؛ التي يتلقّى فيها مذهب أهل البيت(ع) مُمثلاً في الزيدية، أنواعَ الهجمات الشرسة، رأينا المساهمة في نشر مذهب أهل البيت المطهرين عليهم السلام عَبْر نَشْرِ ما خلّفه أئمتهم الأطهار عليهم السلام وشيعتهم الأبرار رضي الله عنهم، وما ذلك إلا لثِقَتِنا وقناعتنا بأن العقائد التي حملها أهل البيت عليهم السلام هي مراد الله تعالى في أرضه، ودينه القويم، وصراطه المستقيم، وهي تُعبِّر عن نفسها عبر موافقتها للفطرة البشرية السليمة، ولما ورد في كتاب الله عزّ وجل وسنة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم.

واستجابةً من أهل البيت عليهم السلام لأوامر الله تعالى، وشفقة منهم بأمة جدّهم صلى الله عليه وآله وسلم، كان منهم تعميدُ هذه العقائد وترسيخها بدمائهم الزكيّة الطاهرة على مرور الأزمان، وفي كلّ مكان، ومن تأمّل التاريخ وجَدَهم قد ضحّوا بكل غالٍ ونفيس في سبيل الدفاع عنها وتثبيتها، ثائرين على العقائد الهدَّامة، منادين بالتوحيد والعدالة، توحيد الله عز وجل وتنزيهه سبحانه وتعالى، والإيمان بصدق وعده ووعيده، والرضا بخيرته من خَلْقِه.

ولأن مذهبَهم عليهم السلام دينُ الله تعالى وشَرْعُه، ومرادُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإرْثُه، فهو باقٍ إلى أن يرث الله الأرض ومنْ عليها، وما ذلك إلا مصداق قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض)).

قال والدنا الإمام الحجّة/ مجدالدين بن محمد المؤيدي(ع): (واعْلَمْ أن الله جلّ جلاله لم يرتضِ لعباده إلا ديناً قويماً، وصراطاً مستقيماً، وسبيلاً واحداً، وطريقاً قاسطاً، وكفى بقوله عزّ وجل: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام١٥٣].

وقد علمتَ أن دين الله لا يكون تابعاً للأهواء: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [المؤمنون٧١]، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس٣٢]، ﴿شَرَعُوا لَهُمْ

مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى٢١].

وقد خاطبَ سيّد رسله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بقوله عز وجل: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴿١١٣﴾﴾ [هود]، مع أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ومن معه من أهل بدر، فتدّبر واعتبر إن كنتَ من ذوي الاعتبار، فإذا أحطتَ علماً بذلك، وعقلتَ عن الله وعن رسوله ما ألزمك في تلك المسالك، علمتَ أنه يتحتّم عليك عرفانُ الحق واتباعه، وموالاة أهله، والكون معهم، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة١١٩]، ومفارقةُ الباطل وأتباعه، ومباينتهم ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة٥١]، ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة٢٢]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة١]، في آيات تُتْلى، وأخبار تُمْلَى، ولن تتمكن من معرفة الحق وأهله إلا بالاعتماد على حجج الله الواضحة، وبراهينه البيّنة اللائحة، التي هدى الخلق بها إلى الحق، غير معرّج على هوى، ولا ملتفت إلى جدال ولا مراء، ولا مبال بمذهب، ولا محام عن منصب، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾) [النساء:١٣٥](١).

وقد صَدَرَ بحمد الله تعالى عن مكتبة أهل البيت (ع):

١-الشافي، تأليف/ الإمام الحجة عبدالله بن حمزة(ع) ٦١٤هـ، مذيّلاً بالتعليق الوافي في تخريج أحاديث الشافي، تأليف السيد العلامة نجم العترة الطاهرة/ الحسن بن الحسين بن محمد رَحِمَهُ اللهُ ١٣٨٨هـ.

(١) التحف الفاطمية شرح الزلف الإمامية.

٢-مَطْلَعُ البُدُوْرِ وَمَجْمَعُ البُحُوْرِ في تراجم رجال الزيدية، تأليف/ القاضي العلامة المؤرّخ شهاب الدين أحمد بن صالح بن أبي الرجال رحمه الله تعالى، ١٠٢٩هـ -١٠٩٢هـ.
٣-مَطَالِعُ الأَنْوَارِ وَمَشَارِقُ الشّمُوْسِ وَالأَقْمَارِ - ديوان الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة(ع) - ٦١٤هـ.
٤-مجموع كتب ورسائل الإمام المهدي الحسين بن القاسم العياني(ع) ٣٧٦هـ - ٤٠٤هـ.
٥-مَحَاسِنُ الأَزْهَارِ في تَفْصِيْلِ مَنَاقِبِ العِتْرَةِ الأَطْهَارِ، شرح القصيدة التي نظمها الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة(ع)، تأليف/ الفقيه العلامة الشهيد حميد بن أحمد المحلّي الهمداني الوادعي رحمه الله تعالى - ٦٥٢هـ.
٦-مجموع السيد حميدان، تأليف/ السيد العالم نور الدين أبي عبدالله حميدان بن يحيى بن حميدان القاسمي الحسني رضي الله تعالى عنه.
٧-السفينة المنجية في مستخلص المرفوع من الأدعية، تأليف/ الإمام أحمد بن هاشم(ع) - ت ١٢٦٩هـ.
٨-لوامع الأنوار في جوامع العلوم والآثار وتراجم أولي العلم والأنظار، تأليف/ الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ-١٤٢٨هـ.
٩-مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم أمير المؤمنين زيد بن علي(ع)، تأليف/ الإمام الأعظم زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(ع) ٧٥هـ - ١٢٢هـ.
١٠-شرح الرسالة الناصحة بالأدلة الواضحة، تأليف/ الإمام الحجة عبدالله بن حمزة(ع) - ت ٦١٤هـ.
١١-صفوة الاختيار في أصول الفقه، تأليف/ الإمام الحجة عبدالله بن حمزة(ع) ت٦١٤هـ.
١٢-المختار من صحيح الأحاديث والآثار من كتب الأئمة الأطهار وشيعتهم الأخيار، لِمُخْتَصِرِهِ/ السيّد العلامة محمد بن يحيى بن الحسين بن محمد حفظه الله تعالى، اختصره من الصحيح المختار للسيد العلامة/ محمد بن حسن العجري رحمه الله تعالى.
١٣-هداية الراغبين إلى مذهب العترة الطاهرين، تأليف/ السيد الإمام الهادي بن إبراهيم الوزير(ع) -ت٨٢٢هـ.

١٤-الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، تأليف/ الإمام أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني(ع) - ٤٢٤ هـ.
١٥-المنير - على مذهب الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم (ع) تأليف/ أحمد بن موسى الطبري رضي الله عنه.
١٦-نهاية التنويه في إزهاق التمويه، تأليف السيد الإمام/ الهادي بن إبراهيم الوزير(ع) - ٨٢٢هـ.
١٧-تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبيين، تأليف/ الحاكم الجشمي المحسن بن محمد بن كرامة رحمه الله تعالى - ٤٩٤هـ.
١٨-عيون المختار من فنون الأشعار والآثار، تأليف الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.
١٩-أخبار فخ وخبر يحيى بن عبدالله (ع) وأخيه إدريس بن عبدالله(ع)، تأليف/ أحمد بن سهل الرازي رحمه الله تعالى.
٢٠-الوافد على العالم، تأليف/ الإمام نجم آل الرسول القاسم بن إبراهيم الرسي(ع) - ٢٤٦ هـ.
٢١-الهجرة والوصية، تأليف/ الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم الرسي(ع).
٢٢-الجامعة المهمة في أسانيد كتب الأئمة، تأليف/ الإمام الحجة مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.
٢٣-المختصر المفيد فيما لا يجوز الإخلال به لكلّ مكلف من العبيد، تأليف/ القاضي العلامة أحمد بن إسماعيل العلفي رضي الله عنه ت ١٢٨٢هـ.
٢٤-خمسون خطبة للجمع والأعياد.
٢٥-رسالة الثبات فيما على البنين والبنات، تأليف/ الإمام الحجة عبدالله بن حمزة(ع) ت٦١٤هـ.
٢٦-الرسالة الصادعة بالدليل في الرد على صاحب التبديع والتضليل، تأليف/ الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.
٢٧-إيضاح الدلالة في تحقيق أحكام العدالة، تأليف/ الإمام الحجة مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.

٢٨-الحجج المنيرة على الأصول الخطيرة، تأليف/ الإمام الحجة مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.
٢٩-النور الساطع، تأليف/ الإمام الهادي الحسن بن يحيى القاسمي(ع) ١٣٤٣هـ.
٣٠-سبيل الرشاد إلى معرفة ربّ العباد، تأليف/ السيد العلامة محمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد(ع)١٠١٠هـ - ١٠٧٩هـ.
٣١-الجواب الكاشف للالتباس عن مسائل الإفريقي إلياس - ويليه/ الجواب الراقي على مسائل العراقي، تأليف/ السيد العلامة الحسين بن يحيى بن الحسين بن محمد (ع) (١٣٥٨هـ - ١٤٣٥هـ).
٣٢-أصول الدين، تأليف/ الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين(ع)٢٤٥هـ - ٢٩٨هـ.
٣٣-الرسالة البديعة المعلنة بفضائل الشيعة، تأليف/ القاضي العلامة عبدالله بن زيد العنسي رحمه الله - ٦٦٧هـ.
٣٤-العقد الثمين في معرفة رب العالمين، تأليف الأمير الحسين بن بدرالدين محمد بن أحمد(ع) ٦٦٣هـ.
٣٥-الكامل المنير في إثبات ولاية أمير المؤمنين(ع)، تأليف/ الإمام القاسم بن إبراهيم الرسي (ع) ٢٤٦هـ.
٣٦-كتابُ التَّحْرِيْرِ، تأليف/ الإمام الناطق بالحق أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني(ع) - ٤٢٤هـ.
٣٧-مجموع فتاوى الإمام المهدي محمد بن القاسم الحسيني(ع) ١٣١٩هـ.
٣٨-القول السديد شرح منظومة هداية الرشيد، تأليف/ السيد العلامة الحسين بن يحيى بن الحسين بن محمد (ع) (١٣٥٨هـ - ١٤٣٥هـ).
٣٩-قصد السبيل إلى معرفة الجليل، تأليف السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض حفظه الله تعالى.
٤٠-نظرات في ملامح المذهب الزيدي وخصائصه، تأليف السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض حفظه الله تعالى.
٤١-معارج المتقين من أدعية سيد المرسلين، جمعه السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض حفظه الله تعالى.

٤٢-الاختيارات المؤيَّدية، من فتاوى واختيارات وأقوال وفوائد الإمام الحجة/ مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع)، (١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ).
٤٣-من ثمارِ العِلْمِ والحكمة (فتاوى وفوائد)، تأليف السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض حفظه الله تعالى.
٤٤-التحف الفاطمية شرح الزلف الإمامية، تأليف الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.
٤٥-المنهج الأقوم في الرَّفع والضَّم والجَهْرِ ببسم الله الرحمن الرحيم، وإثبات حيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ في التأذين، وغير ذلك من الفوائد التي بها النَّفْعُ الأَعَمُّ، تأليف/ الإمام الحجة/ مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع).
٤٦-الأساس لعقائد الأكياس، تأليف/ الإمام القاسم بن محمد (ع).
٤٧-البلاغ الناهي عن الغناء وآلات الملاهي. تأليف الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.
٤٨-الأحكام في الحلال والحرام، للإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم(ع) ٢٤٥هـ - ٢٩٨هـ.
٤٩-المختار من(كنز الرشاد وزاد المعاد، تأليف/ الإمام عزالدين بن الحسن(ع)ت٩٠٠هـ).
٥٠-شفاء غليل السائل عما تحمله الكافل، تأليف/ العلامة الفاضل: علي بن صلاح بن علي بن محمد الطبري.
٥١-الفقه القرآني، تأليف السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض حفظه الله تعالى.
٥٢-تعليم الحروف.
٥٣-سلسلة تعليم القراءة والكتابة للطلبة المبتدئين/ الجزء الأول الحروف الهجائية.
٥٤-سلسلة تعليم مبادئ الحساب/ الجزء الأول الأعداد الحسابية من (١ إلى ١٠).
٥٥-تسهيل التسهيل على متن الآجرومية.
٥٦-أزهار وأثمار من حدائق الحكمة النبوية على صاحبها وآله أفضل الصلاة والسلام، تأليف السيد العلامة/ محمد عبدالله عوض حفظه الله تعالى.
٥٧-متن الكافل بنيل السؤل في علم الأصول، تأليف/ العلامة محمد بن يحيى بهران (ت: ٩٥٧هـ).

٥٨-الموعظة الحسنة، تأليف/ الإمام المهدي محمد بن القاسم الحسيني(ع) -١٣١٩هـ.
٥٩-أسئلة ومواضيع هامة خاصة بالنساء، تأليف السيد العلامة/ محمد عبدالله عوض حفظه الله تعالى.
٦٠-المفاتيح لما استغلق من أبواب البلاغة وقواعد الاستنباط، تأليف السيد العلامة/ محمد عبدالله عوض حفظه الله تعالى.
٦١-سلسلة تعليم القراءة والكتابة للطلبة المبتدئين/ الجزء الثاني الحركات وتركيب الكلمات.
٦٢-سلسلة تعليم مبادئ الحساب/ الأعداد الحسابية الجزء الثاني.
٦٣-المركب النفيس إلى أدلة التنزيه والتقديس، تأليف السيد العلامة/ محمد عبدالله عوض حفظه الله تعالى.
٦٤-المناهل الصافية شرح المقدمة الشافية، تأليف/ العلامة لطف الله بن محمد الغياث الظفيري، ت ١٠٣٥هـ.
٦٥-الكاشف لذوي العقول عن وجوه معاني الكافل بنيل السؤل، تأليف/ السيد العلامة أحمد بن محمد لقمان، ت ١٠٣٧هـ.
٦٦-الأنوار الهادية لذوي العقول إلى معرفة مقاصد الكافل بنيل السؤول، تأليف/ الفقيه العلامة أحمد بن يحيى حابس الصعدي، ت١٠٦١هـ.
٦٧-مجمع الفوائد المشتمل على بغية الرائد وضالة الناشد، تأليف الإمام الحجّة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ-١٤٢٨هـ.
٦٨-كتاب الحجّ والعمرة، تأليف الإمام الحجّة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ-١٤٢٨هـ.
٦٩-المسطور في سيرة العالم المشهور، تأليف السيد العلامة/ محمد عبدالله عوض حفظه الله تعالى.
٧٠-محاضرات رمضانية في تقريب معاني الآيات القرآنية ، تأليف السيد العلامة/ محمد عبدالله عوض حفظه الله تعالى.
٧١-زبر من الفوائد القرآنية ونوادر من الفرائد والقلائد الربانية، تأليف السيد العلامة/ محمد عبدالله عوض حفظه الله تعالى.

٧٢-المنتزع المختار من الغيث المدرار المعروف بشرح الأزهار، تأليف العلامة عبد الله بن مفتاح رحمه الله تعالى.

٧٣-متن غاية السؤل في علم الأصول للسيد العلامة الحسين بن الإمام القاسم بن محمد (ع) ت (١٠٥٠هـ).

٧٤-درر الفرائد من خطب المساجد، تأليف السيد العلامة عبد الله بن صلاح العجري رحمه الله تعالى.

٧٥-الكاشف الأمين عن جواهر العقد الثمين، تأليف الفقيه العلامة محمد بن يحيى مداعس (ت ١٢٥٢هـ).

وهناك الكثير الطيّب في طريقه للخروج إلى النور إن شاء الله تعالى، نسأل الله تعالى الإعانة والتوفيق.

ونتقدّم في هذه العجالة بالشكر الجزيل لكلّ من ساهم في إخراج هذا العمل الجليل إلى النور -وهم كُثُر- نسأل الله أن يكتب ذلك للجميع في ميزان الحسنات، وأن يجزل لهم الأجر والمثوبة.

وختاماً نتشرّفُ بإهداء هذا العمل المتواضع إلى روح مولانا الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي -سلام الله تعالى عليه ورضوانه- باعثِ كنوز أهل البيت(ع) ومفاخرهم، وصاحب الفضل في نشر تراث أهل البيت(ع) وشيعتهم الأبرار رضي الله عنهم.

وأدعو الله تعالى بما دعا به (ع) فأقول: اللهم صلِّ على محمد وآله، وأتمم علينا نعمتك في الدارَيْن، واكتب لنا رحمتك التي تكتبها لعبادك المتقين؛ اللهم علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علّمتنا، واجعلنا هداة مهتدين؛ ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر]، نرجو الله التوفيق إلى أقوم طريق بفضله وكرمه، واللهَ أسأل أن يصلح العمل ليكون من السعي المتقبّل، وأن يتداركنا برحمته يوم القيام، وأن يختم لنا ولكافة المؤمنين بحسن الختام، إنه ولي الإجابة، وإليه منتهى الأمل والإصابة،

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف١٥].

وصلى الله على سيّدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

مدير المكتبة/

إبراهيم بن مجدالدين بن محمد المؤيدي

[مقدمة التحقيق]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على نبينا الأواه محمد بن عبدالله وعلى آله الهداة، أما بعد:

فيسُرُّنا أخي القارئ الكريم أن نقدم لك هذا السفر العظيم والتفسير القويم **(محاضراتٌ رمضانية في تقريب معاني الآيات القرآنية)** لمؤلفه المولى العلامة النظَّار، والغطمطم التيار، مجتهد العترة النبوية، وقاموس الأسرة العلوية، علّامة العصر/ **محمد بن عبدالله عوض الضحياني المؤيدي** حفظه الله بأم القرآن، وكفاه مهمات الزمان، ونوائب الحدثان- في حلته القشيبة وثوبه الجديد وطبعته الثانية، مشتملاً على بعض الإصلاحات والزيادات المهمة، وتنسيق بعض فقراته، بتقديم أو تأخير أو حذف أو تغيير، مُذَهَّباً هامشُهُ مطرَّزةً حاشيتُه بالألوف من الأسئلة المتنوعة، وجوابات المؤلف حفظه الله عليها المفيدة المقنعة، التي تشد إلى مثلها الرحال، ويتَحَمَّلُ لأجلها الباهضُ من الأثقال؛ لتعدد فضائلها، وتنوع فوائدها، مِنْ إعرابٍ للمهم من مفردات الآيات القرآنية، والغالب من جُمَلِها، وبيان أَوْجُهِ الفصل والوصل في بعض تراكيبها، مع الكلام على شيء من أوجه البلاغة ونكت المعاني والبيان، وقطفِ جنىً مثمرٍ من الصرف وعلم الاشتقاق، فيُعَدُّ بحقٍّ وحقيقةٍ موسوعة كبرى في هذه العلوم، ويَبِينُ للناظر من خلاله احتياجُ متعاطي التفسير إلى تحقيق منطوقها والمفهوم، وإلا كان عمله كسرابٍ بقيعة، يشبه لعب الحمقى، وتصرُّف الثكلى.

هذا مع ما اشتملت عليه هذه الأجوبة المفيدة من التدقيقات في بعض المسائل الكلامية، والتحقيقات في شتى المباحث الأصولية، والتوفيقاتِ السديدة فيما يشتبه على القاصرين من التعارض بين الآيات العديدة، والتنقيب عن شيء من الأحكام الفقهية، والفوائد الزكية في الآيات التي قد قصَروا عليها مواقع الأحكام،

ومآخذ الحلال والحرام، وفيما سواها مما زاد على الخمسمائة آية، ولم تتناولها أفهام المجتهدين بنظر ولا دراية، ولا جرت عليها أقلام الاستنباطات بفكر ولا إجالة .

وإنه من المعلوم بمكانٍ أنه لو خاض المؤلف حفظه الله في هذا الباب، أو استرسل قلمه في هذا الموضوع لأتى بالعجب العجاب، واستخرجَ ما يبهر عقول المجتهدين وأحلام ذوي الألباب، حتى يضطر الموالف والمخالف إلى الشهادة بأنه -حفظه الله- قد أوتي الحكمة وفصل الخطاب، واختصه ربه بما نَدَّ عن غيره من فهم دقائق السنة وفقه أسرار الكتاب، ويجعلهم يجزمون قطعاً بأنه -في هذا العصر- القرينُ للقرآن، والمختص بهذه الخصلة من عترة سيد ولد عدنان.

والعيان فوق البيان فمن نظر في كتابه (**زبر من الفوائد القرآنية**) و(**أزهار وأثمار من حدائق الحكمة النبوية**) علم ذلك يقيناً، وربما حلف على مضمونه يميناً.

وأما أسرار البلاغة وعجائب المعاني والبيان فلو أذن المؤلف -حفظه الله- لقلمه بالجري في ذلك الميدان لاستوعب المجلدات الكبار، واستغرق تفسيره عشرات الأسفار، وأربى على تهذيب الحاكم، وامتازت نكته الدقيقة على تحقيقات حاشية الشريف يحيى بن قاسم، يَعْرِفُ هذا من سرَّح نظره في كتاب (**المفاتيح**)، أو أجال فكره فيما سطّره قلمه الشريف على سورة الكوثر ونحوها من السور الكريمة.

وأبلغ من ذلك وأعجب أنه اتَّسق له هذا التفسير العظيم، وانتظمت له هذه المحاضرات القويمة، بترابط عباراتها، وسهولة تراكيبها، وسلاسة ألفاظها، وعذوبة أساليبها، كل ذلك من دون نظر في كتب التفسير، ولا تَدَرُّس في أمهاتها ولا تحضير، ولا رجوع إلى القواميس اللغوية، بل أملاها بصافي فكرته الزكية، وأفرغها من حوصلته إلى المستمع طريَّة، وسُجِّلت ألفاظها عن فمه الطاهر غضة نديَّة، وهذا مما يدهش العقول ويحير الألباب .

ولينظر المتشكك في هذا على سبيل المثال في تفسير الآية (٨٨) من سورة الصافات، وتأويله القويم لآية (١٠٢) من السورة نفسها، وآيتي (٦١، و٨١) من سورة الزخرف،

والآية الثانية من سورة الفتح والرابعة عشرة من سورة الملك، وآية (١٨) من المزمل، وتأويله لقوله تعالىٰ: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة:١٠٦]، ونحوها مما لمحنا في الأسئلة إلىٰ قوة نظره فيها، وعظيم تأويله لها.

ومما يثير العجب أيضاً في هذا التفسير ضبط معاني بعض المفردات اللغوية الصعبة التي سُدِّد لها مولانا -حفظه الله- إملاءً من حفظه وذاكرته، والتي قد يصعب علىٰ بعض العلماء الكبار استخراجها من كتب البحث، أو التنقيب عن معانيها في نصوص علماء اللغة المحققين، دع عنك حفظها وصياغتها في ألفاظ بسيطة سهلة، كما صنعه المؤلف -أيده الله- في تفسيره هذا، مما يدل المنصف علىٰ سعة باع مولانا في هذا الجانب، وقوَّة تحصيله، وغزارة مخزون صدره، مع منحةٍ إلهيةٍ، وتوفيق رباني، وبركاتِ الدعاء النبوي: ((اللهم اجعل العلم والفقه في عقبي وعقب عقبي، وزرعي وزرع زرعي إلىٰ يوم القيامة)).

ومع ذلك فإنه يقول -حفظه الله- في مقدمته -التي ستأتي- بأنه لم يكن يحب سحبه وإخراجه في كتاب؛ لقصوره عن ذلك، ونقصانه عن أن يسطّر في كتاب ... إلىٰ قوله: بأنه يريد شطب التفسير الأول وتبديله بتفسير جديد إلا أن الظروف لم تسمح له، وهذا غاية التواضع من جنابه الكبير، (وليست من أبي بكر ببكر)، فقد امتزجت هذه الخصلة (التواضع) بلحمه ودمه حتىٰ صارت بالنسبة إليه كالأمور الجِبِلِّية، ولعل هذا الأمر هو السبب في قبول غالبية المجتمعات لهذا التفسير خاصة، ولمؤلفات مولانا -أيده الله- عامةً؛ مصداقاً للحكمة النبوية صلوات الله وسلامه علىٰ صاحبها وآله: ((من تواضع لله رفعه))، وإلا فإنه -أي: تفسير مولانا حفظه الله- قد اشتمل علىٰ معان دقيقة، وتأويلات مستقيمة، وأنظار قويمة، وفوائد كريمة، وامتاز -كما أسلفنا- بمميزات عظيمة، مع أن مولانا -حفظه الله- قد بسط عذره في عدم مراعاته لضوابط النحو والبلاغة، وقواعد الكلام العربي، عند تحليله للآيات الكريمة، وتفكيكه للنظم القرآني؛ وذلك مراعاة إفهام العوام والقاصرين

من الحاضرين والمستمعين، وخشيته من حرمانهم من الاستفادة -مع أنه في نظري قد يشير إشارات كثيرة لا تخفى على الطالب المستفيد في الكثير من الآيات إلى أغلب تلك القواعد (النحو والبلاغة) وأنه بنى تحليله للآية عليها- وتلك المراعاة لإفهام العوام، والحرص على استفادتهم هي السبب الداعي له -أيده الله- إلى الاكتفاء بالتعليق على بعض الآيات، وعدم تفصيلها تفصيلاً مطابقاً لتركيبها وألفاظها، وهذا في تراكيب الآيات المعقَّدة، وقد يأتي بالتعليق نادراً ركوناً على فهم تحليل الآية المطابق لتركيبها من خلال ظاهرها، وعدم المشقة في ذلك، فافهم هذا وتأمله بعين البصيرة والإنصاف، فقد يكون هذا مميزاً من مميزات هذا التفسير، ودالاً على حسنه وبراعة مصنفه، وقديماً قالت العرب: «لكل مقام مقال» وبالله التوفيق.

واعلم أخي القارئ الكريم أن بعض هذه الأسئلة الواردة في الهامش قد أتينا به على لسان العامي الطالب بسؤاله حصول الفائدة، وبعضاً منها بلسان المرشد المستفهم، ومنها ما هو بلسان المجرِّد من نفسه شخصاً مخالفاً في الرأي والنظر؛ ليخرج للقارئ الكريم هذا الكم الهائل من الأدلة والترجيحات، والفوائد المنقحات، في ترجيح قولٍ، أو تقرير رأي، أو رد اعتراضٍ .

ونحن نستسمحه العذر في شغلة وقته المزدحم بالأعمال الشاقة في رفعة الدين وإحياء الإسلام، وفي إيراد بعض الإشكالات على بعض آرائه الصائبة وأنظاره الثاقبة، فإنما ذلك للسبب المتقدم.

هذا، وقد ذكَّرتنا جوابات المصنف -حفظه الله- على هذه الأسئلة الكثيرة المتشعبة في كل فن والتي تربو على ستة آلاف سؤال بما روي عن الإمام الحجة المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام أنه سأله أحد العلماء في مقام بيعته عن خمسة آلاف مسألة، فأجاب عنها بأحسن جواب، فلا عجب ولا استبعاد لذلك، مع ما رأيناه من المؤلف أجزل الله مثوبته، ولا غرو فهي ذرية بعضها من بعض.

فإذا وجدت أيها العالم المستزيد أو المرشد المستفيد، بُغْيتك التي تريدها،

وضالتك التي تنشدها، في هذه الجوابات الوافية، والبلاسم الشافية، التي تمثل الترياق النافع، لأدواء العصر وسم الجهل الناقع، فإنك ستخص مولانا المجيب عليها بجزءٍ من راتبك ودعائك اليومي وابتهالاتك المستمرة بأن يحفظه الله بحفظه، ويكلأه بعين رعايته، ذخراً وملاذاً للإسلام والمسلمين، وعَلَماً للعلماء العاملين، مفتاحاً لمبهمات المسائل، وحلّالاً لعويصات المشاكل، ومقوّماً لأَوَد معوجّ الدلائل، وأن يجزيه عن أمة جده خير الجزاء، ويرضى عنه أفضل الرضا، ويرفع في الدارين مقامه، ويبلغه أقصى سؤله ومرامه، بحوله وطوله، وأن ينيلنا من بركاته، ويفيض علينا من علومه وعرفانه، ويعرفنا بحقه، ويثبتنا على متابعته، والكينونة على طريقته، آمين آمين.

حرر بتاريخ ٢١/ محرم/ مفتاح سنة ١٤٤٠هـ

قسم التحقيق بمكتبة أهل البيت عليهم السلام

[مقدمة الطبعة الثانية]



الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وسلم، **وبعد**:

فها نحن في هذه الطبعة الثانية قد أتينا بما وعدنا به من بعض الإصلاحات، والتهذيب لبعض الفقرات، والاهتمام بشيء من الزيادات، وتغيير بعض الكلمات، والحذف لما لم يستحسن من العبارات، ووشحنا هامشه بما حضرنا من الجوابات على الأسئلة المتنوعة في كل فن، التي وضعها على هذا التفسير السيد العلامة المحقق **أحمد بن حسن بن أحمد أبو علي** حفظه الله وتولاه، وجزاه خير الجزاء، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

محمد بن عبدالله عوض

بتاريخ/ محرم الحرام/ ١٤٤٠هـ

[مقدمة الطبعة الأولى]



الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على محمد وآله، وبعد:

فهذه محاضرات رمضانية في تقريب معاني الآيات القرآنية إلى أذهان الحاضرين أثناء تلاوة القرآن في ليالي شهر رمضان، وقد كان العامة هم الغالبية فلزم أن تكون المحاضرات على مستوى أفهامهم، فلم نتعرض لما يعسر فهمه عليهم، وما يشوش عليهم الفهم والمعنى، فلم نذكر شيئاً من الخلافات الكلامية، ولا من استنباط الأحكام الفقهية، ولا من اختلاف المفسرين، ولم نتعرض للنحو والإعراب والبلاغة إلا ما سُئلنا عنه فقط.

ولم نكن نراعي عند المحاضرة قوانين الكلام العربي وحدوده؛ لأن الغرض كما ذكرنا تقريب معنى الآيات إلى أفهام الحاضرين.

ولم أكن أحب سحبه وإخراجه في كتاب؛ لقصوره عن ذلك، ونقصانه عن أن يسطر في كتاب، إلا أن بعض الإخوان والطلبة استحسنوا ذلك وألَحُّوا علي في السماح فسمحت لهم، فقام بسحبه من الذاكرة وصفه على الكمبيوتر الولد علي بن محمد، وبعد صفه أخرجوا لي منه صورة لمراجعتها، فراجعتها، فإذا هي بحاجة تغيير لكل ما كتب فيها من أولها إلى آخرها، أي: تبديل ذلك التفسير بتفسير جديد، وشطب التفسير الأول إلا أن الظروف لم تسمح لي بذلك.

فعزمت على إصلاح ما أمكن إصلاحه، وسنعود إذا أذن الله تعالى إلى الإصلاح والتحسين عند الطبعة الثانية، ومن الله نستمد المعونة والتوفيق، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين، والحمد لله رب العالمين.

محمد عبدالله عوض

٤/ ٦/ ١٤٣٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفاتحة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ۝٢ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ۝٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ۝٧﴾:

افتتح الله سبحانه وتعالى فاتحة الكتاب وكل سورة من سور القرآن الكريم بـ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وقد قال تعالى في أول سورة نزلت: **﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ۝١﴾** [العلق]، المعنى: استفتح قراءتك بـ «بسم الله الرحمن الرحيم»، متبركاً باسمه، ومستعيناً بذكره.

وقد ذكر الله تعالى في البسملة من أسمائه الحسنى ثلاثة أسماء هي: الله، الرحمن، الرحيم.

ولفظ الجلالة: اسم جامع لمعاني أسماء الله الحسنى فهو يحمل في معانيه معنى الحي القيوم العلي العظيم العليم القدير الحكيم اللطيف و..إلخ.

فإذا استعان المؤمن باسم الله تعالى في قراءته فإنه سيعينه ويبارك له في قراءته وفي فهمه؛ لأنه تعالى القوي القدير والعليم الخبير الذي بيده الملك كله، وبيده الخير كله، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

وذكر اسم الرحمن الرحيم في فاتحة كل سورة يدل على أن القرآن الكريم وكل سورة من سوره من أعظم النعم وأكبر المواهب الإلهية على الإنسان، وذلك لما في القرآن الكريم من الهدى للإنسان لطريق سعادته في الدنيا والآخرة.

وفي ذلك دلالة على أن الله يحب هذه الثلاثة الأسماء أكثر من غيرها؛ نسميه بها، ونستفتح بها، ونتبرك بها، وإذا ذكرناه بها، واستعنا بأسمائه فهو سيعيننا ببركة أسمائه، **﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾** [الأعراف:١٨٠]، وهذه الثلاثة أفضل الأسماء.

«الرحمن» أي: المتفضل على عباده بالنعم العظيمة الواضحة.

«الرحيم» معناه: المنعم بالنعم الخفية الدقيقة.

يعني: أنه المنعم بالنعم الظاهرة والخفية، ومن نعمه العظيمة الواضحة إنزال القرآن؛ ولذا قال تعالى في سورة الرحمن: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْءَانَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝﴾ يعني: إذا ذكر الرحمن فمعناه المنعم بالنعم الواضحة. ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝﴾ يعني: النطق باللسان، والإفصاح عما في القلب. ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝﴾ وهي من النعم العظيمة الظاهرة.

واستفتاح القرآن وكل سورة من سوره بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يشير إلى أن القرآن من النعم الواضحة، وأن القرآن رحمة عظيمة للناس؛ لأجل أن نعلم أن الله لم ينزل القرآن، ولم يرسل الرسل إلا لأجل رحمته العظيمة بالإنسان.

و﴿الله﴾: يعني: الجامع لصفات الكمال، فهو في العلم والقدرة و...إلخ هو وحده وكل شيء سواه ناقص، وهو وحده المنعم والمتفضل لا سواه، وهو الرزاق وحده لا قدرة لأحد غيره، ورزقه من السماء؛ فهو ينزل المطر وبسببه ينبت الشجر وهي تخرج الثمر، ومنها يأكل الناس والأنعام، فإن أمسك رزقه فمن يرزقنا.

وقالوا: إن الاسم الأعظم هو في هاتين الآيتين: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۝﴾ [البقرة]، ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وذلك دلالة على أن الاسم الأعظم في الفاتحة وفي أول آية الكرسي، ولا يوجد هناك اسم أعظم مخفي إذا دعي الله به أجاب(١)، وأسماء الله الحسنى كلها ظاهرة في القرآن،

---

(١) – **سؤال:** يقال: ظاهر بعض أدعية أئمتنا عليهم السلام توحي بأن الاسم الأعظم مخفي، فكيف يوجه ذلك؟

الجواب: توجيه ما ذكرنا أن الله تعالى عرف نفسه لعباده عن طريقين:

١- عن طريق أفعاله وآياته التي خلقها في الكون.

٢- عن طريق أسمائه الحسنى التي أنزلها في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكل اسم من أسمائه تعالى مفهوم يجب الإيمان به، والتصديق بمفهومه، ونسبته إلى الله.

ولا يخفى أن الإيمان والإذعان والتصديق بما سمى الله تعالى نفسه به في كتابه، وبما اشتمل عليه =

وقد أعلمنا الله بها، وأحب الأسماء إليه: الله، الرحمن، الرحيم.

وآية الكرسي فيها فضل عظيم، لكن هذه هي التي تكررت، وتكررها دلالة على أنها أفضل الأسماء.

وهو يعني أن الإنسان إذا أراد الدعاء والتوسل إلى الله سبحانه وتعالى يدعوه بهذه الأسماء: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة:٣٥]، يعني أن نتوسل إليه بما يحبه: يا الله يا رحمن يا رحيم، فهو يحب أن يثنى عليه بهذه الأسماء.

فإذا أراد الإنسان التماس شيء من غيره فهو يقدم له المدح والثناء عليه، فالله يحب أن نثني عليه، وأن نمدحه، وأن نذكره؛ لأجل أن يجيب دعوتنا. فإذا أردت الدعاء له فقدم الثناء عليه ثم ادعه.

ففي السورة بدأ بالثناء ثم الدعاء وهو قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ۝٦﴾، أول السورة ثناء وآخرها دعاء، ففيها دلالة على أن المتوسل إذا أراد الدعاء بدأ بالثناء.

والرحيم: يعني أن هناك نعماً خفيةً لا نعلمها ولا ندركها، كدفع البلاء في كل أحوالك وأنت لا تعلمها، وهذه من أكبر النعم أن يدفع عنك الشر والبلاء و...إلخ، وهي خفية لا ندركها، ولا تخطر في بالنا.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ۝٢﴾ افتتح الله تعالى كتابه بعد البسملة بالحمد والثناء عليه، على نعمه على العالمين، والتي من أكبرها وأعظمها نعمة القرآن الكريم.

ومعنى الحمد: أنا نعترف لله بالفضل والإنعام فنحن نحس ونشعر بهذه النعم

كتابه الكريم من الثناء والمدح لله تعالى، ومن التقديس والتنزيه والتعظيم، يكون إيماناً كاملاً، ومعرفة لله تامة. فلو فرضنا أن الله تعالى أخفى عن عباده اسمه الأعظم لما كانت معرفة المؤمنين لله كاملة؛ لجهلهم بأعظم صفات الله وأكبرها، وهذا الفرض بعيد.

- ومن الممكن توجيه ما ورد في بعض الأدعية بأن الله تعالى أخفى اسمه الأعظم بين أسمائه التي علمها عباده، كما أخفى ليلة القدر بين ليالي شهر رمضان، وكما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة بين ساعات اليوم، وهذا التوجيه قريب.

العظيمة ولو لم ننطق بها باللسان، فإذا امتلأ قلبك بالإحساس بالنعم والفضل والإحسان ولو لم تنطق بها وقد استشعرت هذه النعم ثم نطقت بالحمد والثناء بعدما امتلأ قلبك بهذا الإحساس والشعور فتقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ۝٢﴾ كان في ذلك التعبير تعظيم أكبر تعظيم، وهذا هو المفروض أن لا تقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ۝٢﴾ إلا بعد الاستشعار لعظمته في القلب وإحسانه إليك وإحساسك بالنعمة، وهذا هو ذكر الله الأعظم، وأن هذه النعم من فضل الله عليك، وأنك لا تستحقها بحولك ولا بقوتك، فالمفروض أن تستشعر ذلك الإحسان العظيم الذي أولاك ربك حتى لا تقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ۝٢﴾ إلا ترجمة عما في القلب من الشعور بنعم الله، فإذا انعدم الإحساس فينبغي أن يتفكر الإنسان وينظر فيما أنعم الله عليه، ليحصل له الإيمان، وينتعش قلبه ويوقظه إلى الإيمان بالله، لكي لا يكون كافر نعمة عند تناسيه لنعم الله عليه حتى ولو لم يتكلم وينطق لسانه بالحمد إذا كان معترفاً لله بنعمه، المهم أن يكون قلبه حياً بذكر الله وبنعمه وفضله، هذا ذكر الله الأكبر، فأما باللسان فقط والقلب ميت فليس له فائدة.

والحمد هو الثناء على الله والاعتراف بنعمه.

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ۝٢﴾ يعني: رب المخلوقات ومالكها، وهو المستولي عليها بقدرته، وهو المحسن إليهم والمنعم عليهم والمتولي بسلطانه وربوبيته عليهم، ولم يستحق الله سبحانه وتعالى الحمد إلا لأنه رب العالمين ومالكهم والمنعم عليهم.

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ۝٣﴾ يعني أنه المستحق للحمد، وأنه المنعم عليهم بالنعم العظيمة والدقيقة، الظاهرة والخفية.

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ۝٤﴾ و﴿مَلِكِ﴾ قرأ بهما النبي ﷺ وهي صحيحة: هو وحده المالك ليوم الدين، أي: الجزاء، يعني يجازيهم ويحاسبهم على الأعمال كلها صالحها وطالحها: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ۝٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ۝٨﴾ [الزلزلة].

فهو الذي يجب أن نتوجه إليه ونحمده ونخاف منه؛ لأنه المجازي لنا، ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر]، يعني لا يوجد هناك نفوذ إلا له وحده.

فقد أمر الله أن تقرأ هذه السورة في كل صلاة: ((لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب)) لأجل أن نحيي ذكره في قلوبنا، ونستشعر سبوغ نعمه علينا، وعظيم رحمته بنا، وأن مرجع الخلائق إليه في يوم الحساب؛ لتجزى كل نفس بما كسبت.

وعليهم أن يتوجهوا إليه وحده ويخصوه بالعبادة.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يعني نتذلل لك، ونخضع لك غاية الخضوع وغاية الطاعة، ونرفض كل معبود سواك؛ لأنك وحدك رب العالمين، ومالك أمرهم، والمنعم عليهم، وكل ما يعبد من دون الله لا يستحق العبادة؛ لأنها لا تعمل لهم شيئاً، ولم تنعم عليهم بنعمة، ولم تحدث خلقاً.

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لا نستعين إلا بك، ولا نطلب المعونة على أمور ديننا ودنيانا إلا منك، وكل ما دونك لا يستحق أن نتوجه إليه بالطلب.

وعدم الإجابة من الله لنا فله فيه حكمة؛ وذلك لئلا يدخل العجب في قلوبنا، ونفتتن في ديننا، ويدخلنا الغرور، وهذا من رحمته بنا، أي: لو أن الله تعالى يعقب السؤال بالإجابة عندما يسأله العبد لربما داخل السائل الغرور وظن أنه قد بلغ منزلة من التقوى رفيعة، وفي هذا الظن خطر عظيم على المؤمن، إذ يوقعه فيما نهى الله عنه من الغرور وتزكية النفس.

هذا، ومن شأن المؤمن أن لا يمسي ولا يصبح إلا هو متهم لنفسه بالتقصير في طاعة الله والتفريط في ذكره والتضييع لشكره.

وهذا لا يمنع أن نطلب المعونة من غير الله فيما يقدرون عليه من الإعانة على بعض أمور الدنيا، لكن لنعلم أن الله هو المعين، وهو المسخر، وأن كل شيء بيد الله، لا ينفع إلا إذا أراد الله؛ فالنبي قد استعان بالمشركين ودعاهم لمعاونته، وأن إعانته مبنية على الأسباب، والله هو المهيئ لهذا الذي يعينك، والمسخر له.

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ آخر الفاتحة دعاء وأولها ثناء على الله، يعني: أن الله يعلمنا الطريق القويم، وهي سبل الأنبياء التي سلكوها ليصلوا إلى رضوان الله. والصراط المستقيم يعني: الدين الحق الذي جاءت به أنبياء الله ورسله ﷺ.

ودلالة على أن هذه الدعوة التي أمرنا الله بها في كل صلاة هي التي توصلنا إلى طريق الحق وإلى السعادة والنعيم الدائم التي هي أمنية كل إنسان، وهي نعمة من الله أن يفرضها علينا لندعوه بها، ونتوصل بها إلى هذا النعيم الدائم، ولم يعلمنا كيفية الدعاء له إلا وهو سيستجيب لنا، وهو كريم لا يخيب أحداً لديه.

وينبغي أن لا يقطع أحد رجاءه وأمله في الله، بل يستغفر ويتوب إليه إن كان قد عصاه فسيغفر له ويتوب عليه.

وهو عالم ببني آدم، وأنهم مرة يخطئون، ومرة يصيبون، ومرة كذا ومرة كذا، فلا يخب أمل المرء في الله ورجاؤه فيه، فينبغي أن يقبل إلى الله بالدعاء ويستغفره، ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ۝٨٧﴾ [يوسف]، ولو فعل ما فعل فلا ييأس ويقول إن الله لن يغفر لي، ولن يقبل توبتي ودعوتي؛ فالله يغفر لك المعاصي كيفما كانت إذا رجعت إليه وندمت، فالله محسن إلينا غاية الإحسان، ومنعم علينا بأجل النعم؛ فينبغي أن نتألم إذا عصيناه، ونندم أشد الندم، ونحرص على أن لا نفعل شيئاً مما نهى عنه.

وهذه هي التوبة وهي أن نتألم لما وقع منا من معصية الله، وبعض الأئمة قد قال: إن التوبة هي الندم، أي: ولو لم يصحبه استغفار.

والصراط المستقيم: هو الدين الحق، فإذا هداك الله إليه فسوف تتوب وتستغفر وتفعل كل الطاعات، فهي دعوة عامة تشمل كل خير وطاعة في الدنيا والآخرة.

وهو: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، لكن: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾ وهم اليهود والنصارى- فقد أنعم الله عليهم لكنه قد غضب عليهم وضلوا عن الطريق.

واليهود والنصارى فقد حرفوا وبدلوا وضلوا وأضلوا، فليسوا على طريق موسى عليه السلام؛ لأنه على الصراط الحق.

هذه اسمها سورة الفاتحة، وسميت الفاتحة لأن الله افتتح كتابه الكريم بها، ولها أسماء عدة، والفاتحة هو المشهور بينها، أو (الحمد لله رب العالمين)، وكذلك (السبع المثاني) في روايات، ولها فضل كبير، وورد فيها آثار، منها: أنها لم تقرأ على مريض إلا شفي، ولا قرأها مكروب إلا فرج الله كربته، ولم يشرعها الله في الصلاة إلا لفضلها الكبير.

وسميت السبع المثاني لأنه يثنى بها في كل صلاة، وأراد الله أن نذكره بها في كل صلاة دلالة على أنها أحب الذكر إليه.

وعندما قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب]، فمصلي الصلوات الخمس فهو ذاكر لله ذكراً كثيراً؛ فإذا كان محافظاً على الصلوات الخمس -ولو لم يصل النوافل- فهو من الذاكرين الله ذكراً كثيراً والذاكرات.

فإذا ذكرنا الله بالفاتحة في الصلوات ففيه دلالة على أنها أفضل الذكر، وأفضل القرآن، ودلالة على أن الله يحب الحمد والثناء عليه، وأنه أفضل الذكر.

قال أمير المؤمنين عليه السلام ما معناه: (الحمد أرجح ما وزن وأفضل ما خزن) يعني أفضل ما يثقل الميزان يوم القيامة، وأفضل ما يخزنه الإنسان ليوم القيامة.

فإذا أراد المرء ذكر الله تعالى فليقرآ الفاتحة، وكما قلنا الذكر في الأصل هو ما في القلب من الإحساس بنعم الله وفضله وقدرته و...، واللسان ليس إلا مترجماً عما في القلب؛ ولذا قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((التقوى هاهنا التقوى هاهنا))، فليست في الجوارح، ولا في حركات اللسان، فلا يضاعف الله الحسنات ويعظمها ويباركها إلا عندما تكون صادرة من القلب، فإذا امتلأ القلب من الهيبة لله وتعظيمه ثم اندفع اللسان إلى ذكره كان أعظم عند الله، وحصلت اللذة في ذكره، والأريحية، وكان لها قيمتها ووزنها ومكانتها عند الله، وحصل النشاط في الذكر والاندفاع الزائد.

فليحاول الإنسان أن يحيي قلبه بتذكر نعم الله عليه في بدنه وفي أهله وأمواله وجميع ما أنعم الله عليه.

فليتذكر نعمة العينين والأسنان والسمع والشم وما في باطنه؛ من يتولى الرعاية لها؟ ومن يسيرها التسيير الدقيق من دون خلل ولا اختلاف؟ ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ

﴿لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم:٣٤]، وإذا ذكرت ذلك زادك الله صحة وعافية، وحفظ لك صحتك وعافيتك: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧].

﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف]، الذين أنعم الله عليهم ولا يذكرونه ولا يحمدونه، ويعطيهم فلا يحمدونه ولا يشكرونه.

وهناك عوالم من النعم فينبغي للمؤمن أن يتفكر كيف يحمد الله عليها، وأنه لا يستطيع أداء الحمد على جميع نعمه، وأنه عاجز عن حمده حق حمده، وهذا هو حمد، ومن أعظم الحمد، وهو الذي يحبه الله؛ لأنه اعتراف له بالعجز عن أداء حقه.

وساعةٌ في التفكر يقال: إنها أعظم من عبادة عشرين سنة، والفكر يحيي الإيمان في القلب، ويملأه إيماناً، ويزيد في اندفاع الإنسان إلى الطاعة، وهذا هو الذكر الحق والصدق، وهو أحسن وأفضل مما يقرأ في الصحائف مثل صحيفة زين العابدين وأمير المؤمنين، وهو ذكر الله الأكبر (ذكر القلب)، وإن كان ما ينطق به اللسان ذكراً لكن ليس كذكر القلب.

فينبغي أن لا يهمل المرء نفسه، وأن يجعل هذه من الأمور المهمة العظيمة التي لا يصلح الإيمان إلا بها.

وقد قيل: إن الإيمان أفضل الأعمال، والمراد به هذا الذي هو حاصل في القلب، وبقاؤه في القلب حياً يحتاج إلى تعب وحراسة وذلك بمعاهدته بالنظر في آيات الله وآيات عظمته وقدرته وآيات رحمته، وما أسبغ الله على الإنسان من نعمه وكثير مننه، ثم النظر في مواعظ الله التي فصلها في كتابه الكريم، والحرص على ملازمة التقوى وسلوك سبيل الهدى، ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد].

وشرع الله الصلوات الخمس للمؤمن لأجل أن تُذَكِّرَهُ بنعم الله عليه، فالكرامة في تقوى الله، والعزة في طاعته.



سورة البقرة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الم﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴿٥﴾﴾:

﴿الم﴾ من حروف الهجاء، افتتح الله تعالىٰ بها بعض سور القرآن لفوائد منها:

١- ليستدعي بذلك الافتتاح إصغاء المشركين، وفتح آذانهم للاستماع إلىٰ آيات القرآن، وذلك لما في هذا الافتتاح من الغرابة التي لم يعهدها العرب في كلامهم.

٢- وللإشارة إلىٰ أن هذا القرآن الذي تحداهم بأن يأتوا بسورة من مثله هو من جنس كلامهم المركب من حروف الهجاء.

٣- وللإشارة إلىٰ أن الحروف التي افتتحت بها بعض سور القرآن هي الأكثر استعمالاً في كلمات القرآن، والحروف المفتتح بها في سور القرآن هي: «أ- ل – م – ص – ر – ك – هـ – ي – ع – ح – س – ن – ق – ط»، وبذلك يكون لهذه الحروف الفضل علىٰ سائر حروف الهجاء.

- ومن الفوائد: تسمية السورة بما افتتحت به من الحروف، فيقال: سورة «ص» وسورة «ق»، وسورة «طه» و..إلخ.
- وقد قيل: إنها حروف أقسم الله بها، وقيل: إنها رموز، أي: أن كل حرف رمز إلىٰ اسم من أسماء الله تعالىٰ أو إلىٰ عدد.
- وهذه السورة من السور التي نزلت في المدينة المنورة، وهي أطول سور القرآن الكريم، وفيها أطول آية، وفيها آية الكرسي أفضل آية.

وقد افتتح الله سورة البقرة بصفات المؤمنين وختمها بذكر صفات المؤمنين، وذكر فيما بين ذلك ما اختص الله تعالىٰ به بني إسرائيل من الآيات، وما أنعم به عليهم من الفضل العظيم بالتفضيل، وبيان ما حصل منهم من التمرد، وكيف قابلوا نعم الله فيهم،

وكيف تلقوها، وأنهم حرفوا، وكتموا، وغيروا، وبدلوا، وكفروا، وأفسدوا في الأرض، وذكر عقاب الله لهم، وغضبه عليهم.

وكيف قابلوا دعوة النبي ﷺ بعدما عرفوا صحة نبوته، وتحققوا صدق رسالته.

وذكر النصارىٰ وما هم عليه من الضلال.

وذكر شهر رمضان وأحكام الصيام، وذكر القصاص وأحكامه، وذكر الطلاق وأحكامه، وذكر الرضاع والفصال والنفقة، وذكر الحج وأحكامه، وذكر الصلاة في الأمن والخوف، وذكر الحيض وأحكامه، وذكر النفقة في سبيل الله وأحكامها ومصارفها، وذكر الربا وأحكامه، وذكر الدَّين والكتابة والشهادة والرهن، وذكر القبلة والتوجه إليها وأحكامها.

وذكر بدء خلق آدم وما يتعلق به من سجود الملائكة وامتناع إبليس من السجود، وعداوته لآدم، وإخراجه من الجنة بسبب إبليس، ووسوسته لآدم وحواء.

وذكر قصصاً وأخباراً عن نبي الله إبراهيم ويعقوب، وعن بعض أنبياء بني إسرائيل فيها عبر وعظات.

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ...﴾ الآيات(١). المعنىٰ: أن هذا الكتاب الذي هو القرآن كله بما فيه هذه السورة الكبيرة هو الكتاب الكامل، الرفيع المنزلة، المهيمن علىٰ كل كتاب، الذي لا يوجد فيه ما يدعو إلىٰ الشك، بل كله حق واضح مكشوف، لا يوجد فيه مدخل للريب، ولا منفذ للباطل، يهتدي بهديه أهل التقوىٰ، ويستضيء بأنواره المؤمنون، الذين أذعنوا بالتصديق بالله وحده لا شريك له وبعظمته وجلاله، وآمنوا بملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر، الذين يحافظون علىٰ إقامة الصلاة وأداء الزكاة، وهم مصدقون بما جاء به رسول الله ﷺ،

---

(١) —**سؤال:** ما فائدة استخدام الإشارة إلىٰ البعيد «ذلك»؟

الجواب: الفائدة هي بيان رفعة الكتاب وعلو منزلته.

وبما جاءت به أنبياء الله ورسله عليهم السلام من عند الله.

فهؤلاء هم الذين ينتفعون بالقرآن، ويهتدون بهديه، ويؤمنون به، وهم الذين استحقوا الفوز والظفر برضوان الله وثوابه في الدنيا والآخرة، دون غيرهم من المشركين وأهل الكتاب فلا حظ لهم في ذلك ولا نصيب، وهذا هو معنى قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى[1] مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ۝٥﴾.

وقد قَسَّم الله الناس في سورة البقرة إلى ثلاثة أقسام: المؤمنون، ثم الكافرون، ثم المنافقون؛ فهؤلاء الثلاثة الأصناف هم الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فبعد أن ذكر المؤمنين وأثنى عليهم ذكر الذين كفروا فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ۝٦ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ۝٧﴾ أي: لا تتعب نفسك في إقناعهم فقد ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم، وعلى أبصارهم غشاوة، لا تنفذ دعوتك إليهم أبداً.

وليس المراد الختم الذي هو التغطية، وإنما أراد الله تعالى أن يصور[2] لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم حالة المشركين وموقفهم من دعوته فصورهم تعالى له صلى الله عليه وآله وسلم بصورة مقنعة للنبي

---

(١) –**سؤال:** ما فائدة الإخبار بأنهم «على هدى»، دون الحكم بهدايتهم؟

الجواب: ليفيد أنهم أهل بصائر ويقين؛ بسببها سلكوا طريق الهدى وركبوه، وتمكنوا فيه تمكن الراكب البصير على ظهر الجواد.

(٢) –**سؤال:** هل المراد بما قلتم أنه تشبيه تمثيلي؟ وهل يصح أن نحمل الختم على الخذلان؟ أو على أن التمتيع لهم بأنواع النعم كالسبب في غفلتهم وإعراضهم وهو من الله كما قالت الملائكة: ﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ﴾ [الفرقان:١٨]؟

الجواب: المراد أن ما ذكرنا تشبيه تمثيلي، وهو أحد الأوجه التي ذكرها في الكشاف، ويصح حمل الختم على التمتيع لهم، ويكون من الإسناد المجازي، وعلى الخذلان أيضاً، ويكون من الإسناد المجازي.

ﷺ لم يبق بعدها له ﷺ طمع في إيمانهم ولا رجاء لإسلامهم، وليس هناك في الواقع أغطية على قلوبهم تمنع دخول الهدى إليها ولا على أعينهم أغشية تحول بينهم وبين رؤية الهدى، وليس في آذانهم ما يمنع من سماع الهدى.

ثم ذكر الله بعد ذلك المنافقين فقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ۝٨﴾ أي: بينكم أيها المؤمنون ناس قد دخلوا في الإسلام وما هم بمسلمين، وهؤلاء هم الذين أقلقوا النبي، وكادوا الإسلام، وعانى منهم النبي معاناة شديدة، ولذا أنزل الله فيهم أكثر مما ذكر في الكفار، وذلك لأن تأثيرهم على الإسلام تأثيرٌ كبير، كإثارة الفتن، وغرس الريبة والشك في قلوب المؤمنين، وإغوائهم، وخاصة من كان قلبه ضعيفاً بالإيمان.

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني: يخادعون أولياء الله ويخادعون نبي الله[1]، وهو المراد من الآية؛ لأن الله لا يخدع.

﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ۝٩﴾ أي: ما ضروا إلا نفوسهم بصنيعهم وهم لا يعلمون شؤم ما يفعلون، يظنون أنهم في خير العمل.

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ يعني: التكذيب بالقرآن والشك في النبي، وهذا كفر في الواقع.

﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ يعني: لم يهدهم، بل تركهم على ما هم عليه، يعني: كلما نزل قرآن كذبوا به، فزادهم مرضاً، وازداد كفرهم، فكلما نزلت آية ازداد كفرهم، لأنهم يكتسبون كفراً إلى كفرهم، وهذا هو المراد بالآية، ونسبة زيادة المرض إلى الله، وليس المراد أن الله يدخل كفراً فوق كفر.

---

(١) —**سؤال:** كيف كانت مخادعتهم للنبي والذين آمنوا؟

الجواب: مخادعتهم للنبي ﷺ والمؤمنين كانت بإظهارهم الإيمان والنصيحة، وهم في الواقع يسرون الكفر والكيد للنبي ﷺ وللمسلمين، ويسعون جهدهم في إبطال أمر النبي ﷺ، وإفساد أصحابه.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ۝١٠﴾ أي: عذاب جهنم بسبب تكذيبهم لآياته، وتكذيبهم لنبيه وللقرآن؛ فاستحقوا سخط الله وعذابه.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ۝١١﴾ يظنون أنهم في خير العمل، وأنهم الفطنون الحذاق، وغيرهم من المؤمنين لا يفقهون ولا يفطنون، ويقولون: نحن الذين على الحق والصلاح دون المؤمنين(١).

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ۝١٢﴾ لا يعلمون أنهم مفسدون(٢)؛ لإعجابهم بما هم عليه من النفاق والسياسة والخداع.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ(٣) النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ﴾(٤) أي: أنؤمن مثل إيمان هؤلاء السفهاء؛ استخفافاً بهم وبالنبي ﷺ،

---

(١) —**سؤال:** ما صور إفساد المنافقين في الأرض؟

الجواب: من صور إفسادهم: تخذيلهم للمؤمنين عن مواجهة العدو مع النبي ﷺ، كما كان منهم في يوم أحد، وادعوا أنهم المصيبون في هذا، فإن ما فعلوه من الفساد هو المصلحة.

ومن صور إفسادهم: الإرجاف والتشكيك على المؤمنين، ومحاولة التهمة في دينهم، ومظاهرة اليهود، ومناصحتهم ومودتهم، وإطلاعهم على أسرار النبي ﷺ.

(٢) —**سؤال:** هل هم حقيقة لا يعلمون إفسادهم، أم نُزّلوا منزلة من لا يعلم؟

الجواب: الذي يظهر لي أن المنافقين كانوا يعتقدون أنهم أهل الرأي الصائب دون النبي ﷺ والمؤمنين.

سؤال: ما موضع جملة: «يجعلون أصابعهم» الإعرابي؟

الجواب: ليس لها محل من الإعراب؛ لأنها مستأنفة استئنافاً بيانياً على تقدير سؤال.

سؤال: ما معنى «من» في قوله: «من الصواعق»؟

الجواب: «من» للتعليل.

(٣) —**سؤال:** ما موضع: ﴿كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ﴾ الإعرابي؟

الجواب: ﴿كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ﴾ جار ومجرور واقع موقع المصدر الذي هو مفعول مطلق، والتقدير: آمنوا إيماناً كإيمان الناس.

(٤) —**سؤال:** إذا قيل: بأنه يؤخذ من الآية جواز التقليد في الإيمان، فكيف تُوَجَّهُ الآية؟

الجواب: آمن المنافقون بألسنتهم دون قلوبهم، وكانوا يسعون في إفساد أمر النبي ﷺ، وإفساد =

ويعتقدون أنهم أصحاب الآراء السديدة، والعقول الراجحة.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ۝١٣ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ[(١)] قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ۝١٤﴾ يكشف الله تعالى ستر المنافقين في هذه الآيات، ويبين حقيقة إيمانهم، وأنهم إنما يصانعون بإيمانهم المؤمنين.

﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ[(٢)] بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٥﴾[(٣)] وهذا جزاؤهم، أي: يخليهم ويمهلهم ويتركهم يسترسلون في استهزائهم بالمؤمنين، ثم بعد ذلك سيجازيهم على ما صدر منهم.

المؤمنين، وإدخال الفساد عليهم، فأمروا بأن يؤمنوا إيماناً صادقاً مثل إيمان المؤمنين الصادقين الذين نصحوا الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهم يعلمون كيف هو الإيمان الصادق، وأنه في طاعة الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فكأنه قيل لهم: أطيعوا الله ورسوله كما أطاعه المؤمنون الصادقون، هذا هو المعنى الذي تفيده الآية مع سياقها، ولم يؤمروا بتقليد المؤمنين في الإيمان، وكيف يؤمرون به والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بين أظهرهم، يدعوهم إلى طاعته، والإيمان به وبرسالته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

(١) – **سؤال:** ما الوجه في تسميتهم بالشياطين؟

الجواب: الوجه هو مشابهتهم للشياطين في التمرد، ومعرفة الوسائل والطرق والحيل لإضلال الناس، وسعيهم الجاد في ذلك.

سؤال: هل يؤخذ من ذلك تسمية مردة العصاة بالشياطين؟

الجواب: يؤخذ من ذلك صحة تسمية من شابه الشياطين في عملهم شيطاناً.

(٢) – **سؤال:** هل المراد بالاستهزاء من الله الترك والإمهال، وهو المعبر عنه عند بعض العلماء بأنه يعمل بهم عمل المستهزئ؟

الجواب: المراد أنه الترك والإمهال، ثم الأخذ والجزاء على ذنوبهم.

(٣) – **سؤال:** ما موضع جملة «يعمهون»؟

الجواب: موضعها النصب على الحالية من مفعول «يمدهم».

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ الهدى هو الثمن دفعوه وأخذوا الضلال، وصل الهدى إلى أيديهم فتركوه، وآثروا[1] الضلالة فلم يربحوا في أعمالهم هذه التي يظنون أنها عين الصواب، ولم يهتدوا إلى طريق الحق التي ستسعدهم.

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾: وصف الله تعالى حال المنافقين وما هم عليه من النفاق بين ظهراني المؤمنين فشبههم وصورهم لنا بصورة من استوقد ناراً وأشعل لهبها حتى إذا زان له لهبها وأنارت له ما أراد أطفأها الله عليه فبقي في ظلمات الليل لا يبصر شيئاً ولا يهتدي.

والمعنى: أن المنافقين حينما دخلوا في الإسلام استناروا بنور الإسلام وأبصروا طريق الهدى، إلا أن ذلك النور انطفأ عليهم، فعاد عليهم ظلام الشرك والكفر بسبب الشك في دين الإسلام وعود الكفر إلى قلوبهم.

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ لما لم يستفيدوا من هذا الهدى وذلك النور الذي جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وصفهم الله بهذه الصفات تعبيراً عن مكثهم في الشرك، وبقائهم عليه، فهم مثل الصم البكم العمي الذين لا يتأتى منهم الاهتداء إلى مراشدهم، فهم لا يرجعون إلى النور والهدى، ولا يحصل منهم ذلك.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ[2] مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ[3] أَصَابِعَهُمْ

---

(١) —**سؤال:** ما الوجه في تشبيه مؤاثرتهم للضلالة باشترائها؟

الجواب: يفيد التشبيه أن المنافقين حرصوا على طلب الضلالة، مثل حرص المشتري على طلب المبيع وإدخاله في ملكه، فأخذوها ودفعوا ثمنها، وهو الهدى.

(٢) —**سؤال:** علامَ عطف قوله: «أو كصيب»؟

الجواب: معطوف على: «كمثل الذي استوقد».

(٣) —**سؤال:** ما موضع جملة: «يجعلون أصابعهم»؟

=

فِيٓ ءَاذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ وهذا هو المثل الثاني للمنافقين، **والصيِّب**: المطر القوي الذي يصحبه ظلمات في الليل ورعد وبرق، اجتمعت ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة المطر.

﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ من شدته بين تلك الظلمات.

﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾(١) ولم يتحركوا، شبه الله تعالى حال المنافقين بمن هو بين تلك الظلمات فلا يرون مع ذلك سبيل هداهم، ولا يبصرون طريقهم؛ لتراكم الظلمات عليهم، حيث إن المنافقين دخلوا في الإسلام مع كفرهم بالإسلام بقلوبهم فلم يروا من نور الإسلام والهدى إلا ما يزعجهم ويخيفهم، فهم في ظلمات الشرك والجهل مقيمون كغيرهم من المشركين.

وقوله: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾ المراد به أنه قد أصبح لهم حكم الإسلام، وقد حصل لهم شيء منه، وهو عصمة النفوس والأموال والأولاد، وهذه هي الفائدة التي حصلت لهم من الإسلام وهي المرادة من قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾، ولكنهم على خوف أن ينزل بهم شيء يكون فيه هلاكهم.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ الله قادر على أن لا يروا شيئاً، ولا يسمعوا هدىً، ولكنه خلاهم وتركهم بين المسلمين لا يلحقهم شيء، وهو قادر على أن يهلكهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾.

الجواب: ليس لها محل من الإعراب؛ لأنها مستأنفة استئنافاً بيانياً على تقدير سؤال.

سؤال: ما معنى «من» في قوله: «من الصواعق»؟

الجواب: «من» للتعليل.

(١) —**سؤال:** ما معنى «قاموا»؟ ومم أخذت؟

الجواب: معنى «قاموا»: ثبتوا مكانهم لا يتحركون، ومنه: «قامت السوق» إذا ركدت، و«قام الماء» إذا جمد، هكذا في الكشاف.

هذه ثلاث عشرة آية نزلت في المنافقين؛ لأن خطرهم على الإسلام والمسلمين أشد من خطر الكفار؛ لأنهم بين أظهرهم، ومخالطون لهم، وهم يحيكون المكائد، ويتحيلون الحيل للقضاء على الإسلام، وهو أكبر همهم، والبلاء منهم مستمر على النبي ﷺ، وهم الذين ألصقوا بعائشة تهمة الزنا؛ ليلطخوا عرض النبي ﷺ، وينفروا الناس عنه بهذه التهمة القبيحة المنفرة.

في هذه الآيات التي أنزلها الله تعالى في المنافقين شرح متكامل، وتوضيح مفصل لحالة المنافقين؛ ليحذرهم المؤمنين؛ فأخبرنا تعالى عنهم:

- أنهم ليسوا بمؤمنين.
- وأنهم كافرون بدين الإسلام، ويسخرون من أهل الإسلام، ويستهزئون بهم، ويحتقرونهم.
- وأنهم معجبون بأنفسهم وبكفرهم ونفاقهم، ويعتقدون في أنفسهم أنهم نجحوا في خديعة النبي ﷺ والمؤمنين حيث إنهم استطاعوا بحسن سياستهم الاحتفاظ بكفرهم مع الأمن على أنفسهم وأولادهم وأموالهم من سيوف المسلمين.
- وأنهم مع نجاحهم في ذلك يحاربون الإسلام ونبي الإسلام وأتباعه حرباً هي أشد من الحرب بالسيف، وأعظم فتكاً بالمسلمين من تجييش الجيوش، والزحف عليهم بأسباب الحتوف؛ فيثبطون الناس عن مناصرة النبي ﷺ، ويخذِّلونهم، ويرجفون عليهم، ويحذرونهم من عواقب مناصرته، ويجدون ويجتهدون في إفساد أمره، وإفشاء أسراره، وعلى الجملة فحربهم على الإسلام كانت أعظم من حرب المشركين، وأشد نكاية بالمسلمين؛ فحذر الله تعالى المؤمنين من هذا العدو المندس بينهم الداخل فيهم، والمتلبس بهم، حتى لا يغتروا بهم، ولا يركنوا إليهم، وليكونوا على أشد الحذر منهم، والتحرز عنهم، ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ④﴾ [المنافقون].

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ خاطب الله جميع الناس المؤمنين والمنافقين ودعاهم إلى طاعته وامتثال أمره.

﴿الَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ ورباكم ورزقكم ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي وخلق الذين من قبلكم فهو الذي يستحق العبادة دون غيره من الأصنام وغيرها، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ۝٢١﴾ إذا عبدتموه فقد اتقيتم عذابه وسخطه، وعبادته هي الوسيلة إلى اتقاء عذابه وسخطه.

﴿الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ مهدها لتعيشوا على ظهرها.

﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ سقفاً، ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ المطر ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ هذا هو الذي يستحق العبادة، وهو أهل لأن يعبد ما دام قد أوجد لنا هذه النعم دون غيره.

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ۝٢٢﴾ لا تجعلوا له أمثالاً آلهة فليس له مثل، وأنتم من أهل العقول والعلم، فكيف تجعلون له أمثالاً وأنتم تعلمون أن هذه الأمثال لا تغني شيئاً، ولا يتأتى منها خلق ولا رزق.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ متشككين في هذا القرآن أنه من عند غير الله ﴿مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ۝٢٣﴾ ما دمتم قد كذبتم به فأتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من الناس ليعاونوكم على الإتيان بمثل القرآن إذا كنتم ترون أن محمداً افتراه. تحداهم بالإتيان بمثل فصاحته حين كانت البلاغة في وقتهم قد بلغت قمتها والمهارة في أعلاها، وقد حاولوا ولم يستطيعوا، وقد كان هناك القصائد السبع (المعلقات السبع) التي هي أفصح الأشعار في ذلك الوقت، ولم يأت أحد بمثل بلاغتها قد علقت في أستار الكعبة، وحين سمعوا بالقرآن أزالوها من الكعبة؛ لأنهم رأوا وسمعوا شيئاً حط مرتبة هذه القصائد في الحضيض.

وكان كبار العرب وفصحاؤهم يذهبون خفية ليستمعوا إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حين يقرأ القرآن، فيتعجبون من بلاغته وفصاحته، مع أنهم كانوا يمنعون صغارهم من الاستماع إليه؛ لئلا يتأثروا ويؤمنوا به، وكل من وصل إلى مكة حذروه منه، ونعتوه بأنه ساحر وكذاب؛ لينفروه عنه[(١)].

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴿٢٤﴾﴾: فإن لم تستطيعوا أن تأتوا بمثله فاعلموا أنه حق من عند الله فاحذروا سخط الله وعذابه في جهنم الذي حذركم منه القرآن الذي جاءكم به محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد أخبرهم أن هناك عذاباً وهناك ناراً أعدها الله في الآخرة للكافرين؛ فمن المفترض أن العاقل إذا سمع النذير ينذر بالخطر والهلاك أن يتحرز، ويتحذر، ويبالغ في النظر والتحقق، ويأخذ حذره، حتى ولو كان الخبر مشكوكاً فيه.

وقد اكتشف العلم الحديث كيف يمكن أن تكون الحجارة وقوداً وذلك الوقود النووي الذي يفجر الذرات[(٢)] فتصير ناراً وفيه إشارة ودلالة على أن القرآن حق؛ لأنه قد أخبر كيف يمكن أن تكون الحجارة وقوداً، وهي من

(١) –**سؤال:** لماذا خالف الله في التعبير بما تحداهم فمرةً يقول: بسورة، ومرة بعشر سور، ومرة بعشر آيات، ومرة لا يأتون بمثلها، ونحوها؟

الجواب: أنكر المشركون أن القرآن من عند الله، وقالوا: إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جاء به من تلقاء نفسه، ومرة قالوا: إنما يعلِّمه بشر، ومرة قالوا: أعانه قوم آخرون، فقال الله لهم: إذا كان الأمر كما تدعون فتعاونوا وأتوا بمثله، فلم يقدروا، وبان عجزهم وظهر، ولكنهم أصروا على التكذيب، فقال الله لهم: فأتوا بعشر سور مثله، فعجزوا وظهر عجزهم، وما زالوا على التكذيب، ثم قال الله لهم: فأتوا بسورة واحدة مثله، فكان هذا التنازل أدل على عجزهم، وظهور صحة صدق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

(٢) –**سؤال:** هل تعني الذرات التي تركبت منها الحجارة؟

الجواب: نعم، المقصود الذرات التي تركبت منها الحجارة.

المعجزات الدالة على صدق القرآن.

وقال: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ ولم يقل: للمنافقين؛ لأن لفظ الكافرين يشملهم وغيرهم، فهو أعم.

وبعد أن ذكر الله النار التي وقودها الناس والحجارة وأنها أعدت للكافرين قال: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: بشر يا محمد المؤمنين والمصدقين بما جئت به ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يعني بشر الذين جمعوا بين الإيمان والأعمال الصالحة بجنات النعيم التي يخلدون في نعيمها، وما يقوله بعضهم: إنه من قال: (لا إله إلا الله- دخل الجنة) فهذا غلط؛ لأنه قال: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فلا بد من الجمع بين الإيمان والعمل الصالح، وقد تكرر ذلك في كثير من القرآن دلالة على أنه لا بد أن يقترن مع الإيمان العمل الصالح؛ فلا يغترن أحد بمثل ذلك؛ لأن الله قد رد عليهم بهذه الآية: ﴿وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ③﴾ [العصر]، وغيرها.

﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يعني أشجاراً كثيرة متنوعة، وخضرة قد غطت الأرض، وحجبت الشمس عن الأرض من كثافتها، والأنهار تجري من تحتها.

﴿كُلَّمَا[1] رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا﴾ أي: كلما حصل لهم رزق من ثمار هذه الجنات ﴿قَالُوا هَذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ يعني أثماراً متشابهة في أشكالها حتى يظن أنها نفسها ولكن لكل ثمرة طعم غير طعم الثمرة الأولى، أو أن المراد أنها مثل الذي قد رزقوا منه في الدنيا.

---

(١) –**سؤال:** علام انتصب «كلما»؟

الجواب: نصبت على الظرفية وناصبها «قالوا».

﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ أي: هذا الثمر، ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ لا قذر فيهن مثل ذلك الذي يحصل في الدنيا من الحيض ونحوه. ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴿٢٥﴾﴾ لا ينقطع نعيمها ولا يخرجون منها أبداً.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ عندما ضرب الله المثل بالذباب والعنكبوت احتقر المشركون القرآن وطعنوا فيه ثم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾[١] يعني لا يستحيي أن يضرب المثل بالبعوضة وما هو أصغر منها.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يعني هذا المثل، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾[٢]، استهزاء بالقرآن كأنهم يقولون: ما الفائدة من ذكر هذا المثل.

﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ[٣] عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴿٢٧﴾﴾ كان هذا المثل سبباً لضلال كثير

---

(١) - **سؤال:** ما هو عدم الاستحياء في حق الله؟ وما موضع «ما» الإعرابي؟ وعلام انتصب قوله: «بعوضة»؟

الجواب: لا يستحيي أي: لا يترك ضرب البعوضة مثلاً لحقارتها؛ لما في ضرب المثل بها أو بما هو أحقر منها من بيان الحق، وموضع «ما» النصب صفة لمثلاً على قول، وبعوضة على هذا بدل منصوب من المفعول به.

(٢) -**سؤال:** علام انتصب قوله: «مثلاً»؟

الجواب: ينتصب على التمييز أو الحال. هكذا في الكشاف.

(٣) -**سؤال:** هل يصح أن يحمل قوله: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ على أنه ابتداء كلام جديد؟

الجواب: يصح حمله على أنه ابتداء كلام جديد، ولكن الأولى حمله على أنه تابع لما قبله، كما ذكرنا في التفسير؛ ليترابط الكلام ولا يتفكك.

من الناس، وهم الذين سخروا منه واستهزئوا بالقرآن من أجله، وسبباً لزيادة الهدى عند آخرين، ولكن لا يكون سبباً لضلال المؤمنين، وإنما يكون سبباً لضلال الفاسقين الخارجين عن حدود الحق والمعروف الذين عرفوا عند الناس بنقض العهود وقطيعة الأرحام(١)، وعرفوا أيضاً بالفساد في الأرض، وهؤلاء هم الذين خسروا الدنيا والآخرة.

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾(٢) في النطف، والنطفة ميتة ﴿فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ للحساب. وهذا هو مشاهد محسوس أن نكون أمواتاً في النطف ثم يحيينا ويخرجنا من بطون أمهاتنا ثم يميتنا بعد ذلك، وهذا مشاهد محسوس، ثم بعد ذلك يحيينا للحساب، وليس في الآية دلالة على الحياة في القبور(٣).

---

(١) – **سؤال:** هل يقصر ما أمر الله به أن يوصل على صلة الأرحام، أم يشمل كل الحرم التي أمر الله بمراعاتها؟

الجواب: الأولى أن يعم كل الحرم التي أمر الله تعالى بمراعاتها.

(٢) – **سؤال:** ما موضع «كيف» الإعرابي؟ وما فائدة الاستفهام؟

الجواب: «كيف» في محل نصب مفعول مطلق. ومعنى الاستفهام بها: التعجب والاستنكار.

(٣) – **سؤال:** يقال: هل يمكن أن يكون في التعبير بـ«ثم» دلالة على أن الرجوع إليه غير الإحياء السابق لـ«ثم» فيكون دلالة على الحياة في القبور؟

الجواب: في ذلك دلالة على ما ذكرتم، لولا أن هناك دلالات أخرى قرآنية تدل على خلاف ذلك، مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون]، ﴿قَالُوا يَاوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا...﴾ [يس:٥٢]، وحياة القبر ثابتة، والمراد بها حياة الروح، فأرواح الصالحين تتنعم بعد الموت، وأرواح المجرمين في أهوال وشدائد إلى يوم القيامة، كما ذكر الله تعالى في آل فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر].

﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[١] لا غيره من الأصنام التي تعبدونها من دون الله فإنها لم تخلق شيئاً في الأرض ولا في السماء، بل لا قدرة لها على فعل ما ينفعها أو يضرها، فكيف تعدلون أيها المشركون عن عبادة الإله الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً إلى عبادة غيره ممن لا يتصف بشيء من صفات الإلهية؟!!

﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٢٩﴾: هذا في بداية الخلق خلق الله الأرض ثم خلق السماء بعدها وجعلهن سبع سماوات، واستوى إلى السماء بمعنى: قصد إلى خلقها[٢].

والسماء المراد به الجنس بدلالة الجمع في ﴿فسواهن﴾ ذكره الزمخشري، والسماء الدنيا هي التي فيها المصابيح المضيئة والنجوم الكبيرة كالشمس، أو المراد بالسماء الارتفاع والعلو، فما ارتفع سمي سماءً.

وفي قوله: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس:١٠١]، دلالة على أننا نرى السماوات وهي تلك النجوم البعيدة، ورغم التطور في زمننا هذا لم يستطيعوا أن يصلوا إلا إلى السماء الدنيا؛ فأقرب نجم إلى المجموعة الشمسية يبعد عنها حوالي ٣٠٠ سنة ضوئية، كما يقول العلم الحديث.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ ذكر الله محاورة حصلت بينه وبين الملائكة وذلك حينما أراد خلق آدم فقال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يسكن الأرض ويعمرها، فاستنكرت الملائكة ذلك؛ لأنهم يعلمون أن من يسكن الأرض فهو جهول، وأنه سيحصل شر منهم وسفك دماء، وهذا معنى قولهم: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ

---

(١) –**سؤال:** من أين أخذ الفقهاء أن الأصل في الأشياء الإباحة من هذه الآية؟

الجواب: أخذ ذلك من عموم «ما في الأرض».

(٢) –**سؤال:** كيف نوفق بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ۝٣٠﴾ [النازعات]؟

الجواب: خلق الله تعالى الأرض أولاً، ثم خلق السماوات، ثم دحا الأرض بالتراب بعد خلق السماوات.

فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ...﴾ الآية، وكانوا قد عرفوا ذلك حينما رأوا ما يحصل من الجن، أو أنهم كانوا قد عرفوا أنه من سكنها كانت هذه طبيعته.

وهذا الاستفسار ليس فيه اعتراض على الله، وإنما فيه حث على السؤال ليحصل العلم، وفيه حث على المشاورة، فعلى كبير القوم أن يشاور المقربين إليه في أمورهم، وأما الله تعالى فليس في حاجة إلى ذلك، وإنما هو على سبيل التعليم، وسؤالهم هذا لأجل أن يبين لهم الحكمة في ذلك الخلق البشري، وأن هذا الخليفة سوف يكون مؤهلاً لحمل العلم ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴿٣٣﴾﴾ فظهرت حكمة الله من خلق آدم حين أنبأهم بالأسماء، وظهرت أهليته لحمل العلم، وانكشف أيضاً من هذا أمر إبليس وما كان يخبئ في قلبه من الكبر.

وسمي خليفة لأنه قد خلف الجن عندما كان قد أسكنهم قبله.

ومعنى قوله سبحانه: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ لماذا لم تخلق ملائكة في الأرض ليعبدوك ويسبحوك؟ ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴿٣٠﴾﴾ من الحكمة في خلقهم، ولله حكمة في كل ما خلق يختص بعلمها، ونحن لا نعلمها، وقد أظهر الله تعالى للملائكة بعض الحكمة في خلق آدم.

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ المسميات(١)، ﴿فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴿٣١﴾﴾ فسألهم فلم يعلموا بها، وسأل آدم فأخبرهم بأسمائها.

أو المراد بـ﴿عَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ﴾: أنه أهله لأن يكون قابلاً للعلم والتعلم بخلاف الملائكة فإنما لكل ملك وظيفة يقوم بها ولا يتعداها، فبعضها وظيفته التسبيح وبعضها التحميد، وبعضها السجود، و..إلخ، وليس عندهم إمكانية لغير ما كلفوا به.

---

(١) –**سؤال:** ما الوجه في تذكير الضمير إذا كُنّ المسميات؟

الجواب: ذكّر الضمير لأن في المسميات عقلاء فغلَّبهم.

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴿٣٢﴾﴾ قول الملائكة هذا هو تنزيه منهم لله تعالىٰ عن أن يفعل ما ينافي الحكمة ويخالفها وإعلان منهم بأن اعتراضهم علىٰ خلق بشر في الأرض «آدم» قد كان صادراً منهم عن جهل بالحكمة في خلقه، وإقرار وإعلان بحكمة الله وإحاطة علمه وأنه لا يصدر منه جل وعلا قضاء بخلق شيء أو إحداث أمر إلا عن علم وحكمة سواء ظهر وجه الحكمة أم لم يظهر.

﴿قَالَ يَاآدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ أخبرهم آدم.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴿٣٣﴾﴾، لما ظهرت أسرار حكمة الله في خلق آدم للملائكة، قال لهم: ألم أقل لكم إنه لا وجه لاستنكاركم عليَّ في خلق آدم، لأني أعلم غيب السماوات والأرض، وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون[1]، والآن قد تكشفت لكم أيها الملائكة أسرار الحكمة في خلق آدم. والذي حكىٰ الله تعالىٰ من أسرار الحكمة هنا أمران:

الأول: أن هذا الخليفة الذي جعله الله في الأرض مؤهل لحمل العلم والحكمة.

والثاني: أنه ظهر بخلق آدم ما يكتمه إبليس من الكبر والتعالي الذي حمله علىٰ رفض أمر الله والتكبر عن طاعته.

وهذه الآية إشارة إلىٰ قوله ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴿٣٠﴾﴾، ومعنىٰ: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴿٣٣﴾﴾ أن إبليس كان يكتم الكبر في قلبه فظهر كبره عندما أمره بالسجود لآدم فاستكبر.

---

(١) – **سؤال:** إذا كان معنىٰ «ما تكتمون» هو: ما كان يكتمه إبليس من الكبر فما هو الشيء الذي يبدونه؟

الجواب: ذكر الله تعالىٰ علمه بما يبدونه وما يكتمونه ليبين إحاطة علمه بما خفي وما ظهر، مع ما في ذلك من إظهار كماله وجلاله.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا[١] لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾ فقال: كيف أسجد لبشر لم يعبد الله وأنا على عبادته ستة آلاف سنة؟!! وهو مخلوق من طين، وأنا مخلوق من نار، والنار أفضل من الطين ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۝٣٤﴾.

﴿وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ[٢] فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ۝٣٥﴾ وهذا اختبار لهما، وابتلاء لطاعتهما.

وهذه الجنة في الدنيا، والمراد بالرغد: الترفُّه، أي: كُلَا في تنعم ورفاهية دون منغصات.

﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾[٣] أوقعهما في الزلة وهي الأكل من تلك الشجرة، فوسوس إليهما أن الله ما منعهما إلا من أجل أن لا يكونا ملكين، أو يكونا من الخالدين، فطمعا بوسوسة الشيطان في منازل الملائكة، وفي أن يكونا من الخالدين.

﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من العيش الرغد في هذه الجنة.

﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ انزلوا إلى محل ثانٍ؛ لأن الجنة كانت في مكان مرتفع.

﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ أي: متعادين.

﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ۝٣٦﴾ آدم ومن ولد له، لكم في الأرض متاع إلى يوم القيامة[٤].

---

(١) –**سؤال:** السجود لا يكون إلا لله، فكيف كان سجودهم لآدم؟

الجواب: السجود كان بأمر الله وفي طاعته لأجل آدم، فكان آدم قبلة للسجود كالكعبة للمصلين.

(٢) –**سؤال:** ما هي الشجرة التي منعوا من أكلها؟

الجواب: قيل إنها شجرة العنب، وقيل غير ذلك.

(٣) –**سؤال:** إلامَ يعود الضمير في قوله: «عنها»؟

الجواب: يعود للشجرة.

(٤) –**سؤال:** وهل يصح أن يحمل الحين على موت كل منهم؟

الجواب: يصح حمل الحين على موت كل واحد منهم.

﴿فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ۝٣٧﴾ حزن آدم وأسف وندم فتاب الله عليه، وعلمه الله كيف يتوب، فعلمه أن يقول: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ۝٢٣﴾ [الأعراف]، فقالها، وهي الكلمات التي تلقاها فتاب الله عليه، وغفر له(١).

وفي هذه الآية وما قبلها دلالة على شرف العلم عند الله تعالى، وأن له شأناً عنده؛ وذلك أن الله تعالى علم آدم من علمه، فحمل العلم الذي علمه ربه، وألقاه على الملائكة فعرفوا حكمة الله في خلقه، وكبرت عندهم كرامته ومنزلته، حيث كان عنده من العلم ما ليس عندهم، وحمل من الحكمة ما لم يحملوه، ثم أمرهم الله تعالى بالسجود له تكريماً له بما يستحق من الكرامة التي جعلها الله له بسبب حمله للعلم والحكمة.

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا(٢) مِنْهَا جَمِيعًا﴾ أي: اخرج أنت يا آدم وأنت يا حواء وما

(١) - **سؤال:** كيف يجمع بين هذا وبين ما روي أنه توسل بالخمسة أهل الكساء، وأنها الكلمات التي تلقاها من ربه؟

الجواب: لا منافاة بين الأمرين فقد تلقاهما آدم جميعاً، فحكى الله تعالى هنا دعاء آدم في التوبة وطلب المغفرة، وذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الوسيلة التي توسل بها آدم لقبول توبته ودعائه.

(٢) - **سؤال:** ما فائدة تكرير الأمر لهم بالهبوط؟

الجواب: الفائدة من تكرير الأمر لهم بالهبوط في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ۝٣٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ۝٣٩﴾، هو من أجل أن يرتب عليه الكلام الذي بعده وهو قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ...﴾ إلخ.

سؤال: هل يصح أن يدخل إبليس في جملة المأمورين بالهبوط؟

الجواب: أخرج الله تعالى إبليس من الجنة مذموماً مدحوراً، وأخرج آدم وحواء منها مكرمين، وقد قيل: إن الأمر في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة:٣٦]، لآدم وحواء والشيطان، أما في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [البقرة:٣٨]، فيظهر =

تحملانه من الذراري والأجيال.

﴿فَإِمَّا[1] يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴿٣٨﴾﴾ وسأبعث فيكم رسلي وأنبيائي يدعونكم إلى الهدى، ويستنقذونكم من الهلاك، فمن استجاب لهم واهتدى بهديهم فهو في مأمن من عذاب الله، لا يلحقه خوف ولا مكروه ولا حزن، ومن كذب الأنبياء والرسل وكفر بهداهم وبما جاءوا به من آيات ربهم- فقد استحق عذاب الله وسخطه في نار جهنم خالداً فيها. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ بالهدى والرسل الذين يأتون إليهم ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴿٣٩﴾﴾ أخبرهم بأنهم سيخرجون إلى الأرض ويتعبون فيها، بخلاف الجنة التي كانوا فيها فلا تعب ولا خوف ولا نصب، وبأنه سيرسل إليهم الرسل فمن اتبعها فلا خوف عليهم، ومن كفر بها فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون، وأخبرهم بهذا لأجل أن يكون عندهم استعداد أنه إذا جاءهم نبي يؤمنون به، وإلى هاهنا انتهت قصة آدم عليه السلام.

﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ خاطب الله بني إسرائيل الذين كانوا في المدينة: بني قينقاع وأهل خيبر وبني النضير وغيرهم.

أن الأمر بالهبوط لآدم وحواء ولمن يأتي من ذراريهما؛ بدليل قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ...﴾، ومن هنا فيترجح أن الخطاب في الأمر الأول وهو قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ لآدم وحواء ولمن يلحق من ذراريهما، وإن لم يكن هناك عداوة بين آدم وحواء فالعداوة مقدرة بين ذراريهما، ويرجح هذا أن الله تعالى طرد إبليس من الجنة وأخرجه منها مذموماً مدحوراً حين امتنع من السجود لآدم.

(١) —**سؤال:** ما هو إعراب «فإما»؟ وأين جوابها؟

الجواب: «إما» هي «إن» الشرطية و«ما» الزائدة، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعَ..﴾ الآية- جواب «إن» الشرطية.

﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ لأن الله قد أنعم على اليهود بنعم لم ينعم بها على أحد من العالمين، وسيأتي الكلام عليها، ومن المفروض أنهم إذا تذكروا هذه النعم أن يكونوا أول من يؤمن بالنبي محمد ﷺ.

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ وكان الله سبحانه وتعالى قد عهد إليهم في كتابهم أن يؤمنوا بالنبي الذي سيبعثه إليهم ﴿النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ [الأعراف:١٥٧]، فلما بعثه الله تعالى كفروا به وكتموا صفاته المكتوبة عندهم.

﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ أي: خافوني ولا تخافوا غيري ولا تعصوني، وعهدكم يا بني إسرائيل الذي جعلته لكم إن وفيتم[1] لي بالسمع والطاعة أني أرفعكم، وأثيبكم، وأجعل لكم في الأرض رفعة وشرفاً ونصراً وتأييداً.

﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ وآمنوا بالقرآن لأنه مصدق للتوراة وموافق لها.

﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ أي: بالقرآن؛ وكان الله قد أخبرهم في كتابهم بهذا النبي وبصفاته، ومن المفروض أن يكونوا أول المؤمنين به، لما يعرفون في كتابهم من صفته.

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[2] لا تتركوا الهدى الذي جاءكم وتأخذوا مقابل ذلك ثمناً قليلاً من متاع الدنيا.

---

(١) —**سؤال:** من أين نأخذ أن هذا عهدهم؟

الجواب: أخذ مما ذكر الله أنه أخذ ميثاق أهل الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه، فكتموا صفة النبي ﷺ المفصلة في التوراة.

(٢) —**سؤال:** ما فائدة التعبير عن أخذهم للمال بالشراء؟

الجواب: كان اليهود حريصين على ترك الهدى رغبة في المال الذي يعطونه مقابل ذلك، وكان حرصهم في ذلك مثل حرص المشتري على شراء السلعة الراغب فيها، فسمى الله تعالى صنيعهم شراءً؛ ليصور لنا حرصهم على ترك الدين في مقابلة ثمن قليل.

﴿وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ۝﴾[1] فسخطي عظيم وبطشي شديد، فخصوني بالتقوى لتسلموا من سخطي وعذابي.

﴿وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ۝﴾ كان النبي ﷺ معروفاً عندهم بصفاته، فأرادوا أن يلبسوا على الناس ويغالطوهم، فضللوا أتباعهم أن هذا ليس هو النبي الذي في التوراة وليست هذه صفاته.

﴿وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ۝﴾[2] خطاباً لبني إسرائيل بأن يقيموا الصلاة مع النبي والمسلمين، وأن يتبعوا الشريعة الجديدة التي أتاهم بها، والتي من ركائزها إيتاء الزكاة وإقامة الصلاة.

﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ كان علماء بني إسرائيل يأمرون الناس بفعل البر والطاعات، دون أن يفعلوا ما أمروا الناس به، فاستنكر الله عليهم ذلك، وذمهم بهذا الصنيع.

---

(١) - **سؤال:** لماذا كسرت النون في «فاتقون»؟ إن كانت دلالة على حذف الياء فما موضع «إياي»؟ وما هي النون؟

الجواب: إياي مفعول به لفعل محذوف دل عليه ما بعده، والنون للوقاية، والياء المحذوفة مفعول به.

(٢) - **سؤال:** هل يصح أن يحمل قوله: ﴿وَٱرْكَعُوا مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ۝﴾ على الأمر لهم بالخضوع والتواضع؟ ومن أين أخذ أن هذا دليل على وجوب صلاة الجماعة؟

الجواب: يصح الحمل على ما ذكرتم من الخضوع والتواضع، ويكون المعنى على طريق الكناية أي: تواضعوا ودعوا الكبر، وادخلوا في دين المسلمين الذين تواضعوا لربهم وتذللوا له. أما دلالة الآية على وجوب صلاة الجماعة فيبعده أن الآية وردت في سياق آيات تدعوهم إلى الإيمان بالنبي ﷺ، وبما جاء به من عند الله، وتأمرهم بتقوى الله، وتحذرهم من معصيته، وتذكرهم بنعمه عليهم، وهم مصرون على التمرد والكفر والعصيان؛ لذلك يترجح حمل الركوع مع الراكعين على الخشوع والتواضع؛ ليتناسب المعنى مع السياق ومع الحال التي كان عليها اليهود. **هذا،** وللسياق والحال دور كبير في فهم المعاني المقصودة، ولا بد لمن طلب المعنى والتفسير من النظر إلى ذلك.

﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ وأنتم من أهل العلم بالتوراة وما فيها من ذم هذا الصنيع وكراهته.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴿٤٤﴾﴾ أي: أن من شأن العاقل أن لا يقدم على فعل ما ذكرنا مع علمه بقبحه، فأين عقولكم يا أهل التوراة؟ أما بقي لكم منها ما يزجركم ويردكم عن أعمال الجاهلين؟![1]

﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ وهذه عامة للناس جميعاً. كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا عرض له أمر لجأ إلى الصلاة؛ لأنها تخفف الهم وفيها فرج، فالصبر والصلاة هما العون على مجاوزة الشدائد، والخروج من المكاره، وبهما تستفتح أبواب الفرج

﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ الصلاة عمل شاق وثقيل ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴿٤٥﴾﴾ المتواضعين لله، وهم: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴿٤٦﴾﴾ وهم المؤمنون بيوم الحساب والجزاء والثواب والعقاب، فليست كبيرة عليهم، والمراد بيظنون: يتيقنون[2].

---

(١) — **سؤال:** قد يتعلل كثير ممن يترك الإرشاد بالخوف من مثل هذا؛ لأنه يعظ الناس ولا يرى نفسه كما يعظهم فما الحل؟

الجواب: المراد بالآية الذم لبني إسرائيل، وكانوا يأمرون الناس بالصلاة ولا يصلون، ويأمرونهم بالزكاة ولا يزكون، ونحو ذلك، أما المرشدون فليسوا كذلك فإنهم يعلمون الناس التوحيد وهم موحدون، ويعلمونهم الطهارة والصلاة وهم يتطهرون ويصلون، ويعلمونهم طاعة الله وهم حريصون على فعلها وإن اتهموا أنفسهم بالتقصير، ومن شأن المؤمن أن يتهم نفسه بالتقصير، وينهون الناس عن المنكرات وهم حريصون على الانتهاء عنها، وإن صدر عنهم زلة تابوا منها، وهذا شأن المؤمن؛ لذلك لا يكون المرشدون داخلين في ذم الآية.

(٢) — **سؤال:** إذا كان الظن بمعنى اليقين فلماذا عبر بـ«يظنون»؟ هذا من أكبر الإشكالات؟

الجواب: قد قالوا: إن الظن يطلق ويراد به العلم كما في هذه الآية، والدليل على أنه يراد به العلم المدح والثناء من الله على الذين يظنون وهذا إطلاق مجازي، وجواب آخر هو: أن العلم =

﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴿٤٧﴾﴾ تذكروا هذه النعم التي أنعمت بها عليكم لعلكم ترجعون إلى شكري وطاعتي، وتستحون من معصيتي والتمرد عليَّ عند تذكرها، فتذكروا إحساني إليكم وحسن صنيعي بكم(١).

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ اتقوا عذابي يوم القيامة حيث لا يقدر أحد على نفع أحد بأي نفع على الإطلاق.

﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ أي: لا يقبل منها فدية تفتدي بها، فخافوا هذا اليوم الذي ستلاقي فيه كل نفس جزاء أعمالها.

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ يعني: واذكروا حين نجيناكم، يعدد الله هنا النعم التي أنعم بها على بني إسرائيل، يذكرهم بها لأجل أن يؤمنوا بالنبي الذي جاءهم، يعاتبهم الله لعلهم أن يتراجعوا عن غيهم ويرجعوا إليه فيؤمنوا برسوله صلى الله عليه وآله وسلم ويستجيبوا لدعوته.

بيوم الحساب علم استدلالي نظري، وهو دون العلم الضروري والعلم الضروري بيوم الحساب لا يكاد يحصل إلا للأنبياء والمرسلين والخواص من عباد الله الصالحين كأمير المؤمنين عليه السلام الذي قال: (والله لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً)، فعلى هذا سمي العلم الاستدلالي ظناً تسمية حقيقية من حيث أن العلم الاستدلالي بيوم القيامة لا يصل عند عامة المؤمنين والمسلمين ١٠٠٪ [مائة في المائة]، وإذا لم يبلغ إلى هذه الدرجة فإنما هو ظن راجح.

(١) —**سؤال:** بماذا فضلهم على العالمين؟ وهل هو مستمر التفضيل فيمن آمن منهم؟

الجواب: فضلهم الله تعالى باختيارهم للنبوة والرسالة، وحمل العلم والحكمة والملك، وفلق البحر لهم، وحياطة الله لهم، وإسماعهم لكلام الله تعالى، وبالمن والسلوى، وتظليل الغمام، وحجر الماء، ونتق الجبل فوقهم، وكثرة الكرامات والألطاف، وقد انقطع تفضيلهم على العالمين بكفرهم واصطفاء الله غيرهم؛ ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴿٢٩﴾﴾ [الحديد].

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾(١) ينزلون بكم أشد العذاب، والعذاب هو: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ(٢) وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ كان آل فرعون يذبحون مواليد بني إسرائيل، فإذا كان المولود أنثى تركوها حية ثم يسخرونها في أعمالهم، وهذا هو معنى الاستحياء.

﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴿٤٩﴾﴾ وهذه نعمة كبيرة حين نجاكم من هذا البلاء، وقد كان بنو إسرائيل كلهم في مصر من عهد النبي يوسف عليه السلام، تناسلوا وتكاثروا فيها قرناً بعد قرن، وكانوا قلة قليلة ومستضعفين في أرض مصر، فكان آل فرعون يعذبونهم ويستعبدونهم، ثم أخيراً كان من ولد ذكراً منهم قتلوه، ثم نجاهم الله على يدي موسى عليه السلام.

ولا زال يذكرهم بنعمه فقال: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴿٥٠﴾﴾ معنى فرقنا: فصلنا وشققنا بسببكم البحر، أي: فتحه الله لهم ليمروا منه لينجوا من فرعون: ﴿فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴿٦٣﴾﴾ [الشعراء]، ثم بعد أن أنجاهم من البحر وتبعهم فرعون ومن معه أغرقهم الله أمام أعينهم وهم ينظرون؛ ليتشفوا برؤية عدوهم حين أخذهم عذاب الله بالغرق، وهذه من النعم العظيمة التي أولاها الله تعالى بني إسرائيل.

﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴿٥١﴾﴾ وعد الله موسى أربعين ليلة يذهب فيها ليكتب التوراة عند جبل الطور، ويأخذ معه من بني إسرائيل سبعين رجلاً، فذهبوا معه ليشهدوا أنهم سمعوا التوراة

---

(١) –**سؤال:** ما هو موضع جملة ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾؟

الجواب: في موضع نصب على الحال.

(٢) –**سؤال:** هل موضع ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ البدلية من ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾؟

الجواب: موضع «يذبحون أبناءكم» النصب على البدلية، أو على أنها عطف بيان.

حين أنزلت على موسى، وذلك لزيادة الحجة عليهم حين يكتبون التوراة بأيديهم في الألواح، ولِسَدِّ الطريق على المشككين في التوراة لئلا يكذبوها، فقام بنو إسرائيل خلال هذه الفترة التي غاب فيها موسى لكتابة التوراة باتخاذ العجل ليعبدوه، وقالوا: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى﴾ [طه:٨٨]، وكانوا ظالمين باتخاذهم العجل إلهاً.

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ۝٥٢﴾: عفا الله عنهم لأجل أن يشكروه؛ فكان العفو نعمة أنعم بها عليهم، ويريد الله تعالى من بني إسرائيل أن يشكروه عليها ويذعنوا بطاعتهم له ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ۝٥٣﴾ وهذه نعمة من الله أن آتاكم الكتاب: التوراة التي تفرق بين الحق والباطل، ويقال للقرآن فرقان؛ لأنه يفرق بين الحق والباطل فكان من المفروض عليكم يا بني إسرائيل أن تكون التوراة سبباً لسلوككم طريق الهدى ولكنكم قابلتم هذه النعمة العظيمة بالكفران لها والتهاون بها، والإعراض عنها وتركتموها وراء ظهوركم وسلكتم سبيل الضلال.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ۝٥٤﴾ فلما كتب موسى عليه السلام التوراة في تمام مدة أربعين يوماً عاد إلى قومه بني إسرائيل فوجدهم على غير ما تركهم عليه من الدين وجدهم قد تركوا عبادة الله واتخذوا لهم عجلاً يعبدونه، فغضب عليهم وأحرق العجل، وبين لهم خطأهم وضلالهم، ودعاهم إلى الرجوع إلى الله، وأرشدهم إلى التوبة التي كتبها الله عليهم وهي أن يقتلوا أنفسهم(١)، فتابوا وقبل الله توبتهم،

---

(١) – **سؤال:** هل المراد أن كل واحد منهم يقتل نفسه؟ أو يقتل بعضهم البعض كما روي في غريب القرآن للإمام زيد عليه السلام بطول تلك الرواية؟

الجواب: المراد كما روي عن الإمام زيد عليه السلام هو: أن يقتل بعضهم بعضاً.

=

وقبول توبتهم نعمة عظيمة مَنَّ الله عليهم بها فكان من المفروض أن يقابلوها بشكر الله وبطاعته لا بالكفر برسالته وآياته وبنبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً(١) فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ(٢)﴿٥٥﴾﴾ لم يكن السبعون الذين ذهبوا مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأرشد من قومهم الذين عبدوا العجل وكفروا بالله بل صنعوا كصنيعهم فإنهم لما وصلوا ميقات ربهم لكتابة التوراة كفروا بموسى وبدينه وبما جاءهم به من عند الله، وقالوا: لن نؤمن أبداً حتى تظهر لنا ربك فنراه عياناً، وتقع عليه أبصارنا جهرة، فإن لم تفعل أقمنا على الكفر بك وبرسالتك وبدينك، فراجعهم موسى، فأصروا على مطلبهم فغضب الله عليهم وأخذهم بصاعقة مثل صاعقة عاد وثمود لكفرهم وتمردهم وتعنتهم على الله تعالى وعلى نبيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

سؤال: هل كانت هذه توبتهم من كل كبيرة يفعلونها؟ أم من اتخاذ العجل فقط؟

الجواب: يظهر من سياق الآية أن هذه التوبة خاصة لأهل العجل.

(١) –**سؤال:** علام نصب قوله: «جهرة»؟

الجواب: نصب «جهرة» على أنه مفعول مطلق.

(٢) –**سؤال:** كيف يفسر أخذ الصاعقة لهم وهم ينظرون؟

الجواب: شاهد السبعون عذاب الله تعالى الذي نزل بهم؛ لما تعنتوا وطلبوا رؤية الله تعالى، وكان العذاب النازل بهم صاعقة صعقتهم وماتوا منها، وصعق معهم موسى إلا أنه لم يمت، ثم إن الله تعالى أحيا السبعين بعد موتهم، وقصوا قصتهم على بني إسرائيل وما شاهدوا من عذاب الله النازل بهم، وكان السبعون مختارين من قبائل بني إسرائيل، وكانت نعمة الله تعالى على السبعين عظيمة حين أحياهم بعدما أماتهم، والنعمة على الآباء والأسلاف نعمة على الأبناء والأخلاف، فخاطب الله تعالى بني إسرائيل الموجودين في عهد النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بناءً على أن النعمة على آبائهم نعمة عليهم.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴿٥٦﴾﴾ أحياهم الله بعدما أماتهم بالصاعقة، وهذه نعمة عظيمة من الله تعالى ينبغي أن يشكروه عليها لم يعطها أحداً قبلهم.

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ وذلك عندما حكم عليهم بأربعين سنة يتيهون في الأرض لا يهتدون طريقاً فلم يتركهم الله تعالى مع غضبه عليهم من نعمه العظيمة فأظلهم بالسحاب في مدة تيههم[(١)].

﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ وجعل الله لهم المن والسلوى طعاماً في التيه، **والمن**: هو شيء أبيض كالثلج وطعمه كالسكر، **والسلوى**: هو طائر أكبر من الحمامة.

﴿كُلُوا[(٢)] مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ذكَّرهم الله بالنعم التي أنعم بها عليهم، حين أذن لهم بالتنعم بما أنعم عليهم من النعم، ولم ينعم على أحد بمثل ما أنعم به عليهم.

﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴿٥٧﴾﴾ فأكلوا وتنعموا إلا أنهم لم يشكروا الله مولي النعم، بل أشروا وبطروا، وأعرضوا عن طاعة الله، واسترسلوا في معاصيه، وفي التمرد على خالقهم، والخروج عن أمره، فأذاقهم الله وبال أمرهم،

---

(١) ـ **سؤال:** من أين نأخذ هذا أنه في مدة التيه؟

الجواب: لما خرج موسى ببني إسرائيل من مصر ودخل بهم أرض الشام، أمرهم موسى عليه السلام بدخول الأرض المقدسة التي كتبها الله لهم، فتمردوا غاية التمرد، فعاقبهم الله تعالى بأن حرمها عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض، وفي مدة الأربعين السنة التي هي مدة التيه كان موسى وهارون عليهما السلام معهم في التيه لتبليغ رسالة الله إلى بني إسرائيل، فكان الله تعالى يظللهم بالغمام في التيه من حر الشمس، ويغذوهم بالمن والسلوى ويسقيهم من الحجر، ومات موسى وهارون عليهما السلام في مدة التيه.

(٢) ـ **سؤال:** هل المراد بالأكل الأكل من المن والسلوى أم ماذا؟

الجواب: المراد الأكل من المن والسلوى.

وأخذهم بذنوبهم بسبب كفرانهم لنعم الله، وتمردهم عن طاعته، فهم الذين تسببوا في نزول ما نزل بهم من بأس الله، وحلول ما حل بهم من نقمته، وذلك من الله عدل وليس بظلم، تعالى الله عنه.

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴿٥٨﴾﴾: ذكرهم الله بعنادهم يوم أمرهم بدخول القرية وهي من قرى الشام.

﴿ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ مدينة من مدن الشام، ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾[١] يعني: ادخلوها مستغفرين متواضعين طالبين أن يحط الله عنكم ذنوبكم ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ[٢] الْمُحْسِنِينَ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ[٣] الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ فعاندوا، وعصوا أمر الله، ولم يمتثلوا أمره عند دخولهم المدينة، وهذا الخطاب بعدما مات موسى وهارون، وكان ذلك في عهد يوشع عليه السلام[٤].

---

(١) –**سؤال:** ما إعراب «حطة»؟ وما تقدير المعنى بناء عليه؟

الجواب: «حطة» مرفوعة على أنها خبر مبتدأ محذوف، أي: مسألتنا ومطلبنا حط الذنوب والتوبة.

(٢) –**سؤال:** ما المقصود بالزيادة التي وعدهم الله تبارك وتعالى؟

الجواب: قد تكون الزيادة التمكين في الأرض والبركة في الأموال والأولاد والأعمار والسلامة من نكبات الزمان، وإنما قلنا ذلك لقول الله تعالى في قوم نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴿١٢﴾﴾ [نوح].

(٣) –**سؤال:** هل يصح حمل التبديل على أنهم غيروا لفظ «حطة» كما يقال؟

الجواب: ظاهر الآية أنهم جاءوا بقول آخر بدلاً عن القول الذي أمروا به استخفافاً بأمر الله وتمرداً عليه.

(٤) –**سؤال:** من أين نأخذ أنه في عهد يوشع عليه السلام؟

=

﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ۝٥٩﴾ أنزل الله عليهم عذاباً من السماء بسبب فسقهم وتمردهم على الله تعالى ومخالفتهم لأمره.

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ ذكر الله بني إسرائيل بنعمة عظيمة مما منَّ به عليهم وذلك عندما كانوا في التيه سأل الله موسى أن يسقي قومه، ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ[١] فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ وكانوا اثنتي عشرة قبيلة، فطلب لكل قبيلة عيناً ليشربوا منها، وذلك لئلا يتنازعوا فيما بينهم؛ لأنهم كانوا أهل عناد وتمرد؛ فلم يكفهم عين واحدة فقط!!

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ قد عرفت كل قبيلة عينها التي تشرب منها.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ۝٦٠﴾ أنعم الله عليهم بالمن والسلوى وعيون الماء المتفجرة من الحجر التي كانوا يستصحبونها[٢] معهم في تيههم، يأكلون ويشربون بغير تعب ولا عناء؛ فليشكروا الله على ما أولاهم من كريم رزقه، ولا يبدلوا الشكر بالفساد في الأرض، وهنا ذكر الله بني إسرائيل بنعمه لعلهم يرجعون إلى طاعته وطاعة رسوله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾[٣] ملُّوا ما هم فيه من رزق

الجواب: ذكر أهل التفاسير أن موسى وهارون عليهما السلام ماتا في زمن التيه، فلم يدخل بنو إسرائيل القرية التي أمروا بدخولها على عهد موسى عليه السلام إلا بعد موتهما، وذكروا أن يوشع عليه السلام هو الذي خلف موسى عليه السلام.

(١) –**سؤال:** كيف كان ضرب الحجر لاستخراج الماء؟

الجواب: كان ضرب الحجر لاستخراج الماء آية لموسى ومعجزة لرسالته ونعمة ظاهرة لبني إسرائيل أي: ليزداد بنو إسرائيل بصيرة في رسالة موسى عليه السلام ويقيناً في نبوته ولتقوى دواعيهم إلى الاندفاع إلى شكر الله وطاعته.

(٢) –**سؤال:** كيف كان استصحابهم لها؟

الجواب: كانوا يحملونها معهم في التيه للاستسقاء من ماء عيونها.

(٣) –**سؤال:** هل المراد بالطعام الواحد المن والسلوى؟

=

الله الذي كان يأتيهم من السماء، واحتقروه وازدروه؛ فطلبوا غيره.

﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ سئم بنو إسرائيل المن والسلوى وتاقت أنفسهم إلى ما كانوا يطعمونه مما تنبت الأرض من الخضار والحب فسألوا موسى أن يدعو الله لهم بما طلبوا.

﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾ فقال لهم موسى عليه السلام: أتستبدلون البقل والقثاء عن المن والسلوى، اذهبوا فانزلوا أي قرية من هذه القرى التي نمر من عندها في التيه فإنكم تجدون ما سألتم عنه، والمصر يراد به مدينة من المدن التي فيها أسواق.

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ(١) وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ أصبحوا قوماً مستذلين، ولم يحصل لهم دولة تعزهم وتمنعهم، وأصبحوا محكومين تحت دولة تذلهم، وسيطرت عليهم النصارى بعد ذلك، وبخت نصّر، وتبدلوا برحمة الله غضبه وسخطه جزاءً من الله على كفرانهم لنعم ربهم وتمردهم عن طاعته وكفرهم برسوله الخاتم.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾(٢): ذلك بسبب عصيانهم وعنادهم وتمردهم.

الجواب: هو المن والسلوى.

(١) –**سؤال:** ما المراد بالمسكنة التي ضربت عليهم؟

الجواب: المسكنة هي المدقعة، أي: الفقر المدقع، ويكون إما حقيقة، أو أنهم يتظاهرون بها خوفاً من مضاعفة الجزية.

سؤال: ما معنى: ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾؟

الجواب: أي أنهم صاروا أحقاء بغضب الله وبعضهم فسره بأنهم رجعوا بغضب من الله.

(٢) –**سؤال:** ما الفرق بين الإشارتين: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ و﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا﴾؟

الجواب: الإشارة الأولى إشارة إلى الذلة والمسكنة، والإشارة الثانية تكرار للإشارة الأولى.

كان اليهود يقولون: إنه لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً؛ فقال الله لهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴿٦٢﴾﴾ رداً من الله عليهم، والصابئون: اسم لكل من مال عن الحق وانحرف عنه إلى ديانة أخرى، فحكم الله تعالى أن ثوابه العظيم في جنات النعيم عام لمن تحقق بالإيمان بالله وباليوم الآخر وأطاع الله ورسوله ﷺ فيما أمر ونهى، وسواء أكان من أهل الإسلام أو من اليهود أو من النصارى أو من الصابئين أو من غيرهم من الأمم، وليس ثواب الجنة ونعيمها خاصاً لأمة دون أمة.

هذا، ومن لوازم الإيمان بالله تعالى الإيمان بملائكته وكتبه ورسله جميعاً فمن كفر بواحد من رسل الله عليهم السلام فليس بمؤمن بالله؛ لذلك فلا يكون ثواب الله في جنات النعيم إلا لمن آمن بخاتم المرسلين ﷺ دون من كفر به وبرسالته فلا حظ له في ثواب الجنة لكفره بخاتم الرسل وبما جاء به من آيات الله ووحيه.

ثم ذكَّر الله بني إسرائيل بنعمه عليهم فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴿٦٣﴾﴾ تهاون بنو إسرائيل بالعمل بشرائع الله التي في التوراة فرفع الله فوقهم جبل الطور، وقال لهم: اعملوا بجد واجتهاد بأحكام الكتاب، وكونوا في غاية القوة بالتمسك بذلك مع الاستقامة والصبر، فقبلوا وأعطوا ربهم العهد على ذلك، ثم ذكَّرهم الله العهد الذي أعطوه على ذلك لعلهم يذكرون فيتراجعون عن ضلالهم، ولا يكتمون ما أنزل الله عليهم في التوراة من الشهادة بنبوة محمد ﷺ.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ ثم رفضوا العمل بعد أخذ الميثاق عليهم، ونكثوا العهد.

﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴿٦٤﴾﴾ تركوا ما عاهدوا الله عليه فاستحقوا عذاب الله، إلا أن الله تعالى لم ينزل بهم ما يستحقونه من العذاب فضلاً منه عليهم، ورحمة بهم؛ فلعل ذلك يكون سبباً داعياً لهم إلى الحياء من

الله، والرجوع إلى شكره وطاعته.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴿٦٥﴾﴾ ذمهم الله حين علموا بمن اعتدى[(١)] منهم في السبت ولم يخبروا بهم الناس وأن الله قد مسخهم قردة، وفيها تهديد لهم، وإشارة أنهم إن لم يقلعوا عن عداوتهم لله ورسوله ﷺ فإنه سيحل بهم من العذاب مثل ما حل بأصحاب السبت.

﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴿٦٦﴾﴾ جعل الله مسخ أهل القرية إنذاراً وتحذيراً للمفسدين في ذلك العصر، ولمن يأتي بعدهم بأن سخط الله سيحل بهم كما حل بأهل السبت إن لم يتراجعوا عن إفسادهم وتمردهم على الله.

ولا زال الله تبارك وتعالى يذكر بني إسرائيل بنعمه عليهم فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ قتل رجل على عهد موسى عليه السلام ولم يعلموا من هو قاتله فأخبرهم موسى بأن الله يأمرهم بذبح بقرة.

﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ قال بنو إسرائيل: هل أنت جَادٌّ يا موسى حين تأمرنا بذبح بقرة، أم أنك تستهزئ بنا؟

﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴿٦٧﴾﴾[(٢)] لا أستهزئ بكم وإنما الأمر جد لأجل أن يعرف القاتل.

---

(١) – سيأتي تفصيل اعتدائهم في سورة الأعراف تفسير الآية (١٦٣).

(٢) – **سؤال:** ما السر في استعاذة موسى أن يكون من الجاهلين؟

الجواب: اعتقد بنو إسرائيل أن موسى يستهزئ بهم حين أمرهم بذبح بقرة فقالوا له: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ أي: إنك حقاً تستهزئ بنا، وكان ذلك لخبث نياتهم في موسى وسوء عقيدتهم فيه حيث اتهموه بذلك، وحطوه عن منزلته الرفيعة، ونسبوه إلى التلاعب والاستهزاء والسفه، فرد عليهم بالاستعاذة بالله من أن يكون على ما رموه به واعتقدوه فيه.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ تمرداً منهم[١].

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ ليست كبيرة ولا صغيرة، بل متوسطة، ومعنى الفارض: الكبيرة، ومعنى البكر؟ الصغيرة، ومعنى العوان: أي أنها بقرة متوسطة بين الكبر والصغر.

﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ۝٦٨﴾ اذهبوا واذبحوا هذه البقرة.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا﴾

ولو كانوا ذهبوا من أول الأمر وذبحوا بقرة لكانوا ممتثلين، ولكنهم لجوا في عنادهم وسؤالهم فشدد الله عليهم بهذه الأوصاف.

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ۝٦٩﴾ بقرة صفراء شديدة الصفرة تعجب من نظر إليها لحسن اصفرارها.

فلم يكفهم ذلك الوصف، بل ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾ فلا ندري أي بقرة تريد أن نذبحها، ﴿وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ۝٧٠﴾ فنعرف ما تريد.

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ[٢] وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ إنها بقرة صعبة لم تذلَّل بكثرة الحرث وسقي الزرع.

﴿مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا﴾ سالمة من العيوب لا يخالط لونها لون آخر، أي: ليست موشَّاة كما يوشى الثوب.

---

(١) —**سؤال:** هل سؤالهم عن أي الأنواع هي؟

الجواب: سألوه عن صفة البقرة وكيفيتها.

(٢) —**سؤال:** ما موقع جملة: ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ الإعرابي؟ وهل هي في حيز النفي؟

الجواب: ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ صفة لـ«ذلول»، وهي داخلة في معنى النفي، أي: أن البقرة المطلوبة من صفتها أنها لم تذلل بالحرث وسقي الزرع.

قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴿٧١﴾﴾ ولم يقاربوا أن يفعلوا ما أمروا به من ذبح البقرة؛ لتمردهم ولدادهم، وكثرة تعنتهم.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ[1] نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴿٧٢﴾﴾ كان قتل النفس التي لم يعلم قاتلها هو السبب فيما أمروا به من ذبح بقرة وقد كانوا يترامون فيما بينهم بتهمة القتل، ومعنى ادارأتم: كل منكم يدرأ عن نفسه تهمة القتل ويرمي بها غيره.

﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾[2] اضربوا الميت بقطعة من هذه البقرة، فضربوه بها فأحيا الله هذا الميت وأخبر بقاتله.

﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴿٧٣﴾﴾ أي: مثل إحيائه هذا الميت يحيي بقية الموتى، ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ﴾ يعني أن ذلك آية دالة على قدرة الله تعالى على بعث الناس للحساب والجزاء بعد موتهم من أجل أن يتعقلوا الإيمان بذلك البعث.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ بعد ما رأيتم آيات الله الدالة على قدرته على بعث الناس بعد الموت قست قلوبكم، ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ من الحجارة، ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ فتخرج من بينها العيون، ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ فبعضها يخرج منه الماء[3] وبعضها يتذلل لله، صور الله تعالى لنا قسوة قلوب اليهود

---

(١) –**سؤال:** ما هو موضع «إذ» في قوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ﴾ الإعرابي؟

الجواب: معطوف على نعمتي في قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ ونعمتي مفعول به.

(٢) –**سؤال:** هل عُلِم هذا البعض الذي أمروا أن يضربوه به؟

الجواب: قيل إنه لسانها، وقيل غير ذلك.

(٣) –**سؤال:** ما هو الفرق بين خروج المائين؟

الجواب: الخروج الأول خروج بتدفق وكثرة، والخروج الثاني ليس بكثرة ولا تدفق.

فذكر أنها زادت قسوة قلوبهم على قسوة الحجارة، وأن الحجارة على شدة قساوتها قد تتشقق فيخرج منها الماء وقد تخرج منها الينابيع والأنهار فينتفع الناس بما يخرج منها، ومن الجبال ما يهبط بعد طوله من خشية الله، أما قلوب اليهود فلا خير فيها على الإطلاق ولا تتأثر من خشية الله، لذلك فلا تتوقعوا إيمان اليهود ولا ترجوا منهم ذلك.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ قال الله للنبي ﷺ وللمسلمين: أفتطمعون أن يؤمن لكم هؤلاء اليهود ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٥﴾ كانوا يسمعون التوراة فيخبرون الناس بغير ما سمعوه، لذلك يستبعد من اليهود أن يؤمنوا بالقرآن وبالنبي ﷺ، فاقطعوا أيها المؤمنون رجاءكم من إيمان اليهود ولا تتوقعوه.

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾ مكراً منهم بالمسلمين، وخداعاً ونفاقاً.

﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٧٦﴾ وإذا اجتمعوا بعضهم مع بعض وخلوا عن غيرهم يستنكر بعضهم على بعض أن يخبروا المسلمين بصفات النبي الواردة في التوراة لئلا يحتج المسلمون يوم القيامة بما سمعوه من اليهود من الاعتراف بما جاء في التوراة.

وما زال القرآن يتكلم عن اليهود؛ لأن النبي ﷺ عانى منهم معاناة شديدة، ووقفوا في وجه الإسلام، وكادوا النبي والمسلمين، وحاولوا طمس الدين بكل ممكن، وكانوا أهل قوة وأهل عدة وعدد وثروة، وكانوا أثرى أهل جزيرة العرب، ولاقى النبي والمسلمون منهم أذى شديداً، وناصروا المشركين عليهم؛ وهم أهل دهاء وحيل ومكر وسياسات، وكانوا أشد من العرب في هذا المجال، وكانوا يمكرون بالإسلام من داخله؛ إذ كانوا يدخلون بين المسلمين نفاقاً وخداعاً وكيداً كما حكى الله عنهم ذلك في هذه الآية السابقة.

ثم قال الله تعالىٰ: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٧٧﴾ فالله عالم بصفات النبي التي عندهم وأنهم إنما كتموها، وسيجازيهم علىٰ ما أسروا وأعلنوا.

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾[1] ومن اليهود من لا يقرأ ولا يكتب وليس لهم علم بأحكام التوراة، وقد تراكمت علىٰ قلوبهم الجهالات والضلال، ويظنون أن ما هم عليه من الجهل والضلال المتراكم هو من الهدىٰ والنور الذي أنزله الله تعالىٰ في التوراة وليس كذلك وإنما يظنون ويتوهمون فهؤلاء أيضاً لا يطمع في إيمانهم لما هم فيه من الجهالات والضلال البعيد ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝٧٨﴾ فليسوا من أهل العلم بالكتاب (التوراة).

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ توعد الله علماء بني إسرائيل عندما كانوا يحرفون الكتاب، ويبدلون الشريعة التي جاءتهم، ثم يقولون هذا كلام الله.

وذلك أنه كان لا يعلم الكتاب إلا دَرَسَة الكتاب، وهم أناس معدودون، والبقية جاهلون؛ فيخبرونهم بما أرادوا ويقولون هذا من عند الله، والناس يصدقونهم.

﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ كانوا يأخذون علىٰ تحريف الكتاب رشوة ويغيرون أحكام التوراة بثمن قليل يأخذونه من كبار اليهود.

﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ۝٧٩﴾ فتوعدهم الله بالعذاب العظيم وأعده لهم عقاباً علىٰ ما كتبوه، وعلىٰ ما أخذوه من السحت علىٰ تحريف التوراة.

---

(١) –**سؤال:** ما المقصود بقوله: ﴿إِلَّا أَمَانِيَّ﴾؟

الجواب: أي لا معرفة لهم بالتوراة إلا أمانيَّ يمنون أنفسهم بها في أن الله تعالىٰ سيغفر لهم ذنوبهم، وأن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم، وما تمنيهم درستهم من أن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودات، ونحو ذلك.

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ ادعت اليهود زوراً وكذباً على الله أن الله لن يعذب عصاتهم في جهنم إلا أياماً معدودة ثم يخرجون منها إلى الجنة.

﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ قال الله للنبي ﷺ قل لهم: هل معكم عهد من الله أنه لن يعذبكم إلا أياماً معدودة؟ فإذا كان معكم عهد من الله ﴿فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ فهو موف بما عهد إليكم.

﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ أم تكذبون على الله زوراً وبهتاناً وتتقولون عليه ما لا علم لكم به.

ثم قال الله: ﴿بَلَى﴾[1] ليس على قولكم يا معشر اليهود ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ يعني لم يتب منها ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ كل من كسب سيئة ولم يتب منها إلى أن مات فهو من أصحاب النار كائناً من كان، فلا تغرنكم الأماني والأكاذيب، سواء كان من اليهود أم من غيرهم[2].

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ يعني: ومن تحقق بحقائق الإيمان واستقام على الأعمال الصالحة، فهو من أصحاب الجنة المستحقين للخلود فيها سواء كان من اليهود أم من غيرهم؛ وليست الجنة خاصة باليهود كما يدعون زوراً وبهتاناً.

---

(١) —**سؤال:** ما معنى «بلى» في قوله: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾؟

الجواب: معنى «بلى» الرد والتكذيب لما قاله اليهود فيما حكاه الله من قولهم: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ أي ليس الأمر كما قلتم وادعيتم، وإنه على خلاف ما قلتم وادعيتم.

(٢) —**سؤال:** هل السيئة عامة، مع أنها نكرة في سياق الإثبات، أم المراد بها الكبيرة؟

الجواب: السيئة مطلقة هنا، ويراد بها الكبيرة الموجبة للنار؛ للإجماع على أن الصغائر مكفرة بالطاعات، وإن اختلفوا في ماهية الصغائر.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ[١] لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا[٢] وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ واذكروا حين أخذ الله ميثاق بني إسرائيل على عهد موسى على ما تضمنته الآية وذلك: أن يخلصوا العبادة لله وحده ولا يشركوا معه غيره، وأن يقصد كل واحد منهم ويتعمد الإحسان إلى أمه وأبيه وإلى ذوي قرابته وإلى الأيتام وإلى المساكين، وأن يخاطبوا غيرهم من الأمم بالقول الحسن الذي تنجذب إليه النفوس ولا تنفر عنه، وأن يحافظوا على إقامة الصلاة وإخراج الزكاة، أخذ الله ميثاقهم على هذه الخصال فأبوا وعاندوا فقال: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ فلم توفوا بالعهد، وكانت اليهود أجفى البشر وأغلظهم، أهل قسوة وكبر وغلظة وشدة.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾ إلا قليلاً منهم وفوا بما عاهدوا الله عليه وأغلبهم أعرضوا عن العهد وعن الميثاق الذي أخذه الله عليهم.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾[٣] لا يقتل بعضكم بعضاً، وهؤلاء هم بنو إسرائيل الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة، وقد كان محرماً عليهم في التوراة أن يقتل بعضهم بعضاً.

﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ لا يخرج بعضكم بعضاً من دياركم فلا تتقاتلوا ولا يخرج بعضكم بعضاً من ديارهم.

---

(١) –**سؤال:** ما المقصود بالميثاق في الآية؟ وهل قوله: «لا تعبدون إلا الله» خبر في معنى الأمر؟

الجواب: الميثاق: هو اليمين التي أخذها الله تعالى على بني إسرائيل على أن لا يعبدوا إلا الله، وإلى آخر ما ذكر، وعلى هذا فـ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ خبر لفظاً ومعنى.

(٢) –**سؤال:** بم تعلق قوله: «بالوالدين»؟

الجواب: تعلق بمحذوف تقديره: وأن تحسنوا.

(٣) –**سؤال:** ما موضع جملة ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾؟

الجواب: لا محل لها من الإعراب؛ لأنها جواب الميثاق الذي دل على القسم.

﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴿٨٤﴾﴾ اعترفتم وقلتم: هو صحيح أن الله قد أخذ علينا هذه المواثيق وشهدوا بذلك.

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ تتقاتلون فيما بينكم؛ لأن اليهود الذين في المدينة كانت فرقة منهم قد تحالفت مع الخزرج وأخرى مع الأوس، وكانت الأوس والخزرج تقتتل فيما بينها، وكان كل فريق منهم يقاتل مع حليفه.

﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾[1] وعندما تأسرونهم تفادونهم وتأخذون الأسرى بعدما قتلتموهم وأخرجتموهم فإذا أخذت الأوس أسرى من اليهود قامت اليهود ودفعت الفدية وتركتهم وشأنهم.

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ أمرهم الله في التوراة أن إذا أسر أحد منهم أن يدفعوا عنه الفدية فقد امتثلوا هذا الأمر، وأما إخراجهم وقتل بعضهم لبعض فلم يمتثلوا فقتل بعضهم بعضاً وأخرجوهم من بيوتهم، وهذا استنكار من الله تعالى عليهم حين فعلوا البعض وتركوا البعض.

﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴿٨٥﴾﴾ فهم لذلك

---

(١) —**سؤال:** ما معنى: «تظاهرون عليهم»؟

الجواب: معنى «تظاهرون عليهم»: تتعاونون أيها اليهود أنتم وحلفاؤكم على قتال فريق من إخوانكم اليهود.

سؤال: من أين نأخذ أن ما فعلوه من المفاداة مأمور بها في التوراة؟

الجواب: نأخذ ذلك من قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ وقد حكى الله تعالى عن اليهود أنهم فعلوا بإخوانهم اليهود أمرين اثنين: أحدهما: قتالهم، والثاني: مفاداة الأسرى، وقد فعلوا ما أمروا به في مفاداة الأسرى، فاستنكر الله عليهم حين عملوا ببعض، وتركوا العمل ببعض.

يستحقون الخزي في الدنيا والعذاب الشديد في نار جهنم، وسيجازيهم ربهم بكل صغيرة وكبيرة من أعمالهم الخبيثة فقد أحاط بكل شيء علماً، ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا[(١)] الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ آثروا الحياة الدنيا على الآخرة قصدوا ذلك وتعمدوه تهاوناً منهم بأمر الله واستخفافاً بدينه[(٢)].

﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ۝٨٦﴾ بسبب أعمالهم لا يخفف الله عنهم عذاب جهنم ولا يجدون هنالك من يدفع عنهم عذاب الله وذلك لاستحكام غضب الله عليهم وعظيم سخطه عليهم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَقَفَّيْنَا[(٣)] مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ أتى على أثره رسل كثيرة إلى بني إسرائيل، ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ وهو آخر أنبياء بني إسرائيل، ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ جبريل عليه السلام.

﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ۝٨٧﴾[(٤)] خاطب الله بني إسرائيل: كلما جاءكم رسول كذبتم به أو

---

(١) —**سؤال:** ما الوجه في التعبير بالاشتراء عن المؤاثرة؟

الجواب: الاشتراء هنا هو استعارة، ولا يخفى أن المجاز أبلغ من الحقيقة؛ لذلك فالتعبير بالاشتراء هنا عن المؤاثرة والاستبدال ليدل على أن رغبتهم في الحياة الدنيا ومتاعها وزينتها أرجح وأقوى من رغبتهم في ثواب الآخرة.

(٢) —**سؤال:** هل ما فعلوه يعود عليهم بمنافع دنيوية حتى تصدق عليهم مؤاثرة الدنيا؟

الجواب: كانت اليهود أقليات فتحالفت اليهود لذلك مع الأوس والخزرج، والمنافع الدنيوية التي قصدها اليهود وآثروها هي القوة والمنفعة بالبقاء على الحلف، فتركوا أمر الله لذلك.

(٣) —**سؤال:** ما معنى «قفينا»؟

الجواب: معنى «قفينا» أتبعناه بالرسل.

(٤) —**سؤال:** ما معنى الفاء في «ففريقاً»؟ وعلام نصب «فريقاً»؟ وما الحكم في تقديمه على عامله؟

الجواب: للسببية والتعقيب بلا مهلة فنتج عن استكبارهم تكذيب الأنبياء وقتلهم، وقدم «فريقاً» على عامله ليدل على أن اليهود خصوا فريقاً بالقتل، وفريقاً بالتكذيب.

قتلتموه، وفعلاً فرسل الله لا تأتي إلا بما لا تهوى الأنفس – استكباراً منهم وتمرداً على الله وعلى رسله.

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ قالوا لنبيهم: قلوبنا مغطاة فلا نعقل ما تقول.

﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴿٨٨﴾﴾ أي: ليست قلوبهم غلفاً، بل لعنهم الله بكفرهم، وتكبرهم، وتمردهم، وإيثارهم للحياة الدنيا وشهوات أنفسهم على الآخرة، وعدم إرادتهم للحق، وحبهم للرياسة والسلطة والتكبر ﴿فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴿٨﴾﴾ فلن يؤمنوا مع ما هم عليه من الميل إلى شهوات الدنيا والتكبر فيها(١).

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ ذكر الله حالتهم كيف كان فعلهم بأنبيائهم وتكذيبهم واستكبارهم، ولما جاءهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالقرآن المصدق للتوراة ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كانت اليهود الذين في المدينة يقولون لمن حولهم: سيبعث في هذا الزمان نبي وسننصره ونقتلكم ونسيطر عليكم، وسيكون لنا دولة، فلما جاءهم كفروا به وكذبوه.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾ جاءهم النبي الذي عرفوا حقاً أنه هو النبي المذكور في التوراة وأن أوصافه مطابقة للأوصاف التي فيها ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ فلم يؤمنوا به، ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴿٨٩﴾﴾.

---

(١) –**سؤال:** هل لَعْن الله لهم سبب في خذلانهم حتى لا ينتفعوا بهدي الأنبياء؟

الجواب: الكفر والتمرد هو السبب في الخذلان، فبه استحقوا اللعن والخذلان.

سؤال: ما إعراب «قليلاً ما يؤمنون» جميعها؟

الجواب: قليلاً: هو في الأصل صفة لمصدر محذوف تقديره: إيماناً قليلاً، والعامل فيه «يؤمنون»، و«ما» صلة لتأكيد القلة.

﴿بِئْسَمَا[١] اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا[٢] بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ عندما رفضوا الإيمان واستبدلوا به الكفر وقالوا: لماذا بعث الله نبياً ليس منهم؟ وذلك بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده!! اعتراضاً منهم على الله، وحسداً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿فَبَاءُوا[٣] بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ اجتمع غضب على غضب من الله عليهم؛ لأنهم كفروا بما أنزل الله على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فغضب الله عليهم، واعترضوا على الله تعالى حين اختار محمداً صلى الله عليه وآله وسلم للرسالة، فغضب الله عليهم؛ فاجتمع عليهم غضب بعد غضب.

﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝٩٠﴾ بسبب كفرهم استحقوا من الله العذاب المهين في الدنيا والآخرة.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ بالقرآن وبالنبي، ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ

---

(١) –**سؤال:** ما موضع «ما» الداخلة على «بئس»؟

الجواب: موضع «ما» المتصلة بـ«بئس» النصب على التمييز للفاعل المستتر، أي: بئس الشيء شيئاً.

(٢) – **سؤال:** ما إعراب المصدر المؤول من «أن يكفروا»؟ وما إعراب «بغياً»؟ وكيف يكون المعنى تبعاً لهذه الإعرابات؟ وما موضع ﴿أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ﴾ الإعرابي؟

الجواب: المصدر المؤول من «أن يكفروا» هو مبتدأ ومحله الرفع وهو المخصوص بالذم، والجملة قبله في موضع رفع خبره، وبغياً: مفعول من أجله، وأن ينزل الله: مجرور بلام العلة المحذوف. والمعنى على هذا: أن الله تعالى ذم صنيع اليهود، وهو كفرهم بما أنزله الله تعالى على محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والذي بعثهم على ذلك هو البغي والعداوة للحق، والاعتراض على الله والاستنكار لاختيار الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم للنبوة.

(٣) –**سؤال:** ما معنى «باءوا» بالنظر إلى أصل معناه؟

الجواب: في الصحاح: قال الأخفش: «باءوا بغضب من الله» رجعوا به. وفي بعض التفاسير: «باءوا» أي استحقوا.

عَلَيْنَا﴾ من التوراة ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ بما أنزل على محمد ﷺ ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ أي: القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ وذلك التوراة.

﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ۝٩١﴾ إذا كنتم تبحثون عن الحق فلماذا تقتلون[١] أنبياء الله من قبل؟ يعني أسلافكم، وصفهم الله بأنهم أهل تمرد لا يريدون الإيمان من زمن موسى عليه السلام.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ۝٩٢﴾ فلم يغب عنكم إلا أربعين ليلة فعبدتم العجل وأنتم ظالمون في عبادته وترك عبادة الخالق سبحانه وتعالى.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ سمعوا ما أمرهم الله به، ولكنهم لم يعملوا، ولم يمتثلوا، بل عصوا وتمردوا فكأن استماعهم كلا استماع لَمَّا لم يسمعوا السمع الذي ينفعهم وأول الآية قد مر تفسيرها.

﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ دخل في قلوبهم حب عبادة العجل[٢]، وتمكن فيها غاية التمكن، وذلك سبب كفرهم وعنادهم.

﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ۝٩٣﴾ كانت اليهود تقول إن الله تعالى أمرنا في التوراة أن لا نؤمن برسول يأتينا بعد موسى، وأن علينا أن نتمسك بالتوراة دائماً، قالوا ذلك كذباً وزوراً، وبئس ما قالوا، وتعالى الله عن أن يقول ذلك، بل أمرهم الله في التوراة أن يؤمنوا بالنبي الأمي وأن يتبعوه، قال تعالى:

---

(١) –**سؤال:** هل يعرف أحد من الأنبياء قتلته اليهود؟ فمن هو؟

الجواب: قتلت اليهود زكرياء ويحيى بن زكرياء عليهما السلام وادعت أنها قتلت عيسى عليه السلام.

(٢) –**سؤال:** هل تقصدون أن قوله «العجل» على حذف مضاف تقديره «حب»؟

الجواب: نعم على حذف مضاف.

﴿النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الأعراف:١٥٧].

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴿٩٤﴾﴾ قل لهم يا محمد: إن كانت الدار الآخرة خالصة لكم دون غيركم من الأمم، وأنكم وحدكم ستدخلون الجنة- فتمنوا الموت إن كنتم صادقين في هذه المقالة.

﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بما عملوا من الأعمال السيئة، ولو تمنوه لماتوا، وهذا الخطاب لليهود الذين في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴿٩٥﴾﴾ عالم بهم وبأعمالهم السيئة التي قدموها.

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ لا يحرص أحد مثل حرصهم في البقاء على الدنيا.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾(١) فهم أشد حرصاً من المشركين على البقاء في الحياة الدنيا ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾(٢) يتمنى، ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾(٣) ولن ينفعه ويخلصه من العذاب أن يعمر هذا التعمير.

---

(١) -**سؤال:** لماذا أعاد الله قوله: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ ألم يكونوا من جملة الناس؟

الجواب: عطفوا على الناس وإن كانوا من جملتهم لتميزهم بزيادة الحرص على الحياة، فكأنهم لذلك غير الناس، ويسمى عطف الخاص على العام، ولا بد فيه من أن يكون للمعطوف زيادة وفضل في الصفة التي اشتركوا فيها.

(٢) -**سؤال:** ما موضع جملة: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ الإعرابي؟

الجواب: الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً ليس لها محل من الإعراب، وهي واقعة في جواب سؤال مقدر.

(٣) -**سؤال:** وما موضع: ﴿أَنْ يُعَمَّرَ﴾ الإعرابي؟

الجواب: موضعه الرفع على الفاعلية لمزحزحه، و«هو» ضمير يعود لأحدهم.

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ٩٦﴾ عالم بأعمالهم كلها صغيرها وكبيرها وسيلقون جزاء ما عملوه.

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ[١] عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ عادت اليهود جبريل، فقالت إنه الذي نزل النبوة على محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وإنما نزله على محمد صلى الله عليه وآله وسلم بإذن الله وبأمره وليس من تلقاء نفسه، فلماذا يعادون جبريل وليس إلا مأموراً بتبليغ الرسالة إليه؟

﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتاب من التوراة والإنجيل، أي: أن القرآن مصدق لما تقدمه من الكتب ﴿وَهُدًى﴾ يهتدي بأنواره المؤمنون، ﴿وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ٩٧﴾ وفيه البشرى للمؤمنين بالثواب والنعيم في الدنيا والآخرة، وحينئذ فليس فيما جاء به جبريل عليه السلام من الرسالة ما يدعو اليهود إلى عداوته وإنما جاء بما يدعم أحكام التوراة ويشهد بصدقها.

﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ٩٨﴾[٢] جازى الله تعالى اليهود على عداوتهم لجبريل ومحمد عليهما السلام ولغيرهما من الملائكة والرسل صلوات الله عليهم بأن عاداهم، وعداوة الله لهم هي أن الله تعالى سيجازيهم بعذابه في سعير جهنم.

---

(١) – **سؤال:** ما وجه الجواب عن «مَنْ» بقوله: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ فالمناسب أن يقول: فهو يستحق ويستحق..إلخ؟

الجواب: الوجه أن المعنى: فإنه عدو لله؛ لأن جبريل عليه السلام لم ينزل القرآن على قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تلقاء نفسه، وإنما أنزله بأمر الله، فإذا عادى اليهود جبريل لذلك فقد عادوا الله تعالى، وحينئذ ففيما ذكر أنه من جواب الشرط زيادة فائدة، وهي الدليل على عداوتهم لله، والوجه الذي يستحقون به سخط الله وعذابه.

(٢) – **سؤال:** ما فائدة عطف الخاص جبريل وميكال، على العام «ملائكته»؟

الجواب: فائدة ذلك هي التنويه بفضل جبريل وميكال، وارتفاع منزلتهما على سائر الملائكة.

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات، فيها الحجج ظاهرة وواضحة، لا شك فيها ولا ريب، ولا مدخل لذلك فيها.

﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ۝٩٩﴾ فلا تطلب غير ذلك من الآيات يا محمد، وتقول: لو جاءني آية واضحة أوضح من هذه لآمنوا، فالحجة فيه ظاهرة لا يكفر بها إلا من تمرد وأبى قبول الحق.

﴿أَوَكُلَّمَا[1] عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ[2] مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠٠﴾ عادة اليهود نقض المواثيق والعهود وهم أهل نقض وغدر وخيانة، فحكى الله عنهم في هذه الآية أنهم كلما عاهدوا عهداً نقضه طائفة منهم.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يعني النبي محمداً ﷺ ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ للتوراة، ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٠١﴾ نبذوا كتابهم الذي ذكرت فيه صفات النبي ﷺ، وتركوه وراء ظهورهم، ولم يعملوا به، وأنكروا أن يكون النبي الذي ذكره الله في كتابهم، وأنه ليس النبي الذي سيبعث في آخر الزمان، وهم إلى الآن ما زالوا منتظرين للنبي الموعود به في التوراة، والواقع أنه قد جاء فكذبوا به بعد علمهم بأنه النبي المذكور في التوراة الذي وعدوا به في آخر الزمان[3].

وهم أهل كفر وأهل تمرد على طول التاريخ من عهد موسى، كفروا به ولا زال بين أظهرهم، وهو الذي أنقذهم من مصر وأخرجهم من ظلم فرعون، ورأوا الآيات البينات رأي العين: فَلَقَ البحر، ونَزَّلَ عليهم المن والسلوى، ورفع فوقهم

---

(١) —**سؤال:** ما فائدة الاستفهام: «أوكلما»؟

الجواب: الفائدة هي الاستنكار والتقبيح لنبذهم للعهود والمواثيق باستمرار.

(٢) —**سؤال:** لماذا لا ينبذه إلا فريق منهم؟

الجواب: لأن الحل والعقد يكون لكبار القوم، وهم الذين ينقضون العهد، أما البقية فهم تبع.

(٣) —**سؤال:** ما هي الفائدة للتعبير بقوله: «فريق»؟

الجواب: الفائدة هي ما ذكرنا من أن النبذ يكون من كبار اليهود، أما سائرهم فهم تبع.

الطور، وقد كفروا به وأقدامهم لم تجف بعدُ، حين خرجوا من البحر قالوا لموسى: اجعل لنا إلهاً كما لأولئك آلهة.

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ هم اليهود نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ولم يؤمنوا بالرسل، ولا بالقرآن، وكفروا بأنبيائهم، واتبعوا بدلاً عن ذلك ما تتلوا الشياطين من السحر الذي كانت تتلوه[١] الشياطين في عهد سليمان، وأخذت اليهود به بدل الأخذ بكتب الله وآياته.

والمراد بـ﴿عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ على عهد سليمان وفي عصره.

وكانت اليهود تقول: إن نبي الله سليمان الذي علمهم السحر فقال الله: ﴿وَمَا كَفَرَ[٢] سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾[٣] وليس سليمان الذي علمهم السحر وحاشاه، فلم يأتهم إلا بالهدى ودين الحق، ولكن الشياطين هم الذين علموا اليهود السحر.

﴿وَمَا[٤] أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ﴾ لم ينزل الله السحر على الملكين هاروت وماروت ولكنهما تعلماه[٥].

---

(١) –**سؤال:** لماذا سمّى الله ذلك تلاوة؟

الجواب: لأنهم كانوا يقرأونه بناءً على أنه من عند الله ومما أنزله الله تعالى، ولذلك قال الله بعدها: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ أي: وليس السحر من عند سليمان.

(٢) –**سؤال:** هل يؤخذ من هذا أن تعلم السحر كفر؟

الجواب: نعم يؤخذ من هذه الآية أن تعليم الناس السحر كفر ويلزم منه أن تعلمه كفر.

(٣) –**سؤال:** ما موضع جملة: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾؟

الجواب: الجملة حالية أو خبر ثانٍ.

(٤) –**سؤال:** ظاهر كلامكم أن «ما» نافية لا موصولة؟

الجواب: نعم قد ذكرنا ذلك، فما نافية وليست موصولة.

(٥) –**سؤال:** من أين ظهر لنا أنهما تعلَّماه؟

الجواب: ظهر من أن الوحي لا يكون إلا للأنبياء.

﴿هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ وهما مَلِكان من ملوك الدنيا؛ بدليل أنه قرئ بكسر اللام[(١)].

﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ كان هذان الملكان لا يعلمان أحداً السحر حتى يحذراه من فتنة السحر والركون إليه، ويقولا: إنما نحن فتنة للناس، وموضع اختبار لهم، وإن التصديق والعمل بالسحر كفر فاحذروا[(٢)].

﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾ اليهود كانوا يتعلمون من الملكين ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فتأثيره متوقف على إرادة الله تعالى؛ فإذا أراد الله حفظ المرء فلن يضره السحر[(٣)].

---

(١) –**سؤال:** لو قيل بأن الإنزال لأجل الفتنة والاختبار فهل يصح القول بإنزال السحر عليهما عملاً بظاهر الآية؛ خصوصاً إذا قلنا بأنهما من ملوك الدنيا؟

الجواب: لا مانع من القول بأن الله تعالى أنزل السحر بمعنى خلق علم السحر في الأرض مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد:٢٥]، وسهل الطريق إلى تعلمه، فتعلمه هاروت وماروت وحذرا كل من يتعلمه عندهما من استعماله، وأنه فتنة يختبر الله بها عباده.

(٢) –**سؤال:** ما السر في وعظ الملكين مع أنهما يتعاطيانه؟

الجواب: كان الملكان عالمين بالسحر، ولم يكونا يعملان به في محذور.

سؤال: يشكل على كثير من الناس هذه المقولة أن التصديق بالسحر كفر فهل المراد التصديق بتأثيره أم ماذا؟

الجواب: المراد تصديق الساحر فيما يدعيه من القدرة على الإحياء والإماته والتفريق بين الزوجين و..إلخ فتصديقه كفر.

(٣) –**سؤال:** هل في هذه الآية إثبات تأثيره تحت إرادة الله، فما معنى: التصديق به كفر؟

الجواب: السحر سبب مؤثر، وفي الآية دليل على تأثيره، وكذا في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴿٤﴾﴾ [الفلق]، والسبب من الساحر، والأثر من فعل الله، ولا كفر بتصديق تأثير السحر، فإن تأثيره معلوم بنص القرآن، وإنما الكفر في تصديق الساحر في قدرته على ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى.

﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ كان اليهود يتعلمون السحر، وهو من العلوم التي تضر ولا تنفع، ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ وقد عرفوا أن الذي يتعلم السحر ويأخذ به أنه ليس له في الآخرة حظ ولا نصيب، وأنه في سخط الله، ومن أهل نار جهنم ورغم ذلك كله تعلموه.

﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴿١٠٢﴾﴾[(١)] خسروا أنفسهم بتعلم السحر فكسبوا سخط الله، وحرموا ثوابه.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ ولو أن اليهود عدلوا إلى الإيمان بالله وحافظوا على تقوى الله بدلاً من تعلم السحر والعمل به لكان أولى وأفضل ولأحرزوا الثواب العظيم من الله ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴿١٠٣﴾﴾.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴿١٠٤﴾﴾ كان اليهود يقولون للنبي حين يقرأ القرآن هذه الكلمة «راعنا»، ومعناها الظاهر: تأنَّ بنا لكي نسمع ونعرف ما تقول، وهي في الباطن سبة يسبون بها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهذا من خبثهم، فأرشد الله المؤمنين إلى أن يتجنبوا هذه الكلمة في مخاطبة نبيهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأن يقولوا بدلاً عنها: أنظرنا[(٢)]، أي: تأنَّ بنا، ﴿وَقُولُوا انْظُرْنَا﴾ يعني انتظرنا وتأن بنا بدلاً عن تلك الكلمة اليهودية،

---

(١) — **سؤال:** ما إعراب «لو» في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴿١٠٢﴾﴾؟

الجواب: «لو» للتنديم، وقد تكون على ظاهرها، وجوابها محذوف.

(٢) — **سؤال:** هل المستعمل لها اليهود أم المسلمون ولكن غنم ذلك اليهود من أجل السبّ لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فنادوه بها؟

الجواب: بنيت في التفسير على ما جاء في سورة النساء: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾ [النساء:٤٦]، فنهى الله المؤمنين هنا أن يقولوا ذلك مثل اليهود الذين توعدهم الله في هذه الآية بالعذاب الأليم. وقد يكون الأمر كما ذكر في السؤال، وهو أن المسلمين كانوا يقولونها فقالها اليهود بعدما سمعوها من المسلمين.

﴿وَاسْمَعُوا﴾ افهموا وامتثلوا، ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴿١٠٤﴾﴾ لليهود بسبب شتمهم وسبابهم هذا الذي كانوا يشتمون به النبي صلى الله عليه وآله وسلم[١] عذاب أليم.

﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني ما يتمنى ولا يرضى أهل الكتاب ولا المشركون أن ينزل على المسلمين الوحي والنبوة؛ حسداً منهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ يعني النبوة يعطيها من يشاء، لا دخل لليهود ولا للمشركين في فضل الله ورحمته.

اعترض المشركون على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم حسداً منهم لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولبني هاشم على ما أولاهم الله من الشرف الرفيع الذي لا يمكنهم الوصول إليه، واليهود اعترضوا وقالوا: لماذا كانت في العرب؟ هذا ما لا يكون، ونحن أولى بها منهم، فقال الله: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴿١٠٥﴾﴾، وليس لليهود ولا للمشركين أن يتحكموا على الله ويعترضوا عليه حين اختص محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوة والرسالة.

﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ جعل الله لكل نبي آية تدل على صدقه وعلى نبوته، وكأن المسلمين أحبوا وتطلعوا إلى أن يأتي الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم بمعجزة مثل معجزة موسى أو عيسى أو صالح، فقال الله: إنه قد نسخ تلك الآيات، وأتى بخير منها أو مثلها، والمراد بـ «ننسها»: نؤخرها ونأتي بآية أفضل[٢] منها، فأتاهم الله بآية تدل على صدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى عرفوا وتيقنوا أنه نبي من عند الله، وذلك القرآن الكريم.

---

(١) —**سؤال:** يقال: بأن التحريم هنا سد لذرائع الفساد؟

الجواب: يحتمل الأمرين جميعاً: سد ذرائع الفساد، وكونها مفسدة في نفسها؛ لأنها تستعمل في معنيين، أحدهما حسن والآخر قبيح.

(٢) —**سؤال:** ما المراد بالأفضلية هنا؟

الجواب: المراد أنها أقوى في الدلالة على صدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أو أن تكون أبقى، كالقرآن فإن حجته قائمة في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعده إلى يوم القيامة.

واليهود قد آتاهم الله آيات تدل على صدقه غير القرآن، وذلك في التوراة، حتى عرفوا أنه نبي من عند الله كما يعرفون أبناءهم، والمشركون عرفوا أن القرآن حق وصدق من عند الله من خلال فصاحته وبلاغته، وأنه ليس تحت مقدور البشر أن يأتوا بمثله، فلم يكن هناك حاجة تدعو إلى أن يأتي الله بآية أخرى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم(١).

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ۝١٠٦﴾ يأتي بآية مكان آية على حسب ما يقتضيه علمه وحكمته، وعلى حسب ما تستدعيه المصلحة وهو العالم بما يصلح من الآيات لكل أمة ولكل زمان.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ۝١٠٧ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ ألم تعلم أن الله هو المسيطر على ملك السماوات والأرض يتصرف في ملكه كيف يشاء، ويحكم ما يريد، ليس لأحد أن يقترح عليه ولا يعترض، بل عليهم أن يسمعوا ويطيعوا، ويرضوا بقضاء الله وحكمه وبخيرته، وليعلموا أنهم إن لم يستجيبوا لربهم

---

(١) -**سؤال:** ما هي المرجحات لنظركم الثاقب هذا في هذه الآية؟ وهل يصح حملها على نسخ الأحكام الشرعية أم لا؟

الجواب وبالله التوفيق: أن الآية وردت في سياق ذكر نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، واختصاص الله تعالى له بالنبوة، واقتراح المقترحين من المسلمين على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتي بآيات غير القرآن: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ [البقرة:١٠٨]، هذه هي أول قرينة على التفسير الذي فسرنا به الآية. والقرينة الثانية: قوله تعالى في آخر الآية: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ۝١٠٦﴾ لا يعجزه الإتيان بما اقترحتم، وقوله تعالى في أول الآية التي بعدها: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فلا يتعسر عليه شيء، فكل هذه القرائن ترجح ما ذكرنا من التفسير. وأيضاً فلو كان المقصود النسخ المعروف لكان الأنسب أن تختم الآية بنحو: «والله عليم حكيم» «يعلم الجهر وما يخفى».

وبعد، فيصح الاستدلال بها على النسخ المعروف؛ لعمومها للآيات التي بمعنى المعجزات، وللآيات القرآنية المتضمنة للأحكام الشرعية.

فيما يريد فإنهم سيتعرضون لسخطه، ويحل عليهم غضبه، ولن يجدوا لهم منه مهرباً، ولا ناصراً يمنع عنهم ويحميهم.

ثم استنكر الله على المسلمين أن يصدر منهم من الاقتراح على نبيهم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مثل ما صدر من بني إسرائيل من الاقتراح على نبيهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حين قالوا له: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء:١٥٣]، هناك ناس من المسلمين بدأوا في التعنت فطلبوا من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يأتيهم بآيات أخرى مثل آيات موسى وعيسى وصالح، فاستنكر الله عليهم طلبهم واقتراحاتهم على نبيهم، وأنه لا يسعهم إلا السمع والطاعة لنبيهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وحذرهم تعالى من أنهم إن لم يتركوا التعنت على نبيهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فإنهم سيقعون في الكفر والضلال ويستوجبون غضب الله وسخطه، ﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝١٠٨﴾[1].

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ يتمنى أهل الكتاب ويحرصون على أن يضلوا المسلمين عن دينهم، ويخرجوهم منه؛ حسداً منهم للمسلمين على ما آتاهم الله من شرف النبوة والإسلام من بعد ما عرفوا وتحققوا أن دينهم هو الدين الحق الذي بشر به موسى وعيسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ لا تؤاخذوا أهل الكتاب، ولا تقاتلوهم إلى أن يأذن الله لكم بمقاتلتهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٠٩﴾ فهو قادر على أن يمكن لنبيه في الأرض ويقوي سلطانه ويشد أركانه حتى يقهر بسيفه أهل الباطل ويجتث باطلهم من أصوله.

---

(١) – **سؤال:** ذكر بعض أئمتنا أن قوله «الكفر» فيه إشارة إلى طلب الرؤية؟ أم أنه إشارة إلى التعنت والعناد للأنبياء في نظركم؟

الجواب: التعنت والعناد للأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هو كفر، ومن ذلك طلب الرؤية.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ﴾ فلا تقربوهم، ولا تقاتلوهم، واعكفوا على الصلاة والزكاة والعبادة حتى يأذن الله لكم بالجهاد.

﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أيُّ طاعةٍ قدمتموها تجدوا ثوابها عند الله ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧﴾ [الزلزلة].

﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١١٠﴾ فلا يضيع عنده شيء، ولا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وستلقون جزاء ذلك فلا تتهاونوا بصغير طاعة ولا صغير معصية فإن الله تعالى يحصي من أعمالكم كل صغير وكبير.

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا اليهود، والنصارى قالت: لن يدخل الجنة إلا النصارى.

﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ يعني أكاذيبهم وافتراءاتهم من عند أنفسهم بلا دليل، ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝١١١﴾ إن كنتم صادقين فيما تدعون فهاتوا البرهان والدليل.

﴿بَلَى﴾ ليس الأمر على ما تقولون أيها اليهود والنصارى ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ(١) فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١١٢﴾(٢) كل

---

(١) – **سؤال:** هل المراد بالإحسان إجادة العمل، أم عبادة الله كأنك تراه، أم الإحسان إلى الآخرين، فقد كثر وروده في الآيات؟

الجواب: المراد بالإحسان: عبادة الله وطاعته قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧...﴾ إلى آخر الآيات من سورة الذاريات، وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤﴾ [آل عمران]، فسمى الله تعالى أهل تلك الصفات محسنين.

(٢) – **سؤال:** في عصرنا وجد من استدل بنحو هذه الآية على نجاة حتى اليهود والنصارى إذا كانوا مستسلمين لله حسب زعمهم، فكيف يرد عليهم؟

الجواب: إن الذي يكفر بخاتم الرسل ﷺ وبما أنزل الله عليه غير منقاد لله، ولا أسلم وجهه

=

أحد من بني آدم انقاد لله واستسلم وهو يعمل الصالحات ويحسنها يدخله الله الجنة ولا يلحقه العذاب ولا الخوف، والناس عنده سواء، لا فضل لأحد على أحد عند الله تعالى إلا بالإيمان والعمل الصالح، فمن كان من أهل الإيمان والعمل الصالح فقد فاز برضوان الله وثوابه، والأمن من عذابه.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ فاليهود تضلل النصارى، والنصارى تضلل اليهود.

﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ فاليهود تتلو التوراة، والنصارى تتلو الإنجيل والتوراة، ولو أنهم اتبعوا ما دلهم الله عليه وأمرهم به في التوراة والإنجيل لما اختلفوا ولدخلوا في دين الإسلام(١).

﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ والمشركون يقولون مثل هذا القول فيضللون اليهود والنصارى والمسلمين، ويقولون: نحن الذين على الدين الحق على ملة إبراهيم، ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ وسيتولى الله تعالى الحكم بينهم يوم القيامة، وحكمه أن يجازي كلاً بعمله، فيدخل أهل الباطل في جهنم، ويدخل أهل الحق في دار رحمته.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ هؤلاء هم المشركون، فلا أحد أظلم منهم؛ لأنهم منعوا من بيت الله الحرام: من الحج،

إليه، فلم يدخل اليهود والنصارى وأهل الملل الأخرى في عموم الآية؛ لكفرهم برسالة الله وآياته، وبشرائعه وأحكامه التي ختم بها شرائع السماء.

(١) – **سؤال:** قد يؤخذ من هنا أن تضليل المحقين من أهل الإسلام للمبطلين قبيح، فكيف يوجه الرد عليه؟

الجواب: ذم الله تعالى اليهود والنصارى بمجموع أمرين اثنين: الأول: حين ضلل بعضهم بعضاً، والثاني: أنهم ضلوا جميعاً عن الحق الذي أنزله الله تعالى في التوراة وهم يقرؤونها جميعاً ويتلونها جميعاً، ولم يعملوا به، وليس كذلك تضليل المحق للمبطل؛ لأن المحق لم يترك الحق.

ومن الطواف به، ومن ذكر الله فيه فكيف يدعون أنهم على الهدى دون غيرهم وهم أظلم الأمم بسبب إشراكهم بالله وعبادتهم للأصنام في البلد الحرام، ويمنعون من ذكر الله وتوحيده في المسجد الحرام ومنعوا من أن يعمر بعبادة الله وحده.

﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ يعني: من عمارتها بذكر الله ومن القيام فيها[(١)].

﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ قال الله: ما كان ينبغي للمشركين أن يمنعوا مساجد الله، وكان يفترض أن يشردهم الناس ويطردوهم، وأن لا يدخلوا المسجد الحرام إلا على خوف[(٢)].

ذلك ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ فقد أخزاهم الله في الدنيا وقهرهم على يد رسول الله ﷺ، ودخل الإسلام بين أوساطهم، وحكم عليهم بالعذاب في الآخرة.

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ[(٣)] إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ هذه الآية نزلت كما قيل في ليلة مظلمة كان فيها سحاب، وكانوا في سفر، ولم يهتد الناس في هذه الليلة إلى القبلة؛ فكل فريق صلى إلى جهة فانكشف من الصباح أنهم كانوا إلى غير القبلة فسألوا النبي ﷺ فنزلت هذه الآية:

---

(١) – **سؤال:** هل تصدق على من منع الذكر في مساجد أهل الإسلام؟

الجواب: يدخل في عموم الآية من منع من ذكر الله في المساجد، وسعى في خرابها.

(٢) – **سؤال:** إذا صدقت على المانعين من الذكر ولو كانوا من أهل الإسلام، فهل يؤخذ من آخرها لزوم طردهم ومنعهم؟

الجواب: يؤخذ من الآية وجوب طردهم.

سؤال: التعبير بمثل هذا «ما كان» أو «ينبغي أن يفعل كذا» هل يفيد الوجوب واللزوم؟ أو ماذا يفيد؟

الجواب: قد يفيد ذلك الوجوب بقرائن كهذه الآية حيث قال تعالى في آخرها: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ وفي أولها: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾.

(٣) – **سؤال:** ما معنى ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾؟

الجواب: المعنى: فثم طاعة الله، أي: فقد أصبتم طاعة الله وامتثلتم أمره.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ لا يضيق ولا يشدد على أحد، فإذا أدى المرء جهده فقد أدى ما عليه ولو أخطأ؛ فإذا تحرى المرء فصلى على ظنه كفاه ولو انكشف أنه ليس إلى القبلة فالله يتقبل صلاته، لكن إذا علم والوقت باق أعاد الصلاة، فأما بعد خروج الوقت فلا إعادة؛ إذ لم يأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه بالإعادة حين انكشف خطأ المصلين بعدما أصبحوا[1].

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ هؤلاء هم النصارى، ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزه وتقدس أن يكون له ولد، ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ لا ولد له، كل ما في السماوات والأرض ملك[2] له، وهم منقادون لأمره، وخاضعون له.

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أبدعها وأنشأها على غير مثال، ابتدأها من العدم.

﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ إذا أراد الله شيئاً حصل من غير واسطة شيء، فخلق عيسى عليه السلام من غير أب كما خلق آدم عليه السلام من غير أب وأم، فهو على كل شيء قدير.

و﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾: ضَرْبُ مَثَلٍ لنا بما نفهم[3]، وإلا فهو غير محتاج إلى قول:

---

(١) – **سؤال:** هل يؤخذ من الآية أن الخطأ في الاجتهاديات معفو عنه؟

الجواب: يؤخذ من هنا أن الخطأ بعد التقصي والتحري معفو عنه.

سؤال: من أين أخذ وجوب الإعادة للصلاة إذا انكشف الخطأ والوقت باق؟

الجواب: إذا كان الوقت باقياً فما زال مخاطباً بتأدية الواجب كما ينبغي، ولم يخرج من عهدة الخطاب بفعل الفاسد.

(٢) – **سؤال:** ما المنافاة بين الولد وملكه لما في السماوات والأرض؟

الجواب: الولد جزء من أبيه وبعض منه، وله من العزة والكرامة ما للأب، وذلك يتنافى مع صفات العبد المملوك فالعبد لا يشارك مالكه في عزته وكرامته.

(٣) – **سؤال:** وهل يلزم محذور لو كان يقول هذا القول حقيقة؟

الجواب: نعم، فمخاطبة المعدوم عبث يتنزه الله تعالى عنه.

(كن)، إذا أراد شيئاً خلقه من غير واسطة.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ المشركون ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا ءَايَةٌ﴾ طلب المشركون من النبي ﷺ حين دعاهم للإيمان والدخول في الإسلام أن يكلمهم الله ويشهد بصحة نبوة محمد ﷺ وأنه هو الذي أرسله ويأمرهم بتصديقه وإذا لم يستطع محمد ﷺ على ذلك الطلب فيأتيهم بآية تشهد بصحة نبوته وصدق دعوته، قالوا ذلك تعنتاً منهم بعد معرفة الحق، وتحقُّقِ صدق النبي ﷺ، ووضوح حجته التي بهرت عقولهم، وقهرت شكوكهم؛ فلم يبق عندهم ريب ولا شك في صحة القرآن وصدق نبي الإسلام ﷺ إلا أنهم استكبروا وطلبوا ذلك الطلب.

﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ وكذلك كان أهل الكفر من قبل يتعنتون على أنبيائهم.

﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أهل الكفر قلوبهم متشابهة، وأعمالهم متشابهة، ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ١١٨﴾ فالآيات الدالة على صدق النبي واضحة وبينة، لكن لمن يوقن، ولم يتعنت، ولم يكابر.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ أرسلناك يا محمد بالدين الحق تبشر المؤمنين بالثواب وتنذر الكافرين بالعقاب. ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ١١٩﴾ فما عليك إلا التبليغُ فقط، ولن نسألك لماذا كفروا حتى ولو لم يؤمن لك أحد؛ فما عليك إلا أداء الرسالة وقد كان الرسول ﷺ حريصاً على أن يدخلوا في الإيمان وهم يأبون؛ فقال الله: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ١١٩﴾ ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى:٤٨].

﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ كان النبي ﷺ حريصاً على أن يهدي الناس جميعاً لأجل أن يدخلوا الجنة فأخبر الله نبيه أن اليهود والنصارى لن يستجيبوا لدعوتك ولن يدخلوا في دينك، فاقطع يا محمد طمعك من اليهود والنصارى فلن يدخلوا في الإسلام أبداً.

﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ فلا هدى إلا هدى الله الذي جاء به رسول الله في القرآن، أما اليهود والنصارى فليسوا على شيء من الهدى.

﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ إن تتبع يا محمد الذي في أيديهم من التوراة والإنجيل -وسماه الله أهواء لما فيه من التحريف والتبديل فلا تظنن يا محمد أنهم على شيء من الهدى- ﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝١٢٠﴾ تحذير للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، والمراد تحذير أتباعه من تصديق أهل الكتابين فيما يتلونه على المسلمين من التوراة والإنجيل؛ فإن لهم فيما أتى به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الوحي كفاية كافية، أما أهواء أهل الكتابين فلا تلتفتوا إليها ولا تغتروا بها ولا تصدقوها، ومن اتبع شيئاً من أهوائهم فقد أرصد الله له العذاب العظيم.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بعض أهل الكتاب الذين يتلونه حق تلاوته ولم يحرفوه أولئك يؤمنون بالقرآن، وبما جئت به، ويصدقونك، ولكنهم قلة قليلة(١).

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝١٢١﴾ من يكفر بالقرآن وبالحق الذي في التوراة، فله من الله عذاب الخزي في الدنيا ونار جهنم في الآخرة وما أكبرها خسارة.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝١٢٢﴾ يذكرهم الله بنعمه عليهم لعلهم يتراجعون من تعنتهم في كفرهم،

---

(١) - **سؤال:** ما الوجه في قصر العموم الظاهر من «الذين» على بعض أهل الكتاب؟ وما معنى: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾؟

الجواب: «الذين» عام للذين يتلون الكتاب ولم يحرفوه، إلا أنهم قليل بالنسبة للمحرفين من أهل الكتاب. ومعنى: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ أنهم يتلونه كما أنزله الله لم يحرفوه ولم يغيروه، فأهل هذه الصفة يؤمنون بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبالقرآن.

سؤال: هل يمكن أن يكون الكتاب هو القرآن؟

الجواب: السياق يدل على أنه كتاب أهل الكتاب.

ويؤمنون بالنبي، ويتركون التكبر على الله وعلى رسوله ﷺ؛ فإن الإنسان إذا ذكر إحسان المحسن إليه لان قلبه على المحسن ومال إليه، واستولى عليه الحياء منه والرقة له، وعلى هذا جبلت القلوب البشرية، إلا أن قلوب بني إسرائيل لم تتأثر بما ذكَّرها الله به من عظيم إحسانه إليهم وسوابغ[1] نعمائه عليهم، وكانت قلوبهم أشد قساوة من الحديد.

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾ يذكرهم بيوم القيامة وأنه سوف يعذبهم فيه على عصيانهم وتمردهم، ﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ فلن ينفع أحد أحداً، ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ فدية ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ فلا أحد ينقذهم من العذاب بشفاعته، ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴿١٢٣﴾﴾ فلن يدفع أحد عنهم عذاب الله وسخطه.

﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ يذكِّر الله نبيه والمسلمين حين اختبر إبراهيم بتكاليف؛ فأتمها إبراهيم على ما أمره الله، وقام بها أحسن قيام[2].

---

(١) – **سؤال:** ما هي النعمة التي أنعم بها عليهم؟ أم أن المراد بها عموم النعم إذ هو اسم جنس مضاف؟

الجواب: المراد بها عموم النعم التي أنعمها عليهم.

سؤال: بما فضلهم الله على العالمين؟

الجواب: فضلهم الله تعالى بآيات عظيمة اختصهم بها دون العالمين، ففلق لهم البحر، وظلل عليهم الغمام، وأنزل لهم المن والسلوى، وإلى آخر ما ذكر الله تعالى في هذه السورة.

(٢) – **سؤال:** ما هي التكاليف التي اختبر بها إبراهيم؟

الجواب: بلغ رسالة ربه إلى أبيه وقومه، وحاجج المشركين وأقام عليهم حجة الله، وكسر الأصنام، وصبر على أذى قومه غاية الصبر، ولم يضعف عزمه، ولم تنهر قواه، وأسكن ابنه إسماعيل وأمه بواد غير ذي زرع وتركهم فيه، ثم أمر في يوم النحر بأن يذهب بابنه إسماعيل إلى المنحر، وأن يضجعه هناك، وأن يستعد لأمر الله فيه، فنفذ أمر الله.

﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[(١)] يعني: قدوة يتبعونك ويهتدون بهداك،

---

(١) —**سؤال:** قد تستدل الإمامية بهذه الآية على فضل الإمامة على النبوة، فكيف يرد عليهم؟

الجواب: كلمة «إمام» تستعمل للمتبوع وتطلق عليه سواء كان في هدى أو ضلال قال الله تعالى: **﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾** [التوبة:١٢]، وقال سبحانه: **﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾** [القصص:٤١]، وذكر الله تعالى من صفات عباد الرحمن أنهم يقولون: **﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا۝٧٤﴾** [الفرقان]، أي: واجعلنا صالحين مهتدين يقتدي بنا في صلاحنا وهدانا المتقون، ويسمى المتقدم الذي يصلي بالناس إماماً، وفي الحديث: ((ليؤم أحدكما صاحبه)) أو كما قال. وقال الله تعالى في بني إسرائيل: **﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ۝٢٣ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ۝٢٤﴾** [السجدة]، فسمى الله تعالى أنبياء بني إسرائيل الذين جاءوا من بعد موسى أئمة. وقال تعالى في بني إسرائيل عموماً: **﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ۝٥﴾** [القصص].

لما تقدم نقول:

- لو كانت الإمامة فوق منزلة النبوة لما طلبها عباده المؤمنون في دعائهم؛ إذ لا ينبغي للمؤمن أن يطلب من الله منزلة فوق منزلة النبوة.
- ولما جعل الله تعالى بني إسرائيل عموماً أئمة، والمفروض أن أنبياء بني إسرائيل الذين جاءوا من بعد موسى دونه في الفضل، وقد سماهم الله تعالى أئمة، ولم يسم الله تعالى موسى إماماً ولا هارون، بل جعل الله تعالى الأنبياء الصالحين من ذرية إبراهيم عليه السلام أئمة في قوله تعالى: **﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ۝١٢٤﴾** [البقرة]، فالآية تفيد أن الله استجاب دعوة إبراهيم إلا الظالمين من ذريته عليه السلام فقد أخرجهم الله من دعوة إبراهيم.
- ولو كان لاسم الإمام ميزة على اسم النبي والرسول لما سمى به أئمة الضلال وأئمة الصلاة.

سؤال: إذا قلنا: إن معنى «إماماً» قدوة، فهل يناسب أن معنى «عهدي» الإمامة العظمى؟

الجواب: القدوة المقصودة فيما فسرنا هي الإمامة العظمى في حق إبراهيم عليه السلام، وعليه فيفسر عهدي بالإمامة العظمى، وللسياق دور في بيان المعاني المقصودة كما هنا، والله أعلم.

﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ قال إبراهيم: أريد أن يكون في ذريتي أئمة يقتدي الناس بهديهم، ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ فلا نصيب لمن يعصيني في الإمامة، وليست إلا للصالحين، وكان في ذريته ﷺ صالحون كإسماعيل وإسحاق ويعقوب و...، وآخرهم محمد ﷺ، ﴿فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد].

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ﴾ يُذَكِّرُ الله الناس بنعمه عليهم، ومن نعم الله على الناس أنه جعل البيت مثابة للناس يرجعون(١) إليه ويجتمعون عنده لعبادته ولمنافع يكتسبونها عنده دينية ودنيوية.

﴿وَأَمْنًا﴾(٢) وجعله الله آمناً من عهد إبراهيم إلى اليوم حتى عند المشركين من دخله كان آمناً من القتل والأذى، وجعله مكان أمن للوحوش والطير فلا ينفر فيه طير ولا وحش إلا الخمس الفواسق.

﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ أمر الله بالصلاة حيث قام إبراهيم عليه السلام، ومقامه عليه السلام عند الكعبة.

﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا(٣) بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ أمر الله تعالى إبراهيم وإسماعيل صلى الله عليهما بأن يطهرا المسجد الحرام لأجل الطائفين والعاكفين فيه والمصلين من نجاسات الشرك ومن الأصنام ومن التعري فيه ومن الدماء، والأبوال والأزبال، وأن لا يدخله حائض ولا جنب ولا قذر ولا أنجاس: قذرُ الجاهلية وقذرُ الأوساخ.

---

(١) —**سؤال:** هل معنى «مثابة» مرجعاً؟ وممَ أخذت؟

الجواب: في الكشاف: مثابة للناس ومرجعاً للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون إليه..إلخ. وأخذت من ثاب يثوب، ومنه الثواب؛ لأنه يرجع إلى صاحبه.

(٢) —**سؤال:** هل «أمْناً» اسم مكان أو مصدر أم ماذا؟

الجواب: هو مصدر حل محل ظرف المكان، والأصل: مكان أمنٍ.

(٣) —**سؤال:** ما محل: ﴿أَنْ طَهِّرَا﴾ الإعرابي؟

الجواب: «أن» مفسرة وليس لها محل من الإعراب.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾(١) كان إبراهيم أول من أسس البيت من بعد نوح بعد الغرق حيث لم يبق له أثر بعد الطوفان فهدى الله إبراهيم عليه السلام لمكان البيت وبناه، ودعا إبراهيم ربه بأن يجعله آمناً يأمن فيه الخائف والوحش والطير، ودعا عليه السلام لسكان المسجد الحرام بسعة الرزق وخص بدعائه المؤمنين بالله واليوم الآخر فقال: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ(٢) مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ﴾ من ذريتك فسنرزقهم ﴿فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا﴾ أعطيه في الدنيا رزقاً يتمتع فيه، ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝١٢٦﴾ ثم نخرجه من الدنيا كرهاً ونجره إلى عذاب جهنم ليذوق وبال كفره(٣).

يُذَكِّرُ الله المسلمين والعرب بهذه النعمة التي أنعم بها عليهم حين جعل لهم الحرم المحرم والبيت (الكعبة)، وجعله بلداً آمناً، وأنه شرف كبير لهم؛ فالمفروض أن الله إذا دعاهم أن يسمعوا له وينقادوا، لا أن يتمردوا ويكفروا برسل ربهم إلا أن العكس هو الذي حصل من الكثير منهم فما شكروا نعمة ربهم ولا استجابوا لأمره وكفروا برسوله صلى الله عليه وآله وسلم وحاربوه وعاندوا وتكبروا.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝١٢٧ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝١٢٨ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ

(١) – **سؤال:** هل المراد بالبلد ما حواه الحرم المحرم بحدوده؟

الجواب: البلد هو الحرم المحرم.

(٢) – **سؤال:** هل هذا بدل من «أهله»؟

الجواب: هو بدل أو عطف بيان.

(٣) – **سؤال:** هل يؤخذ من جواب الله على إبراهيم فيمن كفر جواز الدعاء للكافر بخير الدنيا من الرزق والعافية ونحوها؟

الجواب: نعم يؤخذ منها جواز الدعاء للكافر بخير الدنيا.

يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴿١٢٩﴾﴾ يذكر الله تعالى قريشاً وغيرهم من المسلمين والكافرين بأن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام هما اللذان بنيا البيت الحرام (الكعبة المشرفة) ذلك البناء الذي به شرفت قريش وذاع صيتها وعظم قدرها، ويذكرهم أيضاً بأنهما صلى الله عليهما كانا يدينان بدين الإسلام، يعظمان الله وحده، ويتوجهان إليه وحده بدعائهما لا يشركان به غيره ولا يدعوان معه أحداً، وأنهما رغبا إليه بالدعاء أن يتقبل منهما جهدهما في بناء وإشادة البيت الحرام وكان هذا الدعاء منهما حال بنائهما لهذا البيت، ورغبا إليه أيضاً بالدعاء أن يجعل من ذريتهما أمة مسلمة تعبد الله وحده ولا تشرك به أحداً ودعوا ربهما أن يعلمهما معالم الدين وفرائضه فلم يأتيا بشيء من الدين من تلقاء أنفسهما[1].

وأنهما كانا يطلبان من الله التوبة والمغفرة والرحمة لعلمهما بعظمة الله وجلاله وما يستحق من العبادة والتعظيم، وأن أحداً وإن بلغ أعلى منازل البشر محتاج إلى طلب التوبة والاعتذار عند الله من التقصير والتفريط في حق الله عز وجل.

وذكرهم الله تعالى بما كان عليه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام من الرغبة في صلاح ذريتهما التي ستأتي فدعوا الله تعالى ورغبا إليه في أن يبعث فيهم رسولاً منهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويطهرهم من أقذار الجهل والشرك[2].

---

(١) –**سؤال:** هل يصح قصر المناسك على معالم الحج والعمرة؟ أم أنها تعم معالم الدين وفرائضه؟

الجواب: الأولى أن تفسر المناسك بمعالم الدين وفرائضه، وتدخل معالم الحج والعمرة.

(٢) –**سؤال:** ما هي الحكمة المقصودة في دعائهما؟

الجواب: الذي يظهر لي –والله أعلم– أن الحكمة في حكاية الله تعالى لدعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام هي التذكير لقريش أولاً وإيقاظهم من غفلتهم بذكر أبويهم إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وذكر بنائهما للبيت الحرام الذي أكسب قريشاً الشرف الشريف والفخر المنيف على قبائل العرب، وبذكر ما كانا عليه من الدين، وبذكر تواضعهما لله تعالى، وسؤالهما له أن يجعلهما مسلمين له، وأن يجعل من ذريتهما أمة مسلمة لله لا تشرك معه غيره، وأن الله تعالى هو الذي يشرع لعباده =

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ۝ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ۝ وَوَصَّى بِهَا(١) إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ۝﴾(٢) ثم أخبرهم الله تعالى بعد ذلك أنه اختاره من بين الناس بعلمه واصطفاه لحمل رسالته ودينه وجعله إماماً يقتدي به الناس ويهتدون بهديه ونوه بذكره في الدنيا وشهر فضله بين أمم الأرض ورفع منزلته بين الناس مع ما أعد له في الآخرة من الرفعة والأجر العظيم؛ لذلك لا يعدل أحد عن ملة إبراهيم عليه السلام إلى غيرها من الملل إلا ذوو النفوس الحقيرة الذين عدمت الكرامة في نفوسهم فلا تدعوهم نفوسهم إلى الرقي في مدارج الكرامة ولا يطمعون في معالي الأمور.

وإنما كان إبراهيم عليه السلام بتلك المنزلة عند الله والكرامة لديه لأنه انقاد لله واستجاب له حين دعاه إلى الإسلام واستقام عليه وحرص على التمسك به وأوصى بنيه بالتمسك بدين الإسلام والاعتصام بتوحيد الله وعبادته وحده لا يشركون معه غيره.

وكان نبي الله يعقوب عليه السلام كجده إبراهيم عليه السلام متمسكاً بالإسلام وتوحيد الله

الشرائع ويعلمهم الدين، وبذكر دعائهما ومسألتهما لله تعالى بأن يبعث في ذريتهما نبياً يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، فإن من شأن هذا التذكير والتنبيه أن ينبه قريشاً من غفلتها ويردها عن غيها.

(١) –**سؤال:** إلام يعود الضمير في «بها» في قوله: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾؟

الجواب: يعود الضمير إلى ملة إبراهيم في قوله: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ۝ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ۝﴾ وهي ملة الإسلام.

(٢) –**سؤال:** ما موضع: ﴿يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ...﴾ الآية الإعرابي؟

الجواب: موضعها النصب على أنها مقول لقول محذوف.

وعبادته وحده وحث أولاده على التمسك بدين الإسلام وأوصاهم بالاعتصام به لأنه الدين الحق الذي اختاره الله لهم ورضي أن يتعبدوه به، وأوصاهم أن لا يموتوا إلا وهم على دين الإسلام ولا يلقوا ربهم يوم القيامة إلا بدين الإسلام.

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾(١) فلم تكونوا حاضرين يا معشر اليهود عند احتضار يعقوب على فراش الموت وهو يوصي أولاده حتى تدعون أنه أوصى بالتمسك بما أنتم عليه من الديانة.

﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ(٢) مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا(٣) وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ فلم يوص يعقوب بنيه

---

(١) – **سؤال:** ما معنى «أم» في الآية؟

الجواب: محتملة للاتصال والانقطاع، فإذا كان الخطاب للمسلمين فهي منقطعة، وإن كان الخطاب لليهود فهي متصلة، هكذا أفاد الكشاف.

(٢) – **سؤال:** ما السر في جعل يعقوب وصيته لأولاده على جهة السؤال: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾؟

الجواب: السر في ذلك هو ليعلم يعقوب عليه السلام وليطمئن قلبه أن الإسلام ودين التوحيد قد استقر في صدور أولاده، فإنه سيطمئن إذا أجاب كل واحد من أولاده بما ذكر من الجواب في الآية، بخلاف ما لو أوصاهم بذلك يعقوب عليه السلام، فإنه لا يعلم ولا يطمئن قلبه أن وصيته قد استقرت في صدر كل واحد من أبنائه.

(٣) – **سؤال:** ما إعراب «إلهاً»؟ وما السر في تكريره؟

الجواب: يعرب «إلهاً» على البدلية من «إلهك» فيكون منصوباً. والسر في تكرير «إلهاً» في قوله تعالى: ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ هو شدة الاهتمام بالإله تعالى، والتركيز على إلهيته وحده، وإظهار التعلق بمحبته وعبادته، وأنهم سيتمسكون بعبادة إله يعقوب وإله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، لا يحيدون عن دين يعقوب وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق، الذي هو إله واحد لا شريك له، ولا معبود سواه.

=

إلا بتوحيد الله وعبادته وحده وبالاستسلام لأمره وبدين الإسلام الذي كان عليه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق عليهم السلام.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ في عهد إبراهيم وفي عهد يعقوب، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾[(١)] لا يسألنا الله عن أعمالهم،

سؤال: هل يؤخذ من الآية أن العم من آباء الإنسان حيث عد إسماعيل من آبائه؟

الجواب: يؤخذ من الآية أن العم يسمى أباً لشدة قرابتهما، ولكن ليس له أحكام الأب.

(١) – **سؤال:** قد يستدل بهذه الآية على أن الأولى عدم الخوض في الجرح والذم للأوائل كالقاسطين والمارقين؛ لأننا غير مسؤولين عن أعمالهم فكيف يرد عليهم؟

الجواب: الرد يكون بما يلي:

١- نحن مكلفون بمعرفة الحق وأهله، ومعرفة الباطل وحزبه؛ لأنه لا يتم اتباع الحق وأهله، واجتناب الباطل وحزبه إلا إذا عرفنا ذلك، وقد قال تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾** [التوبة]، وقد حصل الخلاف والتفرق بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكل حزب يدعي أنه المحق وغيره مبطل؛ فلزم لذلك النظر فيما عليه تلك الأحزاب المتفرقة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ لمعرفة المحق من المبطل، وإذا عرفنا المحق من المبطل وجب علينا أن نبين للناس ذلك، وندعوهم إلى اتباع الحق وأهله، أو نحذرهم من اتباع الباطل وأهله.

٢- نحن مكلفون بموالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه، ولا يتم ذلك إلا بعد معرفة أولياء الله ومعرفة أعدائه.

٣- صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حديث: ((لا يحبك يا علي إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق)) والجرح بالنفاق من أعظم الجرح **﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾** [النساء:١٤٥]، وقد لعن الله تعالى المنافقين في القرآن الكريم: **﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا﴾** [الأحزاب:٦١]، **﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾** [الفتح].

٤- المراد بالأمة التي خلت المشار إليها بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ هو إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وبنيه، فقد كان اليهود يدَّعون أنهم على دينهم، ويجادلون في

=

ولسنا مكلفين بها؛ وكانت اليهود تقول: إن إبراهيم ويعقوب كانا على ملة اليهود، وإن يعقوب أوصاهم بها؛ فقال الله لهم: ما كنتم حاضرين يا معشر اليهود حين أوصى يعقوب بنيه وهو على فراش الموت فما بالكم تدعون عليه ما لا تعلمون؟ وذلك قوله: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾ والنصارى كانت تقول: إنه على دين النصرانية، وهذا كذب منهم، ولم تأت اليهودية والنصرانية إلا من بعده.

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ أي قالت اليهود: من يريد الهدى فليدخل في اليهودية، وقالت النصارى: من يريد الهدى فليدخل في النصرانية، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ[1] إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴿١٣٥﴾﴾ فمن يرد الهدى فليتبع ملة إبراهيم؛ لأنه كان حنيفاً[2] غير مائل إلى الباطل، وما كان من المشركين، بل كان على دين التوحيد والإسلام.

ذلك، فقال الله تعالى لهم –لليهود–: تلك أمة قد خلت ومضت في غابر الأزمان لا تنفعكم أعمالهم، وهم وحدهم الذين سينتفعون بأعمالهم دونكم، ولن يحاسبكم الله تعالى على أعمالهم، وأنتم يا معشر اليهود مسؤولون عن أعمالكم ومحاسبون عليها، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وما دام الأمر كذلك يا معشر اليهود فلا نفع لكم إطلاقاً في أعمال تلك الأمة التي قد خلت، ولا داعي للحِجَاج واللجاج، فانظروا لأنفسكم اليوم، فقد جاءكم رسول من عند الله مصدق لما معكم، وقد أراكم من آياته وحججه ما تعلمون أنه رسول من عند الله. فهذا هو المعنى المقصود من الآية، وليس فيه ما يدل على منع جرح المبطلين وذم الفاسقين، ولا على عداوة أعداء الله والبراءة منهم وذمهم.

(١) –**سؤال:** علامَ نصبت «ملة»؟

الجواب: نصبت «ملة» على أنها مفعول به تقديره: اتبعوا ملة إبراهيم.

(٢) –**سؤال:** ما معنى الحنيف؟

الجواب: معناه المائل عن الأديان الباطلة إلى دين الحق.

﴿قُولُوا﴾[(١)] إذا أردتم الهدى: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ والأسباط: هم الأنبياء الكائنون من ذرية يعقوب: أنبياء بني إسرائيل ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ نؤمن بهم جميعاً، لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض، ونحن منقادون لله مستسلمون له.

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ فإن آمن اليهود بمثل ما آمنتم به أيها المسلمون فقد اهتدوا وكانوا مسلمين مثلكم.

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ وإن أبوا الإيمان بمثل ما آمنتم به فاحذروهم فإنهم قد أعدوا عدتهم واصروا على الفتك بكم واستئصالكم وطمس دينكم، ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾[(٢)] سيدفع الله شرهم عنكم، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ﴾[(٣)] فمن آمن مثل هذا الإيمان فقد اصطبغ بصبغة الإيمان وتحلى بحليته.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ كانوا إذا أراد أحد أن يدخل في النصرانية يغمسونه في ماء أصفر، ويصير نصرانياً بعد هذه الصبغة، ويسمى هذا الماء الأصفر المعمودية، فقال الله: إذا قلتم: آمنا بالله...إلخ فقد اصطبغتم بصبغة الله ودخلتم في دينه، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ فما بالكم أيها النصارى تعدلون عما اختاره الله لكم من الصبغة ورضيه لكم من الديانة ولنا ميزة نحن

---

(١) –**سؤال:** لمن هذا الخطاب؟

الجواب: الخطاب للمؤمنين، ويحتمل أنه لليهود والنصارى.

(٢) –**سؤال:** هل الخطاب لمفرد هنا أم أنه لجماعة المسلمين؟ ويا حبذا لو عللتم ذلك؟

الجواب: الخطاب للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمراد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمؤمنون؛ بدليل أول الآية: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ﴾، وخص بالخطاب لأنه رأس المؤمنين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

(٣) –**سؤال:** علام انتصب قوله: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾؟

الجواب: انتصب على أنه مفعول مطلق مؤكد لآمنا بالله...إلخ.

المسلمين نتميز بها ونختص بها في دين الإسلام وهي إخلاص العبادة لله وحده لا نشرك معه إلهاً آخر.

﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾﴾ كيف تجادلوننا يا أهل الكتاب في الله وهو ربنا وربكم؟ فهو تعالى مجمع على ربوبيته بيننا وبينكم، ونحن المسؤولون عن أعمالنا، وأنتم المسؤولون عن أعمالكم؛ فلا داعي للجدال في ذلك، ونختص نحن المسلمون بالإخلاص لله، وأنتم تشركون معه غيره.

﴿أَمْ[1] تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ أنتم تقولون يا معشر اليهود: إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق كانوا يهوداً، والنصارى تقول: كانوا نصارى.

﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ فمن هو أعلم أنتم أم الله، والله قد قال: ليسوا يهوداً ولا نصارى فمن الأولى بالتصديق.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ فلا أحد أظلم منكم يا معشر اليهود لأنكم كتمتم شهادة الله التي كتبها في التوراة، وليس الله غافلاً عما تعملونه من الكتم والتحريف ونحو ذلك فهو مطلع عليه سبحانه وسيجازيكم عليه.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق والأسباط، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾ كان اليهود يدعون أن إبراهيم عليه السلام وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا على دين اليهود ويجادلون على ذلك يريدون بدعواهم هذه أنهم أهل الدين الحق الذي كان عليه

---

(١) -**سؤال:** ما معنى «أم» في الآية؟

الجواب: قد تكون «أم» معادلة للهمزة في «أتحاجوننا»، وقد تكون منقطعة.

إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، فقال الله تعالى لهم: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ أي: قد مضت ومضى زمانها لها ثواب ما عملت من الإيمان والعمل الصالح لا ينفعكم إيمانهم يا معشر اليهود ولا أعمالهم الصالحة ولا تغني أعمالهم عنكم شيئاً فثوابهم لهم وحدهم يخصهم من دونكم ولكم يا معشر اليهود جزاء أعمالكم، وسيحاسبون عليها إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ولا يسألكم الله يوم القيامة عن أعمال تلك الأمة التي خلت بل هي التي تسأل يوم القيامة عن أعمالها دونكم يا معشر اليهود ودونكم يا معاشر المسلمين لا تجادلوا أهل الكتاب واحذروهم، وتحرزوا من كيدهم، ودعوهم وما هم عليه من الضلال، فلستم مسؤولين عن أعمالهم، ولا هم مسؤولين عن أعمالكم، وقد أصروا على عداوتكم واستئصال شأفتكم وطمس دينكم.

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ كان النبي ﷺ حين هاجر إلى المدينة يتوجه في صلاته إلى قبة الصخرة في الشام، يعني بيت المقدس، فأخبره الله أن السفهاء سيعترضون على النبي ﷺ عندما يأمره بعد ذلك أن يتوجه إلى الكعبة، فأمره الله أن يجيب عليهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ فله تعالى أن يتعبد عباده بالتوجه في صلواتهم إلى حيث يشاء فالجهات كلها له، وطاعة الله وعبادته هي في امتثال أمره والسمع والطاعة في كل ما أمر به.

﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾ الملك كله لله ملك السموات والأرض والمشرق والمغرب فلا يحق لليهود والنصارى أن يعترضوا الله فيما أنزله على رسوله محمد ﷺ من الأحكام والشرائع والبينات والهدى، وذلك أنهم استنكروا ما أنزله على رسوله ﷺ من التوجه إلى بيت الله الحرام (الكعبة) في الصلاة، فاستنكارهم واعتراضهم باطل فلله أن يشرع ما يشاء من الأحكام والهدى.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[1] جعل الله تعالى أمة محمد ﷺ أفضل

---

(١) –**سؤال:** ما معنى الوسط في هذه الآية؟

=

الأمم لما علم الله فيهم من أهلية الفضل واستحقاقهم له.

﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ لأجل أن يشهدوا يوم القيامة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد بلغ اليهود والنصارى والمشركين؛ لأنهم سيحتجون فيقولون: يا رب لم يبلغنا أحد، ولم يأتنا الرسول، ولم تبلغنا رسالته[١]، فعندئذ يشهد المسلمون عليهم بأن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد بلغهم رسالة ربه إليهم.

﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ وكذلك يشهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على أمته بأنه قد بلغهم رسالة ربه.

﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ جعل الله القبلة إلى بيت المقدس بمعنى حكم بها فتنة واختباراً للعرب الذين آمنوا معه هل سينقادون ويتركون قبلة آبائهم[٢]، ويصلون إلى قبلة اليهود والنصارى؟ فانقاد المسلمون وتوجهوا كما علمهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وذلك إلى بيت المقدس؛ وذلك لأجل أن يظهر الله بذلك الاختبار الذي يطيع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ممن يعصيه.

﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾[٣] لما فيها من المشقة على المسلمين في تركهم للتوجه إلى قبلتهم التي يعظمونها، ثم يتوجهون إلى غيرها.

الجواب: معنى الوسط: الأفضل.

(١) – **سؤال:** كيف احتجاج المشركين هذا مع قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى﴾ [غافر:٥٠]، ونحوها؟

الجواب: لا مخالفة فالله تعالى يريد إظهار الحجة على المشركين يوم القيامة، وتعدد الحجج وكثرتها أظهر لحجة الله عليهم وأظهر لعدله.

(٢) – **سؤال:** ما هي قبلة آبائهم هل هي الكعبة؟

الجواب: هي الكعبة.

(٣) – **سؤال:** ما المراد بالذين هدى الله؟

الجواب: «الذين هدى الله» هم الذين استحكم الإيمان في قلوبهم.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴿١٤٣﴾﴾ حينما حولهم بعد ذلك إلى الكعبة بعدما مكثوا متوجهين إلى بيت المقدس حوالي سبعة عشر شهراً أخبرهم الله أنه سيكتب لهم أجر صلاتهم إلى بيت المقدس، ويثيبهم عليها.

وسألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعدما وجههم إلى الكعبة: كيف صلاتنا يا رسول الله تلك التي كنا نصليها إلى بيت المقدس؟ فقال: ((إن الله لن يضيع صلاتكم تلك، وسيثيبكم عليها)).

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتمنى أن يرجع ويتوجه إلى قبلة أبيه إبراهيم عليه السلام، وهو منتظر لأن يؤمر بذلك، ويتطلع إليه، ويرجو من ربه ذلك.

﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ فوعده الله تعالى بأنه سيوجهه إلى القبلة التي يحبها ويتمنى أن يتوجه لها، وهي البيت الحرام.

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ فتوجه إليه في صلاتك ودع التوجه إلى بيت المقدس، ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ أينما كنتم فلا تتوجهوا إلا إلى الكعبة.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴿١٤٤﴾﴾ فهم عارفون ويعلمون أن الله سيأمر النبي بالتوجه إلى بيت المقدس فترة ثم يحوله إلى الكعبة، وذلك مذكور في كتبهم، ومع علمهم أنه الحق يحتجون عليه، ويشككون في دينه، وما الله بغافل عما كتموه من الحق مما علموه من كتبهم.

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ فلن يؤمن لك اليهود أبداً أبداً، مع أن هذه من الآيات الدالة على أنك نبي صادق؛ وذلك لأنه يوجد عندهم في التوراة أنه يتوجه إلى بيت المقدس ثم يؤمر بعد ذلك بالتحول إلى الكعبة.

﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ وأنت يا محمد لن تدخل في دينهم، ولن ترضى باتباعهم ولا ينبغي لك ولا لأمتك اتباعهم.

﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ اليهود لن يتبعوا النصارى، والنصارى لن تتبع اليهود.

﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴿١٤٥﴾﴾ إن اتبعت اليهود والنصارى فيما حرفوا وبدلوا، ويزعمون أنه الدين الذي جاءتهم الأنبياء به- تكن من الظالمين، ولذلك سمي هوى، وذلك لأنه لو كان الدين الحق لآمنوا بالنبي ﷺ؛ لأن التوراة فيها الإيمان بالنبي ﷺ، ومع أن الخطاب للنبي ففيه تحذير للمسلمين جميعاً من الميل إلى أهل الكتاب.

﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ فهم عارفون بالنبي وبدينه وأنه الحق كما يعرفون أبناءهم، ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴿١٤٦﴾﴾ علماء اليهود يعلمون صحة نبوة النبي ﷺ، وإنما يكتمونه على أتباعهم لئلا يتبعوه، فقد استحكم العلم بالنبي وتمكن في قلوبهم أشد تمكن، لا شك في ذلك عندهم، ولا ريب.

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴿١٤٧﴾﴾ الدين الحق هو الذي جاءك من عند الله، فلا تتشكك فيه، ولا تشكوا أيها المؤمنون في دينكم وأنه الدين الحق.

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ مع النصارى وجهة وهم سائرون فيها، ولليهود وجهة سائرون فيها[١]، وأنتم أيها المسلمون سيروا في وجهتكم التي وجهكم الله إليها، واستبقوا الخيرات: وكونوا السابقين إلى الخير، وإلى العمل به لتفوزوا برضوان ربكم وحسن ثوابه.

---

(١) –**سؤال:** ما هي وجهة النصارى؟ ووجهة اليهود؟

الجواب: وجهة النصارى هي ملتهم ودينهم الذي يدينون به ومن ذلك قبلتهم، ووجهة اليهود ملتهم ودينهم الذي يدينون به ومن ذلك قبلتهم.

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴿١٤٨﴾﴾ سيجمعكم الله جميعاً أنتم والنصارىٰ واليهود يوم القيامة ويحكم بينكم فهو القادر علىٰ ذلك لا يعجزه شيء.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ توجه إلىٰ الكعبة حيثما كنت من الأرض.

﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ إنه الدين الحق؛ وقد كان ناس يتشككون في الدين، ويسألون الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: لماذا نصلي مرة كذا ومرة كذا؟ فوجه الله تعالىٰ الخطاب إلىٰ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهم المقصودون بالخطاب لإزاحة شكهم وتساؤلاتهم، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴿١٤٩﴾﴾.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ وهذا زيادة تأكيد ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ[(١)] فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ إن أهل الكتاب عالمون بأنه الدين الحق فلا حجة عندهم عليكم؛ لأنهم عارفون مما أوحاه الله لهم في التوراة ما حصل من التوجه إلىٰ بيت المقدس ثم التحول إلىٰ الكعبة، إلا الذين ظلموا وليسوا من أهل العلم فلا تخشوهم ولا تسمعوا لهم فيما ينتقدون عليكم من استقبالكم للمقدس أولاً ثم الرجوع للكعبة وخافوني واحذروا مخالفتي.

﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴿١٥٠﴾﴾ كان توجيه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين إلىٰ الكعبة نعمة عظيمة امتن الله بها عليهم، وأيضاً ليهتدوا إلىٰ الدين الحق.

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ﴾[(٢)] إرسال الله تعالىٰ محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نعمة

---

(١) –**سؤال:** ظاهر الآية إثبات الحجة للذين ظلموا من أجل الاستثناء فكيف توجه الآية؟

الجواب: سمي عناد المعاندين حجة لأنهم يظهرونه مظهر الحجة وهو في الواقع ليس بحجة؛ لذلك أمر الله المسلمين بأن لا يلتفتوا إلىٰ عنادهم.

(٢) –**سؤال:** ما هو موضع: «كما أرسلنا» الإعرابي؟

الجواب: الكاف للتعليل متعلق بـ«اذكروني»، و«ما» مصدرية أي: لأجل إرسالي فيكم رسولاً =

من نعم الله على العرب أن أرسل إليهم رسولاً منهم ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴿١٥١﴾﴾ وهذه من نعم الله على العرب حيث بعث فيهم رسولاً من أنفسهم، من قريش- يبين لهم آيات عظمة الله وربوبيته، وآيات رحمته ومننه، وآيات علمه وقدرته.

ويزكيهم: ويطهرهم من أدناس الجهل، وأرجاس الشرك، وينتشلهم من أودية الضلال، ويرفعهم إلى منازل الكرامة والعزة، ويعلمهم شرائع القرآن وأحكامه الحكيمة[1]، ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمونه من المعارف الإلهية وغيرها.

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي﴾ اذكروني بالتقوى والطاعة أذكركم بالمعونة والحفظ والنصر والتوفيق، وزيادة البصر والبصيرة، والثواب العاجل والآجل واشكروا نعمي المسداة لكم وشكر الله على نعمه هو في طاعته وتقواه، ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴿١٥٢﴾﴾ بترك الشكر.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴿١٥٣﴾﴾ استعينوا على تجاوز العقبات والعراقيل التي تعرقلكم عن المبادرة إلى طاعة الله بالصبر والصلاة، فإن ذلك سيهون عليكم وستحضون بالمعونة من الله تعالى، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴿١٥٣﴾﴾ بمعونته وتوفيقه.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴿١٥٤﴾﴾ هم أحياء عند الله بأرواحهم، تتنعم أرواحهم (حياة روحية)، أما الجسد فلا يبعث إلا يوم القيامة، وذلك أنه يعرض عليه النعيم ويرى الجنة ومنزله فيها، ويرى الحور العين، ويكون في سرور دائم[2].

منكم فاذكروني، قاله الأخفش كما في مغني اللبيب، وقد حكى سيبويه: «كما أنه لا يعلم فتجاوز الله عنه» وبهذا يعرف تفسير الآية.

(١) -**سؤال:** هل مرادكم أن الحكمة هي أحكام القرآن الحكيمة؟

الجواب: نعم مرادنا ذلك، وهو أحد تفاسير الحكمة التي ذكرت في تفاسير القرآن.

(٢) -**سؤال:** هل الحياة الروحية للشهيد كالحياة الروحية للمؤمن المنعَّم؟ أم كيف هي؟

=

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ يا معشر المسلمين ﴿بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ﴾ من المشركين ومن اليهود ومن الأعداء ﴿وَالْجُوعِ﴾ سيأتي عليكم فقر وشدة ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ﴾ تقل الأمطار ﴿وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ يأتي عليكم موت، وتنقص عليكم الثمرات ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴿١٥٥﴾﴾ على هذه النوازل التي تنزل بهم.

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴿١٥٦﴾﴾ فنحن ملك له وراجعون إليه يتصرف فينا كيفما شاء، ونحن عبيده، فنحن راضون بما قضاه علينا.

﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ صلوات أي: رحمة بعد رحمة في الدنيا لأجل صبرهم، ورحمة عظيمة في الآخرة، وسيعوضهم في الدنيا.

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴿١٥٧﴾﴾ إلى طريق رحمة الله ورضوانه.

ثم انتقل الله تعالى إلى موضوع ثان فقال: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ من معالم دينه التي أمرنا بتعظيمها.

﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ[1] بِهِمَا﴾ كان المسلمون يتحرجون من الطواف بين الصفا والمروة؛ لأنه كان يوجد صنم فوق الصفا وآخر فوق المروة، أحدهما اسمه أساف والآخر نائلة، فقال الله: طوفوا ولا حرج عليكم من وجود الصنمين في المطاف.

﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴿١٥٨﴾﴾ من زاد في طاعة الله فالله سيعطيه ويثيبه، لا يخفى عليه شيء، ولا ينسى شيئاً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ

الجواب: الحياة الروحية هي للمؤمنين وللشهداء، وتختلف باختلاف المنازل، فلكل واحد من النعيم الروحي بقدر منزلته عند الله، وقد يبلغ المؤمن بإيمانه وعمله الصالح منازل الشهداء، وقد يرفعه الله تعالى فوقهم، وقد يكون دونهم.

(١) –**سؤال:** ما موضع المصدر: ﴿أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾؟

الجواب: مجرور بـ«في» مقدرة.

﴿فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ۝١٥٩﴾ الذين كتموا هم اليهود، كتموا العلم الذي عندهم في التوراة، نزلت في اليهود وتعم كل من كتم ما أنزل الله عند الحاجة(١).

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ رجعوا إلى الله. ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ ما قد أفسدوا، ﴿وَبَيَّنُوا﴾ ما كتموا، ﴿فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ۝١٦٠﴾ بهذه الشروط التي تقدمت وهي: التوبة، والإصلاح، والتبيين- يقبل الله توبة التائبين ويعود برحمته عليهم.

---

(١) -**سؤال:** ما هي المواضع التي لا يجوز فيها الكتم للعلم، والعكس؟

الجواب: نشر العلم وإظهاره هو فرض من فروض الكفاية التي إذا قام بها البعض سقط وجوبها عن الباقين. وكتم العلم لا يجوز في حالات:

- إذا كان في إظهار العلم نصر للحق والمحقين، فيجب إظهاره ولا يجوز كتمه.
- إذا عم الجهل أمة أو قبيلة أو أهل مدينة أو أهل قرية، وفيها عالم أو أكثر، فإنه يجب عليه أن يظهر علم ما جهلوه من أحكام الله المتعلقة بهم، ولا يجوز له أن يكتم ذلك.
- إذا التبس الحق بالباطل واشتبه على الناس دينهم ووقعوا في شبهة، فيجب على العالم أن يظهر علمه ويبين الحق، ويزيل الشبهة ويرفع اللبس.
- إذا سأل المستفتي العالم عن حكم فيجب على العالم أن يبين حكم ما سأل عنه، إلا إذا ظهر للعالم أن السائل يريد بسؤاله أمراً آخر غير الفتوى.
- ويجب إظهار العلم لطلبة العلم الصادقين في طلبه، وكما ذكرنا هو من فروض الكفايات، فيعلمهم اللغة العربية وأصول الدين وأصول الفقه..إلخ.
- ويجب إظهار العلم عندما يتساهل الناس في أمر من أمور الدين، ويتهاونون به.
- ويجب إظهاره عندما يرى العالم فعل المنكر، بأن يبين لفاعله حكم الله، ويعظه بمواعظ الله، وهكذا عند الأمر بالمعروف؛ لجواز جهل فاعل المنكر. ففي هذه المواضع وما شابهها يجب إظهار العلم، ولا يجوز كتمه.
- ويجوز كتم العلم إذا خاف العالم على نفسه القتل أو الضرر الكبير.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴿١٦١﴾﴾ من مات على الكفر بالله والخروج من أمره فقد أحاط به غضب الله وكان في لعنته يوم القيامة لا يجد له يوم القيامة شافعاً ولا ناصراً فملائكة الله تلعنه وتقول له: اذهب إلى لعنة الله يا عدو الله ليس لك اليوم إلا اللعن والطرد والخزي، والناس تلعنه.

ونعوذ بالله من غضبه، ونسأله التوفيق إلى طريق رحمته.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ في اللعنة في جهنم، ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴿١٦٢﴾﴾ لا يمهلهم الله، ولا يؤخرهم.

﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴿١٦٣﴾﴾ لا إله غيره المنعم بالنعم العظيمة والدقيقة، فهو الذي يستحق العبادة دون ما سواه.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ذكر الله في هذه الآية آياته الدالة على عظمته وقدرته وعلمه وإلهيته وربوبيته وعظيم قدرته فذكر تعالى خلق السماوات والأرض وما اشتملتا عليه من خلق الشمس والقمر والنجوم والجبال والنبات والحيوان و..إلخ.

﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ تعاقبهما واختلافهما، وطول هذا مرة وقصره مرة أخرى وما تضمن من الحكمة والمصلحة.

﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ السفينة عندما يحملها الماء وهي تحمل أحمالاً ثقيلة، ﴿بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ من الأحمال والأثقال، فمن هو الذي سخر البحر لحملها، وجعل الرياح تسوق السفن وتسيرها فيما ينفع الناس: في تجاراتهم وتنقلهم؟ ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ ففي هذه آية عظيمة أن ينزل الماء من السماء فيحيي به الأرض فتخرج الفواكه والأثمار للناس وللدواب، والمنتفع بها هو الإنسان وحده بالأثمار وبالماء وبالدواب.

﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ في الأرض لمنفعة الإنسان ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾ من آيات الله تصريف الرياح فمرة شرقية ومرة غربية وأخرى شمالية، وذلك لمصالح الناس: تسوق السحاب، وتسير السفن، وتلقح الأشجار وتلطف الهواء.

﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ فمن الذي يوجده ويحدثه وينزل منه المطر لحاجة الناس.

﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٦٤﴾ حجج واضحة تدلهم على عظمته وقدرته، وعلى ربوبيته، وأنه الرب الذي يستحق العبادة، وأن يتوجهوا إليه في كل أمورهم، وينتفع بهذه الآيات من يتدبر بعقله، فيعرف أنها مسخرة لمصلحة الإنسان، وأنها بتقدير العليم الحكيم.

فلولا الشمس لما عاش الإنسان على الأرض، ولولا تصريف الرياح وكانت في اتجاه واحد لما سارت السفن إلا إلى اتجاه واحد، ولما ساقت السحاب من جهة إلى جهة، فالعاقل يعرف الحكمة، ويعرف أنها من عليم حكيم، وأنها نعمة عامة للناس جميعاً.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ بعض الناس يعبدون أرباباً من دون الله، ويتركون عبادة المنعم عليهم، والمسخر لهم كل ما في السماوات والأرض- استكباراً وعتواً، ويتخذون هذه آلهة يحبونها كما يحب المؤمنون الله تعالى.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ يحبون الله حباً شديداً أكثر من حب المشركين لآلهتهم، وحب الله ليس معناه الرقة التي تحصل في القلب، وإنما حبه أن تطيعه وتؤثر طاعته على طاعة أحب الأحباب إليك.

﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ[1] لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ١٦٥﴾ لو تراهم يا محمد عندما يحشرهم الله تعالى ويوقفهم على نار جهنم لرأيت شيئاً عظيماً لا يقدر بوصف من شدته وهوله، فهناك يعرف أن القوة لله جميعاً، لا للآلهة التي اتخذوها وعبدوها.

---

(١) –**سؤال:** ما موضع المصدر المؤول من: ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾؟

الجواب: موضعه النصب على البدلية من العذاب.

﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ١٦٦﴾ الرؤساء الذين كانوا يضلون الناس ويغوونهم سيتبرأون من متبعيهم، ولكن لا تنفعهم البراءة سيدخلهم الله جميعاً النار، وتقطعت عليهم السبل فلا يجدون سبيلاً لخلاصهم من عذاب الله، ومعنى «الأسباب»: العلل والأعذار.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾ لو كان لنا رجعة إلى الدنيا لتبرأنا منهم ولم نتبعهم كما تبرؤوا منا في هذا اليوم الشديد.

﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ١٦٧﴾[1] يجمع الله بين الأتباع والمتبوعين في يوم القيامة لأجل أن يحصل عذاب الحسرة والندم في قلوبهم، وما هم بخارجين من النار.

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ[2] الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ١٦٨﴾ كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً، ولا تحرموا شيئاً من تلقاء أنفسكم كما يفعل المشركون، فإنهم كانوا يحلون بعض الأنعام. وبعضها يحرمونها كما قصه الله في سورة الأنعام في السائبة والوصيلة والحام.

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ﴾ الشيطان، ﴿بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا

---

(١) –**سؤال:** كيف يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم؟

الجواب: يطلعهم الله تعالى يوم القيامة على أعمالهم التي أوجبت لهم النار، فيحصل بسبب ذلك حسرات وندم عظيم تمتلئ به نفوسهم، يعذبون به مع عذاب جهنم.

(٢) –**سؤال:** هل المراد بخطوات الشيطان تحليل الحرام وعكسه؟

الجواب: المراد بخطوات الشيطان اتباع أوامره في تحليل الحرام وتحريم الحلال.

سؤال: ما الوجه في إطلاق خطوات على طرق الشيطان؟

الجواب: الوجه في ذلك هو الإشارة إلى أن الناس كانوا حريصين على اتباع أوامر الشيطان، مثل من يمشي خلف آخر ويحرص على أن يضع رجله على رسم رجله لا يقدمها ولا يؤخرها، والفائدة هي تصور اتباع الشيطان بصورة محسوسة.

﴿تَعْلَمُونَ﴿١٦٩﴾﴾ ما أنتم عليه أيها المشركون إنما هو من أمر الشيطان يحل لكم الحرام ويحرم عليكم الحلال، وليس ذلك من عند الله كما تدعون، **والسوء**: هو القبيح، **والفحشاء**: ما تعاظم قبحه.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾ بين الله في هذه الآية عناد المشركين، حين دعاهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى الإيمان بالله وإلى اتباع ما أنزل الله فقالوا: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا من الدين، ولن نترك دينهم.

﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴿١٧٠﴾﴾ هل سيتبعونهم حتى ولو كانوا لا يعقلون شيئاً ولو كانوا ضالين يعني أنهم أصروا على اتباع دين آبائهم من غير نظر إلى خطأ آبائهم أو صوابهم، أو هل كانوا على هدى أم على ضلال.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني صفتهم حين دعاهم النبي إلى الإسلام مثل صفة من معه بقر أو إبل وهو يناديهم فهم لا يسمعون شيئاً ولا يفهمونه، وإنما يسمعون الصوت، يدعوهم النبي ولا يفهمون كلامه ولا يتدبرونه ولا يفقهون غير الصوت فقط، وهذا معنى قوله: ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾، ثم قال: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴿١٧١﴾﴾ يعني أن المشركين صم عن سماع الحق، وعمي عن رؤية الحق وإدراكه، وبكم لا يتكلمون بالحق، فقد أصمهم الكفر، لا يفتحون مسامع قلوبهم للإصغاء إلى كلام الله وتدبره ولا يحدقون بأبصارهم إلى نور الإسلام الذي جاء به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴿١٧٢﴾﴾ لا تصنعوا أيها المؤمنون مثل صنيع الكفار حتى حرموا بعض الأنعام وأحلوا بعضها، ولكن كلوا من الطيبات فهي طيبات كلها؛ وكأن المسلمين قد داخلتهم الشبهة من أكل بعض طيبات الرزق(١)؛ لأن المشركين كانوا يجادلونهم

---

(١) – **سؤال:** هل يصح أن يحمل الكلام على العكس، وأنهم قد داخلتهم الشبهة في أكل الخبيث أم كيف؟

الجواب: سياق الكلام يدل على ما ذكرنا ألا ترى الآية التي تليها: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ...﴾.

فيقولون لهم: كيف تأكلون مما ذبحتم أنتم ولا تأكلون مما ذبح الله؟ ويريدون به الميتة.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ ما حرم الله عليكم إلا الميتة، ﴿وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ يعني ما ذبح على غير اسم الله تعالى كاللات والعزى، والإهلال هو رفع الصوت.

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴿١٧٣﴾﴾ من اضطر من مجاعة شديدة فلا حرج عليه أن يأكل من هذه الأشياء المتقدم ذكرها، وذلك عند الضرورة وهي الخوف على نفسه من الهلكة، وذلك أن يتناول ما يسد به جوعته، وهو المراد بقوله: ﴿وَلَا عَادٍ﴾ أي: لا يعتدي ويزيد على ما يسد جوعته.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ هم اليهود، كتموا ما أنزل الله في التوراة من صفات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويتقاضون على ذلك أجوراً من أتباعهم على كتمه وتبديله، وذلك لأن درسة الكتاب هم ناس مخصوصون، وهذه الأجور التي يأكلونها تصليهم النار خالدين فيها.

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴿١٧٤﴾﴾ إن غضب الله تعالى يوم القيامة قد اشتد على الذين كتموا ما أنزل الله في التوراة واستحكم غضبه عليهم فلا يلقون يوم القيامة إلا عذاب الله العظيم في نار جهنم.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴿١٧٥﴾﴾[(١)] هم أهل مدارس اليهود الذين كتموا العلم وحرفوا التوراة وصفهم الله بأنهم اشتروا الضلال ودفعوا الهدى ثمناً له، وكذلك أخذوا العذاب ودفعوا

---

(١) —**سؤال:** ما الحكمة في التعجب في قوله: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴿١٧٥﴾﴾؟

الجواب: يُعجِّب الله تعالى عباده من عظيم جرأة اليهود وإقدامهم على فعل ما يعلمون ويتيقنون أنهم بفعله يدخلون نار جهنم من غير مبالاة منهم.

المغفرة، واشتروا غضب الله برحمته وأليم العذاب في جهنم بجزيل الثواب في الجنة.

﴿ذَلِكَ[١] بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ۝١٧٦﴾ نزل الله تعالى القرآن وبين فيه حقائق الحق الذي اختلف فيه أهل الكتاب، وأخبر أن أهل الكتاب بعيدون عن الحق بُعْداً بعيداً، وأن الحق هو فيما أنزل الله من القرآن.

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ۝١٧٧﴾ ليس البر في التوجه إلى قبلة[٢] اليهود أو قبلة النصارى، ولكن البر الذي يرضاه الله هو الإيمان بالله والتصديق بيوم القيامة والتصديق بملائكة الله والإيمان بما أنزله الله تعالى من الكتب على أنبيائه ورسله عليهم السلام والإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين، وإعطاء المال الغالي عند صاحبه لذوي القربى والأرحام الذين تصلهم بالمعطين قرابة النسب، وتخصيص اليتامى بالعطية وسد خلة المسكين وابن السبيل وإعطاء السائل والمعاونة في فك الرقاب المؤمنة من الرق والوفاء بالعقود والعهود والمواثيق والصبر على المكروه والصبر

---

(١) —**سؤال:** الإشارة بـ«ذلك» إلى ماذا؟

الجواب: الإشارة إلى العذاب، أي: ذلك العذاب بسبب أن الله نزل الكتاب بالحق وفيه صفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكتموه، فاستحقوا عذاب الله.

(٢) —**سؤال:** كيف نفهم أن المراد بالتوجه قِبَل المشرق والمغرب قبلة اليهود والنصارى؟ وما معنى الاستدراك بقوله: «ولكن البر ...»؟

الجواب: المراد: ليس البر في التوجه إلى بيت المقدس الذي كان يتوجه إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا في التوجه إلى قبلة النصارى، ولكن البر هو فيما ذكر الله تعالى في هذه الآية.

عند شدة الحرب ثم إقامة ما فرضه الله من الصلوات والزكوات فهذه هي أعمال البر التي تقرب إلىٰ الله وينال بها رضوانه، وبها يقوم الذين صدقوا في إيمانهم وأذعنوا لله بالسمع والطاعة ورسخوا في تقوىٰ الله تعالىٰ.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِى الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ شرع الله تعالىٰ لأهل الإسلام أن يقتل الحر بالحر، ويقتل العبد بالعبد، وتقتل المرأة بالمرأة، ولا يقتل الحر بالعبد، ولا الرجل بالمرأة.

وشرع تعالىٰ برحمته العفو عن القصاص لمن أحب العفو، وجعل لولي الدم أخذ الدية بدلاً عن القصاص، وأرشد تعالىٰ ولي القتيل أن يأخذ الدية من القاتل بالمعروف من غير قساوة وغلظة كيلا تتأزم الأمور، وندب تعالىٰ القاتل أن يدفع الدية بإحسان وتواضع وأدب كيلا تثار الحمية وتوغر صدور أولياء القتيل.

﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ أن يجعل بدل الاقتصاص الدية؛ لأنه كان في الشرائع السابقة لا بد من القصاص، وكذلك لا عفو وإنما القاتل يقتل، فوسع الله تعالىٰ في شريعة هذه الأمة فخير تعالىٰ بين القصاص أو الدية.

﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾﴾ فمن اعتدىٰ بعد العفو وتسليم الدية فاقتص من القاتل فهذا لا يقبل منه دية، ولا يعفىٰ عنه، وإنما يقتل فقط لعظيم ذنبه عند الله، وهذا هو المراد بقوله: ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ ففي شرع القصاص حياة عظيمة، ففيه حفظ أرواح الناس.

ولأن القاتل إذا عرف أنه يُقتل يمسك عن القتل ولا يقدم عليه- شرع الله القصاص؛ لأجل أن نتقي القتل.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ هذه الآية نزلت قبل آية المواريث في سورة النساء.

﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ إن كان معه تركة، ﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ يعني فرضت الوصية لهؤلاء، وهذه الآية قد نسخت، وقد أخبر الله كيف تقسم التركة في سورة النساء، وتولى قسمتها.

﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾﴾ أولئك الذين سمعوا الموصي يوصي، لا يجوز لهم أن يغيروا الوصية؛ فإن غيروا أثموا، وتحملوا وزر التغيير كله، وليس على الميت منه شيء.

﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ إذا حضروا عند المحتضر وهو يوصي وخافوا منه الميل في وصيته أو أن يأثم فيها فالأحسن أن يصالحوه في الرجوع عن الحيف والميل، والجنف: الحيف والميل، والإثم: أن يضع المال في غير حق، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ يعني فَرْضُهُ عليكم أيها المؤمنون وشرعُهُ مثل ما فَرْضُهُ على من قبلكم فلا يكبر عليكم أيها المؤمنون فقد كتبه الله على من كان قبلكم من الأمم، فالصيام فريضة عامة في كل الشرائع، وبمعرفة عموم الفريضة يهون تحملها؛ لأن المصائب إذا عمت هانت.

وشرعه الله لما يؤدي إليه من تقوى الله؛ إذ يخفف شهوة الإنسان، ويكسر هوى النفس، فهو يقرب إلى التقوى.

﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾[1] وفريضة الصيام هي أيام قليلة بالنسبة لأيام الإفطار، ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ رخص الله في الإفطار للمريض والمسافر ثم يقضي ما أفطره بعد شهر رمضان.

---

(١) –**سؤال:** علام انتصب قوله: «أياماً»؟

الجواب: انتصب بالصيام في: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ يعني لا يطيقونه إلا بشدة ومشقة، فالإمام الهادي عليه السلام قال بأن (لا) محذوفة وهي مرادة فيكون معناها: لا يطيقونه إلا بمشقة شاقة، وعلى الذين لا يطيقونه من كبار السن وليس القضاء مأمولاً منهم فهؤلاء عليهم الفدية، وهي طعام مسكين عن كل يوم نصف صاع.

وبعضهم قال بأنها غير محذوفة، وإنها رخصة في أول الإسلام فالمرء مخير بين الصوم والفدية، وقد نسختها الآية التي بعدها.

﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ إذا أراد الزيادة على طعام المسكين فهو أحسن ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴿١٨٤﴾﴾ يعني أن الصيام أفضل من الفدية، وأظن أن هذا هو القول الأحسن أن المسلمين كانوا مخيرين في أول الإسلام بين الصوم والفدية ثم نسخ التخيير وحتم الصيام.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ﴾ يعني أنزله الله إلى سماء الدنيا، وإلا فأول ما نزل في الثاني عشر من ربيع الثاني متفرقاً على ثلاثة وعشرين سنة، ولم ينزل دفعة واحدة؛ لأن النبي والمسلمين كانوا أميين فلا يحفظونه إلا في صدورهم، فأنزله الله دفعات لأجل أن يحفظه النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان:٣٢]، ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴿١٠٦﴾﴾ يعني مفرقاً قليلاً قليلاً على وقت الحاجة على حسب الحاجة والحوادث.

﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ لأجل أن يهتدي الناس بهديه، ﴿وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ وبياناً وتوضيحاً لشرائع الإسلام، وفرقاناً بين الحق والباطل.

﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ فمن كان حاضراً ولم يكن مسافراً فيجب عليه الصيام، ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ لا يريد الله تعالى أن يضيق على عبيده، ويشدد عليهم، بل يريد لهم التخفيف؛ فرخص للمسافر والمريض في الإفطار، على أن يقضوا عند الإمكان وتيسر الصيام، وهذه الآية نسخت الأولى، وهي: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ

﴿يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ فلم يرخص لمن شهد الشهر إلا للمريض والمسافر.

﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾(١) حين تقضون وذلك لأجل أن يتم صيام الشهر؛ لأنه أوجب صيام الشهر جميعه، ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ يعني تشكرونه وتعظمونه لأجل هدايتكم إلى الصيام، ودلالتكم عليه.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٨٥﴾ شرع لكم الصيام لأجل أن تشكروه؛ إذ أن الصيام نعمة ينبغي أن نشكره عليها إذ لا يكلفنا إلا بما فيه مصلحة لنا وقد اكتشف الطب الحديث أن في الصيام منافع عظيمة للإنسان.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ١٨٦﴾ هذه آية الدعاء وسَّطَها الله بين آيات الصيام دلالة على أن شهر رمضان شهر الدعاء؛ فينبغي للإنسان أن يكثر من الدعاء إلى الله والرجوع إليه.

قالت الصحابة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ يعنون: هل هو بعيد فنرفع أصواتنا بقوة، أم قريب فنكلمه بصوت ضعيف؟! فنزلت هذه الآية.

وإذا أرادوا أن أجيب دعوتهم ويبلغوا رشدهم ونجاح مطالبهم فليستجيبوا لي، ويطيعوني، ويمتثلوا أمري، فأما المعرضون عن طاعته وامتثال أمره فلا تستجاب دعوتهم ولا يصلون إلى مطلوبهم.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ حرم الله تعالى في أول الأمر مقاربة النساء من بعد صلاة العشاء في شهر رمضان وبعد أن ينام الرجل فلا يحل له أن يقرب زوجته، ثم إن الله تعالى نسخ هذا الحكم وخفف على المسلمين، فأحل لهم مقاربة النساء في ليالي رمضان، والرفث كناية عن الجماع.

---

(١) –**سؤال:** ألا يمكن بأن يكون إتمام عدة صيام الأداء؟

الجواب: الذي ظهر لي أن اللام لتعليل شرع الإفطار ثم القضاء، وعليه فيكون المعنى كما ذكرنا.

﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾(١) كان هناك ناس من الصحابة يباشرون نساءهم وهو محرم عليهم، ثم نسخ هذا التحريم، ومعنى تختانون: تخونون أنفسكم بمباشرة النساء.

﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾ فقد رخص لكم في ذلك في الليل كله، ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ يعني قضاء الشهوة والوطر، وبعضهم قال: إنه الولد.

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ يعني باشروهن وكلوا واشربوا طوال الليل إلى أن يتبين لكم بياض الفجر وهو المنتشر المعترض، أما النور الذي يطلع ولم ينتشر فيسمى الفجر الكاذب فيجوز الأكل والشرب والنكاح فيه ما لم ينتشر النور يميناً ويساراً.

﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ امضوا في الصيام إلى أن يدخل الليل وهو معروف.

﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ فإذا كان الصائم معتكفاً في المسجد فلا يحل له أن يقرب الزوجة لا في الليل ولا في النهار(٢).

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ فهذه حدود حدها الله لكم فلا تتجاوزوها وقفوا عندها.

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ لعلهم يتقون الوقوع فيما نهى الله عنه.

---

(١) –**سؤال:** هل معنى العفو عدم المؤاخذة، أو نسخ التحريم؟

الجواب: المراد بالعفو عدم المؤاخذة على ما فعلوا.

(٢) –**سؤال:** هل التحريم لحرمة الاعتكاف كما هو الظاهر، أم لحرمة المساجد؟

الجواب: يظهر لي أنه لحرمة الاعتكاف؛ إذ لو كان لحرمة المساجد لجاز الوطء عند الخروج من المسجد.

سؤال: وإذا كان مستثنياً لليل فيجوز له المباشرة فيه؟

الجواب: إذا استثنى المعتكف الليل جاز له الوطء في الليل.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ بغير حق، ﴿وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا[١] مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ[٢] وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ۝١٨٨﴾ نهى الله تعالى المؤمنين أن يأكلوا حق بعضهم البعض بغير وجه حق، ونهاهم أن يجعلوا أموالهم أو شيئاً منها رشوة للحكام ليحكموا لهم ببعض أموال الناس بغير حق.

يفهم منه إذا أعطيت الرشوة لتستخرج حقاً لك أنه يصح ويجوز ولو كانت محرمة على الآخذ[٣].

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾ سأل الصحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الهلال عندما يبدو صغيراً ثم يكبر ثم ينقص بعد ذلك، فقال الله: ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾[٤] يعرفون بها الأوقات والسنين ومواعيد الديون ونحو ذلك، ﴿وَالْحَجِّ﴾ ومواقيت تعرف بها أوقات الحج.

---

(١) —**سؤال:** ما فائدة التعبير بقوله: «فريقاً» في الآية: ﴿لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ﴾؟

الجواب: الفريق هو اسم للجماعة من الناس، وقد قيل في توجيه الآية: إن الكلام على القلب أي: لتأكلوا أموال فريق من الناس.

(٢) —**سؤال:** ما موضع الجار والمجرور «بالإثم» الإعرابي؟

الجواب: موضعه النصب متعلق بـ«تأكلوا»، ويجوز أن يعرب حالاً من الواو.

(٣) —**سؤال:** قد يقال بأن المستخرج هذا يعين على نشر الرشوة فكيف يجاب عليه؟

الجواب: يمكن الرد على ذلك بأن من الشرائع المقررة بين المسلمين منذ عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم جواز مفاداة أسير المسلمين من أيدي الكافرين والبغاة، ومثل ذلك جواز إعطاء الظالم وقطاع الطرق بعضاً من المال ليتركوا للمعطي ماله.

(٤) —**سؤال:** ما الحكمة في إجابتهم بغير ما سألوا؟

الجواب: الحكمة في ذلك تتجلى في أمرين:

١- بيان غفلتهم حيث سألوا عما لا يعنيهم، وتركوا السؤال عما يعنيهم.

٢- بيان جواب السؤال الذي كان من المفروض أن يسألوا عنه.

﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾ البر هو في تقوى الله، وامتثال أمره، وليس البر فيما كان يفعله الناس في الجاهلية؛ فكانوا إذا أحرموا بالحج لا يدخلون البيوت من الأبواب، وإنما يدخلون من غير الأبواب.

﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ احذروه ولا تتجاوزوا حدوده، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴿١٨٩﴾﴾ لأجل أن تظفروا بثواب الله ورضوانه.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴿٨٧﴾﴾ كان هذا في أول الإسلام أذن الله للذين يقاتلون في سبيل الله أن يقاتلوا من قاتلهم، ولا يقاتلوا أحداً لم يقاتلهم، ثم بعد ذلك قال الله: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ [التوبة:٣٦]، لأنهم مصرون على قتلكم وقتالكم، لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة، فما داموا مصرين على قتلكم وقتالكم فقد أُذِنَ لكم بقتالهم جميعاً.

ثم قال سبحانه: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ هؤلاء المشركون الذين يقاتلونكم أيها المؤمنون اقتلوهم حيث وجدتموهم، والمراد بهم قريش.

﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ أخرجوهم من مكة.

﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ كان المشركون يفتنون المؤمنين يعني يعذبون المؤمن حتى يكفر، وذلك أن المشركين احتجوا على محمد ﷺ حين قطع أصحابه الطريق على المشركين وقتلوهم وكان في أول رجب وهو من الأشهر الحرم ظناً منهم أنهم لا زالوا في آخر جمادى، فقالوا: إن محمداً قد انتهك حرمة الشهر الحرام، فقال الله: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ يعني التعذيب للمسلم حتى يرتد أشد مما زعموه انتهاكاً لحرمة الشهر.

ثم قال الله للمسلمين: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ فهو حرم محرم فلا تنتهك حرمته بقتل أو نحوه.

﴿فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ أذن لكم بقتلهم عند المسجد الحرام إذا قاتلوكم فيه، ﴿كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾﴾ أي مثل هذا الجزاء جزاء الكافرين ولو كانوا بحرمه البيت الحرام.

﴿فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٢﴾﴾ وكفوا عن قتلكم وقتالكم فالله سيغفر لهم فباب التوبة مفتوح.

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ إلزام من الله للمسلمين بقتال المشركين حتى ينتهي الشرك والمشركون وفتنتهم، ولا يبقى لها وجود ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ وحتى يكون الدين والعبادة والطاعة لله وحده لا يشرك معه في عبادته أحداً.

﴿فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ فلا تقربوهم إن كفوا عن قتالكم.

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ حين انتقد المشركون على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأصحابه عندما قتلوا المشركين في الشهر الحرام، فقال الله: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ﴾ فأنتم أيضاً قد قتلتم في الشهر الحرام، واحدة بواحدة، ولم ينتهك المسلمون حرمته وإنما هو قصاص وجزاء سيئة سيئة مثلها.

﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ[1] مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ قال الله للمؤمنين: إن اعتدوا عليكم فاعتدوا عليهم ولو في الشهر الحرام والبلد الحرام.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فلا تعتدوا وتنتهكوا حرمة الشهر إلا إذا كان قصاصاً.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ بنصره وتأييده فلا تنتهكوا حرمة الشهر الحرام ولا البلد الحرام، والله معكم بنصره وتأييده ما دمتم ملتزمين بتقواه وامتثال أمره.

---

(١) —**سؤال:** ما المراد بالمثلية هنا؟ ولماذا لا يجوز ما فوق المثل؟ وهل الآية عامة؟

الجواب: المراد بالمثلية أن يكون الجزاء مساوياً لفعل المعتدي لا يزيد عليه؛ لأن الزيادة ظلم، والآية عامة لكل من اعتدى عليه، وفي كل عدوان يمكن الاقتصاص فيه، فإن لم يمكن الاقتصاص فالأرش بدل الاقتصاص.

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ تعاونوا على ذلك؛ لأجل أن تجاهدوا المشركين.

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ فلا تتركوا الإنفاق؛ لأنه يؤدي إلى التهلكة[١]. ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ أنفقوا ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴿١٩٥﴾﴾[٢].

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ ذكر الله تعالى الحج فأمر من أحرم بالحج أو العمرة أن يتم ما أحرم به لا محالة، وأن لا يخرج منه، فليس كسائر النوافل، فإذا أحرم فقد وجب عليه أن يكمل ما دخل فيه من حج أو عمرة.

﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ حال حائل بينكم وبين مكة، أو حبسكم مرض أو نحوه.

﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ شاة أو بقرة أو جمل، يبعث به المحصر إلى مكة ينحر هناك، فإذا نحر خرج المحرم من إحرامه، وحلق أو قصّر.

﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ امكث على إحرامك بعد بعثك للهدي إلى أن تعلم أن الهدي قد ذبح، فإذا كان الإحصار عن حج فينتظر إلى أيام منى، وإن كان عن عمرة فأي وقت يبعث به ثم يعلم أنه نُحِرَ فك إحرامه، وإن تعسر عليه إخراج الهدي فك إحرامه وبقي الهدي في ذمته، فإذا تيسر له الهدي بعث به إلى مكة فحلق أو لبس[٣].

﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا﴾ يعني: من مرض بعدما أحرم بحج أو عمرة.

---

(١) – **سؤال:** ألا يمكن أن تكون الآية عامة في أي تهلكة، فتصلح دليلاً لمن ترك الأمر بالمعروف مع الخشية على نفسه؟

الجواب: الآية عامة وهي دليل لمن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الخشية على نفسه.

(٢) – **سؤال:** ما هو الإحسان المراد في الآية؟

الجواب: المراد مطلق الإحسان المتناول لكل بر، والإنفاق أحد مدلولاته، وإنما فسرناه بالإنفاق لوقوعه في سياقه.

(٣) – **سؤال:** من أين نأخذ هذا الحكم: وإن تعسر عليه..إلخ؟

الجواب: يؤخذ من دليل آخر مثل قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، وقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦].

﴿أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ﴾ ألم في رأسه واحتاج إلى الحلق، أو إلى أن يلبس.

﴿فَفِدْيَةٌ﴾ تلزمه، وهي ﴿مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾: صيام ثلاثة أيام، أو إطعام ستة مساكين، أو يذبح شاة فدية عن الحلق أو عن اللباس.

﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ من العدو ولم يقع إحصار، ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ من أراد أن يضع حجه على تمتع فيبدأ بعمرة ثم يحج بعد العمرة، وعليه ما تيسر من الهدي وأقله شاة.

﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ وقد حج تمتعاً، ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾ آخرها يوم عرفة، ومن فاته صيام هذه الثلاثة الأيام فليصم يوم العيد وثانيه وثالثه، وهذا تدارك، وإذا فاتته هذه الثلاثة الأيام أيضاً فالواجب عليه شاة ولا يجزئ الصوم.

﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ عند عودته إلى أهله[١]، ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾[٢] للمتمتع.

﴿ذَلِكَ[٣] لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[٤] فالساكن في مكة لا يصح منه التمتع.

---

(١) - **سؤال:** هل يسمى رجوعاً ولو كان في الطريق قبل أن يلحق بأهله؟

الجواب: إذا خرج من مكة عائداً إلى وطنه فيسمى راجعاً ويصح صيامه.

(٢) - **سؤال:** ما فائدة قوله «كاملة»؟

الجواب: الفائدة دفع التجوز فقد يتجوز بالعشرة عن التسعة مثل عشر ذي الحجة.

(٣) - **سؤال:** لماذا لا يصح أن تكون الإشارة بـ«ذلك» لوجوب الهدي؟

الجواب: لو كان الضمير عائداً على وجوب الهدي لقيل: «ذلك على من لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام»؛ لذلك امتنع عود الضمير إلى الهدي.

(٤) - **سؤال:** هل تدل الآية: ﴿حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ على أن حرمة ما بين المواقيت وبين الحرم المحرم كحرمة الحرم المحرم؟ أم أنه لا يصح التمتع لمن كان داخل الحرم المحرم فقط؟

الجواب: لا تدل الآية على حرمة ما بين المواقيت وبين الحرم المحرم، ولكن تدل على أن حاضر المسجد الحرام لا يتمتع، وقد فسروا حاضر المسجد الحرام بمن لا يلزمه الإحرام إذا دخل مكة، والذي لا يلزمه الإحرام هو من كان داخل المواقيت سواء أكان داخل الحرم أم خارجه.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الزموا حدوده وتعليماته، واعلموا أن عقابه شديد لمن يتجاوز حدوده، ويخالف تعليماته.

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾[١] هي شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة؛ فلا يحرم الحاج للحج إلا في أشهر الحج هذه وهي شهران وعشرة أيام، فلا يصح أن يحرم للحج في شهر رمضان مثلاً.

﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾ يعني أحرم بالحج في هذا الوقت.

﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ والرفث: هو الكلام الذي يحصل بين الرجل وزوجته من مقدمات الجماع. والفسوق: أعمال الفسق. والجدال: هو المماراة والمشاجرة، والمرادة في الكلام الذي يوغر الصدور.

﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ من الذكر والتسبيح وقضاء حاجات الناس ونحو ذلك.

﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ جهزوا لكم زاداً يكفيكم في الحج ويكفيكم حاجة الناس، وأما أفضل الزاد فهو التقوى؛ لأنها توصلك إلى الجنة.

والمفترض أن الحاج يتزود بما يكفيه من الزاد في الطريق إلى الحج إلى أن يعود، فهو غير مناف للتوكل.

﴿وَاتَّقُونِ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ يعني احذروني واحذروا مخالفتي وتجاوز حدودي.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا[٢] فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ في سفر الحج إذا أرادوا التجارة والبيع والشراء فلا حرج على فاعل ذلك.

---

(١) –**سؤال:** لماذا جمعها الله «أشهر» وليست إلا شهران؟

الجواب: جمعت لوجود معنى الجمع، وهو موجود في الاثنين فما فوق.

(٢) –**سؤال:** ما موضع المصدر المؤول: ﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾ من الإعراب؟

الجواب: موضعه الجر بـ«في» محذوفة.

﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ﴾[١] عندما يفيض الحاج من عرفات إلى مزدلفة.

﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾[٢] يعني في مزدلفة فلا يصلي المغرب والعشاء إلا هنالك[٣].

﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ١٩٨﴾[٤] من قبل أن

---

(١) –**سؤال:** ما معنى الفاء هذه «فإذا» ونحوها المتكررة في آيات الحج؟

الجواب: الفاء التي في قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ سببية عاطفة والثانية رابطة للجزاء بالشرط، وهكذا الفاء في: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ﴾ ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ﴾ الأولى سببية عاطفة لأن معرفة وقت الحج سبب لفرض الحج والثانية رابطة سببية. ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ﴾ والفاء الأولى كذلك. ويقال: إن الفاء الأولى في هذه الآيات هي الفاء الفصيحة، ولم يظهر لي ذلك؛ إذ لا حاجة تدعو إلى تقدير معطوف عليه أو شرط؛ لأنه يمكن العطف على الجمل التي قبل الفاء من غير خلل في المعنى، فإن قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ مسبب ومترتب على وجوب إتمام الحج والعمرة لمن دخل في أحدهما، وهكذا قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ فإنه رخصة مرتبة على النهي عن الحلق.

(٢) –**سؤال:** ألا يصح أن تكون الآية دليلاً على ذكر الله بعد الفجر حين المرور بالمشعر الحرام؟

الجواب: يصح أن تكون الآية دليلاً على ذلك وعلى وجوب صلاة المغرب والفجر عند المشعر الحرام.

(٣) –**سؤال:** من أين علم أن ذكر الله هو صلاة المغرب والعشاء؟

الجواب: علم ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبلال: ((الصلاة أمامك)) وتكون الآية دليلاً أيضاً على صلاة الفجر، وعلى ذكر الله عند المشعر الحرام، وذلك من حيث أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فعل كل ذلك في المشعر الحرام، وقال: ((خذوا عني مناسككم)).

(٤) –**سؤال:** ما معنى: ﴿كَمَا هَدَاكُمْ﴾؟ أو ما إعرابها الذي يفهمنا معناها؟

الجواب: الكاف للتعليل، و«ما» مصدرية، والتقدير: واذكروه لأجل هدايته إياكم.

يعلمكم الله كنتم من الجاهلين بمناسك الحج ومعالمه فاذكروه بالطاعة له والشكر على هدايتكم إلى معالم دينكم ومناسك حجكم.

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ أمرهم الله أن يفيضوا من عرفات؛ لأن المشركين كانوا يفيضون من مزدلفة ولم يكونوا يدخلون عرفة؛ لأنهم كانوا يقولون: نحن أهل الله فلن نخرج من الحرم، فقال الله: ﴿أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ يعني قفوا في عرفة، وأفيضوا من[(١)] عرفة ولا تفعلوا مثل ما فعلت قريش وإخوانها.

﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴿١٩٩﴾﴾ استغفروا الله لأجل ما كنتم عليه في الجاهلية من الوقوف في مزدلفة.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ﴾ يعني أكملتم أعمال الحج ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ كان المشركون حين يقضون مناسك حجهم يجتمعون فيذكر كل منهم مفاخره ومفاخر آبائه، فقال الله للمسلمين: أعلنوا ذكر الله وتكبيره وتعظيمه، وأثنوا عليه بما هو أهله كما كنتم تفعلون أيام الشرك من ذكر مفاخر آبائكم أو أشد من ذلك وأكثر. والمشروع في أيام منى التكبير والتحميد والتمجيد لله.

﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴿٢٠٠﴾﴾ بعض الحجاج يطلبون الله متاع الدنيا فيعطيهم الله منها، وليس لهم في الآخرة نصيب.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴿٢٠١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴿٢٠٢﴾﴾[(٢)] فأما المؤمنون

---

(١) –**سؤال:** يقال: إذا كانت الإفاضة من عرفات فما فائدة العطف بـ«ثم»؟

الجواب: العطف بـ«ثم» يفيد أهمية ما بعدها على ما قبلها؛ لأن المشركين كانوا قد تهاونوا بالإفاضة من عرفات، فنبه الله تعالى على أهميتها ووجوبها.

(٢) –**سؤال:** ما هي الحسنة في الدنيا؟ وما هي الحسنة في الآخرة؟

الجواب: الذي يظهر لي أن الحسنة في الدنيا هي الهداية للحق، مع ما يتبعها ويترتب عليها مما وعد الله أهل الهدى في مثل قوله تعالى: **﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾** [الطلاق]، والحسنة في الآخرة هي الجنة وما فيها من النعيم.

=

فهم يسألون الله الدنيا ويسألونه الآخرة ويتعوذون به من النار، فهؤلاء الذين يستجيب الله دعوتهم، ويتقبل أعمالهم، ويعطيهم من الدنيا والآخرة، وينجيهم من عذاب النار.

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ أي: أيام منى: يوم العيد وثانيه وثالثه ورابعه، والذكر في هذه الأيام هو تكبير الله وتعظيمه وتعظيم شعائره.

﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ فمن أراد التعجل رجم أول يوم، وثاني يوم، وثالث يوم، فإذا أراد أن يعود إلى أهله ويتعجل النفور فليتعجل، والمراد باليومين بعد يوم العيد وذلك ثانيه وثالثه.

﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾ إلى اليوم الرابع ورمى في اليوم الرابع ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾[١] الله ولم يتجاوز حدوده، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٢٠٣﴾ احذروا معصية الله فهو محاسبكم ومجازيكم على أعمالكم في يوم القيامة فاحذروا فإن الله يحصي عليكم أعمالكم الصغير منها والكبير.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۝٢٠٤﴾ قال الله للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: إن بعض الناس يكون كلامه حسناً لما فيه من البلاغة والفصاحة، ويدعي حالفاً أنه صادق فيما يقول، وهو العدو اللدود، فكونوا منه على حذر ولا تصدقوه.

﴿وَإِذَا تَوَلَّى[٢] سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ[٣] وَاللَّهُ

سؤال: ما الوجه في قوله: ﴿نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا﴾ ولم يعطهم كل ما كسبوا؟

الجواب: المعنى: من جنس ما كسبوا وهو الثواب، فـ«من» لبيان الجنس.

(١) — **سؤال:** ما فائدة نفي الإثم: ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في حق المتأخر؟

الجواب: الفائدة أن بعض الناس كانوا يؤثِّمون المتقدم وبعضهم يؤثِّم المتأخر، فنفى الله تعالى الإثمين.

(٢) — **سؤال:** هل يصح أن يحمل قوله «تولَّى» على التولية والرئاسة على الناس؟

الجواب: لا يحمل على الرئاسة؛ لأن سياق الآية يفيد أن الرجل كاذب فيما يدعيه ويقوله للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه يفعل خلاف ما قاله للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد خروجه من عنده.

(٣) — **سؤال:** ما المراد بالنسل في الآية؟

الجواب: المراد بالنسل الناس، فقد كان ذلك الرجل حريصاً على إتلاف أرواح الناس، وإتلاف زروعهم ومعايشهم.

﴿لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ۝٢٠٥﴾ إذا ذهب من عندك أخذ في الإفساد والإيقاع بين الناس وغرس الفتن والمشاحنة بينهم، ويقال: إنه الأخنس بن شريق.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾[١] فتأخذه الحمية والكبر، بفعل الإثم ويزيد في تمرده وعصيانه.

﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾ يكفيه جهنم جزاءً على أعماله الخبيثة، ﴿وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ۝٢٠٦﴾ وما أشد ذلك الجزاء وما أعظمه، ففراشه من جمر جهنم الذي اشتد سعيره وتعاظم لهبه، فيتطاير شرره لشدة سعيره، ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ۝٣٢ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ۝٣٣﴾ [المرسلات].

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ۝٢٠٧﴾ بعد أن ذكر الله الذي تولى في الأرض ليفسد فيها- ذكر بعضاً من الناس آخر باع نفسه من الله؛ لأجل أن ينال رضوانه، وقد استسلم وسلم نفسه خالصة لله، وانقاد له أشد الانقياد، وترك هوى نفسه ودواعيها.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ يعني في دين الإسلام.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ۝٢٠٨﴾ ولا تسمعوا له وتتبعوا خطواته[٢]: من عبادة الأصنام، وأكل الميتة، وشرب الخمر، وقتل النفس التي حرم الله قتلها، والإفساد في الأرض، وأكل أموال الناس بالباطل؛ فإن الشيطان لا يدعوكم إلى خير لعداوته لكم، وحنقه عليكم.

(١) –**سؤال:** ما موقع قوله: «بالإثم» من الإعراب؟ وما تقدير معناها؟

الجواب: بالإثم حال من العزة أي متلبسة بالإثم، أو من الهاء في «أخذته» أي: آثماً، ويجوز أن يتعلق «بالإثم» بأخذته، أي: بسبب الإثم.

(٢) –**سؤال:** لماذا سماها الله تعالى خطوات؟

الجواب: استعار الخطوات للاتباع للشيطان فيما يدعو إليه من المعاصي، والاستعارة أبلغ في توصيل المعنى إلى ذهن المخاطب، وذلك أنها تصور المعنى للمخاطب بصورة يدركها حسه ويراها بعينه، ويطرب لها ذهنه، وينتعش لها فهمه.

﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ۝٢٠٩﴾[(١)] إذا وقعتم في خطوات الشيطان بعد أن جاءتكم البينات من الله فاعلموا أن الله سيعاقبكم ويجازيكم.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾[(٢)] قد أعد الله عذاب المجرمين المصرين على عصيان الله، ويوشك أن يحل بهم فلينتظروا نزوله عليهم من السماء.

﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ سينتهي أمرهم وشركهم وما هم عليه من الضلال والعناد بحلول عذاب الله بهم، ثم يرجعون بعد ذلك إلى الله فيعذبهم في جهنم خالدين، ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ۝٢١٠﴾.

﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾[(٣)] المعنى أن الله قد أعطى

---

(١) –**سؤال:** لماذا عبّر الله بقوله: ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ۝٢٠٩﴾ بدل: سيعاقبكم، أو نحوها؟

الجواب: في التعبير بـ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ۝٢٠٩﴾:

- أن هذا التعبير كناية والكناية أبلغ من الحقيقة من حيث إنها دلت على أنه تعالى سينتقم منهم، مع بيان الدليل على قدرته على الانتقام، فكأنه قال: سأنتقم منهم وأعذبهم لأني قوي غالب قادر قاهر.
- وتدل لفظة «حكيم» على أنه تعالى لا يعذب إلا من يستحق العذاب، ولا ينتقم إلا ممن يستحق النقمة من غير أن يزيد على ما يستحقه العاصي، ولا يظلم مثقال ذرة.

(٢) –**سؤال:** ما معنى «هل» في الآية؟

الجواب: معنى «هل» النفي.

(٣) – **سؤال:** لو أعربتم: ﴿كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ﴾ ؟ وهل يصح أن يكون قوله: «آية» مفعولاً ثانياً لـ«آتينا» دخلت عليه «من» الزائدة أم أنه تمييز فقط؟

الجواب: كم: اسم استفهام مبتدأ، وجملة آتيناهم خبر «كم»، والعائد محذوف، والتقدير: آتيناهم إياه، والجملة في محل نصب مفعول ثانٍ لسل، وعلق عن العمل لأن السؤال سبب في حصول العلم، و﴿مِنْ آيَةٍ﴾: تمييز لكم، ودخلت «من» على التمييز لوجود الفصل بين «كم» وتمييزها، وفي إعراب ما ذكرنا خلاف، وقد عقد في المغني لإعراب هذه الآية فصلاً صغيراً. ووجه آخر في إعراب الآية: كم: اسم استفهام في محل نصب مفعول به ثان لـ«آتيناهم». آتيناهم: فعل وفاعل ومفعول به أول. من آية: تمييز «كم». وهذا الإعراب

=

بني إسرائيل نعماً كثيرة وعظيمة، وأراهم الكثير من آياته البينات، فكان من المفروض أن يكونوا أول من يستجيب لرسل ربهم الذي أولاهم ذلك الفضل العظيم.

﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ۝٢١١﴾ فالنبي نعمة من الله على البشر وعلى اليهود، فمن يبدل هذه النعمة بالكفر، فسيلقى جزاء كفره الذي أعده الله للكافرين.

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾[١] الحياة الدنيا مزينة في قلب كل واحد، غير أن هؤلاء الكفار قد اغتروا بهذه الزينة التي في قلوبهم وألهتهم عما زينه الله لهم من الدين والثواب، وإلا فإن الله قد زين الدنيا في قلوب الناس جميعاً، وكذلك زين لهم الآخرة وثوابها، وزين لهم الحق وهاتان الزينتان تتصارعان في قلب ابن آدم فغلبت زينة الحياة الدنيا في قلوب الذين كفروا، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ...﴾ [آل عمران:١٤]، فحب الدنيا في قلب كل إنسان غير أن أولئك الكافرين غرتهم زينة الحياة الدنيا واتبعوها ومالوا إليها.

أولى من إعراب «كم» مبتدأ، وإنما كان هذا أولى لعدم الاحتياج للتكلف لتقدير رابط، و«من آية» تمييز ولا ينبغي إعرابه مفعولاً به بتقدير زيادة «من» لأنها لا تزاد إلا بعد النفي أو ما في معناه.

(١) –**سؤال:** ما معنى التزيين في هذه الآية؟

الجواب: المعنى أن الشيطان حسّن الدنيا في أعين الكافرين وحببها إليهم، حتى مالوا إليها بكل قلوبهم، وحتى تركوا الدين الحق وأعرضوا عنه، وهذا التزيين هو زائد على التزيين الذي طبع الله عليه المكلفين المذكور في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ...﴾ الآية [آل عمران:١٤]، ومن هذا التزيين الطبيعي يجد الشيطان له مدخلاً وطريقاً على المكلفين، فإنه يحرك ذلك بوساوسه، ويزيد من نشاطه ولهيبه، ويزين له المعصية حتى يقع المكلف فيها.

﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ويحتقرونهم ويستهزئون بهم، ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ والمتقون يوم القيامة فوق الذين كفروا في أعلى عليين، والكافرون في دركات الجحيم بين أطباق جهنم.

﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴿٢١٢﴾﴾ الرزق في الدنيا ليس ميزاناً فهو يرزق الذين كفروا ويعطيهم الرئاسة والوجاهة والأموال والأولاد ولا يدل ذلك على أنهم أفضل من المؤمنين حتى يحتقروهم ويستهزئوا بهم، فالله يعطي الرزق من يشاء بغير حساب.

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ قبل أن تبعث إليهم الأنبياء هم على ملة واحدة هي ملة الكفر.

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ فبعث الله تعالى رسله إلى أهل الكفر يدعونهم إلى عبادة الله وحده وترك الكفر والشرك ويبشرون من يستجيب لدعوتهم ويؤمن بما جاءوا به بالثواب العظيم في جنات النعيم، وينذرون الكافرين بالله وبرسله بالعذاب العظيم في نار جهنم.

﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾[1] مع كل نبي كتاب ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ ويكون مرجعاً لهم يرجعون إليه عند اختلافهم.

﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ الذين نزل عليهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ بعدما وضح الحق لهم وعرفوه، ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ حسداً وعداوة لبعضهم البعض، مثل ما فعل اليهود عندما حسدوا النبي، وقالوا لماذا لم يأت منهم وأتى من العرب؟ وهم عالمون أنه حق من عند الله.

---

(١) —**سؤال:** لماذا أفرد «الكتاب»؟

الجواب: أفرد لأنه يقصد به الجنس الذي يصدق على المفرد والجمع.

سؤال: ما موضع «بالحق»؟

الجواب: موضعه النصب على الحالية من الكتاب.

﴿فَهَدَى[(١)] اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ حين يختلف الناس في الحق فالله يهدي المؤمنين لمعرفة الحق والهدى رحمة منه للمؤمنين.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ﴾[(٢)] قال الله للمؤمنين: أتظنون أنكم ستدخلون الجنة بغير معاناة وتعب؟ كلا؛ بل لا بد من التمحيص والابتلاء والفتن حتى يتبين من هو الثابت على الإيمان، من المتزلزل فيه مثل ما جاء على الذين من قبلكم مستهم البأساء والضراء، وحصلت لهم شدائد زلزلتهم عن ثباتهم واستمرت وطالت ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾ فاستبعدوا واستبطأوا النصر حتى قالوا: متى يأتينا النصر[(٣)]؟

---

(١) —**سؤال:** ما معنى الفاء في قوله «فهدى»؟

الجواب: دلت الفاء على أن هداية الله للمؤمنين حصلت بعد الاختلاف من غير تريث.

سؤال: ما المقصود بالهداية في هذه الآية؟

الجواب: المراد بهداية الله هنا هو التوفيق والتنوير.

سؤال: إذا قال قائل بأن قوله: «بإذنه» يدل على أن الله أذن وأجاز الاختلاف، فكيف أرد عليه؟

الجواب: اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون المكلف مختاراً في فعل ما كلف به وترك ما نهي عنه، فنتج عن ذلك حصول الاختلاف، وحصول الطاعة والعصيان، وذلك مسبب عن الاختيار الذي أذن الله فيه وجعله للمكلفين، فاستعمل الإذن في المسبب وهو في الحقيقة للسبب.

(٢) —**سؤال:** ما معنى «أم» في قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾؟

الجواب: تفسر «أم» بـ(بل والهمزة)، والتقدير: بل أحسبتم.

سؤال: ما المراد بـ«من قبلنا» في قوله: «من قبلكم»؟

الجواب: هم أنبياء بني إسرائيل وأتباعهم المؤمنون.

(٣) —**سؤال:** علام يخرَّج فعل الرسول والمؤمنين في استبعاد النصر والتشكك فيه؟

الجواب: قوله: ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾ كناية عن انهيار صبرهم ونفاده، والطلب من الله للفرج أو للمزيد من الصبر، وليس المقصود بـ﴿مَتَى =

﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ لا بد من النصر ولكنه لا يأتي إلا بعد محن وشدائد؛ لأجل أن يظهر الناس على حقيقتهم، ويتميز الصادق من الكاذب، وتبين مراتبهم في الدين.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ قالت الصحابة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ماذا ننفق؟ ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ أيُّ خيرٍ تنفقونه ﴿فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾ فليس المشكلة أن تنفقوا، ولكن المهم أين تضعون النفقة، فلم يخبرهم ماذا ينفقون؟ هل الذهب أم الفضة أم الخيل أم البقر؟ بل أخبرهم أين يضعونها[1].

﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ[2] فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾ لا يضيع عند الله وإن كان شيئاً قليلاً.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾[3] أوجب الله عليكم أيها المؤمنون القتال وألزمكم به وحتمه عليكم، وهو تكليف ثقيل عليكم تنفر أنفسكم عنه

﴿نَصْرُ اللَّهِ﴾ استبعاد النصر والتشكك فيه، وإنما أرادوا تعجيل النصر لانهيار صبرهم ونفاده؛ لطول الشدائد عليهم.

(١) –**سؤال:** ما الحكمة في إخبارهم أين يضعونها، وهم قد سألوا عن المُنْفَق ما هو؟

الجواب: الوجه هو تنبيه المخاطبين إلى ما هو الأهم، فنبههم تعالى إلى موضع الصدقة الذي هو أهم مما سألوا عنه.

سؤال: ما موضع «ما» في قوله: ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ﴾؟

الجواب: موضعها النصب على أنها مفعول به، والتقدير: أي نفقة أنفقتم.

(٢) –**سؤال:** ما الوجه في دخول «من» في قوله: ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ في الآيتين؟

الجواب: أدخلت «من» في الآيتين لبيان الإبهام الكامن في «ما» الشرطية.

(٣) –**سؤال:** كيف صح الإخبار بـ«كره» عن الضمير «هو»؟

الجواب: وضع المصدر موضع «مكروه» للمبالغة في شدة كراهتهم للقتال، فصح الإخبار به عن الضمير.

وتكرهونه، مع أن لكم في هذا التكليف مصالح عظيمة ومنافع كبيرة في دينكم ودنياكم وعاقبة أمركم.

﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ فإنهم إذا قعدوا عن القتال فسيستولي عليهم العدو ويقتلهم ويسبي ذراريهم.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴿٢١٦﴾﴾ فهو عالم بعواقب الأمور وما تصير إليه.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ المشركون يسألون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كيف القتال في الشهر الحرام؟ فقال الله للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾[1] القتال فيه معصية كبيرة عند الله، ولكن هناك شيء أكبر منه وهو: ﴿وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فهو أكبر ﴿وَكُفْرٌ بِهِ﴾ وأنتم تكفرون بالله وهو أكبر، ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وتصدون عن المسجد الحرام فتمنعون الحج والعمرة، ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ[2] عِنْدَ اللَّهِ﴾ إخراج أهل الحرم عن الحرم هو أكبر من القتال في الشهر الحرام بمعنى أن الله قال للمشركين: إن صدكم للناس عن الإسلام وصدكم لهم عن المسجد الحرام وإصراركم على الكفر بالله وبرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وطردكم للنبي والمسلمين من المسجد الحرام كل ذلك هو أعظم وأكبر جرماً عند الله من القتل في الشهر الحرام الذي صدر من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خطأً.

﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ فتنتكم للناس عن الإسلام فمن أسلم عذبتموه حتى يكفر، فهذا أكبر من القتل في الشهر الحرام، يستنكرون على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حين قتل أصحابُه الكفارَ في أول رجب وهو من الأشهر الحرم ظناً منهم أنهم في

---

(١) –**سؤال:** ما فائدة تنكير المبتدأ، وهو قوله: ﴿قِتَالٌ فِيهِ﴾؟

الجواب: لو عرف المبتدأ لدخل فيه ما حصل من عبدالله بن جحش، والله تعالى لا يريد دخوله في الحكم، فعدل عن التعريف إلى التنكير ليكون الحكم في قتال آخر غير ما حصل من المسلمين.

(٢) – **سؤال:** هل قوله «أكبر» خبرٌ عن المتعاطفات من قوله: ﴿وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾..إلى قوله: ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ﴾؟

الجواب: «أكبر» خبر عن المتعاطفات المذكورة.

آخر جهاد فرد الله عليهم بهذا الرد.

﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ قال الله تعالىٰ للمسلمين إن المشركين لا يزالون يقاتلونكم لا ينفكون عن قتالكم ولا يبقون حيلة ولا وسيلة حتىٰ يردوكم عن دينكم إن وجدوا إلىٰ ذلك سبيلاً فاصبروا وأعدوا نفوسكم للثبات والاستقامة علىٰ دينكم ولا ترتدوا علىٰ أعقابكم بعد أن هداكم الله للدين الحق.

﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ حذر الله المسلمين من أن يرتدوا عن دينهم، فمن ارتد منكم أيها المسلمون عن دينه ورجع إلىٰ دين المشركين ولم يتب إلىٰ الله ومات علىٰ ردته فإن الله سيدخله نار جهنم خالداً فيها، ولا ينتفع بما كان له من الأعمال الصالحة التي عملها قبل ردته؛ لأنه قد ضيعها بردته وأحبطها بكفره.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ يعني هاجروا مع النبي ﷺ من مكة إلىٰ المدينة. ﴿وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ أما الذين استقاموا علىٰ الإيمان وهاجروا إلىٰ الله ورسوله وجاهدوا فإنهم من أهل رحمة الله وثوابه ومن أهل جنته وهم الحقيقون بمغفرته.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ والميسر القمار، المسلمون يسألون النبي ﷺ عن حكم الخمر والميسر.

﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ فأجابهم أن في تعاطي الخمر والميسر إثماً كبيراً ومفاسد عظيمة وفيهما أيضاً منافع للناس إلا أن إثمهما أعظم وأكبر من منافعهما وما يحصل من المفاسد أكبر مما يحصل من المنافع[١].

(١) — **سؤال:** يقال: أيُّ منفعة في الخمر والميسر؟

الجواب: المنفعة: هي الاجتماع واللهو والطرب، وكسب المال بغير تعب.

وقد نزلت هذه الآية في أول الإسلام حين كان الإسلام ضعيفاً فلما قوي الإسلام وتمكن الدين من قلوب المسلمين جزم الله بتحريم الخمر والميسر جزماً وأمر باجتنابهما[١].

﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ المسلمون يسألون النبي ﷺ ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾[٢] يعني الفضلة الفاضلة عن حاجتك، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾ هكذا يبين الله للمسلمين أحكام دينهم ليتفكروا في رحمته بهم فيشكروه على ما هداهم.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ نزلت هذه الآية بعد نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء]، فخافوا خوفاً شديداً فسألوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إن معنا أيتاماً تحت أيدينا فكيف نعمل بهم؟ فقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾ يعني: إصلاح أموالهم خير من تركها، ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ وإذا خالطتموهم في الزاد فلا بأس فقدروا نفقتهم وضعوها بين نفقتكم وكلوا جميعاً ولا حرج عليكم بعد التحري والنظر فيما يصلح أموال اليتامى.

---

(١) – **سؤال:** تثار نقاشات حول تدريج تحريم الخمر عند بعض أصحابنا، فهل يمكن أن يستدل من هذه الآية ونحوها على التدريج؟

الجواب: في هذه الآية دليل على تدريج التحريم للخمر.

(٢) – **سؤال:** كيف نوافق بين هذه الآية وقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر:٩]؟

الجواب: هذه الآية وردت في الإنفاق في اليسر وعند الغناء، وقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر:٩]، وردت في الإنفاق وقت الشدة حين لا يجد المنفق إلا قوت يومه، فمدح الله تعالى الذي يؤثر غيره بقوته.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾[١] والله عالم بنية كل واحد؛ فتمييز اليتيم وحده بأكله وشربه يورث في نفسه شيئاً وفي ذلك مشقة فاخلطوا نفقتهم مع نفقتكم وكلوا جميعاً فهم إخوانكم، والله هو عالم بنية المفسد والمصلح.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾ لو أراد الله أن يوقعكم في المشقة والحرج لأوقعكم، ولكن يريد التيسير عليكم فجعلكم تخالطوهم.

﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾ يعني لا تتزوجوا بالمشركات أبداً حتى يؤمنّ، ﴿وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ فالأمة المؤمنة أفضل من الحرة المشركة عند الله وفي واقع الأمر.

﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ لا تزوجوا المشركين بالمؤمنات حتى يؤمنوا، ﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ والعبد المؤمن أفضل عند الله وفي واقع الأمر من الحر المشرك.

﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ فهذا هو السبب في عدم التزويج؛ لأنهم يدعون إلى النار فيدخل الفاسق لأنه يدعو إلى النار.

﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾ وإن الله تعالى يدعوكم بشرائعه وأحكامه إلى ما يقربكم من رحمته ورضوانه ودار كرامته، ويبين لكم آياته التي ترشدكم إلى طريق الجنة والمغفرة.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ المسلمون سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الحيض يأتي النساء، فقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ فلا تقربوهن فتتأذى صحتكم، وهو قذر يجب الابتعاد عنه.

---

(١) – **سؤال:** هل يصلح أن يكون تفسير «يعلم المفسد من المصلح»: يميز من يريد إصلاح أموال اليتامى ممن يريد إفسادها؟

الجواب: هو بمعنى: يميز فيثيب المصلح، ويعاقب المفسد.

﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ من الحيض ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ اغتسلن بالماء بعد الحيض ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ فقد جاز لكم وطؤهن؛ فلا بد أن تطهر المرأة من الحيض ثم تتطهر بالاغتسال. والمراد بـ«من حيث أمركم الله»: المحل الذي يؤتى منه وهو القُبُل؛ لأنه محل الحرث.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴿٢٢٢﴾﴾ الذين لا يقاربون الأقذار، ومعنى يحب: يثيب، ويحب الذين يتوبون إلى الله بعد الزلة.

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ مثل الجربة يزرع المرء فيها ويحصد الثمر وثمر المرأة الولد.

﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ كيف شئتم من خلف ومن قدام، المهم هو أن يأتي موضع الحرث، ولا يأتي غيره.

﴿وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ فإذا نوى المرء نية صالحة وأراد الولد الصالح فله الأجر في ذلك.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ لا تخالفوا تعليماته، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ﴾ يجازيكم على أعمالكم. ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴿٢٢٣﴾﴾ الذين يعملون بتعاليم الله تعالى بالثواب العظيم.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ لها تفسيران: فلا ينبغي أن يحلف المرء كلما عرض له أمر، بل يعظم الله بترك الحلف به، ولا يحلف به إلا للضرورة.

وبعضهم يفسره بأن يحلف المرء أن لا يعمل براً فيقول مثلاً: والله لا أصل رحمي أو لا أدخل المسجد أو نحو ذلك؛ فلا ينبغي له أن يترك عمل البر لأجل يمينه، والذي ينبغي له: أن يكفِّر ويعمل ذلك البر.

﴿أَنْ تَبَرُّوا﴾[1] أي: لا تجعلوا اليمين حاجزاً عن عمل البر، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ

---

(١) ‒**سؤال:** ما موضع ﴿أَنْ تَبَرُّوا﴾ الإعرابي؟ وما تقدير معناه على ذلك الإعراب؟

الجواب: التقدير على التفسير الأول: لأن تبروا، أي: لتكونوا من أهل البر، وعلى التفسير الثاني: كراهة أن تبروا، أو لئلا تبروا. فـ«أن تبروا» مجرور على التفسيرين، والمعنى مختلف.

عَلِيمٌ﴿٢٢٤﴾﴾ سميع لأقوالكم وعليم بأفعالكم.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ بعض الأيمان لا كفارة فيها وهي يمين اللغو، وهي: أن يحلف الإنسان ظناً منه أنه صادق في يمينه كأن يحلف أن فلاناً في البيت ظناً منه أنه في البيت ثم انكشف خلاف ذلك فهذه لا كفارة فيها.

﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ كأن يحلف لا أفعل ذلك الفعل ثم يفعل، وتسمى المعقودة، وفيها الكفارة(١).

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴿٢٢٥﴾﴾ يتجاوز عن أخطاء عباده إذا أخطأوا، وهو عالم أن هناك زلات تصدر من المسلم، وأن الإنسان يخطئ، لكن لا يصر المرء على الذنب، بل يتوب ويرجع إلى الله، ولا يستكبر من التوبة.

وهناك اليمين الغموس وهي: أن يحلف المرء بالله كاذباً وهو يعلم أنه كاذب في يمينه إما ليقتطع بها حق مسلم، وإما لسبب آخر، فهذه لا كفارة لها، وهي من كبائر الذنوب، وسميت غموساً لأنها تغمس صاحبها في النار، وهي توجب سخط الله وعذابه، فلا بد أن يتوب المرء منها، ويرد الحق الذي أخذه بسببها.

﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴿٢٢٧﴾﴾ جعل الله مهلة للذي يحلف من زوجته أربعة أشهر بعد هذه اليمين -هذا إن طالبته عند الحاكم- وبعد الأربعة الأشهر إذا رافعته إلى الحاكم إما أن يرجع إليها ويكفر عن يمينه، أو يطلق؛ فيلزمه الحاكم باختيار أحد الأمرين، ومعنى الإيلاء: أن يحلف الزوج أن لا يجامع امرأته مدة من الزمان تكون أكثر من أربعة أشهر أما إذا حلف منها أربعة أشهر فما دون فليس بإيلاء، ومعنى الفيء: الرجوع.

---

(١) -**سؤال:** هل معنى المؤاخذه لزوم التكفير، أو العقاب على الحنث؟

الجواب: الحنث ذنب وتمحوه الكفارة، فالمؤاخذة هي لزوم الكفارة لتغطية الذنب.

وإن لم تطالبه فلا يلزمه الطلاق، لكنه يأثم؛ فمن حلف لا وطئ زوجته سنة – مثلاً– فله مهلة أربعة أشهر ثم تطالبه الزوجة، وإذا رجع إلىٰ زوجته فإن الله غفور رحيم، وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم.

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ المرأة تعتد من الطلاق ثلاث حيض إن كانت من ذوات الحيض، وإن لم تكن من ذوات الحيض فثلاثة أشهر كأن تكون ضهياء أو صغيرة لم يأتها الحيض أو كبيرة قد انقطع حيضها.

وإن كان منقطعاً كأن تكون مرضعة أو نحوه فتنتظر حتىٰ يأتيها الحيض ثم تعتد به، ويلزم الزوج نفقتها حتىٰ يأتيها الحيض وتعتد– بالغة ما بلغت[١].

﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فلا يحل للمطلقة كتم الحيض أو الولد، بل يجب عليها أن تخبر بحملها إن كانت حاملاً، وبوقت انقضاء الحيضة الثالثة.

﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ فزوجها أحق بمراجعتها في فترة العدة، وذلك إن أرادوا إصلاحاً لا لأجل أن يضيق عليها بأن ينتظر حتىٰ قرب انتهاء العدة ثم يراجعها ثم يطلقها من أجل أن يطوِّل عليها العدة، فهذا لا يجوز للزوج، ولا يجوز له أن يراجعها إلا إذا كان ثمة رغبة في الرجوع إلىٰ المعاشرة بالمعروف.

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ لها من الحقوق علىٰ زوجها مثل ما عليها للزوج؛ فللزوج عليها حقوق، ولها عليه حقوق، ولكن حق الرجل أكثر من حقها وهذا معنىٰ قوله: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ بما فضل الله بعضهم علىٰ بعض.

---

(١) –**سؤال:** هل أخذ هذا الحكم من ظاهر الآية؟ أم من أين مأخذه؟

الجواب: التربص ثلاثة قروء هو لذوات الحيض، والتي ينقطع عنها الحيض للرضاع هي من ذوات الحيض، وحينئذ فتكون داخلة في ظاهر العموم.

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٢٨﴾ فلا تخالفوا أمره فهو معاقبكم إن عصتموه فيما فصله لكم من شرائعه وأحكام دينه.

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ الطلاق الذي يصح مراجعتها فيه مرتان، فأما الطلاق الثالث فقد بانت به الزوجة وانقطعت الصلة فلا تصح المراجعة.

﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾(١) فإذا أراد مراجعتها فلا يراجعها إلا إذا كان مريداً للمعاشرة بالمعروف بين الناس، وإلا فيسرحها بإحسان فلا يراجعها لأجل أن يضيق عليها.

﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ إذا أراد الإنسان أن يفارق زوجته فلا يحل له أن يأخذ من المهر شيئاً لأنه قد استوفى منها إلا أن يخاف كل من الزوجين عدم القيام بحقوق الآخر فيحل كما سيأتي.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾(٢) إذا كانت الزوجة كارهة ولم تستطع أن تقيم حدود الله مع زوجها، ولا تؤدي حقوقه، والزوج محب لها، ولا يريد مفارقتها، فلا جناح عليها أن تفتدي نفسها بشيء مما أعطاها، لا أكثر من ذلك، فترد له ذهبه وملابسه التي قد أعطاها، وكل ما خسر.

---

(١) –**سؤال:** يستدل أهل المذهب على أنه لا طلاق ثانياً وثالثاً إلا بعد الرجعة، وأن التسريح هو التطليقة الثالثة، وأنه لا يصح إلا بعد الإمساك، فمن أين أخذوا ذلك؟ وظاهر الآية لا يدل على ما قالوا.

الجواب: التطليقة الثالثة هي قوله: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ..﴾ وقد قدم قبلها قوله: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ وأخذ قولهم أنه لا يكون الطلاق الثاني إلا بعد الرجعة من ظاهر قوله: «الطلاق مرتان...» فإن الطلاق هو حَلّ عقد النكاح الرابط بين الزوجين، ولا يمكن حله مرة ثانية إلا بعد إرجاع الرابطة بين الزوجين وذلك بالرجعة في العدة أو بالعقد بعد مضي العدة.

(٢) –**سؤال:** ما فائدة التكرير في قوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾؟

الجواب: الفائدة هي التنبيه على أنه لا يجوز للأزواج أخذ شيء مما أعطوه للنساء إلا إذا عرفوا نشوز المرأة عن زوجها، والتكرير سيخفف الطمع.

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴿٢٢٩﴾﴾ هذه التعاليم التي فصلها الله تعالى في تلك الآيات هي حدود حدها الله لكم أيها المؤمنون فالتزموا بها ولا تتجاوزوها ولا تخالفوها، ومن يخالف تعاليم الله وأحكامه فقد ظلم نفسه، وعرضها لسخط الله وعذابه.

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ فإن طلق الزوج زوجته الطلقة الثالثة ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ هذا الزوج الأخير ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ فإن طلقها الزوج هذا، جاز للزوج الأول أن يتزوجها إذا عرف الزوجان أنهما سيقيمان حدود الله من حسن المعاشرة والمعاملة.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴿٢٣٠﴾﴾ هذه تعاليم الله يبينها لأهل العقول الذين يفهمونها ويعرفونها.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ إذا شارفت المطلقة على انتهاء العدة ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ راجعوهن بمعروف، وذلك إذا أردتم الزواج والمعاشرة الحسنة.

﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أو اتركوا مراجعتهن إن لم يكن لكم رغبة فيهن، ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا﴾ لأجل أن يضيق عليها بأن ينتظر حتى قرب انتهاء العدة ثم يراجعها ثم يطلقها من أجل أن يطوِّل عليها العدة، فهذا لا يجوز للزوج، ولا يجوز له أن يراجعها إلا إذا كان ثمة رغبة في الرجوع إلى المعاشرة بالمعروف.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾[1] فقد عصى الله وتعدى حدوده.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ فخذوا بآيات الله واعملوا بها بجد ولا تستهينوا بها، فمن ترك العمل بها فقد استهزأ وتهاون بها.

---

(١) –**سؤال:** كيف تصير المعصية ظلماً للنفس؟

الجواب: من حيث إن العاصي جلب على نفسه عقاب المعصية.

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أنعم الله عليكم بأن أنزل عليكم تعاليم الإسلام، وأرسل إليكم نبياً رحمة بكم، وأعطاه القرآن فيه هداكم وتعاليم دينكم ودنياكم، فهذه نعم عظيمة من الله تعالى فاذكروها بالشكر لله والثناء عليه وطاعته.

﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ واذكروا أيضاً ما أنزل الله عليكم من الهداية مثل هذه التعاليم التي أتت في الطلاق والمعاشرة فإنها حكمة أنزلها الله عليكم لتعملوا بها، وتستضيئوا بأنوارها.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ احذروا معصية الله ومخالفة أمره، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾ لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، فليكن الإنسان حريصاً على امتثال أمر الله فيما أمر ونهى واعلموا أنه لا يخفى على الله شيء من أعمالكم وسيحاسبكم على كل صغير وكبير.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾(١) انتهت عدتهن ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ هذا خطاب لأولياء النساء، فلا تمنعها أيها الولي من الزواج إن أتاها زوج مناسب لها، والمراد ﴿أن ينكحن أزواجهن﴾ أي: اللائق بهن فأما غير المناسب فله المنع(٢).

﴿ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الذي ينتفع بهذه المواعظ ويعمل بها هو المؤمن بالله، والمصدق بالبعث والجزاء.

﴿ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ يعني أن تزويجهن أزكى وأطهر لكم أيها الأولياء لئلا يحصل من المرأة ما يلطخ الأعراض.

---

(١) – **سؤال:** ما الفرق بين «بلغن أجلهن» هنا، و«بلغن أجلهن» في الآية السابقة؟ حيث حمل هناك على المشارفة وهنا على الانتهاء؟

الجواب: الفرق هو القرينة الدالة على المشارفة في الآية السابقة، وعلى الانتهاء في هذه الآية.

(٢) – **سؤال:** هل يصح أن يحمل على زوجها الأول، ويكون نكاحها بعقد جديد؟

الجواب: لا مانع من حمل ذلك على زوجها الأول وعلى غيره، وهو الأولى.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴿٢٣٢﴾﴾ فهو عالم بعواقب الأمور وبما تصير إليه، وهو عالم أن هذا الفعل أحسن للإنسان وأشرف وأطهر.

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ مدة الرضاعة ونهايتها هو سنتان وهذا إخبار من الباري تعالى ومعناه الأمر كأنه قال سبحانه: لترضع الوالدات أولادهن حولين كاملين..إلخ، ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ لمن أراد أن يستكمل مدتها ويبلغ غايتها.

﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ إذا كانت مطلقة فعليه نفقتهن أكلاً وشرباً وكسوة، والمولود له: هو الأب، ثم إن لم يكن أب فوارث الطفل.

﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فيعطي ما في وسعه وعلى حسب حاله في الفقر والغنى.

﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾ على الأب أن لا يضارر الأم بولدها بأن لا يعطي لها أجرة كاملة على الرضاع لأجل أن يأخذ الولد منها ويعطيه لغيرها، بل عليه أن يعطيها مثل ما يعطي غيرها، وكذلك هي لا تضارر فتطلب أجرة زائدة على إرضاعه، فليس لها ذلك، ولا يجوز لها أن تُعسِّر وتشد على الأب.

﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ وعلى الوارث للولد من الأجرة مثل ما يلزم أباه، وذلك إذا لم يكن له أب فعلى وارثه أن يؤدي أجرة الحضانة والنفقة.

﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ إذا أراد الأب والأم أن يفصلا الرضيع عن الرضاعة قبل استكمال السنتين فلهما ذلك مع مراعاة مصلحة الرضيع.

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ إذا أردتم أن تضعوا أولادكم عند المرضعات غير أمهاتهم فلا حرج عليكم.

﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ إذا أعطيتم لأمه الأجرة المعروفة على إرضاعه فأبت، فللأب أن يأخذه منها ويعطيه غيرها.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فهو رقيب عليكم، ومحاسبكم، وعالم بما إذا كان الزوج يريد الضرر بزوجته.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴿٢٣٣﴾﴾ مطلع على أعمالكم فاحذروا أن تخالفوه وتعصوه فيما أمركم.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ إذا مات الزوج فتعتد المرأة أربعة أشهر وعشرة أيام، فلا تتزين، ولا تتعرض للخطاب في مدة التربص، ومعنى التربص: الانتظار أي أن على المطلقة أن تكلف نفسها انتظار هذه المدة.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ تمت العدة، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ فإذا أتمت العدة فاتركوها تتزين وتعرض نفسها للخطاب ولا تمنعوها إذا كان بالمعروف بين الناس، وهو أن يكون بشرف وحشمة.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴿٢٣٤﴾﴾ فلا تمنعوهن، وعليهن أن لا يتجاوزن الحدود، فالله مطلع عليكم، وشاهد على أعمالكم، وسيجازيكم إن خرجتم عن حدوده.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ فلا جناح عليكم أيها المسلمون إذا كان هناك امرأة توفي زوجها أن تلمحوا لها بالرغبة فيها، ولا حرج عليكم فيما سترتم في صدوركم من الرغبة في الزواج بالمتوفى عنها والعزم على خطبتها والزواج منها، والمراد بالتعريض: الإشارة فقط، ﴿أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: نويتم في أنفسكم أن تتزوجوهن.

﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ ولكن لا يصرح لها بكلام سيء أو بما يرغبها، بل يقول قولاً معروفاً وهو التعريض، والتلميح فقط.

﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ لا تعقدوا على المتوفى عنها عقد النكاح حتى تستوفي أربعة أشهر وعشراً.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ لا تخالفوا أوامره وتعاليمه فهو عالم بالضمائر، وسيجازي من أسرف وتجاوز الحدود.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴿٢٣٥﴾﴾ فهو يغفر، لكن لمن له نية في طاعة الله.

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ إذا تزوج الرجل بالمرأة وطلقها ولم يكن قد حدد لها مهراً ولا مسها فليس عليه مهر، ولا عليها عدة، ولكن لها متعة وهي: ﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴿٢٣٦﴾﴾ وهي لازمة، وأقلها كسوة مثلها من مثله فإن كان موسراً فكسوة أمثاله من الموسرين، وإن كان معسراً فكسوة معسر مما هو معروف عند النساء.

﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ إذا طلقها الزوج قبل أن يدخل بها، لكن قد حدد المهر فلها نصفه، ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي[1] بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ إلا أن تعفو الزوجة أو يعفو الزوج كأن يكون قد سلمها المهر كله، فيعفو عنها، أو لم تكن الزوجة قد استلمت شيئاً ثم تعفو.

﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ فهو أحسن إذا كان قد أداها فيعفو عنها، وإن لم تكن قد أخذت منه شيئاً فتعفو عنه، فذلك هو الأحسن عند الله.

﴿وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴿٢٣٧﴾﴾ فلا تنسوا الإحسان فيما بينكم بأن تقولوا: قد انقطع فيما بيننا فلا أعفو عنها، وهي تقول كذلك، بل ينبغي أن لا يزال الإحسان بينهما موصولاً[2].

---

(١) – قد يحمل بعض العامة قوله: «الذي» على الأب أو الولي العاقد بالمرأة فهل يصح أم لا؟

الجواب: هو مذهب بعض العلماء، فقد حملوا ذلك على الولي، ولكن الأولى هو ما ذكرنا.

(٢) – **سؤال:** قد يقال: أي إحسان بينهما وهما لم يكونا قد التقيا؟

الجواب: فرض المهر للزوجة وقبولها له ورضاها ببذل ما قابل المهر لزوجها كل ذلك إحسان يقابله إحسان، مع ما اقتضاه عقد النكاح من الحرمة والصلة التي أوجب الشرع مراعاتها.

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴿٢٣٨﴾﴾ أمرنا بالحفاظ على الصلوات الخمس، ومن ذلك المحافظة على: إسباغ الوضوء، وستر العورة، واستقبال القبلة، وتأدية أذكارها وأركانها.

«والصلاة الوسطى» قال الإمام الهادي عليه السلام: إنها صلاة الجمعة وفي باقي الأيام الظهر، وفيها مذاهب كثيرة، فبعضهم قال: صلاة العصر، وبعضهم: العشاء، وبعضهم: الفجر، ففيها مذاهب كثيرة قريباً من ثلاث عشرة رواية، ورواية الإمام الهادي هي أصح الروايات عندنا.

والوسطى تعني الفضلى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ [القلم:٢٨]، يعني أفضلهم، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:١٤٣]، يعني: أفضل الأمم.

﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴿٢٣٨﴾﴾ القنوت له عشرة معان أو نحوها منها: الخضوع، والدعاء، والقيام، والمعنى: قوموا لله بتأدية ما فرضه عليكم مذعنين لأمره متواضعين لعظمته خاشعين لربوبيته.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ إذا حضرت الصلاة وأنتم في حال خوف بأن تكون الحرب قائمة، ﴿فَـ﴾ صلوا ﴿رِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ فصلوا وأنتم تقاتلون مترجلين أو راكبين على الخيل ولو لم يحصل استقبال، فيكفي التكبير وذكر الله تعالى إذا تعذر الركوع والسجود والاستقبال.

﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴿٢٣٩﴾﴾[1] إذا ذهب الخوف فصلوا الصلاة التي أمركم الله بها وعلمكم إياها بكامل فروضها.

---

(١) –**سؤال:** هل يصح الاستدلال بهذه الآية على قضاء صلاة المسايف؟

الجواب: ليس فيها دليل على القضاء.

سؤال: ما موضع قوله «كما» من الإعراب؟

الجواب: الجار والمجرور محله النصب بحلوله محل المفعول المطلق.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾[١] هذه الآية منسوخة نسختها الآية السابقة: ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾، كان في أول الإسلام إذا مات الزوج تمكث الزوجة في العدة سنة كاملة، ينفقون عليها سنة كاملة، ثم نسخ الله هذا الحكم وجعل مكانه أربعة أشهر وعشرا.

﴿فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾ فإذا تعرضن للخطاب بعد السنة فاتركوهن، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾ وهذه الآية كما قلنا قد نسخت[٢].

﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾ المتاع هذا عام، فمنه الكسوة مثل كسوة مثلها، ولها النفقة ينفق عليها ثلاثة قروء، وكذلك إذا لزمه المهر أو نصف المهر فاسمه متاع[٣].

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾ يبين لكم أحكام دينكم ومعاملاتكم لأجل أن تفهموا عن الله وتعملوا بشرائعه وأحكام دينه.

---

(١) –**سؤال:** علام نصب قوله: «وصية»، وكذا: «متاعاً»؟

الجواب: «وصية» منصوب على أنه مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره: يوصون، و«متاعاً»: بدل منه.

(٢) – **سؤال:** هل يصح الاستدلال بالآية على أن النسخ يصح ولو كان الناسخ متقدماً في الترتيب القرآني؟

الجواب: ترتيب القرآن ليس على ترتيب النزول، فيصح أن ينسخ المتقدم في الترتيب المتأخر فيه، والآية دليل على ذلك.

(٣) –**سؤال:** هل يكون السكنى من المتاع؟ فما الذي أخرجه في حق المثلثة؟

الجواب: السكنى والنفقة من المتاع إلا أن المثلثة خرجت من استحقاق السكنى؛ لأنها صارت بالثلاث أجنبية، لا يجوز لها مساكنة زوجها في مسكن واحد.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴿٢٤٣﴾﴾ هؤلاء قوم هربوا من الموت ثم إن الله أماتهم ليعلموا أنه لا مفر من الموت، وفي ذلك حث على الجهاد في سبيل الله، وأنه لا مفر من الموت ففي هذه الآية أخبرنا الله تعالى بقصة مضت في الأمم السابقة من بني إسرائيل، وهم أهل قرية خرجوا من ديارهم هرباً من الموت فلقيهم الموت وهم خارجون ثم إن الله تعالى أحياهم بعد موتهم، وهذه الآية مختصة ببني إسرائيل وهي الإماتة ثم الإحياء وذلك فضل من الله تفضل به عليهم، ونعمة لم يولها أحداً غير بني إسرائيل، وقد قص الله علينا هذه القصة ليعلمنا أنه لا مفر من الموت، وليحثنا على الجهاد في سبيله.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴿٢٤٤﴾﴾ أمر الله المسلمين بالقتال في سبيله، فهو العالم بأعمالكم وأفعالكم فاحذروه فسيجازيكم إن لم تمتثلوا لأمره.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ يعني بالقرض: الإنفاق في سبيل الله، وفي الجهاد، وفي تجهيز المجاهدين، وفسرناها بهذا إذ سيقت في سياق الجهاد في سبيل الله، وإلا فالإنفاق يضاعفه الله تعالى على أي وجه وقع إذا كان المراد به وجه الله تعالى، فالنفقة في سبيل الله تضاعف إلى سبعمائة ضعف لمن صدقت نيته، وخلصت لوجه الله.

﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴿٢٤٥﴾﴾ الله يبتليكم بالفقر والغنى، يعني يكلفكم بالنفقات لأجل أن يختبركم وإلا فهو قادر على أن يغنيكم جميعاً، وهذا الاختبار من الله تعالى لأجل أن يتميز ضعيف الإيمان من القوي وإلا فالله غني وقادر أن يغني الناس جميعاً، وأن يغني رسوله ﷺ عن معاونة المسلمين.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ كان في شرائع بني إسرائيل أن النبي ليس مسؤولاً عن القتال، وإنما يوحى إليه بأن ينصب ملكاً يتولى القتال والجهاد.

والملأ: هم الأشراف والوجهاء، أتوا إلى نبيهم فقالوا: نريد ملكاً نقاتل في سبيل الله، ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ كيف لا نقاتل، ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ والحال أن العدو قد دخل بلادنا واستولى عليها.

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ فحصل منهم ما توقعه منهم نبيهم.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴿٢٤٦﴾﴾ عالم بالذين تمردوا عن الجهاد وسيجازيهم.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ اختاره الله لكم قائداً يقودكم لقتال عدوكم.

﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ كيف يكون ملكاً علينا؟

﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ فهو فقير وليس من بيت الملك والقيادة ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾ اختاره بعلمه وحكمته، وعلم أنه أهل للقيادة والولاية.

﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ وعنده علم ومعرفة بالأحكام الشرعية وعلم بإدارة الحروب وأساليب القتال، وأعطاه الله جسماً كاملاً يملأ القلوب مهابة.

﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ فلا دخل لكم.

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴿٢٤٧﴾﴾ فهو واسع ملكه، يختار من يشاء من أهل مملكته، وعالم بمن يصلح للملك والقيادة.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾[1] التابوت: هو من بعد موسى وهارون. ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ إذا رأيتموه تأتيكم طمأنينة في

---

(١) –**سؤال:** هل التابوت صندوق أم ما هو؟

الجواب: التابوت صندوق معروف عند بني إسرائيل ومشهور بينهم، إلا أنه في عصر طالوت لم يكن موجوداً عند بني إسرائيل، والدليل على أنه كان مشهوراً مذكوراً بينهم تعريفه بـ«ال» العهدية.

القلب، ويزول الخوف، وتستطيعون القتال بثبات، وقد جعل الله ذلك آية وعلامة تدل بني إسرائيل على أن طالوت هو القائد والملك الذي اختاره الله لقيادة الحرب.

﴿وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَى وَءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ فيه آثار من بعد موسى وهارون والله أعلم ما هي؛ أهي صحف أم عصا موسى؟ لم يحددها الله، وهناك روايات إسرائيلية لا يوثق بها.

﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ حملت الملائكة التابوت وجاءت به إلى بني إسرائيل ورأوا التابوت حين أتى إليهم آية من الله لهم ومعجزة لنبيهم عليه السلام وقد تكاثرت آيات الله لبني إسرائيل نعمة منه تعالى خصهم بها لم يؤتها غيرهم.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾ إن كنتم مصدقين فهذه علامة واضحة لكم على أن الله قد اختاره ملكاً عليكم، ولكن كان العنادُ عادتَهم، والتمردُ ديدَنهم.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ فلما خرج طالوت من البلاد هو والمقاتلون وسار بهم، ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾[1] تخوضونه وتمرون من بينه في طريقكم، ويبتليكم بالعطش في هذا النهر، ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾[2] اختباراً لهم لكي يبين الخبيث من الطيب؛ لأنه لا يريد أن يقاتل إلا بالأخيار، ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ فهذا لا حرج عليه.

﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ فشرب أكثرهم من النهر، ولم يصبر منهم إلا القليل، قيل: إن عددهم ثلاثمائة وثلاثة عشر عدد أهل بدر.

---

(١) -**سؤال:** هنا «نَهَر» مفتوح الهاء فهل هو النهر لا غيره؟

الجواب: هو النهر الذي يجري فيه الماء لا غير، قال تعالى: ﴿فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾﴾ [القمر]، بالفتح.

(٢) -**سؤال:** ما معنى قوله: ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾؟

الجواب: معناه فليس من جندي الذين أقاتل بهم عدوي.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ الذين لم يشربوا، ﴿قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ عندما رأوا الكثرة في عدوهم هابوا وخافوا وقالوا لقائدهم طالوت: لا طاقة لنا اليوم بقتال عدونا جالوت وجنوده لكثرة عددهم وقلتنا.

﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ فقال أهل البصائر في الدين: كثيراً ما ينتصر القليل على الكثير فأخلصوا لله وارجوه واسألوه المعونة والنصر فإن الله يؤيد الصابرين بمعونته ونصره[1].

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ[2] عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وهذا هو المفروض: أن يلجأ المجاهدون إلى الله ويعتمدوا عليه لا إلى كثرتهم وقوتهم، فالنصر من عند الله فأنزل الله عليهم النصر والمعونة لالتجائهم إلى الله وإخلاصهم له.

﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾ كان نبي الله داود عليه السلام أحد الجنود الذين خرجوا للقتال تحت إمرة القائد طالوت ولم يكن نبياً حين خرج مع طالوت، بل لم يكن له ذكر ولا شأن في ذلك الوقت، وقد وفق الله تعالى داود لقتل ملك عدوهم واسمه جالوت فشاع ذكر داود وارتفع شأنه ورمقته الأبصار، وكان ذلك بتدبير الله تعالى لما يريده الله سبحانه لداود من شرف النبوة والملك.

---

(١) –**سؤال:** كيف مدح إيمانهم باليوم الآخر مع أنه عبر عنه بيظنون؟

الجواب: ارجع إلى تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

سؤال: ما موضع «كم» الإعرابي في قوله: «كم من فئة»؟

الجواب: موضعها الرفع على الابتداء.

(٢) –**سؤال:** ما هو الإفراغ المقصود في الآية؟

الجواب: سألوا الله تعالى أن يصب عليهم الصبر صباً؛ لحاجتهم إلى الصبر الكثير في مواجهة عدوهم.

﴿وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ ثم إن الله تعالىٰ أعطىٰ داود عَلَيْهِ السَّلَامُ شرف النبوءة وأوحىٰ إليه بشرائع الدين وأحكامه التي أوحاها إلىٰ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وأوحىٰ إليه بالزبور زيادة علىٰ أحكام التوراة، وعلمه من أنواع العلوم التي ليست في التوراة ولا في الإنجيل من ذلك علم استخراج المعادن، وعلم صناعتها، ومع ذلك فقد أعطاه الله الملك والسلطان في الدنيا، وكان سلطانه في بلاد الشام.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ إن الله سبحانه يدفع شر بعض الناس ببعض بأن يغري بعضهم ببعض، ويسلط بعضهم علىٰ بعض؛ ليسلم أولياء الله من شرورهم وفسادهم.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ في تسليط بعضهم علىٰ بعض، وهذا فضل من الله ونعمة علىٰ أوليائه وعباده الصالحين.

﴿تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ هذه آيات الله يتلوها علىٰ نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهي حق وصدق.

﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾ فلا يكبر عليك تكذيب قومك فتكذيبهم لك لا ينقص منزلتك.

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾[1] منازل رسل الله كلها رفيعة بل هي غاية ما تنتهي إليه منازل البشر في الرفعة عند الله تعالىٰ، ورسل الله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وإن كانت منازلهم رفيعة فإنهم يتفاضلون في تلك المنازل فبعضهم أرفع من بعض، وذلك التفضيل هو بفضل الله ورحمته وعلمه وحكمته، منهم موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد اختصه الله تعالىٰ بفضيلة الكلام ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء]، ومنهم عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد اختصه الله تعالىٰ بإحياء الموتىٰ وإبراء الأكمه والأبرص وكان يصور تمثال طير من الطين فينفخ فيه فيطير.

---

(١) –**سؤال:** ما هو روح القدس الذي أيد به عيسىٰ؟

الجواب: هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ونبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو أفضل الأنبياء والرسل وأرفعهم منزلة لفضائل اختصه الله تعالى بها، فمنها: أن الله تعالى أرسله إلى الناس كافة، ومن قبله من الأنبياء يبعث كل منهم إلى قومه خاصة.

ومنها: أن أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خير الأمم.

ومنها: أن شريعته نسخت شرائع الأنبياء، وهي باقية لا تنسخ إلى يوم القيامة.

ومنها: أن الله تعالى أعطاه القرآن الذي لا يقدر المبطلون على تحريفه وتصحيفه وتغييره وتبديله ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت]، فهو باق كما أنزل إلى أن تقوم الساعة.

ومنها: أن محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أكثر الأنبياء أتباعاً إلى يوم القيامة.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ جاء من بعد الأنبياء أمم تتقاتل فيما بينها، ولو أراد الله لمنعها القتال بالقهر، ولكنه خلاها وشأنها، وسيجازيهم يوم القيامة ويحكم بينهم فيما اختلفوا فيه.

قال سبحانه: ﴿وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ وتقاتلوا فيما بينهم، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾(١) من التخلية بين المكلفين ليرتب على ذلك الثواب والعقاب.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ على الأقل الزكاة، ونفقة الأولاد والأبوين العاجزين، ونحوها.

﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ﴾ فلا بيع يوم الحساب ولا

---

(١) –**سؤال:** ما فائدة تكرير قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾؟

الجواب: كرر الله تعالى ذلك ليقرر في نفوس المكلفين أن حكمة الله اقتضت التخلية بين عباده، واقتضت أن لا يمنعهم من القتال، وكرر ذلك وأكده لهم لما في نفوسهم من كراهة سفك الدماء، وتصور قبحه، فكان المقام يقتضي التأكيد.

شراء[١]، ولا صداقة، ﴿وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ يشفع أحد لأحد، ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾[٢] هم الذين ظلموا أنفسهم وبخسوها حظها، وأوبقوها في سخط الله.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ حي قيُّوم، معناه: قائم بتدبير مخلوقاته في السماوات والأرض وما فيهما من الخلق والرزق والإماتة والإحياء، لا يغفل لحظة واحدة عن ملكوته.

﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ السنة: هي الغفلة أو خفقات النوم، فلا تعتريه غفلة -خفقة نوم- ولا نوم، وهناك رواية لا أعلم بصحتها وهي أن موسى عليه السلام سأل ربه: هل ينام ربنا؟ فأمر الله موسى عليه السلام أن يمكث ثلاث ليالٍ لا ينام، وأمره بأخذ قارورتين وأن يقبضهما في يده، فأرسل الله عليه النوم فأفلتت من يده وتكسرت؟ وذلك لأجل أن يستيقن موسى عليه السلام من نفسه أن الله لا تأخذه سنة ولا نوم، فكيف يدير شؤون السماوات والأرض وينام؟ فلو حصل ذلك لحدث خراب وفوضى، ولاختل توازن الكون.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فكيف تأخذه السنة والنوم وله ما فيهما؟ إذاً لذهب كل شيء من تحت قدرته، ولتخلخلت أجرام السماوات والأرض وتهاوت وفسد الكون.

﴿مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ لعظمته وجلاله وكبريائه لا أحد يشفع عنده ويطلبه إلا إذا أذن له في الكلام والشفاعة.

---

(١) -**سؤال:** ما هي الفائدة من نفي البيع والشراء في يوم الحساب؟

الجواب: يتوصل الإنسان في الدنيا إلى ما تشتهيه نفسه من متاع الدنيا بالبيع والشراء أو بواسطة الأصدقاء والأصحاب، فنفى الله تعالى حصول ذلك يوم القيامة؛ ليستعد المكلفون لهذا اليوم بالأعمال الصالحة.

(٢) -**سؤال:** قد يؤخذ من الآية الحصر بأنه لا ظالم إلا الكافر، فكيف يجاب على ذلك؟

الجواب: هو حصر ادعائي مثل قولك: «زيد هو العالم»، أي: أن الكافرين هم الكاملون في الاتصاف بصفة الظلم.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ فهو عالم بما بين أيدينا وهو الوقت الحاضر، وما خلفنا وهو ما قد مضى.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ في المستقبل وهو محيط بهذه الأشياء علم الله محيط بكل ما حصل في الزمن الماضي، وما اشتمل عليه الزمن الحاضر، وما سيأتي في الزمن المستقبل ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ بما أوحى إلى أنبيائه وأخبرهم ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ وسع علمه السماوات والأرض وما فيهما.

﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ لا يثقله حفظ السماوات والأرض وما فيهما.

﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ۝٢٥٥﴾ العلي عن مشابهة المخلوقين فلا يسهو ولا يغفل ولا يتعب ولا يشغله شأن عن شأن، ولا يعجزه شيء ولا تخفى عليه خافية، ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ۝١٠٣﴾ [الأنعام].

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾(١) الدين ليس بالإكراه، بعث الله الأنبياء تبلغ الناس دينهم ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، فمن أراد أن يتبع الرشد اتبعه، ومن أراد أن يتبع الغي اتبعه.

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ۝٢٥٦﴾ والطاغوت: هو كل ما عبد من دون الله، فمن يكفر به ويؤمن بالله فقد تمسك بالحبل الوثيق الذي لا ينقطع، والله سميع عليم يسمع أقوالهم، ويعلم أعمالهم، وسيجازيهم عليها.

---

(١) – **سؤال:** كيف يمكن التوافق بين هذه الآية وبين الآيات التي ظاهرها أنهم يُكْرَهون على الدخول في الدين نحو ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾؟

الجواب: أمر الله تعالى المؤمنين بالقتال حتى تكون كلمة الله هي العليا، فقاتلوا المشركين حتى قهروهم، ولم يؤمروا بإدخال الإيمان في قلوبهم كرهاً، وأمروا بقتال أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، والمروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال عن قريش: «والله ما أسلموا ولكن استسلموا».

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ ناصرهم، يهديهم ويخرجهم من ظلمات الشرك إلى نور الإسلام والهدى.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ أما الكافرون فأنصارهم طواغيتهم التي يعبدونها من دون الله، يزينون لهم الضلال، ويجرونهم إلى ظلمات الباطل، وأودية الهلاك، ﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ يصدونهم عن اتباع رسل الله وأنبيائه، وعن اتباع هدي القرآن إلى اتباع ضلالهم وباطلهم الذي زينوه لهم.

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾(١) قص الله تعالى على نبيه محمد ﷺ قصة ملك بابل واسمه نمرود ليخفف عليه ألم الصدمة التي لقيها من قومه حين كذبوه وردوا دعوته وآذوه وصدوا عنه واستهزئوا به وتمردوا عليه ونصبوا له العداء، فذكر تعالى له ﷺ أن أباه إبراهيم عليه السلام لقي من قومه الذين أرسله الله إليهم مثل ما لقي.

وقد وفر الله تعالى للملك نمروذ أسباب الملك فتجبر وتكبر، وادعى الإلهية، فحاججه إبراهيم عليه السلام بالحجج القاهرة الدالة على عظمة الله وقدرته وعلمه وحكمته، وأبطل بحجته إلهية ما سواه، ولكن الملك استكبر وتعاظم ولم يستطع رد حجج إبراهيم القاهرة.

﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾(٢) وذلك أنه كان عنده سجينان قتل واحداً منهما والآخر أطلق سراحه، فقال الملك: انظر يا إبراهيم فقد أمت واحداً وأحييت واحداً.

---

(١) –**سؤال:** ما موضع قوله: ﴿أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ من الإعراب؟

الجواب: موضع ذلك الجر بلام التعليل، أي: أن الملك الذي أعطاه الله كان سبباً في تكبره وكفره.

(٢) –**سؤال:** هل «إذ» ظرف للفعل «ترى» في قوله: «ألم تر»؟ أم ما موقعها؟

الجواب: موقعها النصب بدلاً من محل «إلى الذي»، ومحله النصب مفعول به.

﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ ولم يستطع جواباً ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴿٢٥٨﴾﴾.

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾[١] ألم تر إلى الذي مر على قرية: وهي مدينة من مدن بني إسرائيل التي خربها بخت نصر، كان قد غزاها بخت نصر من العراق وقتل أهلها، وسبى نساءهم وأطفالهم، وأخذهم إلى العراق فمكثوا فيها سبعين سنة، وخرب بيوتهم، فقال هذا النبي[٢] -مستبعداً رجوعها على هيئتها الأولى-: كيف يحيي الله هذه القرية بعد هذا الذي حصل؟ قال ذلك مستغرباً، كأن الله قد أوحى إليه أنه سيعيدها.

﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ نظر إليها وقد تخاوت سقوفها وتهدمت. ﴿قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ فقبض الله روح ذلك النبي بعدما نظر إلى القرية التي تهدمت وتهاوت سقوفها وأجلي عنها أهلها إلى العراق، وبعد مائة سنة أحياه الله وسأله: كم لبثت في رقدتك هذه؟ قال: لبثت يوماً أو بعض يوم، قال الله: بل لبثت مائة سنة، وهذا طعامك وشرابك حسب عادته لم تغيره السنون، وهذا هو معنى قوله: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾.

﴿وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ وكان لم يبق منه إلا العظم، ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ

---

(١) -**سؤال:** علام العطف في هذه الآية؟ وما محل الكاف في قوله: «كالذي»؟

الجواب: «أو كالذي» معطوف على ﴿الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ عطفاً على المعنى، الذي يسميه أهل النحو: العطف على التوهم، ومن أمثلته: «فلسنا بالجبال ولا الحديدا»، فتوهم الشاعر خلو المعطوف عليه من الباء، فكان العطف في الآية بناءً على أنه قال في المعطوف عليه: كالذي حاج إبراهيم.

(٢) -**سؤال:** من أين أخذ أن الذي مرَّ على القرية نبي من أنبياء الله؟

الجواب: أخذ ذلك من تكليم الله له.

وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴿٢٥٩﴾﴾ جعل الله تعالى له في حماره آية بينة وقد كان حماره قد مات منذ مائة عام ولم يبق سوى عظامه البالية، فأمره الله تعالى أن ينظر إلى عظام حماره البالية كيف يعيد إليها الله قوتها وجِدَّتها ويربط بعضها ببعض ويشد بعضها إلى بعض حتى يعود كل عظم إلى مكانه ثم يكسوها لحماً فإذا هو حمار ناهق قد أعاد الله إليه الحياة، فاستيقن حينئذ بعدما رأى هذه الآيات، ورجع إلى القرية تلك فرآها قد رجعت على ما كانت عليه بعد هذه المدة، وجعل الله تعالى في هذه القصة آية دالة للناس على أن الله قادر على إحياء الموتى يوم القيامة.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ لم يكن إبراهيم صلى الله عليه وسلم شاكاً في قدرة الله على إحياء الموتى، وإنما أراد إبراهيم عليه السلام أن يرى بعينه عجيب قدرة الله في إحياء الموتى ليزداد يقيناً إلى يقينه، وذلك أنه إذا اجتمعت رؤية العين مع تصديق القلب تمكن العلم في القلب وصار علماً ضرورياً فاستجاب الله تعالى لنبيه إبراهيم عليه السلام هذا الطلب.

﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ قال الله: فخذ يا إبراهيم أربعة من الطير واجمعهن إلى طرفك وتأملهن ثم اذبحهن وقطع لحمهن قطعاً قطعاً، وهذا معنى قوله: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾.

﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا﴾ بعد تقطيعها، ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ ترجع إليك بعد ذلك أحياء كما كانت من قبل، ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴿٢٦٠﴾﴾ واعلم يا إبراهيم أن الله قوي غالب لا يعجزه شيء، وحكيم لا يصدر عنه من الأفعال إلا ما تدعو إليه الحكمة.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ فالنفقة في سبيل الله ثوابها زائد على غيرها فتتضاعف إلى سبعمائة ضعف، وهذا معنى ضرب هذا المثل العظيم.

﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ يزيد الله تعالى على ذلك لمن صدقت نيته وصلحت سريرته.

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴿٢٦١﴾﴾ غني لا ينقصه العطاء، وعليم بمن يستحق الزيادة.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى﴾ الذين ينفقون ولا يتمنَّنون على من أعطوه، ولا يؤذونه بأن يقولوا: قد فعلنا لك وفعلنا[1] ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴿٢٦٢﴾﴾.

﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾ القول بالمعروف والتسامح[2] مع من يطلبك ويسألك أفضل من إعطائك إياه صدقة ثم تؤذيه بعد ذلك.

﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴿٢٦٣﴾﴾ ليس محتاجاً للصدقة وإنما يختبر الناس بعضهم ببعض، وحليم لا يؤاخذ الناس بمنع الصدقة وبإتباعها المن والأذى.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ فإذا تصدق المرء فليسكت عنها ولا يتكلم بها؛ لأجل أن لا تبطل صدقته، ولا يؤذي المتصدق عليه بذكر ما أعطاه أو بالاستخفاف به وإهانته.

﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾ حذر الله تعالى المؤمنين من أن يبطلوا صدقاتهم بالمن والأذى، وأخبرهم بأن المتصدق الذي يتبع صدقته

---

(١) – **سؤال:** سيدي كثيراً ما يتعلق في الأذهان: هل تعداد الوالد للنعم على ولده من أجل أن يستحثه على طاعته، وكذا المدرس ونحوهما، يعدّ من هذا المن الممقوت في هذه الآية؟

الجواب: لا يعد ذلك من المن المذموم، وكذلك تعداد النعم على المنعم عليه المسيء إلى المنعم عليه، وفي كلام لأمير المؤمنين لأهل البصرة: (فعفوت عن مجرمكم، ورفعت السيف عن مدبركم، وقبلت من مقبلكم).

(٢) – **سؤال:** ما المقصود بالتسامح؟

الجواب: المقصود به العفو عما يصدر من السائل من الأذى.

بالمن والأذىٰ في حكم الله مثل المرائي بصدقته وإنفاق ماله أمام الناس وهو غير مؤمن بالله وباليوم الآخر، وهذا المرائي بصدقة ماله ليس له ثواب عند الله، وصفته مثل صفة من بذر حَبَّه علىٰ جبل مستوٍ عليه شيء من التراب ثم جاء المطر الغزير فأخذ التراب والبذر، فجاء الزارع فوجد الجبل أملس نضيفاً ليس عليه تراب ولا زرع، فذهب حبه وسعيه باطلاً، فهكذا المتصدق الذي يتبع صدقته بالمن والأذىٰ لا يلحقه من صدقته إلا الحسرة والندامة.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ يعني بنية صالحة ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ مثل بستان في مكان مرتفع ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ مطر كثير ﴿فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ أخرجت أثمارها مضاعفة.

﴿فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ إن لم يصبها مطر غزير أصابها مطر خفيف وتخرج ثمارها مع ذلك كما في البلدان الخصيبة.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴿٢٦٥﴾﴾ بمن ينفق بنية صالحة وغير صالحة، وسيجازي كلاً بعمله.

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ كبر وعجز، ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾ لا يقدرون علىٰ عمل شيء ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ لا يود أحد ذلك بل ينفر الناس عن مثل ذلك ويكرهونه أشد الكراهة، وإذا كان الناس ينفرون عن مثل هذه الحالة ويجزعون عند ذكرها فليعلموا أن حال المتصدق الذي يتبع صدقته بالمن والأذىٰ كحال صاحب الجنة المثمرة التي احترقت في حال كبره وعجزه وله ذرية صغار لا يقدرون علىٰ العمل والتكسب لصغرهم وضعفهم(١).

---

(١) –**سؤال:** ما فائدة ضرب هذا المثل؟

الجواب: الفائدة من ضرب هذا المثل هو تصوير حال المتصدق الذي يتبع صدقته بالمن والأذىٰ، والمتصدق الذي يرائي بصدقته حيث صور ذلك بصورة منفرة تنفر عنها النفوس وتأباها الطبائع، وذلك من أجل أن يبتعد المؤمنون عن المن والرياء في صدقاتهم.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ أنفقوا بعض ما كسبتم من طيبات الرزق، ﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ وأنفقوا مما أخرجت لكم الأرض من الحبوب والثمار وقد حدد رسول الله ﷺ مقدار الواجب من الصدقة وذلك هو العشر من العثري في مفهومنا ونصف العشر من المسنى.

﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾[1] لا تنفقوا الثمرة الفاسدة والرديئة وتتعمدوا إخراجها ﴿وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ أي: لو أن أحداً أعطاكم لم تأخذوه لرداءته إلا على وجه الحياء، وهو المراد بـ(تغمضوا فيه)، فهذا لا تتعمدوا إخراجه والتصدق به[2].

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝٢٦٧﴾ ليس محتاجاً لصدقاتكم ونفقاتكم فأخرجوا لله من أموالكم ما تحبونه دون الخبيث.

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ الشيطان يثبطكم عن الصدقة ويخوفكم الفقر فلا تطيعوه، ﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ بالأعمال القبيحة.

﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا﴾[3] والله تعالى يدعوكم إلى الإنفاق ويعدكم عليه بالمغفرة وبالبركة في أموالكم وبأن يخلف عليكم بأضعاف مضاعفة، ويتفضل عليكم بمواهب الإحسان في أموالكم وأولادكم وأعماركم وفيما يصلح

(١) –**سؤال:** ما معنى: «لا تيمموا» لغةً؟

الجواب: معناه: لا تقصدوا الخبيث وتتوجهوا إليه بالإنفاق.

(٢) –**سؤال:** هل يحمل هذا الحكم على الواجبات أم يعمم حتى ولو في النافلة وغير الواجب؟

الجواب: لا تقبل الصدقة سواء أكانت نافلة أم فريضة إلا إذا كانت من المال الذي يحبه المتصدق دون الخبيث.

(٣) –**سؤال:** ما الوجه في تقديم المغفرة على الفضل مع أن سياق المقابلة يقتضي تقديم الفضل على المغفرة؟

الجواب: قدمت المغفرة لأنها أعظم نفعاً في الدنيا والآخرة.

دينكم ودنياكم، ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴿٢٦٨﴾﴾ ذو الملك الواسع والفضل العظيم، الذي يعطي ولا ينقصه الإعطاء، وهو عالم بمن يستحق أن يعطيه.

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴿٢٦٩﴾﴾[1] يعطي الله سبحانه المعرفة والعلم أولياءه الذين استجابوا لدعوته واتبعوا رسله واتقوه وسمعوا له وأطاعوا فهؤلاء يعطيهم الله تنويراً في قلوبهم يهتدون به إلى مراشدهم ويميزون به بين ما يحسن وبين ما يقبح وبين ما

---

(١) – **سؤال:** الذي فهم من هذا أن إيتاء الحكمة بمعنى التنوير والبصيرة، فهل ما يقال من العلم اللدني مثله؟ وأنه لا بد من الطلب للعلم حتى يحصل أم أنه شيء آخر؟

الجواب: التنوير والبصيرة آلة لاكتساب العلم والمعرفة بها يدركون آيات الله الدالة على عظمته وقدرته وعلمه وعظيم رحمته و...إلخ، ويدركون بها أحكام دينهم التي في كتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم، ويبصرون بها دقائق المعارف، ويفهمون بها من أمور دينهم ما لا يفهمه غيرهم، ويميزون بها بين الحسن والقبيح و..إلخ، فعلى هذا تكون البصيرة والتنوير طريقاً إلى اكتساب المعارف والعلوم، والمعارف هي:

١- معارف يعلمها المكلف بضرورة العقل.

٢- ومعارف يعلمها بالنظر والاستدلال.

٣- ومعارف عن طريق رسل الله عليهم السلام، والمراد المعارف الدينية في القسمين الأخيرين، ومن القسم الأخير معارف تحصل بالفهم والنظر الدقيق في الكتاب والسنة مع التنوير والبصيرة.

- والأحكام الشرعية لا طريق إليها إلا طريق رسل الله وأنبيائه عليهم السلام؛ لذلك نقول: إن دعوى من يدعي العلم اللدني من غير طرق العلم التي ذكرنا دعوى باطلة: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴿١١١﴾﴾ [البقرة].

- وقد ظهر في هذا الوقت عدد من الناس يدعون العلم اللدني، يفسرون القرآن بعلمهم اللدني كما يدعون فيقولون في «بسم الله الرحمن الرحيم» إن الرحمن علي بن أبي طالب عليه السلام، يفسرون القرآن على هذا النحو.

يأتون وما يذرون من أعمال دينهم ودنياهم، ومن حظي من الله بهذا العطاء فقد فاز بالخير الكثير وظفر بأسباب السعادة الدنيوية والدينية، إلا أنه لا يعرف هذا العطاء وما يترتب عليه من الخير الكثير والفوز العظيم وسعادة الدنيا والآخرة إلا أهل العقول الزاكية التي لم تدنسها الأهواء والشهوات ولم تفتنها زينة الحياة الدنيا.

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾(١) أي: نفقة أنفقتموها صغيرة أم كبيرة أو نذر نذرتموه فالله مجازيكم على جميع ذلك، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴿٢٧٠﴾﴾ يوم القيامة فلا يجدون يوم القيامة من يدفع عنهم عذاب الله.

﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ تصدقوا أيها المؤمنون كيفما شئتم سراً أو جهراً(٢) فإنها مقبولة عند الله ولكم أجركم وثوابكم، ولكن صدقة السر أفضل.

﴿وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ بالصدقة، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴿٢٧١﴾﴾ يثيبكم عليها يوم القيامة.

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ يا محمد، فليس عليك أن يدخل الناس في الهدى ويستجيبوا لدعوتك ما عليك إلا أن تبلغ رسالة ربك، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾(٣) ومن دخل في دينك واستجاب لدعوتك فإنما دخل بهداية الله وتوفيقه،

---

(١) –**سؤال:** هل تدل الآية على فضيلة النذر؟

الجواب: يؤخذ من الآية الدليل على فضيلة النذر.

(٢) –**سؤال:** هل يشترط في صدقة الجهر أن يأمن المتصدق من الرياء، وبه يقتدى؟

الجواب: يشترط في قبول صدقة الجهر أمن الرياء وبه يقتدى.

(٣) –**سؤال:** هل هداية الله لمن يشاء من باب: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴿١٧﴾﴾ [محمد]؟

الجواب: هداية الله هنا هي من باب: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴿١٧﴾﴾.

سؤال: قد يستدل البعض بهذه الآية ونحوها: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴿١٢﴾﴾ [الليل]، أن الهدى من الله لا من كثرة الإرشاد وعناء الموعظين، فكيف يمكن توجيه ذلك؟

الجواب: الهدى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴿١٢﴾﴾ يراد به الدلالة على طريق الهدى بإرسال =

وهداية الله وتوفيقه إنما تكون للمتواضعين لعظمة الله دون المتكبرين الظالمين.

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ﴾ والله ليس محتاجاً لنفقاتكم وصدقاتكم، فأنتم المنتفعون بها وثوابها هو لكم وحدكم.

﴿وَمَا تُنْفِقُونَ[١] إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ ليرضى عنكم وتنتفعوا بثوابه، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴿٢٧٢﴾﴾ لا ينقص الله من ثوابكم شيئاً وسيوفيكم الله ثواب صدقاتكم ويضاعفها لكم.

﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[٢] كأنه قال: خصوا بالصدقة وتصدقوا على أولئك الفقراء الذين كانوا في زمان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد حاصرهم المشركون في المدينة لا يستطيعون الخروج ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ لا يستطيعون السفر للتجارة وطلب الرزق.

الرسل وإنزال الكتب ليبين للناس الطريق الحق، فمن اهتدى فلنفسه ومن عمي فعليها.

(١) – **سؤال:** هل المراد به الأمر بالإنفاق على ذلك الوجه، أم الإخبار عن المؤمنين بأنهم لا ينفقون إلا ابتغاء وجه الله؟

الجواب: وردت الآية في سياق الآيات: الإنفاق الخالص والإنفاق الذي يتبعه المن والأذى، والتحذير من إبطال الإنفاق، وإنفاق الطيبات من الرزق، وإلى آخر ما ذكر الله من الترغيب والترهيب في الإنفاق، وهذه الآية هي من الآيات المرغبة في الإخلاص وترك المن والأذى، وقد ورد في هذه الآية ثلاث جمل متتابعة متعاطفة: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴿٢٧٢﴾﴾ والمعنى: أن نفع الصدقة عائد إليكم أيها المنفقون، وتطلبون بها طاعة الله ورضوانه، وسيوفيكم الله ثواب الصدقة، ولا ينقصكم من ثوابها شيئاً، فما دام هذا هو شأن المؤمنين وحالهم فلماذا يمنون بها؛ لذلك نقول في جواب السؤال: إن المراد الإخبار عن المؤمنين، وليس المراد الأمر.

(٢) – **سؤال:** هل يصح أن تحمل على أنهم أحصروا أنفسهم من أجل دين الله، والاشتغال برفعته وتبليغه؟

الجواب: لا مانع من حمل إحصارهم على أي من المعنيين، أو عليهما جميعاً.

﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ من زيادة عفتهم يظن من يجهل حالهم أنهم أغنياء.

﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ قد أثر الفقر في صورهم، وقد ضعفت أبدانهم ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴿٢٧٣﴾﴾ أي: نفقة تنفقونها فإن الله يعلمها، وسيجازيكم عليها، ومعنى: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ أنهم يتعففون عن المسألة فلا يلحون في مسألة أحد، بل ولا يسألون إطلاقاً بدليل ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴿٢٧٤﴾﴾ مدح الله ناساً من المسلمين كانوا ينفقون أموالهم ليلاً ونهاراً، وسراً وعلانية، فأثنى الله عليهم فقال: (لهم أجرهم عند ربهم) ولا يلحقهم خوف ولا حزن بل في سرور ونعيم دائم روي في غير ما خبر أنها نزلت في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

هذه الآيات التي مضت حث الله المسلمين فيها على الإنفاق، ونزلت آيات الإنفاق هذه في المدينة، وكان المسلمون فيها ينقسمون إلى قسمين: أهل المدينة وهم سكان البلاد الأصليون، وهم أهل التجارات والأموال والثراء.

والقسم الثاني: المهاجرون، وكانوا فقراء جميعاً لا يملكون شيئاً، فحث الله أهل الأموال على الإنفاق على فقراء المهاجرين، فقاموا به، وأنفقوا على الفقراء المهاجرين إليهم، وجهزوا الجيوش ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر:٩].

ثم بعد ذكر الإنفاق قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ وهو الذي كلما قام خبطت به الجن، فهو مثل المصروع، وهذه علامتهم يوم القيامة يعرفون بها.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾[١] وسبب ذلك أنهم يستحلون الربا، ويقولون: هو بيع حلال فأجاب الله عليهم فقال: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ ليس الأمر كما تقولون فإن الله حرم الربا وأحل البيع.

﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴿٢٧٥﴾﴾ قال الله لأهل الربا: من جاءه موعظة من ربه فانتهى عن أخذ الربا والتعامل به، وتاب إلى الله ورجع إليه فله ما قد كسبه من الأموال عن طريق الربا فيما مضى لا يسأله الله تعالى عنها ولا يحاسبه عليها، ولا يلزمه التصدق بها، والله يغفر له[٢]، وأما من عاد إلى أكل الربا والمعاملة به بعدما جاءه موعظة من ربه فهو من أهل النار خالداً فيها.

---

(١) – **سؤال:** هل المراد بالربا الذي يعتقدونه مثل البيع ربا الفضل والنسيئة، أم ربا الجاهلية: «إما أن تقضي وإما أن تربي» فظاهر هذا في الدين؟

الجواب: المراد ربا الجاهلية وكانوا يبيعون بالدين، فإذا حل الأجل قالوا: «إما أن تقضي وإما أن تربي»، ولم يكونوا يعرفون في الجاهلية ربا الفضل والنسيئة.

سؤال: هل التشبيه مقلوب: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ فما فائدته؟

الجواب: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ تشبيه مقلوب للمبالغة في تحليل الربا، وكان الأصل: إنما الربا مثل البيع.

(٢) – **سؤال:** قد يقال: ظاهر قوله: ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ ليس القطع بالمغفرة، فكيف يمكن توجيه ذلك؟

الجواب: قوله تعالى قبلها: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ يفيد عدم المؤاخذة بما سلف من الربا؛ لأن اللام تفيد الملك للآخذ، أو الاستحقاق في قوله: ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾، فعلم من ذلك أن الله تعالى قد حكم بما سلف للآخذ، وجعله له دون من أربا له.

وبعد، فهذه الآية: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ﴾..الآية، هي تفصيل لما علم إجمالاً مما قبلها لذلك قرنت بالفاء التفصيلية، فجعلت أهل الربا قسمين اثنين أي: بعد أن جاءهم موعظة من ربهم:

- الأول: فانتهوا عن الربا، ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾.
- الثاني: العائد إلى الربا، ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴿٢٧٥﴾﴾.
- والتفصيل يراد به الفرق في الحكم بين القسمين، فعلم أن حكم الأول غير حكم الثاني.

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ لا يبارك الله سبحانه وتعالى في الربا ولو كانت أمواله تتضاعف، فالله يمحق بركته، وأما الصدقة فيربيها الله له، بمعنى: يبارك فيها، ويزيد في حسناتها، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴿٢٧٦﴾﴾ والله سبحانه لا يحب المصرين على الكفر المنغمسين في فعل المآثم من الربا والظلم والفساد في الأرض، فهؤلاء لا نصيب لهم في رحمة الله ولا في توفيقه وكريم ألطافه، وليس لهم عند الله إلا غضبه ولعنته وأليم عذابه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴿٢٧٧﴾﴾ وعد من الله للمؤمنين بتأمينهم من أفزاع يوم القيامة وأهوالها لا يلحقهم خوف ولا حزن، وهذا الوعد الحسن هو للذين صدقوا في إيمانهم بالله وبرسوله وبما أنزل الله على رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وحافظوا على ما أمرهم الله به من الأعمال الصالحة التي أوجبها الله تعالى عليهم وحافظوا على إقامة الصلوات المفروضات وعلى أداء ما افترضه الله تعالى عليهم من الزكاة.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴿٢٧٨﴾﴾ كان الناس في أول الإسلام يتعاملون بالربا فقال الله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾[1] عند الناس فلا تأخذوا إلا رؤوس أموالكم فقط، وذروا ما زاد عليها، فإذا كان قد أعطى أحداً مائة دينار إلى أجل على أن يردها وعشرين عليها فلا يأخذ إلا المائة، وهذا تسهيل من الله في توبة المرابين.

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ وأبيتم إلا أخذ رأس مالكم مع الربا ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فاعلموا أن الله حرب عليكم مع رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ[2].

---

(١) –**سؤال:** هل يصح أن يحمل قوله: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ على ترك التعامل بالربا؟

الجواب: الحمل على ما ذكرنا هو المناسب للسياق فإن بعدها: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾.

(٢) –**سؤال:** ما معنى: الحرب من الله ورسوله؟

الجواب: هو أن يأمر الله تعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين بسل السيف على أهل الربا.

﴿وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ فلا تأخذوا إلا رؤوس أموالكم إذا تبتم ورجعتم إلى الله[(١)].

﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ إذا كان المديون معسراً فأمهلوه إلى أن يتيسر له القضاء، ولا تضيقوا عليه[(٢)].

﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾ إذا كان المديون فقيراً لم يستطع تسديد ما عليه فالمسامحة أفضل لكم عند الله، وسيعوضكم الله أكثر مما فات عليكم.

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ يعني يوم القيامة، فهو يوم الحساب الدقيق على كل صغيرة وكبيرة. ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ كل نفس ستلقى جزاء كسبها ولا يظلم الله أحداً ولو مثقال ذرة فسيجازيه عليه ويحاسبه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾[(٣)] هذه الآية

---

(١) – **سؤال:** إذا تاب شخص من بيع التقسيط، فهل يحل له من الزيادة بعضها يعني مثل التي يزيدها من يبيع نقداً؟ أم لا تحل الزيادة جميعها إذا كانت لا زالت عند المشتري؟

الجواب: الذي يظهر لي –والله أعلم– الترجيح لتحريم الزيادة كلها التي زادها البائع من أجل الدين، وذلك للاحتياط وتغليب جانب الحظر.

(٢) – **سؤال:** هل الإمهال والإنظار واجب؟ وإذا كان واجباً فقد يقول التائب إنه لحقه ظلم بسبب تركه للزيادة وتأجيل رأس المال فهو قريب من الضياع، فكيف يجاب عليه؟

الجواب: يقال له: لا سبيل لك إلى الزيادة؛ لأن الله تعالى حرمها وحكم في كتابه أن ليس لك إلا رأس مالك، وما دام رأس مالك محفوظاً فلست بمظلوم، غاية ما في الأمر أن رأس مالك محبوس في ذمة الفقير إلى أن يتمكن من تأديته، وأنت الذي وضعته بيدك في حبس الفقير، ولم يفوت عليك الفقير شيئاً من مالك الذي أعطيته.

(٣) – **سؤال:** هل الأمر فيها للوجوب؟ أم للإرشاد؟ وما وجه ذلك؟

الجواب: الأمر للإرشاد والوجه:

- ما علم أن لصاحب الدين أن يتنازل عن دينه للمدين، وله أن يتساهل فيه إن قضاه المدين فبها ونعمت، وإن لم يتيسر له القضاء تركه له.

=

تسمى آية الدين، ذكر الله فيها أحكام تداين المسلمين فيما بينهم؛ وقد أمر الله المؤمنين بكتابة الدين وتحديد مدته وأجله؛ لأجل ألا تضيع أموالكم فاحفظوها بالكتابة والإشهاد.

﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ(١) اللَّهُ﴾ كان الكتبة في ذلك الوقت قليلاً، فأمر الله الكتبة أن يكتبوا بالعدل ونهاهم أن يتأبوا من الكتابة، ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ الكاتب إذا دعي إلى كتابة الدين، ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ الذي عليه الدين يملل للكاتب وهو يكتب: عليَّ وفي ذمتي كذا..إلخ.

﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ ونهى الله تعالى من عليه الدين أن ينقص مما عليه شيئاً.

﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾ الذي عليه الحق إن كان صغيراً أو ضعيفاً(٢) أو لا يستطيع

- وما تقرر أن للمالك أن يتصرف في ماله في غير معصية الله، وجري عادة المسلمين بعدم كتابة الدين في كثير من معاملاتهم من غير إنكار من العلماء.
- ولا خلاف -فيما أعتقد- في أن الرهن غير واجب، وهو بدل الكتابة.
- ومن القرائن على أن الأمر للإرشاد أن الكتاب المشتغلين بالكتابة يأخذون الأجرة على كتابة الوثائق بما فيها وثائق الدين من غير استنكار فيما نعلم.

(١) -**سؤال:** ما المراد بقوله: ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾؟

الجواب: المراد التذكير للكاتب بنعمة الله عليه في تعليمه علم الكتابة؛ ليبعثه على أداء شكر هذه النعمة؛ فيسارع إلى الكتابة ولا يتأبى إذا دعي إليها، والكاف في «كما» تفيد التعليل.

(٢) -**سؤال:** ما الفرق بين قوله: ﴿ضَعِيفًا﴾ وقوله: ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ﴾؟

الجواب: الفرق أن المراد بالضعيف هو ضعيف العقل لصغر أو كبر أو جنون، والمراد بـ﴿لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ﴾ أن تكون عدم الاستطاعة لخرس باللسان أو عيٍّ لا يقدر معه أن يملي على الكاتب والشهود ما يلزم.

=

أن يتكلم فوليه الذي يملي عنه على الكاتب وليتحر الولي العدل فلا يزد ولا ينقص.

﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ على السند المكتوب، ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ وأمر الله بأن يشهد على السند رجلان من المؤمنين أو رجل واحد وامرأتان.

﴿أَنْ تَضِلَّ(١) إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ إذا نسيت إحدى المرأتين فالثانية تذكرها.

﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ إذا استدعاهم أحد ليشهدوا عند الحاكم فعليهم الذهاب؛ لئلا تضيع الأموال.

﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ﴾ لا تتكاسلوا عن كتابة الدين والإشهاد عليه قليلاً كان الدين أم كثيراً.

سؤال: هل سقطت ولاية هؤلاء على أموالهم، وثبتت ولاية أوليائهم؟

الجواب: تسقط ولاية ضعيف العقل لصغر سن أو كبره أو للجنون، أما الأخرس أو العي العاقلان فلا تسقط ولايتهما على أموالهما.

سؤال: من هو الولي المقصود في الآية؟

الجواب: ولي الصغير والمجنون هو الأب ووصيه والجد ووصيه، فإن لم يوجد واحد منهم نصب الحاكم ولياً صالحاً من أقارب الصغير أو المجنون، ولا ينصب عليهما ولياً من غير الأقارب مع وجود من يصلح للولاية منهم؛ لقوله تعالى: **﴿وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾** [الأنفال:٧٥]، فإن لم يجد الحاكم رجلاً صالحاً من الأقارب نصب ولياً صالحاً من غيرهم.

سؤال: هل يؤخذ من الآية أن إقرارات غير الحاذق لا تلزم؟

الجواب: يؤخذ من الآية أن إقرارات غير الحاذق «العاقل» لا تلزم ولا يترتب عليها حق.

(١) —**سؤال:** ما موضع «أن تضل» الإعرابي؟ وكيف يكون معنى «فتذكر» بناءً عليه؟

الجواب: موضعه الجر أي: كراهة أن تضل، وضع موضع العلة وليس بالعلة وإنما هو سببها، والعلة هي: «فتذكر إحداهما الأخرى» عطفت على «أن تضل» عطف المسبب على السبب.

﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أعدل ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾ عندما يكون مكتوباً، فإذا كانت الشهادة غير مكتوبة فالدين معرض للضياع، ﴿وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ أقرب إلى أن لا يحصل لكم ريبة ولا شك وذلك إذا كانت مكتوبة.

﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾[(١)] إذا كانت نقداً وعدّاً، فلا داعي للكتابة.

﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ فعند البيع والشراء ينبغي الإشهاد عليه، وهذا في الأمور الكبيرة، وأما الصغيرة فلا يضر بدونها[(٢)].

﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ فلا يجوز أن تلحق الضرر بالكاتب والشهيد، وكذلك الكاتب والشاهد لا يلحقا الضرر بالمشهود عليه والمكتوب له.

﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾ مضاررة الكاتب والشهداء لغيرهم معصية عند الله تعالى، أو مضاررتهم، أي: إلحاق الضرر بهم معصية كذلك عند الله سبحانه.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في العمل بتعاليمه، ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ يعلمنا الله كيف نتعامل في الدين فاعملوا بتعاليمه، وهو عالم بمصالحنا، وأنها التي ستحفظ المودة بيننا، وتمنع العداوة والشقاق.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ﴾ إذا تداينتم بدين وكنتم في سفر ولم تجدوا من يكتب بينكم فليضع المستدين رهناً عن الدين الذي عليه؛ لأجل أن يستوفي منه إن مطله المستدين.

﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾ فإذا حصلت الثقة بين الطرفين فلا حرج في المداينة بدون كتابة وإشهاد أو رهن، وعلى المديون أن يقضي الدين ويؤديه إلى صاحبه، ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ في تأدية ما عليه من الدين.

---

(١) —**سؤال:** ما موضع: «ألا تكتبوها» الإعرابي؟

الجواب: موضعها الجر بـ«في» محذوفة.

(٢) —**سؤال:** من أين أخذ أنه لا يضر في الأمور الصغيرة؟

الجواب: أخذ من العادة العامة للمسلمين من غير نكير.

﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءَاثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ۝٢٨٣﴾ ثم إذا حصل تناكر فعلى الشهود أن يدفعوا ما عندهم من الشهادة ولا يحل لهم أن يخفوها، ومن كتمها عند الحاجة فإن الله سيؤاخذه على كتمها ويجازيه على سوء فعله.

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملك السماوات والأرض لله.

﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ فهو عالم بكل شخص وما في نفسه؛ فليحذر فسيحاسبه الله على كل صغير وكبير.

﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ۝٢٨٤﴾ فيغفر الله تعالى لأهل القلوب السلمية من النفاق ومن الخبث التي صدق فيها الإيمان والإخلاص ويعذب أهل القلوب التي تحمل النفاق والخبث ولا تؤمن بالله واليوم الآخر(١).

﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾(٢) فقد آمنوا بالرسل كلهم، فلم يؤمنوا ببعض ويكفروا ببعض مثل اليهود حين آمنوا بموسى عليه السلام وكفروا بعيسى ومحمد عليهما السلام.

---

(١) — **سؤال:** هل المحاسبة على ما خفي محمولة على النفاق والخبث؟ وإذا لم تكن محمولة عليه فكيف نوفق بين هذا وبين ما عُلِمَ أن الله رفع عن الأمة ما حدثت به أنفسها؟

الجواب: المحاسبة محمولة على النفاق والخبث؛ لذلك ورد بعدها بيان الإيمان الصادق مفصلاً، وقد بدأت السورة بذكر المؤمنين والمنافقين، وختمت بذكر المؤمنين والمنافقين.

(٢) — **سؤال:** لم عدل إلى قوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ مع أن ظاهر السياق والنظم أن يقول: ولم يفرقوا بين أحد من رسله؟

الجواب: أن جملة «لا نفرق» محكية لقول محذوف تقديره: قائلين لا نفرق.

﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ السمع والطاعة لله تعالى وامتثال أمره من أركان الإيمان، فلا بد أن ينضم ذلك مع الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله جميعاً وإلا لم يتم الإيمان.

﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ۝٢٨٥﴾(١) بعدما قالوا: سمعنا وأطعنا سألوا الله أن يغفر لهم ما سلف: من أعمالهم السيئة، ومن الشرك والظلم وغير ذلك، ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ۝٢٨٥﴾ اعترفوا بأنهم راجعون إلى الله لحسابهم.

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ لا يكلف الله الإنسان إلا على قدر جهده ومقدرته، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من ثواب الأعمال الصالحة، ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ من جزاء الأعمال السيئة.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا﴾ هذا دعاء من النبي والذين آمنوا، ﴿إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ فالإنسان محل الخطأ والنسيان، وقد يعصي اللهَ المرءُ عن طريق الخطأ والنسيان وقد يحصل تقصير وغفلة عن طريق الخطأ لكن الله لا يؤاخذ بذلك(٢).

---

(١) —**سؤال:** علام انتصب «غفرانك»؟

الجواب: انتصب على أنه مفعول به لفعل محذوف تقديره: نسألك غفرانك، أو نطلب غفرانك.

(٢) —**سؤال:** ما فائدة الدعاء بعدم المؤاخذة إذا كان الإنسان لا يؤاخذ بالخطأ؟

الجواب: جاء هذا الدعاء بعد قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ وفي قوله: «وعليها ما اكتسبت» عموم يشمل العمد والخطأ والنسيان، فخص الله تعالى ذلك العموم بالعمد وأخرج الخطأ والنسيان بقوله بعد ذلك مباشرة: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا﴾ إلا أن التخصيص جاء بصورة الدعاء لوجوه حسنته:

١- أن التخصيص توسط بين الدعاء فحسن لذلك أن يصطبغ بصبغته، وهذا الصنيع كثير في لغة العرب.

٢- أن إظهار التذلل والفقر والحاجة إلى الله بالدعاء أمر يحبه الله تعالى ويثيب عليه، ولو كان مما على الله تعالى أن يفعله أو لا يفعله، ومن هذا الباب أمر الله تعالى للمؤمنين بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن أكد لهم أنه تعالى يصلي عليه هو وملائكته، والحكمة في أمر الله تعالى للمؤمنين بالصلاة على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم -والله أعلم- هي أن في امتثالنا لأمر الله إظهاراً لفضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإعلاءً لذكره، وتشهيراً برفعته وعظيم منزلته، مع الاعتراف والشكر بما أجراه الله تعالى علينا من النعمة العظيمة على يديه صلى الله عليه وآله وسلم، فكذلك ما ذكرنا في قوله تعالى: =

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ **الإصر**: هو الحمل الثقيل. حمّل الله اليهود أحمالاً ثقيلة وتكاليف شديدة في دينهم، فحين عبدوا العجل لم يقبل لهم توبة إلا بقتل أنفسهم، وفي دين الإسلام يكفي التوبة والاستغفار.

﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ من التكاليف، ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ العفو: هو عدم المؤاخذة بالذنب، والمغفرة: أن يمحو الله الذنب ويزيله من الوجود كأن لم يكن، والرحمة: هي عامة فيما يعطيه الله لعباده من خير الدنيا والآخرة.

﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ أنت ناصرنا ﴿فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ حكى الله إيمان الرسول والمؤمنين، وذكر رجوعهم إلى الله، وافتقارهم وتوسلهم إليه، ليحتذي المؤمنون حذوهم، ويقتدوا بهم في ذلك.

۞۞۞۞۞

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾.

٣- أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالاستغفار في سورة النصر وهي من آخر ما نزل من سور القرآن الكريم، وقد غفر الله تعالى له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم عالم بذلك، وذكر الله تعالى في كتابه الكريم استغفار نوح وإبراهيم وموسى صلوات الله عليهم، فبما ذكرنا يظهر وجه الحسن في الدعاء بعدم المؤاخذة فيما علم أن الله تعالى لا يؤاخذ به، وتظهر الفائدة التي سأل عنها السائل.

وبهذا يظهر الوجه والفائدة في الدعاء الذي جاء بعد ذلك الدعاء المسؤول عنه وهو: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾.

ونزيد هنا على ما سبق فنقول: في قوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾ الذي يظهر لي أن المعنى المراد في هذا الدعاء: هو طلب التوفيق من الله فلا نقع فيما وقعت فيه بنو إسرائيل من العظائم التي استوجبوا بارتكابها أن يكلفهم الله تعالى التكاليف الشاقة.

وذكر بعض المفسرين من أئمتنا وغيرهم أن المعنى في قوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ هو طلب تخفيف التكاليف التي تصعب عليهم، وتنفر عنها النفوس مع استطاعتهم وقدرتهم على فعلها.

سورة آل عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الم۝ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ۝﴾ افتتحت هذه السورة بحروف من حروف الهجاء، والسبب في ذلك أن المشركين كانوا يعرضون عن سماع القرآن فحين سمعوا هذه الحروف المقطعة، تعجبوا ودعاهم تعجبهم إلى الاستماع، وقد مر الكلام على مثلها في أوائل سورة البقرة.

والإلهية لا تحق إلا لله وحده جل وعلا؛ لأنه هو وحده الذي يتصف بصفات الكمال، فهو الحي القائم بتدبير شؤون السماوات والأرض وما بينهما من الخلائق.

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾[1] نزل القرآن متلبساً بالحق، والحق مصاحب له؛ فهو يتحدث عن آيات الله المبثوثة في السماوات والأرض وما فيها من بدائع الصنعة وما تحمل من آثار قدرة الله وعلمه وحكمته وما فيها من مظاهر رحمته بخلقه، وما اشتملت عليه من المصالح والمنافع، ويوجه العقول إلى النظر والتفكر في تلك الآيات، ثم إن العقل إذا نظر وتفكر فيما ذكره الله من آياته يجد الحق ظاهراً جلياً مكشوفاً فيذعن للإيمان بالله والتصديق بجلاله وعظمته ويخلص له العبادة ويترك ما سواه من المعبودات التي لا تنفع ولا تضر.

﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[2] أي: القرآن مصدق للذي قبله من التوراة

---

(١) ــ **سؤال:** هل معنى الباء في «بالحق» الملابسة؟

الجواب: الباء للملابسة والمصاحبة، و«بالحق»: حال من الكتاب، و«مصدقاً»: حال أيضاً من الكتاب.

(٢) ــ **سؤال:** فيم صدق القرآن الكتب السابقة؟

الجواب: صدقها في أخبار الأنبياء عليهم السلام وقصصهم، وصدقها في آيات عظمة الله وتوحيده وعدله والبعث والحساب والثواب والعقاب، وصدقها أيضاً في أخبار الأمم التي كفرت برسالات الله وكذبت رسله، وكيف كانت عاقبتهم، فكان هذا التصديق دليلاً واضحاً على صدق ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم من عند الله؛ لأنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يخالط أهل الكتاب، ولا قرأ كتبهم منذ بداية نشأته إلى حين جاء بالقرآن.

والإنجيل وليس مخالفاً لها.

﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ۝ مِنْ قَبْلُ﴾ من قبل أن ينزل القرآن، ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ أنزل الله التوراة والإنجيل هدىً للناس، ثم إن الله نزل القرآن مهيمناً على ما قبله؛ ليهتدي بأنواره العالمون.

﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ القرآن، وسمي فرقاناً لأنه يفرق بين الحق والباطل.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ جزاءً وفاقاً على كفرهم بآيات الله، وتمردهم عن طاعة الله، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ۝﴾ فهو عزيز لا ينال، وهو منتقم من أعدائه.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ۝﴾ فلا يفوته أحد، ولا يعجزه هارب فاعملوا ما شئتم أيها المشركون فإن الله يحصي عليكم جميع أعمالكم صغيرها وكبيرها وستلقون جزاءها.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ(١) فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾(٢) هو الذي يخلقكم في

(١) —**سؤال:** ما المراد بالتصوير؟

الجواب: التصوير هو تركيب بنية الإنسان في بطن أمه، فقد جعله الله في أحسن تقويم على أحسن شكل، فجعل له وجهاً أبدع شكله، جعل فيه عينين، وأنفاً ذات خرقين، ولساناً وشفتين، وفي طرفي الوجه أذنان، وجعل تعالى له يدين ورجلين، وصدراً وظهراً وبطناً، و...إلخ، وقد اشتمل تركيب الإنسان على بدائع من الحكمة لا تكاد تنحصر، وما زال علماء الطب ودرسته يكتشفون الأسرار بعد الأسرار من عجائب تركيب الإنسان.

(٢) —**سؤال:** هل المراد بقوله: ﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾ ذكراناً وإناثاً؟

الجواب: المراد يصوركم ذكراناً وإناثاً وعلى أشكال مختلفة وألوان شتى ومقادير متباينة، لكل إنسان تركيبة خاصة، يتميز بها في عينيه، وأنفه وشفتيه، وتفاصيل رجليه، وحركة يديه، ونظرة عينيه، وشكل أسنانه وشفتيه، ولون بشرته، وكمية شعر لحيته، وبطنه وصدره، وفخذه وساقيه، وإلى آخر ما يرى من اختلاف صفات العضو الواحد بين إنسان وإنسان، ومن ذلك اختلاف البصمات.

الأرحام من نطفة لا غيره مما تدعونه من الأصنام.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ۝٦﴾ فلماذا تعبدون الأصنام وغيرها وتتخذونها آلهة، وهو الخالق وحده، وهو المستحق للعبادة وحده؟ فهو العزيز والغالب، وأفعاله كلها حكمة، لا يخلق شيئاً عبثاً.

﴿هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ يا محمد، وهذا الذي أنزله ينقسم إلى قسمين:

﴿مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ واضحات لا لبس فيها ولا غموض[١]، ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ هن الأصل الذي يجب أن يعمل به الناس ويتبعونه.

﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ وهناك آيات في القرآن متشابهة تحتمل عدة معان بعضها حق وبعضها باطل، جعلها الله فتنة للناس واختباراً، فبعضهم يأخذ بالمعنى الحق، وبعضهم بالمعنى الباطل[٢].

---

(١) –**سؤال:** ما الوجه في تفسير المحكم بالواضح؟

الجواب: الحامل هو أن المتشابه يكون له أكثر من معنى واحد، فيتوقف السامع ويتردد فيما هو المعنى الذي يراد، أما المحكم فلا يتوقف السامع ولا يتردد في فهم المعنى المقصود؛ لأن المعنى واضح مفهوم؛ لأنه ليس هناك إلا معنى واحد للمحكم، فلا تشتبه المعاني على السامع ولا تختلط عليه، كما هو الحال في المتشابه.

(٢) – **سؤال:** هل العلة في تسميتها بالمتشابهات هي اشتباه المعاني على بعض الناس، فبعضهم يأخذ بالمعنى الحق، وبعض بالمعنى الذي لا يريده الله، أم ماذا؟

الجواب: سميت متشابهات لأنه يتبادر إلى الفهم من لفظ المتشابه أكثر من معنى، وكلها متساوية في دلالة لفظ المتشابه عليها. يدل على ما ذكرنا: أن لفظة «متشابه» تدل بالوضع النوعي على وجود شيئين يشبه كل واحد منهما الآخر، لا فضل لأي منهما على الآخر في وجه الشبه.

هذا، والمقصود بالتشابه في الآية: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ ﴿مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ هو تساوي المعنيين وتشابههما في دلالة لفظ المتشابه عليهما.

=

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ[(١)] فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ[(٢)]﴾ المعنى المتشابه ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ لأجل أن يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم، ﴿وَابْتِغَاءَ

فإن قيل: قد فسر بعض أئمتنا وغيرهم المتشابه بالحروف المقطعة في أوائل السور وبنحو: ﴿أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة:٢٦]، ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ۝٣٠﴾ [المدثر]، ونحو ذلك من الآيات التي كانت سبباً لضلال الكافرين ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦]، ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ۝٣١﴾ [المدثر]، جاءت هذه الآية بعد قوله: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ۝٣٠﴾، والأولى بعد قوله: ﴿أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً...﴾.

فنقول: لا تنافي بين ما ذكرنا من تفسير المتشابه وبين هذا، فقد فسرت الحروف المقطعة بأنواع من التفاسير فقيل: إنها ترمز إلى أسماء الله تعالى، وقيل: إنها أسماء للسور و..إلخ.

وأما ﴿أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً﴾ و﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ۝٣٠﴾ ونحوهما فليس من المتشابه المقصود في آية آل عمران، فإن المشركين وإن ضلوا وازدادوا ضلالاً حين سمعوا تلك الآيات فإن سبب زيادة ضلالهم إنما هو بسبب الاستهزاء والطعن في القرآن والتكذيب به، وآية آل عمران تفيد أن الذين في قلوبهم زيغ يتبعون المتشابه ويعملون به، ويدعون المسلمين إلى العمل به؛ فالظاهر أن أهل هذا العمل هم من المتظاهرين بالإسلام وباتباع شرائعه؛ إذ لا تتم فتنة أهل الإسلام وجرهم إلى الضلال إلا إذا كان الأمر كما ذكرنا، أما المشركون فلا يدعون المسلمين إلى العمل بالمتشابه، وإن دعوهم فمن البعيد أن يستجيب لهم المسلمون.

(١) –**سؤال:** ما المراد بالزيغ؟

الجواب: المراد الذين في قلوبهم نفاق وكفر وظاهرهم الإسلام.

(٢) –**سؤال:** هل في ذم اتباع المتشابه دلالة على الرجوع إلى المحكم؟

الجواب: اتباع الكتاب الكريم واجب معلوم وجوبه بالضرورة وبالنصوص القرآنية والإجماع، وهنا نوَّع الله من الكتاب الكريم نوعين: محكماً ومتشابهاً، فحينئذ يكون ذمه للذين يتبعون المتشابه يدل على أن الواجب تحري اتِّباع المحكم، والاعتماد عليه، ودعاء الناس إليه، والالتزام به، دون المتشابه.

تَأْوِيلِهِ﴾[١] يفسرونه على حسب أهوائهم، ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ هذا المعنى المتشابه، ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ يعلمونه كذلك، ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ﴾[٢] وكذلك يؤمنون به ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾[٣] المحكم والمتشابه.

---

(١) —**سؤال:** علام انتصب «ابتغاء»؟

الجواب: انتصب على أنه مفعول من أجله، أي أن الذين في قلوبهم زيغ يتبعون المتشابه من أجل أن يفتنوا المسلمين عن دينهم ويضلوهم عنه.

سؤال: إذا قال قائل ممن يتبع المتشابه: أنا لم أعمل به مبتغياً لإضلال الناس وتفسيره على حسب هواي، فكيف يمكن توجيه الرد عليه؟

الجواب: هناك رد إجمالي هو: أن أهل المتشابه قد صار لهم كيانات ومذاهب وأتباع، فيتم الرد بإقامة الدلائل على تعيين أهل المذهب الحق، وبتعيينه بالدليل ينهدم ما سواه من المذاهب، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس:٣٢]. أما الرد التفصيلي فيلزم أولاً: إثبات أن ما تمسك به متبع المتشابه هو من الألفاظ التي تحتمل عدة معانٍ، ثم الاستدلال على بطلان المعاني التي لا يجوز اتباعها بالدلائل النقلية والعقلية.

سؤال: إذا قال قائل: أنتم أيها العدلية تكثرون من التأويل، فأنتم حقيقون بهذه الآية، فكيف يرد عليه؟

الجواب: تأويل القرآن هو تفسيره، وجميع فرق الإسلام يفسرون القرآن، وإن شئت قلت: يؤولون القرآن، فالمعنى واحد، وليس تفسير القرآن وتأويله بمذموم، والمذموم هو تفسيره وتأويله بالمعاني التي لا يريدها الله تعالى.

(٢) —**سؤال:** إذا كان «الراسخون» معطوف على لفظ الجلالة فما محل جملة: «يقولون آمنا به»؟

الجواب: جملة ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ﴾ في محل نصب حال من ﴿الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ ولا مانع من مجيء الحال من المعطوف دون المعطوف عليه كما في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء:٧٢]، فنافلة: حال من يعقوب الذي هو المعطوف.

(٣) —**سؤال:** ما معنى إيمان الراسخين بالمتشابه؟ إن كان الإيمان بأنه من عند الله فقد كفانا: ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾؟

الجواب: لما نوَّع الله تعالى آيات الكتاب نوعين: محكماً ومتشابهاً، وبين أن أهل الزيغ يتبعون المتشابه ليفتنوا الناس، ذكر تعالى أن المؤمنين —وإن كان المتشابه سبباً للفتنة والضلال— =

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ۝٧﴾ لا يفهم عن الله المراد إلا أهل العقول الزاكية.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾(١) أولو الألباب يفهمون المعنى ولا يزالون يقولون ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ لأن المتشابه في القرآن فتنة واختبار من الله، فهم يدعون الله أن يوفقهم لفهم تفسيره، وألا يزيغوا عن الحق.

﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ يطلبون من الله أن تصحبهم رحمته لئلا يزيغوا عن اتباع الحق، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ۝٨﴾.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ۝٩﴾ فهم يخافون من الله حين يجمع الناس ليوم الحساب، فهو ميعاد حق وصدق لا محالة.

يؤمنون به كما يؤمنون بالمحكم، والعلة التي دعتهم إلى الإيمان به هي أنه من عند الله.

هذا، وقد كان من المفروض الثابت في بداهة العقول أن يبتعد أهل الحق عن أسباب الضلال ويرفضوها، فلما كان الأمر كذلك ذكر الله تعالى أن المؤمنين يؤمنون بالمتشابه؛ لأنه من عند الله، وأن الله تعالى عليم حكيم لا ينزله في كتابه الكريم إلا لحكمة بالغة وسر عظيم، وقد أشار الله تعالى في هذه الآية إلى طرف ذلك السر في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾، فباتباع المتشابه يظهر أهل النفاق الذين يسرون الكفر ويظهرون الإسلام، وينكشف أمرهم وما هم عليه من الكفر والنفاق، قال تعالى: ﴿الم۝١ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ۝٢﴾ [العنكبوت].

سؤال: هل يصح أن يحمل المتشابه على ما لا يعلمه إلا الله كخزنة جهنم وأوائل السور عند بعض أئمتنا؟

الجواب: قد وقعت الإجابة عن هذا ضمن بعض الجوابات المتعلقة بهذه الآية.

(١) – **سؤال:** هل محل الجملة: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا...﴾إلخ مقول لقول محذوف الذي محله الحال من «أولو»؟

الجواب: الجملة المذكورة هي مقول لقول محذوف هو حال من: ﴿الرَّاسِخُونَ﴾ أو من الواو في ﴿يَقُولُونَ﴾، وجملة: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ۝٧﴾ معترضة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ فلن تدفع عنهم شيئاً من عذاب الله، وهؤلاء هم مشركو قريش كانوا أصحاب أموال طائلة وتجارات، وأهل بنين وأولاد.

﴿وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ۝١٠﴾ وسيعذبهم الله بذنوبهم. وحالة مشركي قريش مثل حالة آل فرعون والذين من قبلهم، وعاقبتهم ستكون مثل عاقبة أولئك، فكما أخذ الله أولئك بذنوبهم حين كذبوا رسله وأنبياءه كذلك هؤلاء، وهذا تحذير من الله للمشركين لذا قال: ﴿كَدَأْبِ[1] ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ۝١١﴾ فقد عذبهم الله عذاب الاستئصال، فهو تحذير من الله لهم؛ ليعتبروا بهم؛ لئلا يحل بهم مثل ما حل بآل فرعون والذين من قبلهم.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ۝١٢﴾ أمر الله تعالى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يقول للكفار هذا القول، وحقاً فقد وقع بهم ذلك فغلبوا، وقهرهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وتغلب عليهم، ودخلوا في الإسلام وسيوف الإسلام على رؤوسهم، مغلوبين مقهورين مهزومين[2].

---

(١) –**سؤال:** ما محل: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ الإعرابي؟

الجواب: كدأب: مرفوع المحل خبر لمبتدأ محذوف تقديره: حال الذين كفروا كحال آل فرعون.

(٢) –**سؤال:** يقال: كيف نجمع بين هذا وبين قوله: ﴿وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ﴾؟

الجواب: إسلام كفار قريش إنما كان استسلاماً، وتماماً كما قال علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: (والله ما أسلموا ولكن استسلموا)، وقد أخبر الله تعالى عن حال كفار قريش في آيات كثيرة تفيد أنهم لن يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ۝٦﴾ [البقرة]، ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ۝٨٣﴾ [الزخرف]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ۝٩٦ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ۝٩٧﴾ [يونس]، ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ۝٢٠٠ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ۝٢٠١﴾ [الشعراء]، ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا۝٥٧﴾ [الكهف].

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾ يوم بدر، ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾ وكان المسلمون ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً وليس معهم إلا خيل واحدة، وكان المشركون ذوي عدة وعتاد وقوة، وكانوا ألف مقاتل، وخيولهم كثيرة، وكانوا أهل قوة وأهل قتال، وكان المسلمون ضعافاً، وليسوا مستعدين للحرب، وإنما تفاجئوا بالحرب، فقال الله: قد كان لكم أيها المشركون -لعلكم تعتبرون- آية حين ترون المسلمين -وهم قلة قليلة- في أعينكم كثيراً، وحين حصل لكم خوف شديد من ملاقاة أولئك القلة.

﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ[1] رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أيد الله

---

(١) -**سؤال:** هل المراد بـ«مثليهم» أن عددهم بلغ (٦٢٦) رجلاً أم ماذا؟

الجواب: المراد أن المشركين رأوا المسلمين في يوم بدر كما لو كانوا ٦٢٦ رجلاً، وفي الحقيقة أن المسلمين لم يكونوا إلا ٣١٣ رجلاً.

سؤال: هل في هذا دليل على جواز أن يقلب الله الحقائق الذي منعه بعض علماء العدلية؟

الجواب: الذي يظهر -والله أعلم- أن قلب الحقائق ينقسم إلى قسمين:

١- إذا كان قلب الحقيقة في عين الناظر لقصد إعزاز الدين أو النقمة والعذاب للظالمين أو لحفظ نبي أو ولي أو نحو ذلك، إذا كان الأمر كذلك فيجوز، ومن أمثلة ذلك ما ذكر الله تعالى من إلقاء شبه عيسى عليه السلام على رجل من أعدائه حين أراد اليهود قتل عيسى عليه السلام، فنجى الله تعالى عيسى عليه السلام وقتلوا الرجل الذي ألقي شبه عيسى عليه. ومن أمثلة ذلك ما ألقاه الله تعالى من الصور المفزعة والهيئات المرعبة على أصحاب الكهف وهم نيام، وحين انتبهوا من نومهم لم يجدوا في أنفسهم ما يستنكر، ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف:١٩]، وتماماً كما حكى الله: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾ [الكهف]، فحفظهم الله في مدة نومهم بما ألقى الله عليهم من الصور المخيفة، والحكمة ظاهرة في المثالين اللذين ذكرناهما، وكذلك في الآية المسؤول عنها، ولا يترتب على ذلك مفسدة.

٢- والذي لا يجوز هو ما يترتب على وقوعه مفسدة، وهي عدم الوثوق بالعلم الضروري الحاصل عن طريق بصر العينين والأذنين والشم والطعم واللمس.

المسلمين بنصره، وهذا نصر أن جعل المسلمين في أعين المشركين كثيرين فانهزموا لذلك وولوا هاربين.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ۝١٣﴾ لذوي العقول الذين يعتبرون.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ جعل الله في قلوب الناس ميلاً ورغبة بطبيعتها إلى حب النساء والبنين[1].

﴿وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ[2] مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ المعلمة وقد حل محلها اليوم السيارات، ﴿وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾ البقر والغنم والبساتين.

---

(١) —**سؤال:** كيف جاز التزيين على الله؟

الجواب: التزيين المراد في هذه الآية هو ما خلقه الله تعالى وجعله في طبائع الناس من الميل والرغبة والشوق إلى النساء والمال والبنين والمراكب النفيسة والشرف والرفعة و..إلى آخر ما تميل إليه الشهوة والهوى، وفي مقابل هذه الطبائع جعل الله تعالى للمكلفين دواعي تدعو إلى فعل الخيرات، وإلى ما فيه كمال النفس وجمالها وعزها، وتنهاه عن فعل المنكرات والمآثم، وقد ركز الله تلك الدواعي الحكيمة في عقول المكلفين، ولولا التزيين الذي طبع الله عليه الناس لما تم التكليف، وقد روي عن الإمام الحسين بن علي الفخي عليه السلام أنه قال: «والله ما أظن أن لي فيما أعطي أجراً، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢]، ووالله ما هي عندي وهذا الحصى إلا بمنزلة» يعني: الأموال. اهـ فانظر كيف خاف الإمام عليه السلام من حرمان أجر صدقته من أجل أنه لا يجد في نفسه حب المال، ولا تميل نفسه إليه ولا ترغب فيه.

(٢) —**سؤال:** ما تفسير القناطير المقنطرة؟

الجواب: القنطار كما روي: ملء جلد ثور ذهباً أو فضة أو نحو ذلك، وقيل: مائة ألف دينار، وقيل: إنه وزن لا يحد، وقيل: ألف ومائتا أوقية.

سؤال: هل الإبل داخلة في الأنعام؟

الجواب: هي داخلة في الأنعام بدليل قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ [الأنعام:١٤٢] .. إلى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ [الأنعام:١٤٣]، فـ«ثمانية أزواج» بدل من «حمولة وفرشا».

﴿ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ۝١٤﴾ فعنده أفضل من هذا كله، عندما يرجع الناس إليه فلهم في جنات النعيم أفضل من هذا كله، لكن الإنسان يحب الشهوة العاجلة، فهو يريد أن يشبع رغبته عاجلاً ولا ينتظر إلىٰ يوم القيامة.

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَٰلِكُمْ﴾ أفضل من هذا كله، ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ۝١٥﴾ للذين اتقوا الله فأطاعوه واجتنبوا معاصيه من ثواب الله ما هو أفضل من متاع الدنيا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة من الحور العين، وكل ذلك مع محبة الله لهم ورضوانه عنهم، والله تعالىٰ عالم بأهل التقوىٰ وأهل الإيمان الخالص فيثيبهم، وعالم بأهل الإيمان المدخول والتقوىٰ الكاذبة فلا يرضىٰ عنهم ولا يثيبهم، فهذا أفضل من متاع الدنيا وزينتها وشهواتها ورغباتها، والله سبحانه تعالىٰ يعطي الدنيا والآخرة جميعاً من أقبل إليه وإلىٰ طاعته، فالدنيا تأتيه راغمة ولو لم يردها، فهي التي تطلبه وتأتيه بإذن الله وأمره قال تعالىٰ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النساء:١٣٤]، يعطيه الله خير الدنيا وثواب الآخرة، لا يفوته شيء من ثواب الآخرة وذلك إذا طلب الآخرة؛ لأن كليهما بيده: الدنيا والآخرة، يعطيهما من يشاء، وإذا منع الله الدنيا بعض الناس فذلك لحكمة ومصلحة لا يعلمها الإنسان، فبعض الناس لو أعطاه الله الدنيا لكانت شراً عليه ونكالاً، والله لا يريد ذلك.

فينبغي أن يرضىٰ الإنسان بما قسم الله له، وأن يعلم أنه لا يعطي ويمنع إلا لحكمة ومصلحة للإنسان لا يعلمها، فالله هو العليم الحكيم، وعليه أن يوطن نفسه علىٰ الصبر والرضا بما قسم الله له وأن يدفع الحسد والطمع عن نفسه، ولا ينظر إلىٰ ما في أيدي الناس فيهلك نفسه في شيء ليس له، ويرضىٰ بقضاء الله؛ ليجعل الله له غنىٰ في قلبه، وينعم عليه ويجازيه، فالله يعطي أولئك المتقين الجنة، وهم: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ۝١٦﴾ كانوا يتوسلون إلىٰ الله ليغفر ذنوبهم بالإيمان؛ فهو سبب لمغفرة الذنوب.

ووصفهم الله ثانية بأنهم: ﴿الصَّابِرِينَ﴾ على قضاء الله، وعلى إقامة الواجبات، والانتهاء عن المحرمات، ويصبرون على ما ابتلاهم الله في أبدانهم وفي أنفسهم وفي أزواجهم وفي كل ما أصابهم من هموم الدنيا وغمومها، فهم صابرون وراضون بالقضاء.

﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ في إيمانهم وأعمالهم.

﴿وَالْقَانِتِينَ﴾ المتعبدين لله والداعين له.

﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾ جزءاً من أموالهم وهو الزكاة ولوازم النفقة على الأولاد والأبوين العاجزين، وعلى صلة الأرحام وإكرام الضيف.

﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ١٧﴾ وقت السحور وهو قبيل صلاة الفجر، فهذه صفات المؤمنين الذين كانوا في زمان النبي ﷺ، والمستغفرون بالأسحار بعد صلاة الليل كانوا يجلسون ويستغفرون إلى الفجر.

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ شهد الله لنفسه بالوحدانية.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ كذلك شهدوا له وأنه لا رب غيره.

﴿وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ وهم العلماء[1].

﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾[2] قائماً بالحق والعدل، وهو قيوم السماء والأرض، يدبر أمر

---

(١) —**سؤال:** ما الحكمة في أن الله لم يذكر شهادة الأنبياء؟

الجواب: أن المقام هو مقام ذكر الشهادة الصحيحة المعتبرة ولا تكون الشهادة صحيحة ومعتبرة ومقبولة إلا إذا بنيت على العلم وقامت عليه، فكان قوله: ﴿وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ مؤدياً لبيان الشهادة الصحيحة المقبولة، مع تضمنه لذكر الأنبياء والرسل، بل إن دخولهم في عمومه دخول أولي لكمال علومهم، وليس المقام مقام ذكر فضل الأنبياء ولا ذكر شرفهم وبيان منازلهم، وهذا مع ما في ﴿وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ من التعريض بجهل أهل الكتاب الذين عبدوا عزيراً والمسيح، فأشركوا بالله ولم يوحدوه.

(٢) —**سؤال:** علام انتصب: «قائماً بالقسط»؟

الجواب: انتصب على أنه حال من لفظ الجلالة في ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾، أو من «هو» الواقع بعد «إلا»، =

السماوات والأرض وما بينهما تدبيراً مبنياً على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة.

﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ۝١٨﴾ لا إله غيره، وهو عزيز غالب، وأفعاله كلها مبنية على الحكمة والمصلحة.

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم(١).

﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ اليهود والنصارى، ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ بعدما جاءهم الحق من عند الله اختلفوا؛ فمنهم من آمن ومنهم من كفر، ثم بعد ذلك تقاتلوا؛ حسداً منهم، واعتراضاً على الله في اختياره لأنبيائه.

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ۝١٩﴾ فمن يكفر ويكذب بها فالله محاسبه ومعذبه على كفره وتكذيبه.

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ فإن جادلك اليهود ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ فقل لهم: إني قد استسلمت لله وانقدت له أنا ومن اتبعني، فلا يمكننا أن نتراجع عن ذلك بعد أن استوضحنا آيات الله واستقر في قلوبنا الإيمان.

﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ كذلك، قد استجابوا لله واستسلموا.

﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ قل يا محمد لليهود والنصارى ﴿وَالْأُمِّيِّينَ﴾ وهم المشركون.

وقد ذكر صاحب الكشاف عدة وجوه لنصب «قائماً».

(١) – **سؤال:** هل يمكن أن يؤخذ من هذا أن الدين المراد هو العدل والتوحيد المذكور في الآية السابقة؟

الجواب: الأمر كذلك فالدين هو ما ذكر في الآية السابقة: ﴿شَهِدَ اللَّهُ...﴾ إلخ، فقد تضمنت التوحيد والعدل والبعث والجزاء وشرائع الإسلام، وذلك لأن الإقرار بإلهية الله وربوبيته يقتضي طاعته فيما أمر ونهى، والتعبد له بذلك، ومما تضمنه: ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ البعث والجزاء على الأعمال.

﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ أتسلمون؟ أما آن لكم أن تسلموا بعد أن استوضحتم الحق ودلائل الصدق.

﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ فإن دخلوا في الإسلام ودانوا بدينه فقد اهتدوا إلى الدين الحق، وإن أعرضوا وتولوا عن الدخول في الإسلام فدعهم في غيهم وضلالهم وما أوجب الله عليك يا محمد إلا أن تبلغهم رسالة ربك إليهم وتوضح لهم آياته البينات وتبين لهم طريق الحق، ولم يوجب عليك ربك أن تدخلهم في الإسلام.

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴿٢٠﴾﴾ فهو سيجازيهم، فما عليك إلا أن تبلغهم الحجة، لئلا يأتي يوم القيامة فيقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير؛ لأن الله لا يعذب أحداً يوم القيامة إلا بعد أن تبلغه الحجة، فما دمت قد بلغتهم الحجة فقد أديت ما عليك[1].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ المراد بهم اليهود، فقد كانت عادتهم وديدنهم قتل الأنبياء الذين يبعثهم الله إليهم، وأيضاً كان دينهم الكفر والتعنت والتمرد من عهد موسى عليه السلام إلى أن بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وإلى آخر الدهر.

﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ كانوا يقتلون[2] الذي يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴿٢١﴾﴾.

---

(١) – **سؤال:** هل في هذه الآية ونحوها تعارض مع آية السيف فنقول بالنسخ، أم ماذا؟

الجواب: قد قال علماؤنا: إن آية السيف قد نسخت هذه الآية ونحوها مما أمر الله فيها نبيه صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين بالإعراض والعفو والصفح عن الكافرين.

(٢) – **سؤال:** هل يحفظ أنهم قتلوا أحداً بعينه ممن أمرهم بالمعروف فلو ذكرتموه؟

الجواب: لا علم لي بتعيين أي مقتول من الآمرين بالمعروف.

سؤال: ما العلة في استعمال لفظة التبشير مع العذاب؟

الجواب: استعار التبشير في العذاب للتهكم والاستخفاف.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ صحائف حسنات اليهود مطموسة لا يوجد فيها حسنة يعود عليهم نفعها في الدنيا أو في الآخرة بخلاف ما عليه بعض الكفار فقد يكون لهم حسنات تنفعهم في الدنيا لا في الآخرة كما جاء في الأثر: (إن القوم ليكونون كفاراً أو فجاراً فيتباذلون ويتواصلون فتنمو أموالهم وتزكو ثمارهم وتغزر أنهارهم)، وهذا من الثواب العاجل[١].

﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴿٢٢﴾﴾ يتلفت اليهود يوم القيامة يميناً وشمالاً لعلهم يجدون من يدفع عنهم شيئاً من عذاب الله أو يشفع لهم عند الله فلا يجدون شافعاً ولا دافعاً.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ المراد بهم اليهود ﴿يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴿٢٣﴾﴾ كانوا إذا دعاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليتحاكموا إلى كتاب الله (التوراة) يعرضون عنه[٢]، وسبب إعراضهم هو تهاونهم بمعاصي الله واغترارهم بما ادعوه على الله زوراً وكذباً من أنه لا يعذبهم على معاصيهم في جهنم إلا أياماً معدودة، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ ثم يخرجون من النار ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴿٢٤﴾﴾.

﴿فَكَيْفَ[٣] إِذَا جَمَعْنَاهُمْ[٤] لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ

---

(١) – **سؤال:** هل يمكن أن يكون قوله تعالى: ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴿١٥﴾﴾ [هود]، دليلاً على ما تقولون؟

الجواب: نعم في ذلك دليل على ما ذكرنا.

(٢) – **سؤال:** هل عرف من سبب النزول دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم إلى التوراة أم ماذا؟

الجواب: ذكر في المصابيح عند تفسير هذه الآية ثلاث روايات تدل على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا اليهود إلى حكم التوراة، وذكرها الرازي في تفسيره.

(٣) – **سؤال:** ما محل «كيف» الإعرابي؟

الجواب: محلها الرفع خبر لمبتدإٍ محذوف مقدر بعدها أي: كيف حالهم.

(٤) – **سؤال:** أين جواب إذا الشرطية ﴿إِذَا جَمَعْنَاهُمْ﴾؟

الجواب: جوابها محذوف دل عليه: ﴿فَكَيْفَ...﴾، وقد جاء دليل الجواب على ذلك الأسلوب =

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ۝٢٥﴾ يُعَظِّم الله تعالى يوم القيامة ويهول ما يجري فيه من الحساب والجزاء على كل نفس حساباً حقاً وجزاءً عادلاً هنالك يلقى اليهود ما لم يكونوا يحتسبونه من جزاء كل صغيرة وكبيرة مما أحصاه الله عليهم بعلمه من كل ما جرى على قلوبهم من الخبث والمكر والنوايا السيئة والكبر والحسد والعداوة و...إلخ، وكل ما نطقت به ألسنتهم وكل ما عملته أيديهم، ورمزت به خائنة عيونهم، وكل خطوة نقلت أقدامهم فيما لا يرضاه ربهم.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ اعترضت اليهود على الله سبحانه وتعالى وقالت: لماذا جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم من العرب، ولماذا لم يأت منهم وهم معدن النبوة في زعمهم خاصة؟ فقال الله للنبي: قل يا محمد إن الملك بيد الله يؤتيه من يشاء، وليس لليهود ولا لغيرهم الاعتراض على الله فيما يفعله(١).

لتذهب النفس في تصورها لذلك العذاب المجهول كل مذهب، وتستحضر في تصورها أنواعاً عظيمة من العذاب، ومع ذلك فإنها تتخيل أنها لم تصل في تصورها إلى الصورة التي أبهمت في هذه الآية.

(١) –**سؤال:** قد يستدل بعض العوام على أن من تملك في الدنيا ولو كان من الظالمين فقد أعطاه الله الملك، وكذا في العكس، فكيف توجّه الآية في الرد عليهم؟

الجواب: يفسر إيتاء الله الملك لمن يشاء على وجهين:

١- يكون بأن يعطي الله من يشاء من عباده أسباب التسلط على الناس والقهر لهم، من التخلية والتمكين وكثرة المال والوجاهة والتدبير والجرأة و..إلخ، وهذا العطاء من الله هو للابتلاء والاختبار للمسلَّط والمسلط عليه، فبهذا التفسير والتوجيه يصح أن يقال: إن الله تعالى أعطى الملك للظالم والكافر والفاسق، وقد قال الله تعالى في مثل ما ذكرنا: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ...﴾** [البقرة:٢٥٨]، أي: أن النمرود طغى وكفر بالله ورسوله عليه السلام بسبب عظيم نعم الله عليه وتمكينه في الأرض.

٢- الحكم من الله تعالى بالولاية على الناس يأمر وينهى وعليهم السمع والطاعة، وذلك نحو ما ذكر الله تعالى لآل إبراهيم عليه السلام حيث قال سبحانه: **﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ**
=

وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴿٥٤﴾﴾ [النساء]، ومثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ [ص:٢٦]، ونحو ما في قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾ [القصص]، ومثل ما جاء في محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وآل محمد: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الحج:٤١]، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة:٢٤٧]، في قصة طالوت، فعلى ذلك يكون إيتاء الله الملك في هذا الوجه حقيقة وفي الوجه الأول مجاز، ويجوز حمل الآية على الوجهين الحقيقي والمجازي، ويسمى ذلك عموم المجاز.

وبعد، فيمكن توضيح المقصود للعامي إن أمكن، فيقال: إن الله تعالى أعطى المتسلطين أسباب التسلط والملك للابتلاء والاختبار، كما أعطى قارون قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ [القصص:٧٦]، فأعطى الله تعالى قارون أسباب التسلط على الناس من المال الكثير والقوة والتدبير، فتسلط على الناس وظلمهم، فاستنكر الله جبروت قارون وتسلطه على الناس وظلمه لهم، ووعظه صالحو قومه فلم يتعظ، وحذروه فلم يحذر، فخسف الله به وبداره الأرض، وقصته مذكورة في آخر سورة القصص، فعلى ذلك فما حصل من ملك وتسلط في الأرض فإنما حصل بسبب ما أعطاه الله للمتسلط من المال والقوة والتخلية.

سؤال: ما الوجه في انتقال الآية من الإخبار إلى الدعاء بقوله: ﴿اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ...﴾؟

الجواب: جاءت هذه الآية بعد ذكر ما عليه أهل الكتاب من التكذيب والكفر وإعراضهم وجحودهم لرسالة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهذا مع ما لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من تكذيب الأميين وهم المشركون، ورفضهم لدينه ورسالته، وجاءت بأسلوب الدعاء لأمور:

١- لأن المقام مقام طلب النصر من الله والالتجاء إليه في أن يعز نبيه ودينه، وذلك من حيث أن أبواب الأمل بنصره وإعزاز دينه قد أغلقت في وجهه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولم يبق إلا باب في نصر الله وتأييده، وطلب ذلك من الله موجود في قوة الكلام.

٢- في الدعاء وطلب النصر والتأييد من مالك الملك... إلى آخر ما ذكر من صفات العظمة

=

﴿وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ انتزعه من بني إسرائيل، ﴿وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ ترفعه في الدنيا، وتجعل له عزة وقيمة ووجاهة في الدنيا عند الله وعند خلقه.

﴿وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ فإذا أراد الله أن يذل قوماً أذلهم وأهانهم وأخزاهم، مثل بني إسرائيل كانوا في عزة فأذلهم الله وأوهى سلطانهم وسلط عليهم جبابرة العراق برهة من الدهر، ثم سلط عليهم جبابرة النصارى، وقد سلط الله عليهم في الحرب العالمية الثانية (هتلر) قتلهم وأبادهم في أوروبا، فقد قتل نحواً من ستة ملايين يهودي، وقد قال تعالى: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء:٨]: إذا عدتم إلى الفساد في الأرض عدنا عليكم فسلطنا عليكم من لا يرحمكم.

﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ فهو بيدك تؤتيه من تشاء، ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ قادر على تحويل أمة أو شخص من حالة إلى حالة.

﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ هذه من علامات قدرة الله تعالى، فيكون النهار طويلاً في أوقات، فلا تلبث إلا وقد دخل جزء من الليل في النهار فبعد أن كان خمس عشرة ساعة مثلاً يصير عشر ساعات، وهذه آية من آيات قدرته.

﴿وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ كذلك.

﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ يخرج الدجاجة من البيضة ولم يكن بداخلها شيء.

﴿وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ يخرج الولد وهو ميت من الحي(١).

والكمال؛ تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وطمأنينة، وزيادة الثقة بصدق وعد الله، وأن الله قادر على نصرهم.

٣- إظهار الفقر والحاجة إلى الله والتذلل بين يديه بالمسألة من أفضل العبادات ومن أحبها إلى الله تعالى.

(١) —**سؤال:** ما المراد بإخراج الولد ميتاً من الحي؟

الجواب: المراد بيان نفوذ قدرة الله وأنها لا تقف عند حد، فهو القادر على أن يخلق الضد من ضده، فالآية هذه مثل قوله تعالى في سورة يس: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ

=

وقد يكون هذا مثلاً ضربه الله، فقد يكون هناك شخص خبيث وفاجر ويخرج منه ولد صالح، وهكذا العكس.

﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ۝٢٧﴾ فهو الرازق سبحانه يعطي من يشاء من عباده عطاءً واسعاً.

﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ نهى الله المؤمنين عن موالاة الكافرين؛ وذلك أنه كان في المدينة أناس كافرون، وكان بعض المؤمنين يناصحون الكافرين؛ فيطلعونهم على أسرار المؤمنين، ويوادونهم، ويحذرونهم إن علموا بمكروه عليهم، فنهى الله المؤمنين عن ذلك(١) ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ ومن يناصح الكافرين ويطلعهم على أسرار المؤمنين فقد انقطعت صلته بالله فهو مع الكافرين، وليس له من الإيمان ولا من الله حظ ولا نصيب.

نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ۝٨٠﴾ فخلق تعالى آدم عليه السلام من التراب الذي لا حياة فيه، ثم خلق ذراريه من النطف الميتة والعلقة والمضغة والعظام، وكل ذلك ميت لا حياة فيه، فخلق منه الأحياء، وهكذا يخرج الميت من الحي ويخلقه منه، كالبيضة من الطائر والنطفة من الإنسان، والسقط الميت من أمه الحية.

ويصح التفسير أيضاً بخروج المؤمن من الكافر والعكس، والصالح من الطالح و..إلخ، والشجرة من البذرة والبذرة من الشجرة؛ إذ لا مانع من حمل اللفظ على الحقيقة والمجاز عند علمائنا وعند الكثير من العلماء.

(١) – **سؤال:** هل إذا والى المؤمن الكافرين مع موالاته للمؤمنين فليس داخلاً في الوعيد؛ عملاً بظاهر مفهوم الآية؟

الجواب: كان بعض المؤمنين يوالون الكافرين ويناصحونهم من دون المؤمنين فنزلت الآية على حسب ذلك؛ لذلك فلا يؤخذ بالمفهوم.

﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾[(١)] إلا أن تخالقوهم[(٢)] لدفع شرورهم من غير مناصحة بالقلب، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: (كن في الفتنة كابن اللبون، لا ظهر فيركب، ولا ضرع فيحلب)، وذلك أن يظهر لهم المودة بلسانه دون قلبه من غير أن يطلعهم على أسرار المؤمنين أو يعينهم على باطلهم.

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ فاحذروا الله فهو عالم بنياتكم وبما في صدوركم.

﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ۝٢٨﴾ والمرجع الله وسيحاسبكم على أعمالكم فاحذروا أن تخالفوا ما أوصاكم به ربكم، أو أن تتجاوزوا حدوده.

﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ فهو عالم بما في صدوركم فاحذروه وعذابه، وامتنعوا من موالاة الكافرين ومناصحتهم[(٣)].

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٩﴾ فهذا تحذير من الله ليتنبه الغافلون، وليحذروا أن يطلع الله على ما لا يرضاه من خفايا صدورهم أو أعمال جوارحهم.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾ أخبر الله أنه عالم بما في

---

(١) – **سؤال:** متى يجوز استخدام التقية معهم؟

الجواب: تجوز التقية إذا لم يجد المؤمن مهرباً يهرب إليه يأمن فيه على نفسه، وخاف على نفسه القتل أو الحبس أو الضرب والإهانة أو أخذ ماله.

(٢) – **سؤال:** من أين نعرف أن التقية هي المخالقة؟

الجواب: أخذ ذلك من قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل:١٠٦]، فتدل هذه الآية على جواز إظهار الموافقة باللسان عند الضرورة.

(٣) – **سؤال:** هل يستفاد تعميم المؤاخذة على ما في الصدور، أم تقصر على ما في السياق؟

الجواب: نزلت هذه الآيات في الذين آمنوا بألسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم، وفي هذه الآية حذرهم الله بأنه مطلع على ما أسروه في صدورهم من الكفر، وأنه سيجازيهم عليه، سواء أخفوه أم أظهروه، وتعم الآية أيضاً أعمال القلوب الخبيثة؛ لأنه لا يقصر اللفظ العام على السبب الخاص.

ضمائركم وأنه سيجازيكم عليها في يوم، وذلك اليوم هو: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ يوم القيامة تتمنى كل نفس حين ترى أعمالها السيئة أن بينها وبين عملها أمداً بعيداً ومسافة بعيدة(١).

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ كرر الله ذلك التحذير ليحذر الناس من موالاة الكافرين، وليعلموا أنه تحذير في غاية الجد؛ لأن الكفار أعداء الله، ومن شأن المؤمن أن يقاطع أعداء ربه ولا يميل إليهم بمودة أو معاونة، ومن مال معهم بمودته ومعاونته فقد صار من جملتهم وكان عدواً لله مثلهم.

﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ۝٣٠﴾ لا يؤاخذ الناس ويجازيهم بسرعة، وإنما يمهلهم لعلهم يتوبون، ويناديهم إلى التوبة ويحثهم عليها.

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ۝٣١﴾ قل يا محمد للمسلمين الذين يناصحون الكافرين ويميلون إليهم بالمودة والمعاونة إن كنتم تحبون الله كما تدعون فاتبعوني فيما جئتكم به من عند الله؛ لأني المبلغ عن الله، فالذي يحب الله سيتبع أوامر الله جميعها، ومعنى: ﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ يغفر ذنوبكم ويثيبكم، ويظلكم في ظل رحمته(٢).

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ۝٣٢﴾ يعني فإن أعرضوا عن طاعة الله ورسوله فهم من أهل سخط الله وعذابه وليسوا بمؤمنين كما يدعون وإنما هم من جملة الكافرين الذين لا حظ لهم في ثواب الله ورحمته.

---

(١) —**سؤال:** هل سيجد نفس العمل من الخير حاضراً أم ثوابه؟

الجواب: الذي تجده كل نفس يوم القيامة هو الجزاء على كل عمل عملته من خير أو شر.

(٢) —**سؤال:** هل يمكن أن يحمل: ﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ على الحكم بالمحبة ليفيد العطف التغاير؟

الجواب: يمكن تفسير ﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ بالحكم بما تقتضيه المحبة من زيادة التنوير والتوفيق والنصر والحياة الطيبة فيها، وذلك لما ذكرتم في السؤال من أن العطف يفيد التغاير.

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَاهِيمَ وَءَالَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴿٣٣﴾﴾ يعني اختارهم لحمل دينه وتبليغه للناس، فهو يصطفي من الناس من أراد، وهو عالم بهم وعالم بمن هو أهل لأن يحمل الأمانة ولا يفرط فيها، ويبلغها الناس.

وآل إبراهيم: يعني إبراهيم والأنبياء من ذريته، وأنبياء بني إسرائيل هم من ذرية يعقوب عليه السلام ويعقوب من ذرية إبراهيم عليه السلام، وأما إسماعيل فلم يأت نبي من ذريته إلا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فمحمد صلى الله عليه وآله وسلم من آل إبراهيم صلوات الله عليه.

﴿ذُرِّيَّةً[١] بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴿٣٥﴾﴾ كان المشروع في بني إسرائيل أنه إذا ولد الولد الذكر ينذرون به للخدمة في بيت المقدس إن شاءوا دون الإناث، وامرأة عمران نذرت بما في بطنها وتكون خدمته خالصة لبيت الله فتفاجأت عند ولادتها بمولود أنثى[٢].

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ تأسفت وحزنت عندما كان المولود أنثى، واعتذرت إلى الله.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ الله عالم بما وضعت، يعني أن لهذا المولود الأنثى شأناً عظيماً عند الله، وإنما قالت ذلك[٣] تأسفاً وتحزناً، ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي

---

(١) –**سؤال:** علام نصب قوله: «ذرية»؟ وما الذي نستفيد من هذا الإعراب؟

الجواب: نصب «ذريَّة» على أنَّه بدل من «آدم» وإما عطف عليه، ويجوز نصبها على الحال والعامل فيه «اصطفى». وفائدة قوله: «ذرية» على إعرابها بدلاً أو حالاً هي أن الآلَيْن وأدم ونوحاً ذرية واحد بعضها من بعض.

(٢) – **سؤال:** هل نذرها بقولها: «محرراً» كان لظنها أو علمها أنه ذكر؟ أو معنى نذرها أنها أرادت أن تنذر؟

الجواب: الظاهر أنها نذرت قبل الوضع بما في بطنها لظنها وتوقعها أنه ذكر.

(٣) – أي: قولها السابق: ﴿إني وضعتها أنثى﴾، وقولها الآتي: ﴿وليس الذكر كالأنثى﴾.

سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴿٣٦﴾ ومريم أنجبت عيسىٰ، فهؤلاء هم آل عمران الذين ذكرهم الله في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَاهِيمَ وَءَالَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴿٣٣﴾﴾ [آل عمران].

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ تقبل الله ذلك المولود الأنثىٰ، وأحاطها بعنايته وحفظه، وأحفها بلطفه وتوفيقه.

﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَلَهَا زَكَرِيَّاءُ﴾ وجعل تعالىٰ كفالتها إلىٰ نبيه زكرياء يكفلها ويقوم عليها ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّاءُ الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴿٣٧﴾﴾ تعجب زكريا فكلما دخل علىٰ مريم وجد عندها طعاماً فسألها متعجباً: من أين لك هذا الطعام يا مريم؟ قالت: هو من عند الله، فعرف زكريا عليه السلام كرامة مريم علىٰ الله، وأن لها عنده شأناً عظيماً، فأكرم الله مريم ورفعها في حال كفالة زكرياء لها(١)؛ لتكون محط أنظار الناس؛ وليكون ذلك تمهيداً لما يراد لها من الكرامة العظيمة بولادة نبي الله عيسىٰ عليه السلام من غير أب.

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّاءُ رَبَّهُ﴾ وهو نبي من أنبياء الله، وقد كان كبيراً في السن عندما رأىٰ مريم وتلك الذرية الطاهرة تحركت شهوة الولد والإنجاب في نفسه، واشتدت رغبته في ذرية صالحة، فدعا الله سبحانه وتعالىٰ أن يرزقه ولداً صالحاً، فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴿٣٨﴾﴾(٢).

---

(١) —**سؤال:** هل هناك وجه لكفالة زكرياء لها يمكن أن يؤخذ منه حكم شرعي، أم أنها القرعة؟

الجواب: صارت مريم في كفالة زكرياء عن طريق القرعة.

(٢) —**سؤال:** ما محل جملة: ﴿رَبِّ هَبْ لِي...﴾ إلخ الإعرابي؟

الجواب: محلها النصب مقول قول محذوف.

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ[١] أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴿٣٩﴾﴾ استجاب الله تعالى دعاء نبيه زكريا عليه السلام وأرسل الملائكة الكرام إليه عليه السلام يبشرونه بولد اسمه يحيى له صفات عليا يتصف بها وهي:

١- أنه سيؤمن بعيسى عليه السلام حين يبعثه الله نبياً ويتبعه، وهذا معنى قوله: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾.

٢- أنه سيكون رفيع المنزلة في بني إسرائيل ذا قدر سام.

٣- حصور لا يتزوج النساء لانقطاعه إلى عبادة الله تعالى[٢].

٤- وأنه سيكون نبياً، والنبوة هي أعلى منازل الكرامة وذروة الشرف ونهاية الرفعة.

٥- وسيكون واحداً من جملة الصالحين.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ قال زكريا عليه السلام حين بشرته الملائكة بالولد المبارك: كيف يولد لي ولد وقد بلغت منتهى الكبر والعجز وزوجتي قد طعنت في السن ويئست فلا يتأتى منها الولد، وكان استغراب زكريا عليه السلام هو في حصول الولد من أبوين هما على تلك الحال فكأنه طلب الكيفية هل سيحول الله الأبوين إلى حالة الفتوة والقوة أم أنه تعالى سيرزقهما الولد وهما على تلك الحال.

---

(١) —**سؤال:** هل يدل قوله: «المحراب» على المحاريب في عرفنا فيكون دليلاً على شرعيتها أم ماذا؟

الجواب: ليس فيه دليل على شرعية ما ذكرتم؛ لأن المراد بالمحراب هنا هو مكان العبادة كالمساجد عندنا ويطلق المحراب على الغرفة، والمحراب في العرف العام عندنا اسم للمكان الذي يقوم فيه إمام الصلاة.

(٢) —**سؤال:** ظاهر الآية أن التبتل عن النساء مندوب إليه لذا مدح، فما رأيكم في ذلك؟

الجواب: كان التبتل عن النكاح مشروعاً؛ لذلك مدح الله تعالى يحيى عليه، أما في شريعتنا فقد نسخ.

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾﴾[١] فهو على كل شيء قدير، فلا تستغرب يا زكريا على قدرة الله شيئاً.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً﴾ الآية العلامة، والمراد آية أعرف بها متى سيحصل الحمل.

﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾[٢] سيصيبك الخرس فلا تستطيع تكليم الناس إلا بالإشارة.

﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٤١﴾﴾ أما ذكر الله فلا نخرس لسانك عنه؛ فلا تزال تسبح وتذكر الله وتصلي بالعشي والإبكار[٣].

﴿وَإِذْ[٤] قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾[٥] بشرت الملائكة مريم بأن الله قد اختارها على نساء العالمين،

---

(١) —**سؤال:** ما محل «كذلك» الإعرابي؟

الجواب: محله النصب على أنه مفعول مطلق أو «كذلك الله» مبتدأ وخبر.

(٢) —**سؤال:** هل الاستثناء منقطع أم متصل؟

الجواب: الاستثناء منقطع؛ لأن الرمز ليس من الكلام.

(٣) —**سؤال:** ما المراد بالعشي والإبكار؟

الجواب: العشي من زوال الشمس إلى طلوع الفجر، هذا أحد الأقوال التي قيلت في آخر وقته، والإبكار من الفجر إلى الزوال.

(٤) —**سؤال:** ما محل «إذ» الإعرابي؟

الجواب: محله النصب عطفاً على «إذ» في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ..﴾، أو على أنه مفعول به لـ«اذكر» مقدراً.

(٥) —**سؤال:** ما العلة في تكرير الإخبار بالاصطفاء؟

الجواب: الاصطفاء الثاني هو غير الاصطفاء الأول؛ لأن العطف يقتضي ذلك، ولا سيما أنه كلام العليم الحكيم لذلك قالوا: الاصطفاء الأول هو اصطفاؤها لفضل الله وكراماته في =

يعني أنها أفضل النساء، وفي الأثر: (كمل من النساء أربع فقط: مريم، وآسية امرأة فرعون، وخديجة، وفاطمة)[١].

﴿يَامَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾ أطيعي الله، واخضعي له ﴿وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ۝٤٣﴾ أمرها الله أن تتعبد له بالصلاة[٢].

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ هذه القصص قصة مريم وزكريا وطلبه للولد أخبر الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عنها بأن ذلك من أنباء الغيب أوحيناه إليك، وهذه

صغرها، واصطفاؤها الأخير هو لما أولاها الله تعالى من الحمل بنبي الله عيسى عليه السلام من غير أب بعد أن أرسل إليها الروح الأمين يخبرها بما قضاه الله لها وحتمه من الحمل من غير أب و..إلخ، ثم بكلام عيسى في المهد حين أتت به قومها تحمله، فأظهر تعالى براءتها بذلك وعظيم كرامتها على الله، هي وولدها حيث جعلهما آية للعالمين.

سؤال: التطهر عن ماذا؟

الجواب: طهر الله تعالى مريم من قذر معاصي الله وأبعدها عنها، مع قيامها بطاعة الله وعبادته أحسن قيام ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ۝١٢﴾ [التحريم].

(١) – ذكره في تخريج أحاديث الكشاف، وقال: رواه أبو نعيم في الحلية، والثعلبي في تفسيره، وَرَوَى ابْن حبَان فِي صَحِيحه وَالْحَاكِم فِي مُسْتَدْركه من حَدِيث ابْن عَبَّاس قَالَ قَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أفضل نسَاء الْعَالمين أَربع ...)) فَذَكرهنَّ، وَصَححهُ الْحَاكِم، ورواه رزين في مجموع الصحاح.

(٢) –**سؤال:** قد يستدل من الآية على لزوم الجماعة، فهل هذا معناها هنا؟ أم المراد مماثلة التعبد؟

الجواب: مماثلة التعبد لا لزوم الجماعة، ولا سيما في هذه الآية حيث المخاطب مريم التي بلغت في العفة والطهارة الغاية والنهاية بين نساء العالمين، ومن شأن من كانت كذلك أن تكون في معزل عن الرجال، لا تراهم ولا يرونها، ولا تسمعهم ولا يسمعونها، وأن تكون حريصة على أن لا يظهر منها ما يدعو إلى أن يرفع الرجال أبصارهم إليها: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا...﴾ [مريم:١٧].

علامة على صدق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه لم يلتق بأحد من أهل الكتاب يخبره بهذه الأخبار.

﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ لم تكن حاصلاً بينهم وقت خلافهم[1] أيهم يأخذ مريم في كفالته حين تساهموا[2] وخرجت مريم في قلم زكريا، أي في سهمه.

والأقلام هي القرعة، كانوا يأخذون أعواداً ويكتبون على كل عود اسم واحد منهم، ويلقون بها بين الماء، والعود الذي يطفو أولاً يكون السهم له.

﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴿٤٤﴾﴾ ويتنازعون فيما بينهم أيهم يكفلها.

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ بشر الله تعالى مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ بمولود لها يكون له شأن عظيم اسمه عيسى بن

---

(١) –**سؤال:** بين من كان التنازع؟

الجواب: ليس هناك ما يدل على تسمية المتخاصمين، إلا أنه يظهر أن المتخاصمين كانوا من أهل العلم والفضل، ويبدوا أن سبباً مَّا دعاهم إلى الحرص على كفالة مريم والتخاصم على ذلك ثم الاقتراع، وقد يكون ذلك بسبب أنه وقع إليهم خبر عما سيجعل الله تعالى لمريم من الشأن العظيم على لسان بعض أنبيائهم، وقد يكون السبب أنها ابنة كبيرهم عمران وقد كان ذا منزلة كبيرة فيهم، هكذا أفاد بعض المفسرين.

(٢) –**سؤال:** هل في هذا دليل على أن القرعة أمر مشروع في نحو هذا؟

الجواب: يؤخذ من هذا مشروعية القرعة في نحو تعيين الأنصباء عند القسمة، وفي تقديم أحد المستويين على الباقين إذا اختلفوا، ولذلك أمثلة كثيرة منها: إذا اختلف أولياء المرأة أيهم يعقد نكاحها وكانوا مستوين في الولاية فيقرع بينهم، ومنها أن يختلف المتقاضون عند القاضي أيهم الذي يبدأ القاضي بالخوض في قضيته، وهذا مع استوائهم في الاستحقاق بأن يكون المتقاضون من بلد واحد، وأن يكون وصولهم عند القاضي في وقت واحد، وأعمارهم وصحتهم وقضاياهم متقاربة، ففي مثل هذه الحال يقرع بينهم، وقد كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقرع بين نسائه إذا خرج لسفر أو غزوة، فمن خرجت قرعتها سافر بها معه.

مريم، وأنه سيولد هذا الولد بكلمة[١] من الله يخلقه في بطنها من غير أب.

﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا﴾ ذا شرف في الدنيا وسيادة.

﴿وَالْآخِرَةِ﴾ كذلك له شرف عظيم في الآخرة، ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴿٤٥﴾﴾ إلى الله سبحانه وتعالى.

﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴿٤٦﴾﴾ يعني بأن ولدها سيكلم الناس بعد ولادته وهو في سن الرضاعة، وسيدعوهم إلى الإيمان ودين الحق حين يبلغ أشده وتكتمل قوته، يبشر[٢] الله تعالى بذلك مريم عليها السلام قبل أن تحمل بعيسى لكيلا تصتدم وتفاجأ بالحَبَل من غير أب.

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾[٣] استنكرت واستغربت أن يولد لها مولود من غير أب.

﴿قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴿٤٧﴾﴾

---

(١) ــ **سؤال:** هل المراد بالكلمة الأمر الإلهي، فكان الخلق كذلك؟ أم المراد بها شيء آخر فما هو؟

الجواب: في هذه الآية سمى الله تعالى المسيح عيسى بن مريم ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ والسر في تسميته بكلمة الله ــوالله أعلم– أنه تعالى خلقه من غير أب بإرادته، من غير أن يكون هناك كلمة تقال، وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴿٨٢﴾﴾ [يس]، فإنما هو كناية عن نفوذ إرادته وسرعة تكوين مراده، وهذه الكناية مثل الكناية في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَاأَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴿٤٤﴾﴾ [هود]، ومثل: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴿١١﴾﴾ [فصلت].

(٢) ــ **سؤال:** من أين استفيد أن التبشير لمريم قبل الحمل؟

الجواب: استفيد من الآية التي بعدها.

(٣) ــ **سؤال:** هل جملة «لم يمسسني بشر» في محل نصب على الحال؟

الجواب: نعم في محل نصب حال.

فإذا أراد شيئاً كان، وقد أراد الله أن يخلقه[١] من غير أب ليكون آية للناس، وقد اقتنعت، ورضيت، وهي عالمة بما سيحصل لها من الأذى من بني إسرائيل.

﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ[٢] وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ۝٤٨ وَرَسُولًا[٣] إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[٤] جاءهم بآية من الله سبحانه وتعالى تدل على نبوته، وهذه الآية هي: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ﴾ أشفيهم ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وقد كانت اليهود في ذلك العصر قد برعت في الطب وتمكنت فيه، فأتاهم بآية من ذلك الجنس؛ ليعرفوا أن ذلك من الله ولا قدرة للخلق على الإتيان به؛ لأنهم كانوا علماء بالطب وعالمين أنه لا مدخل للطب في إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص[٥].

---

(١) ــ **سؤال:** هل يستفاد من الآية أن القضاء أو إرادة خلق عيسى قبل إيجاده؟ ومن أين؟

الجواب: يستفاد ذلك من هنا، ومن قوله تعالى في سورة مريم حكاية عن قول جبريل لمريم: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا۝٢١﴾.

(٢) ــ **سؤال:** علام عطفت هذه الآية: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ﴾؟ وما هي الحكمة؟

الجواب: عطفت على ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾، أو على ﴿يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ﴾، أو أن تكون مستأنفة، هكذا قالوا، والله أعلم. والحكمة: هي حسن معرفة العقل لما يحسن وما يقبح، ومعرفته لما فيه كمال الإنسان وجماله ومعالي أخلاقه، مع العمل بذلك والالتزام بفعله.

(٣) ــ **سؤال:** ما محل قوله: «ورسولاً»؟ وعلام عطف؟

الجواب: «ورسولاً» مفعول به لفعل محذوف أي: ويجعله رسولاً، والجملة معطوفة على قوله: «ويعلمه ..» هذا أقرب الأعاريب في هذه اللفظة.

(٤) ــ **سؤال:** وما محل المصدر المؤول من «أني قد جئتكم» الإعرابي؟

الجواب: محله الجر بـ«باء» مقدرة متعلقة بـ«رسولاً».

(٥) ــ **سؤال:** من هو الأكمه؟

الجواب: هو الذي يولد أعمى، وقد يكون عارضاً.

﴿وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ وكان عليه السلام يخبر بني إسرائيل بما يأكلون في بيوتهم وما يخبئونه ويدخرونه من المال[(١)].

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝٤٩﴾ وقال عيسى عليه السلام: إني قد أتيتكم بآيات قاهرة وحجج واضحة تدل على صدق دعوتي.

﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾[(٢)] ولم آتكم بشيء مخالف لما في التوراة بل بما يصدقها، ولم آت بما يخالف ما جاء به موسى عليه السلام.

﴿وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ وجئتكم بالتخفيف وكان الله قد حرم أشياء على بني إسرائيل تشديداً عليهم فأحل لهم عيسى بعض ذلك[(٣)].

﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ[(٤)] مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝٥٠ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ

---

(١) —**سؤال:** هل هذا من باب ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ [الجن:٢٧]؟

الجواب: هو من الغيب الذي لا يطلع الله تعالى عليه أحداً إلا من ارتضى من رسله عليهم السلام.

(٢) —**سؤال:** علام عطف قوله: «ومصدقاً»؟ وما محله؟

الجواب: معطوف على «وأنبئكم» على تقدير: وأرسلت مصدقاً، ونصبه على الحال.

(٣) —**سؤال:** هل علم شيءٌ من هذه التي أحلها عيسى عليه السلام؟

الجواب: المعلوم هو ما حرمه الله تعالى على اليهود في قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء:١٦٠]، وفي قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ۝١٤٦﴾ [الأنعام]. أما تعيين البعض الذي يحله لهم عيسى عليه السلام فلم يذكر في القرآن، وقد أحل لهم في دين الإسلام كل ما حرم عليهم في دينهم ببغيهم: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف:١٥٧].

(٤) —**سؤال:** هل قوله: ﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ تكرير، فما فائدته أم استئناف؟

الجواب: ليس ذلك تكريراً بل ذلك آية أخرى غير ما ذكر أولاً، وهذه الآية الأخيرة التي جاءهم بها هي: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۝٥١﴾، فإن جميع رسل الله الذين أرسلوا من قبله جاءوا بذلك ودعوا الناس إليه، وذلك أمر معلوم وطريق مرسوم =

فَاعْبُدُوهُ﴾ ولا تعبدوا غيره، ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ۝٥١﴾ هذا هو الدين الحق من عند الله، فاتقوا الله ولا تتعرضوا لسخطه، وأطيعوني فيما جئتكم به من الحق والهدى فلا عذر لكم عند الله فقد جئتكم بالدليل الواضح والبرهان القاطع.

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ فلما رأى عيسى عليه السلام إصرار بني إسرائيل على الكفر، وشدة التمرد على الله والتكذيب بدعوته ونبوته وإصرارهم على اتهامه وأمه بالزنا ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾[1].

﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ[2] نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ۝٥٢ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ۝٥٣﴾ بعدما رأى منهم ما رأى من الإصرار على التكذيب والكفر دعا المؤمنين به الذين استجابوا لدعوته وآمنوا برسالته ونبوته إلى الابتعاد عن بني إسرائيل والذهاب معه إلى الله في مكان بعيد عنهم، يعبدون الله فيه، فاستجاب لذلك الحواريون وهم قلة قليلة قيل إنهم اثنا عشر رجلاً فقالوا: نحن أنصار الله قد آمنا به وبرسوله واتبعناه فاشهد لنا يا نبي الله عند ربك أننا مسلمون لله مؤمنون به وبرسوله، ثم توجهوا إلى الله بالدعاء فقالوا: ربنا آمنا بما أنزلت على نبيك عيسى، واتبعنا رسولك عيسى فيما جاءنا به من عندك فاكتبنا من الشاهدين الذين يشهدون لأنبيائك بتبليغ الرسالات، ويشهدون على قومهم بالتكذيب لرسلك وآياتك.

لرسل الله عليهم الصلاة والسلام، فمجيء عيسى عليه السلام بما جاءت به رسل الله من قبله دليل واضح على صدق دعوته، فليس ببدع في رسالته ودعوته، ولم يدع إلى غير ما دعوا إليه قبله.

(١) ‒**سؤال:** ما أراد عليه السلام بقوله: ﴿أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾؟

الجواب: المعنى: من ينصرني حال كوني ذاهباً إلى نصرة دين الله، وماضياً في إظهاره وإعلانه والدفاع عنه.

(٢) ‒**سؤال:** لماذا سموا بحواريين؟

الجواب: سموا بذلك لأنهم الصفوة من أصحابه عليه السلام، وأهل الإخلاص منهم.

﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[(١)] حين أحس عيسى من اليهود الكفر وأراد تركهم فعملوا الحيل لقتله، ولكن مكر الله كان فوق مكرهم، وذلك بأن ألقى الله شبه عيسى عليه السلام على رجل منهم فقتلوه ظناً منهم أنه عيسى عليه السلام، قال الله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء:١٥٧].

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أخبر الله تعالى نبيه عيسى عليه السلام بما يريد به من الكرامة فقال له: إني سآخذ روحك وأرفعها إلى منازل الكرامة[(٢)]، وسأطهرك من قذر بني إسرائيل ونجاستهم وكفرهم وأخفي جسدك عنهم فلا يرونه ولا يلمسونه.

والمراد بـ﴿مُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني لا يتمكنون منك ولا يصلون

---

(١) –**سؤال:** كيف جاز وصف الله بالمكر أو بقوله: ﴿خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾؟

الجواب: أسند المكر إلى الله على سبيل المجاز، ولا يسند المكر إلى الله حقيقة؛ لما فيه من الحيل والخبث.

(٢) – **سؤال:** هل يعني أن عيسى توفي وفاة حقيقية؟ فأين ذهب بجسده؟ وهل يتعارض مع قول بعض أئمتنا بنزوله في آخر الزمان أم كيف؟

الجواب: الذي يظهر –والله أعلم– أن الوفاة حقيقية، وهو الظاهر المفهوم من «متوفيك»، وقد أخفى الله تعالى جسد نبيه عيسى عليه السلام تكريماً له وتشريفاً لجسده، وكان عليه السلام قد بلغ رسالة ربه إلى قومه بني إسرائيل، وأقام حجة الله عليهم. و((لم يعمر نبي إلا نصف عمر الذي قبله))، ((إلا أنه لا نبي بعدي))، ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب:٤٠]، ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة]، ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران:٥٥]، وبذلك يكون قول من يقول بنزول عيسى عليه السلام إلى الأرض في آخر الزمان مرجوحاً. أما قوله تعالى في عيسى عليه السلام: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف:٦١]، فالمراد أنه عليه السلام كان يحيي الموتى بإذن الله، وإحياء الموتى دليل على الذين يستنكرون البعث وإحياء الموتى يوم القيامة، كما قال الله تعالى في أصحاب الكهف: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا...﴾ [الكهف:٢١].

إليك بسوء، بل ولا يلمسون جسدك حياً ولا ميتاً؛ تكريماً لك من رجسهم وقذارتهم.

﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ وبشر الله تعالى نبيه عيسى بأنه سيجعل أتباعه من النصارى متسلطين على اليهود بقوة الدولة والسلطان يستذلونهم ويمتهنونهم، ومتغلبين عليهم يقتلونهم إلى يوم القيامة، ويجعلهم فوقهم يحكمونهم، ويتحكمون فيهم؛ لقوة سلطانهم.

﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ جميعاً اليهود والنصارى ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ٥٥﴾ يحكم الله بينهم بالحكم الحق يوم القيامة، فيدخل أهل الباطل في دركات الجحيم، ويدخل أهل الحق في جنات النعيم.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هذا حكم الله يوم القيامة، ﴿فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ٥٦ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ٥٧﴾ فهذا هو حكم الله.

﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ٥٨﴾ قال الله تعالى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: ذلك الذي قصصناه عليك من قصة عيسى عليه السلام واليهود وما حصل بينهم -أي الذي نخبرك به- هو من آيات الله والذكر المحكم الصادق.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ٥٩﴾ فعيسى عندما خلقه الله من غير أب مثل آدم خلقه الله من غير أب ولا أم، فليس ذلك بغريب من قدرة الله.

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ قال الله تعالى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا هو القول الحق، وهو من الله، فلا تلتفت لما تقوله النصارى في عيسى؛ لأن نصارى نجران كانوا يأتون إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويجادلونه بغير الحق، ويقولون إن عيسى ابن الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ٦٠﴾ فلا تكن من أهل الشك في عيسى بسبب ما سمعته من قول النصارى فإن الحق هو فيما تلوناه عليك.

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾ فإن عادت إليك النصارى ليجادلونك ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ من بعد أن أخبرناك بالخبر الحق والصدق، والحجج الواضحة النيرة، ولم يقبلوا ذلك؛ ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴿٦١﴾﴾ ثم إنهم عادوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليجادلوه، فدعاهم للمباهلة[1] وتواعدوا لليوم الثاني للمباهلة، فتشاورت النصارى فيما بينهم بعدما طلبهم فقالوا: إن أتانا بأصحابه وبجيشه فليس بنبي، وإن لم يأت إلا بأهل بيته وخاصته فاحذروا ولا تباهلوه فهو نبي، فلما جاء اليوم الثاني خرج إليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعلي وهو المراد بقوله: ﴿وَأَنْفُسَنَا﴾ وفاطمة وهي المرادة بقوله: ﴿وَنِسَاءَنَا﴾ والحسن والحسين وهما المرادان بقوله: ﴿أَبْنَاءَنَا﴾ فهربوا من المباهلة عندما جاءهم بخاصته وأهل بيته خوفاً على أنفسهم من الهلاك، ودعوه للمصالحة، وطلبوا منه أن يكتب بينهم عهداً، ويطلب ما أراد من الصلح[2].

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ هذا الذي قصه الله تعالى من شأن مريم وعيسى، وأنه ولدها، وليس ابن الله، وأنه كمثل آدم، وأنه رسول الله هو القصص الحق، وأما ما تزعمه النصارى من أن عيسى ابن الله و..إلخ فهو باطل تعالى الله عنه.

﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ لا رب سواه وليس عيسى إلا عبد لله ورسول أرسله

---

(١) —**سؤال:** ما هو المقصود بالمباهلة؟

الجواب: البَهْلَة: اللعنة، وبَهَلَه الله: لعنه وأبعده من رحمته، «ثم نبتهل»: ثم نتباهل بأن نقول: بهلة الله على الكاذب منا ومنكم، ويستعمل في كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن التعاناً.

(٢) —**سؤال:** هل أجمع المفسرون على أن المراد بالمباهلة أهل البيت عليهم السلام؟

الجواب: الظاهر أن المفسرين مطبقون على أن المراد بـ«أبنائنا» في قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ...﴾ الحسن والحسين عليهما السلام، والمراد بنسائنا فاطمة عليها السلام، وأنفسنا علي بن أبي طالب عليه السلام، وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما نزلت عليه هذه الآية خرج ومعه علي وفاطمة والحسن والحسين.

إلى بني إسرائيل خلقه بقدرته من غير أب كما خلق آدم من غير أب ولا أم ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴿٦٢﴾﴾.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ وأبوا اتباع الحق والصدق ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴿٦٣﴾﴾ وسيجازيهم على تمردهم وإفسادهم في الأرض.

﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ﴾ أمر الله تعالى النبي ﷺ أن يدعو اليهود والنصارى: ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ يعني كلمة تكون وسطاً، يعني حقاً مجمعاً عليه بيننا وبينكم، نتبعها نحن وأنتم، والكلمة هذه هي قوله تعالى: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ عدم عبادة أحد إلا الله فالمصدر المؤول في محل جر بدلاً من قوله (كلمة) وأهل الكتاب فهم معترفون بالله خالق الكون، ولكنهم يهربون من عبادته وحده وجميع أهل الكتاب اليهود والنصارى وكذا المسلمون معترفون بربوبية الله وإلهيته.

﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فنحن جميعاً نكون بمنزلة واحدة، لا نعبد إلا الله، لا يعبد بعضنا البعض الآخر، ولا نعدل عن عبادة الله وحده إلى عبادة غيره.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ ولم يسمعوا ﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴿٦٤﴾﴾ اشهدوا بأنا مسلمون لله ومستسلمون ومنقادون له، لا نعبد غيره، ولا نشرك معه في العبادة أحداً غيره.

﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ لماذا تجادلون في إبراهيم.

﴿وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ فكيف تقول اليهود: إن إبراهيم صلوات الله عليه كان يهودياً، وتقول النصارى: إنه كان نصرانياً ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴿٦٥﴾﴾ تفهمون وتعقلون أنه لا يصح أن يكون يهودياً أو نصرانياً ولم توجد بعدُ اليهودية والنصرانية فالديانة اليهودية إنما وجدت في عهد موسى وهارون، والديانة النصرانية إنما وجدت في عهد عيسى عليه السلام.

﴿هَا أَنْتُمْ[(١)] هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾[(٢)] أنتم هؤلاء جادلتم في شيء أنتم به عالمون فأنصفناكم بالحجاج ورددنا حجتكم بالحجة القاهرة؛ ﴿فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ لماذا تحاجون في إبراهيم وليس لكم بملته علم، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾ فلم يكن إبراهيم على الديانة اليهودية، ولا على النصرانية ولكن كان مائلاً عن الديانات الباطلة وتابعاً لدين الحق مسلماً لله وجهه ولم يكن من المشركين، وقوله: ﴿حَنِيفًا﴾ يعني مائلاً عن الشرك، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ﴾[(٣)] كان اليهود والنصارى

---

(١) —**سؤال:** ما فائدة الهاء في قوله: ﴿هَا أَنْتُمْ﴾؟

الجواب: فائدتها تنبيه المخاطب ليفتح أذنيه ويصغي لما بعدها من الكلام، وفيها إيذان المخاطب بأن ما يأتي بعدها من الكلام جدير بالاهتمام.

(٢) —**سؤال:** ما هو الشيء الذي جادلوا فيه وهم به عالمون؟

الجواب: الذي يظهر من الآية التي قبلها وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا...﴾ الآية- أن الجدال الذي جادلوا فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين وهم به عالمون كان في الأحكام والأخبار التي أنزلها الله تعالى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن حيث اعترضها اليهود وادعوا أنها مخالفة لما أنزله الله إليهم في التوراة.

(٣) —**سؤال:** ما هي الأولوية للمؤمنين بإبراهيم عليه السلام؟

الجواب: الأولوية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وللمؤمنين بإبراهيم هي ما يفهم مما حكى الله تعالى عن إبراهيم: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [إبراهيم]، فمن اتبع إبراهيم عليه السلام لحقه فيما كان عليه من الهدى ورضوان الله ومحبته وولايته والفوز بثوابه والأمن من عقابه، ومن لم يتبع إبراهيم عليه السلام خاب وخسر، ولم يكن له نصيب في رضوان الله ومحبته وولايته وثوابه، وكان من الضالين. **هذا،** وقد ادعى كل من اليهود والنصارى أن ما هم عليه من الدين اليهودي والنصراني هو ملة إبراهيم عليه السلام، ودينه الذي كان يدين الله به، فرد الله عليهم كما ذكرنا.

يقولون: نحن أولى بإبراهيم؛ لأنا على دينه وهو على ديننا، فرد الله عليهم بأن أولى الناس به الذين اتبعوه وهذا النبي، يعني محمداً صلى الله عليه وآله وسلم هو أولى به ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ به فهم أولى به منكم أيها اليهود والنصارى، ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ۝٦٨﴾ ناصرهم ومؤيدهم.

﴿وَدَّتْ طَايِفَةٌ[١] مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾[٢] كان أهل الكتاب حريصين على أن يضلوا المؤمنين، ويخرجوهم ويصدوهم عن دينهم إلى دين اليهود والنصارى فما نجحوا ولا أفلحوا، ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ۝٦٩﴾ ولا يسعون في الواقع إلا في هلاك أنفسهم، وهم لا يعلمون.

﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ۝٧٠﴾[٣] كان من المفروض على أهل الكتاب أن يؤمنوا بآيات الله؛ لأن دلالة صدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم موجودة عندهم في كتبهم، فكيف يكفرون وهم يعلمون أن ما جاء به حق وصدق؟!

﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ كان اليهود يخلطون الحق بالباطل؛ لأجل أن يضيعوا الحق الذي عرفوه في التوراة، ويُلَبِّسُوا على الناس؛ لئلا يهتدوا إلى الدين الحق.

---

(١) –**سؤال:** هل المراد بالطائفة البعض أو الكل؟

الجواب: المراد البعض، وذلك أنه لا يُحْسِن ترويج الشبه وزخرفتها والتلبيس على الناس وتصوير الباطل بصورة الحق والعكس– إلا أهل المعرفة والفطنة دون العوام وأهل الجهل منهم.

(٢) –**سؤال:** ما إعراب «لو» في الآية؟

الجواب: «لو» حرف مصدري بمنزلة «أن» الناصبة للفعل المضارع، و«لو» والفعل الذي دخلت عليه مؤول بمصدر مفعول به منصوب لـ«ودت»، وفي «لو» مع ذلك رائحة التمني.

(٣) –**سؤال:** هل المراد بشهادتهم إقرارهم بالدليل على نبوته في كتبهم؟

الجواب: المراد بشهادتهم إقرارهم بصدق دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصحة نبوته، وأنه النبي الذي بشر الله به في التوراة، وكانوا –كما روي– يعترفون بذلك فيما بينهم ويقرون به، وإذا لقوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين أنكروا وكفروا.

﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يكتمون الحق وهو موجود عندهم في كتبهم، يعني محمداً وأوصافه، وما جاء به وتصديق دعوته، مع ما هم عليه من العلم بصدقه وصدق دعوته وكل ذلك حسداً وبغياً وتمرداً على الله.

﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ -من اليهود- قالوا: سوف نعمل للمسلمين حيلة -وذلك لأجل أن يصدوا الناس عن الإسلام- كانوا يقولون لبعضهم البعض: ﴿ءَامِنُوا بِالَّذِى أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا ءَاخِرَهُ﴾ اتفقوا فيما بينهم أن يذهب ناس منهم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أول اليوم[١] فيؤمنوا به، ثم إذا كان آخر اليوم يقولون: تبين لنا أنه ليس الدين الحق، وأننا كنا نظن أنه الدين الحق، ثم تبين لنا أنه ليس به، وذلك لأجل أن ينفروا الناس عن الإسلام، ويبعدوهم عنه.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ لأجل أن يتراجع الناس عن الإسلام، ويخرجوا منه.

﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ لا تعترفوا لأحد بحق إلا لمن اتبع دينكم فقط فاعترفوا له بأنه الحق وغيره الباطل.

﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾[٢] الهدى هو ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم من عند الله، وليس على ما قالت اليهود ﴿أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾[٣] فلا تعترفوا لأحد بأنه قد أوتي مثل ما أوتيتم بأن تقولوا للمسلمين بأنه قد جاءكم الحق مثل ما قد جاءنا[٤].

---

(١) –**سؤال:** كيف كان وجه النهار أول اليوم؟

الجواب: في ﴿وَجْهَ النَّهَارِ﴾ استعارة مكنية واستعارة تخييلية، فشُبِّه النهارُ بالإنسان تشبيهاً مضمراً في النفس، فلما صوره بصورة الإنسان أثبت له وجهاً تخييلاً.

(٢) –**سؤال:** هل هذه جملة معترضة؟

الجواب: هي جملة معترضة بين العامل ومعموله، والعامل هو «ولا تؤمنوا» ومعموله هو «أن يؤتى».

(٣) –**سؤال:** ما موضع المصدر المؤول: ﴿أَنْ يُؤْتَى﴾ الإعرابي؟

الجواب: موضعه الجر بالباء الجارة المتعلقة بـ«لا تؤمنوا».

(٤) – **سؤال:** يظهر لنا أن قوله: «أن يؤتى» معمول لـ«تؤمنوا» وهو مشكل خصوصاً مع المعطوف: ﴿أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾؟

=

﴿أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ وذلك إذا اعترفتم لهم بالحق فسوف يجادلونكم عند ربكم يوم القيامة بأنكم قد اعترفتم لهم وذلك لأجل إذا كان يوم القيامة لم يكن للمسلمين عليكم طريق ولا سبيل، ولا حجة يحتجون بها عليكم عند الله- يلقنون ذلك أتباعهم مثلما يلقن الرجل صاحبه إذا كان عليه خصومة كيف يفعل عند القاضي بأن يسكت؛ لأجل أن لا يفتح للخصم طريقاً عند القاضي.

﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ فلا تعترضوا على الله في اختياره أيها اليهود، وليس لكم أن تتحكموا عليه في اختياره وفضله.

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝٧٣﴾ له أن يختار نبياً من غيركم يا معشر اليهود، ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝٧٤﴾ فلا يحق لكم ولا ينبغي الاعتراض على ما يريد الباري تعالى لعظمته وجلاله وكبريائه وربوبيته.

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾[١] قال الله: إن بعض اليهود أصحاب أمانة إذا ائتمنته فلن يخونك، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ وبعضهم أهل خيانة حتى في الشيء اليسير فسيخونك فيه، ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ

الجواب: إعراب هذه الآية وتفسيرها من أصعب المشكلات في القرآن الكريم، وقد أعربوها على وجوه كثيرة، ولكنها كلها لم تسلم من الإشكالات. والذي رأيته أقرب إلى السلامة من الإعراب هو: أن قوله تعالى: ﴿أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ﴾ استفهام استنكاري حذفت منه همزة الاستفهام، ويكون التقدير: أَمِنْ أجل أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم قلتم ما قلتم ودبرتم ما دبرتم؟ ويدل لهذا: أن ابن كثير وهو من السبعة قرأها بهمزتين، والمستثنى منه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ مقدر حذف لوجود ما يدل عليه في الكلام وهو: ﴿أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ...﴾ والتقدير: ولا تؤمنوا ولا تعترفوا أن الله أعطى محمداً والمسلمين من كرامة النبوة والكتاب مثل ما أعطاكم، ولا تعترفوا أن المسلمين سيحاجوكم عند الله يوم القيامة بما أعطاهم من الحجة إلا لمن كان على دينكم من اليهود.

(١) –**سؤال:** هل يؤخذ من هذا لزوم الاعتراف للفاسق ونحوه بما فيه من خصال الخير؟

الجواب: يؤخذ جواز ذكر الفاسق والاعتراف والإقرار بما فيه من خصال الخير، أما الوجوب فلا يؤخذ من الآية.

عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ لم تفارقه وأما إذا تركته فسيخونك ويأخذه.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾(١) أي: أنهم اعتقدوا من قبل أنفسهم أنه ليس عليهم في المسلمين، وفي قريش ومن ليس على دينهم حرج إذا أخذوا منه شيئاً، وأن أموالهم حلال لهم، وليس الحرام إلا أن يأخذ يهودي على يهودي فقط، وأما أموال غيرهم فهي حلال لهم.

﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٥﴾ يكذبون على الله بأنه قال ليس عليهم حرج ولا مؤاخذة إذا أخذوا على الأميين شيئاً، وهم عالمون أنهم يكذبون على الله، وأنه سيؤاخذهم على ذلك.

﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۝٧٦﴾(٢) قال الله: ليس القول ما قلتم بأنكم أهل الحق وغيركم أهل الباطل، بل من أوفى بعهده مع الله واتقاه فإن الله سيحبه، ولو لم يكن من اليهود.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٧﴾(٣) الذين ينقضون عهد الله ويحلفون الأيمان الفاجرة؛ لأجل حاجة تافهة

---

(١) –**سؤال:** إلى ماذا الإشارة بقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾؟

الجواب: يعود إلى أخذهم للأمانة، واستحلالهم لأكلها وعدم تأديتها.

(٢) –**سؤال:** يا حبذا لو فصلتم القول في «بلى» فالمعروف عند الكثير أنها لإيجاب الكلام المنفي حتى قال بعض المعربين: إنها لإيجاب ما نفوه بقولهم: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾، ولم يظهر ذلك، فكيف؟

الجواب: «بلى» هي لإيجاب المنفي قبلها كما يقوله المعربون، وقد كان تفسيري مبنياً على المعنى، وذلك من حيث إن اليهود يستحلون أموال الناس لأنهم أهل الحق، والناس أهل باطل، والأصل: بلى عليكم سبيل فيما فعلتم.

(٣) –**سؤال:** ما هو الاشتراء المقصود في الآية؟

الجواب: هو أخذهم المال القليل بدلاً عن الوفاء بعهد الله الذي أخذه عليهم في العمل بما شرعه لهم في التوراة وفرضه عليهم فيها.

من الدنيا- توعدهم الله بأن ليس لهم نصيب من رحمة الله يوم القيامة، ولا حظ لهم في ثوابه، وهو ساخط عليهم، فلا يكلمهم، ولا ينظر إليهم، وهذا على سبيل الكناية عن شدة غضب الله عليهم، ألا ترى إذا غضب أحد على شخص فإنه لا ينظر إليه ولا يكلمه- عبَّر الله عن غضبه بما نفهمه ونشاهده فيما بين المخلوقين.

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ بل يحكم عليهم بأنهم فجار، ويدخلهم النار[1].

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا﴾ يعني من اليهود ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ يقرؤون لهم على أنها التوراة، وليست هي، وإنما اختلقوه من عند أنفسهم، فيرتلونه[2] على أنه من التوراة كذباً على الله، وهم مع ذلك يعلمون أنهم يكذبون عليه، ومتأكدون من ذلك.

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ لا ينبغي لأحد من البشر أن يبعثه الله نبياً، ثم بعد ذلك يأمرهم هذا النبي بعبادته، وذلك لأن النصارى كانت تدعي أن عيسى يأمرهم بعبادته، ثم رد الله عليهم بهذا.

﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ أي: ولكن يأمرهم بعبادة الله والانقطاع إليه، واختصاصه بالخضوع، وذلك أن العابد المنقطع إلى الله يسمى ربانياً[3].

---

(١) -**سؤال:** هل المراد بالتزكية التعديل؟

الجواب: المراد لا يحكم بطهارتهم من الذنوب الموجبة للنار.

(٢) -**سؤال:** هل المراد بـ«يلوون» يقرؤون على هيئة المرتل والتالي؟

الجواب: المراد هو ذلك إلا أنهم يميلون بألسنتهم ويوجهونها إلى المحرف ويتركون الصحيح.

(٣) -**سؤال:** يقال: إن لفظة «رباني» لا تطلق إلا مقترنة بالعلم كما يقال: «عالم رباني» فهل هو صحيح أم لا؟

الجواب: لا يشترط الاقتران بدليل هذه الآية.

=

﴿بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ۝٧٩﴾[(١)] بسبب أنكم من أهل العلم بالكتاب وأهل دراسته، فالمفروض أن تكونوا متعبدين لله وخاضعين له، ومطيعين ومنقادين له، ولا تتكبروا عليه بادعائكم الربوبية، يعني: لنبيه عيسى عليه السلام.

﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ[(٢)] أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ لا يأمركم الله ولا أنبياؤه بعبادة الملائكة والأنبياء، ﴿أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ۝٨٠﴾ كيف يأمركم بالكفر بعد إذ كنتم مسلمين- استنكاراً من الله عليهم كيف يصدر من الله العلي الكبير أن يأمر بعبادة غيره ويأمرهم بالشرك به والكفر بربوبيته ووحدانيته.

﴿وَإِذْ أَخَذَ[(٣)] اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا[(٤)] مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ أخذ الله العهود والمواثيق على

سؤال: أفيدونا ما هي المناسبة بين «رباني» وبين المنقطع إلى الله؟

الجواب: المناسبة أن المرء ينسب إلى عمله الذي عُرِف به وانقطع إليه، فلما انقطع العالم إلى الله وإلى عبادته وطاعته نُسِب إليه فقالوا: رباني، أي: لا شغل له غير عبادة ربه وطاعته.

(١) –**سؤال:** يقال: هل في الآية دليل على أن الطريق الربانية هو التعلم والدراسة أم لا؟

الجواب: بل في الآية دليل على أن تعلم العلم ودراسته وتعليم الناس مقدم على العبادة، أي: أن العلم هو الأول ثم العمل والعبادة، فالعبادة هي نتيجة العلم، والعلم هو السبب والعبادة مسبب.

(٢) –**سؤال:** ما وجه النصب في قوله: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾؟

الجواب: النصب هو بالعطف على: ﴿أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ﴾ ولا صلة للتوكيد.

سؤال: ما يكون معنى «إذ» على هذا التوجيه الذي قررتموه؟

الجواب: إذ اسم زمان أي بعد فترة إسلامكم.

(٣) –**سؤال:** ما محل «إذ» الإعرابي؟

الجواب: محلها النصب على أنها مفعولة لفعل محذوف تقديره: واذكر.

(٤) – **سؤال:** ما محل «لما» الإعرابي؟ وكيف يكون النظم القرآني في: ﴿ءَاتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ بناءً على إعراب «لما»؟

الجواب: اللام موطئة للقسم، و«ما» شرطية في موضع نصب مفعول به أول لآتيتكم، وضمير المخاطبين المفعول الثاني، و«من كتاب وحكمة» بيان وتمييز للإبهام في «ما»، وموضع: «من =

الأنبياء: موسى وعيسى وغيرهم- أنه متى جاءكم النبي محمد ﷺ أن تصدقوا به وتؤمنوا به، وعاهدوا الله على ذلك.

﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى قَالُوا أَقْرَرْنَا﴾[(١)] قال لهم: هل أنتم راضون وحاملون عهدي؟ قالوا: رضينا، فقال الله لهم: ﴿قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِنَ الشَّاهِدِينَ۝٨١﴾ اشهدوا على أنفسكم بهذا العهد، ﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ۝٨٢﴾ فمن نقض العهد، ولم يوف به- فهو من المتمردين الخارجين عن حدود الله.

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ هل تريد اليهود والنصارى ديناً غير دين الله؟ فقد أنزل لهم القرآن مصدقاً لما بين يديه؛ فهل يريدون ديناً غير هذا الدين الذي هو دين الله؟

﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ۝٨٣﴾[(٢)] إن

كتاب وحكمة» النصب على التمييز أو على الحالية، و«لتؤمنن به» جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط. وتعرب «لما» على وجه آخر وهو: أن تكون اللام لام الابتداء، و«ما» اسم موصول والجملة بعده صلة، والعائد محذوف وتقديره: «آتيتكموه»، والخبر إما «من كتاب وحكمة» وإما «لتؤمنن به»، وهذا الأخير أولى وأحرى، ويكون «من كتاب وحكمة» لبيان الإبهام الذي في الموصول.

(١) –**سؤال:** ما معنى الإصر لغة؟ وكيف يوجه في الآية؟

الجواب: الإصر في اللغة: العهد، ويطلق أيضاً على الذنب والثقل، والمعنى: أن الله تعالى أخذ على أنبياء بني إسرائيل العهد أو على أتباعهم بأن يؤمنوا بكل ما أعطاهم من الكتاب والحكمة، وأن يؤمنوا بمن يرسله الله تعالى برسالة موافقة لما معهم من الرسالة وينصروه، ثم أكد الله ذلك عليهم عن طريق التقرير بالسؤال، فأقروا بالعهد وأخذوه وقبلوه وتحملوه، ثم أكد ذلك عليهم بأن أمرهم بتحمل الشهادة المصحوبة بشهادة الله لحفظ الميثاق المأخوذ عليهم.

(٢) –**سؤال:** يقال: ظاهر الآية: ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ...﴾ فيمن يعقل ويحاسب، فكيف استسلم بعضهم كرهاً؟

الجواب: قد فسرت الآية بعدة تفاسير أحدها: أن جميع المخلوقات على العموم والشمول استسلمت وانقادت لإرادة الله، وما قضاه فيها من الخلق والتقدير، و«من» وإن كانت =

دين الله أحق بالاتباع من دين غيره؛ لأنه تعالى قد انقاد له واستسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً، وإليه سبحانه مصير الخلائق للحساب والجزاء، فهو الذي تحق له العبادة دون غيره.

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴿٨٤﴾﴾(١) أي: ونحن لله منقادون مستسلمون، لن نتأبى، ولن ننفر، ولن نرفض، بل ننقاد لله ونستسلم له، ونطيعه فيما أمرنا به ونهانا، وهذا هو الإيمان الصحيح.

موضوعة للعقلاء إلا أن الله تعالى لما وصف المخلوقات على الإطلاق بصفة من يعقل في قوله: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ﴾ ساغ وحسن تحليتها بحلية من يعقل «مَنْ». ومن تفاسيرها: أنها خاصة بالعقلاء، وإسلامهم كرهاً هو بتسليط الله تعالى أولياءه المؤمنين على الكافرين حتى يذعنوا وينقادوا لله تعالى ولرسله عليهم السلام.

(١) –**سؤال:** ما علاقة هذه الآية بما قبلها؟

الجواب: في هذه الآية: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ...﴾ بيان الدين الحق، وفي الآية التي قبلها ما يدل على أن أهل الكتاب كانوا يسعون غاية السعي لإقناع الناس بأن دينهم هو دين الله لا دين له في الأرض سواه، وأن دين الإسلام دين باطل؛ فحسن لذلك أن يبين الله تعالى لنبيه وللمؤمنين وللناس أجمعين دينه الحق.

سؤال: ما المراد بالأسباط؟

الجواب: الأسباط هم الأنبياء الذين بعثهم الله تعالى من ذرية يعقوب عليه السلام وهم أولاد أولاده، وقد ذكر الله تعالى منهم داود وسليمان وزكرياء ويحيى و... صلوات الله عليهم وسلامه وبركاته، أما أولاد يعقوب عليه السلام لصلبه فقد تنبأ الله منهم نبيه يوسف عليه السلام، أما سائر إخوته فلم يكونوا أنبياء؛ بدليل رؤيا يوسف عليه السلام التي قصها على أبيه، وأمره بكتمانها عن إخوته؛ لما فيها من الدلالة على أن الله تعالى سيختصه بالنبوة دونهم، فقال كما حكى الله تعالى عنه: **﴿لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾** –أي: يختارك للنبوة دون إخوتك– **﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾** [يوسف].

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ۝٨٥﴾[1] الذي يريد غير الإسلام ديناً فليس مقبولاً عند الله، بل هو من الخاسرين عند الله يوم القيامة.

﴿كَيْفَ يَهْدِي[2] اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ

---

(١) –**سؤال:** هل يراد بالإسلام هنا ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فمن أين استفيد ذلك؟

الجواب: المراد بالإسلام ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم من عند الله تعالى بدليل الآية السابقة: ﴿قُلْ ءَامَنَّا...﴾ إلى قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ۝٨٤﴾ فكأنه قال: ومن يبتغ غير ذلك الإسلام الذي هو ما تضمنته الآية، وقد تضمنت الإيمان بالله وبرسله وبما أنزله الله تعالى على رسله جميعاً، ثم الانقياد لله تعالى والسمع والطاعة في امتثال أمره والانتهاء عن نهيه. هذا هو المراد في هذا المقام؛ لأنه لا يوجد وقت نزول القرآن إلا الدين الحق الذي هو دين الإسلام، ودين أهل الكتاب دين اليهودية ودين النصرانية وهما دينان محرفان، قال تعالى في اليهود: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا...﴾ [البقرة:٧٩]، وقال تعالى عنهم: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ...﴾ [آل عمران:٧٨]. وأما النصارى فيوجد في وقت نزول القرآن أربعة أناجيل مختلفة، لكل طائفة إنجيل تعتمده يخالف بعضها بعضاً. أما ما جاءت به أنبياء الله تعالى من الدين فيسمى إسلاماً بدليل: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ۝١٣٢﴾ [البقرة]، ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ۝٤٤﴾ [النمل]، وقال نوح: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ۝٩١﴾ [النمل]، وحكى الله تعالى من قول فرعون حين غرق: ﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ۝٩٠﴾ [يونس]، وعن الجن: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ [الجن:١٤].

(٢) –**سؤال:** ما الوجه في نسبة الهداية إلى الله في قوله: ﴿يَهْدِي اللَّهُ﴾؟ وما معنى: ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ۝٨٦﴾؟

الجواب: الهداية الأولى والثانية بمعنى التوفيق وزيادة الألطاف، ولا يقدر على ذلك إلا الله تعالى، وقد أفادت الآية أن الله تعالى منزه عن توفيق الكافرين الذين كفروا بعد استحكام معرفتهم بالحق وإقرارهم به. أما الهداية التي بمعنى الدلالة فإن الله تعالى يعطيها للكافر والمؤمن،
=

وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴿٨٦﴾﴾ يعني قد انقطع الأمل في رجوعهم إلى الإسلام، وقد دخلوا في الإسلام وآمنوا، وشهدوا أن الرسول حق، ورأوا حجج الله وسمعوها، ثم كفروا بعد ذلك، فلا يرجى رجوع من كان كذلك إلى الهدى ودين الحق.

﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴿٨٧﴾﴾(١) لأنهم كفروا عن بصيرة، بعدما سمعوا حجج الله واستيقنوها وعرفوها، ثم خرجوا بعد ذلك.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴿٨٨﴾﴾(٢) ولن يمهلهم الله حين يأتيهم العذاب، ويطلبون التوبة والرجوع فلا يجابون فلا تطمعوا أيها المؤمنون في رجوعهم إلى الدين الحق.

والمهتدي والضال، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت:١٧]. ووجه الفرق بين الهدايتين: أن الله تعالى لعدله وحكمته قضى بأن لا يعذب المكلفين حتى يبين لهم الحق والباطل والهدى والضلال، ويبصرهم طريق الثواب وطريق العقاب، وتماماً كما قال سبحانه: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴿١٥﴾﴾ [الإسراء]، ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴿١٣١﴾﴾ [الأنعام]، وقد بين تعالى للناس جميعاً ودلهم على طريق رشادهم وفلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وحذرهم عن طرق الضلال وسلوكها، ودلهم على ما أعد من العذاب لأهل الضلال على ألسنة رسله، وفيما أنزل من كتبه. أما الهداية التي بمعنى التوفيق والتسديد والتنوير فهي ثواب من الله لمن استجاب وأناب إلى الله، أما الذين تمردوا وكفروا وخرجوا عن أمر الله فلا يستحقون ثواباً، ولا تحسن في فطرة العقل إثابتهم.

(١) –**سؤال:** هل هناك فرق بين لعنة الله ولعنة الناس؟

الجواب: بينهما فرق، فلعنة الله تعالى هي: أن يحرم الله من يستحق اللعن من ولايته ويطرده منها إلى سخطه، واللعنة من الناس: هي الدعاء منهم لله بأن يلعن من يستحق اللعن.

(٢) –**سؤال:** ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ إلى ماذا يعود الضمير «فيها»؟

الجواب: يعود إلى لعنة الله من حيث إن المراد بها جهنم التي هي مكان لعنته وسخطه.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴿٨٩﴾﴾ هؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم، ثم رجعوا عن كفرهم سيتوب الله عليهم، فباب التوبة مفتوح لمن تاب وأصلح ما أفسد في كفره وردته[١].

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴿٩٠﴾﴾ آمنوا ثم كفروا، ثم ازدادوا كفراً؛ فهؤلاء تستبعد[٢] منهم التوبة، وسيموتون على الكفر، ولا تنفعهم التوبة عند الموت، وفي يوم القيامة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ[٣] الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ[٤] افْتَدَىٰ بِهِ﴾ من مات وهو كافر فقد تورط، ولن ينفعه الفدية ولو

---

(١) —**سؤال:** من أين أخذ بعض أئمتنا أنّ من الإصلاح أن لا يتوب التائب من ذنب مع ارتكابه لآخر؟

الجواب: أخذوه من حيث إن الله تعالى رتب المغفرة والرحمة على التوبة والإصلاح، ولم يقيد فعل الإصلاح بمفعول به؛ فيقتضي لذلك عموم الإصلاح لأعمالهم الحالية والمستقبلة والماضية، وإصلاح الأعمال الماضية يكون بالتوبة والندم، وبالتخلص من المظالم، وتدارك ما يمكن تداركه، وإصلاح الأعمال الحالية والمستقبلة بإصلاح النية، وإخلاص العمل، والتواضع للحق، وحسن التعبد لله تعالى.

(٢) —**سؤال:** ظاهر الآية منع قبول التوبة منهم فهل هو مجاز في الاستبعاد أم استعارة، وضحوا ذلك؟

الجواب: الظاهر أن الآية نزلت في قوم مخصوصين، والتعريف هو تعريف العهد، وقد علم الله تعالى أن أولئك القوم المخصوصين لن يتوبوا، وإن تابوا فيما بعد إذا عم الإسلام فلا يَصْدُقون في توبتهم، ولا يقبل الله توبة التائب بلسانه دون قلبه، ولا توبة التائب عند حضور أجله.

(٣) —**سؤال:** هل المراد تعليق ذلك بالمستحيل؟

الجواب: نعم المراد ذلك؛ ليحسم الله أطماع المجرمين ويؤيسهم من إمكان الخلاص من عذاب الله يوم القيامة.

(٤) — **سؤال:** ما فائدة قوله: ﴿وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ﴾ مع استفادة الفدية من قوله: ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾؟

الجواب: أحسن ما رأيت في توجيه الآية في ذلك الإشكال هو أن الكلام محمول على المعنى كأنه قيل: فلن تقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهباً.

بملء الأرض ذهباً مع أن الكافر لا يملك يوم القيامة شيئاً كيوم ولدته أمه.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴿٩١﴾﴾ لا أحد ينصرهم يوم القيامة، ويدفع عنهم عذاب الله، فلا وسيلة ولا شفاعة.

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قال الله للمسلمين لن تفعلوا البر الذي أمر الله به إلا إذا أنفقتم مما تحبونه، أما إذا لم ينفق المرء إلا الشيء الرديء والدنيء- فلن ينال ثواب الصدقة[١].

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴿٩٢﴾﴾ ولو لم يكن إلا قليلاً، فسيجازيكم عليه، ولو بشق تمرة.

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ﴾[٢] قال لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن الله قد حرم عليكم كثيراً مما كان حلالاً لبني إسرائيل- عقوبة لكم وجزاءً على معاصيكم، فردوا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا: كلا إن الذي حُرِّم علينا في التوراة كان محرماً علينا من قبل، ولم يجازنا، ولم يعاقبنا بتحريم شيء علينا، فقال الله لهم: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴿٩٣﴾﴾ هاتوا التوراة وانظروا فستروا فيها أن الله حرم عليكم بعض ما كان حلالاً لبني إسرائيل عقاباً وجزاءً.

استدل عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنهم متمردون على الله حتى في عهد موسى، فحرم الله عليهم بعض الطيبات في التوراة جزاءً على تمردهم.

﴿فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴿٩٤﴾﴾ قد

---

(١) -**سؤال:** هل هذا خاص بالصدقة الواجبة أم يتناول حتى النافلة، فهو مشكل؟

الجواب: الأولى أن تشمل الآية الصدقة الواجبة والصدقة النافلة، وذلك أن الفعل «تنفقوا» جاء مطلقاً فلم يقيد بأيهما.

(٢) -**سؤال:** ما هو الذي حرمه إسرائيل على نفسه؟ وهل إسرائيل هو يعقوب؟

الجواب: حرم إسرائيل على نفسه لحم الإبل، وكان بإذن من الله، وإسرائيل هو نبي الله يعقوب عليه السلام.

افتريتم أيها اليهود على الله الكذب ونسبتم إليه غير ما أنزله عليكم في التوراة وأنتم تعلمون، فقد ارتكبتم بفعلتكم هذه ظلماً عظيماً.

﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ أنكم تكذبون عليه، وتفترون عليه، وأنه عاقبكم بأن حرم عليكم بعض ما كان حلالاً لبني إسرائيل.

﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ۝٩٥﴾ ثم إن الله تعالى دعا أهل الكتاب إلى اتباع ملة نبيه إبراهيم عليه السلام فهي أحق بالاتباع إذ ليس فيها شرك وما كان من المشركين.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ[1] وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ[2] مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ۝٩٦﴾ يعني أول مسجد يتوجه إليه بالعبادة هو في مكة، وهو أول بيت وضع على وجه الأرض، وهو مبارك؛ ففيه بركة في الدين والدنيا، وهو محل هدى للعالمين، فبعث الله فيه نبيه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالهدى ودين الحق.

﴿فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ قال فيه آيات واضحات، وذلك: مقام إبراهيم حيث وضع رجله على حجر وهو يبني الكعبة فساخت في الحجر فبقي أثرها في الحجر على مقاس رجله، ولا زالت الحجر وأثر قدم إبراهيم فيها إلى يوم الناس هذا.

﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا﴾ جعل الله الحرم آمناً حتى للمشركين، ولو كان قاتلاً فهو فيه آمن حتى يخرج.

---

(١) —**سؤال:** هل المراد بأول بيت من بيوت العبادة، أم أول بيت عمر على وجه الأرض؟

الجواب: المراد أول بيت بني لعبادة الله على وجه الأرض.

(٢) —**سؤال:** هل ثم فرق بين الاسمين مكة وبكة؟

الجواب: قد قيل إن بكة اسم للمسجد، ومكة اسم للحرم المحرم، وقيل غير ذلك، والظاهر من هذه الآية أنهما اسمان لمسمى واحد، وهو القرية المحتضنة للكعبة، ومن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ [الفتح:٢٤].

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ أوجب الله على الناس أن يحج المستطيع؛ لينال بركة البيت، ويرى آيات الله، ويذكر العهود السابقة، ويرى آثار الأنبياء والصالحين، ولترتبط العلاقة بهم وتتقوى فيه روابط الإسلام.

﴿وَمَنْ كَفَرَ[١] فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴿٩٧﴾﴾ من أبى أن يحج فالله غني عنه، ولن يضر إلا نفسه.

﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴿٩٨﴾﴾ كيف تكفرون بآيات الله وهو يشاهد أعمالكم؟ التي تعملونها وأنتم تعلمون أنه سيعذبكم عليها، ولكنهم كانوا أهل كفر وعناد شديد وتمرد فلم يستجيبوا لدعوة ربهم.

كان هناك رجل أسلم يوم أحد اسمه المخيرق، وكان يوم السبت، فلبس آلة الحرب وخرج فقال: يا معشر اليهود لا سبت لكم، قد علمتم أن هذا النبي هو الذي أخذ الله علينا العهد بالإيمان به، ثم أشهدهم أنه إذا أصيب فماله لمحمد؛ فخرج وقتل، وكان ذلك يوم سبت، وكان للجنة، ولم يكن قد سجد لله سجدة واحدة[٢].

﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴿٩٩﴾﴾[٣] لم يكف أهل الكتاب أن يكفروا

---

(١) –**سؤال:** ما العلة في التعبير بقوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ بدل: ومن لم يحج؟

الجواب: العلة –والله أعلم– هي تعظيم فريضة الحج، والبعث على تأديتها وعدم التهاون بها، والمبادرة إلى أدائها. ولما كانت هذه الفريضة تحتاج إلى نفقات كبيرة وسفر طويل يتعرض فيه المسافر إلى تعب شديد ومشاق شاقة، وربما يعرض للمسافر قطاع الطرق..إلخ– جاءت الآية على ذلك الأسلوب الممتلئ بتعظيم فريضة الحج، وببواعث تأديته، وعدم التهاون به.

(٢) –وقصته مذكورة في كتب السير والمغازي، انظر: مغازي الواقدي، وتاريخ الطبري قصة المخيرق.

(٣) –**سؤال:** ما معنى تبغونها عوجاً؟

الجواب: كان أهل الكتاب يصورون للناس أن سبيل الله الذي هو دين الإسلام الذي جاء به النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ دين باطل مائل عن الحق، فهذا هو معنى: ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾.

فقط، بل كانوا يصدون الناس عن الذهاب إلى الإيمان، ويردونهم عن الدخول في الإسلام ويتهمون النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه كذاب، وأنه ساحر، ويقولون: نحن أهل العلم والمعرفة، وأنه لو كان نبياً لكنا قد آمنا به وصدقناه، فنحن عارفون بالأنبياء، وعالمون بهم؛ لئلا يؤمن الناس به، يفعلون ذلك وهم على علم بصدقه ونبوته يعرفونه كما يعرفون أبناءهم والله رقيب عليهم قد أحصى أعمالهم بعلمه وسيلقون جزاءها جزاءً موفوراً.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ هذا تحذير للمؤمنين الذين آمنوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم حذرهم الله من أن يستزلهم اليهود عن دينهم بحيلهم ومكرهم.

كثرت الفتن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من اليهود ومن المنافقين، وكانوا يمكرون بالمؤمنين ويستزلونهم عن دينهم، ويريدون أن يخرجوهم منه، حتى عظمت الفتنة وكبرت، فقال الله للمؤمنين: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ وأسباب الهدى متوفرة بين أظهركم؟ فالنبي موجود، وآيات الله تتلى عليكم، والقرآن ينزل عليكم؛ فلا تصدقوا اليهود والمنافقين وأعرضوا عنهم، وتمسكوا بالقرآن فمن المستبعد أن تكفروا وأسباب الهدى موجودة بين أظهركم فأفيقوا أيها المغرورون واستيقظوا أيها الغافلون؛ لذا قال سبحانه: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ فلا تجترُّوا إلى تلك الفتن، وأسباب الشقاق التي يلقيها المنافقون واليهود بينكم، وارجعوا إلى القرآن، فأنصتوا إلى آيات الله، واتركوا أولئك، وكونوا أقوياء في دينكم واعتصموا بنبيكم صلى الله عليه وآله وسلم وارجعوا إليه وتمسكوا به وبما جاءكم به من الهدى.

﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ الذي يستوثق بحبل الله ويرتبط به فهو الذي في الطريق المستقيم، والدين الحق.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ[١] وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴿١٠٢﴾﴾ تمسكوا بالإسلام بجد وبقوة، واعملوا بأوامر الله، وانتهوا عن نواهيه، واتقوه حق تقواه، ولا تساهلوا في دينكم، وتكونوا عرضة للمنافقين واليهود، فلا يأتيكم الموت إلا وأنتم على الهدى والدين الحق والإسلام، لا يستزلنكم الشيطان، ولا المنافقون، ولا اليهود، وقد كان اليهود بين أظهر المسلمين، وكانوا أهل حيل وأهل مكر، وكانوا أغنياء متمكنين، وكانوا يحيكون الحيل ضد النبي والمسلمين ليلاً ونهاراً حتى كادوا أن يفتنوا المسلمين ويستزلوهم عن دينهم.

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ تمسكوا بحبل الله يعني بالقرآن وبدينه، ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ ولا تختلفوا فيجد المنافقون واليهود فيكم ثغرة يدخلون منها عليكم فيستأصلونكم إذا تفرقتم واختلفتم؛ وقد كانت اليهود توصلت بحيلها ومكرها إلى

---

(١) – **سؤال:** ما هي تقوى الله حق تقاته؟ وهل بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦]، تعارض؟ أم كيف توجيه ذلك؟

الجواب: من شأن العاقل بفطرة عقله أن يتحذر من الوقوع في مخاوف الدنيا، وأن يعد لكل مخافة ما يدفعها ويجنبه شرها، فيعد للمخافة الصغيرة عدة صغيرة على قدرها، والكبيرة عدة كبيرة بقدرها، و..إلخ. ولما كانت المخاوف التي خوف الله بها عباده، والوعيد الذي أعده الله للكافرين والفاسقين والظالمين هي أعظم المخاوف وأكبرها وأشدها- دعت الحال إلى التنبيه للمؤمنين على الالتزام بتقوى الله حق تقواه، وذلك بالحرص الشديد على طاعته وامتثال أمره كما يحب ويرضى، والانتهاء عن كل صغير وكبير من معاصيه، وأن يتداركوا ما فرط منهم بالتوبة، وملازمة الاستغفار، وإخلاص النية، وإخلاص العمل، وشدة الحذر مما يفسد الطاعة، وأن يكونوا محتاطين غاية الاحتياط عن مقاربة المعاصي و..إلخ. وملخص ذلك: أن يطاع الله فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، وقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦] مقيد للإطلاق في الآية الأولى، وبيان لما كلفوا به من تقوى الله حق تقاته، وذلك إلى حيث تصل إليه استطاعتهم، وما زاد على استطاعتهم من تقوى الله فليسوا مؤاخذين ولا مكلفين به.

التفريق بين الأوس والخزرج إلا أن الله تعالىٰ تدارك ذلك برسوله ﷺ فأصلح بين الطرفين وأعادهم إلىٰ أخوة الإسلام وداوىٰ ما أفسده اليهود.

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ كان الأوس والخزرج أعداءً قبل الإسلام، وكانت الحرب بينهم نحواً من مائة وعشرين سنة، ذهب فيها رجالهم وأشرافهم ومشائخهم، ولم يبق منهم إلا القليل؛ فأتىٰ الإسلام فآخىٰ بينهم، وأزال من بينهم الإحن والضغائن.

ثم قامت اليهود ثانية وأثارت الفتن بينهم حتىٰ كادت الحرب أن تشتعل نيرانها بينهم، فجاء النبي ﷺ وأطفأها، ونزل القرآن.

﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ بنعمة الله حين بعث إليكم النبي ﷺ، وأصلح شأنكم، وآخىٰ بينكم.

﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ يعني لو لم يستنقذكم النبي ﷺ بالإسلام لدخلتم النار بشرككم وكفركم.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ يذكركم بنعمه ويحذركم من أعدائكم؛ لتكونوا مهتدين وباقين علىٰ طريق الهدىٰ، فلا تخرجوا منها.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[(١)] خاطب الله المسلمين بأن ينتخبوا طائفة منهم يتولون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإرشاد الناس وهدايتهم، وذلك أن المسلمين كلهم مسؤولون عن الإسلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ولكن ذلك يتعذر من جميعهم؛ فأمرهم بجعل طائفة منهم يتولون هذه المهمة؛ لأن الإسلام سوف يضيع لو لم يفعلوا ذلك.

---

(١) –**سؤال:** هل ما أسسه علماؤنا رحمهم الله من الإرشاد منطبق مع تأويل هذه الآية؟

الجواب: ما أسسه علماؤنا من الإرشاد هو تطبيق لهذه الآية، وامتثال ما أمر الله تعالىٰ فيها المؤمنين، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

ويكون أولئك من الصالحين العارفين بأحكام الدين؛ لئلا يأمروا بمنكر، أو ينهوا عن معروف.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ لا تكونوا مثل اليهود والنصارى، وذلك أن الله كلما بعث لهم نبياً اختلفوا وتفرقوا، فقال الله: لا تفعلوا مثلهم، فاجْتَمِعوا، واعتصموا بحبل الله[١].

﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴿١٠٥﴾﴾ أولئك اليهود حين تفرقوا واختلفوا.

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ يعني سيأتيهم عذاب عظيم يوم القيامة، وهو هذا اليوم الذي تبيض فيه وجوه المؤمنين، وتسود وجوه الظلمة.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ[٢] بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴿١٠٦﴾﴾ وهذه علامة لأهل الشقاء، أي: الذين اسودت وجوههم.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴿١٠٧﴾﴾[٣] في

---

(١) – **سؤال:** ظاهر الآية ذم المختلفين ولو كانوا أهل الحق، فهم الذين اختلفوا مع المبطلين، فكيف نوجه الآية لإخراجهم؟

الجواب: وردت هذه الآية في سياق الأمر بتقوى الله والتمسك بدين الإسلام، والاعتصام بحبل الله، والدعوة إلى الخير الذي أنزله الله تعالى بما فيه من البينات والهدى، فمن أخذ بذلك وتمسك به فهو بمعزل عن صفة التفرق والاختلاف المذمومين؛ بدليل هذا السياق الذي ذكرناه، وعليه فيحمل التفرق والاختلاف المنهي عنه في هذه الآية: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ على الذين تركوا ما أنزل الله تعالى من البينات والهدى، ثم اختلفوا وتفرقوا.

(٢) – **سؤال:** ما موضع جملة: ﴿أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ الإعرابي؟ وكيف تقديرها؟

الجواب: موضع الجملة النصب على أنها مقول قول محذوف تقديره: فيقال لهم: أكفرتم بعد إيمانكم.

(٣) – **سؤال:** ما المراد بقوله: ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾؟

الجواب: المراد برحمة الله الجنة.

يوم القيامة.

﴿تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ[١] وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ۝١٠٨﴾ هذه آيات الله وبيناته يتلوها على المؤمنين؛ لأجل أن يهتدوا بهديها، ويتمسكوا بها ويتعظوا بها، وقد تمدح الله تعالىٰ في هذه الآية بأنه لا يريد أي ظلم يقع على العالمين وإن قل سواء أكان منه تعالىٰ أم من عبيده بعضهم على بعض، هذا هو معنى الآية وتفسيرها وقد استفيد العموم من ورود النكرة (ظلماً) في سياق النفي وفي هذا دليل واضح صريح على من يذهب إلى أن الله تعالىٰ يريد معاصي العباد.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝١٠٩﴾ يعني أن الله هو الذي تحق له الطاعة والعبادة، ونتمسك بحبله، ونطيع أوامره، وننتهي عن نواهيه، ولا نخاف إلا منه؛ فهو المالك لكل ما في السموات وما في الأرض، وسيرجع الناس إليه، ومصيرهم سيكون إليه، فيثيب من أطاعه، ويعذب من عصاه، فهو الحقيق بالطاعة، والحقيق بأن نخاف منه، لا من غيره.

وأن نراقب الله ونعتصم بحبله، ونتمسك بدينه، ونكون أقوياء في دينه، ولا نتضعضع أمام أعدائه ونخاف منهم، ونترك الدين ونميل إليهم، فلله ملك السماوات والأرض وما فيهما، وهما تحت قدرته وقبضته، وأحاط بهما علمه ومشيئته، ومصائر الخلق إليه فلن ينفعنا أولئك، ولن يستطيعوا مضرتنا، فلا نتضعضع أمام أولئك الذين يكيدون لنا، ويحاولون نسف ديننا، ومحو مذهبنا ومبادئنا.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ أمة محمد ﷺ خير أمة خرجت على ظهر الأرض فهم أفضل الأمم.

---

(١) –**سؤال:** ما موضع «بالحق» الإعرابي؟

الجواب: موضع «بالحق» هو النصب على الحال من الهاء في «نتلوها»، أو من فاعل «نتلوها».

﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ هذه أسباب الخيرية التي جعلتهم خير أمة؛ لأنهم يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله؛ فإذا تركوا ذلك فليسوا خير أمة أخرجت للناس.

ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس على جميع الناس كما قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ..﴾ ولكن إذا كان هناك من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؛ فيجب على الباقين أن يعاونوهم ويعينوهم على ذلك، وعلى الأقل لا نقف في طريقهم، ويجدر بنا أن نرضى بما يعملون لنشاركهم في ثوابهم؛ لأن من رضي عمل قوم أشرك في عملهم.

ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تعليم الناس معالم دينهم، وتوعيتهم ودعاؤهم إلى الله فهؤلاء القائمون بهذا العمل يجب علينا تأييدهم، ولا نقف في وجوههم.

فمن قام في طريق الداعي للناس والمعلم لهم معالم دينهم فقد عرض نفسه لعداوة الله وسخطه، وكان من الهالكين، غير أن الله حليم لا يؤاخذ الناس من ساعتهم ووقتهم، وإنما يمهلهم.

﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ لو آمن أهل الكتاب لكان أفضل لهم في الدنيا والآخرة؛ لأن كفرهم لم يكن إلا وبالاً عليهم، وإنما كُفْرُهم لأنهم تكبروا وقالوا: لو أننا آمنا لم نكن إلا أتباعاً، وستنقطع سيطرتنا في الدنيا، وشرفنا وعزنا، ولكنهم بسبب تكبرهم أخزاهم الله في الدنيا، وقتلهم المسلمون حتى إنه قد قتل المسلمون من بني قريظة ستمائة شخص في يوم واحد، وذلك أن المسلمين حاصروهم، وقتلوهم جميعاً، ولم يبقوا أحداً، والباقون من اليهود أجلوهم إلى الشام، وقد كانوا في المدينة مئات السنين منتظرين للنبي الموعود حتى يبعث؛ فلما بعث كفروا به، فأخزاهم الله، وقتلهم وشردهم، وأخذ المسلمون أموالهم، قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ [الأحزاب:٢٧].

﴿مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ۝١١٠﴾ كان منهم قليل قد آمنوا وأكثرهم متمردون.

﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾ قال الله للمؤمنين: لا تخافوا جانب اليهود فلن يضروكم؛ لأن اليهود كانوا أهل غنى وثراء، كانوا أغنى من في جزيرة العرب، وأهل قوة وسلاح، والمسلمون خائفون منهم إذا قاموا عليهم؛ فطمأنهم الله بأنهم لن يضروكم إلا أذى[1].

﴿وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ﴾ إذا قاتلوكم فسيفرون منكم ولن يستطيعوا أن يقفوا في وجوهكم وسيلقي الله في قلوبهم الرعب والخوف ولن يمكنهم منكم فهم مخالفون لأنبياء الله ورسله من أول تاريخهم وقد ألزمهم الله الذلة والمسكنة.

﴿ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ۝١١١﴾ فلا تخافوهم أبداً أبداً، فلن يستطيعوا أن يقاتلوكم إلا من وراء جدر، يعني في حصونهم، أما فيما بينهم فبأسهم بينهم شديد.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا﴾[2] ألبس الله تعالى اليهود الذلة والهوان في الدنيا، فهم مقهورون في الدنيا، تتحكم فيهم السلاطين، وتدوسهم بأقدامها، لا يستطيعون أن يرفعوا رؤوسهم من الذلة، ولا يمكنهم أن يتتصروا لأنفسهم من المسكنة والصغار الذي أحاط بهم، وكل ذلك عقاب من الله عليهم، وسخط منه أحله بهم، جزاءً على فسوقهم عن أمر الله، وخروجهم عن طاعته.

﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾[3] لا تستقيم لهم الحياة والعيش في الدنيا إلا

---

(١) –**سؤال:** هل يؤخذ من هذا أن الضرر يصل إلى حد القتل ونحوه؟

الجواب: قد قالوا في معنى الضرر لغة: إنه ضد النفع، وعلى هذا فالقتل من أعلى الضرر، وأدناه الضرر بالكلام.

(٢) – **سؤال:** ما معنى: ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوا﴾؟

الجواب: المعنى: أينما وجدوا.

(٣) –**سؤال:** مِمَّ أُخرِج قوله: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ﴾؟ وما هو المستثنى منه؟

الجواب: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ﴾ مستثنى من أعم عام الأحوال المقدر قبل «إلا» وتقديره: ضربت عليهم =

في جوار غيرهم إما في ذمة[١] الله أو في ذمة غيره لشدة ما هم فيه من الضعف والذلة.

﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ وغضب الله مصاحب لهم دائماً أينما كانوا.

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ فلا يستطيعون رفع رؤوسهم في أي موقف، ولا يستطيعون أن يدافعوا عن أنفسهم، وإنما غيرهم يدافع عنهم[٢].

﴿ذَلِكَ[٣] بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴿١١٢﴾﴾ استحقوا كل ذلك الخزي والصغار بسبب كفرهم بآيات الله، وقتلهم الأنبياء، وبسبب عصيانهم لله، وتجاوزهم لحدود الله وعدوانهم

الذلة والمسكنة أينما ثقفوا في جميع الأحوال إلا حال كونهم معتصمين بحبل من الله وحبل من الناس.

(١) – **سؤال:** يقال: إذا كان المراد بالحبل ذمة الله فكذلك غيرهم حتى المسلمين في جوار الله، أم كيف يوَجَّه؟

الجواب: المراد بـ﴿بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ﴾ هو «بعهد من الله»، والذين لهم عهد من الله هم مَنْ جعل لهم عهد الله أو ذمته ومَنْ أمر الله بعدم التعرض لهم، مثل من جاء من اليهود أو من غيرهم من المحاربين باحثاً عن الدين الحق: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [التوبة:٦]، ومثل رسلهم ورهبانهم المنعزلين في بِيَعِهم وصوامعهم الذين لا يقاتلون ولا يريدون القتال، ومثل المسنين منهم الذين لا يستطيعون القتال، ولا يضرون المسلمين بالرأي والمشورة والتدبير. وقوله: ﴿وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ من كان له عهد وذمة من المسلمين، أو من بعضهم ولو امرأة فلا يتعرض له والله أعلم.

(٢) – **سؤال:** ما معنى ضرب المسكنة عليهم؟ هل شيء يشبه الخذلان أم ماذا؟

الجواب: ضرب المسكنة عليهم هو الحكم من الله عليهم بأن يعيشوا على ظهر الأرض عيش الأذلاء المقهورين، وعيش الفقراء المساكين؛ جزاءً من الله ألحقه بهم، وكان ذلك الجزاء بنقيض ما أرادوا وطلبوا من العزة والكرامة والسيادة في الدنيا على بني آدم.

(٣) – **سؤال:** ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا﴾ إلامَ الإشارة؟

الجواب: الإشارة هي إلى ما حكم الله به عليهم من الذلة والمسكنة المفهوم من قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ..... وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ [آل عمران:١١٢].

علىٰ الله ورسله، وفسادهم في الأرض.

﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾[١] أي: أهل الكتاب، ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَايِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ غير أن هؤلاء المؤمنين الذين هذه صفاتهم قليل من اليهود كعبدالله بن سلام، وقليل معه يعدون بالأصابع، ومن النصارىٰ طائفة من الحبشة نحوٌ من أربعين بعثهم أبرهة إلىٰ النبي فسمعوا القرآن فأسلموا وآمنوا وحسن إسلامهم، وقد مدحهم الله وأثنىٰ عليهم في القرآن: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة].

﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾[٢] كل ما عملوا من حسنة فسيثيبهم الله عليها حتىٰ أن الله تعالىٰ سوف يعطيهم أجرهم مرتين لأنهم آمنوا بالكتاب الأول والكتاب الثاني، وهذا ترغيب من الله لهم لأجل أن يؤمنوا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾﴾ كان أهل الكتاب والمشركون أهل غنىٰ وثراء وتجارة وأموال وأولاد؛ فقال الله للمؤمنين: لا تحتقروا أنفسكم لضعفكم وفقركم، فالذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئاً، فلا تتعاظموا أيها المؤمنون أموالهم؛ فلن تنفعهم، وليست إلا وبالاً عليهم.

---

(١) –**سؤال:** هل قوله: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ في معنىٰ اسم الفاعل «مستوين»؟

الجواب: «سواءً» بمعنىٰ مستوين.

(٢) –**سؤال:** ما معنىٰ: ﴿فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾؟

الجواب: المعنىٰ: لن يحرموا ثواب ما فعلوا من الخير، والله شكور حليم، يشكر من شكره بالجزاء الجزيل والثواب المضاعف، ﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء].

﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ كان مشركو قريش كثيري الإنفاق لأموالهم، فيكرمون الضيف، ويطعمون الطعام، وكانوا يتبارون في هذا المجال ويتفاخرون، حتى إن بعضهم كان يكرم الحجاج جميعاً، فكانوا كثيري العطاء وأهل كرم، فقال الله: لن تنفعهم هذه الأموال التي ينفقونها، وما مثلهم إلا كمثل الذي له مزارع وأثمار، فأصابتها ريح فيها ثلج فأحرقتها وأهلكتها بشؤم عصيانهم لله، فما انتفعوا من مزارعهم وثمارهم بشيء، فهكذا أولئك الكفار لا ينتفعون بأموالهم التي أنفقوها، وسيحبط الله ثوابها بسبب كفرهم.

﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ يعني فيها برد شديد، ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴿١١٧﴾﴾ فهؤلاء ليس الله هو الذي أحبط أعمالهم وحسناتهم، هم الذين أحبطوها بشركهم وكفرهم بالله.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾[1] خاطب الله المؤمنين وذلك أنه كان هناك كثير من المؤمنين يوالون اليهود والمنافقين ويباطنونهم، فيعطونهم أسرارهم ويظهرون لهم المودة؛ فحذرهم الله من أن يتخذوا بطانة من غير المسلمين.

﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾[2] هؤلاء الذين توالونهم وتوادونهم لا يقصرون في

---

(١) –**سؤال:** ما هو تعريف البطانة؟

الجواب: البطانة في الأصل: اسم للثوب الملتصق ببشرة لابسه، ولكن لا يقال له بطانة إلا إذا كان فوقه ثوب آخر، ويسمى هذا الثوب الدثار، والذي تحته –أي: البطانة– الشعار. والمراد بالبطانة في الآية: الخاصة الذين يختصهم الرجل لإفضاء أسراره إليهم، وليطلعهم على ما في نفسه.

(٢) – **سؤال:** كيف يوجه إعراب: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾، حتى نفهم هذا المعنى الذي أوردتموه؟

الجواب: تكون الجملة: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ صفة لبطانة في محل نصب، أو جملة حالية؛ لأن النكرة قد تخصصت بالصفة الأولى ﴿مِنْ دُونِكُمْ﴾، ومعنى الأولى: من غير المؤمنين،
=

إفسادكم -والخبال هو الفساد - وإبطال دينكم وهدم الإسلام، فهم ساعون أشد السعي في ذلك؛ فلماذا توالونهم وهم على هذا السعي الحثيث في إبطال أمركم وإفساد دينكم؟!!

﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾(١) يودون إبطال أمركم، وإلقاءكم في الشدائد والمهالك.

﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ هؤلاء الذين توالونهم تسمعونهم يظهرون البغضاء لكم.

﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ وما في قلوبهم فهو أشد وأعظم مما تسمعون منهم.

﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ(١١٨)﴾ وضحنا لكم علامات عدوكم، وبيَّنَّا دلائله لكم إن كان لكم عقول تعي ما يقال لها.

ثم قال الله للمؤمنين: ﴿هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾.

﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ تؤمنون بالقرآن وبالتوراة والإنجيل، وهم لا يؤمنون بكتابكم؛ فلماذا تحبونهم وهم لا ينصفونكم ولا يبادلونكم الحب؟!!

﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ﴾ أولئك المنافقون واليهود ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ وهم إنما يستهزئون بكم، ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ يعضون على أصابعهم من الغيظ عليكم من شدة عداوتهم لكم.

﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ(١١٩)﴾ موتوا أيها المنافقون بغيظكم فلن تصلوا إلى ما تأملون من إفساد المسلمين وإبطال دينهم وسيحاسبكم الله على ما تكنونه في صدوركم من الخبث والتصميم والعزم على الكيد للإسلام والمسلمين.

ومعنى الثانية: حريصين على إفسادكم وإفساد أمركم.

(١) -**سؤال:** ما إعراب «ما عنتم»؟

الجواب: «ما» مصدرية مسبوكة مع «عنتم» بمصدر أي: ودوا عنتكم.

﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ إذا حصل لكم أيها المؤمنون نصر وغنيمة وظفر على العدو- ساءهم ذلك.

﴿وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ إذا حصل عليكم نكبة- فرحوا؛ فلماذا توالونهم وهم على هذه الصفة؟!

﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضِرْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ فإذا صبرتم واتقيتم الله فلن يصيبكم منهم شيء وهذا تأمين من الله لهم إذ هو عالم بعواقب الأمور. إن كنتم توالونهم مخافة منهم، فقد وعد الله بأنه لا يصيبكم منهم شيء إن اتقيتموه وامتثلتم لأوامره، وسيحبط الله حيلهم فيكم ومكرهم ويبطل مكائدهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ قدرة الله محيطة بهم، ولن يمكنهم منكم أبداً فلا تبالوا بهم ولا تهتموا لعداوتهم فقد كفاكم الله المؤنة.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ[1] الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾ بدأ الله في هذه الآية بقصة أُحُد: خرج النبي ﷺ من بيته يرتب صفوف المؤمنين وينظمها استعداداً للحرب، وتجهيز الجيش تحت قيادات منظمة، وتقسيم الأعمال بينهم.

﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ حينما كان النبي يرتب جيشه للقاء المشركين، كان هناك طائفتان من أهل المدينة هموا بالانسحاب[2]، ولكن الله ثبتهم وشد عزائمهم ووفقهم، وقد فرح

---

(١) –**سؤال:** ما معنى ﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾؟

الجواب: معنى ﴿تُبَوِّئُ﴾: تضع وتنزل المؤمنين في مواضع معينة، كل طائفة في مكان معين، متهيئين للقتال فيما عين لهم من المكان.

(٢) –**سؤال:** هل عُرِفت هاتان الطائفتان؟ ولماذا لم يجعلهم طائفة واحدة وفعلهم واحد؟

الجواب: الطائفتان هما: بنو سلمة وبنو حارثة، الأولى من الخزرج، والثانية من الأوس؛ لذلك لم يجعلهم طائفة واحدة.

هؤلاء بهذه الآية، حيث أدركهم فضل الله ورحمته بالتوفيق، وجرهم بمنه إلى ولايته ولا يخفى أن المسلمين كانوا قد هابوا مواجهة قريش ولحقهم ما لحقهم من الخوف لكثرة عدد المشركين وبسبب ذلك همت تلك الطائفتان بالانسحاب وترك القتال.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ ذكَّر الله المؤمنين بأن لا يخافوا من لقاء قريش حين نزلوا أحداً، وكانوا حوالي ثلاثة آلاف، وهم يومئذ قلة قليلة، إذ قد جمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم حوالي ألف من المقاتلين ثم انسحب ثلث هؤلاء عندما كانوا في طريقهم إلى الحرب، وهؤلاء هم المنافقون عبدالله بن أُبَيّ وأصحابه، فأخبرهم بأنه قد نصرهم في بدر وهم أذلة وقلة قليلة، وذكرهم بنعمه عليهم في ذلك اليوم ليشد عزائمهم ويجرئهم على لقاء العدو ومواجهته.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴿١٢٣﴾﴾[1] اتقوا الله أيها المؤمنون ولا تتعرضوا لسخطه بمخالفة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وبترك مواجهة عدوكم الذي نزل بساحتكم لاجتثاث أصلكم والقضاء عليكم.

---

(١) – **سؤال:** ظاهر الآية تعليل التقوى بالشكر، فإذا كان الشكر هو التقوى أصبح المعنى: فاتقوا الله لعلكم تتقوه، فكيف يوجه ذلك؟

الجواب: المعنى المقصود هنا بـ«اتقوا الله»: أطيعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما أمركم به من مواجهة قريش وقتالها في غزوة أحد، ولا تُعَرِّضوا أنفسكم لغضب الله وعقوبته إن عصيتموه ولم تطيعوا أمره، وقد كان ضعاف الإيمان يتهيبون مواجهة قريش؛ لما يعلمون من قوتهم وكثرتهم وشدتهم، وقد كان رأي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعض أهل المدينة أن يقف المسلمون في المدينة ولا يخرجوا منها، فإذا جاءتهم قريش قاتلوهم، إلا أن الكثرة الكاثرة من الشباب وغيرهم رأوا أن يخرجوا من المدينة لقتال قريش حيث نزلت من أحد، فلم يسع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مخالفتهم، فألزم المسلمين وحتم عليهم الخروج إلى أحد لقتال قريش؛ لذلك قد يعتقد ضعاف الإيمان أن القعود في المدينة لا يخل بإيمانهم وشكرهم لله، فمن هنا تختلف العلة ومعلولها.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ ءَالَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ ١٢٤﴾ وحين عرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن المسلمين خافوا من مواجهة قريش وتهيبوا من قتالهم أقبل إليهم يهدئ من روعهم ويقول لهم: إن ربكم الذي نصركم ببدر سيمدكم في مواجهة قريش بثلاثة آلاف من الملائكة ينزلون من السماء مدداً لكم، وهذا المدد يصلكم عند أول المواجهة فإذا صبرتم لقتال قريش وثبتت في ميدان المعركة أقدامكم وحافظتم على تقوى الله وطاعة رسوله فسيمددكم بخمسة آلاف من الملائكة يحملون شعار القتال لنصركم وهزيمة عدوكم.

وما جعل الله الملائكة مدداً للمؤمنين إلا ليثقوا بنصر الله لهم ولتسكن قلوبهم من خوف العدو ومواجهته؛ فإنهم إذا علموا بذلك المدد سيثقون بنصر الله لهم وتأييده، وأما القتال فلم تقاتل الملائكة[(١)]، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿بَلَى إِنْ[(٢)] تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ يعني يأتي عليكم المشركون من ساعتهم هذه- سوف ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءَالَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ١٢٥ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ١٢٦﴾.

---

(١) –**سؤال:** يقال: كيف بما روي في بدر من رؤية الملائكة مُقَاتِلَة، أم أنه غير صحيح؟

الجواب: القول الراجح الجدير بالصحة أن الملائكة لم تقاتل يوم بدر، وقد ذكر أهل السير أسماء قتلى المشركين يوم بدر، وأسماء الذين قتلوهم، وقد قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ١٢﴾ [الأنفال]، فتدل الآية أن الله تعالى أنزل الملائكة يوم بدر لتثبيت المؤمنين وطمأنتهم، وقوله: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ موجه إلى المؤمنين لا إلى الملائكة.

(٢) –**سؤال:** ما معنى «بلى»؟ وهل هي من كلام المسلمين أم من كلام الباري تعالى، فما معناها؟

الجواب: «بلى» من كلام الله تعالى أي: بلى يكفيهم ذلك المدد الذي هو ثلاثة آلاف من الملائكة منزلين، و«بلى» حرف جواب لا يأتي إلا بعد نفي أو ما في معناه لإثبات ما نفي.

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أمركم الله بقتال المشركين لأجل أن يقطع طرفاً منهم أي: يقتطع بعضهم بالقتل(١).

﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ١٢٧﴾ أو يهزمهم ويردهم خائبة آمالهم ومنكسرة نفوسهم؛ لأنهم إذا هزموا فالإسلام يزداد قوة، وتشتد هيبته وتزيد، وبهزيمتهم ستضعف معنوياتهم وتهون شكيمتهم(٢).

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الذي أوجبه الله عليك يا محمد أن تبلغ رسالة ربك وأن تطيعه فيما كلفك، ولست مكلفاً يا محمد بأن يسلم المشركون، ولست مسؤولاً عن إصرارهم على الشرك، فأمر ذلك إلى الله وإنزال العذاب بهم هو إلى الله، وقبول توبة من تاب منهم هي إلى الله لا إليك.

﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾(٣) إذا تابوا، أي: المشركون.

﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ إذا أراد الله تعذيبهم.

---

(١) —**سؤال:** هل يعني كلامكم أن قوله: ﴿لِيَقْطَعَ﴾ علة لمحذوف؟

الجواب: بعضهم علق ﴿لِيَقْطَعَ﴾ بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ..﴾، وبعضهم علقه بقوله تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ١٢٦﴾ أي: إلا كائن من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفاً، وأقرب هذين الإعرابين إلى الصحة الإعراب الثاني لقربه، إلا أني في التفسير بنيت الإعراب على المعنى، حيث إن الآيات من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾..إلى قوله: ﴿لِيَقْطَعَ﴾ تحث المسلمين على قتال المشركين يوم أحد، ومن جملة الحث على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ...﴾ فإنها نزلت لحث المسلمين على قتال المشركين في أحد؛ لذلك علقت ﴿لِيَقْطَعَ﴾ بما تفيده هذه الآيات من الأمر للمسلمين بالقتال يوم أحد.

(٢) —**سؤال:** يقال: لا يحصل الكبت بالهزيمة إلا بقتل البعض، فكيف يوجه التخيير في الآية؟

الجواب: قد يحصل الكبت والهزيمة بغير قتال كما في يوم الخندق: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ [الأحزاب:٢٥]؛ لذلك يرتفع الإشكال.

(٣) —**سؤال:** علام العطف في قوله: ﴿أَوْ يَتُوبَ﴾؟

الجواب: على قوله تعالى: ﴿لِيَقْطَعَ﴾.

﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴿١٢٨﴾﴾ فقد استحقوا العذاب لإصرارهم على الكفر.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ هو مالك للسماوات والأرض، وما فيهما ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴿١٢٩﴾﴾[1] فالملك ملك الله، والعبيد عبيده، وكل ما في السماوات والأرض ملكه ومنقادون له، وهو يغفر لمن يشاء، أي: لمن هو أهل للمغفرة وهم التائبون الراجعون إليه، وليس للمصرين فلن يغفر لهم.

ويعذب من يشاء، يعني به: الفاسقين والمتمردين عليه، وليست لهم في مغفرة الله نصيب ولا حظ.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴿١٣٠﴾﴾[2] حرم الله عليهم أكل الربا؛ لأن التجارة بالربا كانت شائعة بين المسلمين والمشركين، في مكة والمدينة، وبين اليهود وغيرهم؛ فنهاهم الله عن الربا وأمرهم بتركه؛ لأن الربا كان يتضاعف، وذلك كلما طالت المدة عند المديون تضاعف عليه الدين أكثر، حتى أن المائة قد تطول المدة عليها حتى تصير خمسمائة. فأطيعوا الله، واتبعوا أمره؛ لأجل أن تفوزوا بثوابه ورضوانه.

---

(١) – **سؤال:** هل يمكن أن يراد بالآية: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴿١٢٩﴾﴾ التعبير والكناية عن إحكام سيطرته على ملك السماوات والأرض، ونفوذ أمره في عبيده ولو لم يفعل المغفرة إلا لمن كان أهلاً للمغفرة أو للعذاب؟

الجواب: الآية كناية وتعبير عن ذلك، أي: عن عظيم سلطانه ونفوذ أمره في ملك السماوات والأرض وما فيهما، وأنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، لا معقب لحكمه، وهذا المعنى واضح من سياق الآية.

(٢) –**سؤال:** ما هو إعراب: «أضعافاً»، وكذلك «مضاعفة»؟

الجواب: «أضعافاً» منصوب على الحالية من الربا، و«مضاعفة»: صفة لأضعافاً، وفيها نوع تأكيد.

﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ١٣١﴾ احذروها فإذا عصيتم الله وتمردتم عليه فسيدخلكم النار بين الكافرين وهذا خطاب للمؤمنين.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ١٣٢﴾ وحافظوا على طاعة الله وطاعة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لتدخلوا في رحمة الله مع عباده الصالحين.

﴿سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ بعدما قال: أطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون- أمرهم بالمسارعة إلى أسباب المغفرة، وأسبابها هي: طاعة الله وامتثال أوامره، والانتهاء عن نواهيه.

﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ فالمسارعة إلى الجنة هي بالمسارعة إلى الأسباب التي توصلهم إليها، والمتقون هم الذين لا ينتهكون حدود الله، ولا يتجاوزون تعاليمه، ويمتثلون أوامره، وينتهون عن نواهيه.

ثم وصف الله المتقين فقال: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾(١) يؤدون حقوق الله وما أوجب عليهم من النفقات، حتى في الأوقات العصيبة، والسنين المجدبة، وأوقات الفقر، فلا يقصرون ولا يفرطون فيما أوجب الله عليهم من الزكوات والنفقات.

﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ يكتمونه في أنفسهم، والمراد كظمه عن المؤمنين(٢)؛ لأن

---

(١) –**سؤال:** هل يحتمل: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾ أن يكون مبتدأً خبره قوله: ﴿أُولَئِكَ﴾؟

الجواب: يجوز ذلك، والأولى أن يكون «الذين ينفقون» صفة للمتقين؛ ليتصل الكلام بعضه ببعض.

سؤال: ما تفسير السراء؟

الجواب: السراء هي حالة اليسر وتوفر المال.

(٢) –**سؤال:** من أين نأخذ أن الكظم عن المؤمنين فقط؟

الجواب: يؤخذ ذلك مما تقرر في دين الإسلام من وجوب موالاة أولياء الله، ومعاداة أعداء الله، ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩]، ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة:٦١]، ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:٧٣]، والمقصود: أن يكون فتح الغيظ على غير المؤمنين بالحق، وأما في حق المؤمن فالمطلوب كظمه، ولو كان الكاظم محقاً.

الله تعالىٰ يريد أن تبقىٰ الأخوة بين المؤمنين والمودة؛ لأنه لو نَفَّذَ المغيظ غيظه لحصلت المشاكل بينهم، ووجد الشيطان عندئذ مدخلاً عليهم، فيكبرها في نفوسهم وتشتعل العداوة بينهم وتنهار عند ذلك الأخوة الإسلامية.

فالإنسان محل الخطأ والنسيان، ولا بد أن يقع منه الزلات: إما من كلام علىٰ غيره، أو زيادة أو نقص في حق غيره، فالمؤمن يكظم غيظه ويسكت، وحقه سوف يأتي له إن عاجلاً أو آجلاً.

﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ يتجاوز عنهم وعن خطئهم عليه.

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴿١٣٤﴾﴾ فالله يحب أهل هذه الصفات التي تقدم ذكرها.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾[1] ومن صفات المتقين أنهم إذا زلت بهم أقدامهم في ارتكاب معصية أو فرطوا في طاعة الله تذكروا عظمة الله وجلاله وشدة غضبه وسخطه عليهم وامتلأت نفوسهم خوفاً من الله ومن عذابه ثم يبادرون إلىٰ التوبة والاستغفار وطلب العفو من ربهم.

﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ فهؤلاء هم المتقون الذين أعد الله لهم الجنة.

﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴿١٣٥﴾﴾ فلا يتباطؤون في التوبة ولا يقيمون علىٰ المعصية، وإنما يندمون عليها، ويرجعون بالتوبة، فلا يصرون عليها وهم عالمون أنها معصية لله، بل من حين يعرف أنه عصىٰ الله، وأن الله ساخط عليه- يخاف الله ويتوب إليه.

﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴿١٣٦﴾﴾ فهؤلاء لهم أجر عظيم، ونعم الأجر وما أعظمه من

---

(١) —**سؤال:** هل من فرق بين فعل الفاحشة وظلم النفس؟ فما هو؟

الجواب: الفاحشة: هي المعصية التي ظهر قبحها عند الناس من قبل أن يأتي الله بالإسلام، وظلم النفس: هو بفعل المعصية التي ليست كذلك.

أجر أعده الله للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء، ويكظمون الغيظ، ويعفون عن الناس، ويرجعون بالتوبة إلى الله، ويخافونه، فالإنسان محل الزلل وكل ابن آدم خطاؤون وخير الخطائين التوابون.

﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُروا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ١٣٧﴾ فقد مضت سنن الله فيمن قبلنا من الأمم التي كذبت برسالات ربها، فيجب علينا أن نعتبر بها، وهذا خطاب للمؤمنين أمرهم أن يسيروا في الأرض، وينظروا كيف كان عاقبة المكذبين، كانوا يسافرون إلى الشام -أي المسلمون وغيرهم- وكانوا يمرون على ديار صالح؛ فأمرهم أن ينظروا في آثارهم، وما بقي من بيوتهم، وأنهم قوم كانوا قد كذبوا نبيهم، فانظروا كيف أن الله استأصلهم وعاقبهم، وكانوا يمرون على قرى قوم لوط؛ فأمرهم الله أن ينظروا فيها، وأن يعتبروا بها، فلا يفعلوا مثل أفعالهم، فيلحقهم مثل ما لحقهم من عذاب الله، ومعنى سنن الله في الأولين: أي: عادات الله في المكذبين.

﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ١٣٨﴾ يبين الله لهم ويخبرهم بما قد مضى ليعتبروا ويعظهم الله بمواعظه ويهديهم بأنوار هداه، إلا أنه لا ينتفع بذلك إلا أهل التقوى الذين يخشون الله ويخافون عذابه.

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ(١) إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ١٣٩﴾ عاد الكلام إلى ذكر غزوة أحد التي كان قد بدأ بذكرها في قوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٢١﴾، ثم فصل بوعظ وتذكير

---

(١) - **سؤال:** هل موقع جملة: ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ النصب على الحال؟ فهل يؤخذ من مفهومها أن لهم أن يصالحوا ويسالموا إذا كانوا أهل ضعف وقصور عن مقاومة المشركين؟

الجواب: الجملة واقعة موقع الحال، ويفهم منها جواز مصالحة العدو مع الضعف وعدم القدرة على مواجهة العدو.

للمؤمنين، ثم عاد الكلام إلى قصة أحد فقال: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا...﴾ وقع قتل كثير بين المسلمين في يوم أحد حوالي سبعين رجلاً وجرح الكثير منهم حتى لا يكاد يخلو واحد منهم إلا وأصابه جرح فيها حتى النبي ﷺ فقد أصيب بعدة جراح وكسرت رباعيته، فقال الله لهم: «لا تهنوا» أي: لا تتضعضعوا ولا تضعفوا ويستولي عليكم الهوان، ولا يصيبكم الحزن بحيث تفترون عن الحرب، وأنتم الأعلون والفائزون، فالله سينصركم والله معكم ورسوله بين أظهركم وقد وعدكم الله النصر والظفر إن كنتم مصدقين.

﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾[1] فما لحقكم فقد لحق المشركين مثله في يوم بدر، قتل منكم سبعون في أحد، وهم قتل منهم سبعون في بدر.

﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾[2] والأيام دول يوم لك ويوم عليك.

---

(١) – **سؤال:** ما هو تعريف القرح؟

الجواب: القرح في اللغة: هو الجرح.

(٢) – **سؤال:** ظاهر المداولة أن لله شأناً في ذلك، فكيف يمكن في هزيمة المسلمين؟

الجواب: هناك أمور هي من الله، وهي:

١- التخلية بين عباده للابتلاء والاختبار.

٢- أسباب القوة من: كثرة العدد، وكثرة المال، وكثرة الآلات، والشهرة، والمهابة؛ للابتلاء والاختبار.

٣- أسباب الضعف من: قلة العدد، وقلة المال، وقلة الآلات، وقلة الشهرة، وقلة المهابة.

٤- يرفع الله نصره وإعانته عمن يشاء من عباده بسبب ذنب ارتكبوه، أو للابتلاء والاختبار.

يفعل الله تعالى تلك الأمور أو بعضها فينتج عنها الغالب والمغلوب، وتداول الغلبة؛ من غير أن يكون لله إرادة ومشيئة فيما يحصل من ظلم وعدوان، وقتل بغير حق، وفساد في الأرض، وقد رفع الله تعالى النصر والتأييد للمسلمين في يوم أحد بسبب معصيتهم لرسوله ﷺ، فنتج عن ذلك غلبة قريش وهزيمة المسلمين، والمسلمون هم الذين جروا على أنفسهم =

﴿وَلِيَعْلَمَ[١] اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ۝١٤٠﴾ فما حصل لكم أيها المؤمنون في أحد من الهزيمة إنما هو محنة واختبار يظهر الله بها المخلصين من المؤمنين، ويظهر فيها الثابتين مع النبي ﷺ، وأهل العزائم القوية، ويظهر من هو ضد ذلك، ولا يظهر هؤلاء إلا بهذه الشدائد، وهذه إنما هي كشف من الله لهم، سيظهر منازلهم في الإسلام ومراتبهم فيه لعموم الناس، وإلا فهو عالم الغيب والشهادة.

وفيها فائدة أخرى أيضاً وهي أن يتخذ الله منهم شهداء، وينيلهم الشهادة والدرجات العليا من الجنة التي لا ينالونها إلا بالشهادة.

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ۝١٤٠﴾ إن الله لا يحب أولئك الذين خذلوا النبي، وخذلوا الإسلام، وهربوا وعصوا الرسول؛ وتسببوا في حصول الهزيمة بسبب معصيتهم للرسول ﷺ ومخالفتهم له.

﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وهذه فائدة أيضاً من هزيمة المؤمنين وذلك ليختبر إيمانهم، وهل يثبتوا مع النبي ﷺ، وقد ثبت المخلصون وصدقوا في إيمانهم فثبتوا مع نبيهم وجالدوا بين يده ووقوه بأنفسهم.

﴿وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ۝١٤١﴾ وبسبب تلك الفتنة افتضح المنافقون وظهر أمرهم.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ

الهزيمة، وتسببوا في حصول ما حصل؛ من قتل الكثير منهم وجرح الكثير، ولم يكن لله إرادة في ذلك، والذي فعله الله وأراده وشاءه هو رفعه النصر والتأييد والمعونة بسبب الذنب الذي ارتكبه المسلمون يوم أحد.

(١) –**سؤال:** علام عطف قوله: «وليعلم»؟

الجواب: معطوف على مقدر يمكن تقديره بـ: لمعصيتكم للرسول ﷺ ولتنازعكم ولفشلكم وليعلم.

الصَّابِرِينَ﴿١٤٢﴾﴾[١] فهل تحسبون أنكم إذا قلتم آمنا بالله ورسوله تدخلون الجنة مباشرة؟ كلا، فلا بد أن يحصل لكم فتنة وتمحيص؛ ليتميز قوي الإيمان من ضعيفه، ولن يظهر ذلك إلا بسبب هذه الحروب والفتن، والهزائم التي تتكشف فيها حقائق الإيمان، وتظهر جواهره.

﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴿١٤٣﴾﴾ هؤلاء الذين انهارت قواهم واستولى عليهم الضعف والجزع هم الذين أخرجوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأشاروا عليه بالخروج للقاء قريش في أحد، وألحوا عليه وأحوجوه إلى ذلك؛ وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد أشار عليهم باللبث في المدينة، وخوض الحرب مع المشركين فيها، فرفض أكثرهم وهم الذين فاتهم القتال يوم بدر، فأبوا وقالوا: يا رسول الله، اِلْقَ بنا العدو فنحن نريد الشهادة ونطلبها.

وكان قد أشار عليهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن الأفضل أن نقاتلهم بين بيوتنا، وعندنا ما يكفينا من الزاد والماء، والنساء والأطفال من فوق البيوت يرمونهم بالحجارة، وستكون بيوتنا ردءاً لنا إذا تعب المقاتل رجع إلى بيته حتى يستعيد نشاطه.

والمشركون إن صبروا فهم يصبرون وهم في مهانة وتعب ونصب، ونحن في بيوتنا وبين أهالينا ونهنأ النوم فيها؛ فأبى أولئك إلا الخروج، وهنا ذكرهم الله تعالى بخطئهم حين أصروا على الخروج للقتال في أحد، فخرجوا ولم يصبروا وضعفوا وحصل ما حصل من الهزيمة والقتل.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ

---

(١) –**سؤال:** علام عطف قوله: «ويعلم الصابرين»؟

الجواب: «ويعلم» منصوب بأن مضمرة بعد الواو، وأن والفعل في تأويل مصدر معطوف على مصدر مقدر متصيد من الكلام، والتقدير: أم حسبتم أن تدخلوا الجنة وليس ثمة علم بمن جاهد وعلم بمن صبر.

عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴿١٤٤﴾﴾ وذلك أنه قد صاح صائح بين المشركين يوم أحد بأنا قد قتلنا محمداً، وكان هناك رجل يشبه النبي يوم أحد، قتله واحد من المشركين -اسمه ابن قميئة- فصاح هذا وقال: قتلت محمداً، ظناً منه أنه النبي؛ فرد رجل من المسلمين وقال: كلا فهذا محمد لم يقتل؛ فأسكته النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لئلا يرجع عليه المشركون، وذلك لأنه لم يكن معه إلا خمسة من المسلمين يدافعون عنه، والباقون قد فروا وهربوا.

ثم إن بعض المسلمين هم بأن يتضعضع، ويطلب الأمان من أبي سفيان، وعزموا على طلب الصلح والارتداد عن الإسلام فقال الله لهم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ..﴾ فكيف إذا مات محمد، هل ستكفرون، وترجعون عن الدين؟! فمن أراد أن ينقلب فالله غني عنه.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ لا يموت الحي إلا عند نفاد أجله المكتوب عند الله وفي علمه، فإذا انتهى أجله توفى الله روحه، أما ما يحصل من قتل الناس بعضهم لبعض فإنما يكون بسبب تخلية الله بين القاتل والمقتول، ولا يحصل القتل إلا بتخلية الله بين المتقاتلين، وهذه التخلية هي الإذن في هذه الآية.

هذا، ولا يتم التكليف إلا مع حصول التخلية.

﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴿١٤٥﴾﴾ فمن أراد الدنيا سوف نعطيه منها، ومن أراد الآخرة سوف نعطيه منها.

قال أحد الصحابة: والله ما كنت أظن أن في أصحاب محمد من يريد الدنيا إلا في يوم أحد حين نزلت هذه الآية، ونزل القرآن بتوبيخهم، وعاتبهم بأن منهم من يريد الدنيا، وأن هناك ضعاف الإيمان، وأنهم قد هربوا وتركوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وحيداً في وسط المعركة، وأسلموه للعدو.

ثم قال الله موبخاً للمؤمنين في يوم أحد: ﴿وَكَأَيِّنْ[١] مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ[٢] كَثِيرٌ﴾ كم من نبي قاتل معه من أصحابه العباد والمؤمنون ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فلم يضعفوا ولم يجبنوا بسبب ما لحقهم من القتل والجراح مع أنبيائهم.

﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾ مثلكم يا أصحاب محمد.

﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ يعني لم يستذلوا مثلكم ويجبنوا بل ما زالوا رافعين لرؤوسهم متمسكين بقوة إيمانهم مع قوة قلوبهم.

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ۝١٤٦﴾ وقد صبر أولئك مع أنبيائهم، وأنتم لم تصبروا فانتعشوا أيها المسلمون من ضعتكم وسقطتكم وارفعوا رؤوسكم وتجلدوا لعدوكم وانصروا نبيكم.

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝١٤٧﴾[٣] يعني أصحاب الأنبياء السابقين عندما يلقون عدوهم كانوا يقولون هذا القول، وأما أنتم فلم تتذكروا أن تدعوا الله وتتوسلوا إليه، بل هربتم وتركتم نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم في ساحة المعركة وأسلمتموه لعدوه.

---

(١) –**سؤال:** ما إعراب «كأين»؟

الجواب: «كأين» مبتدأ مبنية على السكون ومحلها الرفع، والجملة بعدها خبر.

(٢) –**سؤال:** ما معنى «ربيون»؟ وممَّ اشتقاقه؟

الجواب: «ربيون»: منسوبون إلى رب، والياء للنسب، والواو والنون للجمع السالم وكسر الراء من تغييرات النسب، وتزاد للمبالغة الألف والنون فيقال: ربانيون رباني، وكأن زيادة الألف والنون في المبالغة قياس فيقال في صاحب الرقبة الغليظة: رقباني، وفي صاحب اللحية الكثيفة: لحياني.

(٣) –**سؤال:** أين اسم كان؟

الجواب: هو: ﴿أَنْ قَالُوا﴾ الواقع بعد «إلا».

قال النبي ﷺ: ((لقد ذهبتم فيها عريضة)) يعني ذهبتم في الدنيا هاربين، وتَشَتَّتُّمْ فيها، ولم يبق منكم أحد في المعركة.

﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ۝١٤٨﴾ يعني أصحاب الأنبياء السابقين أثابهم الله في الدنيا والآخرة، بالنصر في الدنيا، والجنة في الآخرة وفازوا بمحبة الله ورضوانه.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ۝١٤٩﴾ يحث الله المؤمنين بأن يستمسكوا بدينهم، ولا يطيعوا المشركين، بل يستمروا على دينهم، والله سينصرهم، ويحذرهم ربهم من أن ينجروا إلى المشركين ويميلوا إليهم ويتركوا دين الإسلام، وكان هذا التحذير من الله بعد يوم أحد حين انتصر المشركون وهزم المسلمون، فضعفت نفوس كثير من المسلمين وحدثتهم أنفسهم بالعدول إلى المشركين خوفاً منهم ومن قوتهم وعدم ثقة بالمسلمين فحذرهم الله من أن يرتدوا عن دينهم.

﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ۝١٥٠﴾ الله ناصركم وليس الكفار، فارجعوا إلى الله وأطيعوه، وهو الذي سينصركم وهو خير من ينصركم وينتصر لكم.

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ وعد الله المؤمنين بأنه سيلقي في قلوب عدوهم من قريش والمشركين الخوف والجبن، فلا يجسرون على مواجهتكم في القتال، ﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾[1] بسبب شركهم بالله ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ۝١٥١﴾.

---

(١) —**سؤال:** ما إعراب: ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾؟

الجواب: «ما»: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به لـ«أشركوا»، والجملة بعده صلته، والعائد: الهاء في «به».

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ وعدهم الله يوم أحد بأنه سينصرهم، وقد صدقهم وعده في أول المعركة، ﴿إِذْ[١] تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ تقتلونهم بإذنه، قتلتم نحواً من أحد عشر نفراً وهم أهلُ الراية من المشركين، كان مَنْ أخذها قُتِل، وكانوا من صناديد قريش.

﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ﴾[٢] بعدما بدأت المعركة وانتصر المسلمون ورأوا نصر الله قد نزل ظهر عليهم الفشل.

﴿وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ وحصل بينهم الخلاف والتنازع[٣].

﴿وَعَصَيْتُمْ﴾ الله، وخالفوا النبي وأمره.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾ أراهم الله نصره وتأييده، والظفر بالمشركين، ولكنهم بعدما رأوا ذلك تنازعوا وعصوا نبيهم وخالفوا أمره ووهت قواهم.

---

(١) –**سؤال:** ما معنى «إذ»؟

الجواب: معناها «وقت» أي: أنها اسم زمان ماضٍ والمضارع الذي دخلت عليه هو في تأويل الماضي، وعبر بالمضارع ليحيي صورة الحسن في أذهان المخاطبين.

(٢) – ما معنى: ﴿حَتَّى إِذَا﴾؟

الجواب: أن المعنى هو: كان الله معكم في أول المعركة بنصره، فظهرتم عليهم إلى أن حصل منكم الفشل والتنازع ومعصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، عند ذلك رفع الله نصره عنكم.

(٣) –**سؤال:** فيم حصل التنازع؟

الجواب: حصل التنازع بين الرماة الذين أمرهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يقفوا على الجبل الذي سمي فيما بعد بجبل الرماة، وكانوا خمسين رجلاً أمرهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأن لا يزولوا عن مكانهم سواء أحصل النصر أم حصلت الهزيمة، فلما ظهرت علامات النصر اختلف الرماة فقال بعضهم وهم نصف القوم: سنلحق المقاتلين حتى يكون لنا نصيب في النصر والغنيمة، وقال النصف الآخر: لن نزول من مكاننا كما أمرنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فتنازعوا في ذلك، فلحق نصفهم المقاتلين، ووقف النصف الباقي على الجبل حسب أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ كان البعض منهم يريد المغانم ولم يهمهم أمر الله ورسوله، والبعض يريد طاعة الله ورسوله، ولم ينظروا إلى الدنيا ومتاعها.

﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾[1] بعد المعصية والفشل ومخالفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والميل منهم إلى الدنيا رفع الله عنهم النصر ليتميز المخلص من غيره.

﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴿١٥٢﴾﴾ بعد عصيانكم للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومخالفتكم لأوامره- عفا الله عنكم، فانتبهوا واحذروه.

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ﴾[2] هربتم وأبعدتم في الفرار ولم تنظروا لمن تركتم خلفكم على أرض المعركة والسيوف تتهاوى عليهم والعدو محيط بهم.

﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾[3] ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يناديكم: هلموا إلي عباد الله، واصبروا على القتال، وجالدوا عن نبيكم، ولكنهم أوغلوا في الهروب ولم يجبه أحد.

﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾[4] عاقبهم الله بالغم بسبب الغم الذي تسببوا به للنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) –**سؤال:** ما معنى: ﴿صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾؟

الجواب: معنى: ﴿صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾ ردكم على أعقابكم منهزمين، والمراد: أن الله تعالى رفع عنكم النصر والتأييد بسبب معصيتكم، فانصرفتم لذلك عن عدوكم منهزمين فارين.

(٢) –**سؤال:** ما معنى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾؟

الجواب: المعنى: وقت ذهابكم بعيداً في الجبل وفي الأرض.

(٣) –**سؤال:** هل معنى ﴿فِي أُخْرَاكُمْ﴾ آخر الجيش؟

الجواب: ﴿فِي أُخْرَاكُمْ﴾ هي آخر الجيش؛ لأن الكثير كانوا قد تقدموا في الهزيمة.

(٤) –**سؤال:** ما هو الذي فاتهم فدعوا أن لا يحزنوا عليه؟

الجواب: الذي فاتهم هو النصر والغنيمة.

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا﴾[(١)] بعد ابتلائهم بالغم رحمهم الله وأبدلهم بالغم أمنة رحمة للمؤمنين التائبين الذين ندموا بعد ذلك، وغشيهم النوم ليذهب عنهم الخوف.

﴿يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ[(٢)] قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ غشي النوم طائفة وهم المؤمنون، وأما الأخرى فلم يغشهم النوم وهم المنافقون الذين كانت أنفسهم أهم عندهم وأولى من أوامر النبي ونداءه وطاعته.

﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ هؤلاء المنافقون الذين أهمتهم أنفسهم كانوا غير مصدقين بوعد الله للمؤمنين بالنصر والظفر وبالفتح وقهر المشركين.

﴿يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾[(٣)] تكذيباً منهم لوعد الله ورسوله بالنصر يقولون: إن ما يعدنا محمد من النصر وعد باطل.

﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ أخبرهم يا محمد بأن النصر بيد الله، وإنما اقتضت حكمته الابتلاء للناس والاختبار لهم؛ لأجل أن يتميز صادق الإيمان من غيره.

﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ يخفون تكذيبهم للنبي فيما أخبرهم به من النصر والغلبة، ويظهرون له خلاف ذلك.

﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ كانوا يقولون: لو كان

---

(١) –**سؤال:** ما هي الأمنة؟ ومم اشتقت؟

الجواب: الأمنة مصدر من «أَمِنَ»، وهي مفعول من أجله.

(٢) –**سؤال:** هل الواو للاستئناف في ﴿وَطَائِفَةٌ﴾؟

الجواب: هي للاستئناف.

(٣) –**سؤال:** هل المراد بالأمر النصر؟

الجواب: المراد به النصر والظهور، وذلك أن جملة: ﴿هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ بدل من الجملة التي قبلها: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ ومعنى الاستفهام النفي، أي: ليس لنا من الأمر شيء.

صحيحاً ما كان يخبرنا به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من وعده بأن الإسلام سينتصر، وسيستولي على جزيرة العرب، وعلى جميع الدنيا، وسيهزم كسرى وقيصر، ويفتح بلادهم؛ فلو كان هذا صحيحاً ما قتلنا هاهنا.

فأمر الله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن يقول لهم: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ أيها المنافقون ﴿لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ أما أولئك الذين قد كتب عليهم القتل والقتال- فلا بد أن يخرجوا فيقاتلوا ويقتلوا، والمعنى لو تخلفتم أيها المنافقون لخرج المؤمنون الذين علم الله أنهم يقتلون إلى مضاجعهم.

واعلم أن المراد بـ«كتب عليهم القتل» هو علم الله تعالى بأنهم سيقتلون، وليس علم الله هو الذي قتلهم ولا أخرجهم إلى ساحة القتال، وقد استعمل الكتب في القرآن على ثلاثة معان، وكذلك في لغة العرب:

بمعنى العلم كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنبياء]، ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ [الحج:٧٠].

وبمعنى الإيجاب والفرض كما في: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة:١٨٣]، ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة:٤٥].

وبمعنى كتابة القلم في الصحف كما في قوله: ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ [البقرة:٢٨٢].

والذي أخرج المؤمنين مع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في أحد هو إيمانهم بالله وطاعتهم لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وإيقانهم بثواب الله وخوفهم من عذابه، وقد خرجوا باختيارهم طمعاً في ثواب الله وخوفاً من عقابه، وليس علم الله هو الذي أخرجهم.

﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾[1] يعني ابتلاكم يوم أحد، وحصلت فيه الهزيمة للمسلمين؛ لأجل أن يظهر الله المنافقين، وما في صدورهم.

---

(١) –**سؤال:** علام عطف: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾؟

الجواب: عطف على محذوف تقديره: لمصالح كثيرة، وليبتلي الله ما في صدوركم.

﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ وليختبر ما في قلوبكم من الإيمان والنفاق.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴿١٥٤﴾﴾ فهو عالم بما في صدور الناس من الإيمان والنفاق، وقد اقتضت حكمته ورحمته أن يظهر ذلك بالاختبار والتمحيص.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ الذين هربوا ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ يعني أغواهم الشيطان، وزين لهم الفرار ففروا، وذلك بسبب ذنوبهم وعصيانهم للرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴿١٥٥﴾﴾ تجاوز عنهم لسعة رحمته.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾[1] فلا تحزنوا وتتحسروا أيها المؤمنون وتقولوا إنهم لو لم يذهبوا إلى القتال لم يقتلوا، فالمفروض أن يسترجع المؤمن عند المصيبة، ولا يتحسر ويتحزن ويقول: أن ما أصابه لم يكن إلا من سوء التدبير؛ أما المنافقون فإن الله تعالى يريد أن يملأ قلوبهم حسرة وأسفاً جزاءً على كفرهم بربهم.

---

(١) –**سؤال:** هل المراد بـ«الذين كفروا» المنافقون؟ وإلام يعود الضمير في «قلوبهم»؟

الجواب: «الذين كفروا» يراد بهم المنافقون في هذه الآية، وسماهم الله كافرين لأن رائحة الكفر فاحت منهم في يوم أحد، وظهرت ظهوراً عاماً بين المسلمين في المدينة. والضمير في «قلوبهم» يعود للذين كفروا وهم المنافقون.

سؤال: كيف يملأ الله قلوبهم حسرة؟

الجواب: هي عَرَضٌ طبيعي طبع الله عليه المكلف تحدث عند فقدان الإنسان لحبيب أو ما يعز من المال أو نحو ذلك، إلا أن المؤمن يتعزى عن ذلك ويتسلى عنه بتعزية الله، وبإيمانه بصدق وعد الله بالثواب العظيم وبالخلف والعوض في الدنيا والآخرة، أما المنافقون فلا إيمان لهم ولا تصديق، فتشتعل في قلوبهم الحسرة، ولا يجدون ما يسليهم ويعزيهم، ثم إن الله تعالى جعلهم يذكرونها ولا ينسونها إلى أن يموتوا؛ عقوبة لهم على كفرهم وخبثهم.

﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴿١٥٧﴾﴾ فمن قتل في سبيل الله أو مات فقد فاز وظفر بمغفرة الله، وسيناله برحمته وكرامته أفضل مما يجمعه أهل الدنيا من التجارات والأموال، فما عند الله هو أفضل مما فاته من الدنيا فلا تتحسروا على من قتل في سبيل الله ولا تحزنوا عليه.

﴿وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴿١٥٨﴾﴾ فليس من مات من المؤمنين أو قتل في سبيل الله قد ذهب وفاته كل شيء بل إنما ذهب إلى ربه وسيحشر إليه ويستوفي ثوابه وينال منازل الشهداء ويرافق النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في جنات النعيم.

ثم قال الله للنبي: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾[1] يعني أن الله لَيَّن طبيعتك يا محمد، ووسع فيها، ومنحك خلقاً عظيماً، وليناً في جانبك، ورحمة وتواضعاً حتى تقارب الناس منك وأقبلوا عليك وأطاعوك، وإلا فالعرب قوم أجلاف قساة وأهل بذاءة؛ فبسبب خلقك العظيم والتواضع الذي منحك الله إياه- اجتمع الناس عليك والتفوا حولك وأحبوك واتبعوك.

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ ولو كانت طبيعتك قاسية لما اجتمعوا حولك، ولما نصروك، ولما دخلوا في الإسلام ولنفروا عنك وتركوك.

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ فاعف عمن عصى من أصحابك، وحصلت منه زلة- فاعف عنه، ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ادع الله أن يغفر لهم ذنوبهم؛ لأنهم أهل قساوة في الطبع، فترفَّق بهم وإن حصل خطأ منهم عليك، أو سوء أدب- فاعف عنهم، ولا تؤاخذهم بما صدر منهم من إساءة إليك، وادع الله أن يغفر لهم زلاتهم وإساءتهم إليك.

---

(١) – ما إعراب: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾؟

الجواب: «رحمة» مجرور بالباء، و«ما» صلة زائدة.

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾(١) واجعلهم مقربين عندك، واستشرهم في الأمور والنوازل، واستمع لآرائهم وتدابيرهم، واجعل لهم قيمة ورغبهم في القرب منك.

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ بعد المشاورة في الحروب ونحوها من الأمور التي تهم الإسلام والمسلمين؛ فإذا ثبتم(٢) على رأي فتوكلوا على الله، ولا ترجع إلى الوراء بعد المشاورة، ولكن امض فيما اتفقتم عليه، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ عليه، والمطيعين أمره.

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ فتوكلوا على الله، واعتمدوا عليه، وفوضوا أموركم إليه، وأطيعوا أوامره؛ فإنه إذا نصركم فلا غالب لكم من الناس.

﴿وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾(٣) ولن يستطيع أحد

---

(١) —**سؤال:** هل ﴿الْأَمْرِ﴾ عموم أم لا؟

الجواب: «الأمر» عام في نوع من الأمور، وهو الأمور العامة الدنيوية المتعلقة بتدبير المصالح ودفع المفاسد، أما الأمور الدينية فأمرها إلى الله، وعلى الناس السمع والطاعة، وأما الأمور الخاصة الدنيوية فليست من شؤون ولاة الناس وأئمتهم وحكامهم.

(٢) —**سؤال:** هل المراد ثباتهم جميعاً، أم ثبات وعزم النبي ﷺ فقط؟

الجواب: المراد إذا استقر رأي النبي ﷺ ورأي بعض المستشارين على رأي فليمضوا فيه ولا يترددوا، وليس المراد رأي النبي ﷺ وحده؛ لأن من شأن المستشير إذا شاور نصحاءه أن يأخذ برأي من استصوب رأيه، فإن استصوب رأيه الذي في نفسه ولم يستصوب آراءهم، فإنه يعرض عليهم رأيه الذي استحسنه، فإن استصوبوه جميعاً أو بعضهم فإنه يعمل به، وإن لم يستصوبوه جميعاً ورأوا الصواب في غيره فإنه يعدل عنه؛ لذلك ترك رسول الله ﷺ رأيه يوم بدر حين نزل بجيشه في مكان فرده المشيرون عن رأيه، وأشاروا عليه بالنزول في مكان آخر، فعدل إلى رأيهم وترك رأيه صلوات الله عليه وعلى آله ورحمته وبركاته.

(٣) —**سؤال:** هل المراد بالخذلان عدم تهيئة أسباب النصر؟

الجواب: المراد هو ذلك بأن يمنع المقاتلين أسباب النصر والتأييد.

أن ينصركم إذا فاتكم نصر الله فاحرصوا علىٰ الاستقامة علىٰ طاعة الله ورسوله لتحظوا بنصر الله.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴿١٦٠﴾﴾ فالمؤمنون يعتمدون علىٰ الله، لا علىٰ غيره، ولا يلتفتون إلىٰ من سواه.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾[١] سرقت قطيفة في يوم بدر، فقال أحد الصحابة: يمكن أن يكون النبي هو الذي أخذها؛ فغضب الله لهذه المقالة والتهمة التي وجهت إلىٰ نبيه صلى الله عليه وآله وسلم؛ فأنزل الله هذه الآية، وأخبرهم أن هذه ليست من أخلاق الأنبياء، ولا عاداتهم.

مع أن لنبي الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يأخذ ما شاء من الغنيمة، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال:١]، فالأنفال والغنائم هي لله وللرسول يفعل بها ما أراد، ولكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يأخذ شيئاً، ولا يستأثر بشيء علىٰ المسلمين.

﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الذي يخون في الغنيمة، ويسرق منها ولو إبرة- يحاسب به يوم القيامة، ويدخل بسببه النار.

﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴿١٦١﴾﴾ توفىٰ كل نفس جزاء كسبها إن خيراً فخير، وإن شراً فشر يوم القيامة، لا ينقص الله من ثواب المؤمنين، ولا يزيد في عذاب الكافرين جزاءً عادلاً.

---

(١) - **سؤال:** هناك قراءة أخرىٰ بالبناء للمجهول «يُغَلَّ» من الرباعي «أغلَّ»، فهل تؤكد ما قلتموه، وذلك نسبة الغلول إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟

الجواب: المعنىٰ علىٰ هذه القراءة الأخرىٰ بالبناء للمجهول مخالف للمعنىٰ في القراءة بالبناء للفاعل، فبالبناء للفاعل يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الآخذ، وللمجهول يكون صلى الله عليه وآله وسلم هو المأخوذ عليه، وقراءة «يُغَلّ» بالبناء للمجهول تؤكد نسبة الغلول إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حيث أن يُغَلَّ بمعنىٰ: يُنسب إلىٰ الغلول.

﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ١٦٢﴾ أخبر الله بأنهم ليسوا سواء، فالذين يتبعون رضوان الله لهم الثواب العظيم في جنات النعيم، والذين يسيرون في معاصي الله وما يسخطه لهم عذاب جهنم وبئس المصير. ومعنى «باء بسخط من الله»: رجع بسخطٍ من الله.

﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ١٦٣﴾(١) المتبعون لرضوان الله، والسائرون في سخطه هم درجات، بعضهم أرفع من بعض، وكل ناس في مرتبة وهو عالم بأعمالهم، وسيعطي كل واحد على قدر عمله، ويضعه في الدرجة التي يستحقها من النعيم أو الجحيم.

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ١٦٤﴾ أنعم الله على المؤمنين بنعمة عظيمة حين بعث فيهم رسولاً عربياً منهم يفهمون خطابه- يعلمهم آياته، ويطهرهم من القبائح والفواحش والأقذار، ويعلمهم العلم والقرآن بعدما كانوا من قبل في جهل مطبق، وضلال عن الحق والهدى.

ثم رجع الله إلى ذكر أهل أحد يستنكر عليهم الوهن الذي لحقهم، وتحطم نفسياتهم ومعنوياتهم، وهزيمتهم في أنفسهم فقال: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ

(١) –**سؤال:** يقال: ظاهر الدرجات التفاوت فقط في المراتب، وأنهم في نوع واحد إما نعيم أو جحيم، فكيف توجه الآية؟

الجواب: الدرجات هي التفاوت في المراتب والتعظيم، وكذلك أهل النار مراتب متفاوتة في العذاب بدليل: ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ٣٨﴾ [الأعراف]، فكل واحد من أهل جهنم يتذوق من حريق جهنم بقدر جرمه، ويكون ذلك بزيادة الإحساس ونقصانه، فلا يستوي ألم حريق من دخل النار بقتل مؤمن واحد، وألم حريق من دخل النار بقتل ألف مؤمن وإن كانوا في مكان واحد.

﴿أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾[1] فما بالكم تستنكرون حين حصل عليكم مصيبة قد أصبتم من المشركين مثلها مرتين من القتل والأسر؟ وحين حصلت عليكم هذه قلتم: أنى هذا؟ يعني: من أين أتت علينا هذه المصيبة؟ وما هو السبب؟

ثم قال الله: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ بسبب معصيتكم، وليست من الله، ولا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أنتم الذين جررتم الهزيمة على أنفسكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾.

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ يوم التقى المسلمون والمشركون في ساحة القتال فقد حصل بعلم الله وبتخليته بينكم وبين المشركين حين رفع النصر عنكم بسبب معصيتكم، ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾﴾ ففيما حصل عليكم ونزل بكم مصلحة لكم أيها المؤمنون؛ لأنه سيعرف المؤمنون من المنافقين، وستكشف الحقائق، ويتبين الرجال الصادقون من غيرهم.

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ وليظهر بسبب ذلك أهل النفاق، ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾[2] لأنه انكشف يوم أحد أناس كثيرون كبيرهم عبدالله بن أُبَيّ،

---

(١) –**سؤال:** ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ...﴾ هل الاستفهام استنكاري أو توبيخي؟

الجواب: الهمزة للإنكار التوبيخي، وهي التي تدل على أن ما بعدها واقع وأن فاعله ملوم.

سؤال: قوله: «مثليها» والمعلوم أنهم إنما أصابوا مثلها في بدر لا مثليها، فما المقصود بالمثل الثاني؟

الجواب: المثل الثاني هو أسرهم لسبعين من مشركي قريش، وكان المفروض أن يقتلوا إلا أن المسلمين اختاروا الفدية على القتل.

(٢) –**سؤال:** ما الوجه في المغايرة بين القتال والدفاع في قوله: ﴿قَاتِلُوا﴾ ﴿أَوِ ادْفَعُوا﴾؟

الجواب: الأول لإعلاء كلمة الله، والثاني لدفع شر العدو الذي جاء لاستئصال المسلمين، وكان المفروض أن يستجيب المنافقون لمن دعاهم إلى الخروج لدفع شر الغزاة الذين أناخوا برحالهم في طرف المدينة لقتل أهلها، وسبي نسائها، وتغنم أموالها، ولكنهم لم يستجيبوا ولم يخرجوا، وقعدوا في بيوتهم.

فقد انسحب بثلث الجيش، وقالوا: لو نعلم أنكم ستقاتلون عدوكم في خروجكم هذا لقاتلنا معكم، ولكنه لن يكون قتال، ثم أخبر الله المؤمنين عن هؤلاء المنسحبين بأنهم بعيدون عن الإسلام والإيمان وأقرب إلى الكفر فلا تتوقعوا منهم أن ينصروكم.

﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ يدعون الإيمان وليسوا كذلك[1]، والله عالم بما يخفونه في قلوبهم من الكفر، وقد أراد الله تعالى أن يظهر ما في قلوبهم من الكفر والنفاق فأظهره يوم أحد.

﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا﴾[2] وهم عبدالله بن أبي وأصحابه الذين انسحبوا من جيش النبي صلى الله عليه وآله وسلم انهزموا ورجعوا إلى بيوتهم، أخذوا يُنَدِّمون المؤمنين، ويُحَسِّرُونهم فقالوا لهم: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ لو رجعوا وانسحبوا معنا

---

(١) —**سؤال:** هل يصح أن نحمل هذا على خصوص قولهم: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾؟

الجواب: الأقرب أن المراد ما ذكرناه في التفسير بدليل الآية السابقة: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾، وبَيَّنَ الله كونهم أقرب للكفر منهم للإيمان بقوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾، فظهر بذلك أن قلوبهم كافرة وإن أظهروا بألسنتهم الإسلام.

(٢) —**سؤال:** كيف سمى الله المؤمنين إخواناً للمنافقين؟

الجواب: لكونهم إخواناً لهم في النسب، وقد قال تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [هود]؛ لما كان أخاهم في النسب.

سؤال: ما فائدة الإتيان بـ«قعدوا» بين القول ومقوله؟

الجواب: «وقعدوا» جملة حالية من الضمير في «قالوا»، وفيه فوائد:

١- أن المنافقين الذين قالوا ذلك القول قعدوا في المدينة ولم يخرجوا للقتال مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٢- أن القعود كان هو الصواب والرأي السديد لحفظ أنفسهم وسلامتها.

٣- تبين بذلك متعلق «أطاعونا» أي: في القعود.

٤- مع ما في ذلك من الذم للمنافقين بالقعود عن لقاء عدوهم؛ لأنه صفة ينفر عنها الرجال، ويبتعدون عنها ما استطاعوا.

لما قتلوا، وعبدالله بن أبي هذا كان رأيه[١] من رأي النبي وهو البقاء في المدينة، والتصدي للمشركين فيها، لكن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خرج لمواجهة قريش، ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ١٦٨﴾ لا تفرحوا أيها المنافقون حين انسحبتم من الجيش ورجعتم إلى بيوتكم ولم تقاتلوا وسلمتم من القتل فإن سلامتكم من القتل والموت ليست بسبب حسن تدبيركم كما تتوهمون بل إن الموت والحياة بتدبير الله وعلمه وحكمته وقد جعل تعالى لكل أجل كتاب فلا تقدرون أن تقدموا أجلاً ولا تؤخرونه[٢].

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ١٦٩﴾ وهذه حياة لا ندركها، وهي حياة الروح، وذلك مثل ما يحلم النائم، فالروح هي التي تحلم، وترى في المنام فهي تخرج من الجسد عند النوم وترى الأشياء وتبصر، غير أنها في الشهداء أقوى وأبلغ مما تراه الروح في المنام، فهي تخرج من أجسادهم وتذهب إلى نعيم الله، تطوف على منازلها في الجنة، وما أعد لها في جنات النعيم، وليس نعيماً

---

(١) –**سؤال:** هل كان انسحابه لعدم استجابتهم لرأيه؟

الجواب: عبدالله بن أبي كان عظيم المنافقين، ونفاقه هو الذي رده، إلا أنه وجد في مخالفتهم لرأيه شيئاً من تبرير انسحابه، وقد بين الله تعالى السبب الذي أقعدهم في قوله في الآية السابقة: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

(٢) – **سؤال:** قد يقول القائل: إذا كان هذا هو الواقع، فكيف تسمون القتل خرماً للأجل، وتذمون القاتل، بل والمقتول لو ألقى بنفسه إلى تهلكة؟

الجواب: القتل هو خرم للأجل والقاتل مذموم، وحكمة الله وإرادته ومشيئته محيطة بالقاتل والمقتول، فإذا أراد حالت إرادته بين القاتل والمقتول، وإذا شاء حفظ المقتول من القتل من غير أن يحول بينه وبين القاتل، وإذا شاء خلى بينهما فيحصل القتل، فمن هنا ساغ لنا أن نقول: إن الموت والقتل تحت مشيئة الله تعالى وتحت سلطانه، من غير أن يكون له مشيئة ورضا بسفك الدم الحرام.

جسدياً، يأكل وينكح وغير ذلك، بل هو نعيم روحي لا غير[1].

---

(١) –**سؤال:** لو أوردتم الدليل على خروج الأرواح عن أجساد النائمين؟

الجواب: الدليل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام:٦٠]، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [الزمر:٤٢].

سؤال: يقال: إذا كانت هذه هي حياة الشهداء، فما الفرق بينها وبين تنعم المؤمنين الذين ليسوا شهداء؟

الجواب: لا فرق بين الحياتين من حيث التنعم، ويفرق بينهما من حيث زيادة الدرجات، وهذا مع أن المؤمن الصادق في إيمانه يموت يوم يموت وهو كالمتشحط بدمه في سبيل الله.

سؤال: يقال: إذا كان العذاب للأرواح فقط، فكيف نعمل بالأخبار التي ظاهرها تعذيب الجسد مع قول الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام وغيره بأن الله قادر عليه ولو لم نشاهده، والروايات الصحيحة التي حكاها سيدي مجدالدين وسيدي علي العجري، والتي مضمونها رؤية العذاب عياناً، ذكرها في مفتاح السعادة؟

الجواب: رؤية العذاب وسماعه من قبور بعض المجرمين، ورؤية أثر الحريق في اللحود أمر محقق كما ذكرتم، وكذلك رؤية الأنوار على قبور بعض الصالحين، وظهور الروائح الزكية عند قبورهم أمر محقق، إلا أن الذي يظهر لي: أن الله تعالى يُظْهِر ذلك للعبرة والبيان والدلالة على أهل الحق وأهل الباطل، وذلك حين يتغلب أهل الباطل وتكثر الشبه، ويكثر الملبسون على الناس، ويضعف أولياء الله ويقل العلماء، وليس ذلك لأن صاحب القبر يتنعم أو يعذب. **هذا،** مع أن الميت جماد لا حياة فيه ولا إحساس، والجماد لا يحس ولا يتألم، إلا أن الله تعالى على كل شيء قدير لا يعجزه شيء، كما قال الإمام القاسم عليه السلام. أما الأخبار مثل: ((إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير)) فتحمل على تعذيب الروح، ولما كان آخر عهد الناس بالميت دخوله القبر نسب العذاب إلى القبر. **هذا،** والذي أحوجنا إلى إضافة العذاب إلى الروح دون الجسد قوله تعالى في آل فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ۝٤٦﴾ [غافر]، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا يَاوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ [يس:٥٢]، وهذا مع العلم بالمشاهدة لما يصير إليه الميت من
=

والكافرون كذلك فأرواحهم هي التي تعذب قبل يوم القيامة، وتشاهد ما أعد الله لها من العذاب، وترى مقاعدها ومنازلها في جهنم؛ فيحصل بذلك الخوف الشديد، والهم والغم والحزن، وأما العذاب ففي يوم القيامة فقط، قال الله في آل فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ(١) عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴿٤٦﴾﴾ [غافر]، فسيدخلون النار في يوم القيامة، وأما في الدنيا فإنما يعرضون عليها ويشاهدون ما أعد الله لهم في النار، وعلى مقاعدهم في جهنم.

التراب والعظام البالية، وقوله تعالى: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس]، ففي هذا ما يدل على أنه لا حياة في عظام الموتى، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴿٢٦﴾﴾ [المرسلات]. **هذا**، ولا مانع من أن يحبس الله تعالى روح الظالم عند جسده في ظلمة اللحد وتعذب فيه. وفي المصابيح عن الإمام القاسم عليه السلام: أرواح المؤمنين إذا فارقت أبدانها في نعيم وكرامة، وأرواح الظالمين إذا فارقت أبدانها في خزي وندامة، حتى ترد الأرواح إلى أبدانها في يوم البعث والقيامة. وقال الهادي عليه السلام كما في المصابيح أيضاً: فجعل الأرواح حية باقية إلى يوم الدين؛ ليكون روح المؤمن بعد فنائه في البشارات والسرور والنعيم والحبور بما يسمع من تبشير الملائكة له بالرضا والرضوان من ذي الجلال والسلطان، وبما أعد له من الخير العظيم والثواب الجسيم، كل ذلك يتناهى إليه علمه، ويصل له من ربه فهمه، وكذلك تدبير الله وفعله في إبقاء روح الكافر بعد هلاك بدنه؛ لما في روحه عليه من الحسرة والبلايا بما يعاين ويوقن ويبلغه من إخبار الملائكة وذكرها لما أعد الله له من الجحيم، والأغلال والسعير، وشرب الحميم، وما إليه يصير من العذاب الأليم، فروحه في خزي وبلاء، وحسرات تدوم ولا تفنى..إلخ.

(١) – **سؤال:** قد ذكر بعض أصحابنا وغيرهم من المفسرين أن العرض على النار يحتمل تعذيبهم فيها واستدلوا بقول العرب: عرضت الأسارى على السيف إذا قتلتهم به، فما رأيكم، خصوصاً مع قوله تعالى: ﴿أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ [نوح:٢٥]؟

الجواب: قد ورد عن العرب ما ذكرتم، وورد كما في مختار الصحاح: وعرضته له: أظهرته له وأبرزته إليه، وعرضت الناقة على الحوض، وورد: «أعرضته على النار» أحرقته فيها، كما في أساس البلاغة ، وعلى هذا فيكون عرضهم على النار محتمل للدخول ولإظهارها لهم وإبرازها إليهم، وقد ذكرنا في غير هذا المكان من الجواب ما يفيد هذا.

فالذين قتلوا في سبيل الله ليسوا أمواتاً كما ترون، بل أرواحهم لا زالت حية تتنعم في جنة المأوى، وهي موجودة الآن تتنعم فيها أرواح المؤمنين إلى يوم القيامة(١).

﴿فَرِحِينَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ مبتهجين بما أعد الله لهم من النعيم والدرجات الرفيعة في الجنة، وما أعد لهم من الكرامة؛ لأنهم يرونها ويبصرونها ويحسون بها.

﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴿١٧٠﴾﴾(٢) وكذلك يفرحون لمن يأتي من بعدهم من إخوانهم الذين يستشهدون في سبيل الله وما يصيرون إليه من النعيم لما يرون من فضل الله عليهم ونعيمه، وما أعد لهم، وبأنه لا يلحقهم أي خوف ولا حزن.

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾(٣) ولا يزالون يستبشرون وتتابع لهم البشائر وتتكرر بما يعظم من فضل الله ونعمه وثوابه.

---

(١) –**سؤال:** يقال: إذا كانت جنة المأوى موجودة الآن، فلماذا استثنيت من بقية الجنة أو أنواعها عند القائلين بعدم خلق الجنة الآن؟ كما هو على ذهني رأي الإمام الهادي عليه السلام، أفلا يلزمهم وجود الجنة بأسرها؟

الجواب: جنة المأوى موجودة الآن لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴿١٥﴾﴾ [النجم]، أما الجنة التي وعد المتقون، جنة الخلد، جنات عدن؛ فالدليل على أنها لم تخلق الآن هو ما يلزم من العبث لو خلقها الآن ثم يفنيها ويعدمها يوم القيامة، ثم يخلقها في الآخرة لينعم فيها أولياءه.

(٢) –**سؤال:** ما موضع ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ الإعرابي؟

الجواب: موضعه الجر بدلاً من المجرور الذي قبله.

(٣) –**سؤال:** هل التنكير في «نعمة» و«فضل» للتعظيم؟

الجواب: التنكير للتعظيم، والنعمة العظيمة هي السلامة من النار، والفضل العظيم هو ما يعطيه الله من الثواب في الجنة.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴿١٧١﴾﴾ واطمأنوا إلى أن الله لا يضيع أجور المؤمنين وأنهم يصلون إلى أجورهم وثوابهم المضاعف ويوفون جزاء كل ركعة وكل سجدة وكل تسبيحة، وكل خطوة خطاها المؤمن إلى صلاة أو صلة رحم أو في سبيل الله، وكل نفقة أنفقها، وأن الله لا يضيع لا صغيرة ولا كبيرة، ولا أي عمل صغير أو كبير في الدنيا، وما أعد له من الثواب على ذلك، وروحه مع هذا تطوف على ذلك كله، وما أعد له من الجنان الواسعة إلى يوم القيامة.

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا[(١)] لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا[(٢)] مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴿١٧٢﴾﴾ رجع المؤمنون يوم أحد إلى بيوتهم فبلغ النبي ﷺ أن أبا سفيان سوف يرجع إلى حرب النبي ﷺ لأنه قد ندم أنه لم يستأصل المسلمين في أحد ويلحقهم إلى المدينة ليقضي على بقيتهم، ثم إنه رجع مريداً للمدينة؛ فدعا النبي ﷺ المسلمين إلى الخروج، وأمرهم بأن لا يخرج إلا من حضر في المعركة بالأمس، فخرج المؤمنون واستجابوا للنبي ﷺ وهم في جراحاتهم، حتى إن بعضهم خرج حبواً لقتال أبي سفيان، فنالوا باستجابتهم لنبيهم ﷺ رضوان الله ووعده الحسن بالأجر العظيم.

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴿١٧٣﴾﴾[(٣)] خرج هؤلاء المستجيبون لنبيهم وهم في

---

(١) ــ**سؤال:** ما هو إعراب: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾؟

الجواب: موضعه الجر على أنه صفة بعد صفة، والموصوف مقدر أي: القوم المؤمنين الذين..، أو على أنه بيان أو بدل من المؤمنين.

(٢) ــ**سؤال:** إذا كان مبتدأً فلماذا أظهر بدل الإضمار في قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾؟

الجواب: إذا أعربنا: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾ مبتدأً فخبره: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴿١٧٢﴾﴾ وأظهر ما كان ينبغي أن يضمر لينبه على أن الأجر العظيم مشروط بالإحسان والتقوى.

(٣) ــ**سؤال:** ما الوجه في فصل جملة: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ...﴾ وما إعرابها؟

الجواب: وجه الفصل أن الموصول صفة أو بيان أو بدل وهو تابع مفرد.

=

جراحهم للقاء أبي سفيان، فلما علم أبو سفيان بخروجهم من المدينة لقتاله أرسل إليهم من يخوفهم بأن أبا سفيان قد جمع لقتالهم واستئصالهم جموعاً كثيرة فلا تواجهوهم فلا طاقة لكم بهم، يريد أبو سفيان أن يثبط المسلمين بذلك ويردهم إلى المدينة، وكره أن يلقاهم للقتال، فلم يلتفت المؤمنون إلى ذلك التخويف بل ازدادوا إيماناً وثقة بالله وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل.

﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ فخرجوا وانقلبوا - يعني: رجعوا- بنعمة من الله وفضل ولم يمسسهم سوء أي: لم يقاتلوا أبا سفيان، فخاف أبو سفيان عندما لم تنفع حيلته هذه في المسلمين، وما رأى من عزيمتهم على القتال خاف منهم، وأضرب عن لقائهم، ورجع إلى مكة.

وكان قد عزم أبو سفيان أن يلقاهم في مكان ويقاتلهم فيه، فذهب المسلمون إلى ذلك المكان، وخيموا فيه مستعدين للقائه، ولكن أبا سفيان تخلف ولم يذهب

سؤال: ما المراد بالناس في الموضعين؟

الجواب: «الناس» الأولى هو رجل واحد يقال له: نُعَيْم بن مسعود أرسله أبو سفيان ليخوف المسلمين الذين استجابوا من بعدما أصابهم القرح وخرجوا من المدينة في أثر قريش لمناجزتهم، وليردهم عن وجهتهم. والناس الثانية يراد بها أبو سفيان. وقيل: إن ذلك في غزوة بدر الصغرى بعد عام من يوم أحد، والأرجح أن ذلك بعد يوم أحد مباشرة بدليل: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾.

سؤال: إذا كان المراد بهم الآحاد فهل هو تخصيص بالعقل أو بالحس؟ أو ليس من باب التخصيص؟

الجواب: الألف واللام للعهد وليست للعموم، والذي دل على ذلك: أن الآية نزلت بعد وقوع القصة، وبعد علمهم بالقائل وبالذي جمع لهم، ولكن يقال: ما هو المسوغ لاستعمال اسم الجمع للواحد؟ فيقال: أما أبو سفيان فلأنه كان له أعوان وأتباع على رأيه، وأما رسوله فلعل في صحبته من هو على رأيه، أو لأنه رسول مرسل من عند الناس الذين جمعوا، فكأنهم هم الذين قالوا.

لمقاتلتهم، وانهزم راجعاً إلى مكة.

كان للنبي ﷺ عيون يتجسسون على أبي سفيان لينظروا ما سيفعل، فأخبرهم النبي ﷺ أنهم إن امتطوا الإبل فهم ذاهبون إلى مكة، وإن رأيتموهم ركبوا خيولهم فهم ذاهبون إلى قتالكم؛ فأخبروا النبي ﷺ أنهم قد ركبوا الإبل وتركوا الخيل؛ فأمرهم النبي ﷺ أن يرجعوا إلى بيوتهم.

وأرسل أبو سفيان إلى النبي ﷺ: بأن ميعادنا للقتال في بدر في مثل هذا اليوم من العام القابل؛ لأنه كان قد شاور أصحابه فاتفقوا بأن هذه سنة مجدبة لا يوجد مرعى للإبل والخيل، فسنعود لديارنا هذه السنة، ونواعد النبي للعام القابل، ولكن أبا سفيان ومن معه حينما أتت السنة تكاسلوا، ولم يذهبوا لقتال النبي ﷺ.

﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴿١٧٤﴾﴾ هؤلاء الذين خرجوا أثنى عليهم الله تعالى بأنهم أطاعوا الله ورسوله، وخرجوا للحرب فنالوا رضوان الله وعظيم ثوابه.

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ[(١)] فَلَا تَخَافُوهُمْ[(٢)] وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴿١٧٥﴾﴾ عندما خوفهم أبو سفيان حين أرسل إلى المسلمين بأن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فقال لهم الله: إن ذلك من الشيطان يخوف أولياءه، فلا تخافوهم وإنما يخاف أولياء الشيطان.

---

(١) –**سؤال:** من المراد بأوليائه؟

الجواب: قد قالوا: إن المراد يخوفكم أولياءه، فأولياؤه المرادون هم أبو سفيان وقريش.

(٢) – **سؤال:** قد يقول القائل بأنه يحصل الخوف أحياناً للمؤمنين الكبار من أعداء الدين وإمكانياتهم، فهل يعد نقصاً في الدين ومعصية أم كيف مع هذه الآية؟

الجواب: الخوف طبيعة لا يمكن التخلص منها، ولا يلام عليها المكلف، ومعنى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴿١٧٥﴾﴾ لا تتركوا طاعة الله ورسوله لخوف المشركين، وخافوا الله بالتمسك بدينه.

ثم قال الله للنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ فلا يحزنك يا محمد أولئك الذين يخرجون من الإيمان ويدخلون في الكفر، فلا تحزن[1] يا محمد على خروجهم من الدين، والنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان حريصاً على بقاء الناس على الإسلام، وكان يستاء ويحزن على أولئك الذين يخرجون من الإسلام ويدخلون في الكفر، فقال له الله: لا تحزن فما عليك إلا أن تبلغهم، وهم الذين اختاروا لأنفسهم الكفر فدعهم واختيارهم.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٧٦﴾[2] أولئك الذين ارتدوا إلى الكفر فلن ينالهم نصيب من رحمة الله يوم القيامة، ولهم عذاب عظيم في نار جهنم بسبب اختيارهم للكفر، وتركهم للإيمان والهدى والله تعالى يريد ثواب الآخرة لأهل طاعته دون أهل معصيته.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ

---

(١) – **سؤال:** هل المراد به النهي الصريح عن الحزن؟ فكيف وهو من منطلق الحرص على هدايتهم؟ أم المراد به التسلية؟

الجواب: كان النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حريصاً على دخول الناس في الإسلام، وكان يحزن إذا ارتدوا إلى الشرك؛ لحرصه على هداية الناس، ولما يتوقع من أذى المرتدين عن الإسلام؛ لأنهم قد عرفوا الكثير من أسرار النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأسرار المؤمنين، وعرفوا نقاط الضعف..وإلخ، فكأن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حزن كثيراً لأجل هذه النقطة الحساسة التي ستؤثر على دولة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وعلى الإسلام والمسلمين، فأراد الله تعالى أن يطمئن رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ويخفف عنه ما داخله من الحزن بهذه الآية.

(٢) –**سؤال:** يقال: المعلوم أن الله قد دعاهم إلى الجنة والمغفرة بإذنه، فكيف بهذه الآية؟

الجواب: دعاهم الله تعالى إلى الجنة والمغفرة والثواب العظيم الخالد، وشاء الله تعالى وأراد أن يعطي ذلك المستجيبين لربهم، وأن يحرم المعرضين المتمردين والكافرين والمصرين على معصية الله والفسوق عن أمره؛ لذلك نقول: إنه لا منافاة بين دعوتهم إلى الجنة والمغفرة، وبين حرمانهم من ذلك.

﴿أَلِيمٌ ١٧٧﴾ خروج المرتدين عن الإسلام ورجوعهم إلى الكفر غير ضار[١] وغير مؤثر في نشر الإسلام وتمام الدعوة، فلا تحزن يا محمد على خروجهم فما ضروا إلا أنفسهم والله متم نوره ولو كره الكافرون.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ١٧٨﴾[٢] إن الله تعالى يمهل الكافر ولا يعجل بمؤاخذتهم على ذنوبهم، وينعم عليهم، ويزيد في أعمارهم؛ فلا يحسبوا أن ذلك خيرٌ لأنفسهم إنما يزدادون كفراً كلما زاد الله في إمهالهم، وكلما زادوا من كفرهم ازداد العذاب عليهم أكثر؛ لأن من كفر بالله سنة فعذابه أقل ممن كفر به سنتين، ونحو ذلك؛ فالإمهال وزيادة العمر إنما هو زيادة عذاب عليهم فلا يظنوا أن التمهيل أفضل لأنفسهم.

---

(١) –**سؤال:** هل المراد: بـ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ لن يضروا دين الله؟

الجواب: المراد هو ذلك أي: لن يضروا دين الله، ولا نبي الله، ولا دولة الإسلام، ولا انتشار الدعوة.

(٢) –**سؤال:** كيف يجاب على من استدل بالآية ﴿لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ على الجبر؟

الجواب: اللام في ﴿لِيَزْدَادُوا﴾ هي لام العاقبة وليست لام التعليل، وهي مثل اللام في قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص:٨]، ولم يلتقطه آل فرعون لذلك وإنما التقطوه لينفعهم وليتخذوه ولداً، غير أن الذي حصل هو أن موسى عليه السلام صار لهم عدواً وحزناً، فكأنهم إنما التقطوه ليكون لهم عدواً وحزناً. وهكذا في الآية: ﴿لِيَزْدَادُوا﴾ فإن الذي حصل من المذكورين في الآية في الزمن الذي عمرهم الله فيه وأمهلهم هو الشرك والكفر والفسوق فجعل كأنه العلة التي أمهلهم الله وعمرهم من أجلها، وفي الحقيقة فإن العلة هي غير ذلك، والذي دلنا على ما ذكرنا قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ...﴾ [البقرة:٢١]، ونحو ذلك من الآيات.

سؤال: أين اسم «أنّ»؟ وما إعراب الجملة: ﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ﴾؟

الجواب: أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول به لـ«يحسبن» وهو ساد مسد المفعولين، واسم «أن» هو المصدر المسبوك من «ما» والفعل «نملي»، ويجوز أن تكون «ما» موصولة فتكون في محل نصب اسم «أنّ».

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ لن يترك الله المؤمنين على ما هم عليه، فلا بد من الاختبار والفتنة حتى يتبين وينكشف الخبيث من الطيب ويتميز المؤمن من المنافق.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ اقتضت حكمة الله ألا يخبرنا بما يعلمه من الغيب المحيط بما في صدور الناس وما تكنه قلوبهم من الإخلاص والنفاق، وقد اقتضت حكمته أن يمتحن الناس بشدائد البلوى كما حصل يوم أحد، فإنه ظهر في ذلك اليوم الشديد كل واحد من المسلمين على ما هو عليه من الإيمان والنفاق وضعف الإيمان، فثبت أهل الإيمان الصادق مع نبيهم لم يتزلزلوا ولم يتزحزحوا عن مواقفهم، وأما أهل النفاق وضعاف الإيمان فهربوا وأوغلوا في الهروب[1] وتركوا نبيهم في ساحة المعركة والسيوف تتهاوى عليه والنبي يناديهم فلم يسمعوا لندائه، ويدعوهم للإقبال إليه فلم يستجيبوا لدعائه.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ ولكن الله تعالى يختار من يشاء من رسله فيطلعهم على شيء من علم الغيب.

﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ١٧٩﴾ دعا الله تعالى في هذه الآية ضعاف الإيمان والمنافقين إلى أن يخلصوا إيمانهم بالله ورسله ويذعنوا لطاعة الله ورسله، ووعدهم إن هم أخلصوا الإيمان والتزموا طاعة الله واتقوا عصيانه أن يثيبهم ثواباً وأجراً عظيماً.

---

(١) ــ **سؤال:** هل الهرب والجبن علامة مقرَّرة على ضعف الإيمان أو النفاق ولو كان خارجاً عن استطاعة الإنسان وطاقته، فقد يشكل؟

الجواب: الجبن: هو طبيعة مطبوعة في الإنسان لا يقدر أن يتخلص منها، ولا يذم عليها ولا يعاقب، وإنما يذم الإنسان على أفعاله الاختياريه التي دعاه الجبن إلى فعلها فاستجاب لداعيه، والبخل طبيعة في الإنسان لا يذم عليها وإنما يذم على ترك الإنفاق فيما أوجب الله عليه، فمن كان صادق الإيمان بالله ورسوله وباليوم الآخر فإنه لا يطيع داعي البخل والجبن، ويستجيب لداعي الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ﴾[(١)] أولئك الذين يبخلون بأموالهم فلا ينفقونها في سبيل الله، ولا يخرجون زكاة أموالهم، فلا يظن أولئك أنهم مصيبون في حفظ أموالهم، وإنما هو شر لهم، وأموالهم ليست إلا وبالاً عليهم وبخلهم بما أوجب الله عليهم من النفقات من أموالهم سيكون سبباً لغضب الله عليهم ودخول جهنم خالدين فيها أبداً.

﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[(٢)] سيكون بخلهم طوقاً في أعناقهم يوم القيامة ليس لهم فكاك منه، وسيجازيهم الله عليه.

﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ فهو غني لا حاجة به إلى أحد، وإنما يختبر الناس بالتكاليف ليتبين المطيع من العاصي.

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ سنكتب قولهم هذا، وسنجازيهم عليه يوم القيامة وأهل هذا القول هم من يهود المدينة.

﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ وسنكتب قتلهم أنبياء الله الذين بعثهم إليهم فقتلوهم بغير حق، فسنجازيهم على ذلك.

﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ وسيدخلهم الله جهنم جزاءً على أعمالهم.

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾[(٣)] أي: دخولكم جهنم بسبب أعمالكم التي عملتموها بأيديكم جزاءً عليها، والله لم يظلمكم بإدخالكم جهنم، وإذاقتكم حريقها فهذا هو الجزاء العادل.

---

(١) —**سؤال:** هل «هو» في قوله: ﴿هُوَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ ضمير فصل؟

الجواب: هو ضمير فصل، والمفعول الأول محذوف تقديره: الْبُخْلَ، و«خيراً» المفعول الثاني. ويمكن: بخل الذين يبخلون.

(٢) —**سؤال:** هل قوله: ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾ استعارة تبعية عن اللزوم أو ماذا؟

الجواب: هو استعارة تبعية عن لزوم جزاء البخل يوم القيامة، لزوم الطوق للعنق لا مخرج لهم منه.

(٣) —**سؤال:** علام عطف: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾؟

الجواب: معطوف على الخبر وهو: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، فتكون «أن» وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور.

﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ[(١)] إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ[(٢)] لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ هؤلاء الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء، قالوا حين دعاهم النبي ﷺ إلى الإيمان: إن الله عهد إليهم في التوراة ألا يصدقوا رسولاً أبداً حتى يأتيهم بقربان تأكله النار، وهو أن يذبح الذبائح ويتركها على الأرض حتى تنزل عليها نار من السماء فتحرقها وتأخذها، فلا يصدقوه إلا إذا حصل هذا، وهذا زور وبهتان وافتراء على الله، فالله لم يعهد إليهم بهذا العهد لا في التوراة، ولا على لسان أنبيائهم، وإنما قالوا ذلك من تلقاء أنفسهم.

﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ۝١٨٣﴾ أمر الله النبي بأن يخبرهم بأنه قد جاءكم رسل من قبلي بالمعجزات والآيات الواضحات وبالذي قلتم فأبيتم الإيمان بهم وقتلتموهم.

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ فلم يصدقوك ويؤمنوا بك، ويقبلوا منك، ﴿فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ فلست الوحيد، فقد لقي الرسل من قبلك مثل ما لقيت من التكذيب والاستهزاء والعناد والتمرد والكفر، ولحقهم مثل ما لحقك من الخوف والأذى والحرب والحصار والقتل والقتال، وطال عليهم ذلك مثلما طال عليك فاصبر كما صبروا، يسلي الله تعالى رسوله ﷺ ويخفف عليه من شدة الصدمة بما لقي من قومه وبما سيلقى، فإن الرسول ﷺ إذا علم أن رسل الله عليهم السلام لقوا من التكذيب مثل ما لقي فإنه سيهون ما به من الضيق؛ لأن المصائب إذا عمت هانت.

---

(١) –**سؤال:** ما إعراب: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا﴾؟

الجواب: هي بدل من: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ..﴾ أو بيان أو نعت.

(٢) –**سؤال:** ما موضع ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ﴾ الإعرابي؟

الجواب: ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ﴾ في تأويل مصدر مجرور بحرف جر مقدر متعلق بـ«عهد إلينا»، ويجوز أن يقال: في محل نصب بنزع الخافض.

﴿جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴿١٨٤﴾﴾ قد أتوا بآيات الله الواضحات النيرات، وقرؤوها على أقوامهم، فكذبوهم ولم يؤمنوا بهم، فقد فعلوا بأنبيائهم مثل ما فعلوا بك يا محمد، والمراد بالزبر: الصحف التي أخذتها بنو إسرائيل من أنبيائهم من بعد موسى عليه السلام، والكتاب المنير: التوراة والإنجيل.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الدنيا ليست دار جزاء يثاب فيها المؤمن، ويعاقب فيها المكذب والعاصي، ولا يكون ذلك إلا بعد الموت في يوم القيامة؛ فاصبر يا محمد فستلقى أجرك وثوابك العظيم، وسيلقى المكذبون جزاءهم الأليم في جهنم خالدين فيها أبداً.

﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴿١٨٥﴾﴾ والفائز هو من يسلم من عذاب جهنم يوم القيامة، ويدخل الجنة، وفيها حث للناس بأن يسعوا إلى طاعة الله التي هي طريق الجنة.

وعبر بالزحزحة ليصور للإنسان أنه مائل إلى جهنم ومهوٍّ إليها، والمؤمن إنما يدفع نفسه عنها دفعاً، ويدافع نفسه بشدة لكي لا يسقط فيها، وذلك تشبيه بالحجر الموضوعة في منحدر فإنها ستهرول، ولكي تبقى تحتاج إلى مدافعة ومماسكة لكي لا تسقط، وكذلك حال الإنسان فالشيطان والهوى وملذات النفس وشهواتها كلها تقوده إلى جهنم، فلا تركنوا إلى الحياة الدنيا فليست إلا غروراً للإنسان يلهو فيها ويلعب، فيفاجئه الموت وهو على غير استعداد ليوم المعاد يوم توفى كل نفس جزاء عملها.

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ يخاطب الله النبي والمؤمنين بأنه ستحل بهم مصائب وتنزل عليهم نوازل من البلاء تتلف أموالهم وتأخذ من نفوسهم وسيلحقهم قتل ومخاوف، وأنهم سيسمعون من أهل الكتاب والمشركين أذىً كثيراً.

﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ۝١٨٦﴾[(١)] إذا صبرتم وثبتم على دينكم، وعلى تقوى الله- فإن ذلك من الأمور العظيمة التي لا يحملها إلا الرجال الأشداء ذوو العزائم القوية.

يخاطبهم الله بذلك قبل أن يحصل؛ لأجل أن يوطنوا أنفسهم ويعدوها؛ لئلا يتفاجئوا بها عند حصولها، ويصطدموا بها؛ لأن الإنسان إذا أعد نفسه للمصائب واستعد لها قبل نزولها كان ذلك أهون عليه.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾[(٢)] أخذ الله العهد والميثاق على اليهود أن يبينوا ما أنزل الله في التوراة ولا يكتموها، فنكثوا وأبوا أن يبينوا ما أنزل الله فيها من صفات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأنه النبي الحق، وأخفوا ذلك، وحرفوا التوراة.

﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ فنبذوا العهد والميثاق ونسوه وتركوه، ولم يعملوا به، وهو عهد قد أخذه الله عليهم على ألسنة أنبيائهم فحملوا العهد، ولكنهم لم يوفوا به.

﴿وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أخذوا الرشوة على كتمه وإخفائه.

﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ۝١٨٧﴾ اشتروا الضلالة والكتم بدل الوفاء بالعهد فخسروا في صفقتهم.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا

---

(١) - **سؤال:** هل قوله: ﴿عَزْمِ الْأُمُورِ۝١٨٦﴾ أصله من إضافة الصفة إلى الموصوف فأصله: من الأمور العازمة إلى التوبة؟

الجواب: هو من إضافة الصفة إلى الموصوف، وأصله: من الأمور المعزومة أي المقطوعة، ويكون المصدر بمعنى المفعول، وأصله من: «عزمت عليك أن تفعل كذا» أي: ألزمتك أن تفعله لا محالة ولا تتركه.

(٢) -**سؤال:** ما موقع «إذ» الإعرابي؟

الجواب: موقعها النصب على أنها مفعول به لـ«اذكر» محذوفاً.

تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴿١٨٨﴾﴾(١) فرح اليهود حين نجحوا في كتم ما أوحاه الله إليهم من دلائل نبوة محمد ﷺ واستراحوا لذلك، ومع ذلك يريدون حمد الناس لهم والثناء عليهم بأنهم أهل العلم والحكمة؛ فلا تحسبهم يا محمد ولا يظن أحد أنهم ناجون من عذاب الله فقد حكم الله عليهم بالعقاب، وسيعذبهم على أعمالهم هذه من الكتمان ونقض العهود في عذاب أليم في دركات الجحيم خالدين فيها.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴿١٨٩﴾﴾ فهو الله القادر على كل شيء، وعلى تعذيب اليهود والكافرين، فهم في قبضته وتحت قدرته وسلطانه، ولا مهرب لهم منه أبداً، وكل واحد سيلقى عمله وجزاءه.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴿١٩٠﴾﴾(٢) خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات بينات على

---

(١) — **سؤال:** في قول الله تعالى: ﴿يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ ما هو الشيء الذي لم يفعلوه؟

الجواب: أحب علماء اليهود أن يحمدوا ويذكروا بالعمل بالتوراة، وبالحرص على الالتزام بأحكامها، وهم في الواقع قد نبذوا التوراة وأحكامها والعمل بما أوجبه الله تعالى عليهم فيها.

سؤال: يستدل بهذه الآية ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا﴾ على ذم حب المدح والمحمدة، فكيف كانت دليلاً على ذلك؟

الجواب: ليست دليلاً على ذم مطلق حب المدح والمحمدة، وذلك أن ذم اليهود في هذه الآية متوجه إلى القيد وهو قوله: «بما لم يفعلوا» وليس إلى مطلق الفعل.

سؤال: هل يصح أن تكون الآية دليلاً على ذم العجب بالصالحات؟

الجواب: ليس فيها دليل على ذلك، بل فيها الدليل على ذم أن يطلب المكلف المدح على ما لم يفعله.

(٢) — **سؤال:** ما المقصود باختلاف الليل والنهار؟ وكيف كان آية على عظمة الله؟

الجواب: اختلاف الليل والنهار هو تعاقبهما يأتي الليل ثم يذهب، ويخلفه النهار ثم يذهب، ويعقبه الليل على حساب دقيق. وكانا آية على عظمة الله وقدرته وعلمه من حيث إن الليل =

عظمة الله، وعلى قدرته، وعلى جلاله وسلطانه، إذا تفكر الإنسان فيها ونظر وتأمل- فسيعرف الله حق معرفته ويعرف قدرته على كل شيء، وأنه مالك كل شيء حين يرى آثار قدرته في ذلك ومظاهر رحمته وآيات علمه وحكمته.

ولو تفكرت في الذرَّة أو البعوضة ذلك المخلوق الضعيف غير السماوات والأرض، فلو نظرت فيها وتأملت في تكوينها وما فيها من الأجهزة كالجهاز الهضمي والعصبي والتناسلي والتنفسي والدماغ والقلب والشرايين بالرغم من صغرها، فانظر في قدرة الله أين وصلت في ذلك المخلوق الضعيف؟

فلو نظرت فيها لما استطعت أن ترى الدماغ فيها الذي هو محل الإحساس والإدراك، ولو فتشت فيها وشرَّحتها لما استطعت أن ترى شيئاً مع كثرة ما تحمل بداخلها من أجهزة، وكيف تهتدي لمصالحها، ولها من الإدراك والإلهام ما تتحير عنده الأفهام.

انظر إلى النمل كيف يأوي إلى مساكنه قبل هطول المطر، من أعلمه بذلك؟ فقبيل نزوله لن ترى نملة على الأرض؛ من ألهمه بذلك الإلهام؟ فسبحان من عظمت قدرته!!

وانظر أيضاً إلى دقة قدرة الله، كيف وصلت إلى ذلك المخلوق الضعيف؟ وكيف تولّى حفظه وتشغيل جميع أعضائه بدقة ونظام بديع وعجيب؟ لا يغفل عنها - بالرغم من صغرها- لحظة واحدة، ولا يغيب علمه عنها، ولا يشغله الاهتمام بذرة دون أخرى، بل يحيط بها ذرّةً ذرّة، فعلمه محيط بكل حيوان في البر وفي البحر،

والنهار حدثان عظيمان يأتي الليل فتمتلئ أرجاء السماوات والأرض ظلمات، ثم يذهب الليل ويأتي النهار فتمتلئ الأرجاء ضياءً وهاجاً، يشاهد الناس حدوث ذلك بأبصارهم، ويجدون منافع الليل ومنافع النهار، وقد علموا ذلك كله علماً ضرورياً، فلا يحتاجون إلى الاستدلال على حدوث الليل والنهار؛ لأنهم يشاهدون حدوثهما بعيونهم؛ لذلك فإن أهل العقول يذعنون للتصديق والإيمان بأن وراء ذلك قادر عظيم، وفاعل حكيم عليم.

وقدرته وتدبيره يسير بها كل حيوان في البر والبحر.

وانظر إلى قلبك كيف يضخ الدم، ولا يهدأ لحظة واحدة، بلا وقود ولا كهرباء، بل بقدرته، لا حول لنا في ذلك ولا قوة.

بل ولو اجتمع علماء الكون كله على تشغيل قلب إنسان بما مكنهم الله من الوسائل الحديثة، والطب المتقدم لما اهتدوا إلى ذلك.

وأينما نظر المرء وتفكر فإنه يرى آيات الله، وآثار قدرته وعظمته، ففي كل شيء آيات واضحات وبينات، لكن لأهل العقول؛ أما أولئك الذين لا يتفكرون فليسوا من أهل العقول، قال الله تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ [الفرقان:٤٤].

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ هؤلاء هم أولو الألباب، وهم الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، فذكر الله في قلوبهم في كل وقت، فعظمة الله قد ملأت قلوبهم وحلت فيها حتى ولو لم يتكلموا وينطقوا بألسنتهم، ومهابة الله قد ملأت قلوبهم، وعرفوا أنه على كل شيء قدير، وأنه قد أحاط بكل شيء علماً، وأنه الذي رزق وخلق، وأنعم ودبر، وأنه سيثيب ويعاقب- والذكر هو: ذكر القلب، ولو لم تنطق ألسنتهم؛ فإن حياة الإيمان هي في القلب، فعظمة الله وقدرته و...إلخ على بالهم لا يغفلون عنها لحظة واحدة.

ومن ذَكَرَ اللهَ هذا الذكر تُستبعد منه المعصية بسبب امتلاء قلبه من الإيمان والمخافة، فهو يخاف أشد الخوف عند رؤية المعصية؛ لأنه غير غافل عن الله في أي لحظة، وإذا تحركت شهوة نفسه لفعل أمر فيرده خوفه من الله.

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وأيضاً هذا وصف لأولي الألباب، فهم متوجهون بأفكارهم إلى عجائب الآيات التي بثها الله في السماوات والأرض.

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[(١)] ثم إنهم يتوجهون إلى الله تعالى بعد أن جالت عقولهم في آيات السماوات والأرض يقولون: يا ربنا إنك ما خلقت هذا الكون وآياته إلا لأمر عظيم، هو البعث والجزاء والجنة والنار، وننزهك يا رب ونقدسك عن أن تخلق ذلك لغير غرض يترتب عليه فإنك عليم حكيم غني حميد تتنزه عن ذلك، ثم سألوا الله تعالى بعد ذلك أن يقيهم عذاب جهنم.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾[(٢)] هذا من دعاء أولي الألباب.

---

(١) —**سؤال:** ما موضع: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ الإعرابي؟

الجواب: موضعه النصب مقول قول محذوف.

(٢) – **سؤال:** قد يقال: إن الآية في الكافرين لقوله في آية أخرى: ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [النحل]، فكيف يجاب على ذلك؟

الجواب: من لوازم الإيمان السمعُ والطاعةُ لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد أجمعنا نحن ومن يقول: «إن الوعيد للكافرين» على أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، فمن آمن ولم يسمع ويطع الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يعمل فليس بمؤمن حقاً، يدل على ذلك قوله تعالى في القذف: ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [النور]، فإنها تدل على أن القذف للمحصنات منافٍ للإيمان، وقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران]، وقوله تعالى: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة]، وقال تعالى في سياق الأمر بالإنفاق للمؤمنين: ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الحديد]، فكل هذه الآيات تدل على أن من تمرد عن طاعة الله وامتثال أمره والانتهاء عند نهيه ليس بمؤمن وإن آمن بلسانه، ولا نجاة يوم القيامة إلا للمؤمنين بالاتفاق، ومن سواهم ففي النار، وقد كان المؤمنون الذين آمنوا ولم يلتزموا بطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم يسمون منافقين ومؤمنين إلا أن إيمانهم لم يدفع عنهم الوعيد الشديد بالعذاب الخالد، فسماهم الله تعالى مؤمنين في قوله: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [التوبة:٣٨]، ثم ساق تعالى في ذكر المنافقين الذين سماهم مؤمنين في سورة التوبة،

=

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴿١٩٢﴾﴾ من مات وهو ظالم وعاصٍ فليس له من ينصره ويدفع عنه عذاب الله، فهو في نار جهنم خالداً مخلداً، وهذا عدل وحكمة من الله تعالىٰ، فهو لا يعذب إلا الأشرار، وقد جعل النار سجناً لهم، ولن يدخل الله جهنم إلا أولئك المتمردين عليه، الذين قال فيهم: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام:٢٨]، بسبب تمردهم وتجرؤهم علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ.

﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ المنادي هو النبي ﷺ، فقالوا: إنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان فآمنا به، أي: بالنبي والقرآن.

﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴿١٩٣﴾﴾(١) دعوه بهذا الدعاء. وأفضل الدعاء هو الدعاء بالمغفرة كما ورد؛ فإذا دعا الإنسان بالمغفرة فقد طلب الخير كله، وثواب الاستغفار خير الدنيا وخير الآخرة، قال نوح لقومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ بسبب استغفاركم ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ﴾ بساتين يأتيكم منها الرزق، ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴿١٢﴾﴾ [نوح]، تشربون منها، وتسقون أنعامكم وبساتينكم.

شكا رجل إلىٰ الإمام الحسن بن علي عليهما السلام أنه لم يخلف أولاداً ذكوراً- فدله الإمام الحسن علىٰ الاستغفار والإكثار منه، واستدل عليه بهذه الآية.

فأفضل الدعاء الاستغفار، والمستغفر قد طلب خير الدنيا والآخرة، فإذا قبل الله منه فسيعطيه خير الدنيا والآخرة: الأموال والأولاد في الدنيا، وفي الآخرة الجنة.

وذكر أعمالهم وفضائحهم وما أعد لهم من العذاب. فدل كل ذلك علىٰ أن المؤمنين فريقان: فريق آمن وتمرد وتثاقل عن طاعة الله ورسوله ﷺ، وفريق آمن وسمع لله وأطاع ولم يتمرد. فالفريق الأول لا حظ له في رحمة الله ولا نصيب له من ثوابه، ويلحق بالكافرين يوم القيامة ويدخل معهم في عذاب النار خالداً فيها.

(١) -**سؤال:** ما معنىٰ: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴿١٩٣﴾﴾؟ هل كوفاتهم أو بينهم؟

الجواب: اجعلنا عند الوفاة مؤمنين تائبين لنفوز باللحاق بعبادك الأبرار الصالحين.

ودعوه أيضاً بأن يتوفاهم مع الصالحين المرضيين عند الله تعالى.

﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴿١٩٤﴾﴾ أعطنا يا ربنا ما وعدتنا من الخير على ألسنة رسلك، وهو الجنة ونعيمها، ولا تخزنا في العذاب الأليم فإنك لا تخلف الميعاد وننزهك ونسبحك عن إخلافه[1].

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾[2] حين دعاه أولو الألباب وتوسلوا إليه- استجاب الله دعاءهم، ووعدهم بأنه لا يضيع عمل عامل منهم من ذكر وأنثى، فسيثيبهم ويوفيهم أجورهم، ويزيدهم من فضله.

﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾[3] الرجال والنساء بعضهم من بعض فأبوهم جميعاً آدم وأمهم حواء وسيوفي الرجال والنساء أجورهم.

﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ يعني هاجروا إلى المدينة مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وتركوا أموالهم

---

(١) – **سؤال:** يقال بأنهم عالمون بأن الله لا يخلف الميعاد، وأنه سيعطيهم ما وعدهم على ألسن رسله، فما فائدة دعاء هؤلاء بالشيء الحاصل؟

الجواب: من شأن المؤمن الصادق المخلص أن يكون راجياً لرضوان الله وثوابه، خائفاً من سخطه وعذابه، لا أن يكون عالماً قاطعاً بالثواب والرضوان، وهكذا يكون راجياً لمغفرة الله لا قاطعاً؛ لذلك فالمؤمن في الدنيا يكون له طمع ورجاء في أن يعطيه الله ما وعد المؤمنين من الثواب على ألسنة الرسل، وله رجاء وطمع في أن الله تعالى لا يخزيه يوم القيامة مع أهل الخزي؛ لذلك كان الدعاء على بابه.

(٢) –**سؤال:** ما موضع: ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ﴾ الإعرابي؟

الجواب: موضعه الجر بحرف جر محذوف: «بأني لا أضيع».

(٣) –**سؤال:** ما موضع هذه الجملة؟ وما فائدة الإتيان بها؟

الجواب: ليس لها محل من الإعراب؛ لأنها مستأنفة لبيان شركة النساء مع الرجال في استحقاق الثواب. ويصح أن تكون معترضة لوقوعها بين: ﴿عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ وبين التفصيل لعمل العامل الذي بعد الفاء التفصيلية وهو قوله: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا...﴾ والفائدة هي نفس الفائدة التي ذكرناها.

وبيوتهم وبلادهم وذهبوا إلى بلاد الغربة؛ فراراً بدينهم إلى الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ بسبب إيمانهم حين طردهم المشركون؛ فخرجوا خوفاً منهم.

﴿وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي﴾ لحقهم الأذى في سبيل الله بسبب إيمانهم بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا﴾ قاتلوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقتلوا في سبيل الله ونصرة دينه ونبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ وعدهم الله بغفران ذنوبهم ونحوها من صحائف أعمالهم.

﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾[(١)] ثم أكد لهم أنه سيدخلهم جنات النعيم جزاءً على أعمالهم هذه، من الإيمان والهجرة، والقتال والقتل، والصبر على الأذى في سبيل الله.

﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ١٩٥﴾ لا يعطي ذلك الثواب العظيم في دار النعيم المقيم إلا الله تعالى وحده ولا يقدر عليه سواه.

ثم قال الله مخاطباً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وللمؤمنين: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ١٩٦﴾ كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنون في فقر وشدة حين هاجروا، وكان المشركون في ثراء وغنى وتجارات، وأمن وأمان، يتقلبون في البلاد آمنين مطمئنين، والمؤمنون محاصرون في المدينة، خائفون من المشركين، فقال الله لهم: لا تغتروا عندما ترون المشركين في هذه الحالة من الأمن والأمان والتجارات والروح والراحة، مع ما هم عليه من الكفر ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾[(٢)] فلن يتمتعوا في الدنيا إلا متاعاً قليلاً.

---

(١) –**سؤال:** ما هو إعراب ثواباً؟

الجواب: ثواباً مفعول مطلق مؤكد لمضمون الجملة؛ لأن الجملة بمثابة لأثيبنهم.

(٢) –**سؤال:** ما هو إعراب «متاع»؟

الجواب: هو خبر لمبتدأ محذوف أي هو متاع قليل أي تقلبهم متاع قليل.

﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ مرجعهم إليها، ﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ وإذا كان مصيرهم إلى جهنم والخلود في عذابها فلا تكبر في أعينكم النعم التي هم فيها. و«المهاد»: هو الفراش.

﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾[1] أما المؤمنون فجزاؤهم جنات تجري من تحتها الأنهار، ضيافة لهم من عند الله، أعدها لهم يتنعمون فيها خالدين في نعيمها وسرورها لا يخرجون منها ولا يتحولون عنها، قد رضي الله عنهم ورضوا عنه.

﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ ما عنده من الثواب الذي أعده لهم في الجنة أفضل من هذا الذي أعطاه المشركين في الدنيا من التجارة والثراء والعافية والأمن؛ لأن متاعهم في الدنيا قليل، وأما نعيم أهل الجنة فهو دائم وأبداً.

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ[2] بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ هذه السورة والتي قبلها كلها تقريباً تحدثت عن أهل الكتاب اليهود والنصارى، وذكرت تمردهم وكفرهم وطغيانهم وعنادهم لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم وفيهم قلة قليلة آمنوا بالله وآمنوا بما أنزل الله على موسى عليه السلام، وآمنوا بما أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وكانوا متواضعين لله عز وجل فسمعوا لله وأطاعوه وآمنوا برسله، لم يحرفوا ولم يغيروا في التوراة كما بدل إخوانهم اليهود.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[3] وهذا وعد من

(١) –**سؤال:** ما هو إعراب: نزلاً؟

الجواب: مفعول مطلق مؤكد لمضمون الجملة.

(٢) –**سؤال:** ما هو إعراب: ﴿لَمَنْ يُؤْمِنُ﴾؟

الجواب: اللام هي اللام المزحلقة وقعت في اسم «إن» لتأخره، و«من» اسم موصول مبني على السكون ومحله النصب اسم «إن»، والجملة بعده صلته، والعائد ضمير الفاعل.

(٣) –**سؤال:** ما معنى سريع الحساب؟

الجواب: يحتمل معنيين:

=

الله تعالىٰ للذين آمنوا من أهل الكتاب بالأجر والثواب في جنات النعيم.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ۝٢٠٠﴾[1] اصبروا أيها المؤمنون علىٰ ما نزل بكم من البلاء، ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران:١٨٦]، فاصبروا علىٰ دينكم وصابروا إذا كنتم في المعركة ليرىٰ المشركون شدة مصابرتكم، فلا تكونوا أضعف منهم.

ورابطوا في الثغور يعني اربطوا خيولكم في المتارس ومواقع القتال؛ لأجل أن تصدوا العدو وتخيفوهم، ولا تخالفوا أوامر الله، وخذوا بتعاليم الله في الصبر والمرابطة؛ لأجل أن تنتصروا وتفوزوا وتظفروا بالنصر في الدنيا والآخرة.



١- أن الجزاء الموعود به في يوم القيامة –وإن تباعده الناس- قريب، ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر:١٨]، ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا۝٦ وَنَرَاهُ قَرِيبًا۝٧﴾ [المعارج].

٢- أن الله تعالىٰ حاسب بالناس يوم القيامة في وقت واحد، وقد سئل أمير المؤمنين عن كيف يكون حسابهم في وقت واحد، فقال عليه السلام: (كما يرزقهم في وقت واحد).

(١) – **سؤال:** هل تطلق المصابرة والمرابطة على المداومة والثبات على التقوى والطاعات ((فذلكم الرباط)) أم لا؟

الجواب: تطلق المصابرة والمرابطة على الثبات على التقوى والطاعات مجازاً؛ تشبيهاً لها بمصابرة العدو والمرابطة في سبيل الله.

سورة النساء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ يعني لا تتعرضوا لسخطه وعقابه وعذابه بفعل ما نهاكم عنه، فتوقفوا عند حدوده وأطيعوه؛ فإذا خالفتموه فلم تتقوه، والتقوى هي: أن يطاع الله فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر.

﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ وهي آدم ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ خلق حواء من جنسه وهو أن الله خلقهما جميعاً من شيء واحد وهو الطين.

وقول من يقول: إنها ولدت منه وخرجت منه- كلام غير مقبول(١).

﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ من آدم وحواء، وهنا إشارة إلى أن بين البشر عامة أواصر رحم يجب أن توصل، فلا يقطع أحد هذه الأواصر، وصلتُهم هي أن يرشدهم ويعلمهم، ويحاول أن يدخلهم في الهدى، ويبذل النصح لهم.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَّاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ كان المشركون يقولون: أسألك بالله وبالرحم، وكانوا يخافون من قطيعة الرحم، وفي يوم بدر قبل بدء المعركة صاح المشركون فدعوا وقالوا: اللهم أقطعنا للرحم فأَحِنْه اليوم؛ ظناً منهم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو الذي قطع رحمهم، ومعنى: أحنه اليوم: اجعل حينه وموته هذا اليوم- وحصلت الهزيمة في أبي جهل وبقية قريش؛ فخاطبهم الله بهذا الذي يراعونه: اتقوا الله الذي

---

(١) – **سؤال:** يقال: وهل يصح أنها خلقت من ضلع أعوج كما ورد في الروايات، أو أخذ شيئاً من تلك النفس؟ وخلق منه حواء؟

الجواب: قد صح الأثر أنها خلقت من ضلع أعوج، ولكن المعنى المقصود في هذا هو مثل المعنى المقصود في قوله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء:٣٧]، وقد بين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ المعنى بما معناه: «فإن ذهبت تقيمه كسرته، وكسرها طلاقها، وإلا استمتعت به مع اعوجاجه»، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النحل:٧٢]، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة:١٢٨].

تساءلون به والأرحام؛ لأنهم كانوا إذا سئل أحدهم بالرحم خاف وامتثل وسمع[(١)].

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ فاتقوه واتقوا قطيعة الرحم فهو رقيب على أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

﴿وَءَاتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾ خاطبهم ثانياً وأوصاهم بحفظ أموال الأيتام، فلا تأكلوا أموالهم، واحفظوها حتى يبلغوا رشدهم، ثم ردوها لهم[(٢)].

﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ لا تأكلوا أموال الأيتام، فكلوا الطيب الذي هو مالكم، واتركوا الخبيث الذي هو حق للأيتام، فإنه مأكل خبيث.

والمراد بالخبيث الحرام الذي هو مال الأيتام. والطيب هو: المال الحلال.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ لا تجمعوا بين أموالكم وأموالهم وتأكلوها جميعاً.

﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۝٢﴾ فأكل أموال اليتامى معصية[(٣)] كبيرة توجب لصاحبها الخلود في عذاب جهنم.

---

(١) – **سؤال:** يقال: هذا ظاهر على قراءة الجر في «الأرحام»، لكن كيف يتوجه هذا على نصبها كما هي قراءة نافع وحفص؟

الجواب: التقدير على قراءة النصب: واتقوا قطيعة الأرحام، ومن القطيعة أن يسألك الرحم بحق الرحم فلا ترضيه، والذي يبرر هذا التفسير قراءة الجر وهي إحدى القراءات السبع وهي قراءة حمزة.

(٢) – **سؤال:** يقال: ظاهر الأمر إعطاء اليتامى أموالهم لا حفظها، فكيف؟

الجواب: لا يتم ردها كما هي إلا بعد حفظها، والتحري في سلامتها، والمحافظة عليها من الفساد والضياع.

(٣) – **سؤال:** هل الحوب المعصية؟ فمم أخذ؟

الجواب: الحوب مصدر: حاب يحوب حوباً إذا اكتسب إثماً، يقال: فلان يتحوب أي: يتأثم، والحوباء: النفس المرتكبة للإثم، وأصله الزجر للإبل، فسمي الإثم حوباً لأنه يزجر عنه.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ كانوا يكفلون بناتاً يتامى، وكانوا يتزوجونهن لأجل أموالهن، فقال الله لهم: إذا خفتم ألا تعدلوا فيهن، فلا تتزوجوا بهن لأجل أموالهن فقط، بأن تتزوجها ولا تعاشرها بالمعروف، فاتركها لتتزوج ممن يرغب في معاشرتها بالمعروف.

﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾[1] فتزوجوا ما طاب لكم من غير أولئك اليتامى، مثنى وثلاث ورباع؛ لأن الرجل كان يتزوج بقريبته هذه وهي اليتيمة التي تحت ولايته، ويأبى أن يزوجها؛ لأجل مالها، ولا يتزوجها هو رغبةً فيها، وإنما في مالها.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ فإذا خاف الشخص الحيف وعدم العدل إن تزوج بأكثر من واحدة، فلا يتزوج إلا واحدة.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ أو يكتفي بما ملكت يمينه من الإماء.

﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴿٣﴾﴾ ذلك أقرب إلى أن الإنسان لا يجور ولا يظلم[2].

---

(١) – **سؤال:** يقال: ظاهر الآية أن الواو للجمع لا التخيير والتوزيع وإلا لاستخدمت «أو»، فكيف يرد على من قال: الظاهر جواز التسع؟

الجواب: لو جاء بـ«أو» التي للتخير لما ساغ لهم أن يتزوجوا إلا على أحد أنواع تلك الأعداد، والأمر في الآية متوجه إلى جماعة المخاطبين وجميع المسلمين، ومعنى الأعداد: اثنتين اثنتين، وثلاث ثلاث، وأربع أربع، ومثل ذلك لا يكون إلا على التوزيع وقد مثلوا للتوزيع بنحو: «اقتسموا هذا المال درهمين درهمين، وثلاثة ثلاثة، وأربعة أربعة»، فليس لكل واحد من المخاطبين إلا نوع واحد، وليس له أن يأخذ أنواع الأعداد الثلاثة، هكذا نقلوا عن أهل اللغة العربية مما تعارفوا عليه في لغتهم وبها نزل القرآن.

(٢) – **سؤال:** إذا كان معنى «تعولوا»: تجوروا وتظلموا، فمم أخذ ذلك؟

الجواب: العول هو الميل المحسوس، يقال: عال الميزان عولاً إذا مال، ثم استعمل في الميل المعنوي وهو الجور والظلم.

﴿وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ أعطوهن مهورهن نحلة، يعني عطية طيبة بها أنفسكم[(١)].

﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴿٤﴾﴾ إذا تنازلت الزوجة عن شيء من مهرها طيبة به نفسها، فهو حلال لكم.

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ لا تعطوا السفهاء، وهم: الأيتام الذين لا زالوا قاصرين عن الرشد، فلا تعطوهم أموالهم؛ لأنهم سيضيعونها؛ لأنهم ليسوا أهلاً لحفظ أموالهم ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ لأن الحياة تقوم بالأموال، وهم سيضيعون المال الذي به قوام الحياة، واستمرار المعيشة[(٢)].

---

(١) –**سؤال:** يقال: ظاهر النِّحلة العطية بدون مقابل، والمهر في مقابل، فكيف يوجه ذلك؟

الجواب: النِّحلة وإن كانت بدون مقابل بطيبة نفس، إلا أن الله تعالى أمر الأزواج بأن يؤتوا زوجاتهم مهورهن، فتجب النحلة بالمهر للزوجة بطيبة نفس من الزوج، وسميت الصدقات نحلة للإشارة –والله أعلم– إلى أن للزوج فضلاً بإعطائها كفضل المنحل، وأن يعطيها بطيبة من نفسه من غير مماطلة ومعاسرة.

(٢) – **سؤال:** يقال: ظاهر الآية أنها في أموال الأولياء المخاطبين أنفسهم، فهل تصلح دليلاً للحنفية على الحجر على السفيه سيء التصرف ولو كان كبيراً؟ أم كيف توجه في أموال الأيتام؟

الجواب: ظاهر الآية كما ذكرتم لكنه لزم العدول عن الظاهر لقوله تعالى في غيرها: ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴿٥﴾﴾، ثم ساق في أموال الأيتام فقال: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى﴾..إلى قوله: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾، والآية وإن كانت في أموال اليتامى فإنه يؤخذ منها الدليل على الحجر على السفيه، وقد دلت هذه الآية على أن السَّفَه علة لمنع السفيه «اليتيم» الذي لم يبلغ الرشد عن التصرف بماله، وإن لم يكن النص هنا صريحاً فقد نص في آية البقرة على عليته. وإذا كانت العلة هي السَّفه فتعم الكبير والصغير والسَّفه الأصلي والطارئ.

﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا۝﴾(١) أنفقوا على الأيتام من أموالهم واكسوهم منها وقولوا لهم قولاً معروفاً تطيبون به أنفسهم وتدخلون به عليهم الفرح والسرور ولا تغلظوا لهم في الكلام إذا طلبوا أموالهم وهم دون سن الرشد.

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ يعني مرنوهم(٢) وعلموهم كيف يديرون أموالهم، وكيف يتعاملون مع الناس إلى أن يبلغوا النكاح وهو سن الخامسة عشرة، حتى لا يبلغ اليتيم ذلك المبلغ إلا وقد تمرن، وعرف كيفية التعامل؛ لئلا يتفاجأ حينها بقبض ماله ويتحير في تنميته وحفظه.

﴿فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ إذا عرفتم أنهم سيتمكنون من حفظ أموالهم، فأدوا إليهم أموالهم، هذا إذا عرفت منه القدرة على ذلك مع بلوغه، وإلا لزم التأني حتى يعرف منه الكفاءة على حفظ ماله(٣).

﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا﴾(٤) قد يؤدي الطمع بولي اليتيم إلى

---

(١) –**سؤال:** ما فائدة التعبير بقوله: «فيها» بدل «منها»؟

الجواب: قد قالوا: إن الفائدة هي الأمر للأولياء بتنمية أموال الأيتام ليُؤَكِّلوا الأيتام من الفوائد الزائدة لتسلم رؤوس أموالهم، ولو قال: «منها» لتناقصت أموال الأيتام بالإنفاق، وربما كبر الأيتام وقد نفدت أموالهم أو كادت أو نفد الكثير منها.

(٢) –**سؤال:** يقال: ظاهر الآية الاختبار فهل هو نحو التمرين؟

الجواب: هو تمرين واختبار لينظر الولي ويراقب تصرفات اليتيم، فإذا أخطأ اليتيم أصلح خطأه بالتعليم، ويستمر الولي في ذلك إلى أن يبلغ اليتيم.

(٣) –**سؤال:** أليس هذا يؤيد رأي الحنفية بصحة الحجر على السفيه ولو كان بالغاً؟

الجواب: بلى فيه تأييد لرأيهم.

(٤) –**سؤال:** ما هو الإسراف؟ وما إعراب: ﴿إِسْرَافًا وَبِدَارًا﴾؟

الجواب: الإسراف: هو تجاوز الحد المباح إلى ما لم يبح، و«إسرافاً وبداراً» مفعولين من أجله، ويجوز أن يكونا حالين أي: مسرفين ومبادرين.

المبادرة إلى أكل ماله، والإسراف في التصرف فيه، فلا يكبر اليتيم إلا وقد استهلكه وليه وقضى عليه بالأكل والإسراف؛ فنهاهم الله عن هذا التصرف الظالم.

﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ الذي ليس محتاجاً فلا يأكل منها أي شيء.

﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾[(١)] أما الفقير إذا كان تحت[(٢)] يده مال ليتيم فليأكل بالمتعارف بين الناس، وعلى حسب ما يفعلون، وإذا كانت تجارة فليشتغل بها مضاربة، ولا يتجاوز الحد الذي اعتاده الناس، وتعارفوا به من الأجرة.

﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا۝٦﴾ عندما يكبر اليتيم فليؤدِّ إليه وليه ماله، ويتخذ شهوداً على ذلك عند التسليم؛ دفعاً لوقوع التخاصم والنزاع، وهذا تعليم من الله لنا في كيفية التعامل مع الناس وتوثيق المعاملات.

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا۝٧﴾[(٣)] كان الرجل إذا مات وعنده بنات وزوجة وابن عم مثلاً لا يعطون بناته وزوجته شيئاً مما تركه الرجل، ولا يورثون إلا من يركب الخيل، أو يحوز الغنائم، ويحمي البلاد، ولا يعطون النساء شيئاً؛ فأخبرهم الله بأن هذا خطأ، وأن للرجال نصيباً مما ترك

---

(١) —**سؤال:** ما الوجه الذي يأكل به الفقير من مال اليتيم؟ وهل يحل للغني أن يأكل به إذا كان متقصياً؟

الجواب: الوجه عمله وقيامه على المال، والمعروف: هو قدر أجرة مثله وعمله، وللغني إذا عمل بنفسه بنية الأجرة أجرة المثل، وإذا لم ينو تأجير نفسه فلا تحل له؛ لأن العادة أن الأغنياء لا يؤجرون أنفسهم، وإن كان إنما يعمل بواسطة العمال والخدم فله أجرتهم أما هو فلا شيء له.

(٢) —**سؤال:** هل يصح للفقير أن يأكل أجرة على الولاية على مال اليتيم، أم يقتصر على نحو ما ذكرتم؟

الجواب: إذا كان يعمل في ولايته عملاً له أجرة في العرف فله أجرته حسب العرف، وإلا فلا أجرة له على الولاية إذا لم يكن فيها عمل يستحق أجرة في العرف.

(٣) —**سؤال:** علام انتصب «نصيباً»؟

الجواب: مصدر مؤكد لمضمون الجملة أو على الاختصاص بتقدير: أعني.

الوالدان والأقربون، وللنساء نصيباً، فكل واحد لا بد أن يأخذ نصيبه مما قل أو كثر من مال الميت فريضة مفروضة من الله تعالى.

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا۝٨﴾(١) فإذا قسمتم التركة وحضر القسمة أحد هؤلاء فأعطوهم منها، وقالوا: يعطى هؤلاء من خُرْثِيّ(٢) المتاع كالفراش والأواني والثياب ونحو ذلك مما تطيبون به أنفسهم، ولا تغلظوا عليهم بالقول، ولينوا لهم في الكلام، وطيبوا أنفسهم بشيء من أموال التركة؛ لأنكم إذا أغلظتم عليهم فقد يورث ذلك عداوة وحسداً عليكم.

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا(٣) مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا

---

(١) –**سؤال:** هل المراد بأولي القربى في الآية الأقارب غير الوارثين؟

الجواب: الأقارب غير الوارثين هم المرادون في هذه الآية.

سؤال: قد يقال بأن الآية منسوخة بآية المواريث، فما حجة هذا القول؟

الجواب: الأولى أن الآية غير منسوخة، والأمر فيها للندب بدليل اقتران أولي القربى باليتامى والمساكين، وليس لليتامى والمساكين حق واجب في تركات الأموات سواء حضروا القسمة أم غابوا.

(٢) – الخُرْثِيُّ –بالضم–: أثاثُ البيتِ، أو أرْدأُ المَتَاعِ والغَنائِم. (قاموس).

(٣) –**سؤال:** هل جواب: ﴿لَوْ تَرَكُوا﴾ هو: ﴿خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ فلماذا سقطت اللام منه؟

الجواب: ليس: ﴿خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ هو جواب: ﴿لَوْ تَرَكُوا﴾، بل هو صفة ثانية لـ«ذرية»، وجواب «لو تركوا» محذوف، أي: لما بددوا المال ولأبقوه ليتاماهم.

سؤال: ما فائدة قوله: ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾ بعد قوله: ﴿وَلْيَخْشَ﴾؟

الجواب: وليخش الأوصياء ضياع أولادهم إذا حضرهم الموت ولهم أولاد ضعاف يخاف عليهم الضياع والهلاك إن لم يتركوا لهم مالاً يحفظهم، ولا شك أن من كان كذلك فإنه يحفظ ماله لأولاده الضعاف؛ فليتق الله الأوصياء ولا يحملوا الموصي على تبديد ماله =

﴿اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ هؤلاء الناصحون الذين عند الموصي ينصحونه بأن يوصي ويتصدق ويفعل ويفعل. خاطبهم الله تعالىٰ بأن يخشوه ويخافوه، فكيف بكم أيها المتنصحون لو شارفتم الموت ولكم أولاد ضعاف تخافون عليهم الضياع والحاجة فهل تحبون أن تبددوا أموالكم وتتركوهم بغير شيء؟ أم تحبون أن تتركوا أموالكم لأولادكم الضعاف؟ لا شك أنهم سيتركون أموالهم لأولادهم ولا يوصون بشيء منها، فليتق الله هؤلاء المتنصحون ولا يتعرضوا لسخطه بحمل الميت علىٰ تبديد ماله وتضييع تركته علىٰ ورثته ولا ينصحوه إلا بالحق وبما يرضي الله تعالىٰ[1].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[2] فلا يظن أولئك أنهم قد فازوا وربحوا بأكلهم أموال

بالوصايا وغيرها، ولينظروا لذريته كما ينظرون لذرياتهم الضعاف، فعلىٰ هذا التفسير يكون الفعلان مختلفين لكل فعل فائدة غير فائدة الفعل الآخر كما شرحنا.

(١) – **سؤال:** قد يقال بأن الوصية فيها خير للميت من باب: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ [القصص:٧٧]، فلماذا هذا النهي؟

الجواب: يقال: في الوصية خير للميت وعمل صالح يلحقه بعد وفاته، والنهي هنا يحمل علىٰ الوصايا التي تضر بالورثة الضعاف، ((لا صدقة وذو رحم محتاج))، ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾ [النساء:١٢]، فهذه الآية كالمقيدة لمطلق الوصايا.

(٢) –**سؤال:** علام نصب قوله: «ظلماً»؟ وما هي أوجه الظلم في أكل مال اليتيم؟

الجواب: «ظلماً» مصدر مبين لنوع الأكل مفعول مطلق منصوب، وأكل مال اليتيم ظلماً يأتي علىٰ أوجه:

- أن يأخذ الولي من مال اليتيم لنفسه أكثر من أجرته.
- أن يأخذ من ماله لنفسه علىٰ جهة الخيانة.
- أن يهمل ويفرط في حفظ مال اليتيم حتىٰ يضيع أو يتلف أو يفسد، في حين أنه لا يهمل ماله ولا يفرط فيه.
- أن يسرف في النفقة علىٰ اليتيم عمداً.

=

اليتامى، فليس إلا وبالاً وناراً.

في الآيات السابقة ذكر الله المواريث على سبيل الجملة، ثم استطرد ذكرها على سبيل التفصيل، فقال:

﴿يُوصِيكُمُ[(١)] اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ فللذكر من أبناء الميت أو المتوفاة مثل نصيب أنثيين.

﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾[(٢)] إن كان أولاده جميعاً إناثاً، ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ إذا كن اثنتين فأكثر فلهما الثلثان.

سؤال: ما وجه الإتيان بالمجاز في قوله: ﴿فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾؟

الجواب: وجه الإتيان بالمجاز هو كونه أدخل في الزجر عن أكل أموال اليتامى، وأدل على قبح أكله والنفور عنه.

(١) —**سؤال:** ما الحكمة في التعبير بقوله: «يوصيكم» بدل «يأمركم»؟

الجواب: جاء التعبير بقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ﴾ ليدل على أن الوجوب مؤكد في الأحكام المتعلقة بذلك، ولينبه على أن يهتموا بها ويسارعوا إلى امتثالها ولا يفرطوا فيها ولا يتهاونوا بها، ولتأكيد الوجوب ختم الله آيتي الوصية بقوله: ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾ [النساء:١١]، وفي الأخرى: ﴿وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ﴾ [النساء:١٢].

(٢) —**سؤال:** لماذا عبر بـ«فوق اثنتين» والمراد: اثنتان؟

الجواب: عبر الله تعالى بقوله: « فوق...» ليبين حكم ميراث البنات إذا كن ثلاثاً فما فوق، فيكون الله تعالى قد بين في هذه الآية نصيب البنت الواحدة ونصيب الثلاث فما فوق، وترك بيان نصيب الاثنتين للاستنباط واستخراج العلماء لحكم ميراث الاثنتين، وقد بين تعالى نصيبهن بياناً خفياً محتاجاً لنظر واستدلال، فبين تعالى نصيب الاثنتين من الأخوات بأنه الثلثان: ﴿فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ ولم يبين نصيب الثلاث فأكثر في هذه الآية، فمن هنا يمكننا أن نستخرج نصيب البنتين بأن يقال: البنتان أقرب وأخص بالميت من الأختين فيكون لهما الثلثان.

﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾ وإن كانت المخلفة ابنة واحدة فلها نصف تركته.

﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ إذا كان للميت أبوان وله أولاد ذكوراً أو إناثاً- فللأب السدس وللأم السدس وما بقي فلأولاده.

وأما إذا خلف ابنة واحدة فقط- فلها النصف، وللأبوين لكل واحد السدس، والباقي منها وهو السدس يرجع للعصبة وهو الأب؛ فكان السدس الأول بالفريضة، والسدس الباقي بعد الفريضة رجع له بالتعصيب(١).

﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ﴾ أي: الميت ﴿وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ﴾ فقط ﴿فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾، ولأبيه الثلثان(٢).

﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ إذا مات الميت وله إخوة- فنصيب الأم من تركته السدس(٣)، وأما الإخوة فليس لهم شيء، والخمسة الأسداس الباقية تكون للأب(٤).

---

(١) –**سؤال:** ما الوجه في أخذه للسدس بالتعصيب؟

الجواب: الوجه ما في هذه الآية من قوله: ﴿إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ وولد كلمة مطلقة تصدق على البنت الواحدة والابن الواحد، وعلى أكثر من الواحد والواحدة؛ لذلك قلنا: يكون له السدس فرضاً بالآية، وما بقي بعد الفرض فهو أقرب العصبات يأخذه بالتعصيب.

سؤال: إذا خلف الميت ابنتين وأباً فهل سيأخذ الأب السدس الباقي بالتعصيب؟

الجواب: نعم إذا ترك ابنتين وأباً فيأخذ الأب سدساً بالفرض، وسدساً بالتعصيب.

(٢) –**سؤال:** من أين فهم أن له الثلثين؟

الجواب: فهم ذلك من النص على نصيب الأم من حيث أن الله قال في أول الآية: ﴿وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ﴾ فيعلم بذلك أن نصيب الأب هو الثلثان.

(٣) –**سؤال:** هل المراد بهذا أن الإخوة حجبوا الأم من الثلث إلى السدس؟

الجواب: المراد هو أنهم حجبوها عن استحقاق الثلث إلى استحقاق السدس.

(٤) –**سؤال:** الآية نصت على الإخوة والمعروف أنه يحجب الأم الاثنان فبماذا؟

الجواب: يحجبها الاثنان من الإخوة بما روي في المجموع عن علي عليه السلام وفيه: «وكان لا يحجبها =

﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾[١] على الورثة أن يخرجوا الدين أولاً، ثم الوصية، ثم يقتسموا الباقي على ما فرض الله.

﴿ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا[٢] فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ تولى الله تعالى قسمة المواريث، وأعطى كل واحد قسمه، وأما أنتم فلا تدرون كيفية قسمتها لو وكلها الله إليكم، ومن هو الذي يستحق الأكثر، هل الأب أم الابن أم الأم؟ ولكن الله قد أعطى كل واحد ما يستحقه، وهذا الذي فرضه الله واجب فرضه عليكم بعلمه وحكمته التي اقتضت

بالأختين ولا بأخ وأخت» أو كما قال. وروي عن علي عليه السلام من وجه آخر: أنه كان يحجب بالأختين. وقد استقر الحجب بالأخوين والأختين بين جماهير السلف والخلف والمسألة نظرية، والله أعلم.

(١) –**سؤال:** قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ﴾ بماذا تعلق؟

الجواب: بما تعلق به الجار والمجرور: ﴿فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾.

سؤال: ما الوجه في تقديم الوصية على الدين، والمعلوم العكس؟

الجواب: قدمت لئلا يتهاونوا بها وليهتموا بتنفيذها، وربما أنهم كانوا لا يهتمون بها مثل الدين فقدمت لذلك.

(٢) – **سؤال:** هل يصح أن تحمل الآية على الإيصاء، وأننا لا ندري أيهم أنفع حتى نوصي له بالأكثر بدلالة: ﴿أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ أم لا؟

الجواب: الأولى هو ما ذكرناه، وقد قال الزمخشري: إنها في الوصايا ورجحه على غيره مستدلاً بأنها معترضة بين الوصية ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ وبين ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾. قلنا: الجملة معترضة كما ذكر الزمخشري إلا أنها بين فرض الفرائض التي ذكرها الله وبين قوله: ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾.

سؤال: علام نصب «فريضة»؟

الجواب: « فريضة » مفعول مطلق مؤكد لمضمون الكلام السابق.

أن يكون على هذه الصفة.

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾ إذا ماتت الزوجة وليس لها ولد- فللزوج نصف ما تركته.

﴿فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ﴾ إذا كان لها ولد سواء ذكراً أو أنثى ولو كان الولد من غير هذا الزوج- فللزوج ربع ما تركت.

﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ من بعد إخراج دينها ووصيتها.

﴿وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ﴾ إذا مات الزوج فللزوجة الربع بشرط ألا يكون له أولاد.

﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ﴾ إذا كان للزوج ولد سواء ذكراً أم أنثى ولو من غيرها- فلها الثمن، وسواء كانت زوجة أو أكثر.

﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ بعد إخراج الوصايا والديون.

﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾[1] إذا مات الرجل وليس له ولد، ولا ولد ابن، ولا أب، ولا جد -وهذا هو الكلالة- وكان له إخوة من الأم اثنان أو أكثر فلهم الثلث، والإخوة من الأم لا يرثون إلا إذا مات الميت على هذه الصفة، ويستوي في ذلك الذكور والإناث لكل واحد السدس إذا كانوا اثنين.

وإذا كان له أكثر من ذلك، بأن كان له أكثر من أخ لأم ذكر أو أنثى، اثنان فما

---

(١) - **سؤال:** ما وجه الرفع في قوله: «رجل» والنصب في «كلالة»؟ وما إعراب جملة: ﴿يُورَثُ كَلَالَةً﴾ وجملة: ﴿وَلَهُ أَخٌ﴾؟

الجواب: «رجل» هو اسم كان أو فاعل على أنها تامة، وجملة «يورث كلالة» خبر لكان أو صفة، و«كلالة» حال من الضمير المستتر في «يورث»، و«له أخ» جملة حالية من الضمير المستتر في «يورث».

فوق- فهم شركاء في الثلث[(١)].

﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾ قَيَّد هنا الوصية بعدم المضارة؛ لأن الميت الذي لا ولد له ولا والداً مظنة لأن يضارَّ في وصيته.

﴿وَصِيَّةً[(٢)] مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ۝ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾[(٣)] فلا تعتدوها، أخبر الله تعالىٰ بأن هذه تعاليمه وحدوده فلا تعتدوها، ولا تجاوزوها والتزموا بها.

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝﴾ إن المطيعين لله ورسوله والملتزمين بتعاليمه وحدوده- يثيبهم الله تعالىٰ ويدخلهم الجنة خالدين فيها وأدركوا الفوز العظيم.

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝﴾ ومن خالف تلك الأوامر والحدود التي حدها الله تعالىٰ- فسيدخله ناراً خالداً فيها أبداً.

وهذه الآية خطاب للمؤمنين الذين يشهدون ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا خالف هؤلاء أوامره وتعاليمه- فسيخلدهم الله في النار.

وفي هذه الآية رد على القائلين بعدم الخلود لمن يشهد ألا إله إلا الله؛ لأن هذه

---

(١) -**سؤال:** فإذا كان له أم مع الإخوة لأم فكيف الميراث؟ ولمن الباقي؟

الجواب: للأم السدس، وللإخوة لأم الثلث، والباقي للعصبة، فإن لم يكن للميت عصبة رد الباقي على الأم والإخوة لأم، فيكون للأم الثلث وللإخوة لأم الثلثان، كان أصل المسألة من ستة وبعد الرد ثلاثة.

(٢) -**سؤال:** ما إعراب «وصية»؟ وإعراب «غير مضار»؟

الجواب: «وصية»: مصدر منصوب مؤكد لما فصله الله تعالىٰ من المواريث، أو يكون مؤكداً لـ«يوصيكم» في قوله تعالىٰ: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾، وغير مضار: «غير» منصوب على الحالية من فاعل يوصي.

(٣) -**سؤال:** هل الإشارة بـ«تلك» إلى قسمة المواريث؟

الجواب: الإشارة هي إلى الأحكام التي حدد الله تعالىٰ فيها لكل وارث ما يستحقه من الميراث.

الآية كما قلنا خطاب للمؤمنين، وتهديد لهم إن خالفوا أوامره، وتعدوا حدوده.

﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾ التي تأتي بالفاحشة -وهي الزنا- من نسائكم أيها المؤمنون، فأشهدوا على ذلك أربعة شهود منكم، فإذا شهدوا عليها بذلك، قال الله: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ﴾ وامنعوهن من الخروج.

﴿حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ۝١٥﴾ إلى أن يمتن أو يجعل الله لهن مخرجاً من ذلك، كان هذا في أول الإسلام ثم نزلت بعد ذلك آية النور فنسختها بالجلد لمن يرتكب جريمة الفاحشة.

﴿وَاللَّذَانِ[١] يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ۝١٦﴾ والرجال كذلك إذا أتوا الفاحشة وهي الزنا فآذوهما أي: ألحقوا بهم الأذى والذل، إما بحبس أو ضرب أو جلد، أو غير ذلك، وهذا يسمى التعزير، وإذا حصلت التوبة- فكفّوا عن ذلك واتركوهم.

وهذه الآية أيضاً قد نسخت بآية الجلد في سورة النور.

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١٧﴾ التوبة المقبولة من الله للذين يعملون المعاصي بجهالة، وكل من عمل معصية فقد عملها بجهالة، ولو كان يعلم أنها معصية[٢]، ثم يتوبون قبل الموت، وقبل أن يروا ملائكة الموت، فسوف

---

(١) -**سؤال:** ما العلة في تثنية الاسم الموصول في الآية؟

الجواب: ما ذكرناه هو أحد التفاسير، وهو أن الآية الأولى في الزانيات من النساء، والآية الثانية في الزانيين من الرجال، وأولى من ذلك أن تفسر الآية الأولى بالزانيات الثيبات بدليل قوله ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ وتفسر الآية الثانية بالرجل والمرأة البكرين، والله أعلم.

(٢) -**سؤال:** يقال: كيف تكون بجهالة مع أنه عالم بها؟

الجواب: يُقْدِم العالم بالمعصية التي أقدم عليها بسبب جهالةٍ زينتها له نفسه وحسَّنتها شهوته، نحو أن يمني نفسه التوبة والمغفرة بعد المعصية، أو أن الله غفور رحيم لا يعاجل العاصين =

يقبل الله توبتهم، وهو المراد بقوله: ﴿مِنْ قَرِيبٍ﴾ أي: يتوب قبل حضور الموت وقبل معاينة ملائكته.

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ أما هؤلاء فليس لهم توبة، فلن تقبل توبتهم ما داموا مصرين على عمل الأعمال السيئة حتى حضور ملائكة الموت لأخذ أرواحهم، وعند رؤيتهم لملائكة الموت لا تنفعهم التوبة ولا الندم.

﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ ولا الذين يموتون على الكفر فليس لهم توبة.

﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴿١٨﴾﴾ إن الذين يعملون السيئات إلى أن يأتيهم الموت وهم على عملها والذين يأتيهم الموت وهم على دين الكفر فإنهم من أهل العذاب الأليم في دركات الجحيم الذي أعده الله لهم، ولا مفر لهم من عذاب الله، ولا خلاص لهم منه خالدين فيه أبداً.

فإن قيل: ما حكم المحكوم عليه بالقصاص؟ هل تقبل توبته وقد حكم عليه بالموت لا محالة، ولا مفر له منه؟

والجواب: أنه تقبل توبته إذا صدقت نيته في التوبة إلى الله والندم، وهذا قبل أن يقعد لضرب عنقه(١).

بالعقوبة، ولا يغافصهم بالموت بعد المعصية، ونحو هذه الوساوس الشيطانية، ولا شك أن ذلك جهالة. **وبعد،** فلا خلاف أن التوبة مقبولة قبل حضور الموت سواء كان التائب متمرداً أم غير متمرد، عالماً أم جاهلاً.

(١) — **سؤال:** يقال: كيف تقبل توبته وهو في حكم الملجأ إليها لما حكم عليه بالقصاص بها؟ وهل تقبل توبة المورد والمفخذل؟

الجواب: المحكوم عليه بالقصاص عادة يكون له أمل ورجاء في العفو؛ لما جرت به العادة من المقاصد والوسائط والمراجعات، مع ما يلقاه المحكوم عليه من التأمين له من الزوار والأقارب بأنهم سيبذلون كل غال ورخيص و..إلخ؛ لذلك فيكون المحكوم عليه مجوزاً لا قاطعاً، وهذا مع ما يعرف المحكوم عليه بأن الكثير من المحكوم عليهم بالقصاص لم =

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾[١] كان الرجل قبل أن تنزل تعاليم القرآن إذا مات قريبه كأخيه وابن عمه يذهب فيلقي ثوبه على زوجته؛ فإذا فعل ذلك فإنه يكون أولى بها من غيره، ولو عن غير رضا منها، فنهاهم الله عن ذلك، وجعل تعالى للمرأة الحرية والسلطان على نفسها.

﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ نهى الله الأزواج عن العضل، وهو عدم تطليقها؛ لتتضرر من ذلك، وتضطر إلى أن تفتدي نفسها وترد له المهر الذي كان قد أعطاها؛ فلا يجوز للرجل ذلك، وأن يدعي عليها أنها الكاره لأجل أن ترد له المهر، ولا يطلقها إلا بعد أن تنفذ له ذلك؛ فالله هو الرقيب عليكم، ولن تنفعكم الحيل، وهو المطلع على ما في الضمائر.

يُقَصُّوا، وقد يدفع أولياؤه رشوة لتهريبه من السجن و..إلخ. وهذا مع الأدلة التي دلت على أن التوبة مقبولة ما لم يغرغر بالموت، نحو قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ [النساء:١٨]، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ...﴾ الآية [يونس:٩٠]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر:٨٥]، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۝ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا...﴾ الآية [المؤمنون]، وقوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ...﴾ الآية [المنافقون:١٠]. وقد قلنا: «إذا أخلص توبته إلى الله» والله تعالى هو المطلع على السرائر والضمائر. أما المفخذل ونحوه فحكمه حكم الميت تعتد زوجته ويقسم ميراثه و..إلخ لأنه ميت قطعاً بعد ثوان أو دقائق، اللهم إلا إذا كان قطع الفخذ في المستشفى أو عند الطبيب فلا يحكم عليه بحكم الميت؛ لأن الطبيب بطبه يقطع نزيف الدم ويمنع خروجه.

(١) –**سؤال:** علام نصب «كرهاً»؟

الجواب: نصب على أنه مفعول مطلق نوعي، أو على الحال أي: كارهات.

سؤال: ما وجه إطلاق الإرث على الزواج بها كارهة؟

الجواب: أطلق من حيث أن القريب كان يرى أنه ورث زوجة قريبه، فنهاهم الله عن هذا الإرث الذي كانوا عليه.

أما إذا كانت هي السبب في ذلك بأن كانت عاصية له ومتمردة عليه، فيجوز للزوج أن يمتنع عن تطليقها إلا بعد أن ترد له المهر، وهذا هو المراد بالفاحشة المبينة؛ وليس المراد بها الزنا كما قيل، وإنما المراد بها عصيان زوجها ونشوزها عنه.

والمراد بالمعاشرة بالمعروف: أن تفعل أيها الزوج كما يفعل الناس من المعاملة الحسنة، ولا تكلفها أكثر من ذلك، ولا تنقصها مما جرى به العرف بين الأزواج، وهي عليها كذلك مثل ما تفعل نساء بلادها، وكل بلاد بحسب عرفها.

﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ فإذا كرهتم النساء فاصبروا عليهن فعسى أن يكون في ذلك خيرٌ كثيرٌ، بأن يرزقكم الله منهن الذرية الصالحة، وقد عاينا ذلك في كثير من الناس[1].

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ قد كان يوجد مع الرجل زوجة ويريد أن يتزوج بالثانية، ثم يقوم فيضغط على الأولى لأجل أن ترد ما أعطاها من المهر، ثم يطلقها لأجل أن يتزوج بهذه الثانية، ويعطيها ذلك المهر الذي ردته الأولى؛ فأخبر الله تعالى بأنه لا يجوز أن يأخذ من هذه الزوجة شيئاً على هذه الصفة لأجل هذا الغرض ولو قد أعطاها قنطاراً، والقنطار هو: ملء جلد الثور ذهباً.

﴿أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٢٠﴾﴾[2] أخبر الله تعالى أن صنيعهم ذلك منكر،

---

(١) –**سؤال:** هل يصح أن نحمل الخيرية على غير الذرية الصالحة أم لا؟

الجواب: نعم فليست محصورة في الذرية الصالحة، فقد يكون في الزوجة وبقاءها مع الزوج صلاح دين الزوج ودنياه، وكثرة رزقه، وسلامته وصحة بدنه وعقله وحواسه و..إلخ، إلا أن الله تعالى أطلق ذكر الخير الكثير ولم يحدده، إلا أن الذي يلوح في الذهن عند ذكر الخير الكثير هو المال والبنون والرزق الواسع والصحة والأمن والسلامة و..إلخ.

(٢) –**سؤال:** علام نصب قوله: ﴿مَكَانَ زَوْجٍ﴾ وقوله: «بهتاناً»؟

الجواب: ﴿مَكَانَ زَوْجٍ﴾ منصوب على الظرفية، والعامل «استبدال»، و«بهتاناً» مفعول لأجله.

وذنب عظيم وأخذ بغير حق.

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ فكيف تأخذه أيها الزوج، وقد استوفيت منها بدخولك عليها، والإفضاء: هو الجماع.

﴿وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴿٢١﴾﴾ على الوفاء والاستيفاء وقد أوفتك أيها الزوج بما عليها فلا تمنعها ما عليك وهو المهر(١).

﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ حرم الله أن يتزوج الرجل بزوجة أبيه بعد أن يموت، أو بعد أن يطلقها.

﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ إلا ما قد مضى في الجاهلية فإن الله غفور رحيم، فيما قد فعلتموه غير عالمين بتحريمه، وحتى في الجاهلية كان مستنكراً، وكانوا يسمونه نكاح المقت، فكانوا يمقتون من يفعله ويحرمونه، ولكن بالرغم من ذلك كانوا يفعلونه، وكان إذا ولد لمن تزوج امرأة أبيه كانوا يسمون هذا الولد المقيت.

﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴿٢٢﴾﴾ العقول تستقبحه وتستفحشه حتى في الجاهلية، ويسمونه المقت.

ثم قال الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ تحرم على الرجل أمهاته ما علون: أم أمه، وأم أبيه ما علون.

﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ ما سفلن: بنت الابن، وبنت البنت ما سفلن.

﴿وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾ ما تناسلوا: بنت بنت الأخ، وبنت بنت الأخت ما تناسلوا.

---

(١) -**سؤال:** هل أخذ الميثاق بعقد النكاح أم لا؟

الجواب: هو بعقد النكاح لأنه تضمن الإمساك بمعروف أو التسريح بإحسان، وتسبب العقد في إيجاب حقوق للزوجة على زوجها والعكس، وفي وجوب الإحسان إلى الزوجة ولو قد فارقها، ﴿وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة:٢٣٧].

﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾ حكمها حكم الأم من النسب سواءً ﴿وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ﴾.

﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾ يعني: أم الزوجة.

﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ وهذه هي بنت الزوجة من غيرك، ولكن بشرط أن تكون قد دخلت بهذه الزوجة، أما إذا لم تكن قد دخلت بأمها فهي حلال، ولذا قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ بأن قد حصل العقد، ولكن لم يحصل دخول.

﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ يعني زوجة الابن من صلبك، وقيدها بهذا لأجل زوجة الابن بالتبني[1]، وهذا كانوا يفعلونه في الجاهلية (الابن بالتبني)، أما في الإسلام فإنه يصح أن يتزوج بزوجة ابن التبني، وقد تزوج النبي ﷺ بزينب بنت جحش، وكانت تحت زيد بن حارثة.

﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ ولو من الرضاعة، فلا يجوز أن يتزوج الرجل بأختين من النسب أو من الرضاعة، ولا يجمع بين المرأة وبين ابنة أختها ولا بين المرأة وابنة أخيها كذلك؛ لما سيحصل بينهما من العداوة، وقطيعة الرحم، والله لا يريد ذلك.

﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ إلا ما فعلتم فيما مضى، وذلك قبل نزول التحريم.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ فلا يؤاخذكم بما قد فعلتموه، والواجب على الرجل إذا قد فعل أن يفارق إحداهما[2].

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ كذلك محرمةٌ، وهي التي تحت زوج؛ فإنه يحرم نكاحها.

---

(١) —**سؤال:** يقال: إذا كان القيد لإخراج زوجة المتبنى، فهل زوجة الابن من الرضاع حرام؟

الجواب: زوجة الابن من الرضاع محرمة: ((يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب))، ((أما علمت أن الله عز وجل حرم من الرضاعة ما حرم من النسب)).

(٢) —**سؤال:** من الأولى بالمفارقة الثانية أم الأولى؟

الجواب: يتعين على الزوج مفارقة الثانية؛ لأن نكاحها باطل دون نكاح الأولى.

﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ إلا ما سبيتم في الحروب فهي حلال لكم، ولو كانت مزوجة؛ لأنه ينفسخ نكاحها بسبيها، ولكم وطؤهن بملك اليمين بعد الاستبراء.

﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ﴾ حرم الله تلك الأشياء التي عددها، وأحل ما كان غير ذلك(١).

﴿أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ﴾(٢) أحل الله تعالى ما أحل من النساء بعد ذكره المحرمات- من أجل أن يقصد إليهن من أراد الزواج وتحصين نفسه كما شرعه الله من العقد والولي والشهود والمهر والتراضي.

﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ لا تفعلوا فاحشة الزنا.

﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾(٣) إذا تزوجتم فأعطوهن مهورهن، وسمى الله تعالى المهر أجراً؛ لأنه في مقابلة الاستمتاع.

---

(١) – **سؤال:** كيف يجمع بين الآية وبين تحريم المرأة وعمتها والمرأة وخالتها وبين من لو كان أحدهما ذكراً حرم على الآخر من الطرفين؟

الجواب: هذه الآية عامة في كل ما سوى المذكورات التي عدها الله تعالى هنا، إلا أنها مخصوصة بالسنة الصحيحة، والآثار المروية عن علي عليه السلام في المجموع وغيره.

(٢) –**سؤال:** ما موضع المصدر: ﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾ الإعرابي؟ وما موضع: «غير مسافحين»؟

الجواب: ﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾ مجرور أو منصوب بنزع الخافض على أنه مفعول من أجله متعلق بـ«أحِلّ»، و«غير مسافحين» حال منصوب من فاعل تبتغوا.

(٣) –**سؤال:** كيف يجاب على من قال بأن هذه الآية دليل على المتعة؟

الجواب: بيّن الله تعالى النساء اللاتي يحرم نكاحهن، ثم بيّن اللاتي يحل نكاحهن، ثم قال: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ فبيّن ما يجب على الزوج من المهر للمرأة التي نكحها وانتفع بها فيما يطلبه من اللذة والمتعة، أي: أنه يجب على الزوج المهر إذا وطئها، وسمى المهر أجرة للوطء.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[(١)] إذا تراضى الزوج والزوجة بعد ذلك بالزيادة في المهر، أو النقص منه، كأن تقول الزوجة: إن المهر الذي أمهرتني قليل، وأنا أريد الزيادة، ورضي الزوج بالزيادة؛ فلا بأس ولا حرج، وكذلك الزوج إذا قال: لقد أعطيتك من المهر فوق الذي تستحقين، وأنا أطلب منك أن تردي لي شيئاً منه، ورضيت بذلك؛ فلا بأس ولا حرج.

﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا[(٢)] أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ فإذا لم يستطع الرجل أن يتزوج حرة

---

(١) – **سؤال:** قد يقال بأن الآية في تحليل الشروط التي يأخذها الولي خصوصاً مع قوله: ﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ...﴾ الآية [القصص:٢٧]، ونصَّ أهل المذهب أن هذه الأجرة ليست المهر فما بقي إلا أنها شرط، ويستدلون أيضاً بما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن أحق ما يكرم عليه الرجل ابنته))، فكيف يمكن الجواب عليهم؟

الجواب: الظاهر أن الخطاب للزوجين في قوله تعالى: ﴿فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾؛ لأنه لم يتقدم ذكر غير الزوجين، فلا يكون في الآية دليل على جواز ما يشترطه الولي على الزوج. ولا حرج فيما يأخذه الولي من الزوج بطيبة نفس الزوج، من غير أن يشترط الولي مالاً لنفسه على الزوج بحيث لا يعقد له عقد النكاح إلا بذلك الشرط، وذلك لما تقرر أن أخذ الأجرة على الواجب لا يجوز. أما قوله تعالى: ﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾ فمنفعة الثمان الحجج تخص بنتي شعيب حيث أن موسى عليه السلام سيكفيهما رعي الأغنام، وإكرام الرجل على ابنته كما في الحديث لا يدل على جواز الاشتراط؛ لأن المراد إكرامه بعد العقد حيث أن العقد ربط بين الطرفين برابطة تراعى حرمتها في الجاهلية والإسلام.

(٢) – **سؤال:** ما إعراب «طولاً»؟

الجواب: الأقرب أن يكون «طولاً» مفعولاً به للفعل المنفي الذي قبله، و«أن ينكح» مجرور بحرف جر محذوف تقديره: إلى أن ينكح، والجار والمجرور متعلق بطولاً، والمعنى: ومن لم يملك زيادة في المال توصله إلى أن ينكح المحصنات.

محصنة مؤمنة- فله أن يتزوج بأَمَةٍ من المؤمنات، والطول: هو الفضل والزيادة والاستطاعة.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾ فما عليك إلا أن تعمل بالظاهر فإذا كانت في الظاهر مؤمنة فانكحها.

﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾[1] أيها المؤمنون، ولو كانت أمة فإن الإيمان ودين الإسلام قد ربط بينكم.

﴿فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ يعني تزوجوا بهن بمراضاة المالكين لهن.

﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ وادفعوا المهور.

﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾[2] فلا تتزوجوا من الزانيات.

﴿وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ ولا تتزوجوا من الإماء التي لهن أصحاب في السر.

﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ﴾ يعني تزوجتم بهن.

﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ﴾ يعني زنت هذه الأمة بعد أن تزوجت[3].

---

(١) -**سؤال:** ما محل جملة: ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾؟

الجواب: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ جملتان معترضتان لا محل لأيهما من الإعراب، وفائدة الاعتراض إزاحة النفرة عن الزواج بالإماء.

(٢) - ما إعراب قوله «محصنات»؟ وما يترتب عليه من المعنى؟

الجواب: «محصنات» منصوب على الحالية من فاعل «فانكحوهن»، ومعنى محصنات: هو عفيفات، فإذا لم تكن الأمة عفيفة فلا يجوز نكاحها.

(٣) -**سؤال:** هل يشترط في جلد الأمة أن تكون مزوجة بمقتضى هذا الظاهر؟

الجواب: لا يعمل بمفهوم الشرط هنا لأن المقصود بالشرط هنا هو رفع توهم وجوب الرجم على الأمة بعد تحصينها بالزواج وتقرير لزوم الجلد، وذلك خمسون جلدة لأنه نصف حد الحرة أما الرجم فلا يتنصف فيستوي حدها قبل الزواج وبعده، وقد وردت السنة بحد الأمة إذا زنت ولو لم تكن مزوجة وعليه عمل جماهير الأمة.

﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ فاجلدوهن خمسين جلدة وهو نصف ما يلزم من الجلد على الحرة التي لم تتزوج.

﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾ فلا تتزوجوا بالإماء أبداً إلا إذا خشيتم الوقوع في الحرام، وذلك لأن أولاده منها سيكونون عبيداً تبعاً لأمهم إلا أن يشترط حريتهم، وملكاً لسيد الأمة، وعفتهن قليلة -بالنسبة للحرة - فهي معرضة للزنا أكثر من الحرة.

﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ فهو أفضل لما يترتب على فعل ذلك من تعريض ذريته للرق، ونحو ذلك، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴿٢٥﴾﴾.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾[1] فالله يريد أن يبين لنا أحكام ديننا، ويعلمنا ويشرِّع لنا شرائع الإسلام، وكيفيتها.

فقد ذكر في سورة البقرة الطلاق وكيفياته مفصلاً، وهنا فصل لنا من يحرم نكاحها، ومن يحل نكاحها، ونكاح الإماء، وحرم العضل للنساء، وأوجب المهور، وغير ذلك من تفاصيل أحكام النساء.

﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ ويبن لنا سبحانه وتعالى شرائع الأمم السابقة، وهدانا إليها مع ما تفضل به لأهل هذه الملة من التخفيف والتيسير والسماحة.

﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ يريد الله تعالى من عباده أن يعملوا بشرائعه وأحكام دينه؛ ليتوب عليهم ويرجع عليهم برحمته ومغفرته ويدخلهم جنته.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴿٢٦﴾﴾ كل ما شرعه الله لنا من الأحكام والشرائع صادر عن علمه وحكمته، ولولا فضل الله علينا ورحمته بنا لما اهتدينا إلى شرائع دينه، الموصلة لأهلها إلى رضوان الله وإلى دار السلام.

---

(١) -**سؤال:** ما فائدة دخول لام التعليل في: ﴿لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾؟

الجواب: اللام صلة وليست للتعليل، وفائدتها: تقوية الكلام وتأكيده.

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ يعلمكم أحكام دينكم فيتوب عليكم إن عملتم بها.

﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ[١] الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ۝٢٧﴾ فهم يريدون أن تمكثوا على جاهليتكم، وعلى أعمال الجاهلية، وما شرَّعوه في جاهليتهم من أحكام النكاح والطلاق وغيرها التي شرعوها في شركهم، ويريدون أن يمكث الناس عليها بالرغم من بطلانها، فكانت المرأة من نسائهم قد يدخل بها أكثر من واحد فتحمل، ثم حين تلد تدعو كل من أتاها من الرجال فإذا حضروا عينت من تشاء منهم وتقول: أنت أب هذا المولود، ويكون القول قولها في ذلك، والحكم حكمها، فتُلْحِقُه بمن شاءت، ولا يستطيع رد قولها.

فالله يريد أن يعلمنا أحكام شريعتنا بكل أبوابها على وفق الحكمة والمصلحة.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ۝٢٨﴾ فالله رحيم بعباده لا يكلفهم ما لا يطيقون وما شرع لنا فهو مبني على التخفيف والتيسير، فالله عالم بالإنسان وضعفه، وهو الذي خلقه فهو عالم بما يطيقه، وبما لا يطيقه.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ فلا يأكل بعضكم أموال بعض بغير حق، وبغير عوض، وبغير طيبة نفس.

﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾[٢] فلا بأس ما دام الطرفان

---

(١) –**سؤال:** من هم الذين يتبعون الشهوات؟

الجواب: هم المنافقون واليهود والمشركون، فكانت هذه الفرق الثلاث هي الموجودة في المدينة وما يحيط بها عند نزول الآية.

(٢) –**سؤال:** كيف استثنى التجارة من الأكل بالباطل؟

الجواب: الاستثناء منقطع إلا أن تكون التجارة تجارة عن تراض منكم؛ لأن التجارة ليست من الأكل بالباطل.

متراضيين على التبادل عن طريق البيع والشراء[١].

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴿٢٩﴾﴾[٢] فلا يقتل بعضكم بعضاً.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴿٣٠﴾﴾ فمن قتل نفساً عدواناً وظلماً، فهو من أهل النار، ومصيره إليها خالداً فيها، وذلك يسير هين عند الله.

﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴿٣١﴾﴾ إذا اجتنب المكلف المسلم الكبائر، فسيكفر الله عنه صغائر الذنوب ما دام غير مصر عليها؛ لأنه محل الزلل والخطأ، ولا يخلو منها، وقد يكون باستطاعته الاحتراز عنها ومجانبتها، ولكن الله لرحمته قد خفف عنا فيها ما دمنا غير مصرين عليها، ولا قاصدين لفعلها ولا متعمدين لمعصية الله بها[٣].

---

(١) —**سؤال:** هل يؤخذ من هذا أن البيع مع التراضي يصح ولو بدون إيجاب وقبول؟

الجواب: الرضا أمر نفسي لا يعرف إلا بالكلام الدال عليه دلالة تفيد الرضا بالتبادل بين البائع والمشتري في مبيع معلوم وثمن معلوم و..إلخ.

(٢) —ما العلاقة بين النهي عن قتل أنفسنا والتجارة عن التراضي؟

الجواب: الذي سوغ العطف أمران:

١ - اتحاد الفاعل «المسند إليه».

٢ - هنا مناسبة خيالية أو وهمية مطبوعة في النفوس فيما بين القتل وأخذ المال بحيث يتخيل أنهما أخوان، فإذا ذكر القتل لاحت صورة أخذ المال بجانبه، وقد حصل هذا الخيال والوهم من كثرة حصول القتل وأخذ المال، وكثرة تردد الكلام بذلك على طول التأريخ.

(٣) —**سؤال:** يقال: ظاهر الآية ولو فعلها متعمداً مع صغرها، فكيف يجمع بينه وبين هذا؟

الجواب: الظاهر هو ما ذكرتم، ولكن تُرِك لما تقرر أن من شأن المؤمن أن لا يتعمد معصية الله وإن صغرت إذا علم أو ظن أنها معصية، بل إنه يتحرز عن فعل الأمر المشتبه والدخول فيه =

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ فيدافع الإنسان الطمع فيما في أيدي الآخرين ولا ينظر لذلك، وليزرع الإنسان في نفسه القناعة بما قسم الله له.

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ فيأخذ كل واحد نصيبه الذي قد جعله الله له، وهذا في المواريث، ولا ينظر لنصيب غيره، ولا يطمع فيه، ويقنع بما كتبه الله له منها[1].

﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ إذا رأيت أن ما معك من النصيب قليل- فاسأل الله من فضله، فهو مالك السماوات والأرض، وهو الذي بيده خزائنهما، وهو الذي يعطي ويمنع، واترك النظر لما في يد غيرك، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا۝٣٢﴾ لا يخفى على الله خافية، فهو عالم بما يصلح عباده، ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى:٢٧].

﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ قد جعلنا لما ترك الوالدان والأقربون ورثة يرثونهم، فكل واحد يأخذ نصيبه، والموالي هم الورثة.

مع أنه لا يظن تحريمه ولا يعلمه: ((دع ما يريبك إلى ما لا يريبك))، ((المؤمنون وقافون عند الشبهات))، فهذا هو ما دعا إلى ترك التعويل على المفهوم.

سؤال: قد يقال: يقتضي القول بأن الصغائر الخطأ والنسيان إخلاء الآية من المعنى بحسب الظاهر؛ إذ تكفير الخطأ والنسيان غير مشروط بشيء في قوله: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ...﴾، فما رأيكم؟

الجواب: الأمر كما ذكرتم، والذي ظهر لي -والله أعلم- وجه وجيه يمكن حمل الآية عليه هو: أن المعنى المراد إن تجتنبوا كبائر الذنوب في المستقبل وتستقيموا على اجتنابها، نكفر عنكم ما مضى من ذنوبكم، وفي هذا الوجه السلامة من الإشكالات الواردة على الآية.

(١) -**سؤال:** يقال: ظاهر الآية فيما يسمى بـ«السعاية» لقوله: «مما اكتسبوا»، فكيف؟

الجواب: فضل الله تعالى بعض الناس على بعض في المواريث وفي غيرها، فنهى الله تعالى المؤمنين عن الطمع فيما أعطاه الله تعالى لعباده من الزيادة في الحظوظ والأرزاق.

﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ هذه الآية كان حكمها في أول الإسلام، ثم نسخت بعد ذلك، كان الرجل يتعاقد مع الرجل على أن ينصر كل واحد منهما الآخر ويرثه؛ فأمر الله أن يوفوا بهذا العقد على ما اتفقوا عليه، وقد نسخت هذه، وذلك لأن المسلمين في أول الإسلام كانوا في حاجة إلى هذا التحالف والمؤاخاة لكثرة أعدائهم؛ فأمرهم النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن يتآخوا ويتناصروا.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (٣٣)﴾ فهو شاهد ومراقب لكل أحد، فينبغي أن يُعْطَى كل وارث نصيبه، وأوفوا الذين عاقدتم بما عاقدتموهم عليه، وهذا قبل أن تنسخ شرعية هذه الآية.

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ الرجال هم الولاة على النساء، فقد جعل الله لهم سلطاناً وولاية على النساء بسبب أن الله فضل الرجال على النساء في خلقهم وطبعهم وجبلتهم.

﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ وبسبب ما أنفقوا من أموالهم على النساء، فقد فضلهم الله بسبب هاتين الخصلتين لما آتاهم الله من القوة وزيادة العقل، والقدرة على تدبير الأمور، وغيرها كثير.

﴿فَالصَّالِحَاتُ﴾ النساء الصالحات[1].

﴿قَانِتَاتٌ﴾ يعني مطيعات لأزواجهن.

﴿حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ يحفظن أزواجهن إذا غابوا؛ فالزوجة تحفظ نفسها أولاً، وتحفظ مال زوجها، وبيته، وأولاده؛ فهذه صفة الصالحات.

﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ خطاب للأزواج، وإرشاد لهم إلى الأساليب التي يعالج بها الأزواج زوجاتهم إذا تمردن عن طاعتهم، وعن القيام بحقوقهم؛ فأول

---

(١) –**سؤال:** ما موضع جملة: «فالصالحات..إلخ»؟

الجواب: جملة: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ...﴾ لا محل لها من الإعراب مستأنفة للتفريع على ما قبلها.

الأساليب هو أن يعظ الزوج زوجته، فقال سبحانه: ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ أي: ذكروهن بالله، وبما أمرهن الله به من طاعة الأزواج.

﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ إذا لم ينفع الوعظ فيهن فاهجروهن، فلعل ذلك يردعهن ويردهن إلى الصواب وطاعة الزوج، وهذا هو الأسلوب الثاني، ثم قال تعالى مبيناً الأسلوب الثالث: ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ فآخر الدواء الكي إن لم ينفع ما سبق والمراد بالضرب ضرب التأديب، وهو معروف(١).

﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ فإن رجعت المرأة إلى طاعة الزوج، وقامت بحقوقه؛ فلا يجوز له أن يؤذيها بهجران، أو ضرب(٢).

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ٣٤﴾ فقدرة الله فوق قدرتكم، فلا تظلموهن فيجازيكم الله على ظلمكم لهن.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ هذا الخطاب لولاة الأمور، وللساعين في الصلح بين الزوجين؛ فإذا رأيتموهما متنافرين فيما بينهما، والعلاقة متوترة بينهما- فابعثوا حكماً من أهله، وحكماً من أهلها ليتدخلوا في القضية، ويصلحوا بينهما.

---

(١) –**سؤال:** كيف يكون ضرب التأديب؟ وإلى أي مدى؟

الجواب: ضرب التأديب يكون بالمعروف وعلى حسب معرفة الزوج بعناد الزوجة وشدتها، ويكون الضرب على حسب ذلك بحيث لا يصل شدة الضرب إلى كسر عظم، أو إعاقة عضو أو مفصل، أو يصل تأثيره إلى الأعضاء الداخلية، ويتجنب ضرب الوجه والمواضع الخطيرة، كمؤخر الرأس وأعالي البطن وعلى الكلى والقلب.

(٢) –**سؤال:** من أي ناحية يصير السبيل بمعنى الهجران أو الضرب؟

الجواب: المعنى: فليس لكم طريق إلى هجرهن وضربهن أي: ليس لكم إذن من الله في ذلك، فلا تطلبوا لكم طريقاً لضربهن، أي: ما دامت الزوجة مطيعة لزوجها فلن يجد مبرراً لهجرانها وضربها.

﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ إذا كان الحكمان ساعيين للصلح بنية سليمة وصحيحة- فسيوفق الله بينهما، وهذا وعد من الله إذا أخلص الحكمان النية؛ فإن الله سيوفق ويؤلف بسببهما بين الزوجين.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا۝٣٥﴾ فهو الذي خلق الرجل والمرأة، وهو عالم بما يصلحهما، وبما يفرق بينهما.

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ أخلصوا له العبادة وحده، ولا تشركوا معه أحداً، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[1] فلا بد من طاعتهما، والإحسان إليهما، وفي إقران الله تعالى الوالدين بعبادته دلالة على عظيم حقهما.

﴿وَبِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾ أمر الله بتعهد هؤلاء أيضاً بالإحسان والصلات والبر.

﴿وَالْجَارِ ذِى الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ للجار حق سواء قربت داره من دارك أم بعدت[2]، وسواء أكان قريب النسب أم بعيداً[3].

﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾ زميلك إما في السفر، أو في عمل، أو في تجارة، أو نحو ذلك- فله حق زائد على غيره، وقد أمر الله بالإحسان إليه.

﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ عابر السبيل.

---

(١) -**سؤال:** بماذا تعلق قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾؟

الجواب: تعلق بفعل محذوف تقديره: وأحسنوا.

(٢) -**سؤال:** أشكل علينا كونه جاراً مع بعد داره، فكيف؟

الجواب: للبعد حدود متعارف عليها، فأهل القرى الصغيرة يعتبرون متجاورين، وأهل الحارات في المدن الذين يجمعهم مسجد واحد يعتبرون جيراناً، وعلى الجملة يكون الجوار حسب العرف، والله أعلم.

(٣) -**سؤال:** هل تقصدون أنها تحتمل معنيين: القرب في النسب، والقرب في الدار؟

الجواب: يحمل اللفظ على المعنيين، ويفسر بهما جميعاً.

﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من العبيد، فكل هؤلاء الذين عدد الله- لهم حقوق خاصة تجب مراعاتها والمحافظة عليها، واعلم أن أقل الإحسان وأدناه هو كف الأذى وهذا أقل درجات الإحسان.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴿٣٦﴾﴾ فهو يبغض من كان معجباً بنفسه، ويظن أنه من فوق الناس، وأنهم دونه، والمعجب بنفسه مشغول بما يرى في نفسه من العظمة لذلك فإنه لا يلتفت إلى الإحسان إلى من أوصى الله بالإحسان إليه، وإذا نظر إليهم فإنما ينظر نظر احتقار وازدراء، ومن هنا استحق المعجب بنفسه أن يحرمه الله من فضله وإحسانه والجزاء من جنس العمل.

﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وصف الله أهل الخيلاء والفخر بأنهم أهل بخل لا يؤدون ما أوجب الله عليهم في أموالهم(١)، ويأمرون الناس بالبخل، ويكتمون العلم الذي أنزله عليهم، وهذه الصفات هي صفات اليهود.

﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴿٣٧﴾﴾ أعد الله تعالى لأهل هذه الصفات عذاباً مهيناً في جهنم خالدين فيها أبداً.

ثم ذكر الله بقية صفاتهم فقال: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ فإذا أنفقوا شيئاً فإنما يريدون به المفاخرة وليثني عليهم الناس وليذكروهم بالكرم.

﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ومع ذلك فهم في الحقيقة غير مصدقين بالله ولا باليوم الآخر، ولو كانوا مؤمنين بالله وباليوم الآخر لما اتصفوا بتلك

---

(١) -**سؤال:** هل يُحمَل الفضل على المال والعطاء الذي أعطاهم الله إياه؟

الجواب: المراد كتم ما أسروه وأخفوه في نفوسهم من الحق الذي اختصهم الله به وتفضل به عليهم من النعم العظيمة، ومن أكبرها ما ذكر الله تعالى: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴿٥٤﴾﴾ [النساء]، وأكبر سر أخفوه هو كتم علم التوراة الذي تعلق بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبصفاته وبدينه وبما يتعلق بذلك.

الصفات التي توعد الله أهلها بالعذاب المهين.

﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴿٣٨﴾﴾[1] وذكر الله بأن هؤلاء تحت سيطرة الشيطان، وأنهم قرناؤه وهو الذي يزين لهم الخيلاء والفخر والبخل والكفر بالله وباليوم الآخر.

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أيُّ نقص سيحصل لهم في الدنيا لو آمنوا بالله واليوم الآخر؟ فلماذا يتهربون من ذلك ويحاربونه ويسعون في إبطاله؟!

قلت: ولعل السبب في ذلك أنهم خافوا إذا آمنوا بالنبي ﷺ وصدقوا به وبالقرآن أن تنقص مراتبهم في الدنيا، وتنتكس عزتهم وشرفهم، ويقل سلطانهم في الدنيا، وسيطرتهم؛ فرد الله عليهم بقوله: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ ولو فعلوا ذلك فإنهم سينالون رضوان الله، وسيصلح لهم دينهم، ويرفعهم في الدنيا؛ لأن الكرامة هي في طاعة الله والتقوى، وهكذا العزة والشرف والرفعة كل ذلك في طاعة الله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴿٣٩﴾﴾ لا يخفى على الله جل جلاله شيء من أعمال اليهود، ولا شيء من أسرارهم، وما يخفونه في أنفسهم من التكذيب، ومن النيات الخبيثة.

---

(١) –**سؤال:** ما إعراب: ﴿فَسَاءَ قَرِينًا﴾؟

الجواب: ساء: فعل ذم ماض مبني على الفتح، وفاعله ضمير مستتر. قريناً: تمييز للفاعل المستتر أي: فساء القرين قريناً، ولا يجمع بين الفاعل والتمييز.

سؤال: كيف مقارنة الشيطان لهؤلاء؟

الجواب: المقارنة: هي أن الشيطان تسلط عليهم بسبب خروجهم عن طاعة الله وسيطر عليهم بوساوسه الداعية إلى ارتكاب الإثم والعدوان والفسوق والعصيان، أما المؤمن المطيع لله فإن إيمانه وطاعته وإخلاصه لله يدحر الشيطان ويخزيه، فلا يجد طريقاً إلى التسلط عليه، ولا تجد وساوسه الخبيثة لها مكاناً؛ لأنه التجأ إلى الله واستعاذ به وتقرب إليه.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ فهو عدل حكيم، وليس له حاجة في ظلم أحد من عبيده، من عمل صالحاً فسيجازيه، ولا ينقص من ثوابه مثقال ذرة، ومن عمل سيئة فلا يزيد على عقابه عليها مثقال ذرة، فسيعطي كل نفس ما تستحقه، ومعنى «مثقال الذرة»: وزنها ومقدارها.

﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴿٤٠﴾﴾[(١)] أما أهل الحسنات فلا ينقصهم، بل يضاعف لهم الأجر، ويعطي بدل الحسنة عشر حسنات ويضاعفها إلى سبعمائة ضعف وإلى ما شاء من الأضعاف، ويؤتي من لدنه أجراً عظيماً، وأضعافاً مضاعفةً بغير حساب.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴿٤١﴾﴾ كيف يكون موقف هؤلاء الذين كفروا بالله وبرسله، واستهزئوا بالقرآن، وكذبوا بآيات الله، كيف سيكون موقفهم يوم القيامة؟ يوم يجمع الله الشهداء (الأنبياء)، وكل نبي يشهد على أمته؛ لأن الأمم ستنكر يوم القيامة بعث أنبيائها إليها ظناً منهم أنه ينفعهم الإنكار: ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾[(٢)] [المائدة:١٩]، وسيقولون ذلك اليوم لم ينذرنا يا رب أحد بمجيء الحساب والعقاب، فعند ذلك سوف تأتي الأنبياء وتشهد على أممها بأنا قد أنذرناهم، وبلغناهم حججك يا رب، وأنذرناهم عقابك،

---

(١) –**سؤال:** لماذا حذفت النون في «تك»؟ وأين اسمها؟

الجواب: حذفت النون للتخفيف، واسم تك: ضمير مستتر أي: وإن تك الفعلة الحسنة حسنةً بالغة في القلة مثقال ذرة يضاعف ثوابها.

(٢) –**سؤال:** كيف يمكن الجمع بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا﴾ [الملك:٩]؟

الجواب: هناك مواطن يوم القيامة يقف فيها المجرمون للحساب والسؤال والجواب؛ ففي موطن يعترفون، وفي آخر ينكرون، وفي آخر لا يتكلمون ويختم على أفواههم، وقد حكى الله تعالى عن المنافقين في قوله: ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ [المجادلة:١٨]، وحكى تعالى عن المشركين قولهم يوم القيامة: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام].

وأخبرناهم بثوابك، وبالبعث بعد الموت[١].

﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ سوف يأتي الله تعالى بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ليشهد على أمته عندما ينكرون أنه لم ينذرهم ولم يبلغهم شرائع الله، وأحكام دينه.

﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ إذا شهد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة على الذين كفروا وكذبوا برسالته وردوا ما جاءهم به من عند الله حينئذ يستولي عليهم الندم ويتمنون أنهم من تراب الأرض ولكن لا ينفع يومئذ الأسف والندم والتمني[٢].

﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾[٣] ولا يستطيعون أن يكتموا على الله شيئاً من أعمالهم وسيئاتهم.

---

(١) – **سؤال:** يذكر عن أئمتنا بأنهم الشهداء ويستدل لذلك بقوله: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة:١٤٣]، فما مدى صحة هذا القول؟

الجواب: القول بأن الأئمة شهداء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قول صحيح، ولكن شهادة الأنبياء هي في الدرجة الأولى، والأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في الدرجة الثانية، والدعاة إلى الله الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر في الدرجة الثالثة، وكل من أعلن حجة الله وأظهرها للناس أو لبعضهم ولو لقليل فهو شهيد.

(٢) –**سؤال:** هل يمكن أن يحمل قوله: ﴿تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ على محمل آخر؟

الجواب: المعنى الذي ذكرناه موافق لقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبأ]، ويجوز تفسيرها بأن يدفنوا كما يدفن الموتى ويسوى عليهم التراب.

سؤال: ما إعراب «لو» في الآية؟

الجواب: لو: حرف مصدري يسبك مع ما بعده بمصدر مفعول به لـ«يود».

(٣) – **سؤال:** هل يمكن أن يكون قوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ معطوفاً على: ﴿لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾؟

الجواب: الأولى أن تكون جملة حالية؛ لأن عدم كتمانهم ليس بعيداً ولا مستحيلاً حتى يتمنوا حصوله، ويمكن أن تكون معطوفة على: ﴿يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ كان الناس عند بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم مدمنين على شرب الخمر، فحرمه الله عليهم، ولكن لم يحرمه عليهم دفعة واحدة، وإنما حرمه عليهم بالتدريج؛ لأنه لو حرمه عليهم دفعة واحدة لامتنعوا وأبوا، ولعصوا الرسول وخالفوه، فحرمه عليهم أولاً وقت الصلاة، فنهاهم عن الصلاة وهم سكارى[1] حتى يعلموا ما يقولون، ثم حرمه تعالى بعد ذلك على الإطلاق في سورة المائدة.

﴿وَلَا جُنُبًا﴾ ولا تقربوها وأنتم جنب.

﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾[2] إلا إذا كنتم مسافرين ولم تجدوا ماءً فتيمموا وصلوا؛ لأنهم في السفر مظنة أن لا يجدوا الماء؛ لأن بلاد العرب أكثرها

---

(١) –**سؤال:** قد ذكر عن بعض المفسرين أن السكر هنا النعاس، فما مدى صحة هذا القول؟

الجواب: الظاهر أنه سكر الشراب، وقد قيل إنه النعاس لا سكر الخمر، إلا أن الذي يترجح أنه سكر الشراب ولم ينزل التحريم القاطع للخمر إلا في سورة المائدة: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة٩١]، ويلحق به سكر النعاس بالعلة التي أومأ إليها بقوله: ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾.

سؤال: ما معنى «حتى» في قوله: ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا﴾؟

الجواب: معناها بيان غاية النهي في: لا تقربوا.

(٢) –**سؤال:** قوله: ﴿حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ بم تعلق؟ أو إلام يعود؟

الجواب: ﴿وَلَا جُنُبًا﴾: أي ولا تقربوا الصلاة حال كونكم جنباً، وتعلق: ﴿حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ بقوله: لا تقربوا الصلاة حال كونكم جنباً حتى تغتسلوا فهو غاية للنهي عن قربهم للصلاة في حالة الجنابة.

سؤال: ظاهر قوله: ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ فاقربوها جنباً، فمن أين يؤخذ التقييد بالتيمم؟

الجواب: يؤخذ شرط التيمم من قوله بعد ذلك: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا...﴾ فعلم بذلك أن عابر السبيل إذا أجنب يجوز له الدخول في الصلاة بغير غسل بشرط التيمم.

صحراء فهو مظنة ألا يجد المسافر الماء في سفره، فأخبره كيف يفعل إذا انقطع عن الماء ولم يجده بأن يتيمم ويصلي ولو كان جنباً.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾(١) فهؤلاء رخص الله لهم أن يتيمموا إذا لم يجدوا الماء صعيداً طيباً، أي: تراباً طاهراً أما المريض الذي يضره استعمال الماء فيتيمم ولو كان واجداً للماء.

﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ وهذه كيفية التيمم مسح الوجه واليدين إلى المرفقين فقط(٢).

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴿٤٣﴾﴾ فالله سبحانه يخفف على عباده، ولا يحرج عليهم، وشريعته سمحة.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا(٣) مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴿٤٤﴾﴾ اليهود هم الذين آتاهم الله نصيباً من الكتاب، لكنهم لم يعملوا به، واستبدلوا به الضلال، وتركوا الهدى الذي في التوراة، ويريدون مع ذلك أن تضلوا معهم، وتدخلوا في الضلال، وهم ساعون جهدهم كي يُضِلُّوا المؤمنين ويدخلوهم معهم في جهالتهم، وجهالتهم هذه ليست من التوراة كما يزعمون؛ لأن التوراة لا يوجد

---

(١) —**سؤال:** ما الفائدة في استخدام الفاء بدل الواو في قوله: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا﴾؟

الجواب: الذي ظهر لي —والله أعلم— أن الفاء أفادت أن العلة التي تسببت في وجوب التيمم هي الجنابة أو الغائط وعدم الماء شرط في ذلك، ولو عطف بالواو لكانت العلة هي مجموع الأمرين.

(٢) —**سؤال:** من أين نأخذ أن اليدين إلى المرفقين؟

الجواب: يؤخذ ذلك من السنة المروية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(٣) —**سؤال:** هل للتعبير بقوله: ﴿نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ فائدة في تقليل ما أوتوا، أو نحو ذلك؟

الجواب: الأولى أن يكون التنكير للتعظيم؛ لأن الله تعالى عظم التوراة في القرآن الكريم بما لا مزيد عليه.

فيها إلا الهدى والنور، ولو عملوا بها لكانوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾ يحذر الله النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين بأن هؤلاء اليهود هم ألد أعدائكم، فانتبهوا لهم، واحذروهم؛ فهم يريدون أن يضلوكم ويخرجوكم عن دينكم.

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ۝٤٥﴾[١] فتمسكوا بالله وبدينه، والله هو وليكم وناصركم، فيكفيكم أن يكون الله ناصركم ومتوليكم؛ فإن تولاكم الله فلا غالب لكم، ولن يلحقكم بأس من اليهود، ولا من المشركين، ولا من النصارى.

﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾[٢] أخبر الله بأن من اليهود فريقاً ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾[٣] يحرفون التوراة ويخرّجون للناس آيات من عندهم، وليست من التوراة في شيء، أخبر الله عن أعمالهم وخبثهم الذي وصل إلى تحريف كتاب الله.

﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾[٤] يقولون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم حين يدعوهم إلى الإسلام: سمعنا وعصينا، وهذا تحذير من الله للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من كيدهم ومكرهم.

---

(١) –**سؤال:** ما إعراب «نصيراً»؟

الجواب: يعرب تمييزاً لبيان نوع الكفاية المنسوبة إلى الله.

(٢) –**سؤال:** أين المبتدأ في قوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾؟ وما العلة في حذفه؟

الجواب: دل على المبتدأ صفته وهي: «يحرفون»، وهذا الحذف قياس عند عدم اللبس كقولهم: «منا ظعن ومنا أقام»، وقد أعرب ذلك على غير ما ذكرنا، ولكن ما ذكرنا هو الأولى. والعلة في حذف المبتدأ هي العلم به والإيجاز.

(٣) –**سؤال:** هل يصدق التحريف أيضاً على التأويل المعلوم خطؤه؟

الجواب: يصدق التحريف على التأويل الباطل للآية؛ لأن التحريف مصدر حرَّف الشيء يحرفه إذا مال به إلى الحرف، وهو يقتضي الخروج بالشيء عن جادة الصواب.

(٤) – **سؤال:** هل المراد بقولهم: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ سمعنا وخالفنا ما سمعناه، أم ماذا؟ فظاهره المناقضة كأنهم قالوا: سمعنا ولم نسمع؟

الجواب: المراد: سمعنا وخالفنا، وليس سماع تصديق وطاعة، بل سماع تكذيب وعصيان، وعلى ذلك فلا مناقضة.

﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ يقولون ذلك للنبي ﷺ، وهذا دعاء منهم على النبي ﷺ، يعني: اسمع لا سمعت.

﴿وَرَاعِنَا﴾ وهذه سبة[1] منهم للنبي ﷺ، وظاهرها: تمهل بنا، وتأنَّ بنا كي نفهم ما تقول، وفي الواقع هم يريدون بها معنى آخر يشتمون به النبي ﷺ.

﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾[2] يعني به يحرفونها عن معناها إلى معنى آخر الذي هو سب وشتم للنبي ﷺ.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ بدل قولهم سمعنا وعصينا، ﴿وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا﴾ وتركوا ذلك الذي هو دعاء على النبي ﷺ في قصدهم، وهو قولهم: اسمع لا سمعت، وتركوا أيضاً (راعنا) وقالوا بدلها: (انظرنا)- ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴿٤٦﴾﴾ لو أنهم فعلوا ما تقدم لكان أفضل لهم وأعدل وأسدّ، ولكنهم تكبروا عن سماع كلام الله، فلعنهم الله، وسلبهم التوفيق، فلا تتوقعوا منهم الإيمان أبداً إلا إيماناً قليلاً.

والمراد بالإيمان القليل هو إيمانهم بأفواههم، وعدم إيمانهم بقلوبهم، وهو هذا الذي يصانعونكم به وينافقونكم.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ خاطب الله اليهود ﴿ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ دعاهم الله إلى الإيمان بالقرآن الذي هو مصدق للتوراة، ولم يأت

---

(١) —**سؤال:** إذا كانت سُبَّة فهل هي مأخوذة من الرعونة، أم من ماذا؟

الجواب: «راعنا»: كلمة ذات معنيين (وجهين):

- راعنا أي: تأنَّ بنا وانتظر.

- راعنا أي: إنها كلمة سب عند اليهود يتشاتمون بها باللغة العبرية أو السريانية يشتمونه ﷺ بلغة لا يعرفها، وقيل: إنها مأخوذة من الرعونة وهي السخافة والحمق وقلة العقل.

(٢) —**سؤال:** ما إعراب «لياً»؟

الجواب: « لياً » مفعول من أجله.

بشيء يخالفها.

﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا﴾ من قبل أن ينزل الله عليكم غضبه ويطمس وجوهكم، وطمس الوجه: أن يجعل الله وجهه مثل قفاه.

﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾(١) وهو أنه مسخهم قردة، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾ إذا أراد أن ينزل غضبه فسينزله عليهم، وقد أنزل عليهم سخطاً ثانياً وهو القتل بأن قتل النبي ﷺ بني قريظة جميعاً في يوم واحد بالذبح، وكانوا ستمائة وخمسين، ولم يترك أحداً منهم إلا الذي لم يحتلم منهم، وسبى نساءهم وأطفالهم.

وأهل خيبر وبنو قينقاع وأهل فدك وبنو النضير أجلاهم النبي ﷺ إلى بلاد الشام، وأخرجهم من ديارهم وأموالهم، ولم يتركهم يأخذوا معهم شيئاً منها، واستولى عليها المسلمون.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ الشرك هو أكبر المعاصي لا يغفره الله تعالى ولا يتجاوز عنه أبداً، بخلاف سائر المعاصي فقد يقع الإنسان في الزنا مثلاً عن طريق الخطأ ولا يؤاخذه الله عليه، ولكن الشرك إذا وقع فيه المرء ولو عن طريق الخطأ أو الجهل- فلا يتجاوز الله عنه بخلاف غيره من المعاصي إذا فعله المرء عن طريق الخطأ والجهل- فقد يؤاخذه الله عليها، وقد يعفو عنه(٢).

---

(١) -**سؤال:** ما موضع: ﴿كَمَا لَعَنَّا﴾ الإعرابي؟

الجواب: الكاف حرف جر، و«ما» مصدرية مسبوكة مع ما بعدها بمصدر أي: كلعننا أصحاب السبت، والجار والمجرور في الأصل صفة لمصدر محذوف تقديره: لعنا كلعن... إلا أن الجار والمجرور قد ناب منابه وانتصب انتصابه.

(٢) -**سؤال:** أشكل علينا مؤاخذته مع قوله: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ [الأحزاب:٥] فكيف؟

الجواب: إذا استمر المخطئ على خطئه وجهله مع تمكنه من التعرف وأسباب المعرفة موجودة، ففي هذه الحال قد يكون مؤاخذاً.

=

وأما الشرك فلا يعذر فيه أحد ولو جاهلاً؛ لأن الله تعالىٰ قد خلق العقل، وقد جعل فيه قوة وطاقة يستطيع المرء من خلالها أن يعرف ويميز أن الشرك والكفر قبيح، ويستنكر أشد الإنكار علىٰ اتخاذ إلهٍ غير الله كالحجارة وغيرها.

وما فعله أولئك من عبادتها إنما هو استكبار منهم وتعصب لمذهب آبائهم وأجدادهم، واتِّباع لأهوائهم، وأما تصديقهم بربوبيتها من ناحية العقل- فذلك مستحيل، ولو اجتمع أهل الدنيا جميعاً علىٰ إقناع العقول بذلك فلن تصدق أبداً أبداً.

والعقل لن يخطئ أبداً؛ لأن الله قد فطره علىٰ ذلك، ولن يغتر؛ ألا ترىٰ لو أخبرك مخبر أن (واحد زائد واحد) يساوي عشرة؛ فهل ستصدق بذلك؟ لن يقبل العقل ذلك أبداً.

وقد جعل الله في العقول دواعي تدعوه إلىٰ الله، وإلىٰ البحث عمن خلقه من وقت الصغر، فترىٰ الطفل من حين يبدأ الكلام لا ينفك يسأل والديه: من خلقني؟ ومن

سؤال: من أين نأخذ تقييد الإشراك بالخطأ والجهل هل من هذه الآية أم من دليل آخر؟

الجواب: يؤخذ ذلك من العموم الشامل لجميع الأحوال في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾، أي: في جميع الأحوال والأوقات وعلىٰ أي وجه.

سؤال: قد قيل بأن: ﴿مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ مجملة مبينة بقوله: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ...﴾ الآية [النساء:٣١]؟ أو عامة مخصصة بقوله: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا...﴾ فما رأيكم؟

الجواب: الآية تفيد أن للشرك ميزة يتميز بها عن سائر الذنوب، وهي أن الله لا يغفره.

- ويشترك الشرك وسائر الذنوب في أن الله تعالىٰ يغفرها بالتوبة.
- قتل المؤمن خطأً، والوقوع في الزنا غلطاً وخطأً، وشرب الخمر خطأً و..إلخ- مغفور.
- إذا وقع المكلف في الشرك خطأً بسبب خطئه في النظر فلا يعفىٰ عنه ولا يغفر له، بل يؤاخذ بشركه وكفره: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران]، وقد توعد الله تعالىٰ الكافرين والمشركين بعذاب النار خالدين فيها علىٰ العموم والشمول للعامد والخاطئ. **هذا**، والخطأ في الشرك يكون عن طريق الخطأ في النظر.

خلق هذا؟ ومن أوجد هذا؟ ومن عمل هذا؟ ومن أين أتى؟ وكيف هو الذي صنعه؟

فلو أخبرته أن هذا الحجر هو الذي صنع هذا الشيء لاستنكر ولم يصدق، ولو أخبرته أن الشمس صنعت نفسها لرأيته يتعجب من ذلك ويضحك، وما ذلك إلا أن هناك دواعي في داخله تدعوه إلى غير ذلك، وأن الذي أوجده غير ذلك: **﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾**(١) [الروم:٣٠]، فطرهم على معرفته، وعلى الإيمان والتصديق به لا بغيره، ولن تستقر وتهدأ الفطرة إلا حين تصادف الصدق والحق.

وبعض المفسرين يفسر قوله تعالى: **﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾** بأن المرء يكفيه أن يؤمن بالله ويصدق به، وما سوى ذلك فسيغفره الله إن شاء، من الزنا والسرقة وسائر المعاصي ما دام لم يشرك بالله. وتفسيرها على هذا الوجه خطأ، وتفسيرها الصحيح هو ما قدمنا.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴿٤٩﴾﴾ هذا تعجيب من الله للرسول ﷺ في شأن اليهود: انظر يا محمد كيف يزكي هؤلاء أنفسهم، ويقولون بأنهم أهل الجنة، وأنها لم تخلق إلا لهم!! وأنهم أكرم البشر عند الله، وأنهم أهل طاعته، ولن يدخل الجنة إلا هم!! وأن الله لن يعذبهم بذنوبهم، فقال الله تعالى: **﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴿٤٩﴾﴾** فمن حكم الله له بأنه من أهل الجنة فهو كذلك وليست لمن حكم(٢) لنفسه بها، ولن

---

(١) - **سؤال:** هل المراد بفطرة الله إيجاد دواعي الاستدلال على الخالق الموجد.. إلخ؟

الجواب: المراد بفطرة الله التي فطر العقول عليها هي إيجاد دواعي الاستدلال، وفيما ركزه الله فيها أن كل فعل لا بد له من فاعل، فلو اجتمع الناس عند عاقل مَّا وحاولوا أن يقنعوه بأنه لا صانع لتلك السيارات التي تأتي من الخارج، وأن تلك المباني القديمة في مدينة صنعاء وصعدة لا باني لها لما اقتنع ولا صدق.

(٢) - **سؤال:** من منطلق أنه لن يظلم أحداً هل يصح أن يقال: فمن زكى نفسه منهم وهو مستحق فهو زاكٍ عند الله؟

الجواب: التزكية تكون على صور:

=

يظلم الله أحداً، **والفتيل** هو: ذلك الخط الذي في التمرة (في النواة) مثل الفتلة؛ فلن يظلم أحداً، لا اليهود ولا غيرهم.

﴿انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا۝٥٠﴾ انظر يا محمد كيف تفتري اليهود على الله الكذب، ويحرفون التوراة على ما يريدون.

أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن ينظر ويتعجب من صنيع اليهود، وإلى أين وصل بهم خبثهم وجرأتهم على الله، والتوراة لم تكن موضوعة بأيدي اليهود جميعاً، وإنما بأيدي أناس مخصوصين من العلماء الذين في بيت المدارس، فلا يفسرها إلا هؤلاء، فهؤلاء هم الذين يحرفون ويبدلون، ويفسرونها لرؤسائهم وكبرائهم على ما يشتهون ويريدون.

وأما أتباعهم فلا يعرفون شيئاً مما ينزل، ولا يفهمون إلا ما يريده أولئك، وعلى حسب ما يخرجونه لهم، قال الله تعالى: **﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾** [البقرة:٧٨]، وقد مرت في سورة البقرة.

ثم ذكر الله تعالى تعجيباً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ يعني اليهود.

﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ[1] أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا۝٥١﴾ عندما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مكة ذهب المشركون إلى اليهود

- أن يزكي أهل المذهب الحق أنفسهم في الجملة فذلك جائز، أو واجب عند الحاجة.
- أن يزكي المرء نفسه بأنه من أهل الحق والهدى، ومن الموعودين بالثواب وهو في الواقع كذلك، فيجوز.
- ليس من شأن المؤمن أن يقطع في قلبه، أو يشهد لنفسه بأنه من أهل رضوان الله، وأهل جنته وثوابه، **﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى۝٣٢﴾** [النجم].

(١) —**سؤال:** ما الفائدة في استخدام الإشارة «هؤلاء» بدل قولهم: «أنتم»؟

الجواب: الفائدة —والله أعلم– هي ما في اسم الإشارة من تمييز المشار إليهم وتعيينهم، حتى يقع الحكم «أهدى» على قوم معينين مشخصين، لا التباس فيهم ولا غموض.

يسألونهم عن النبي ﷺ، وعن صفته؛ لأن أهل الكتاب كانوا أهل علم، وعندما سألهم المشركون اشمأزوا وامتعضوا حين عرفوا خبر النبي ﷺ، وأنه ليس منهم؛ فأجابوهم بأنه كذاب، وليس بنبي، وأن دينكم هو الدين الحق، وهو إيمانهم بالجبت والطاغوت، والجبت والطاغوت: هو الأصنام وكل ما عبد من دون الله.

وأجابوهم أيضاً بأنهم أهدى من الذين آمنوا سبيلاً؛ فشهدوا لهم بذلك افتراءً على الله، وبشهادتهم لهم بذلك، وأن إيمانهم بالجبت والطاغوت هو الدين الحق- دخلوا معهم في الكفر وصاروا كافرين.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: اليهود الذين تقدم وصفهم.

﴿وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا۝٥٢﴾ فمن لعنه الله فليس له ناصر يدفع عنه لعنة الله وسخطه وعذابه.

﴿أَمْ[1] لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا۝٥٣﴾ يريد اليهود أن يتحكموا على الله، ويعترضوا عليه: لماذا لم يرسل نبياً منهم؟ ولماذا جعله الله من العرب؟ فرد الله عليهم: هل لكم نصيب من ملك السماوات والأرض حتى تعترضوا، ويكون لكم حق في الاعتراض؟ لأنه لا ينبغي الاعتراض إلا للشريك، وما داموا ليسوا بشركاء فلا دخل لهم في الاعتراض على الله تعالى.

ووصفهم الله بالبخل الشديد في قوله: ﴿فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ لو أن الله آتاهم نصيباً في ملك السماوات والأرض؛ فإنهم لن يؤتوا الناس نقيراً، وهو ذلك الغطاء الرقيق الذي على نواة التمرة التي لا تسمن ولا تغني شيئاً، وهذا مثال لشدة حسدهم وغلهم، وأنهم لا يريدون أن يؤتى أحد شيئاً دونهم، وأن كل شيء يكون لهم.

---

(١) —**سؤال:** ما معنى «أم» في الآية؟ وما إعراب «فإذاً»؟

الجواب: «أم» بمعنى «بل والهمزة» أي: همزة الاستفهام الاستنكاري، والفاء: هي الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر أي: إذا جُعِل لهم نصيب من الملك. وإذاً: حرف جواب وجزاء.

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾(١) وهو حسدهم للعرب حين كان الرسول ﷺ منهم، ولماذا لم يأت منهم؟ وكذلك حسدهم لمحمد ﷺ حين أرسله الله نبياً، وهذا من فضل الله فكيف يعترضون على الله.

﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾(٢) وهذا ليس شيئاً غريباً من صنع الله، فقد آتى الله آل إبراهيم الكتاب والحكم والنبوة، فلماذا يعترضون على محمد ﷺ حين أعطاه الله ذلك، مع أنه من آل إبراهيم، وكذلك اليهود هم من آل إبراهيم؛ فليس لكم أن تعترضوا، فالله يختص برحمته من يشاء.

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ(٣) بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ﴾ وهم آل إبراهيم آتاهم الله الكتاب والحكم والنبوة؛ فبعضهم قبل، وبعضهم صد واعترض.

﴿وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾(٤) للصادين عن الحق.

---

(١) - **سؤال:** هل معنى «أم» في «أم يحسدون» بمعنى «بل»؟

الجواب: هي بمعنى: بل وهمزة الاستفهام الإنكاري.

(٢) - **سؤال:** هل المراد بالملك العظيم النبوة؟

الجواب: الملك العظيم هو السلطان الواسع والبسطة في الأرض.

سؤال: ما المراد بالحكمة هنا؟

الجواب: المراد بها العلم النافع.

(٣) - **سؤال:** ما الحكمة في إفراد الضمير في قوله: ﴿ءَامَنَ بِهِ﴾؟ وإلام يعود؟

الجواب: هناك أقوال في مرجع الضمير، فقيل: إنه عائد إلى إبراهيم عليه السلام، وقيل: إلى محمد ﷺ، وقيل: إلى ما آتاه الله تعالى آل إبراهيم من الكتاب والحكمة والملك العظيم. وأفرد الضمير نظراً إلى المعنى أي: فمنهم من آمن بما آتيناه آل... إلخ.

(٤) - **سؤال:** كيف إعراب: ﴿وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾؟

الجواب: كفى: فعل ماض. بجهنم: فاعل كفى مجرور بحرف الجر الزائد، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه لا ينصرف. وسعيراً: تمييز.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ وهذا في سياق اليهود أيضاً[١]؛ لأنهم وقفوا في وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وفي وجه الإسلام والمسلمين، وصنعوا المكائد، ودبروا الحيل للصد عن دعوته مع قوتهم وكثرتهم وتمكنهم وغناهم، ولم يمنع عن ذلك إلا تأييد الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وإلا فقد صنعوا كل ممكن، واتخذوا كل وسيلة لولا تأييد الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ونصره له، وما ألقى في قلوبهم من الرعب.

﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴿٥٦﴾﴾[٢] إن الله تعالى قد أعد لأولئك الكافرين من اليهود وغيرهم ناراً عظيمة يصليهم فيها كلما حرقت جلودهم ردها الله وهكذا أبد الآبدين ليتذوقوا حريق نار جهنم جزاءً على كفرهم وتكذيبهم، والله سبحانه عزيز غالب لا يعجزه شيء فيما توعد به المتمردين الكافرين فلا يخلفه، وهو تعالى علي حكيم لا يعذب إلا من يستحق العذاب ولا يظلم مثقال ذرة.

---

(١) –**سؤال:** هل يصح أن تحمل على الاستئناف في الكفار جميعاً؟

الجواب: هي مستأنفة في الكفار جميعاً، ويدخل اليهود فيها دخولاً أولياً؛ لوقوع الآية في سياق أعمالهم وكفرهم وخبثهم.

(٢) –**سؤال:** كيف يجاب على السؤال الوارد: إذا أبدلت الجلود بجلود غيرها فالمبدلة لم تكن قد عصت، فكيف يصح تعذيبها في عدل الله وحكمته؟

الجواب: الذي يذوق عذاب الله في نار جهنم هو العاصي، وما دام أنه هو الذي يتذوق عذاب الحريق وحده فلا ظلم ولو أبدل جلداً بعد جلد و..إلخ، وذلك لأن الجلد الجديد ليس إلا وسيلة إلى عذاب العاصي لا إلى عذاب غيره. **وبعد،** فالجلد يحيا بحياة العاصي ويحس أيضاً بحياته وينطبع بطبيعته، وإذا انفصل منه صار جماداً لا يحس ولا يتألم، فعلى هذا فالعاصي هو الذي يحس ويذوق عذاب الحريق ويتألم بأليمه. ثم إنه يجوز أن يبدل الله جلد العاصي من حراقة جلده المحروق ويخلقه منها وهكذا.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴿٥٧﴾﴾[١] كلما ذكر الله أهل النار والعذاب قرن به ذكر أهل الجنة ليرغب المؤمنين في نعيمها.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا[٢] الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾[٣] عندما دخل المسلمون مكة يوم الفتح أخذ أمير

(١) –**سؤال:** ما معنى ﴿أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾؟ وما المراد بالظل الظليل في التعبير القرآني؟

الجواب: طهر الله تعالى أزواج أهل الجنة من الأقذار المستقذرة: الحيض والبول والبراز والمخاط والروائح الكريهة، وقذر اللسان، وقذر الأعمال، ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ [الرحمن:٥٦]، وقذر النكاح: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴿٥٦﴾﴾ [الرحمن]، وعلى الجملة الأقذار الحسية والمعنوية. والظل الظليل: هو الظل الكثيف الذي لا تخترقه حرارة الشمس ولا أشعتها، ولا يدخل إليه سمومها، ولا يكون الظل كذلك إلا إذا كثرت فروع الشجر وتراكمت وتزاحمت أوراقها وتشابكت فروع الأشجار بعضها ببعض واتصلت كذلك على مساحة واسعة طولاً وعرضاً، حتى لا يدخل سموم الحرارة، وإذا دَخَلَ من الأطراف بَرَدَ لكبر مساحة الظل ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴿٣٠﴾﴾ [الواقعة].

(٢) –**سؤال:** ما موضع ﴿أَنْ تُؤَدُّوا﴾ الإعرابي؟

الجواب: موضعه الجر بحرف جر محذوف «بالباء» متعلق بـ«يأمركم»، ويصح أن نقول: هو منصوب بنزع الخافض.

(٣) –**سؤال:** هل الأمانات عامة في كل ما اؤتمن عليه الإنسان؟

الجواب: هي عامة فيما اؤتمن عليه الإنسان، الأمانات الدينية والدنيوية.

سؤال: إذا ائتمن الإنسان وداعة لشخص متهم فهل يلزم ردها إليه، وكان يشك في أخذه لها؟

الجواب: الظاهر أنه يجب رد الوداعة إلى المتهم إلا إذا علم أنها لغيره، فيلزم ردها لصاحبها، ولا يردها مع الظن لمن ظن أنها سرقت عليه إلا بحكم حاكم سواء حصل الظن عن طريق الشهادة أم عن طريق القرائن. وإذا تداعاها المتهم وغيره فإن تهيأ له قبضها عنده قبضها عنده، وإلا فليضعها عند الحاكم العدل أو عند حاكم تراضيا بحكمه.

المؤمنين علي عليه السلام مفتاح الكعبة من عند آل أبي شيبة حين استقر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمكة، وحين أسلم أهل مكة فنزلت هذه الآية؛ فأخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم المفتاح من يد علي عليه السلام ورده إلى آل أبي شيبة[1]، وما زالوا إلى الآن يتداولونه بينهم أباً عن جد، وهذا حق لهم ليس لأحد أن يأخذه عليهم إلى يوم القيامة.

وهذه الآية خطاب للمؤمنين فمن صارت إليه الولاية والحكم بين الناس فلا بد من أن يعدل حتى ولو على عدوه، وقد حكم شريح لليهودي على أمير المؤمنين ولم يعترض على ذلك.

﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا[2] يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا۝٥٨﴾ فنعم ما وعظكم الله به، فهو لا يعظكم إلا بالحق ولا يأمركم إلا بالحق.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ خاطب الله المؤمنين آمراً لهم بأن يطيعوا الله، والرسول، والذي يلي الأمر منكم، ممن ولاه الرسول عليكم: من نحو قائد السرية، ووالي الصدقة، وغيرهما؛ لأن هؤلاء

---

(١) —**سؤال:** هل لا زال آل أبي شيبة معروفين بأنسابهم؟ وباقين إلى الآن؟

الجواب: الظاهر أن آل أبي شيبة ما زالوا إلى اليوم على سدانة الكعبة، وقد رأيت بعضهم جالساً على صفة في المدينة في أول حجة لي عام ١٤٠٢هـ، أرانيه بعض الحجاج المصاحبين لي وأخبرني أنه من آل أبي شيبة. وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن السدانة في أولاد عثمان أبداً، وأعطاه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المفتاح وقال: ((هاك خالدة تالدة لا ينزعها منك إلا ظالم))، وعثمان هو ابن طلحة بن عبد الدار، فمن هنا يصح لنا أن نقول إنهم ما زالوا إلى اليوم سدنة على الكعبة معروفين بأنسابهم أو بعضهم. وفي رواية: أنه دفع المفتاح إلى عثمان وإلى شيبة بن أبي طلحة فقال: ((خذوها يا بني أبي طلحة خالدة تالدة، ولا يأخذها منكم إلا ظالم)).

(٢) —**سؤال:** ما إعراب «نعما»؟ وكيف صح الإخبار بها عن لفظ الجلالة؟

الجواب: «نعم»: فعل ماض جامد لإنشاء المدح، و«ما»: نكرة تامة منصوب على أنها تمييز لفاعل نعم المستتر. و«نعما» وإن كانت إنشائيه فإنه يصح الإخبار بالإنشاء نحو: كيف زيد، ومتى الصيام، وأين زيد، ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ۝٦﴾ [القيامة].

الذين يوليهم عليكم يمثلون النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فكأن رسول الله هو الآمر، وطاعتهم لهم طاعة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وكان علي عليه السلام من أولي الأمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوليه، ولا يولي عليه.

وليس المراد بأن من تولى تجب طاعته كيفما كانت جهة توليته؛ فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ[1] فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴿٥٩﴾﴾ إذا اختلفتم أيها المؤمنون في أمر فتحاكموا إلى الله، وإلى الرسول يعني: إلى القرآن وإلى سنة الرسول؛ فما حكما به فيجب عليكم العمل به.

فإذا حصل الاختلاف بيننا- فالحل في القرآن، وما حكم به، وإلى ما حكم به النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سنته المجمع على صحتها بين المختلفين[2].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ هنا يُعَجِّبُ الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم من اليهود حين آمنوا في الظاهر يعني إيمان نفاق: ألم تنظر إليهم يا محمد، قد زعموا أنهم آمنوا بما أنزل إليك، وما أنزل من قبلك، ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾[3] ويريدون

---

(١) –**سؤال:** هل في قوله: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ...﴾ مفهوم يشير إلى حجية الإجماع؟

الجواب: نعم مفهوم الشرط يفيد أن الإجماع حق وحجة.

(٢) –**سؤال:** يقال: ما الوجه في عدم الرجوع للسنة الصحيحة التي لم يجمع عليها المختلفون؟

الجواب: لأن السنة الصحيحة المجمع على صحتها هي التي ستقطع النزاع وترفع الخلاف، أما إذا لم تكن مجمعاً عليها فلا يحصل بها قطع النزاع ورفع الخلاف، بل إذا حصل الخلاف والنزاع في السنة الصحيحة وجب الرجوع والاحتكام إلى السنة المجمع عليها لقطع النزاع فيها.

(٣) –**سؤال:** ما موضع: ﴿أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ الإعرابي؟

الجواب: «أن» وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالباء المحذوفة، والجار والمجرور متعلق بأمروا.

مع ذلك أن يتحاكموا عند الطاغوت، وهم المشركون والكهنة ونحوهم، ولا يريدون أن يتحاكموا إلى الله وإلى ورسوله، مع أنهم قد زعموا أنهم قد آمنوا، ومع أن الله قد أمرهم أن يكفروا بالطاغوت.

والمقصود بذلك تحذير النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من هؤلاء، وأنهم منافقون، وأن إيمانهم إيمان نفاق.

﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ فهم من قرناء الشيطان، وهم إخوان الشياطين، وهم في طاعة الشيطان وحبائله، ومنغمسون في الضلال.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾[1] وهم أولئك الذين يزعمون أنهم آمنوا؛ فإذا دعوا إلى حكم الله وقيل لهم: تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى حكم رسول الله صدوا وامتنعوا، ونفروا عن حكم الله، ولا يريدون أن يتحاكموا إلا إلى الطاغوت.

﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾[2] كيف يكون حالهم لو أن الله عاقبهم على بعض ذنوبهم هذه، وعلى بعض نفاقهم إذاً لجاءوا إليك معتذرين قائلين لك: لا نريد يا رسول الله إلا الإصلاح، ولا نريد إلا الإحسان، تنصلاً منهم عما أتوا من النفاق، وقصداً منهم لإقناع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن صنيعهم ذلك إنما هو لأجل الإصلاح بين الناس، فلو أن الله أنزل بهم بعض عقابه على نفاقهم وصنيعهم هذا لأتوا إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ واعتذروا إليه بذلك.

---

(١) –**سؤال:** هل المراد بهم اليهود أو المنافقون أو كلاهما؟

الجواب: المراد بهم المنافقون لا غير؛ لأن الضمير في «لهم» يعود إلى: ﴿الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا﴾.

(٢) –**سؤال:** ظاهر الجواب «ثم جاءوك» فلماذا عبر عنه بـ«ثم»؟

الجواب: جواب الشرط هو: فكيف يكون حالهم المدلول عليه بقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ﴾. وأما ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ﴾ ليس الجواب، وفائدة «ثم» بيان تفاوت حال المنافقين قبل المصيبة وبعدها.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فهو عالم بما في قلوبهم من النفاق وسوء النية وفساد الطوية.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ لا تؤاخذهم ولا تجازهم، واسكت عنهم(١).

﴿وَعِظْهُمْ﴾ ذكرهم بآيات الله.

﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا۝٦٣﴾(٢) حذرهم عذاب الله وسخطه، وعلمهم آيات الله وحججه- لعل وعسى أن تصادف قلباً يعيها ويسمعها.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾(٣) يخاطب الله اليهود والمنافقين بأنا لا نرسل الأنبياء والرسل إلا ليطاعوا، لا ليعصوا؛ فما بالكم أيها اليهود والمنافقون لا تستجيبون، ولا تطيعون، ولا تلين قلوبكم لآيات الله وحججه؟

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ﴾(٤) يبين الله تعالى أنه

---

(١) –**سؤال:** لماذا أمر بالإعراض عنهم هنا، وقد أمره الله بالإغلاظ عليهم ومجاهدتهم في آية أخرى؟

الجواب: أمر النبي ﷺ بأن لا يؤاخذ المنافقين كما يؤاخذ المشركين بسل السيف وأخذ المال و..إلخ، وأمر في الآية الأخرى بالإغلاظ عليهم بذكرهم بأعمالهم الخبيثة وما هم عليه من النفاق، ومواجهتهم بذلك، وأمر بجهادهم بالحجة، ولم يؤمر ﷺ أن يجاهدهم بالسيف، ولو أمر به لنفذ أمر ربه، إلا أنه لم يرو أنه فعل ذلك أو أمر به.

(٢) – **سؤال:** هل يؤخذ من الآية لزوم مبالغة المرشدين والوعاظ في مواعظهم، وأن يتخيروا المواعظ المؤثرة؟

الجواب: نعم يؤخذ من الآية لزوم مبالغة المرشد في إيضاح الحق وبيانه في المواعظ والمجالس على قدر وسعه ومبلغ علمه؛ لأن الله أخذ على المؤمنين أن يتأسوا برسول الله ﷺ في أعماله وأقواله.

(٣) –**سؤال:** ما معنى «بإذن الله» هنا؟

الجواب: المعنى بأمر الله للمبعوث إليهم بطاعته.

(٤) –**سؤال:** ما معنى «إذ» في قوله: ﴿إِذْ ظَلَمُوا﴾؟

=

كان الأفضل لهم مكان التمرد والعصيان أن يأتوا إلى النبي ﷺ، ويعتذروا إليه، ويستغفروا الله، ويطلبوا النبي ﷺ أن يستغفر لهم؛ إذاً لو فعلوا ذلك لغفر الله لهم ذنوبهم، وأدخلهم في رحمته، وسعدوا في الدنيا والآخرة، وهو المراد بقوله: ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا۝٦٤﴾، ولكن المعصية لا تهمهم إذا فعلوها، ويستصغرونها ويحتقرونها، ولا يحسون في أنفسهم بالذنب حتى يستغفروا ويطلبوا من الرسول أن يستغفر لهم.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾(١) أخبر الله تعالى النبي ﷺ أنهم لن يؤمنوا إلا إذا تحاكموا عندك، وتركوا المحاكمة إلى الطاغوت؛ فإذا تحاكموا إلى الطاغوت- فاعلم أنهم ليسوا بمؤمنين.

الجواب: معنى ﴿إِذْ ظَلَمُوا﴾: حين عصوا الله تعالى فيما مضى، فهي ظرف للزمان الماضي.

سؤال: من أين جعلت الآية دليلاً على التوسل؟

الجواب: تفيد الآية أن دعاء الرسول ﷺ وسيلة إلى الله، وسبب في مغفرة ذنب من فزع إليه ﷺ من ذنبه، ومن هنا كانوا يفزعون إليه ﷺ إذا أجدبوا و..إلخ، وذلك يدل على أن الرسول ﷺ وسيلة إلى الله.

(١) —**سؤال:** ما فائدة قوله: «فلا» مع «وربك»؟

الجواب: فائدة «لا» مع القسم هي تأكيد القسم وتأكيد جوابه وتقويته، وقد وردت في القرآن كثيراً: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ۝١﴾ [القيامة]، ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ۝١٦﴾ [الانشقاق]، ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ۝٧٥﴾ [الواقعة]، ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ۝٣٨﴾ [الحاقة]، و..إلخ.

سؤال: هل يشمل قوله: ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ الاختلاف في المسائل الدينية؟

الجواب: يشمل: ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ كل خلاف سواء الديني والدنيوي، ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء:٥٩]، فقوله: «في شيء» مطلق يصدق على كل شيء حصل فيه نزاع وخلاف ويعمه على سبيل البدل.

﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴿٦٥﴾﴾ ولا يتضايقون من حكمك فيما بينهم ويقبلونه بكل ارتياح؛ فهذا شرط في إيمانهم، وهو أن يقبلوا حكمك بارتياح ورضاً وتسليم(١).

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أخبر الله تعالى المسلمين والنبي صلى الله عليه وآله وسلم بقدر إيمانهم لو أن الله كتب على المنافقين: ﴿أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾(٢) يعني لما امتثلوا أمر الله لو أمرهم بهذا.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ كانوا متمردين على الله تعالى فكلما أمرهم الله ورسوله بأمر أو نهاهم عن شيء- تمردوا عليه وخالفوه وعصوه واستهزأوا به، فلو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان أفضل لهم من التمرد والعصيان، ولصار لهم قدر عند الله ولعلا شأنهم، وارتفعت درجاتهم في الدنيا والآخرة.

﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴿٦٦﴾﴾ ولكانوا أرسخ إيماناً، ولكانوا ثابتين على الهدى، ولما تزلزلوا، ومالوا من يمين إلى شمال، ولما هاجت بهم الفتن، ولكنهم لما لم يؤمنوا كانوا على هذا الحال مضطربة قلوبهم خائفة قلقة، ومنتظرين ماذا ينزل عليهم من الغضب والسخط.

---

(١) –**سؤال:** قد يجد المحكوم عليه أحياناً ضيقاً نفسياً من الحكم عليه، فهل قد دخل في هذا الوعيد؟

الجواب: إذا قبل ورضي فلا يدخل في الوعيد، ولا يعاقب على ما يجده في نفسه؛ لعدم قدرته على إزالته، ولكن عليه أن يجاهد الطبيعة، ولا يميل إليها ولا يطاوعها، ولولا وجود طبيعة الهوى والشهوة في المكلف لأطاع الناس جميعاً. والمقصود بقوله: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ﴾ لا يجدوا في أنفسهم ضيقاً وشكاً من قضائك فيهم، بل عليهم أن يؤمنوا ويوقنوا بأنك قضيت بالحق والعدل.

(٢) –**سؤال:** كيف استثنى القليل ألِأَنهم يمتثلون؟ فكيف وهم من المنافقين؟

الجواب: نزلت الآية في المنافقين، والاستثناء يدل على أن قلة قليلة من المنافقين سيحسن إسلامهم، ويصدقون في إيمانهم، ويخلصون في أعمالهم.

﴿وَإِذًا لَآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴿٦٧﴾﴾ ولو أطاعوا الله ورسوله ﷺ لأعطاهم الله ثواب الدنيا وثواب الآخرة، وكانوا من أهل الشرف الرفيع.

﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴿٦٨﴾﴾ ولوفقناهم لسلوك طريق الحق.

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴿٦٩﴾﴾(١) وسيجعل الله أهل الطاعة في صف هؤلاء الأنبياء والصديقين والشهداء، ويدخلهم الله مداخلهم في جنات النعيم.

﴿ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا﴿٧٠﴾﴾ ذلك هو العطاء العظيم والفضل الكبير الذي لا ينقطع، والشرف الرفيع الدائم الذي يعطيه الله لأهل طاعته وطاعة رسوله ﷺ، وكفى بالله عليماً: فهو تعالى عالم بالمؤمنين الصادقين المخلصين، وعالم بمن يستحق ذلك الثواب العظيم والفضل الكبير.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ أمر الله المؤمنين بأن يأخذوا حذرهم من أعدائهم؛ لأن أعداء الإسلام كانوا محيطين بالمدينة من كل مكان اليهود، والمشركين، وكان المنافقون بين أوساطهم، وكلهم فاتحون أفواههم لالتهام الإسلام والمسلمين،

---

(١) —**سؤال:** ما إعراب قوله: «رفيقا»؟

الجواب: تعرب تمييزاً لبيان وجه الحسن المنسوب إلى أولئك.

سؤال: ما هو الإنعام الذي خص به هؤلاء الأنبياء؟

الجواب: خصهم الله تعالى بالنبوة والعصمة، والقرب القريب من الله، والأجر الجزيل، والرفعة الرفيعة في الدنيا والآخرة و..إلخ، وليس المراد أن المطيع لله ورسوله يكون في منازلهم وفي مثل ما هم فيه من الكرامة والتعظيم، وإنما المراد أنه سيكون معهم وفي رفقتهم كما يكون في الدنيا من مرافقة الوزير والجندي والصديق والقاضي وغيرهم للإمام والسلطان، يجلسون معه في مجلس واحد، ويصحبونه في الطريق، ويتحدثون معه ينبسط لحديثهم، وينبسطون لحديثه، و.. إلخ.

ومتحينون للفرصة لاستئصالهم، والقضاء عليهم؛ فنبه الله المؤمنين بأن يكونوا على حذر شديد من أعدائهم، وفي غاية اليقظة والاحتراز.

﴿فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا﴿٧١﴾﴾ إذا دعاكم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى النفار في سبيل الله فانفروا جماعة بعد جماعة، أو انفروا كلكم جميعاً على حسب ما تقتضيه المصلحة.

﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾ أيها المؤمنون، إن بين أظهركم أناساً يثبطون الناس عن النفير في سبيل الله، وهم المنافقون وضعيفو الإسلام.

﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴿٧٢﴾﴾ أولئك المثبطون إذا حصل على المسلمين هزيمة أو قتل قال: الحمد لله قد أنعم الله علي حين لم أكن معهم فأقتل.

﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ﴾ غنيمة وظفر على المشركين.

﴿لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَالَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ﴾ يتأسف ويتحسر على ما فاته من الغنيمة، وقد كان بوسعه أن يظفر منها بنصيب؛ لأنه من المسلمين الذين دعاهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى النفير في سبيل الله، إلا أن نفاقه وضعف إيمانه حبسه عن الاستجابة لدعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

﴿فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴿٧٣﴾﴾ بالغنيمة والأموال فيكثر التأسف على ما فاته من الغنيمة والنصر والشرف.

وقوله: ﴿كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾[1] معناها أنه يقول ذلك القول

(١) –**سؤال:** هل جملة: ﴿كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ معترضة بين القول ومقوله؟

الجواب: نعم هي كذلك معترضه بين القول ومقوله، وفائدة الاعتراض السخرية والتهكم والتعجب من حيث أن تحسرهم في غير موضعه؛ لأن الذي يتحسر على فوات شيء في العادة هو من لا علم له به ولا بأسبابه، أما المنافقون فقد كانوا على علم بخروج المؤمنين لقتال أعدائهم، وكان في إمكانهم أن يخرجوا معهم.

وهو: يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً- كقول الذي يتمنى وهو ليس من المسلمين، أي: أن حال هذا الضعيف الإسلام كحال الذي ليس بمسلم، مع أنه ليس ممنوعاً من الذهاب معهم، والحصول على الغنيمة ما دام يدعي الإسلام.

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾[1] أمر الله أولئك الموقنين بثواب الآخرة بالقتال في سبيله، وهم الذين يستجيبون لأمر الله ويأتمرون بأمره أما المنافقون فلا يستجيبون.

﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٧٤﴾ يعني في الحالين سوف يؤتيه الله أجراً عظيماً، سواء قتل أو انتصر.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾[2] تثاقل المسلمون حين دعاهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ للنفير في سبيل الله واستنقاذ المستضعفين في مكة من الرجال والنساء والولدان الذين لم يستطيعوا الهجرة من تحت سلطان قريش وقهرهم وتعذيبهم بسبب إيمانهم فعاتبهم الله على تثاقلهم واستنكر عليهم تباطؤهم على نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهو يدعوهم للنفير ويحثهم على الخروج في سبيله.

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ وقد كان مستضعفو المسلمين في مكة يدعون الله أن يستنقذهم من أهل مكة وأن يخرجهم من بين أظهرهم.

---

(١) —**سؤال:** ما معنى «يشرون» وما فائدة التعبير به؟

الجواب: معنى «يشرون»: يبيعون أنفسهم من الله، وثمن ذلك هو ثواب الآخرة، والتعبير بذلك يفيد أن بذل المقاتلين لأنفسهم في سبيل الله صادر عن رغبة في بذل أنفسهم في مقابل ثواب الآخرة، كرغبة البائع في بذل المبيع للحصول على ثمنه.

(٢) —**سؤال:** ما إعراب جملة «ما لكم»، وجملة «لا تقاتلون»، وكذا «المستضعفين»؟

الجواب: «مالكم» ما: مبتدأ، ولكم: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر، وجملة «لا تقاتلون»: لا محل لها من الإعراب، مستأنفة لبيان وجه الاستنكار في «مالكم». والمستضعفين: معطوف على لفظ الجلالة أي: في سبيل الله وسبيل المستضعفين.

﴿وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ أي: اجعل لنا من عندك ناصراً يا رب يستنقذنا من أيدي المشركين[١].

يحث الله المسلمين هنا؛ لأجل أن يتنشطوا ويهتموا ويذهبوا إلى القتال في سبيله، وفي استنقاذ إخوانهم المحاصرين في مكة.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ فالمؤمنون يقاتلون لإعلاء كلمة الله، وأولئك اليهود والمشركون يقاتلون لإعلاء كلمة الطاغوت، والطاغوت: هو كل ما عُبِد من دون الله.

﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾[٢] أمر الله المؤمنين بقتال أنصار الباطل وجنود إبليس.

﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[٣] أخبرهم الله بذلك لأجل أن يتشجع المسلمون وتزيد عزائمهم؛ فإذا رأى المشركون منكم صدق العزم على القتال- خافوكم وكفوا عن مضايقتكم وضعفوا عن مقاتلتكم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾

---

(١) -**سؤال:** هل معنى الجملة الأولى «ولياً» كمعنى الجملة الثانية التي بعدها؟

الجواب: الجملتان متقاربتان في المعنى، إلا أن الجملة الأولى فيها زيادة معنى الحفظ، وذلك أن الولي يحفظ أهل ولايته ويحوطهم.

(٢) -**سؤال:** هل يؤخذ من قوله: ﴿أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ أن المقصود بالطاغوت: الشيطان؟

الجواب: يؤخذ منها ذلك لأن الشيطان هو الذي زين للمشركين عبادة الأصنام، ودعاهم إلى الكفر بالله وبرسوله.

(٣) -**سؤال:** هل المراد أن الحيل والمكر التي يلقيها إليهم الشيطان ضعيف؟

الجواب: المراد بكيد الشيطان هو: ما يلقيه بوساوسه من الحيل والمكر في قلوب أوليائه، وذلك ضعيف بالنسبة إلى قوة الله ونصره لجانب أوليائه المؤمنين.

في أول الإسلام أمر الله المسلمين أن يكفوا عن القتال، وأن يصبروا، ومكثوا على ذلك فترة طويلة، وكانوا يتمنون القتال حينها، ثم إن الله أمرهم بعد ذلك بالقتال، فحين أمرهم به تراخوا عنه بعدما كانوا يتمنونه، وأصبحوا يخشون الناس والقتال أشد من خشية الله(١).

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ﴾(٢) معترضين على الله حين أمرهم بالقتال وشرعه لهم وقد كانوا من قبل يطلبون الإذن لهم بالقتال.

﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ وقالوا: لو أنك يا ربنا أخرت الأمر بالقتال إلى وقت قريب، يقولون ذلك تهرباً من الجهاد والقتال في سبيل الله لضعف إيمانهم.

---

(١) –**سؤال:** هل المراد بالآية تعجيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من هؤلاء وحالهم؟

الجواب: المراد بالآية تعجيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين من حال أولئك الذين أظهروا الحماسة لقتال المشركين وتشوقوا له في أول الأمر قبل أن يأمر الله به، ثم لما كتب الله عليهم القتال جبنوا واستولى عليهم الخوف الشديد من قتال المشركين، وكانوا كما وصفهم الله ﴿يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾.

(٢) –**سؤال:** ظاهر الآية السابقة إنما هو قول فريق منهم، فلماذا تناول العتاب جميعهم؟

الجواب: كانوا جميعاً على رأي واحد وصفة واحدة، إلا أن فريقاً منهم أظهر أمره وكشف عما في نفسه، وعجز عن إخفاء فزعه وجزعه، وقد كان المنافقون على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنواعاً:

- أظهروا نفاقهم واشتهروا به بين المسلمين.
- أسروا نفاقهم ولم يظهروه إلا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعرف عليهم بفلتات ألسنتهم: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد:٣٠].
- أسروا نفاقهم وتكتموا عليه، وتحفظوا غاية التحفظ، فلم يظهر منهم ما يدل على نفاقهم، ولم يستطع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يتعرف عليهم مع ما هو عليه من زكاء الفطرة وحدة الفطنة، فهو صلى الله عليه وآله وسلم أزكى البشر عقلاً وأعلاهم فطنة صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين، ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ...﴾ الآية [التوبة:١٠١].

﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴿٧٧﴾﴾ أمر الله النبي ﷺ بأن يقول لهم بأن الحياة الدنيا والعيش عليها قليل، والأفضل لكم أن تطلبوا الحياة الآخرة بطاعة الله وطاعة رسوله، والامتثال لأمر الله، ولن يظلمكم الله شيئاً، وسيوفيكم أجوركم على الجهاد، لا ينقصكم عليه شيئاً حتى على الخطوة تخطونها: ﴿وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ [التوبة:١٢٠]، وقد مر تفسير الفتيل.

وكان سبب أمرهم بالكف عن القتال- هو أنهم كانوا في أول الإسلام قلة قليلة، فلو أمرهم الله بالقتال وهم على هذه الحال من القلة لاستأصلتهم سيوف المشركين؛ فاستبقاهم النبي ﷺ لأجل أن ينشروا الإسلام، ويعلموا الناس، ولم يأمرهم بالقتال إلا حين كثروا وازدادوا حتى لو قتل منهم من قتل فالإسلام في مأمن، ولا زال هناك من يحمله ويبلغه إلى الناس وينشره.

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ قدرة الله تعالى محيطة بالإنسان لا يستطيع الهرب من قدرة الله فسيأتيه الله تعالى بالموت حيثما كان من الأرض ولو كان مختبئاً في مبنى محكم البنيان أصم لا نافذة له ولا باب؛ فلن ينفعكم القعود والتهاون عن القتال.

﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ كان المنافقون وضعاف الإيمان إذا أصابهم خير ونعمة قالوا: هذه من عند الله، وإذا أصابتهم المصائب من نقص الأموال والأنفس والثمرات قالوا: هذه بسبب شؤم محمد، ولم نر هذا إلا من حين جاءنا محمد ونزل بلادنا، وبسبب شؤمه، وهذا هو المراد بالحسنة والسيئة هنا.

﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ فهو الذي يأتي بالخير والشر، والشر هو الخوف والفقر ونقص الأموال والثمرات والمرض والضعف والموت والهموم، ونحو ذلك مما يصيب الإنسان في نفسه وولده وأهله وماله، أما المعاصي والفسوق فالإنسان هو الذي يفعلها ويصيبها وليست هي التي تصيب الإنسان، والآية تتحدث عما أصاب

الإنسان لا عما يصيبه الإنسان.

﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾[1] فما علة هؤلاء القوم لا يفهمون ولو بالغنا في تفهيمهم، ولا يتنبهون ولو واصلنا لهم التنبيه؟

﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ ما وصلك من خير فهو من الله.

﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾[2] وما لحقك أيها الإنسان من مكروه فهو بسبب معصيتك، ولو أطعتم الله لأرسل لكم خيرات السماء، وفجر لكم بركات الأرض، ولكنكم استرسلتم في عصيان الله فأصابكم ما أصابكم من المصائب بسبب ذنوبكم؛ جزاءً من الله وعقاباً.

---

(١) –**سؤال:** ما إعراب: ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ﴾؟ وكذا إعراب: ﴿لَا يَكَادُونَ﴾ يعني الجملة؟

الجواب: «مَالِ هَؤُلَاءِ» ما: اسم استفهام مبتدأ، والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، وجملة ﴿لَا يَكَادُونَ﴾: لا محل لها من الإعراب جيء بها لبيان وجه الاستنكار في الجملة التي قبلها وهي جواب لسؤال مقدر.

(٢) –**سؤال:** إذا كانت السيئة والخير من الله فما وجه قوله بعدُ: ﴿فَمِنْ نَفْسِكَ﴾؟

الجواب: الخير والشر من الله سبحانه وتعالى، إلا أن الشر والخير وإن كانا من الله يحصلان بسبب من الإنسان قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف]، وقال سبحانه: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى:٣٠]، ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح]. والمراد بالحسنة في الآية: الخير الذي يعطيه الله للإنسان مثل الصحة والسلامة وطول العمر والأمن وكثرة الأمطار وغزر الأنهار وصلاح الثمار وكثرة المال وكثرة الأرباح وأسباب المعاش و.. إلخ، والمراد بالسيئة: شح الأمطار وغور مياه الآبار والأنهار ونقص المال ونقص الأنفس والثمرات والأمراض والخوف و.. إلخ. ولا يدخل في الآية فعل الطاعات ولا فعل السيئات؛ لأن الله تعالى قال: ﴿مَا أَصَابَكَ...﴾ ولم يقل: وما أصبتم.

﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا۝٧٩﴾ ولم نرسله لكم ليأتيكم بالبلاء والوباء كما تزعمون، وهو تعالى مطلع على أعمال الناس جميعاً خيرها وشرها، وسيجازي كلاً على عمله، والله شاهدٌ على أعمالكم أيها الناس وسيجازيكم عليها.

﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ فطاعته من طاعة الله.

﴿وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا۝٨٠﴾ فمن لم يطعك منهم فاتركه ولست المسؤول عنه فيكفيك أن تبلغهم والله سيجازيهم.

عانى النبي والمسلمون من المنافقين وغيرهم، وكانوا لا زالوا قلة لولا تأييد الله لدينه ونصره لنكبوا الدعوة ولقضوا على الرسالة، وكان المنافقون هم الأغلبية في الساحة، وكلما أمر النبي ﷺ بالقتال بدأ هؤلاء بتثبيط المؤمنين وحط عزائمهم.

﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾ كانوا إذا جمعهم النبي ﷺ وأمرهم قالوا: نحن مستعدون ومطيعون وسنفعل وسنفعل.

﴿فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ﴾ أي: خرجوا.

﴿بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ قالوا كلاماً غير ذلك الذي قالوه عندك من الالتزام بما أمرتهم من الطاعة.

﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾[1] وسيجازيهم على نفاقهم.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ فلا تؤاخذهم، وتجاهَلْهم، وعاملْهم يا محمد مثلما تعامل المسلمين والله سيؤيد دينه وسينصره.

---

(١) –**سؤال:** ما معنى التبييت؟ ومن هو فاعل «تقول» هل النبي أو الطائفة؟

الجواب: التبييت من البيتوتة وهي: الجلوس في البيت ليلاً، وذلك أصلح للتفكير العميق، وأجود للوصول إلى الرأي المناسب. وفاعل تقول هو النبي ﷺ أو الطائفة، فالكلام محتمل للأمرين، ويجوز تقدير أيهما، والتفسير جاء على أن الطائفة هي الفاعل.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ والجأ إلى الله وهو الذي سينصرك، فلا تهتم لكيد المنافقين فالله كافيك كيدهم. ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ فمن توكل عليه كفاه.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ استنكر الله تعالى على المنافقين إعراضهم عن التدبر للقرآن، فلو أنهم نظروا فيه وتدبروه لزالت عنهم الشكوك، ولذهب الريب، ولتبين لهم الحق واستوضحوا سبله.

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ لو كان القرآن من عند غير الله -أي: من كلام البشر- لوجدوا فيه اختلافاً في البلاغة من سورة لسورة ومن آية لآية كما هو المعروف في كلام العرب وقصائدهم، فترى أجود قصائدهم تختلف أبياتها في البلاغة، وقد لا يكون في القصيدة من أشعارهم إلا بيت أو بيتان أو ثلاثة تكون بليغة وبديعة وسائر القصيدة بخلاف ذلك، وتشتهر القصيدة بسبب تلك الأبيات القليلة (بيت القصيد)، أما القرآن فبلاغة آياته في أعلى درجات البلاغة لا تختلف بلاغته من آية لآية ولا من سورة لسورة، وهكذا فإن معانيه وأخباره لا تختلف ولا تتناقض؛ فلماذا لا تنظرون فيه وتدبرونه حتى تستيقنوا أنه كلام الله.

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ إذا خرجت سرية للمسلمين أو نحوها- قاموا بالإرجاف في المدينة، وتخويف الناس، وأنه قد حصل على المسلمين، وحصل...، وحصل[1]...

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ أي: الخبر هذا الذي أذاعوه لو تركوه للرسول ولأهل البصائر[2]- لعرفوا كيف مصدر الخبر هذا ومصداقيته.

---

(١) -**سؤال:** هذا في أمر الخوف، فكيف يرجفون في أمر الأمن؟

الجواب: قد يترتب على إذاعة أمر الأمن بعض التراخي، ويحصل ترك شيء من الحذر والاحتياط.

(٢) -**سؤال:** هل يصح أن يحمل معنى الآية: لعلم أهل البصائر المصلحة فيُنشَر الخبر، أو علموا المفسدة فلا ينشر؟

=

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٣﴾ يُذَكِّر الله المسلمين: لولا فضل الله عليكم، وإرساله الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إليكم يعلمكم شرائع دينكم- لكنتم في الشرك والكفر، والجهل والضلال(١).

﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ فقاتل يا محمد فلست مسؤولاً إلا عن نفسك؛ فإذا أمرك الله بالقتال فقاتل؛ خرج معك من خرج، والله هو الذي سيؤيد دينه وينصره، أما أولئك المنافقون فما ضروا إلا أنفسهم.

﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وحثهم على القتال.

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فالله هو الذي سيمنع قوة الكافرين وبأسهم وقتالهم، ولا حول لكم أيها المؤمنون ولا قوة إلا بقوة الله وتأييده ونصره(٢).

﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا ۝٨٤﴾ أي: أشد صولة وأعظم سلطاناً من المشركين وأبلغ تعذيباً، فتوجهوا بطاعتكم إليه وأسندوا ظهوركم إليه واعتمدوا عليه فقوته فوق

الجواب: يصح ذلك وهو مراد ومقصود في الآية.

سؤال: هل يؤخذ من الآية لزوم استشارة العلماء وأهل البصائر حتى في أبسط الأمور كنشر الخبر أو كتمه؟

الجواب: يؤخذ من الآية لزوم ذلك فيما يتعلق بأمور المسلمين العامة، وما له دخل في سياسة سلطانهم ورجال دولتهم، وفيما يتعلق بعلماء الدين وعظماء المسلمين، ونحو ذلك.

(١) – **سؤال:** هل يصح أن يحمل فضل الله ورحمته على عدم مؤاخذتهم على الأغلاط التي ارتكبوها، نحو الإرجاف ونشر الأخبار؟

الجواب: يجوز أن يكون فضل الله كما ذكرتم، ولا مانع منه، بل ولا مانع من تفسيرها بالأمرين جميعاً.

(٢) – **سؤال:** أحفظ عن الإمام زيد أن كلمة «عسى» في القرآن للإيجاب والقطع لا للترجي، فما وجهة نظركم في ذلك؟

الجواب: الأمر كما روي عن الإمام زيد عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهي من الله تعالى وعد صادق لا يخلف الله الميعاد.

كل قوة، والتنكيل: المبالغة في التعذيب بما يحصل معه الزجر للغير والاعتبار.

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾ فمن سعى في عمل خير لينفع به الناس بحيث يكون واسطة في ذلك حصل له قسطه من الثواب حتى أنه لو دل عليه فقط وغيره هو الذي عمله- لحصل له ثوابه.

ومن سار في مضرة على المسلمين وسعى فيها، ولو لم يفعل شيئاً- لحصل له قسطه من العذاب، والنصيب والكفل معناهما واحد.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾[1] شهيداً على كل شيء وحسيباً ورقيباً يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وسيلقى كل مكلف جزاء عمله.

﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ فإذا أكرمك أحد بكرامة[2] فجازه بمثلها أو بأكثر منها، وفسروها بأنه إذا قيل لك: السلام عليكم، فرد بـ(عليكم السلام ورحمة الله وبركاته) أو بـ(عليكم السلام)؛ بمثلها أو بأحسن منها.

---

(١) –**سؤال:** هل يصح أن نفسر قوله: «مقيتا» بالمقتدر أو الحفيظ؟

الجواب: فسرها الزمخشري بقوله: مقيتاً: شهيداً حفيظاً، وقيل: مقتدراً.

(٢) –**سؤال:** من فضلكم ما وجه حملها على الكرامة أو الهدية مع السلام؟

الجواب: من حيث أن الآية دلت على مقابلة الإحسان بالإحسان أو أحسن منه، ومقابلة التحية بالتحية أو بأحسن منها هو الأصل، وألحق بها غيرها من وجوه الإحسان ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن].

سؤال: من أين أخذ أن الابتداء بالتحية سنة فقط؟

الجواب: الآية دليل على وجوب الرد، ولم يرد دليل على وجوب ابتداء السلام أو التحية، والأصل عدم الوجوب.

سؤال: هل «صباح الخير» ونحوها تحية شرعية أم لا؟

الجواب: الآية مطلقة تصدق على ما يسمى تحية، سواء كانت شرعية أم عرفية.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴿٨٧﴾﴾[١] فسيجمع الله المؤمنين والمنافقين وأهل الكتاب والمشركين يوم القيامة، وسيحكم بينهم، وسيأخذ كل امرئ جزاءه، ولا بد أن يقع هذا، لا ريب فيه ولا شك.

كان هناك منافقون خارج المدينة قد أسلموا في مكة وأبوا أن يهاجروا، وهم متمكنون من الهجرة، وهم غير المنافقين الذين كانوا في المدينة، وقد اختلف المسلمون في أمرهم فناس يقولون بأنهم مؤمنون، وناس يقولون إنهم منافقون فقال الله تعالىٰ: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾[٢] ما لكم اختلفتم في المنافقين إلىٰ فئتين؟ استنكر الله عليهم ذلك الاختلاف، ولماذا لا تكون الكلمة واحدة، ويقولون جميعاً إنهم منافقون، وهم كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ وقد تركهم الله في الكفر بسبب ذنوبهم، وأصل الركس: رد الشيء مقلوباً إلا أنا فسرناه بتركهم في الكفر ليتناسب مع عظمة الله وقدسيته؛ لأنه لا يرضىٰ الكفر ولا يريده.

﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ أتنسبونهم إلىٰ الهدىٰ وهم ضالون، ولو كانوا مؤمنين لبادروا إلىٰ طاعة الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴿٨٨﴾﴾ فمن حكم الله عليه بأنه ضال

---

(١) –**سؤال:** ما إعراب «حديثاً»؟

الجواب: حديثاً: منصوب علىٰ أنه تمييز لوجه نسبة الصدق إلىٰ الله.

(٢) –**سؤال:** لو تكرمتم بإعراب المقطع كاملاً: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾؟

الجواب: «ما لكم» ما: مبتدأ، لكم: جار ومجرور خبر. و«فئتين» حال من الضمير في لكم، والعامل فيه متعلق الجار والمجرور. و«في المنافقين»: جار ومجرور متعلق بـ«فئتين» لأنه في قوة: افترقتم.

ومنافق- فلن تجد له طريقاً إلى الهدى[1].

﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ أي: أولئك المنافقون الذين في مكة يتمنون أن تكفروا وتصيروا مثلهم.

﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ واعتبروهم أعداءً حتى يلحقوا بكم إلى المدينة مهاجرين.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ وأبوا الهجرة؛ ﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴿٨٩﴾﴾ فلا زالوا كفاراً لم يسلموا فاقتلوهم[2].

﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ إلا إذا وصلوا عند ناس بينكم وبينهم صلح فلا تقتلوهم حرمة للعهد الذي بينكم وبين القوم[3].

---

(١) - **سؤال:** يقال: قد يستدل أهل الجبر بهذا لعدم خروج أربابه من الضلال فكيف نرد عليهم؟

الجواب: هذه الآية مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴿٦﴾﴾ [البقرة]، فأخبر الله عن الذين كفروا أنهم لا يؤمنون لعلمه بأنهم لن يزالوا مصرين على الكفر والتمرد، وعلم الله تعالى لا تأثير له في إصرارهم على الكفر؛ لذلك فحكم الله الذي ذكرناه يراد به الإخبار عن الضالين بأنهم لن ينفكوا عن ضلالهم، وليس لعلم الله تعالى تأثير في ضلالهم وإصرارهم، وليس حكمه تعالى بضلالهم إلا الإخبار بأنهم لا ينفكون عنه ولن يخرجوا منه، لإصرارهم وعنادهم وتمردهم وقساوة قلوبهم.

(٢) - **سؤال:** يقال: بأن في الآية دليلاً على قتل المنافقين؟ فمتى طُبِّق هذا الحكم من رسول الله ÷؟

الجواب: هذه الآية دليل على قتل الذين أسلموا ولم يهاجروا مع انتفاء الأعذار التي يعذرون بها عند الله، وقد قاتلهم النبي ÷ يوم بدر، ولم يعذر النبي ÷ العباس. أما المنافقون الذين هاجروا فلم يقاتلهم النبي ÷، ولم يأمر بقتالهم؛ لأنهم قد عصموا دماءهم بإظهار الإسلام والهجرة.

(٣) - **سؤال:** هل يمكن أن يكون هذا دليلاً على أن المصلحة تترك إذا عارضتها مفسدة راجحة، فقتلهم مصلحة لكنه عارضه نقض العهد وهو مفسدة ظاهرة؟

الجواب: الأمر كذلك، وفي الآية ما يدل على ذلك.

﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ[١] أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ أو أتوا إليكم مستسلمين ضائقة صدورهم، وقد جبنوا عن قتالكم، وعن قتال قومهم- فاتركوا قتالهم فقد كفيتم شرهم.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ وهؤلاء هم المنافقون؛ لكن الله قد ألقى في قلوبهم الرعب فجبنوا عن[٢] قتال المسلمين، وعن قتال الكافرين؛ لأنهم كانوا في الوسط بين الإيمان والكفر.

﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ استسلموا، وقالوا: لسنا مقاتلين لكم، ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴿٩٠﴾﴾ فاتركوهم لشأنهم ولا تتعرضوا لهم بما يؤذيهم من قتال أو غيره.

ثم خاطب الله المسلمين فقال: ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ﴾ من هؤلاء المنافقين ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾ يريدون أن تتركوهم وكذلك يريدون أن يتركهم قومهم أيضاً.

﴿كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا﴾ كلما دُعُوا إلى الشرك أشركوا؛ لأن إيمانهم كان ضعيفاً، ومعنى «أركسوا فيها»: انقلبوا في الفتنة شرَّ منقلب.

﴿فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ﴾ أي: هؤلاء القوم إن لم يعتزلوا قتالكم.

---

(١) -**سؤال:** ما إعراب: ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾؟

الجواب: حصرت صدورهم: فعل وفاعل، و«أن» وما دخلت عليه: في تأويل مصدر مجرور بحرف جر محذوف تقديره: عن مقاتلتكم، وجملة «حصرت صدورهم» في محل نصب حال مع تقدير «قد».

(٢) -**سؤال:** كيف يتأتى التسليط من الله للمنافقين على المسلمين؟

الجواب: جعل الله تعالى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين هيبة في صدورهم وفي صدور غيرهم، والتسليط يكون بنزع الهيبة من صدورهم من غير أن يؤيدهم بنصره ويمدهم بمعونته؛ لأن الله تعالى لا يحب الكفر والكافرين.

﴿وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ ولم يأتوا إليكم مستسلمين.

﴿وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ فأينما وجدتموهم فاقتلوهم.

﴿وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴿٩١﴾﴾ فقد سلطناكم عليهم فاقتلوهم، والسلطان المبين هو: ما جعل الله تعالى للمؤمنين من الحجة الواضحة في أخذهم وقتلهم.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾(١) ما ينبغي لمؤمن أن يقتل مؤمناً، ولا يُتَوَقع ذلك منه ولا يتأتى؛ لأن المؤمنين إخوة، ودم المسلم على المسلم حرام إلا على جهة الخطأ.

﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً﴾ فإذا حصل قتل الخطأ ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ يعتقها القاتل كفارة لذلك.

﴿وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا﴾ إلا إذا سامحوا وعفوا عنها.

﴿فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ إذا قتل المسلم مسلماً على سبيل الخطأ لكن ذلك المسلم المقتول لا زال بين الكفار، ولا زال أهله كفاراً لا يصح أن يعطيهم الدية لأجل كفرهم- فيكفي تحرير رقبة مؤمنة وتسقط الدية.

---

(١) –**سؤال:** مم استثني قوله : «إلا خطأً»؟

الجواب: قد أعربوا ذلك على وجوه منها: أن الاستثناء مفرغ فيكون المستثنى منه مقدراً محذوفاً.

سؤال: هل يصح أن يحمل على ما قال أهل العربية: «ولا خطأً»؟

الجواب: إذا أمكن حمل ذلك على وجه قوي في اللغة فلا ينبغي العدول عنه إلى وجه ضعيف، وقد أمكن هنا الإعراب على وجه قوي.

سؤال: ما فائدة التعبير بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ...﴾إلخ؟

الجواب: في هذا التعبير تأكيد لمنع المؤمن ونهيه عن قتل مؤمن، وجاء التأكيد من دخول «كان».

- وفيه أن قتل المؤمن منافٍ للإيمان.

﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ عهد وصلح وسلم، ولو كان من اليهود أو من النصارى أو من المشركين.

﴿فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ فأما هؤلاء فلا بد من الدية وتحرير رقبة مؤمنة؛ لأجل العهد الذي بيننا وبينهم، ولأجل حرمة العهد والميثاق؛ لأن دمه قد صار محرماً بسبب العهد.

﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ رقبة يعتقها كما في وقتنا هذا.

﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ لا بد من التتابع بدل الرقبة.

﴿تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾[1] شرع الله هذا الشرع وأمرهم بهذا لأجل حكمة في ذلك منه جل وعلا؛ لأنه عليم حكيم فهو عالم بما يصلح عباده؛ لأن الفاعل على هذا الوجه إذا علم ما الذي سيحصل عليه إن فعل ذلك- تحرز عن الأسباب التي يحصل قتل الخطأ بسببها كتخفيف السرعة في السيارات مثلاً وغير ذلك.

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ

---

(١) –**سؤال:** ما الوجه في جعلها توبة مع أنه خطأ؟ وعلام نصب «توبة»؟

الجواب: هذه التوبة ليست من حصول القتل خطأً؛ لأن الخطأ معفو عنه، وإنما هي من التقصير في التحرز والاحتياط والتثبت والتحقق، فمثلاً السرعة وإن كانت مباحة إلا أنها لا تجوز إلا بشرط أن لا يترتب عليها الإضرار بأحد، فإذا حصل بها إضرار بأحد فقد تحقق ترك التحرز. وتوبة: مصدر منصوب مؤكد لما تضمنته الآية من تحديد الكفارة وأنواعها التي أوجبها الله تعالى على قتل الخطأ.

سؤال: ما الوجه لأهل المذهب في إيجاب الكفارة على المباشر دون المسبب؟

الجواب: الوجه أن المسبب ليس قاتلاً في الحقيقة فإذا وضع رجل حجراً في الطريق أو حفر حفرة فيها فتسبب ذلك في انقلاب سيارة وموت صاحبها، فإن صاحب السيارة هو الذي وقع في الحفرة بفعله، وصدم الحجر بفعله، فهو الذي قتل نفسه في الحقيقة والواقع.

﴿وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ عظّم الله تعالىٰ في هذه الآية إثم قاتل المؤمن عمداً، وبيَّن فيها شدة غضب الله عليه وما يستحق من العذاب العظيم الخالد في نار جهنم؛ فهذا لا كفارة عليه؛ لأنه قد خرج من ولاية الله، واستحق غضب الله وسخطه.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ خاطب الله المؤمنين إذا خرجتم للجهاد في سبيل الله ولقتال المشركين- فلا تقتلوا أحداً حتىٰ تتبينوا وتتثبتوا حتىٰ لا تقتلوا أحداً، ثم ينكشف أنه كان مؤمناً.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ[(١)] لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ[(٢)] عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ إذا أقبل أحد إليكم يريد الإيمان، فلا تقولوا: إنه إنما أقبل إلينا خوفاً منا أن نقتله ونأخذ أمواله، وإنه لم يؤمن حقيقة، وإنما آمن خوفاً من القتل؛ فاقبَلُوا منه ولو كان إنما يقول ذلك نفاقاً؛ كأن ينهزم المشركون مثلاً وبقي منهم ناس بأموالهم لم يفروا وآمنوا- فاقبلوا منهم، ولا تقولوا إنهم إنما آمنوا للسلامة من القتل.

ومثل ما حصل من أسامة بن زيد بن حارثة حين قتل رجلاً وكان قد قال قبل أن يقتله: لا إله إلا الله؛ فقال أسامة بن زيد: إنما قالها خوفاً من السيف، فغضب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من ذلك وقال: ((هل فتشت علىٰ سويداء قلبه، فكيف وقد قال: لا إله إلا الله؟!!)) فإذا قد نطقها فكف عنه، ولو لم يقلها إلا ليدفع عن نفسه.

﴿فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ فسوف يعطيكم الله من عنده فلا تفعلوا وتقتلوا هذا الذي قد قال: لا إله إلا الله؛ لأجل تغنم أمواله.

---

(١) –**سؤال:** هل معنىٰ إلقاء السلام: الاستسلام؟

الجواب: المعنىٰ هو الاستسلام والانقياد، ويجوز أن يراد به تحية الإسلام وهي: السلام عليكم؛ لأنها قرينة وأمارة علىٰ إسلام قائلها.

(٢) –**سؤال:** ما الذي يبتغون من عرض الدنيا بقتلهم للمستسلم؟

الجواب: يبتغون بقتله تغنم ماله.

﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾(١) كنتم مشركين مثلهم ولم تدخلوا في الإسلام إلا بقولكم: لا إله إلا الله، ولم تحصنوا أموالكم وأنفسكم إلا بها.

كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يأمرهم إذا بعث سرية أو نحوها للغزو بأنهم إذا مروا بأهل قرية فلا يبيتوهم، وأن يتريثوا علهم يسمعون أذاناً أو شيئاً يدل على إسلامهم، ويتبينوا حتى يتضح لهم أمرهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴿٩٤﴾﴾ عالم بأعمالكم مطلع على نواياكم؛ فأطيعوا الله في السر والعلن.

﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي(٢) الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إذا بعث جيشاً أو سرية لا يبعث الناس جميعاً، وإنما يترك أناساً منهم لئلا يترك المدينة بغير من يحميها، فقال: ليس سواء من يخرج

---

(١) –هل يصح أن تحمل الآية على أنهم كانوا مثلهم في أنهم إنما أسلموا استسلاماً وخوفاً من القتل؟

الجواب: يصح أن تحمل الآية على أنهم كانوا مثلهم في أن بعضهم إنما أسلموا خوفاً من القتل، وبعضهم أسلم طوعاً، وصار الجميع مسلمين بالنطق بالشهادتين.

(٢) –**سؤال:** ما إعراب «غَيْرُ أُولِي»؟

الجواب: في قراءة الرفع تعرب «غير» صفة أو بدلاً من «القاعدون»، وفي قراءة النصب تكون منصوبة على الاستثناء من «القاعدون»؛ لأنها بمعنى: الذين قعدوا.

سؤال: من أي ناحية كانت هذه الآية دليلاً على أن الجهاد فرض كفاية؟

الجواب: دل قوله تعالى في هذه الآية: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ بدلالة الإشارة على أن الجهاد فرض كفاية؛ إذ لو كان الجهاد فرض عين على القاعد والمجاهد لما وعد الله القاعد المثوبة الحسنى، ألا تراه جل وعلا في غزوة تبوك ذم القاعدين ومقتهم، وأظهر سخطه عليهم؛ لأجل أنه فرض الخروج مع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على المسلمين جميعاً، ولم يرخص إلا لأهل الأعذار الواضحة: ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ [التوبة:٩١].

للقتال، ومن يقعد بل يفضل الله ﴿الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ وهم جميعاً من أهل الصلاح عند الله، والمثوبة عند الله، ولم يدعُ النبي ﷺ الناس جميعاً للغزو إلا في يوم أحد، وجيش العسرة في غزوة تبوك، وأما بقية الغزوات فلم يَدْعُ إلا بعضهم لا جميعهم.

﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ غير المعذور أما المعذور فأجره كأجر المجاهد إذا كان لم يمنعه إلا عذره من الخروج.

﴿دَرَجَاتٍ[1] مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ فهم مفضلون درجات على أولئك القاعدين ولهم مغفرة ورحمة ليس للقاعدين مثلهما.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ تحدث الله عن أولئك المؤمنين الذين امتنعوا عن الهجرة ومكثوا في مكة، وسماهم بقعودهم ظالمين لأنفسهم؛ إذا كان قعودهم لغير عذر، وإنما أقعدهم ضعف الإيمان؛ لأن الله كان قد أمر المؤمنين بالهجرة من مكة عن بكرة أبيهم إلا أهل الأعذار- فقعد ناس منهم وليسوا من أهل الأعذار؛ فإذا توفتهم الملائكة ولم يهاجروا بعد فستسألهم الملائكة: ﴿قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ[2] قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: سوف يعتذرون بهذا العذر، فتقول لهم الملائكة: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ فتفروا بدينكم من بين أظهر المشركين.

---

(١) –**سؤال:** ما إعراب «درجات»؟

الجواب: «درجات» بدل من «عظيماً» في قوله : ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾.

(٢) – **سؤال:** أين خبر: «إن الذين...»؟

الجواب: الخبر محذوف أي: هلكوا، وجملة: ﴿قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ﴾ تبين المحذوف.

سؤال: من فضلكم ما معنى: ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾ تبعاً للإعراب؟

الجواب: المعنى: في أي شيء كنتم، والمراد به التوبيخ. وفيم: جار ومجرور خبر لكان مقدم، وضمير المخاطبين المتصل اسمها.

﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا۝٩٧ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا۝٩٨﴾ إلا هؤلاء الذين هم ضعاف ولا يعرفون طريقاً، ولا يهتدون لها، ويهلكون لو خرجوا بسبب خروجهم، ولا يدرون إلى أين يأوون، فهم معذورون عن الهجرة(١).

والهجرة واجبة في زمان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبعده، ولها تفاصيل؛ إذا خاف المكلف الفتنة على دينه فتجب، أو أن يرغمه أحدٌ على معصية فتجب.

﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا۝٩٩﴾ أي: هؤلاء المستضعفون هم من أهل الرخصة، وقعودهم عن الهجرة معفو عنه.

---

(١) –**سؤال:** ما رأيكم في قول أصحابنا بوجوب الهجرة مع عدم الاستطاعة للنهي عن المنكر بالفعل؟

الجواب: قد يكون المراد بوجوب الهجرة الانتقال من حيث يوجد المنكر إلى مكان آخر كما في الحديث: ((لا يحل لعين ترى الله يعصى فتطرف حتى تغير أو تنتقل))، أما مع عدم الاستطاعة على الهجرة من الدار الكافرة أو العاصية فقد عذر الله تعالى أهل الأعذار الحقيقية في الآية السابقة واستثناهم من الوعيد: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا۝٩٨ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا۝٩٩﴾ [النساء]، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

سؤال: ما رأيكم في مثل زماننا هل يصبح الإنسان من الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا؟

الجواب: لا يجوز حضور المنكر ومشاهدته في كل زمان ومكان، وقد كان الحسنان وعلي بن الحسين وأهل البيت في المدينة في عهد دول بني أمية ولم يخرجوا منها، وكان كثير من أئمة أهل البيت وعلمائهم متخفين في الأمصار التي كانت الدول الظالمة تحكمها بسلطانها، مما يدل على أن الهجرة لا تجب من ديار المسلمين، ولكن بشرط أن لا يحضر المسلم مواضع المنكر، أو أن يحمل على عمل معصية، أو قول باطل، أو أن يكون في عدم هجرته خذلان الحق والمحقين.

﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾[١] يؤمنهم الله تعالى من الضياع؛ لأن بعضهم كان يدور بفكره أنه إذا خرج من مكة سوف يضيع وسيلحقه فقر وحاجة فأمنهم الله تعالى بأن من خرج مهاجراً سوف يجد ما يرغم به أنوف أعدائه من الرزق والسعة وحسن المعيشة.

﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ سوف يكتب الله له ثواب المهاجرين، نزلت في رجل كان قد سمع الأمر بالهجرة، وكان مريضاً؛ فأبى إلا أن يخرج، فحملوه على ناقته؛ فما لبث أن مات بعدما خرج من مكة؛ فنزلت.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا[٢] مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿١٠١﴾﴾[٣] إذا كنتم مسافرين في غزو وواجهتم العدو، وحضرت الصلاة وخفتم

---

(١) – **سؤال:** هل تشمل كل من خرج من بلاده لطلب علم أو إرشاد أو فراراً بدينه؟

الجواب: ظاهر الآية يشمل كل من خرج من بلاده وبيته لعمل صالح يرضي الله: طلب علم، أو إرشاد، أو إصلاح بين الناس، أو قضاء حاجة مسلم، أو صلة رحم، أو ما أشبه ذلك من الأعمال الصالحة.

(٢) – **سؤال:** ما محل: ﴿أَنْ تَقْصُرُوا﴾ الإعرابي؟

الجواب: محله الجر، مجرور بـ«في» مقدرة.

(٣) – **سؤال:** يشكل علينا في حمل هذه الآية على قصر الصفة في صلاة الخوف قوله بعدها: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ...﴾ إلخ؟ وإن كان حملها على قصر الرباعية أيضاً مشكلاً فكيف؟

الجواب: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾ الآية- آية مجملة فيها تشريع صلاة القصر عند الخوف من هجوم العدو، ثم أردف الله تعالى في الآية التي بعدها بيان الإجمال وتفصيله، والدليل على ذلك عودة ضمير: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾ إلى المخاطبين في قوله: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ وكذا ضمير ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ﴾ وضمير ﴿طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ وهكذا فإن الظاهر أن =

إذا صليتم أن يباغتكم العدو- فلا جناح عليكم أن تقصروا من الصلاة؛ فيصلي نصفكم مع النبي ﷺ، والنصف الآخر يبقى للحراسة.

فيصلي الأولون ركعة مع النبي ﷺ؛ فإذا قام إلى الركعة الثانية طوّل فيها حتى يكمل من خلفه صلاتهم، ويأتي الآخرون ليأتموا به في الثانية بعد أن يأخذ الأولون مكانهم في وجه عدوهم.

لأن الصحابة كانوا يتنافسون على الصلاة مع النبي ﷺ، وكانوا حريصين على ألا تفوت عليهم الصلاة معه(١)، وإلا فإنه يصح وقت الفرض أن يصلي كل

اللام في ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ يراد بها الصلاة المذكورة في قوله: ﴿أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ أي أنها للعهد الذكري، وأيضاً فإن في الآية الثانية بيان كيفية الحذر وأخذ الحذر من العدو الذي ذكر الله في الآية الأولى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

سؤال: لماذا أخبر الله بالمفرد عن الجمع في قوله: ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ١٠١﴾؟

الجواب: يستوي في «عدو» الجمع والمفرد قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ٧٧﴾ [الشعراء]، ولو كان عدو مفرداً لما صح الاستثناء.

(١) – **سؤال:** من أي ناحية نفهم أن الشرعية لهذه الصفة لأجل حرصهم على الصلاة خلف الرسول ﷺ لا لأجل التشديد في وجوب صلاة الجماعة؟

الجواب: في الآية أن لصلاة الجماعة أهمية كبيرة ولا سيما خلف الرسول ﷺ، وليس في الآيتين دليل على وجوب الجماعة، وذلك لقوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ...﴾، والقصر المذكور هو صلاة ركعة مع الإمام وركعة فرادى في الثنائية، وظاهر الآية يفيد أن ذلك رخصة: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾، والعزيمة أفضل من الرخصة، اللهم إلا أن للصلاة خلف الرسول ﷺ فضلاً ومكانة على الإطلاق في رخصه وعزائمه، والصلاة التامة أفضل من الصلاة الناقصة، حيث أن في بعض صور صلاة الخوف المروية مشياً وتقدماً وتأخراً، وفي بعضها يصلي المؤتم ركعة وينصرف إلى مكانه في وجه العدو ثم يأتي بعد ذلك ليصلي الركعة الثانية؛ لذلك ساغ لنا القول بأن العلة حرص الناس وتشوقهم للصلاة خلف الرسول ﷺ.

شخص فرادى، وهذا هو قصر صلاة الخوف وهو غير القصر للرباعية.

لأن الكافرين يتحينون الفرصة عليكم فإذا رأوا الغفلة منكم باغتوكم.

ثم أخذ الله تعالى في تفصيل كيفية صلاة الخوف كما ذكرنا فقال: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾(١) إذا قاموا معك للصلاة- فليكونوا متأهبين بأسلحتهم.

﴿فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ﴾(٢) لأن وقت السجود وقت غفلة فانتبهوا خاصة وقت السجود، ثم يطوّل النبي ﷺ في الثانية حتى يتم هؤلاء صلاتهم.

﴿وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا﴾(٣) وهم أولئك المرابطون الذين لم يصلوا مع النبي ﷺ في أول ركعة.

﴿فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ﴾ يلحقوا فضيلة الجماعة معك في الركعة الثانية.

---

(١) – **سؤال:** يقال: ظاهر الآية أن وجود النبي ﷺ شرط في صفة صلاة الخوف لقوله: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾ فكيف؟ وإذا لم يكن شرطاً فما فائدته؟

الجواب: يشترط في قصر صلاة الخوف الجماعة، والنبي ﷺ هو الإمام الأعظم الذي يؤم المسلمين في صلواتهم فيكون شرطاً هو أو من يقوم مقامه.

(٢) –**سؤال:** ما الذي سوغ الإضمار في قوله: «فليكونوا» قبل أن يجري للطائفة الأخرى ذكر؟

الجواب: الذي سوغ الإضمار هو ذكر الطائفة القائمة للصلاة مع النبي ﷺ في قوله: ﴿فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ﴾، فدل ذلك على أن هناك طائفة لم تقم.

سؤال: ما السر في تغيير الإضمار في «ورائكم» بدل: من ورائهم؟

الجواب: غيّره لأن المخاطب هو الرسول ﷺ فغلّبه على الغائبين.

(٣) – **سؤال:** يقال: ظاهر الآية أن دخول الطائفة الأخرى في حال السجود؛ إذ لم يجر للقيام ذكر، فكيف المخرج من هذا الإشكال؟

الجواب: المراد بقوله: ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾ أي: صلّوا، وقرينة ذلك قوله تعالى: ﴿وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا﴾؛ فقوله: «لم يصلوا» يفهم منه أن الأولى قد صلت، فهذا هو الموجب للعدول عن ظاهر «سجدوا»، ولِمَا تقرر عندهم وعلم أن الدخول لا يكون إلا في حال القيام لا حال السجود.

﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ[(١)] عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ فهم يترقبون الغفلة منكم.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾ وقت الصلاة.

﴿وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ وكونوا متحذرين من المشركين ومتنبهين، ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾[(٢)] إذا خرجتم من الصلاة فأكثروا من ذكر الله؛ لأن هذا الموطن من مواطن الذكر قال الله

---

(١) –**سؤال:** ما إعراب: ﴿لَوْ تَغْفُلُونَ﴾؟

الجواب: لو حرف مصدري يسبك مع الفعل الذي بعده بمصدر، والمصدر في محل نصب مفعول به لـ«ودَّ».

(٢) –**سؤال:** في ذهني قول لبعض المفسرين أن معنى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ﴾: إذا أردتم القضاء للصلاة –يعني: فعلها– فاذكروا، فقالوا: هذه صلاة المسايف، واستدلوا بقوله: ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ على قضاء هذه الصلاة التي ليست إلا ذكراً فقط، فما رأيكم في ذلك؟

الجواب: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ هي مثل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجمعة:١٠]، ومثل: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ﴾ [البقرة:٢٠٠]، ﴿فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأحقاف]، ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ﴾ [القصص:٢٩]، ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾ [يوسف]. **هذا**، والأصل بقاء «قضيتم» على المعنى اللغوي، مع أننا لم نجد في القرآن أنها نقلت إلى معنى شرعي، وعلى هذا فالظاهر هو خلاف ما قاله بعض المفسرين المذكور في السؤال، فيلزم لذلك تفسيرها حسب معناها اللغوي، ولا يلزم قضاء صلاة المسايف لأنه قد فعل ما في وسعه، ولم يجب عليه أن يفعل ما سوى ذلك: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، ولا دليل في قوله: ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ على وجوب قضاء صلاة المسايفة، فمعناها: فإذا أمنتم فصلوا كما أمركم الله من استقبال القبلة والخشوع والقيام والركوع والسجود و..إلخ، ولا تتجوَّزوا فيها كما تجوزتم في الخوف.

تعالى: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأنفال:٤٥]، واستنزلوا النصر بذكر الله، والدعاء له وطلبه، وسينصركم.

﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ﴾ ذهب الخوف والعدو.

﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ وائتوا بها كاملة بأذكارها وأركانها كما علمكم الله.

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ۝١٠٣﴾(١) فرضاً مفروضاً من الله عليكم فلا تُخِلُّوا بها وتقصروا فيها؛ فأتموها على جميع صفاتها من الأذكار والأركان.

﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ لا تضعفوا في طلب عدوكم وقتالهم.

﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾(٢) فلا يكونون أقوى منكم؛ فإنه يلحقهم من الأذى مثل ما يلحقكم فلا يكونوا أصبر منكم.

﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١٠٤﴾ وأما أنتم فلكم زيادة وهو أنكم ترجون من الله ثوابه ونعيمه وزيادة الدرجات في الجنة بخلافهم؛ فلا رجاء لهم فرأس مالهم الحياة الدنيا، فإذا قتلوا ذهب عليهم كل شيء، ودخلوا جهنم خالدين فيها.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾(٣) فكل ما قصه الله حق، وكل ما أمر به وافترض فيه حق مبني على الحكمة، وعلى ما تقتضيه الحكمة والمصلحة.

---

(١) —**سؤال:** هل قوله: «كتاباً» مصدر بمعنى اسم المفعول يعني «مكتوباً»؟ أم ماذا؟

الجواب: كتاباً: مصدر، وفي الخبر بالمصدر عن الصلاة فضل تأكيد، وهو بمعنى اسم المفعول.

(٢) —**سؤال:** ما إعراب: ﴿كَمَا تَأْلَمُونَ﴾؟

الجواب: الكاف حرف جر، وما مصدرية مسبوكة من الفعل بمصدر أي: كألمكم، والجار والمجرور في محل نصب واقعة موقع المصدر «المفعول المطلق»، والأصل: فإنهم يألمون ألماً كألمكم، فناب الجار والمجرور مناب ألماً.

(٣) —**سؤال:** ما إعراب «بالحق»؟ وما معنى الباء؟

الجواب: بالحق: جار ومجرور ومحله النصب على أنه حال من الكتاب، وهو متعلق بمحذوف. ومعنى الباء المصاحبة.

﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ لتحكم بينهم يا محمد بما علمك الله في القرآن.

﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ۝١٠٥﴾[1] ولا تكن يا محمد في جانب الخصم الخائن تناصره وتدافع عنه، بل اتركه.

قيل: كان هناك شخص سرق درعاً ووضعه في كيس دقيق من أحد البيوت، وهرب بعد أن تركه في بيت يهودي وكان الدقيق يتناثر من الكيس وكان ذلك هو الذي دلهم على موضع السرقة، ثم حصل التنازع بسببه، واتهم الشخص الذي وضع الكيس عنده، ثم إن الله حذر نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن لا يقف مع السارق ليبريه، أو أن يوجه التهمة لمن وجد الكيس عنده.

﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝١٠٦﴾ أمر الله نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يستغفر؛ لأن أهل المدينة كانوا يريدون أن يقف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مع صاحبهم ذلك الذي سرق، ويلحقوا التهمة بذلك الذي أودع الكيس عنده؛ فأمره الله بالاستغفار لأنه كاد أن يقف مع ذلك الشخص السارق ويبرئه.

﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ[2] أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ۝١٠٧﴾ فلا تدافع عن ذلك السارق الذي لا يبالي بانتهاك محارم الله.

---

(١) – **سؤال:** يقال: ظاهر الآية أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لا يخاصم الخائنين وليس مراداً، فهل نقول: معنى «للخائنين»: عن الخائنين، وأن حروف الصفات حلت محل بعضها البعض؟

الجواب: لا حاجة إلى القول بأن «اللام» حلت محل « عن » لأن المعنى واضح على اللام، وقد كان المفروض أن يكون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على الخائنين خصيماً، لا خصيماً لهم يدافع عنهم أو يجادل في براءتهم.

(٢) –**سؤال:** ما معنى «يختانون»؟ ولماذا أطلق عليها خيانة للنفس؟ ومن هو الخوَّان؟

الجواب: معنى «يختانون» يخونون، وفي يختانون زيادة معنى وهو تكلف الخيانة وطلبها والتوغل فيها، وإضافتها إلى النفس لأن عاقبتها تعود على النفس، ولأن المسلمين كالجسد الواحد: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]. والخوان: هو المتوغل في الخيانة المتعود عليها، حتى صارت خلقاً له وديدناً.

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ هذه صفة السارق ومن كان على شاكلته من المنافقين والخائنين.

﴿وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ[١] مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾ فهو مطلع على أعمالهم وعالم بخيانتهم، وسيجازيهم على ما اقترفوا، ويجازيهم على أعمالهم التي يخفونها.

﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾﴾ فعلى فرض أنكم برأتموهم في الدنيا بجدالكم عنهم، فمن يدافع عنهم يوم القيامة، والله مطلع على الضمائر، وهو الحكم بينهم، وهذا تحذير عن القيام مع ذلك الخائن، والجدال عنه. والوكيل هو: الحافظ والمدبر والمدافع.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾[٢] وهذا ترغيب من الله لأولئك الخونة والسرق ونحوهم، بأن باب التوبة مفتوح لمن أراد الرجوع إلى الله.

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾﴾

---

(١) – **سؤال:** ما معنى: ﴿يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾؟ وظاهر التبييت أن يُعَلَّق بالحدث فما وجه تعليقه بالقول حيث قال: ﴿مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾؟

الجواب: وصف الله الذين يختانون أنفسهم بأنهم يتظاهرون بالإسلام والطاعة، فإذا خلوا بأنفسهم في الليل تكلموا بمعصية الله تعالى ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وتكلموا بما في نفوسهم من النفاق والخبث، والقول هو حدث من الأحداث ونوع منها.

(٢) – **سؤال:** ما فائدة العطف والمغايرة بين عمل السوء وظلم النفس، فظاهرهما شيء واحد؟

الجواب: قد فسروا عمل السوء بأنه العمل القبيح الذي يسوء به مرتكبُهُ الغيرَ، بمعنى أن ضرر المعصية وأذاها يتعدى إلى غير مرتكبها، وظلم النفس هو بعمل المعصية التي يعود ضررها على عاملها ولا يتعدى إلى غيره، وعلى هذا فالمغايرة حاصلة بين المتعاطفين.

الذي يرتكب المعاصي فلم يضر إلا نفسه لا غير والله عليم حكيم لا يعاقب إلا من يستحق العقاب.

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴿١١٢﴾﴾[١] يريد به ذلك السارق الذي سرق وأراد أن يلصق التهمة بغيره.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ كانت طائفة من المسلمين قد همت أن تضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتدفعه بالقيام مع ذلك الخائن، غير أن الله كان مؤيداً لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم؛ فأوحى إليه ألا يفعل ويقف مع ذلك الخائن.

﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ﴾ فلا قدرة لهم؛ لأن الله مؤيد لك وعاصمك، وما سعوا إلا في مضرة أنفسهم حيث استحقوا بسبب ذلك سخط الله وعذابه.

﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴿١١٣﴾﴾ يذكر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بما أعطاه من الفضل العظيم حيث اختاره واصطفاه لحمل الرسالة؛ فأنزل إليه القرآن العظيم، واختصه بالحكمة، وعلمه ما لم يعلم.

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ حين استقر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة، وكثر المسلمون وتوسع الإسلام، وصار للإسلام دولة وهيبة- حينها كان المنافقون يعقدون الاجتماعات فيما بينهم، ويعقدون الخطط، كيف يكيدون للإسلام؟ وكيف يصدون عن دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ فأخبر الله

---

(١) -**سؤال:** أيضاً ما الفرق بين الخطيئة والإثم؟ وما معنى البهتان؟

الجواب: قد قيل: إن الخطيئة والإثم شيء واحد، والذي يظهر لي -والله أعلم- أن الخطيئة: هي المعصية الكبيرة، بدليل: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾ [نوح:٢٥]، ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ [البقرة:٨١]، والإثم: هو ما دون الكبائر من معاصي الله، والبهتان: هو ما يرمى به الغير من خطيئة أو إثم زوراً وكذباً، وسمي بهتاناً لأن المرمي يبهت ويتحير حين يرمى بما ليس فيه.

تعالى أن تجمعهم[(١)] هذا لا خير فيه، وإنما هو إثم ومعصية.

وأما إذا كان التجمع والتناجي في عمل بر من صدقة، أو إصلاح بين الناس[(٢)]، أو أمر بمعروف، أو نهي عن منكر- فهذا هو الذي ينبغي أن يجتمعوا عليه؛ لأنه طاعة وخير وثواب.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴿١١٤﴾﴾ من يفعل هذه الأشياء ابتغاء رضوان الله، لا لغرض يعود على نفسه، وإنما خالصاً لله تعالى- فهذا سيعطيه الله أجراً عظيماً، وهو الثواب في الآخرة.

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴿١١٥﴾﴾[(٣)] يتوعد الله أولئك الذين يتناجون بالإثم والعدوان والكيد على الإسلام والمسلمين.

---

(١) –**سؤال:** من أين نستفيد أن التجمع هو التناجي؟

الجواب: ذكر الله تعالى النجوى وهي اسم للتناجي، والتناجي لا يكون إلا بين اثنين فأكثر.

(٢) –**سؤال:** هل المراد أنه يفعل الإصلاح، أو يأمر به غيره؟

الجواب: إذا كان التناجي في أن يعمل المتناجون البر أو الإصلاح أو أي عمل صالح، أو في أن يدعو المتناجون الناس إلى عمل ذلك، وقد ذكر الله تعالى في الاستثناء من أمر بصدقة أو..إلخ، أي أمر بعض المتناجين بعضاً بذلك ودعوا الناس إلى ذلك، بمعنى: أنهم جمعوا بين الأمرين أو اقتصروا على احدهما، فالآية محتملة لذلك، والله أعلم.

(٣) –**سؤال:** ما معنى: ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾؟

الجواب: المعنى ما اختار لنفسه من الضلال، أي: نحمله مسؤولية ما اختار لنفسه من الضلال.

سؤال: كيف كانت هذه الآية دليلاً على أن الإجماع حجة؟

الجواب: كانت حجة من حيث أن الله تعالى توعد بالعذاب على أمرين:

- مشاقة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.
- اتباع غير سبيل المؤمنين، وسبيل المؤمنين هو طاعة الله ورسوله، والعمل بشرائع الإسلام والتدين بها والالتزام بها، فمن سلك غير سبيلهم في حكم دانوا الله به فقد حق عليه الوعيد، فلزم من ذلك أن يكون ما أجمعوا عليه حقاً وديناً وشريعة يجب اتباعها.

ومعنى يشاقق الرسول: أن ينحاز في شق مناصباً للرسول(١) ومكايداً له، ومشاقتهم هذه كانت من بعدما دخلوا في الإسلام، وعرفوا أنه الحق والهدى، فهؤلاء الذين يتبعون طريقاً غير طريق المؤمنين، فسوف يتحملون إثم فعلهم هذا، وتبعاته عليهم من دخول جهنم، والعذاب الدائم فيها.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴿١١٦﴾﴾ المنافقون الذين يعقدون المؤامرات على الإسلام فهم في جانب الشرك، ويبتغون بفعلهم هذا رجوع الجاهلية والشرك، وأما اسم الإسلام فهم متمسكون به؛ لأن النبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة أسلم أهل المدينة جميعاً، وأسلم معهم هؤلاء مضطرين في الظاهر، وأما قلوبهم فلا زالت على الشرك والكفر.

فأخبر الله أنه لن يغفر لهم أبداً، وأما ما كان دون الشرك- فالله سيغفره، كالذي لم تبلغه(٢) الدعوة ونحوه، كمن يقع في معصية على طريق الخطأ أو النسيان؛ بخلاف الشرك فلا يعذر أحد عليه ولو جهلاً أو خطأً.

﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴿١١٧﴾﴾ المشركون كانوا لا يعبدون مع الله تعالى إلا إناثاً؛ لأنهم كانوا يقولون: الملائكة بنات الله، ويتوجهون بعبادتهم إلى غير الله(٣)، وفي الواقع فإن المشركين إنما يعبدون الشيطان

---

(١) -**سؤال:** وهل المخالفة للرسول تعد مشاقة؟

الجواب: من أظهر مخالفته للرسول ﷺ ولم يعتذر ويرجع إلى الله ورسوله ﷺ فهو مشاق للرسول ﷺ.

(٢) - **سؤال:** هل ترون أن من لم تبلغه الدعوة معذور فيما علم ضرورة من الدين أو في الإشراك، أو فيما سوى ذلك فقط؟

الجواب: لا يعذر الله تعالى أحداً في الشرك بالله والكفر به؛ لقوة حجج التوحيد والإيمان بالله، أما ما سوى الشرك والكفر فقد يتجاوز الله عنه لمن لم تبلغه دعوة الرسل عليهم السلام.

(٣) -**سؤال:** هل المقصود بغير الله الملائكة، حتى يتم أنهم يدعون الإناث؟ أم المراد الأصنام؟

الجواب: المقصود الملائكة فكانوا يعبدونهم، ولكنهم عبدوا الأصنام بناءً على أنها صور للملائكة، والتفسير الذي ذكرناه هو واحد من ثلاثة تفاسير ذكرها المفسرون، والثاني:

=

فهو الذي دعاهم إلى عبادة الملائكة وزين لهم أن يصوروها ويعبدوا صورها.

﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ أي: الشيطان، أي: طرده من رحمته.

﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴿١١٨﴾﴾ أقسم إبليس على نفسه أنه سيقتطع قطعة من عباد الله ويدخلهم في عبادته، ولا بد أن يأخذ منهم نصيباً، وفعلاً فقد أخذ النصيب الأكبر من الناس؛ فالمؤمنون قلة، والباقون هم أتباع الشيطان.

﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ أقسم إبليس على نفسه أن هؤلاء الذين يعبدونه سيضلهم، ويخرجهم عن الحق ويرمي بهم في سبل الضلال.

﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ سأصرفهم عن الدين الحق، وأجعلهم يتعلقون بالأماني والأوهام.

﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ الْأَنْعَامِ﴾ زين الشيطان للمشركين تحليل بعض الأنعام وتحريم بعضها، وكانوا يقطعون أذن ما حرموه[1] ليعرف أنه حرام. وصاروا يدينون بهذا من عند أنفسهم، وما أنزل الله بها من سلطان.

وتبتيك آذان الأنعام هو تقطيعها لتكون علامة للناس.

﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾[2] فغيروا أحكام الله[3] فحرموا ما أحله الله،

أنهم كانوا يعبدون اللات والعزى ومناة وهي أسماء مؤنثة، والثالث: أنهم يعبدون الأصنام وهي حجارة جماد، وهي مؤنثة.

(١) —**سؤال:** هل المراد بما حرموه ما ذكره الله في سورة الأنعام من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام؟

الجواب: نعم، المراد ذلك الذي فصله الله تعالى في سورة الأنعام.

(٢)—**سؤال:** هل تعم الآية كل تغيير في خلق الله كحلق المرأة لرأسها، ومشابهة الرجل في ذلك ونحوه؟

الجواب: ظاهر الآية يعم كل تغيير محرَّم، فلا يجوز للمرأة أن تتشبه بالرجال في حلق ولا لباس ولا مشي ولا كلام و.. إلخ.

(٣) —**سؤال:** يقال: ظاهر الآية في تغيير الخلق، فكيف؟

الجواب: أحسن ما رأيت من التفاسير لهذه الآية هو ما ذكرناه، وذلك لأن الله فطر الناس على الدين الحق الذي هو دين التوحيد والإيمان بالله وحده: ((كل مولود يولد على الفطرة حتى

=

واختلقوا لهم ديناً من عند أنفسهم، وزين لهم الشيطان ذلك.

﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴿١١٩﴾﴾ من يتخذ الشيطان إلهاً ويطعه- فقد خسر خسراناً ظاهراً، وباء بسخط الله.

﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ﴾ الشيطان ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴿١٢٠﴾﴾.

﴿أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴿١٢١﴾﴾ وعود إبليس ليست إلا أماني وأكاذيب، وسينصب له منبر يوم القيامة وينادي: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ [إبراهيم:٢٢]، شامتاً بهم.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴿١٢٢﴾﴾(١) فهذا جزاء من عمل الصالحات، ولم يطع الشيطان، ووعد الله حق وصدق ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾.

يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه ويمجِّسانه))، والفطرة: هي خلق خلقه الله في عباده المكلفين يدركون بها الحق والباطل، ويميزون بها بين الطيب والخبيث، والحسن والقبيح، والناقص والكامل، والهدى والضلال، فيأتي الشيطان بوساوسه فيشوش على الفطرة، ويستدرج صاحبها إلى حبائله، حتى تطمسها؛ ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴿٤٦﴾﴾ [الحج]. وبتغيير الفطرة تتغير الأحكام، فيرى صاحبها القبيح حسناً، والضلال هدىً، والحرام حلالاً، و..إلخ، ولعل ما حدث في هذا العصر من تغيير الذكر إلى أنثى مقصود في هذه الآية، ويكون ذلك من آيات صدق القرآن وبيناته، ((لا تنقضي عجائبه)).

(١) –علام نصب قوله: ﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾ وقوله: ﴿حَقًّا﴾؟

الجواب: ﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾ مفعول مطلق مؤكد لمضمون الجملة؛ لأن مضمونها وعدٌ من الله، ويصح أن تقدر فعلاً من لفظه. و﴿حَقًّا﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره: يحق، وتكون الجملة صفة لوعد الله.

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴿١٢٣﴾﴾ كان اليهود والمسلمون يتجادلون فيما بينهم فاليهود تقول: نحن أبناء الله وأحباؤه، والجنة لنا، وسيهب الله مسيئنا لمحسننا، وقد اختارنا الله، وفضلنا على العالمين، ولن يعذبنا، وإذا عذبنا فليس إلا أياماً معدودة وسنخرج.

والمسلمون يجيبونهم: بأنا نحن الأولى بالثواب منكم، فقد آمنا بموسى وعيسى ومحمد، ولن يعذبنا الله، فقال لهم الله جميعاً: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾[1] فالناس سواسية عند الله؛ فمن يعمل سوءاً فلا بد أن يلقى جزاءه، ولن يدفع عنه من الله أحد.

فليتنبه المرء ويتثبت ويتحقق في أمور دينه، ويطلبها من منابعها فلن ينفعه أحد، وقد علمنا من الذي ينبغي أن نتبعه، ومن سيدلنا على طريق الهدى والطريق المستقيم، والقرآن يتهدد ويتوعد أن الله لن يتنازل لأحد عن وعده، ولن تنفع عنده شفاعة أحد فليتحر كل امرئ لأمور دينه، ويبحث وينظر؛ فلا بد أن يتوصل إلى الحق والصواب بعقله إن أحسن النظر، وتجرد عن الأهواء.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴿١٢٤﴾﴾ من آمن سواء كان ذكراً أو أنثى، وعمل الصالحات وهو مؤمن فجزاؤه الجنة عربياً كان أم أعجمياً، يهودياً أم نصرانياً، ولا دخل للعناصر في الجزاء والحساب إنما هي الأعمال. **والنقير**: هي النقرة التي في ظهر نواة التمر.

---

(١) –**سؤال:** هل هذا أعظم دليل يرد على من قال بأن المسلم بالنسبة لذنوبه تحت مشيئة الله؟

الجواب: في هذه الآية أكبر دليل لرد مقالة من يقول: إن عصاة أمة محمد تحت مشيئة الله، إما أن يدخلهم الجنة مباشرة، وإما أن يعذبهم في النار بقدر ذنوبهم ثم يدخلهم الجنة، فقد أبطلت هذه الآية مقالة المتمنين، ولم يبق لهم عذر ولا طمع بعدها.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ[١] وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ۝١٢٥﴾ أخبر الله أن الدين الحق هو دين من أسلم وجهه، واستسلم وانقاد لله مع عمل الصالحات، واتبع ملة إبراهيم التي هي ملة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الله تعالى قد بعثه على ملة إبراهيم.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ۝١٢٦﴾[٢] فكل ما فيهما ملك له سبحانه وتعالى، وكل ما تعبدونه وتدعونه آلهة كلها ملك لله تعالى؛ فلا تعبدونها واعبدوا مالكها الذي هو مالك السماوات والأرض، فهو الذي تحق له العبادة.

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ أخبر الله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن المسلمين سيستفتونك في أمر النساء.

﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾[٣] سيخبركم الله بأمرهن وشأنهن، وكذلك القرآن سيخبركم، وقد تلا أمرهن في أول السورة: ﴿وَإِنْ

---

(١) —**سؤال:** ما معنى: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ هل من الإحسان وفعل الخير، أم من حسن العمل وإتقانه؟

الجواب: المقصود بـ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: الإحسان بعمل الصالحات واجتناب السيئات، فمعنى: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾: انقاد لله وآمن به، ومعنى: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: وعمل الصالحات واجتنب السيئات؛ فتكون الآية قد جمعت الإيمان والعمل.

(٢) —**سؤال:** ما معنى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ۝١٢٦﴾؟

الجواب: في الآية بيان سعة علم الله وقدرته، فكل حدث وكائن وكل متحرك وساكن وصغير وكبير تحت علم الله، لا يخفى عليه شيء كان أو هو كائن أو سيكون، وكل شيء في قبضة قدرته، وهو على كل شيء قدير.

(٣) —**سؤال:** لماذا غاير بين إفتاء الله، وإفتاء تلاوة الكتاب؟

الجواب: المراد بإفتاء الله ما لم ينزل فيه فتوى في القرآن أو على لسان نبينه، وبإفتاء الكتاب ما قد أنزل الله بيان حكمه في القرآن.

خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء:٣]، وهذا جواب الاستفتاء، وهو الإذن من الله للرجل في الزواج باليتيمة إذا وثق من نفسه بحسن العشرة لها؛ فإن لم يثق من نفسه بحسن العشرة فليتزوج غيرها ولا يتزوجها.

﴿فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾: لا توفوهن حقوقهن، وإنما تتزوجون بهن لتأخذوا أموالهن.

﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾[1] وزواجكم بهن ليس زواج رغبة، وأما إذا كان عن رغبة ومحبة فلا بأس فيه.

﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾[2] يعني سيفتيكم الله في أمرهم؛ لأنهم كانوا لا يورثونهم، وكان عندهم أنه لا يرث إلا من حاز الغنيمة، وركب الخيل، وحمل السيف؛ فرد الله عليهم بأن للرجال نصيباً مما اكتسبوا، وللنساء نصيباً مما اكتسبن، وللذكر مثل حظ الأنثيين، وقد أفتاهم الله في أمرهم في أول السورة.

﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾ وقد تقدم في أول السورة كيفية ذلك بأن

---

(١) –**سؤال:** ما إعراب: ﴿أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾: وكيف أفادنا نفي رغبتهم عن نكاحهن مع أننا قد نفهم إثبات رغبتهم من الظاهر؟

الجواب: «رغبت عن كذا» يفيد نفي الرغبة، و«رغبت في كذا» يفيد إثبات الرغبة، فقوله: ﴿أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ «أن» وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحرف جر مقدر، والمقدر متردد بين «في» و«عن» فقدرنا «عن» الذي يفيد نفي الرغبة الذي نزلت فيه فتوى الكتاب في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ...﴾ [النساء:٣]، والخوف من عدم العدل لا يحصل إلا عند عدم الرغبة في اليتيمة.

(٢) – **سؤال:** علام عطف «المستضعفين»؟ ومن هم المستضعفون؟ وما موضع ﴿وَأَنْ تَقُومُوا﴾ الإعرابي؟

الجواب: المستضعفين: معطوف على «يتامى النساء». وأن تقوموا: معطوف على «يتامى النساء»، وهو مجرور، والمستضعفون هم الولدان الصغار.

يحيطوا أموال اليتامى بالحفظ، ويحافظوا عليها حتى يبلغوا سن الرشد، وأن على الولي أن يعلمه كيفية المحافظة على ماله، وإن كان الولي غنياً فليستعفف، وإن كان فقيراً فليأكل بالمعروف.

﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴿١٢٧﴾﴾ حثهم الله على أن يحسنوا إلى اليتامى وإلى المستضعفين.

﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا[١] فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا[٢] أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ حدثت قصة للنبي ﷺ، وهو أنه تصالح هو وإحدى نسائه، وهي سودة بنت زمعة بن المطلب بن الأسود؛ وكانت قد أسنت وكبرت، والنبي ﷺ كان قد أراد أن يطلقها، فخافت ذلك فقالت: يا رسول الله أنا متنازلة عن حقوقي مقابل أن تبقيني في نسائك، وسأهب ليلتي لعائشة؛ لأنها أحبت أن تموت وهي تحت النبي ﷺ، فرضي النبي ﷺ بذلك[٣].

---

(١) – **سؤال:** لماذا غاير بين النشوز والإعراض؟

الجواب: النشوز: هو كراهة الزوج لزوجته أو العكس، والإعراض: هو أن يعبس في وجهها، ويترك جماعها والانبساط إليها، فبينهما تغاير، فالكراهة أمر نفسي، والإعراض عملي ناتج عن الكراهة وقد ينتج عن غير كراهة.

(٢) – **سؤال:** إلام يعود الضمير في «عليهما»؟

الجواب: يعود إلى الزوجين وهو ظاهر في قراءة نافع: ﴿صُلْحاً بَيْنَهُمَا يَصَّالَحَا﴾ فتحمل القراءة الأخرى عليها.

(٣) – **سؤال:** قد يقال بأن في ذلك ظلماً للمرأة حيث يطلقها لا لسبب إلا كبر السن، فكيف تفسرون ذلك؟

الجواب: أوجب الله تعالى على الزوج أن يعاشر زوجته بالمعروف، فإذا نفرت نفسه عنها ولم يستطع حسن عشرتها لكبر سنها وعدم رغبته فيها، وهي مصرة على استيفاء حقوقها، وحينئذ لا مفر للزوج من ضائقتين سيئتين: الأولى: الإساءة إلى الله بمعصيته في عدم القيام بحقوق زوجته إن أمسكها. الثانية: إدخال المساءه إلى زوجته إن فارقها.

فإذا خافت المرأة الطلاق وأرادت أن تصالحه كذلك- فالصلح أحسن من الطلاق وأفضل.

﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾[1] النفوس مجبولة على البخل والشح، فهي لا تسمح بأن تتنازل عن حقوقها إلا بتعب وشدة، ولكن الأفضل لها أن تتنازل عن حقوقها، ولو لم ترد ذلك لتفادي ما هو أعظم مما تنازلت عنه.

﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ١٢٨﴾ والأفضل ألا يطلقها، ويحسن إليها ولا يفارقها، وهذا هو الحل الأفضل أن تتنازل عن حقوقها مقابل بقائها تحته، والزوج ينبغي له أن يقبل هذا العرض ويرضى به.

﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾[2] فالإنسان ولو حرص على أن يعدل فلن يستطيع، ولا بد من الميل، والمراد به: في الحب، والجماع؛ فإذا كان الأمر كذلك- فاعدلوا في البيتوتة بينهما والنفقة اللذين هما تحت قدرة المرء واستطاعته، ولا تميلوا كل الميل فتذروها كالتي ليست متزوجة ولا مطلقة.

﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ١٢٩﴾ وتعدلوا بينهن ولا تطلقوا.

---

(١) - **سؤال:** لم يظهر لنا تفكيك: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ فلو بنيناها للفاعل فكيف يكون التركيب؟

الجواب: على البناء للفاعل: وأحضر الله الأنفس الشح، والمعنى: جعل الله الشح حاضراً في نفوس البشر مطبوعاً فيها لا يزول.

(٢) - **سؤال:** قد يستدل بهذه الآية على لزوم الواحدة فقط نظراً إليها مع قوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء:٣]، فكيف يوجه الكلام في ذلك؟

الجواب: من عرف من نفسه أنه لا يستطيع العدل فيما أوجب الله عليه من العدل وهو البيتوتة والنفقة وكف الأذى فلا يجوز له الزيادة على واحدة، فهذا هو معنى الآيتين وتفسيرهما.

كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعدل بين نسائه ويقول: ((هذه قسمتي فيما أملك، فلا تؤاخذني بما تملك ولا أملك))، فالحب غريزة مطبوعة من الله.

﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴿١٣٠﴾﴾ إذا تفرق الزوجان وطلقها الزوج فسوف يغني الله كل واحد، وعداً منه؛ فلا يظن أحدهما أنه قد انتهى كل شيء، فسوف يعوض الله كلاً منهما[1].

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فهو مالك لهما وهما في قبضته، فسوف يغني كل واحد منهما من فضله.

﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴿١٣١﴾﴾[2] أخبر الله المؤمنين بأنه قد وصاهم، وقد أوصى أهل الكتاب بتقواه وعدم مخالفة أوامره، وإن لم تطيعوه ولم تتقوه فله ملك السماوات والأرض ووبال كفركم عائد عليكم، والله غني عن طاعتكم وتقواكم لا تنفعه طاعة من أطاعه ولا تضره معصية من عصاه من أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها، وهو المحمود الذي تنطق بحمده أجرام السماء والشمس والقمر والرياح والسحاب والمطر، وحتى جوارحكم أيها العصاة المتمردون فإنها تنطق[3] بعظيم فضل خالقها وكريم نعمته وجميل منته.

---

(١) –**سؤال:** هل المراد بالإغناء أن يعوض كل واحد منهما زوجاً؟

الجواب: الإغناء في الآية مطلق يصدق على أن يغني كلاً منهما بزوج، ويصدق على الإغناء بالقناعة أو بالمال أو بما يسد النقص الحاصل من الفراق.

(٢) –**سؤال:** هل معنى حميد: محمود، فهو من باب (فعيل بمعنى: مفعول)؟

الجواب: معنى حميد: محمود، إلا أنها جاءت على صيغة «فعيل» لتفيد معنى الثبوت والدوام «صفة مشبهة».

(٣) –**سؤال:** كيف يكون نطق الجوارح والأجرام بحمد الله؟

الجواب: نطقها هو بلسان الحال بما فيها من الشواهد والدلائل على عظمة الله ووحدانيته ودلائل رحمته وإحسانه وفضله وإنعامه.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴿١٣٢﴾﴾ فكل ما في السماوات والأرض ملك الله وهو المهيمن والرقيب والشاهد على كل ذلك أحاط بها علماً وأحصاها عدداً وغمرها برحمته وحفظها بقدرته، وهو محيط بأعمالهم، وعالم بها، وسيحاسبهم.

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴿١٣٣﴾﴾ فهو قادر على أن يذهب الناس جميعاً من وجه الأرض، ويستبدل بهم غيرهم؛ فاحذروه ولا تتمردوا عليه وسارعوا إلى سبل رضوانه.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا[1] فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴿١٣٤﴾﴾ من أراد خير الدنيا فالله عنده خير الدنيا والآخرة؛ فلماذا لا تطلبون ثواب الدنيا والآخرة، وتقبلون إليه؛ لتنالوا الدنيا والآخرة، ولستم في حاجة إلى أن تعصوه لتحصلوا على الدنيا، فهي بيد الله، وستحصل لكم الدنيا في طاعته، وطاعته من أسباب الرزق قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق]، بالإضافة إلى نيل ثواب الآخرة.

ولا رزق في الواقع إلا ما احتاجه الإنسان أما ما جمعه، ولم يأكله فليس رزقاً، وإنما طمع الإنسان وحرصه يدفعه إلى ذلك، والله قد تكفل برزق الإنسان، وسيعطيه ما يسد حاجته وحاجة من يعوله، وما زاد على ذلك فليس له، وإنما هو حساب ووبال في الآخرة إذا اكتسبه من غير طرقه، وفي الدنيا هو عليه تعب وعناء.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾[2] أمر الله المؤمنين بالقول بالحق، وبأن يقيموا الشهادة الحق،

(١) –**سؤال:** ما الوجه في التعبير عن عطاء الدنيا بالثواب؟

الجواب: الوجه أن الآية نزلت فيمن يطلب بجهاده الغنيمة.

(٢) –**سؤال:** هل المراد بالشهادة على النفس الإقرار بالحقوق؟

الجواب: الشهادة على النفس هي الإقرار بالحقوق.

=

ولو على أنفسهم أو أقاربهم، فريضة من الله أوجبها عليهم بأن ينطقوا بالحق ويشهدوا به ولا يكتموه.

﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا﴾ فلا تترك الشهادة لأجل أن المشهود عليه فقير فالله أولى بالفقير منك، أو لأجل أن المشهود غني فالله أولى بالغني والفقير منك، أو لأجل طمعك فيما في يد الغني، فاشهد ولو أقمت الشهادة على فقير فالله أولى به، وكذلك لو أقمتها على غني أو قريب.

﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا﴾(١) تحروا الحق والشهادة بالعدل ولا تعدلوا بالشهادة وتميلوا بها مع هوى أنفسكم.

﴿وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ١٣٥﴾ إذا لويتم في الشهادة وغيرتموها عن وجه الحقيقة، أو أعرضتم عن الشهادة وأبيتم إقامتها فالله سيجازيكم على ذلك، وهو مطلع على أعمالكم، وعلى ما في ضمائركم؛ فلا تُعَرِّضوا أنفسكم لسخط ربكم وعذابه فإنه يعلم سرائركم وضمائركم وجميع أعمالكم ومرجعكم إليه للجزاء.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ دعا الله تعالى الذين آمنوا بألسنتهم(٢) إلى الإيمان بالله ورسوله حق الإيمان، والتحقق بالتصديق الصادق.

سؤال: وهل الإنصاف من الشهادة على النفس؟

الجواب: الإنصاف هو من العدل، وإذا كان فيه إقرار بحق فهو من الشهادة على النفس.

(١) -**سؤال:** ما موضع: ﴿أَنْ تَعْدِلُوا﴾ الإعرابي؟

الجواب: موضعه الجر على تقدير: كراهة أن تعدلوا، أو: إرادة أن تعدلوا.

سؤال: هل قوله: ﴿تَعْدِلُوا﴾ من العدل أو من العدول، أو منهما جميعاً؟

الجواب: يجوز أن يكون من العدل ومن العدول، والمعنى على أي التقديرين صحيح كما ذكرنا في جواب السؤال السابق. [على معنى حميد].

(٢) -**سؤال:** من أين نستفيد أن المدعوين هم المؤمنون بألسنتهم؟

الجواب: نستفيده من السياق الذي انساق ابتداء من هذه الآية إلى عدة آيات.

﴿وَالْكِتَابِ الَّذِى نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾ وآمنوا بالقرآن؛ لأنه قد كثر الذين آمنوا بألسنتهم في المدينة من المنافقين؛ فأمرهم الله بالتصديق وحثهم على صدق الإيمان بالله وبرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبالقرآن وبما أنزل الله على عيسى وموسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ والذي يراد منهم هو الإيمان الذي يصدقه العمل، فمن صَدَقَ إيمانُهُ حَسُنَ عمله وسمع وأطاع لله ولرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وحافظ على أوامر الله وفرائضه واجتنب معاصي الله وخشع وتواضع لله.

﴿وَالْكِتَابِ[1] الَّذِى أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ التوراة والإنجيل وجميع ما أنزل الله من الكتب على أنبيائه.

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ فقد توغل في الضلال وابتعد عن الحق وهوى في الهلكة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾﴾ أراد به أولئك المنافقين الذين في المدينة دخلوا في الإيمان، ثم نقضوا إيمانهم بالنفاق، ثم آمنوا، ثم كفروا وازدادوا كفراً؛ فهؤلاء لا حظ لهم في مغفرة الله، ولا نصيب لهم في هدايته.

﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾ لأنهم جمعوا بين الكفر وكيد الإسلام والمسلمين من داخله، فكانوا أضر من الكفار، قال تعالى: **﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾** [المنافقون:٤].

﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ كانوا يوالون اليهود ويناصحونهم ويزعمون أنهم مؤمنون، وهذه صفات المنافقين.

---

(١) —**سؤال:** يقال: ظاهر «الكتاب» مفرد فما وجه حمله على التوراة والإنجيل؟

الجواب: لزم حمل الكتاب على الجنس؛ لقوله تعالى في هذه الآية نفسها: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾.

﴿أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴿١٣٩﴾﴾[١] ما هي علة المنافقين؟ وما هو السبب الذي دعاهم إلى موالاة الكافرين ومناصحتهم؟ أيطلبون بذلك أن يتقووا بهم ويعتزوا؟ فإذا كان ذلك مطلبهم فقد أخطأوا طريق العزة والقوة، فليس للكافرين عزة ولا قوة، ولا بأيديهم شيء من ذلك، والعزة كلها لله وبيده يعطيها لأوليائه المؤمنين.

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ[٢] ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا[٣] فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ كان

---

(١) –**سؤال:** هل قوله: «جميعاً» حال؟ فمن ماذا؟

الجواب: يعرب «جميعاً» حالاً من الضمير المستقر العائد على اسم «إن»، والعامل فيه وفي الحال متعلق الجار والمجرور، وجميعاً: هي من الألفاظ المفيدة للتوكيد، وهي مأخوذة من «جَمْع» مصدر جمع يجمع.

(٢) –**سؤال:** ما موقع: ﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ﴾ الإعرابي؟

الجواب: ليس لها محل من الإعراب؛ لأنها جملة مفسرة و«أن» للتفسير.

(٣) – **سؤال:** قوله: ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ أليس مفهومه جواز مجالستهم إذا خاضوا في أحاديث أخرى؟ فكيف نعمل بما ورد من النهي نحو: ((فإذا كان من الغد كان أكيله وشريبه))؟

الجواب: نزلت هذه الآية في المنافقين الذين كانوا يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، فكانوا يجالسون اليهود، ويسمعون كفرهم بالقرآن واستهزاءهم به، فنهاهم الله عن ذلك، وأباح لهم الجلوس عندهم إذا خاضوا في حديث ليس فيه كفر ولا استهزاء، وجاز ذلك لأسباب منها:

- أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين كانوا في حال الدعوة إلى الإسلام، ومن شأن الدعاة إلى الله وإلى دينه أن يدخلوا بين أوساط الناس ومَحَالّ تجمعهم في نواديهم ومجالسهم ومَحَالّ اجتماعهم.

- أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين كان بينهم وبين اليهود عهد وصلح مبني على شروط تفيد التعاون، وحفظ الأمن والتعايش، وحرمة المدينة، وعدم موالاة المشركين، وهو عهد طويل مذكور في السير، فيحمل النهي الوارد في الخبر ونحوه على ما إذا خلي الحال من هذين السببين ونحوهما.

المنافقون يجالسون اليهود والكفار، ويسمعونهم يستهزئون بالقرآن وبالنبي ﷺ، ولا ينكرون عليهم، فأخبرهم الله تعالىٰ بأنه قد أنزل عليهم في الكتاب قبل هذه الآية ألا يقعدوا معهم، وأنهم إن فعلوا ذلك فهم مثلهم في الكفر.

﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴿١٤٠﴾﴾ لا خير في المنافقين وإيمانهم مدخول، وهم عند الله من أهل جهنم، فلا تركنوا إليهم أيها المؤمنون.

﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ أمر الله تعالىٰ المؤمنين أن يبتعدوا عن المنافقين وأن يحذروهم لأنهم ليسوا بمؤمنين، وليسوا من المسلمين، وإنما دخلوا في الإسلام ليتحصنوا به من سيوف المسلمين، وليتمكنوا من كيد الإسلام والمسلمين، وأخبر الله هنا أن المنافقين منتظرون لهلاك النبي والمسلمين، وفي سعي جاد في التخطيط لنسف الدين وأهله واستئصاله من جذوره فاحذروهم أيها المؤمنون، ولا تميلوا إليهم ولا تدافعوا عنهم، ولا توالوهم، وابتعدوا عنهم كل البعد.

﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ﴾ حصل لكم نصر أيها المؤمنون.

﴿قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ فأعطونا نصيبنا من الغنائم فنحن معكم.

﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ وإن كان النصر للكفار ذهبوا إليهم و﴿قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ألم نحصنكم ونحرسكم ونمنعكم من المؤمنين، يتوددون إليهم ويستعطفونهم لكي يعطوهم مما حازوه وليأمنوا شرهم[1].

﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أيها المؤمنون والمنافقون، وسيثيب المؤمنين ويعذب المنافقين.

---

(١) —**سؤال:** يقال: ظاهر الاستحواذ الغلبة، فكيف يكون المعنىٰ؟

الجواب: الاستحواذ هو الغلبة، ولكنها وردت في صحبة: ﴿وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لذلك فسروها بأنا غلبناكم وسيطرنا عليكم لو قاتلناكم مع المؤمنين، ولكنا لم نقاتلكم مع المؤمنين إبقاءً عليكم ونصراً لكم، فبهذا التفسير يصح المعنىٰ، والله أعلم.

﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾[١] وعد الله المؤمنين وبشرهم بأن مساعي المنافقين ومكائدهم ستذهب باطلاً، ولن يصل إليهم من مكائدهم ومصائدهم شيء، فلتطمئن قلوب المؤمنين وليذهب روعهم.

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾[٢] يظن المنافقون أنهم في خير العمل، وأنهم قد تمكنوا من مخادعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ونجحوا في مكيدتهم ونفاقهم؛ فهم فرحون بذلك حيث نجحوا في مخادعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين، إلا أن مكر الله فوق مكرهم، وسلطانه فوق سلطانهم، وقوته فوق قوتهم؛ فلا يفرحوا فإن الله غالبهم ومعذبهم بما عملوا.

﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾ لأنهم غير مصدقين بثواب ولا عقاب، فليس في قلوبهم من الإيمان ما يدفعهم إلى الصلاة ويزعجهم إليها ويبعثهم عليها[٣].

---

(١) –**سؤال:** ما هو السبيل الذي وعد الله بأنه لن يجعله للكافرين؟

الجواب: هو أنه لا يجد الكافرون حجة لإبطال دين الإسلام، فحجته ظاهرة على كل حجة في الدنيا والآخرة.

(٢) –**سؤال:** ما المراد بقوله: ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾؟

الجواب: أي أنه تعالى سيبطل ما دبروه من مكائدهم وخداعهم، وسيجازيهم على أعمالهم الخبيثة.

(٣) –**سؤال:** هل ما يحصل للمؤمن من التكاسل والسأم أو الإحساس بالتعب عند القيام إلى الصلاة يدخل في هذا؟

الجواب: لا يدخل المؤمن في هذه الصفة المذمومة؛ لأن المؤمن وإن حصل له فتور وسأم عند القيام إلى الصلاة فإن خوفه من الله ومن التفريط في الصلاة يدفعه إلى فعلها وإن شقت عليه، أما المنافقون فقيامهم إلى الصلاة إذا قاموا إنما هو بدافع رياء الناس وليس بدافع الخوف من الله وتعظيمه. ودليل ما ذكرنا: قوله تعالى في بيان علة كسل المنافقين: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: أن علة كسلهم وقيامهم كسالى هو الرياء لا غير، أما خوف الله وذكر عظمته فلا يذكرونه، وليس له وجود في قلوبهم، وذكرهم القليل لله هو ما يحصل منهم بألسنتهم.

﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾[١] فلا يصلون إلا ليراهم المسلمون.

﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴿١٤٢﴾﴾ وهو الذكر الذي يقولونه لكم بألسنتهم ليراهم الناس، أما قلوبهم فخالية من ذكر الله، ليس فيها إلا الكفر والنفاق.

﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ المعنى أنهم فريق متوسط بين المؤمنين والكافرين، والتذبذب هو التردد بين أمرين فمرة يميل إلى هذا ومرة إلى ذاك لا يقر على أمر من الحيرة.

﴿لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ لا من المؤمنين ولا من الكفار، فهم في الوسط بينهما.

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴿١٤٣﴾﴾ يظن المنافقون أنهم قد أحسنوا الاختيار حين أظهروا الإيمان، وأبطنوا الكفر، ولو كانوا من أهل العقول لاختاروا دين الإسلام ودانوا به؛ لأن فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة، ولكنهم توغلوا في الضلال لسوء اختيارهم؛ فحكم الله عليهم بأنهم ضالون ولا سبيل لهم إلى الهدى، ولا يصح أن يقال: إنهم من أهل الهدى والثواب.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢] يحذر الله المنافقين: يا أيها الذين آمنوا بألسنتهم لا تتخذوا الكافرين أولياء وانصبوا لهم العداء.

﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴿١٤٤﴾﴾ فلا تجعلوا لله عليكم سلطاناً في تعذيبكم وحجة وتفتحوا على أنفسكم أبواب الشقاء وأسباب العذاب،

---

(١) —**سؤال:** ما هو إعراب «كسالى»؟ و﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾؟

الجواب: كسالى: حال من الفاعل في «قاموا»، وجملة «يراءون الناس» بيانية لا محل لها من الإعراب، بين بها علة قيامهم كسالى إلى الصلاة.

(٢) — **سؤال:** ظاهر الآية تحريم موالاتهم للكافرين من دون المؤمنين فهل يخرجون منها إذا جمعوا بين موالاة الكافرين والمؤمنين؟

الجواب: لا يعمل بمفهوم قوله: ﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ لأن هذه الصفة جاءت على حسب الواقع الذي كان عليه المخاطبون، فقد كانوا يوالون الكافرين ولا يوالون المؤمنين.

فما دمتم قد حصنتم أنفسكم من سيف الإسلام وحفظتم أموالكم وحصنتموها من تغنم المسلمين بإظهار الشهادتين فلا تفتحوا على أنفسكم باب القتل وتَغَنُّم الأموال وسبي النساء والأطفال.

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ(١) الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ فهم في أشد عذاب جهنم، ولا شافع لهم، ولا دافع عنهم من عذاب الله.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا﴾ ما قد أفسدوا ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ يخاطب الله المنافقين(٢) بأنه ليس محتاجاً لتعذيبكم، ولا يريد أن يعذبكم؛ فارحموا أنفسكم أيها المنافقون، ولا تجعلوا لله عليكم سلطاناً بتسببكم في هلاك أنفسكم، والله شاكر عليم، فمن شكره وأطاعه- أثابه وضاعف له الثواب، لا يخفى عليه ما ظهر من أعمالكم وما بطن.

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ لا يحب الله أن يتكلم أحد بالكفر والباطل إلا على سبيل الإكراه، فقد عفا الله عما أكره عليه المسلم، رحمة من الله وترخيصاً لعباده المؤمنين(٣).

---

(١) –**سؤال:** ما هو الدرك؟

الجواب: الدرك الأسفل من النار: هو الطبقة السفلى من النار، وسميت طبقاتها دركات لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض.

(٢) –**سؤال:** هل الخطاب مقصور على المنافقين أم يعم حتى المسلمين؟

الجواب: الآية وإن كانت خطاباً للمنافقين إلا أنها للناس جميعاً: **﴿لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾** [الأنعام:١٩].

(٣) – **سؤال:** يقال: اشتهر عند المفسرين أن هذه الآية في شكوى المظلوم ممن ظلمه وجهره بالسوء عنه، ويؤيده قوله: ﴿أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾ فما رأيكم؟

الجواب: ما ذكرنا هو أحد التفاسير المحتملة، والأولى أن تفسر بالجميع، فظاهر الاستثناء الاتصال، وتقديره: إلا جهر من ظُلِم.

﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ فهو عالم بما في قلوبكم وسيحاسبكم، ومن تكلم بكلمة الكفر وهو مكره- فالله عالم بما في قلبه ومطلع عليه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾﴾(١) أهل هذه الصفة هم اليهود آمنوا بموسى، وكفروا بعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهم بذلك يريدون أن يفرقوا بين الله ورسله بإيمانهم ببعض وكفرهم ببعض، ويريدون أن يتخذوا ديناً وسطاً، وهذا لا يصح، وإنما الواجب الإيمان بكل أنبياء الله ورسله وكل كتبه، وهؤلاء الذين هذه صفاتهم كفار خالصون، لا ينفعهم الإيمان ببعض الأنبياء مع كفرهم بالبعض الآخر.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ بل آمنوا بهم جميعاً بخلاف إيمان أولئك، ﴿أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ ثواب الله ورضوانه خاص بمن آمن بالله وبجميع أنبيائه ورسله، ولم يكفروا بأي منهم.

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ سأل اليهود النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن ينزل عليهم كتاباً من السماء خاصاً بهم؛ تعنتاً منهم، وتمرداً على الله.

---

(١) – **سؤال:** هل في هذه الآية رد على من قال بأن من اليهود من سيدخل الجنة إذا كان مؤمناً بالله استناداً إلى نحو: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ...﴾ إلخ الآية من سورة البقرة [البقرة:٦٢]؟

الجواب: نعم، فيها رد صريح واضح؛ لأن اليهود فرقوا بين الله ورسله، فآمنوا بالله وكفروا بعيسى ومحمد صلوات الله عليهما وسلامه وآمنوا ببعض الرسل وبعض الكتب، وكفروا ببعض الرسل وبعض الكتب.

﴿فَقَدْ[١] سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ وسؤالهم هذا إنما هو تعنت منهم وتمرد، وليس طلباً للحق وبحثاً عنه.

﴿فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ طلبوا من موسى عليه السلام أن يظهر الله تعالى لهم حتى يروه بأعينهم تمرداً على موسى عليه السلام وتعنتاً عليه، وكانت عادتهم التمرد على الله سبحانه وتعالى.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ عذبهم الله بسبب ظلمهم، وكان هؤلاء الذين سألوا ذلك سبعين رجلاً، ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ﴾ يعني أن اليهود عبدوا العجل من دون الله، ثم تاب الله عليهم حين تابوا، وهؤلاء غير أولئك الذين سألوا موسى أن يريهم الله جهرة؛ لأن اليهود انقسموا قسمين، فقسم منهم ذهبوا يكتبون التوراة مع موسى عند الجبل، وهم أولئك السبعون، والباقون مكثوا عند هارون، وهؤلاء هم الذين عبدوا العجل[٢].

فأما أولئك فقد أخذتهم الصاعقة بسؤالهم الرؤية، وأما الباقون فتابوا فعفا الله عنهم بعد أن شدد الله عليهم في التوبة حيث أمرهم بقتل أنفسهم.

---

(١) –**سؤال:** ما معنى الفاء في قوله: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ﴾؟

الجواب: الفاء هي الفصيحة، رابطة للجواب بالشرط أي أنها ربطت المسبب بسببه، والتقدير: إن سألوك فقد سألوا، أي: لا يكبر عليك تعنتهم فعادتهم التعنت من عهد موسى عليه السلام.

(٢) –**سؤال:** يقال: ظاهر قوله: ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ أن عبدة العجل هم نفس السائلين، فكيف؟

الجواب: المذكور في القرآن الكريم أن موسى ذهب مع سبعين مختارين من بني إسرائيل لكتابة التوراة وجعل هارون خليفة في قومه، فطلب السبعون من موسى أن يريهم الله جهرة، وحصل ما حصل ممن بقي من بني إسرائيل عند هارون، فعصوا هارون وخالفوه وعبدوا العجل، هذا ما قصه الله تعالى في القرآن. أما في هذه الآية فقد نسب الله الأمرين إلى بني إسرائيل الذين كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأن الأمرين وقعا من أسلافهم الذين يتولونهم ويحبونهم وينتمون إليهم.

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا۝١٥٣﴾ أعطاه الله حجة ظاهرة(١)، ومعجزة قوية.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ﴾(٢) رفع الله الجبل فوق اليهود حين تمردوا عن أحكام التوراة؛ لأجل أن يأخذوا الميثاق، وهو أن يعملوا بأحكام التوراة، فلم يعملوا بها إلا حين رفع الله الجبل فوقهم كأنه ظلة أي: مثل المظلة فوقهم لأجل أن يعاهدوا ويعملوا بالتوراة، وهذا من شدة تمردهم على الله وعتوهم. أخبر الله النبي ﷺ أن تمرد اليهود قديم، وأنهم متمردون من عهد موسى عليه السلام.

﴿وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ أمرهم الله تعالى أن يدخلوا الباب وهم ساجدون لله شاكرون له مستشعرين منّة الله عليهم ونعمته العظيمة التي أعطاهم فعصوا عند ذلك، وخالفوا عند دخولهم.

﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾(٣) نهاهم الله تعالى عن الاعتداء في السبت ولكنهم عصوا واعتدوا.

﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا۝١٥٤﴾ أي: عهداً وأيماناً مؤكدة وهي التي أخذها عليهم حين رفع فوقهم الطور فلم يفوا بها ونكثوا وعصوا.

يعدد الله على اليهود أفعالهم، وأخبر أنه جازاهم بسبب كثرة تمردهم فذكر تعالى بعضاً من ذلك فقال:

---

(١) —**سؤال:** ما هي الحجة التي أعطاها الله موسى؟

الجواب: أعطاه الله تعالى تسع آيات بينات أعظمها العصا واليد، ويحتمل أن يفسر السلطان بما جعله الله تعالى من التسلط على بني إسرائيل، مثل قوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾ [الإسراء:٣٣].

(٢) —**سؤال:** هل الباء سببية في قوله: ﴿بِمِيثَاقِهِمْ﴾؟

الجواب: الباء سببية أي: بسبب ميثاقهم ليلتزموه فلا ينقضوه.

(٣) —**سؤال:** ما هو الاعتداء الذي نهوا عنه؟

الجواب: نهاهم الله عن الصيد للسمك يوم السبت، فاعتدوا ولم ينتهوا.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾[(١)] بسبب نقضهم ميثاقهم.

﴿وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ وبسبب كفرهم بآيات الله.

﴿وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ وبسبب قتلهم لأنبياء الله بغير حق.

﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ وبسبب أن الله يبعث إليهم الأنبياء لينذروهم؛ فيقولوا: قلوبنا مغطاة ولا نفهم ما تقولونه.

﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾ ليست غلفاً كما يزعمون، وإنما قد غطتها الذنوب، فخذلهم الله ومنعهم من ألطافه.

﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾ بسبب كفرهم، وبسبب قولهم على مريم إنها زانية.

﴿وَ﴾بسبب ﴿قَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾[(٢)] وإنما شبه لهم، وليس هو عيسى الذي قتلوه وصلبوه.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾﴾[(٣)] فقد اختلف الأمر عليهم واشتبه عليهم هل المقتول هو أو غيره؟

---

(١) –**سؤال:** ما هو إعراب «ما»؟ وكذا «نقضهم»؟

الجواب: ما: حرف لا محل له من الإعراب، صلة توسطت بين الجار والمجرور. أما «نقضهم» فهو مجرور بالباء الداخلة على «ما».

(٢) –**سؤال:** كيف كانت واقعة القتل، والتشبيه لهم؟

الجواب: لما عزم اليهود على قتل عيسى عليه السلام ألقى الله تعالى شبه عيسى وهيئته على رجل من بني إسرائيل فقتلوه بناءً على أنه عيسى عليه السلام، واعتقدوا أنهم قتلوه، إلا أن الله تعالى حفظ نبيه عيسى ورفعه من بينهم، فلم يروه بعد ذلك، فأصروا على أنهم قتلوه.

(٣) –**سؤال:** من هم الذين اختلفوا فيه؟

الجواب: هم النصارى اختلفوا هل المقتول عيسى أم هو غيره، وهل هو إله أم غير إله، والذين قالوا إنه إله هل يصح قتله أم لا يصح قتله.

﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴿١٥٨﴾﴾ توفاه ورفعه[1]، وكان رفعه لحكمة منه تعالى ومصلحة يعلمها فأفعاله صادرة عن الحكمة والمصلحة.

﴿وَإِنْ[2] مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴿١٥٩﴾﴾ أخبر تعالى أنه لا بد أن يؤمن بعيسى عليه السلام كل واحد من أهل الكتاب عند الاحتضار للموت ويصدق بنبوته ورسالته ولكنه لا ينفعه إيمانه عند حضور الموت، وسيشهد عيسى عليه السلام على اليهود في يوم القيامة عند الحساب

---

(١) —**سؤال:** يقال: فما فائدة تطهيره من الذين كفروا بعد الموت كما في آية أخرى؟

الجواب: الظاهر من قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران:٥٥] أن الله تعالى توفى عيسى عليه السلام بالموت، ورفع روحه إلى كرامة الله وثوابه، وطهر الله تعالى جسده من بني إسرائيل فأخفاه عنهم بقدرته لئلا يمتهنوه بالصلب والرفس والبصق وإلقاء النجاسات ونحو ذلك. ويؤيد ما ذكرنا من أن الله تعالى أماته قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة].

(٢) —**سؤال:** ماذا يفيد التعبير بقوله: «وإن من»؟

الجواب: يفيد الاستغراق والعموم لجميع أهل الكتاب.

سؤال: هل يكون إيمانهم عند الاحتضار من باب محاولة النجاة؟ أم أنهم يؤمنون به اضطراراً؟

الجواب: سيؤمنون به اضطراراً؛ لتزيد حسرتهم، وليروا عظيم جرمهم وسوء عاقبتهم: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴿٤٧﴾﴾ [الزمر]، فإيمانهم به هو من صدمهم بنوع من العقوبة؛ لذلك جاء الخبر مؤكداً.

سؤال: ما رأيكم في القول بأنهم يؤمنون بعيسى قبل موته عليه السلام، وذلك بعد نزوله آخر الزمان؟

الجواب: الذي يظهر —والله أعلم– أن هذا القول مرجوح، لما صح وثبت قطعاً أنه لا نبي بعد نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم في حديث المنزلة: ((علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي))، ولا خلاف في صحة هذا الحديث، وهناك رواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تقول: ((إنه لم يعمر نبي إلا نصف عمر الذي قبله)).

فيشهد أنه بين لهم حجة الله وبلغهم رسالته وتلا عليهم آياته، وأنهم عرفوها وتحققوها وتمردوا وكفروا وأصروا على التكذيب.

﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ بسبب ظلمهم ومعاصيهم تلك التي عددها الله تعالى.

﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾(١) حرمنا عليهم أشياء كانت حلالاً لهم.

﴿وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴿١٦٠﴾﴾ وبسبب صدهم عن سبيل الله.

﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾(٢) بسبب أفعالهم هذه، وكانوا كلما عصوا معصية حرم الله عليهم شيئاً، وكان الله تعالى يبعث إليهم نبياً بعد نبي.

﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴿١٦١﴾(٣) لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ

---

(١) –**سؤال:** ما هي الطيبات التي حرمت عليهم؟

الجواب: ذكر الله تعالى في كتابه الكريم أنه حرم على بني إسرائيل كل ذي ظفر، وشحوم البقر والغنم إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم، وحرم عليهم الصيد في يوم السبت، فهذا بعض ما حرمه الله عليهم، ولعل هناك طيبات حرمها الله عليهم غير ذلك، والله أعلم.

(٢) –**سؤال:** ما صور أكلهم لأموال الناس بالباطل؟

الجواب: كانوا يأكلون الرشوة والثمن على تحريف أحكام التوراة وعلى كتمانها وعلى تغييرها ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة]، وكانوا يستحلون أموال العرب: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران:٧٥]، هذه بعض الصور التي تحدثت عن أكلهم أموال الناس بالباطل.

(٣) –**سؤال:** لماذا قال: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ...﴾ أوليس المتحدث عنهم كافرين جميعاً؟

الجواب: تحدث الله تعالى عن أهل الكتاب جملة فقال: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ...﴾ [النساء:١٥٣]، ثم ساق إلى أن وصل عند هذه الآية فقال: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴿١٦١﴾﴾ فالذين سألوا هم بعض أهل الكتاب، فالوعيد هو للذين سألوا هم ومن تابعهم وشايعهم وصف في صفهم، دون من آمن بالله ورسوله النبي الأمي صلى الله عليه وآله وسلم؛ لذلك استدركهم الله

=

وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ(١) الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴿١٦٢﴾﴾ لا زال من اليهود قلة قليلة كعبدالله بن سلام وعدة من أهل التوراة في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم آمنوا بالله وصدقوا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وما جاء به وهم الراسخون في العلم من أهل الكتاب فلم يتعنتوا ولم يتمردوا بل آمنوا وصدقوا وقد وعدهم الله هم والمؤمنين الذين آمنوا من المهاجرين والأنصار وغيرهم أجراً عظيماً على إيمانهم وتصديقهم بما أنزل الله إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبما أنزل الله تعالى على من قبله وعلى إقامتهم للصلاة وإيتائهم للزكاة وإيمانهم بالله وباليوم الآخر.

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ أوحينا إليك يا محمد كما أوحينا إلى من قبلك من الأنبياء، ونبوتك لا غموض يعتريها، ولا عذر لأحد في جهلها؛ إذ حجتك واضحة ونيرة، وعدم إيمان اليهود والنصارى وغيرهم؛ ليس لأجل غموض فيها أو خفاء في حجتها ودلائل صحتها.

﴿وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا(٢) لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ وأعطاه من الآيات الواضحة والحجج مثل ما أعطاهم، وفي قوله: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴿١٦٣﴾﴾ أشاد الله تعالى بفضل نبيه داود عليه السلام، وفضل كتابه المنزل عليه وهو الزبور.

فقال: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ...﴾.

(١) —**سؤال:** علام نصب «المقيمين»؟

الجواب: نصب على المدح، أي: أمدح المقيمين الصلاة، ونصبت على المدح من أجل التنبيه على أن لهم مزية زائدة وشأناً رفيعاً.

(٢) —**سؤال:** علام نصب قوله: ﴿وَرُسُلًا﴾؟

الجواب: منصوب بفعل محذوف تقديره: وأرسلنا رسلاً.

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ وقد فضل الله تعالى نبيه موسى عليه السلام بالتكليم، فسمع كلام الله تعالى من غير واسطة جبريل.

﴿رُسُلًا[١] مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ فهم مبشرون ومنذرون بالثواب والعقاب؛ لئلا يكون للناس على الله حجة يوم القيامة[٢].

﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ إذا أبى المشركون الإيمان بك، وتمردوا عليك، وكذلك اليهود والنصارى؛ فإذا لم يشهد لك هؤلاء- فالله سيشهد لك بالنبوة والرسالة، وبأن ما جئت به حق وصدق من عند الله.

﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ[٣] وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ وسوف تشهد

---

(١) -**سؤال:** علام نصب ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ﴾؟

الجواب: منصوب بفعل محذوف تقديره: أمدح.

(٢) -**سؤال:** هل الحجة هي قولهم: لم ترسل إلينا رسولاً؟

الجواب: أرسل الله تعالى الرسل صلوات الله عليهم إلى أقوامهم ليخبروهم أنهم قد استحقوا العذاب بما هم عليه من أعمال الكفر والفسوق والظلم والطغيان، ولينذروهم أنهم إن أصروا على ما هم عليه، ولم يتوبوا بالعذاب العظيم في نار جهنم خالدين فيها أبداً، فلو أن الله تعالى لم يرسل إليهم الرسل لقالوا يوم القيامة: لو أرسلت إلينا رسولاً لينذرنا بالعذاب الخالد على ما كنا فيه من الكفر والفسوق لتركناه ولتبنا وأطعنا، فهذه هي الحجة التي سيحتجون بها لو لم يرسل الله رسله إلى المجرمين.

(٣) -**سؤال:** ما معنى: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ فللأشاعرة مجال في الاستدلال بها؟

الجواب: استدلت الأشاعرة بهذه الآية على أن العلم -أي علم الله- معنى غير الله، وأعربوا «أنزله بعلمه» من إعراب «كتبت بالقلم» فجعلوا علمه آلة للإنزال كما أن القلم آلة للكتابة. قلنا: يمكننا أن نعرب الباء للمصاحبة فيكون المعنى: أنزله متلبساً بعلمه أو مصاحباً لعلمه أي لمعلوماته الحقة، فالقرآن الكريم هو معلومات الله، ويمكننا أن نقول: إن الباء بمعنى «من» أي: أنزله من علمه، أي من الكتاب المكنون الذي كتبت فيه معلومات الله الذي

=

لك الملائكة بأنك نبي، وأنك رسول من عند الله، وأن دعوتك هي دعوة الحق، ويكفيك شهادة الله عن كل شهادة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴿١٦٧﴾﴾ إن الكافرين الصادين عن الدين الحق قد أوغلوا في الضلال، وابتعدوا عن الحق؛ لذلك فرجوعهم إلى الإسلام ودين الحق بعيد، فلا تطمع يا محمد في إيمانهم.

وصدهم عن سبيل الله هو منع الناس عن الإيمان، وعن سماع القرآن والحجج، ومحاصرتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحصار الشديد في مكة، وكانوا يقفون في طريق الحجاج يحذرونهم محمداً، وعن القرب منه وأنه يفرق بين الأب وابنه، وأنه يسفه أديانكم، وغير ذلك مما ينفرهم عنه، ويعرضون عن الاستماع له، وإذا رأوه هربوا منه لئلا يقابلوه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ فهم من أهل عذاب الله، بعيدون عن مغفرته، ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ[1] خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴿١٦٩﴾﴾ لا يوفق الله الكافرين والظالمين ولا يمدهم بأنوار التسديد والتوفيق؛ لأنهم لا يستحقون المعونة من الله.

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا[2] لَكُمْ﴾ الإيمان بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وبما جاء به من الحق الواضح خير لكم أيها الناس من التمرد والكفر.

وصفه الله تعالى بأنه ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة]، وعلى الجملة فللباء معان كثيرة، وليس هناك قرينة على أن الباء في الآية للآلة أو الاستعانة بل هي مترددة بين ما ذكرت الأشاعرة وبين ما ذكرنا؛ لذلك يبطل استدلالهم بها؛ للإجمال والتردد الذي ذكرنا.

(١) –**سؤال:** هل الاستثناء متصل أم منقطع؟

الجواب: الاستثناء متصل على أن ذلك في يوم القيامة.

(٢) –**سؤال:** علام نصب قوله «خيراً»؟

الجواب: نصبت على أنها خبر لكان محذوفة هي واسمها، والتقدير: يكن الإيمان خيراً لكم.

﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾﴾ فهو غني عنكم غير محتاج لإيمانكم، فهو مالك السماوات والأرض، وقد اقتضت حكمة الله وعلمه أن يبعث رسله ﷺ إلى الناس ليدعوهم إلى عبادة الله وحده والالتزام بطاعته وتقواه، وجعل تعالى بعلمه وحكمته هذا التكليف مبنياً على الاختيار فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا[١] فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾[٢] هؤلاء هم النصارى، قالوا إن عيسى ابن الله غلواً فيه إذ جعلوه في درجة الربوبية، فنهاهم الله عن ذلك.

﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ هذا رد من الله تعالى عليهم بأنه ليس برب، وإنما هو رسول من عند الله فلا ترفعوا منزلته إلى منزلة لا يستحقها.

﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾[٣] خلق الله عيسى بأمره ومشيئته من غير أب إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

---

(١) – **سؤال:** هل الغلو في الدين الزيادة فيه فيدخل في ذلك كل من ابتدع بدعة ليست من دين الله؟

الجواب: الغلو هو: مجاوزة الحد في الأمر، فعلى هذا ليست البدعة من الغلو، وللتوضيح: فعيسى بشر خلقه الله من غير أب وجعله نبياً وجعله مباركاً... فتجاوزت النصارى هذا الحد الذي جعله الله تعالى عليه وسموه رباً، وقال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المدثر]، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة:٢٨٦]، ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ السورة، فقول من قال: إن الصحابة جميعاً من أهل الجنة وإن فعلوا ما فعلوا هو غلو حيث تجاوزوا بالصحابة الحد الذي حده الله في كتابه المجيد.

(٢) – **سؤال:** هل الاستثناء مفرغ في قوله: ﴿إِلَّا الْحَقَّ﴾؟

الجواب: هو مفرغ.

(٣) – **سؤال:** ما معنى أنه كلمة الله ألقاها إلى مريم؟

الجواب: المعنى أن الله تعالى خلقه بكلمة من الله وهي «كن»، وفي الواقع أن هذا تصوير لنفوذ إرادة الله ومشيئته، فإذا أراد تعالى تكوين شيء كان من غير واسطة كلمة أو كلام.

﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ وهو روح[1] وضعها الله في بطن مريم، وكذلك كل شخص هو روح وضعها الله في بطن أمه، ولكن الفرق بيننا وبين عيسى أننا بسبب من الزوج بخلاف عيسى عليه السلام فقد خلقه الله بغير سبب.

﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ﴾ فلا تقولوا: إن الآلهة ثلاثة: الله، وعيسى، ومريم.

﴿انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾[2] اتركوا هذه المقالة الباطلة، قبل أن يلحقكم عذاب الله وسخطه.

﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ[3] سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ[4] لَهُ وَلَدٌ﴾ تعالى وتقدس أن يكون له ولد.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ لا شريك له، وعيسى من ضمن ما يملكه الله تعالى، لا كما تدعون فليس لله شريك في السماوات والأرض فالكل خلقه.

---

(١) – **سؤال:** ما هو الروح الذي ينفخ الله منه، هل هو نفس الحياة أم ماذا؟

الجواب: الروح هو الحياة التي يجعلها الله تعالى في الإنسان، وهي سر من الأسرار ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٥﴾ [الإسراء]، ولا فرق فروح عيسى صلوات الله عليه كروح موسى، إلا أن حياة عيسى لما كانت غريبة من حيث خلقه الله ونفخ فيه من روحه من غير أب سمي عليه السلام بأسماء تشريفية ميزه الله تعالى بها عن غيره من البشر.

(٢) – **سؤال:** علام نصب قوله «خيرا»؟

الجواب: يؤخذ جوابه من السؤال الذي على قوله: ﴿فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ [النساء:١٧٠].

(٣) – **سؤال:** دعواهم بأن مع الله تعالى إلهين اثنين، والرد بتنزيهه عن الولد فلماذا؟

الجواب: إذا انتفى أن يكون لله تعالى ولد لزم منه وحدانية الله وانتفاء الثاني الذي يؤلهه النصارى.

(٤) – **سؤال:** ما موضع: ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ الإعرابي؟

الجواب: «أن» وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بـ«عن» محذوفة، والجار والمجرور متعلق بـ«سبحانه».

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ فالله رقيب على السماوات والأرض، وما فيهما وعلمه محيط بكل شيء.

﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ خاطب الله النصارى بأن المسيح لن يستكبر أن يكون عبداً لله، فلماذا استكبرتم وقلتم: إنه لا يصح أن يكون عبداً لله، وكذلك الملائكة المقربون لن يستكبروا عن العبودية لله تعالى فهم معترفون أنهم عبيده.

﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾ ومن استكبر من عباده عن عبادة الله وادعى لنفسه الربوبية؛ فإن مرجعه إلى الله، وسيحاسبه ويجازيه، وهذا تهديد منه جل وعلا.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾(١) هذا مصير الذين سيحشرهم الله إليه في قوله: ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾ أما المؤمنون المطيعون لله فإن الله تعالى يمدهم بأنوار التوفيق والتسديد، ويمدهم بمعونته ورعايته، ثم يوفيهم أجرهم وثوابهم أجراً كاملاً، ثم يزيدهم على أجرهم زيادة من فضله، ولم يحدد مقدار الزيادة ولكنها زيادة عظيمة، والعطية تكون بقدر المعطي، وأما الذين استنكفوا واستكبروا عن التواضع لأوامر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم فليس لهم إلا العذاب الأليم في نار جهنم لا يجدون حينئذ من يدفع عنهم عذاب الله فكل واحد من أهل الموقف مشغول بنفسه ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [المعارج].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾

---

(١) ــ **سؤال:** هل في الآية ما يدل على أن الثواب ليس تفضلاً بل مقابلاً للأجرة، والزيادة تفضل؟

الجواب: نعم في الآية ما يفيد ذلك.

يخاطب الله الناس بأنه قد جاءكم حجة واضحة منه على لسان نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهي المعجزات، والقرآن وفيه برهان واضح على أنه حق من عند الله.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ﴾ وبالنور الذي أنزله.

﴿وَاعْتَصَمُوا بِهِ﴾ أي: امتنعوا بالله ليكفيهم ما يُخَاف ويُحذَر من شرور الدنيا والآخرة.

﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾(١).

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ استفتى الصحابة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن الكلالة، وقد نزل في الكلالة آيتان إحداهما في الشتاء والأخرى في الصيف(٢).

فالآية المذكورة في أول السورة تفيد أنه حين يموت الميت ولا ولد له، ولا أب، ولا جد- فهذا اسمه كلالة ، ويرثه ناس غيرهم، فإذا كان للميت إخوة من الأم فلهم الثلث، وإذا كان له أخ واحد فله السدس.

﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ وهذه الآية تفيد أن الميت إذا لم يكن له ولد ولا والد(٣) وترك أختاً واحدة من أب وأم فلها النصف، وإن كانتا اثنتين فأكثر فلهن الثلثان، وإن كانوا ذكوراً وإناثاً فللذكر مثل حظ الأنثيين.

---

(١) – **سؤال:** هل المراد يدخلهم في رحمة منه في الدنيا؛ ليناسب: ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾؟

الجواب: المراد في الدنيا؛ لتناسب ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ...﴾.

(٢) –**سؤال:** ما هي آية الصيف وما هي آية الشتاء؟

الجواب: آية الصيف هي التي في آخر سورة النساء، وآية الشتاء هي التي في أولها، وقد جاءت الرواية من طرق كثيرة عن عمر أنه سأل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن الكلالة فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : ((يكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء)).

(٣) –**سؤال:** من أين استفدنا أنه لا يكون له والد؟

الجواب: استفدناه مما ثبت وتقرر أن الأب يسقط الإخوة فيما تقدم في قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ [النساء:١١]، وكأن المسألة وفاقية.

﴿وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ﴾ يرث كل مالها بشرط أن لا ولد لها أي للأخت.

﴿فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ يعني إذا مات الميت وله إخوة وأخوات من أب وأم فنصيب الذكر مثل حظ الأنثيين.

﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾ يبين لكم تعالى أحكام المواريث كراهة أن تضلوا عن هدى الله وشرائعه الحكيمة.



سورة المائدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ العقود التي في المعاملات بين الناس من بيع وشراء أو صلح أو غير ذلك- فالواجب الوفاء بها سواء كانت مكتوبة أم لا.

﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾(١) وهي ثمانية أصناف: من الضأن اثنين، ومن البقر اثنين، ومن المعز اثنين، ومن الإبل اثنين؛ فهذه أحلها الله تعالى لنا، وقد كان المشركون حرموا بعض ذلك(٢).

﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ استثنى الله تعالى أشياء حرمها، وسيأتي ذكرها مفصلة في هذه السورة.

﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ فإذا كنتم محرمين فالصيد محرم عليكم، سواء كنتم في حرمة الحرم، أو في حرمة الإحرام(٣).

﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ①﴾(٤) فقد حكم بهذه الأحكام فالواجب الامتثال والطاعة.

---

(١)- **سؤال:** ما الوجه في فصل هذه الجملة عن التي قبلها؟

الجواب: فصلت لكمال الانفصال، حيث إن الأولى إنشائية والثانية خبرية.

(٢)- **سؤال:** ما المراد بالبعض الذي حرمه المشركون؟

الجواب: من ذلك ما ذكره الله تعالى في قوله: **﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾** [المائدة:١٠٣].

(٣)- **سؤال:** ما إعراب قوله: «غير»؟

الجواب: تعرب «غير» حالاً من ضمير ﴿عَلَيْكُمْ﴾، والعامل ﴿يُتْلَى﴾.

سؤال: من أين نستفيد شمول لفظة ﴿حُرُمٌ﴾ لحرمة الحرم وحرمة الإحرام؟

الجواب: «حرم» جمع محرم، ويقال: أحرم، إذا أحرم بحج أو عمرة أو دخل في الحرم، أفاده الرازي.

(٤)- **سؤال:** هل قوله: ﴿يَحْكُمُ﴾ من الحكم فكيف تعدى للمفعول بدون حرف تعدية؟ أو من الإحكام؟ وعلى الأول هل فيها دليل على أن الإرادة العلم؟

الجواب: قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ①﴾ جملة لا محل لها من الإعراب استئناف بياني في جواب سؤال مقدر هو: ما العلة في إحلال الصيد في حالةٍ، وتحريمه في حالة أخرى؟ فكان

=

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْىَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ لا تستحلوا شعائر الله وعظموها، وهي شعائر الحج، فإذا كان الحاج أو المعتمر قد أهدى هدياً فلا يستنفع منها بشيء، فلا يركب، ولا يحمل، ولا يحلب.

وشعائر الله: هي معالم دينه، ولكن المراد بها هنا شعائر الحج[1] فهي في سياقه.

ولا تستحلوا حرمة الشهر الحرام[2].

ولا تستحلوا ما أهديتم للبيت[3] أو ما قلدتموه من القلائد؛ فعظموها إلى أن تصل إلى محلها ثم اذبحوها، والقلائد هي من جملة الهدي، وإنما يجعل عليها قلادة، وهي أي شيء يعلق في رقبتها لتتميز بأنها قد صارت لله، وأنها قد صارت هدياً للبيت.

وكذلك لا تستحلوا آمين البيت، بمعنى: تعترضوا القاصدين للبيت الحرام،

الجواب: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ...﴾، فعلى هذا هي من الحكم أي: تشريع الأحكام. وتعدي الفعل بنفسه من غير حرف جر لتضمنه معنى يفعل. وإذا كان المعنى: والله يفعل ما يعلم أن المصلحة والحكمة في فعله من تشريع الأحكام وغيرها- ففي الآية دليل على أن الإرادة: هي العلم باشتمال الفعل على المصلحة والحكمة.

(١)- **سؤال:** هل المراد بشعائر الحج ذبائحه التي تهدى فيه أم مناسكه؟

الجواب: شعائر الحج هي الذبائح والمناسك، وحرمة الزمان والمكان، وحرمة الإحرام.

(٢)- **سؤال:** هل المقصود شهر بعينه أم جميع الأشهر الحرم جميعها؟

الجواب: المراد الأشهر الحرم جميعها.

(٣)- **سؤال:** إذا كان الهدي هو الشعائر، فما فائدة التنصيص عليه ثانية بقوله: ﴿وَلَا الْهَدْىَ﴾؟

الجواب: الشعائر هي عامة لما ذكرنا سابقاً قبل سؤالين، وذُكِرَت ثانياً بالتنصيص بعد دخولها في العموم لما لها من المزية على سائر الشعائر، بدليل ما روي: ((الحج هو العج والثج))، أي: ثج الدماء، ولئلا يحصل فيها تهاون وتفريط لكثرة عروض ما يعرض من الحاجة لركوبها، وقد يعرض لها كسر أو عرج أو ضعف، فيتجوز مهديها في ذبحها وأكلها و.. إلخ.

وهم القاصدون للحج والعمرة ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ حال من: ﴿ءَامِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ أي: أن مرادهم طاعة الله وتعظيم بيته الحرام، والحصول على رضوانه، فلا تتعرضوا لهم بمنع أو أذى.

﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ[(١)] فَاصْطَادُوا﴾ فإذا حللتم من الإحرام وخرجتم من حرمة الحرم المحرم فالصيد حلال لكم.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾[(٢)] لا يحملكم بغض أولئك الذين صدوكم عن المسجد الحرام فيما سبق- أن تمنعوهم اليوم عن المسجد الحرام كما فعلوا بكم فيما سبق، بل اتركوهم إذا أتوا قاصدين البيت الحرام.

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ حث من الله تعالى على التعاون على أعمال البر والتقوى، ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ[(٣)] وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴿٢﴾﴾ فلا تتعرضوا بمعاصيكم لسخط الله وشديد عذابه.

ثم بدأ في تفصيل ما استثناه في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ بقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾ كانوا يأكلون الدم في الجاهلية، فكانوا يسحبون

---

(١)- **سؤال:** هل قوله: ﴿حَلَلْتُمْ﴾ يشمل المعنيين؟

الجواب: هو يشملهما، فلا يحل الصيد إلا إذا خرج المحرم من حرمة الإحرام، وحرمة الحرم المحرَّم.

(٢)- **سؤال:** ما موقع: ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ﴾ الإعرابي؟ وكذا: ﴿أَنْ تَعْتَدُوا﴾؟

الجواب: ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ﴾ مجرور بحرف جر مقدر متعلق بـ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ تقديره: لأن صدوكم، و﴿أَنْ تَعْتَدُوا﴾ مجرور بـ«على» مقدرة، متعلق بـ«يجرمنكم».

(٣)- **سؤال:** ما هو الإثم والعدوان الذي نهى الله عن التعاون عليه؟

الجواب: قيل: الإثم هو: المعصية التي لا يتعدى ضررها صاحبها، والعدوان هو: المعصية التي يتعدى ضررها، ويمكن أن يقال: إن الإثم يعم المعاصي كلَّها، والعدوان هو من جملة الإثم إلا أنه عطف عليه لعظمه.

من دم الناقة أو البهيمة، وينضجونه بالنار ويقدمونه للأكل فحرم الله ذلك.

﴿وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ[١] وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾[٢] كانوا يقولون: باسم اللات أو: باسم العزى، أو: باسم هبل، أو نحوه مما ذكر غير اسم الله عليه عند الذبح، فحرم الله تعالى ما ذكر على ذبحه غير اسم الله تعالى.

﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ وهي التي انخنقت كأن تلتوي بحبل وتموت.

﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ هي التي تضرب حتى تموت[٣].

﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾ التي سقطت من شاهق.

﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ التي ماتت نطحاً.

﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾ هي البهيمة التي افترسها السبع من ذئب أو كلب أو نحوه.

﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ إلا ما لحقتم ذكاته، وذبحتموه حال حياته[٤].

﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾[١] وحرم الله تعالى ما ذبح للأصنام.

---

(١)- **سؤال:** هل نفهم دخول لحم الخنزير وغيره في عموم بهيمة الأنعام حتى استثنيت بهذا؟

الجواب: في هذه الآية بيان ما حرمه الله من بهيمة الأنعام، وذكر فيها تحريم لحم الخنزير لا لأنه من بيان المجمل وإنما لبيان حكم أكله، أما الدم ففيه بيان تحريمه من بهيمة الأنعام، وزيادة بيان تحريمه من غيرها، ولا يشترط في بيان المجمل أن لا يذكر معه غيره.

(٢)- **سؤال:** ما هي حقيقة الإهلال؟

الجواب: هو رفع الصوت بذكر غير الله الذي كان تفعله الجاهلية عند الذبح، فكانوا يقولون: باسم اللات، وباسم العزى، فنهى الله عن أكل ذلك الذي أهل به لغير الله.

(٣)- **سؤال:** ما وجه التفصيل الرباني بالمنخنقة والموقوذة بعد قوله: ﴿الْمَيْتَةُ﴾ أليس قد دخلت فيها؟

الجواب: لعل وجه ذلك أن المشركين كانوا يأكلون ذلك، فكانوا يضربون الشاة إلى أن تموت ثم يأكلونها، وكثيراً ما يحصل الاختناق في البهائم فيأكلون المنخنقة، فخص بالذكر لذلك.

(٤)- **سؤال:** هل الاستثناء عائد إلى ما أكل السبع أم إلى جميع أنواع الميتة المتقدمة؟

الجواب: يعود الاستثناء إلى الجميع إلا الخنزير والدم، فما أدركت ذكاته وهو حي فيحل.

﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ أي بالقداح كان أحدهم إذا أراد سفراً أو غزواً أو تجارة أو نكاحاً ضرب بالقداح وهي مكتوب على بعضها: نهاني ربي، وعلى بعضها: أمرني ربي، وبعضها ليس عليه كتابة؛ فإن خرج الناهي أمسك، وإن خرج الآمر مضى لأمره، وإن خرج الفاضي أعاد الكرّة.

﴿ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ هذه الأشياء خارجة عن حدود الله فلا تقربوها.

﴿الْيَوْمَ[٢] يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾ وأصبح الإسلام قوياً، وقد انتشر على الساحة، وصار له هيبة؛ فلا تخافوا المشركين مثل ما كنتم تخافونهم من قبل على دينكم حين كنتم في مكة.

ولا تخافوا إذا خالفتم شرائعهم وما شرعوه في البهائم ونحوها، وهذا بعد فتح مكة؛ لأن هذه السورة من آخر ما نزل فهم في مأمن من تقوّل المشركين عليهم.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ أكمل الله دينه بعد فتح مكة، وأصبح المسلمون يحجون آمنين مطمئنين، وقد أطبق الإسلام على الجزيرة العربية، وقد بلغ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جميع ما أمره به ربه، وحينها نصب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من بعده علياً[٣] ليبلغ عنه الشرائع بعد

---

(١)- **سؤال:** يقال: ظاهر الآية أنها ذبحت عليها لا لها، أم أن معنى: ﴿عَلَى النُّصُبِ﴾: للنصب؟

الجواب: قيل: إنهم كانوا يذبحون عليها ويلطخونها بالدم ويشرقون عليها اللحم، وقيل: إن «على» و«اللام» يتعاقبان، فـ«اللام» بمعنى «على» مثل: ﴿فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ۝٩١﴾ [الواقعة].

(٢)- **سؤال:** علام نصب «اليوم»؟

الجواب: نصب على أنه مفعول فيه (ظرف زمان) وناصبه: ﴿يَئِسَ﴾.

(٣)- **سؤال:** قد يقال: إذا كان مرادكم أن كمال الدين حصل بولاية علي عَلَيْهِ السَّلَامُ فما مناسبة إيرادها في سياق المحرمات من البهائم؟ ولماذا توسطت بين ما تقدم وبين قوله: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾؟

الجواب: وجه مناسبة قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ =

موته ﷺ، ويعلم الناس أحكام دينهم فحتى لو مات النبي ﷺ فقد كمل دينكم وقد وضع لكم من يهديكم من بعده.

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ[١] لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ۝﴾ إذا اضطر الإنسان في شدة ومجاعة شديدة- فلا بأس عليه أن يأكل من تلك الأشياء التي قد حرمت، ولا يأكل إلا ما يبقي على حياته، وهو المراد بقوله: ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾.

ويفهم منها أنه إذا طالت الشدة كالحصار ونحوه فإنه يباح أن يأكل منها ويشبع لأنه لا يرجو أن يرى غيرها يسد به جوعته، أو يأكل منها ما يبلغه إلى مكان الزاد والطعام، ولو ملأ بطنه إذا كان يظن أنه لن يبلغه إلا بهذا القدر.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ يسألون النبي ﷺ ومرادهم ماذا أحل من الصيد، والسائلون أناس من طيء كانوا أهل صيد.

﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ الذي تستطيبه نفوسكم ولا تستخبثه- فهو حلال لكم.

ظاهر في ذكرها بعد المحرمات من البهائم، فإن المشركين كانوا يكثرون الأذى للمؤمنين في تحريمهم للميتة، وعند نزول هذه الآية أمن المؤمنون من أذى المشركين، فأمرهم الله أن يعلنوا التحريم ويظهروه، وعقب الله تعالى هذه الآية بآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ لأنها تتمة لمعناها، أو كالتتمة فإن معنى الآية الأولى: أن دولة الإسلام وسلطانه قد انتشر في البلاد وقهر الأعداء، وصار له هيبة عظيمة أذلت الشرك وأهله و.. إلخ. ومعنى الثانية: أكملت لكم معالم الإسلام وشرائعه وأحكامه، وبينت لكم طريق الهدى والحق بنصب أعلامه إلى يوم القيامة، فتم الدين وكمل بقوة سلطانه الذي هو معنى الآية الأولى، وتم وكمل بتشريع الشرائع وتفصيل الأحكام وبيان سبيل الهدى وطريقه.

(١)- **سؤال:** ما معنى ﴿مُتَجَانِفٍ﴾ في أصل اللغة؟

الجواب: الجنف في اللغة: الميل، فمعنى ﴿مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ مائل إلى إثم أي: إلى فعل إثم.

﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ[١] مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ كانوا يروضون الكلاب على الصيد فما أمسك الكلب من الصيد عند الاسترسال فهو حلال، ومحل التسمية هنا عند الإرسال، وكل ما قَبِل التعليم من الجوارح فصيده حلال.

﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ أعطانا الله الطريقة في كيفية تعليم الكلاب ونحوها الصيد، وذلك نعمة من الله على عباده يلزم شكره عليها، حيث هدانا إلى تسخير الجوارح لمصالحنا.

﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾[٢] فهو حلال.

﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ عند الإرسال.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝٤﴾ فلا تتجاوزوا تعاليمه والتزموا حدوده.

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ الطيبات هي كل ما تستطيبه النفوس وتتلذذ به وتميل إليه، وطيبات الرزق معروفة ومتميزة عن المآكل الخبيثة، وكانت العرب تستطيب بعض الأشياء، فكل ما استطابته فهو حلال، وعلى العكس كل ما استخبثوه فهو حرام[٣].

---

(١)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿مُكَلِّبِينَ﴾؟ وما معناه؟ وما إعراب جملة: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾؟

الجواب: ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ حال منصوب وعلامة نصبه الياء، من الضمير في ﴿عَلَّمْتُمْ﴾، و﴿مُكَلِّبِينَ﴾ بمعنى: مروّضين للجوارح، ولما كانت الكلاب أكثر ما يروض ويعلّم الاصطياد اشتق منه ذلك، و﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ جملة حالية من الضمير في: ﴿عَلَّمْتُمْ﴾ أيضاً.

(٢)- **سؤال:** هل معنى: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ لكم، فحل «على» محل «اللام»؟

الجواب: المعنى: أمسكن لكم، وعلى هذا فتكون «على» بمعنى «اللام» أو يكون: ﴿أَمْسَكْنَ﴾ مضمناً معنى فعل يتعدى بعلى مثل حبس.

(٣)- **سؤال:** هل يوجد شيء لم ينص عليه بعينه احتجنا إلى هذه القاعدة في تحليله أو تحريمه؟

الجواب: لا أظن أنه يوجد مأكول لا يكون مصدر تحليله أو تحريمه سوى هذه القاعدة، ولكن هذه القاعدة قد تكون مؤيدة لمصدر الحكم الشرعي ومرجحة.

﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ[(١)] لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ طعام اليهود والنصارى حلال للمسلمين وطعام المسلمين حلال لهم.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ[(٢)] وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ[(٣)] مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ فهن حلال لكن من أسلم منهن؛ لأن المسلمين كانوا يستنقصون من أسلم من اليهود والنصارى، ولا يتزوجون منهن أنفة وترفعاً، وقد ذهب بعض الأئمة إلى جواز نكاح الكتابية، والمسألة اجتهادية.

﴿مُحْصِنِينَ[(٤)] غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ أحل الله نكاح أهل الكتاب من الطريق المشروعة، وحرم نكاحهن عن طريق الزنا.

---

(١)- **سؤال:** ما هو طعام الذين أوتوا الكتاب الذي أحل لنا؟

الجواب: طعام أهل الكتاب يعم جميع المأكولات بما فيها اللحم، وقد يقال: إن اللحم لا يسمى طعاماً في العرف العام، وكذا الفواكه لا تسمى طعاماً في العرف العام، ويستدل بهذه الآية على جواز الأكل مما ذبحه أهل الكتاب، والمسألة خلافية، والاحتياط هو في ترك الأكل من ذبائحهم.

(٢)- **سؤال:** ما المراد بالمحصنات من المؤمنات؟

الجواب: المراد العفائف الحرائر؛ حملاً للمشترك على معانيه الغير متنافية.

(٣)- **سؤال:** هل في قوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ إيماء إلى أن المراد الكتابيات لاشتراط العفة فيهن؟ وهل يمكن للمجوِّزين أن يقولوا بأن حمل الآية على من أسلم منهن بعيد لذلك أم كيف؟

الجواب: فيها الإيماء إلى اشتراط العفة والحرية في الكتابيات، والحمل على من أسلم منهن هو محمل بعيد كما ذكرتم، ولكن يجوز الحمل عليه إذا كانت أدلة تحريم الكتابيات قوية وراجحة على أدلة حلهن.

(٤)- **سؤال:** ما إعراب ﴿مُحْصِنِينَ﴾؟

الجواب: هي حال من فاعل: ﴿ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾.

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ۝﴾ ومن يكفر بشرائع الدين وأحكامه فقد بطل عمله فلا ينفعه ما عمل من أعمال البر والإحسان؛ لأن كفره قد أحبطها وأبطلها، وهو يوم القيامة من أهل النار، وورود هذه الآية بعد ذكره للمحصنات من أهل الكتاب ترشد المؤمنين إلى ترك التزوج من أهل الكفر فكأنه قال: فلا تتزوجوا منهن، أي: من هؤلاء الذين كفروا، وخسروا الدنيا والآخرة، وهناك مذاهب صحيحة تحل الزواج من الكتابيات اللواتي لا زلن على اليهودية الصحيحة، ولكن الآن لا يوجد من هؤلاء أحد.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ أمر الله تعالى المؤمنين في هذه الآية بالوضوء عند القيام إلى الصلاة، وعلمهم أعضاء الوضوء التي يجب وضوؤها وغسلها، ولم يذكر تعالى غسل نجاسة الفرجين ولا تطهير الجسم من النجاسة إن كان فيه نجاسة، وذلك لأن[1] غسل النجاسة والقذر من الجسم والثوب فطرة مفطورة في الإنسان يندفع بفطرته إلى إزالة القذر والنجس من جسده وثوبه، والله تعالى قد عدد لنا الذي لا نعلمه، وأما ما قد علمناه فعِلْمُنا به قد أغنانا عن ذكره. وقد دخل في غسل الوجه المضمضة والاستنشاق. والكعبان: هما العظمان الناتئان عند مفصل الساق من القدم.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ والمراد غسل جميع الجسم، والغسل يغنيه عن الوضوء، وهو مذهب قوي[2].

---

(١)- **سؤال:** هل يفهم من كلامكم أن الفرجين من أعضاء الوضوء؟

الجواب: غسل الفرجين من أثر النجاسة من واجبات الوضوء: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾.

(٢)- **سؤال:** يقال: فما رأيكم في الرواية عن علي عليه السلام أنه كان يتوضأ بعد الجنابة إذا حضرته الصلاة؟

الجواب: يحمل ذلك على أنه اغتسل للجنابة قبل وقت الصلاة أي في غير وقت الصلاة فلما =

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا(١) فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ وقد بين الله تعالى هنا أن التيمم يكفي عند وجود العذر من مرض أو سفر أو عدم وجود الماء، فالتيمم يجزي المصلي بدلاً عن الماء عند عدم الماء أو عند تضرر المريض من استعمال الماء، والتيمم(٢) المأمور به هنا هو: مسح الوجه واليدين إلى المرفقين بصعيد (تراب)، طيبٍ أي: طاهر لا قذر فيه، ويكفيه تيممه هذا ولو كان جنباً، ولا بد لكل صلاة من تيمم.

﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ فهو لا يريد أن يضعكم في حرج ومشقة، ولا يريد أن يكلفكم ما يشق عليكم.

﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ بما شرع لنا من الشرائع، وبما فرضه من الأحكام، ففي كل فريضة فرضها الله علينا مصالح لا تحصل إلا بذلك.

﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ۝٦﴾ والواجب علينا هو التلقي

حضر وقت الصلاة توضأ، والرواية هي عن علي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الأسانيد اليحيوية، والأحوط هو في الوضوء للصلاة بعد غسل الجنابة.

(١)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾؟

الجواب: هو مفعول به لتيمموا، وطيباً: صفة لصعيداً.

(٢)- **سؤال:** كيف هي صفة التيمم؟

الجواب: صفة التيمم أن يضرب المتيمم بباطن كفيه التراب مفرقاً لأصابعه ولا بد أن يكون التراب طاهراً يعلق باليد، ثم يمسح بيديه وجهه كاملاً، ثم يضرب بيده اليسرى التراب كذلك ثم يمسح بأصابعه الأربع دون راحةِ اليدِ يَدَهُ اليمنى، يبدأ المسح من ظاهر رؤوس أصابع اليد اليمنى ويمر بالمسح على ظهر الكف وما قابله إلى المرفق، ثم يمسح باطن الذراع بالراحة ابتداء من المرفق إلى طرف الراحة ويمسح الإبهام بإبهام اليسرى، ثم يضرب بيده اليمنى التراب فيمسح اليسرى كذلك.

لهذه النعم بالشكر لما لنا فيها من المصالح العظيمة.

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِى وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ[١] قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝٧﴾ أمر الله المؤمنين بأن يذكروا نعمته عليهم، وهي إرسال الرسول، وإنزال القرآن، وتعليمهم الشرائع، وتأييده لهم، وإعلاؤه لدينهم، وقهره لعدوهم، واذكروا المواثيق أو العهود التي وثقت عليكم بالسمع والطاعة لله ورسوله ﷺ، فإن في ذكركم لذلك ما يبعثكم على الإخلاص لله، والجد في طاعته والاستقامة على تقواه، واحذروا معصية ربكم؛ فإنه مطلع على ما في ضمائركم.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ[٢] لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ انصبوا أنفسكم لقول الحق وقوموها عليه ولو على أنفسكم.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ ولا تحملكم عداوتكم لقوم وبغضكم لهم على عدم العدل بل أنصفوا حتى أعدائكم؛ لأن الإسلام عندما قويت شوكته دخل فيه الناس جميعاً مكرهين وغير مكرهين، وقد كان وقع بينهم وبين المسلمين قتل وقتال؛ فأمرهم الله هنا بالإنصاف والعدل، ولو كنتم كارهين لهم، وقولوا الحق لكم أو عليكم.

﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى[٣] وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ولا تخالفوا أوامر الله.

---

(١)- **سؤال:** ما إعراب «إذ» في قوله: ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾؟

الجواب: تعرب بدلاً من المفعول به: ﴿نِعْمَةَ اللَّهِ﴾.

(٢)- **سؤال:** هل ﴿قَوَّامِينَ﴾ مبالغة في قائمين؟

الجواب: ﴿قَوَّامِينَ﴾ مبالغة في قائمين أي: كونوا قائمين بالحق على الدوام.

(٣)- **سؤال:** إلام يعود الضمير «هو»؟

الجواب: يعود إلى العدل الذي تضمنه ﴿اعْدِلُوا﴾.

سؤال: لماذا كان العدل أقرب للتقوى مع أنه من التقوى؟

الجواب: لأنه كثيراً ما يترك الناس العدل والقول به لأن قول العدل يضر بالقريب أو بالضعيف =

﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ۝٨﴾ فهو مطلع على أعمالكم، وهو مجازيكم عليها، ولا يخفى عليه منها شيء؛ فاحذروه.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ۝٩﴾(١) وهو لا يخلف الميعاد.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ۝١٠﴾ وعيد منه للكفار بعذاب جهنم.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ يذكر الله المسلمين بهذه النعمة العظيمة وهي كفه لأيدي الأحزاب عنهم بعد أن هموا ببسطها عليهم؛ لأجل أن يشكروه ويطيعوه؛ لأن المشركين اجتمعوا على المسلمين يوم الأحزاب وحاصروهم في المدينة، قال الله تعالى: **﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾** [الأحزاب:١٠]، وكان المشركون في عشرة آلاف مقاتل واليهود نقضوا العهد حينها مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وانضموا مع المشركين، واستعدوا للحرب معهم.

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد خندق على المدينة بإشارة من سلمان الفارسي، وخيم المشركون حوله يومين أو ثلاث، ثم إن الله تعالى أرسل عليهم رياحاً أعمت عيونهم وأطفأت نيرانهم وأخذت خيامهم، وقد قتل منهم عمرو بن عبد ود ورجل آخر

أو بالفقير أو بالمظلوم أو باليتيم أو المرأة أو... إلخ؛ لتوهمهم أو اعتقادهم أن ذلك إحسان وعمل صالح يؤجرون عليه، فقال الله لهم: إن العدل هو أقرب للتقوى، لا ما تفعلونه من ترك العدل للإبقاء على الضعيف والإحسان إليه.

(١)- **سؤال:** أين المفعول الثاني لوعد؟ وما إعراب ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾؟

الجواب: المفعول الثاني هو جملة: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ أي: وعدهم هذا الوعد وهو: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ۝٩﴾ مثل قوله تعالى: **﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ۝٧٨ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ۝٧٩﴾** [الصافات]، وهذا الإعراب هو أسلم الأقاويل.

حين تجاوزوا الخندق وطلبوا البراز، وكانوا من صناديد المشركين؛ فحصل الرعب من قتلهما، لأن عمرو بن عبد ود كان يقال عنه بأنه يعادل ألف مقاتل، ويأكل جملاً كاملاً لوحده.

والذي قتله هو أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وحين برز إليه قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((برز الإسلام كله للشرك كله))، وحينها صاح أبو سفيان بالمشركين: بأن لا مقام لكم فارجعوا.

وأما اليهود فلم ينتبهوا إلا وقد أصبحوا لحالهم في الساحة، فصاح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالمسلمين بأنه ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة)) وأمر بمقاتلة اليهود؛ فذهبوا من وقتهم وحاصروهم وأخذوهم وذبحوهم وكانوا ستمائة يهودي.

فأمر الله المؤمنين بأن يذكروا هذه النعمة العظيمة عليهم.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ اذكروا نعمته، وما أسبغ عليكم من النعم، وجعل لكم من النصر في الدنيا، ومن شفائه لغيظكم في الدنيا، وما أورثكم من أرضهم وديارهم وأموالهم، وهذا نصر عظيم للمؤمنين، فإن تذكره سبب داعٍ إلى التقوى والاستقامة على طاعة الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴿١١﴾﴾ فعليه وحده فليتوكلوا ولا يعتمدوا على غيره، ولو اجتمع عليهم أهل الأرض، وفي يوم الأحزاب مع قلة المسلمين انكشفت عداوة المنافقين للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وقاموا بخداع المسلمين، وأفصحوا عما في صدورهم فقالوا: النبي يعدنا بملك كسرى وقيصر، والرجل منا يخاف أن يذهب لقضاء حاجته!! ورموه بالكذب، وبأنه ليس بنبي، ورجعوا إلى بيوتهم وقالوا: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴿١٣﴾﴾ [الأحزاب]، وتركوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مع قلة قليلة كانوا معه، ثم إن الله تعالى نصر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ومن معه حين توكلوا عليه.

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ

إِنِّي مَعَكُمْ﴾(١) وأَخْذُ اللهِ ميثاقَ بني إسرائيل، معناه على ما قيل: إنهم كانوا اثني عشر سبطاً، وذلك أن يعقوب كان له اثنا عشر ولداً، وكل ولد كانت ذريته قبيلة، وجعل الله على كل قبيلة نقيباً، وعاهد هؤلاء النقباء الله تعالى على يدي موسى عليه السلام أن يوفوا بالعهد، ويقيموا الصلاة، وما أمرهم الله به، فقال الله تعالى: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ(٢) لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ(٣) وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ إذا وفوا(٤) بعهدهم هذا وآمنوا برسله الذين سيبعثهم الله إليهم ونصروهم، وكان هذا العهد في زمن موسى عليه السلام، ولكنهم لم يفوا بعهودهم هذه، وقتلوا أنبياءهم، كلما بعث لهم نبي قتلوه، وكفروا بعيسى ومحمد صلى الله عليهما.

---

(١)- **سؤال:** هل النقيب بمثابة الأمين أو الكفيل؟ وما معنى بعث الله لهم؟

الجواب: النقيب هو: الأمين والكفيل والضمين والشاهد، وكأن النقيب هو من أوكل إليه إمارة على طائفة من الجند يأتمرون بأمره... إلخ. ومعنى بعث الله منهم اثني عشر نقيباً: هو أمر الله تعالى لاثني عشر نقيباً على لسان نبيه موسى عليه السلام ففعل موسى ما أمره الله تعالى به وبعثهم موسى ليتعرفوا على الجبارين وعلى بلادهم وقريتهم.

(٢)- **سؤال:** ما معنى معية الله معهم؟ وهل يصح أن يكون جواباً للقسم مقدماً عليه؟

الجواب: معية الله معهم هي بنصره لهم وتأييده وحفظه وتوفيقه، وليس ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ جواباً للقسم ولا دليلاً عليه؛ لأنه قد ذكر الجواب بعد القسم وهو: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ﴾.

(٣)- **سؤال:** ما هو التعزير للأنبياء؟ وهل قوله: ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ في الواجب أم الصدقة النافلة؟

الجواب: التعزير للأنبياء هو: القيام بنصرهم وتأييدهم، والسمع والطاعة لهم، والقرض الحسن يكون بالصدقة الواجبة وبالصدقة النافلة.

(٤)- **سؤال:** من فضلكم أين جواب: «إذا وفوا»؟

الجواب: جوابها مدلول عليه في الآية وهو: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾.

﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴿١٢﴾﴾ هذا وعد من الله بأن يدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار إن هم أطاعوه واستقاموا على دينه، فمن خرج منهم عن طريق الهدى الذي رسمه لهم فقد ضل الطريق وهلك.

ثم إن بني إسرائيل لم يفوا بهذه العهود فقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ بسبب نقضهم ميثاقهم لعناهم وسلبناهم التوفيق والتنوير، ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾(١) حرفوا التوراة وغيروها ولم يبالوا بمعصية الله وسخطه لقساوة قلوبهم.

﴿وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾(٢) تركوا كثيراً مما أمرهم الله به ولم يعملوا به.

﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴿١٣﴾﴾(٣) خاطب الله النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنك يا محمد لا تزال ترى

---

(١)- **سؤال:** ما موضع جملة: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾؟

الجواب: لا محل لها من الإعراب؛ لأنها بيانية بين بها الدليل الذي يدل على قساوة قلوبهم، وإلى أي مدى وصلت قساوتها.

(٢)- **سؤال:** هل يصح أن يحمل النسيان على حقيقته أم لا؟

الجواب: الأولى أن النسيان هو تركهم لفعل ما أمر الله به؛ لأن الله تعالى لا يذم على النسيان الحقيقي ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

(٣)- **سؤال:** مم كان هذا الاستثناء: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾؟

الجواب: استثني من الضمير المجرور في «منهم» والكلام تام موجب.

سؤال: إذا قيل: بأنه قد سبق لكم أن المائدة من آخر ما نزل، فكيف يتم التوفيق بينه وبين كون الصفح إلى أن يأذن الله له في قتالهم؟ وهل يصح حملها على أنها دعوة للصفح والعفو مطلقاً، أو في حالات؛ جمعاً بينها وبين قوله: ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:٧٣]، أم كيف؟

الجواب: ما ذكرناه في التفسير هو أحد تفسيرين فسروا بها هذه الآية، والتفسير الثاني هو أنك وإن كان بينك وبين اليهود عهد ومواثيق فإنك لا تزال تطلع على خيانة منهم، فلا تؤاخذهم بما يفعلونه من الخيانة للعهد والعقد، وتغاض عن ذلك واصفح، ولا تنقض عهدك معهم لما ترى منهم من الخيانة. وهذا التفسير أولى بالصحة والقبول.

منهم خيانة ونقضاً للعهود، ولكن اعف عنهم واصفح، ولا تؤاخذهم إلى أن يأذن الله لك في قتالهم، وهو إلى أن يصبح للإسلام شوكة، والله يحب الصفح والإحسان ولو على العدو المجاهر بعداوته.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أخذ الله تعالى ميثاق النصارى مثلما أخذ ميثاق اليهود على أن يعملوا بأحكامه وشرائعه التي شرعها لهم في الإنجيل، ثم إنهم لم يعملوا بها فقال تعالى: ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾، ومعنى نسيانهم هو الترك.

﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[1] فعاقبهم الله تعالى بأن سلط بعضهم على بعض، فتناحروا وتقاتلوا إلى يوم القيامة.

﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ⑭﴾ سيخبرهم الله بأعمالهم السيئة ويجازيهم عليها في جهنم.

﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾[2] وهي التوراة التي أنزلت على موسى، والإنجيل الذي أنزل على عيسى، سوف يبين لكم ويخبركم بالصدق الذي جاءت به التوراة والإنجيل؛ لأنهم كانوا قد حرفوه وبدلوه؛ فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبين لهم الحق الذي أخفوه، والحق الذي اختلفوا فيه.

---

(١)- **سؤال:** يقال: كيف جاز أن ينسب الله الإغراء إليه تبارك وتعالى؟

الجواب: إذا استحكم غضب الله على قوم وحق عليهم عذابه، فيجوز أن يعذبهم الله بتسليط بعضهم على بعض بتوفير أسباب العداوة وتيسير سبلها و.. إلخ وليس في ذلك ما يخل بعدل الله وحكمته ما داموا أحقاء بعذاب الله.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب جملة: ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا﴾؟

الجواب: الجملة في محل نصب على الحالية من «رسولنا».

﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾(١) من فضل الله تعالىٰ علىٰ عباده ترك مؤاخذتهم علىٰ الكثير من ذنوبهم في الدنيا.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴿١٥﴾﴾ لا عذر لكم أيها المتمردون عند الله فقد أرسل الله إليكم رسوله بالهدىٰ والنور والكتاب المبين.

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾(٢) يهتدي بالنور والكتاب المبين أهل القلوب النظيفة الذين يريدون رضوان الله ويخافون سخطه وعقابه، وسبل السلام هي: الطرق التي توصلهم إلىٰ دار السلام والسعادة في الدنيا والآخرة.

﴿وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴿١٦﴾﴾ ويستنقذ الله بذلك النور والكتاب المبين أولياءه من ظلمات الشرك وأدناس الجاهلية إلىٰ نور الهدىٰ والإسلام ويهديهم به إلىٰ الدين الحق.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ فجعلوا عيسىٰ عليه السلام أولاً رباً ثم قالوا بعد ذلك: إن الله اتحد بالمسيح فصار إياه، وتجسد حينئذ بعد إذ لم يكن كذلك.

---

(١)- **سؤال:** هل العفو هنا مسند إلىٰ الباري سبحانه أم إلىٰ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؟ وما معنىٰ عفوه هل تركه التبيين لكثير مما أخفوه؟

الجواب: العافي هو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأمر الله، وعفوه عن كثير هو تركه صلى الله عليه وآله وسلم بأمر الله لفضيحة اليهود فيما أخفوه مما لا حاجة إلىٰ إظهاره، ستراً علىٰ اليهود وإبقاءً علىٰ أعراضهم وعلىٰ شيء من كرامتهم إن أحبوا الإبقاء علىٰ شيء منها بإسلامهم.

(٢)- **سؤال:** كيف يجمع بين هذه الآية وقوله: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٨٥]؟

الجواب: القرآن هو هدىً للناس جميعاً، ولكنه لا يهتدي بهديه ويستضيء بنوره إلا من اتبع رضوانه، فصح أن يقال: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ...﴾، ومع ذلك فهو هدىً للناس.

سؤال: ما إعراب: ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾، وجملة ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ﴾؟

الجواب: ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾ مفعول به منصوب وناصبه ﴿يَهْدِي﴾ وجملة: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ﴾ صفة ثانية لكتاب، وهي في محل رفع.

﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ فمن يستطيع أن يمنع الله إذا أراد أن يهلك المسيح وأمه ومن في الأرض؟ ليس هناك قوة في السماوات والأرض تحول بين ما يريد الله أن يفعله؛ فلو أراد تعالى أن يهلك عيسى وأمه، أو إهلاك أهل السماوات والأرض لفعل؛ فإذاً هو تعالى الرب وحده لا شريك له، وكل ما سواه فمربوب مقهور.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من البشر والجن والإنس والملائكة وعيسى ومريم، فهو المالك الذي تحق له الربوبية.

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ يخلق بشراً من غير أب وأم، ويخلق بشراً منهما، ويخلق بشراً من أم دون أب، فلماذا حين خلق عيسى قالوا إنه ابنه، وآدم لماذا لم يقولوا فيه مثله وقد خلقه من غير أب ولا أم، وحينئذ فخلق عيسى من غير أب دليل على قدرة الله، وليس في ذلك دليل على ربوبية عيسى عليه السلام.

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ وهو قادر على أن يخلق من غير أب.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ قالت اليهود: نحن أبناء الله وأحباؤه، وقالت النصارى: لا بل نحن أبناء الله وأحباؤه، كل منهم يدعي ذلك، ومرادهم أنهم أقرب الناس إلى الله مثلما أن الابن أقرب الناس لأبيه، ولم يريدوا البنوة الحقيقية.

﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ لو كنتم كما تزعمون يا معاشر اليهود والنصارى لما عذبكم بالصواعق تارة والمسخ أخرى، وبعذاب الخزي والذلة والمسكنة وتسليط عدوكم عليكم و..إلخ.

﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾ فأنتم بشر كبقية البشر، لا مزية لكم على غيركم.

﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾[1] يغفر لمن أطاعه، ويعذب من عصاه

---

(١)- **سؤال:** هل يمكن أن يحمل هذا على ما أسلفناه في آية المشيئة من أن هذا تعبير عن سيطرة الله وأن العباد تحت تصرفه فقط؟

الجواب: يمكن أن يكون ذلك كناية عن عظمة الله، وعظمة سلطانه، وسعة ملكه، وقوة نفوذه.

كائناً من كان، فلا مفر لكم من الجزاء على معاصيكم.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ وأنتم من أهل مملكته ومن عبيده، وليس لكم مزية على غيركم، وكل من كان في طاعة الله فهو أقرب عند الله؛ فمن أطاعه فهو من المقربين، ومن عصاه فهو من المبعدين.

﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ وهو النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾[1] الدين الحق والهدى الذي جاء به موسى في التوراة وعيسى في الإنجيل.

﴿عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾[2] على انقطاع لأنه قد مر فترة من الزمن من غير أنبياء بين عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم حوالي ستمائة سنة، فالمفروض أن تكونوا متلهفين لحصوله بعد هذه المدة الطويلة.

﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ كراهة أن تقولوا يوم القيامة يا رب لم يأتنا بشير ولا نذير.

﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فلا عذر لكم عند الله ولا حجة يوم القيامة.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾[3] أمرهم

---

(١)- **سؤال:** ما محل جملة: ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾؟

الجواب: الجملة في محل نصب حال من «رسولنا».

(٢)-**سؤال:** ما معنى: «على» في قوله: ﴿عَلَى فَتْرَةٍ﴾؟

الجواب: معنى «على» الاستعلاء، كما يقال: «جاء على كره»، ويمكن أن تشبه الفترة بالراحلة تشبيهاً مضمراً في النفس «استعارة بالكناية» وقرينتها «على»، وفيها استعارة تخييلية في معناها الذي هو الاستعلاء.

(٣)- **سؤال:** ما هو الذي آتاهم الله ولم يؤت أحداً من العالمين؟

الجواب: آتاهم العلم والحكمة، وفلق لهم البحر، وظللهم بالغمام، وأنزل عليهم المن والسلوى، =

موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يتذكروا نعمة الله عليهم حين اختصهم دون بقية الأمم بكثرة الأنبياء المبعوثين فيهم لأجل أن يطيعوه ويشكروه، فمن المفروض أن المرء إذا استشعر نعم المحسن إليه وكثرتها عنده اندفع إلى تعظيم المحسن وشكره والثناء عليه، وتحرز عن كل ما يسوءه ويؤذيه.

﴿يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أخرج موسى بني إسرائيل من مصر، واستنقذهم من سيطرة فرعون الذي كان مستعبداً لهم ومستذلاً لهم، وأنعم الله عليهم بأن فلق لهم البحر، وكلمهم الله، وأظلهم الغمام، وأنزل عليهم المن والسلوى، وفضلهم على العالمين، وجعل الملك فيهم والأنبياء منهم، وقول موسى لهم: ﴿يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ يريد به أن يبعثهم على الامتثال لأمره في قوله تعالى: ﴿يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ وكان ذلك بعدما خرجوا من مصر، وأصبحوا في الشام في فلسطين؛ فأخبرهم بأن الله كتب عليهم أن يدخلوا الأرض المقدسة، وهي أورشليم (القدس)، ويستوطنوا ويتمركزوا فيها، وأن تكون مقراً لأنبيائهم وملوكهم، وعاصمة للدين، ولكنهم أبوا ذلك، ولم يندفعوا وكفروا النعم ولم يشكروها، ولم يطيعوا موليها.

﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾ فلا تعصوا الله بعدم استجابتكم لأمره، ﴿قَالُوا يَامُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ أمروا بأن يدخلوا المدينة التي كتبها الله لهم فأبوا أن يدخلوها وتعللوا بأن فيها قوماً جبارين أقوياء لا يقدرون على قتالهم، وأقنعوا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنهم لن يدخلوها حتى يخرج منها أولئك القوم الجبارون، فإذا خرجوا دخلناها؛ فلن ندخلها ما داموا فيها.

وأماتهم ثم أحياهم، وآتاهم النبوة والملك، وآتاهم على عهد سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ من الملك ما لم يؤت أحداً من العالمين.

﴿فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴿٢٢﴾﴾ تمرداً منهم، وكان فيها ناس من العماليق[١] من ذرية عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام.

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾[٢] كان بين اليهود رجلان من العماليق أنعم الله عليهما بالإيمان بموسى، فأخبر هذان الرجلان اليهود بأن يدخلوا عليهم الباب قالوا: فإنكم إذا دخلتم عليهم الباب فإنكم غالبون لهم، وسيفشل العمالقة في قتالكم، ولن تحتاجوا إلى قتل وقتال.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴿٢٣﴾﴾ توكلوا على الله واعتمدوا عليه وادخلوا.

﴿قَالُوا يَامُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴿٢٥﴾﴾[٣] تمرد بنو إسرائيل عن طاعة نبيهم موسى عليه السلام، وحاول

---

(١)- **سؤال:** هل المراد بالجبارين هم هؤلاء العماليق؟ وماذا كانت ديانتهم؟

الجواب: هم المرادون بالجبارين، وكانت ديانتهم الكفر والشرك، بدليل أمر الله تعالى لبني إسرائيل بقتالهم وأخذ مدينتهم الكبيرة المسورة: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾.

(٢)- **سؤال:** لماذا وصفهم الله بأنهم من الذين يخافون، مع إقدامهم وجرأتهم هذه؟

الجواب: الرجلان من العماليق، والعماليق وإن كانوا رجالاً جبارين إلا أنهم يجبنون ويخافون إذا هوجموا ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ فوصف الله الجبارين بأنهم قوم يخافون، وقد كان الرجلان عارفين بطبيعة الجبارين، وعارفين بأسرارهم ومن أين يؤتون.

(٣)- **سؤال:** هل يؤخذ من شكوى موسى سقوط الجهاد أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند عدم الأنصار وخذلان الأتباع؟

الجواب: يؤخذ منها ذلك، والأدلة على ذلك كثيرة، و﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

موسى أن يردهم إلى طاعة الله وامتثال أمره فأعيوه وما استجابوا له، وأصروا على التمرد والعصيان؛ فلما أيس منهم توجه إلى الله بشكواه فقال: يا رب لم يستجب لأمرك إلا أنا وأخي هارون، أما بنو إسرائيل فقد فسقوا عن أمرك وأصروا على العصيان، فاحكم بيني وبينهم وأذقهم جزاء فسقهم في الدنيا.

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾(١) هذا حكم من الله على بني إسرائيل، فقد استجاب الله دعوة موسى عليه السلام فعاقبهم بالتيه يتيهون في الأرض فلا يهتدون سبيلاً إلى ما يريدون، فمكثوا في التيه يسيرون على غير هدى أربعين سنة.

﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴿٢٦﴾﴾ فلا تحزن يا موسى لما حل بقومك؛ لأن الله قد حكم عليهم بهذا الحكم، فهم يستحقونه وأكثر منه.

وقد كان موسى وهارون عليهما السلام مع قومهم في التيه(٢) يبلغانهم الأحكام

---

(١)- **سؤال:** ما هو التيه هل لا يدرون أين يذهبون ويأتون؟ أو لم يدركوا باب المدينة؟ وهل ترونه تيهاً معنوياً أم حقيقياً؟

الجواب: التيه: هو السير على غير هدى، وإلى غير هدف وغاية، وقد كانوا مهيؤون لذلك فإنهم خرجوا من مصر إلى الشام، وليس لهم في الشام بيوت ولا بلد ولا أرض، وليس لهم إلا الأرض التي كتبها الله لهم، ولما امتنعوا من دخولها ورفضوا أمر الله لم يجدوا إلا التيه في الأرض والسير فيها لعلهم يجدون بالصدفة والحظ مكاناً مناسباً ليحطوا فيه رحالهم ويبنوا فيه مساكنهم، تتوفر فيه أسباب المعيشة من الماء وخصب الأرض وسعتها و.. إلخ، ولم ينقطع أملهم من الطلب مع طول المدة، وهذا مع ما أراده الله تعالى من معاقبتهم بالتيه. وعلى ما شرحنا فالتيه حقيقي وليس معنوياً.

(٢)- **سؤال:** يقال: إذا كانا معهم فقد دخلا في العذاب، فكيف؟

الجواب: أرسل الله تعالى موسى وهارون عليهما السلام إلى بني إسرائيل فلزم أن يدخلا معهم في التيه لتبليغ رسالة الله إلى بني إسرائيل، فدخلا يصحبهما رضوان الله ورحمته والوعد الجميل بالثواب العظيم والدرجات الرفيعة، مع أنهما راضيان بأمر الله في تبليغ رسالته، واستصلاح بني إسرائيل، ومحاولة ردهم إلى طاعة الله، فهما في طاعة الله وكرامته، وبنو إسرائيل في سخط الله ومهانته.

والشرائع، وماتا في التيه، ثم بعد الأربعين السنة دخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لهم بعدما رفع الله عنهم التيه، وكان قد بعث الله لهم يوشع بن نون نبياً.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ ءَادَمَ بِالْحَقِّ﴾ أمر الله تعالى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن يتلو على اليهود وبني إسرائيل[١] قصة ابني آدم، وأنها حقيقة وقد وقعت.

﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾[٢] والذي لم يتقبل الله قربانه حسد الآخر وقتله، وكانت هذه القصة لا يعرفها إلا بنو إسرائيل؛ فأمره الله تعالى أن يخبرهم بها لتكون معجزة له بأنه نبي من عند الله.

﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾[٣] فأنا لا ذنب لي عندما لم يقبل الله قربانك؛ لأنك لست من المتقين، والله إنما يتقبل من المتقين، ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ

---

(١)- **سؤال:** هل تشمل التلاوة أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أم لا؟

الجواب: نعم التلاوة هي لبني إسرائيل أولاً، ثم لأمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثانياً، ﴿لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام:١٩]، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف:١١١].

(٢)- **سؤال:** ما معنى: ﴿إِذْ قَرَّبَا﴾؟ وما هو القربان الذي تقربا به؟

الجواب: قرب كل واحد من ابني آدم قرباناً، والقربان قد يكون كبشاً أو تبيعاً أو مقداراً من الحب أو غيره من المال؛ لطلب القرب من الله وثوابه ورضوانه. ومعنى: ﴿إِذْ قَرَّبَا﴾: حين قربا قرباناً.

(٣)- **سؤال:** هل عرف السبب الذي استحق به الخروج من المتقين فلو وضحتموه؟

الجواب: هناك روايات يذكرها المفسرون غير موثوق بها، إلا أن هذه الآية تفيد أن الله لم يتقبل من أحدهما لعصيانه لله وتمرده عن طاعته.

سؤال: هل في الآية دليل على أن الكبائر تحبط الحسنات؟

الجواب: فيها دليل واضح على ذلك، ولو كان الأمر كما يقوله أهل الموازنة لتقبل الله من ابني آدم جميعاً المطيع والعاصي.

لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴿٢٨﴾﴾[(١)].

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴿٢٩﴾﴾ فلا أريد أن أتحمل إثم قتلك، فاحمله أنت بقتلك لي لأني لو قتلتك لتحملت إثم قتلك ولكني لا أفعل؛ فتحمّل الإثمين أنت إثم قتلي وإثم فجورك وعصيانك الذي كان سبباً في عدم قبول قربانك.

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴿٣٠﴾﴾[(٢)] لأنه قد تحمل ذنباً عظيماً بقتله لأخيه، واستحكم عليه سخط الله وحق عليه عذابه.

---

(١)- **سؤال:** قد يقال: بأنه يجوز لهذا المقتول أن يدافع عن نفسه، فلماذا قال: ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ...﴾ إلخ؟ أم أن ترك الدفاع أفضل؟ وما الحل في أمة النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولا سيما مع ما ورد في حديث الفتن عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((أن الناجي كخير ابني آدم))، أو كما قال، مع ما اشتهر أن من قتل دون ماله ونفسه فهو شهيد؟ فوضحوا المسألة فهي من المشكلات؟ ومما يشكل ما فهم عن المقتول هذا أنه لو قتله لأثم؟

الجواب: ليس لمن هُدِّد بالقتل أن يقتل المهدِّد له، ولكن يحاول أن يردَّ رأي المهدد له بالموعظة، ويحذره عذاب الله، ويبين له أنه لم يفعل ما يوجب القتل، ثم عليه بعد ذلك أن يأخذ حذره، وليس له أن يمد يده إلى قتل المهدد له، وهكذا صنع ابن آدم المقتول، وليس في الآية أن المقتول لم يدافع القاتل حين أقدم على القتل، ولعله قتله على غرة، ولعله فاجأه بالقتل و... إلخ. **هذا،** والمقرر عقلاً أن الدفاع عن النفس واجب بما أمكن، مع تقديم الأخف فالأخف، ولا فضل في ترك الدفاع عن النفس، ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء:٧١]. وما ورد في الفتن فالمراد منه التحذير عن الدخول فيها وسل السيف مع المفتونين والقيام مع أي من الفريقين، وفيها الترغيب في القعود في البيوت، فإن قتل وهو قاعد عن الدخول في الفتنة فهو كخير ابني آدم، وليس في ذلك أنه لا تجوز مدافعة القاتل، أو أن الأولى ترك مدافعته، والحذر والدفاع عن النفس جبلّة وطبيعة مطبوعة في بني آدم يندفعون إلى ذلك من غير أمر آمر شرعي أو غير شرعي.

(٢)- **سؤال:** هل معنى ﴿طَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ﴾: زيَّنت وحسَّنت وسهَّلت؟

الجواب: معنى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ هو: زينت وسهلت وحسنت له نفسه قتل أخيه، وهكذا النفس الأمارة بالسوء تزين لصاحبها وتسهل عليه ارتكاب المعصية.

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ﴾(١) كان هذا المقتول أول مقتول على وجه الأرض؛ فتحير القاتل كيف يصنع بجثة أخيه المقتول، فبعث الله غراباً قتل صاحبه فحفر حفرة في الأرض ودفن صاحبه؛ من أجل أن يفعل القاتل بجثة أخيه مثل ما فعل الغراب.

﴿قَالَ يَاوَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي﴾ فسأفعل مثل هذا الغراب، فلست عاجزاً عن ذلك.

﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ۝٣١﴾(٢) وندمه هذا إنما كان على عجزه عن كيفية

---

(١)- **سؤال:** هل المواراة هي الدفن؟ ولماذا سمى الجثة سوأة؟

الجواب: المواراة هي الدفن، وسماها سوأة لأنها تسوء من نظر إليها، أي: أنه يستاء ويتقذر ويتأفف إذا تغيرت.

(٢)- في ذهني كلام لبعض العلماء أنه لا يصح الوقف على قوله: ﴿النَّادِمِينَ۝٣١﴾ وأنه لا يوقف إلا على قوله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ فهل غرضهم تصحيح ندمه من أجل القتل؟ وما هي الدلائل على ضعف قولهم، وأن فيه مخالفة للواقع ولنظم القرآن؟

الجواب: المعهود أن الوقف على الفواصل القرآنية وقف تام، وفواصله من بديع القرآن التي تزيد من حسنه وجماله، والوصل يخفيها، ولا يخفى أن الفاصلة تدل على تمام الآية من حيث القراءة والترتيل؛ لذلك نقول بأولوية الوقف على ﴿النَّادِمِينَ۝٣١﴾ من غير نظر إلى تمام المعنى أو عدم تمامه. **وبعد،** فنقول: يجوز أن يتعلق: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ بالنادمين، وبكتبنا، من حيث الصناعة النحوية إلا أنه يرجح تعلق ذلك بكتبنا أو يحتمه أمور:

-أن علة ندم القاتل في قوله: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ۝٣١﴾ معلومة من سياق القصة، فمن قرأها علم أن ندم القاتل دائر بين علتين هما: أنه ندم من أجل قتل أخيه، أو من أجل عدم اهتدائه إلى كيفية مواراة أخيه، وهذه الأخيرة هي الأولى بأن يكون ندمه من أجلها؛ لأن سياق الآية يدل عليها: ﴿يَاوَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ...﴾ الآية، فلا يقول مثل هذا الكلام إلا من فاته أمر وندم على فواته، وظاهر العطف بالفاء يفيد أن ما قبلها علة لما بعدها.

-وإذا فرضنا تساوي جواز تعلق الجار والمجرور بما قبل الفاصلة أو بما بعدها، كان التعلق بما بعد الفاصلة أولى لوجود الفاصلة.

=

التخلص من جثة أخيه؛ لأنه كان يحمله معه أينما ذهب إلى أن تعفن وتحللت جثته[(١)]، ولم يكن ندمه هذا على قتله لأخيه؛ لأنه لو كان ندمه على ذلك لكان ندمه هذا توبة.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾[(٢)]، أوحى الله سبحانه وتعالى إلى بني إسرائيل: أن من قتل نفساً بغير حق فهو كما لو قتل الناس جميعاً، وجزاؤه القصاص، وهذا جزاؤه عندهم، ولا دية فيه عندهم بخلافه في شريعتنا؛ فإنه يصح أن يعفو ولي المقتول عن القصاص ويأخذ الدية، وهذا تخفيف من الله في شريعتنا، أما في شريعة بني إسرائيل فليس للقاتل إلا القتل.

وهذا إذا لم يكن ذلك المقتول قد قتل ولا كان مفسداً في الأرض، وهو المراد بقوله: ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾[(٣)] أي: أنه

-إذا علقنا الجار والمجرور بـ«النادمين» اختل الربط بين قصة ابني آدم وبين آية ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾، وإذا علقناه بـ«كتبنا» حصل الربط والتناسب.

-إذا علقناه بـ«كتبنا» حصلت فائدة جديدة للجار والمجرور، وإذا علقناه بـ«النادمين» لم تحصل فائدة جديدة للجار والمجرور؛ لأن العلة مفهومة من سياق القصة، وقد قالوا: إن التأسيس خير من التوكيد.

(١)- **سؤال:** لماذا اهتم هذا الاهتمام بجثة أخيه، ولم يهتم لقتله وسفك دمه؟

الجواب: اهتم بجثة أخيه لأن رؤيتها يقلقه ويضيق بها صدره، ولا سيما بعدما تغيرت وتجيفت، ومن حيث إن رؤيتها تبعث على مقته وذمه ولعنه.

(٢)- **سؤال:** ما المقصود بقوله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾؟

الجواب: المراد بذلك أن قصة قتل أحد ابني آدم لأخيه هي العلة والسبب الذي كتب الله من أجله على بني إسرائيل قتل القاتل والقصاص و... إلخ.

(٣)- **سؤال:** هل المراد كمن قتل الناس جميعاً في تحمل وزر قتلهم جميعاً؟ أو ماذا؟

الجواب: المراد تصوير عظم الذنب وكبره من حيث إن قتل الناس جميعاً مُسْتَنْكَر في العقول ومستقبح وعظيم، لا في تحمل ذنب قتل الناس جميعاً، فإن العدل يقتضي أن يكون عذاب من قتل اثنين مضاعفاً على من قتل واحداً.

يكون حكمه كمن قتل الناس جميعاً، إذا لم يكن المقتول كذلك.

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ إذا أنقذ نفساً فأجره عند الله كمن أحيا الناس جميعاً.

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ جاءت اليهودَ رسلُ الله وأنبياؤه وبينوا لهم حرمة النفس عند الله، وقبح إزهاقها بغير حق، وما أعد الله للمسرفين في الدماء من العذاب العظيم في الدنيا والآخرة.

﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴿٣٢﴾﴾[1] فلم ينفع فيهم إرسال الله الرسل إليهم، بل أسرفوا في الدماء والقتل والفساد في الأرض.

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴿٣٣﴾﴾[2] فهذا جزاء المفسدين في الأرض، وهو من واجبات ولاة الأمور.

فإذا كان هذا المحارب لله ورسوله حين يدركه الإمام قد قتل- فجزاؤه القتل والصلب، وإذا لم يكن قد قتل وكان مفسداً في الأرض وقد حصل منه أخذ مال أو

---

(١)-**سؤال:** ما فائدة التعبير بـ«ثم» في قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾؟

الجواب: فائدة «ثم» أن اليهود أقدموا على فعل يستبعد أن يقدموا على فعله؛ لكثرة ما سمعوا من آيات الله في التحذير منه والزجر عنه، وما أعد الله لفاعله من العذاب العظيم، ثم إنهم بعد ذلك التحذير والزجر والوعيد أقدموا على فعله، بل جعلوا فعله لهم عادة لا يتركونها.

(٢)- **سؤال:** ما هي المحاربة لله ورسوله في الآية؟ وهل هي غير الفساد في الأرض أم نفسه؟

الجواب: محاربة الله ورسوله ﷺ هي محاربة رسول الله ﷺ، ومحاربة المسلمين هي محاربة لرسول الله ﷺ، وقد فسرها علماء المسلمين بأنها إخافة المسلمين في طرقهم بنهب أموالهم وقتلهم، وتماماً كما يفعله المتقطعون اليوم في الطرق البعيدة عن المدن والقرى، وهذه المحاربة التي ذكرنا هي الفساد في الأرض نفسه.

انتهاك عرض بجرح أو كسر أو نحو ذلك، فتقطع يده اليمنى ورجله اليسرى[(١)].

وإذا كان قد اعترض في طريق المسلمين ولم يكن قد حصل منه شيء- فجزاؤه أن ينفى من الأرض إما بسجنه أو مطاردته حتى لا يستقر في مكان.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴿٣٤﴾﴾ إذا تاب المفسد في الأرض- فلا شيء عليه ولو كان قد قتل، ولا يُلْزَم برد شيء من الأموال، ويجب على الإمام أن يؤمنه، وأن يمنع منه، ولكن إذا كانت توبته قبل أن يقدر الإمام على أخذه وضبطه ومعاقبته، وهذا ترغيب من الله لهم في التوبة؛ لأجل أن يقل الفساد في الأرض، وعوض المجني عليه يكون على الله تعالى، أو الدولة تتحمل ذلك إذا كانت هذه الدولة تراعي مصالح المسلمين[(٢)].

---

(١)- **سؤال:** يقال: ظاهر الآية التخيير بين القتل أو الصلب، فما توجيهكم في الحكم بجمعهما؟ ومن أين استفيد توزيع الأحكام هذه على الأفعال التي شرحتموها؟

الجواب: جمعنا بين القتل والصلب لأن الصلب قد تضمن القتل، وإنما اختلفوا هل يصلب حياً ثم يعجع بالرماح بعد الصلب، أو يقتل ثم يصلب جثمانه. والمراد بـ«أو» التوزيع كما يقال: «الكلمة اسم أو فعل أو حرف»، واستفيد التوزيع الذي ذكرنا من أن الله تعالى نوَّع الجزاء إلى أنواع بعضها أعظم من بعض، وكان الواقع من المحاربين أنواعاً بعضها أخف من بعض، فاقتضى العدل أن نجعل الجزاء الخفيف للمحاربة الخفيفة، والجزاء المتوسط للمحاربة المتوسطة، والجزاء الكبير للمحاربة الكبيرة.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في نظركم السديد هذا؟ وهل أشار إليه أحد من أئمتنا عليهم السلام؟

الجواب: المفروض أن يتحمل ذلك الدولة، وذلك من حيث أن الوالي هو الذي يصدر العفو عن المحارب ويمنع من التعرض له، ولا يخفى أن هذا العفو يضر بالمجني عليه الذي أخذ المتقطع ماله، وليس من الحق أن يكون العفو على حسابه، ويكون هو المتحمل له مع أن العفو صادر عن الإمام، ومن أجل مصالح المسلمين العامة، لا من أجل مصلحة المأخوذ عليه ماله؛ لذلك قلنا بأن الوالي يتحمل تعويض المجني عليه من أموال الدولة (بيت مالها). وكلام أئمتنا فيما كان كذلك مفيدٌ لما ذكرنا، ولعلهم مطبقون على سقوط الحقوق عنه مع توبته قبل أن يُقدَر عليه.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ فلا تفعلوا فعل اليهود(١) من الفساد في الأرض، ونقض المواثيق والعهود.

﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾(٢) انظروا ما هي الوسائل التي تقربكم إلى الله تعالى واعملوها وهي كثيرة كقراءة القرآن والصدقة والحج والاستغفار وغيرها كثير فكل واحد من هذه يسمى وسيلة، فليتقرب كل امرئ إلى الله تعالى بها، وينو بكل عمل يعمله القربة إلى الله تعالى.

﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ۝٣٥﴾ لأجل أن تفوزوا وتظفروا بثوابه

---

(١)- **سؤال:** من أين نفهم أن التقوى عدم فعلهم كفعل اليهود؟

الجواب: قلنا ذلك لأن اليهود تركوا طاعة الله تعالى فيما أمر ونهى ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الحشر:١٩]، ولأن هذه الآية وقعت في سياق ذكر اليهود، ولأن مخالفة اليهود في صنيعهم هذا هو نفس التقوى، وذلك من حيث إن اليهود تخلوا عن تقوى الله.

(٢)- **سؤال:** ما هي أعظم وسيلة يتقرب بها الإنسان المؤمن المستقيم إلى الله سبحانه في زمننا هذا في نظركم؟

الجواب: أعظم القرب المقربة إلى الله، وأكبر الوسائل الموصلة إلى رضوانه- هي إرشاد الناس إلى الدين الحق، وتعليمه الناس ونشره فيهم، ودعوة الناس إليه، وبيان حججه وبراهينه، مع النية الصالحة، بحيث يكون الباعث لهذا العمل والداعي إليه هو طاعة الله، والاستجابة لأمره، مع الصبر واحتساب الأجر والثواب عند الله، وقد قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ۝٣٣﴾ [فصلت]. والإرشاد اليوم هو أمر بالمعروف ونهي عن المنكر؛ لأن المرشدين يعلمون الناس الدين الحق، ويحثونهم على الالتزام به، ويعلمونهم سبل الضلال العلمية والعملية ويحذرونهم منها، وهذا العمل هو عمل الأنبياء والمرسلين، وعمل الأوصياء والأئمة الهادين، ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ۝٢﴾ [الجمعة].

ومغفرته وجنته، ومن الجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله تعالى والإصلاح بين الناس وتعليمهم أمور دينهم[١].

والقتال لا يكون إلا عندما تدعو إليه الضرورة، فلم يقاتل النبي ﷺ المشركين إلا حين وقفوا في وجهه، وصدوا الناس عن الإسلام، وحالوا بينه وبين تبليغ الدعوة وحاصروه، وأقصوه وطردوه.

وإلا فمهمة الأنبياء هي تبليغ الناس حجج الله وبيناته، وتعليمهم أمور دينهم.

ولم يأمر الله المسلمين بقتال المشركين إلا حينما هموا بقتل المسلمين وإبادتهم: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ [التوبة:٣٦].

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ يتهاون الكافرون بوعيد الله وعذابه في يوم القيامة وآثروا متاع الدنيا القليل على السلامة منه يوم القيامة، ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾ [الزمر:٤٧]، إلا أنها لا

---

(١)- **سؤال:** ما هو الدليل على أن الدعوة إلى الله سبحانه من الجهاد في سبيل الله؟

الجواب: الدليل هو لغوي فالجهاد هو إبلاغ الجهد في طاعة الله أو غيرها ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [العنكبوت:٨]، و « سبيل الله » هي الطريق المستقيم ودين الله القويم فكل عمل في إعلاء كلمة الله ونشر دينه وتعليمه الناس ودعوتهم إليه هو عمل في سبيل الله سواء أكان بالحكمة والموعظة الحسنة أم بالسيف عند الضرورة القصوى، وإلا فالذي أمر الله تعالى به النبي ﷺ هو ما ذكر في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة].

سؤال: هل المراد بالدعوة إلى الله الدعوة إلى شرع الله سبحانه وإقامته والاهتمام به تعلماً وتعليماً وتطبيقاً؟

الجواب: الدعوة إلى الله معناها الدعوة إلى تعلم شريعة الله ومعرفتها والعمل بها ونشرها في الناس وإظهارها وتدين الناس بها.

تقبل الفدية يومئذ لو حصلت، فكيف يؤثرون متاع الدنيا القليل على السلامة من ذلك العذاب العظيم، فلا تنفعهم شفاعة حينها ولو بملء الأرض ذهباً[(١)].

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ حكم الله على أهل النار بالخلود في العذاب الذي لا ينقطع.

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾[(٢)] أمر الله تعالى بقطع كف السارق وكف السارقة جزاءً من الله تعالى على إقدامهما على أخذ مال الغير، وبقطع أيديهما يرتدع غيرهما من الإقدام على مثل ما أقدما عليه، فتعظم المصلحة العامة، وتشريع الله لهذا الحكم هو صادر عن حكمة ولأجل مصالح مترتبة عليه.

﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ فمن تاب وأصلح ما قد أفسد[(٣)] من السارقين والسارقات- فتوبته مقبولة، وسيغفر الله له ما قدم، ويدخله في رحمته.

---

(١)- **سؤال:** من فضلكم من أين نأخذ تخصيص: ﴿مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ بملء الأرض ذهباً؟

الجواب: إنما قلنا ذلك نظراً إلى قوله تعالى: ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ﴾ [آل عمران:٩١].

سؤال: هل يؤتى بقوله: ﴿وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ للمبالغة في عدم القبول أو لحقيقته؟

الجواب: أتي بذلك للمبالغة في تيئيس الكافرين من إمكان الخلاص من عذاب الله، ورجاء التخلص منه بأي وسيلة.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب «جزاءً» و«نكالاً»؟

الجواب: كل منهما مفعول من أجله منصوب.

سؤال: من أين أخذ بيان أن اليد إنما تقطع من الرسغ «الكف»؟

الجواب: أخذ بيان ذلك من السنة الصحيحة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ التي عمل بها المسلمون من بعده.

(٣)- **سؤال:** هل إصلاح ما أفسد يكون برد الأموال التي أخذها أو بماذا؟

الجواب: الإصلاح يكون برد الأموال التي سرقها إلى أهلها مع الاعتذار إليهم.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ إن الله تعالى غني عن العالمين غير محتاج إليهم، لا تنفعه طاعة من أطاعه، ولا تضره معصية من عصاه، وله ملك السماوات والأرض وبيده خزائنها فهو سبحانه يعذب العصاة جزاءً على عصيانهم، ويغفر للمؤمنين التائبين جزاءً على إيمانهم وطاعتهم.

﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾(١) فلا تأسف على أولئك الذين كانوا قد آمنوا، ثم رجعوا إلى الكفار؛ فإنهم في الواقع غير مؤمنين.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾(٢) كان علماء اليهود قد حرفوا التوراة،

---

(١)- **سؤال:** هل في الآية دليل على أن الإيمان إنما يتحقق بكل شرائطه قولاً وعملاً واعتقاداً؟

الجواب: في الآية دليل على أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، فإذا اختل واحد منها اختل الإيمان.

(٢)- **سؤال:** هل الآية في ذم العوام منهم المستمعين للكذب المملى عليهم من علمائهم؟

الجواب: الآية في ذم الأتباع من اليهود الذين لا علم لهم بالتوراة، وكان علم التوراة مخصوصاً بعدد معين.

سؤال: ما العلاقة بين هذه الجملة ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ والجملة التي قبلها؟

الجواب: الكلام الذي قبل هذا هو: ﴿ يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ...﴾ فقوله: « من » في قوله « ومن الذين هادوا.. » معطوف على « من الذين قالوا » أي: أن النبي ﷺ كان يحزنه مسارعة المنافقين واليهود الذين أظهروا الإسلام خداعاً في الكفر، فيظهر أن النبي ﷺ كان قد استر بإسلام المنافقين وبعض اليهود، وطمع في صلاحهم وحسن إسلامهم فلما رأى مسارعتهم إلى الكفر استاء وحزن، فبهذا تتبين علاقة المعطوف بالمعطوف عليه.

سؤال: ما إعراب «سماعون» في قوله: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾؟

الجواب: تحتمل وجهين من الإعراب:

١- أن يكون «سماعون» مبتدأ، و﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ خبر مقدم.

٢- أن يكون «سماعون» خبراً لمبتدأ محذوف أي: هم سماعون، وقوله: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ معطوف على: ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ﴾. والتفسير هو على الإعراب الأول.

ويملونها على أتباعهم بناءً على أنها من التوراة، وليست من التوراة، وإنما يملون عليهم الكذب على الله وعلى موسى وعلى التوراة، وكانوا يتقبلون ذلك.

﴿سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾[1] يسمعون لكبار اليهود ورؤساؤهم، ويأخذون منهم الآراء والحيل، وأسباب المكر والخديعة؛ ليكيدوا الإسلام ونبي الإسلام ﷺ.

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ يسمعون لمن هذه صفتهم أي: الذين يحرفون التوراة، وكانوا يسألونهم عما يريدون من أمر دينهم، فيجيبونهم على خلاف ما جاء في التوراة، ثم يأمرونهم بأن يذهبوا ويسألوا النبي ﷺ، ويقولون لهم: فإن أجابكم بمثل ما أجبناكم فصدقوه، وإلا فهو كذاب فاحذروه ولا تصدقوه فيما قال، وهذا معنى قوله سبحانه: ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾.

﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾[2] ولن تستطيع أن تهديهم

---

(١)- **سؤال:** من هم القوم الآخرون؟ وما فائدتها بعد قوله: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾؟

الجواب: القوم الآخرون هم من كبار اليهود لم يحضروا إلى النبي ﷺ استكباراً وترفعاً، وكان الأتباع يطيعون هؤلاء الكبراء المتكبرون فيما يأمرونهم به، وقوله: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ هو سماعهم لما يتلى عليهم من علمائهم بناءً على أنه من التوراة، وليس منها وإنما هو كذب على الله تعالى اختلقوه من عند أنفسهم.

(٢)- **سؤال:** ما معنى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ هل المقصود إهلاكه؟ أم إضلاله وإيقاعه في الفتنة فهي تشكل على الطلاب كثيراً؟

الجواب: المعنى: ومن يرد الله أن يعذبه ويهلكه، والله جل وعلا لا يريد أن يعذب أحداً إلا إذا علم أنه لا يرجع عن غيه، ولا يتوب إلى ربه، وأنه لا يزال مصراً على الكفر والفسوق، ويجوز أن يكون المعنى: ومن يرد الله أن يتركه في الفتنة، أي: أن الله يترك المرء وما اختار لنفسه، إلا أن المؤمن إذا اختار الهدى أمده الله بالتوفيق والألطاف، وإذا اختار المرء الباطل تركه الله ولم يمده بألطاف كالمؤمن.

يا محمد؛ لأنهم قد تمردوا وعاندوا وزادوا في تمردهم وعنادهم، وقد أنزلنا عليهم التوراة فحرفوها وبدلوها؛ فلا سبيل إلى هدايتهم وردهم إلى الحق والهدى(١)، فاقطع طمعك منهم، ولا تتعب نفسك في ملاحقتهم.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾(٢) قد استحكم غضب الله عليهم، وحق عليهم عذابه

---

(١)- **سؤال:** قد يقال: إذا لم يكن للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سبيل إلى هدايتهم فكيف كلفوا بالهداية؟ وقد يحتج بمثل هذا أهل الجبر فكيف يجيب المرشدون على ذلك؟

الجواب: قدرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ واستطاعته في هذا الباب هي تبليغ رسالات الله، ودعوة الناس إلى دين الله، والتذكير لهم، وتكرير المواعظ وتنويعها، والصبر والتحمل، ومقابلة الإساءة بالإحسان، والتلطف والبر؛ ليصغوا لمواعظه وتذكيره، هذا هو منتهى استطاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وليس بوسعه أن يدخل الناس في الهدى، ولا سبيل له إلى ذلك بعد أن بلغ الرسالة ونصح الناس. وقد كلف الله تعالى الناس جميعاً بالدخول في الهدى الذي دعاهم إليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فاستجاب المؤمنون، ودخلوا في دين الله، وأبى الكثير أنفةً وكبراً، بعد معرفتهم الحق، واختاروا الكفر، ومالوا إليه بإرادتهم واختيارهم، ورغبتهم فيه وحبهم له، ولم يتركوا الدخول في الهدى لعدم قدرتهم على الدخول فيه، فهم قادرون ومستطيعون للدخول فيه، ولكنهم عدلوا عنه رغبة في شهوات الدنيا وزينتها، وإيثاراً للعاجل على الآخرة.

(٢)- **سؤال:** ﴿لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ من أعظم ما يشكل على الطلبة، فلو وضحتم المعنى المقصود منها؟

الجواب: إذا استجاب المكلف لداعي الله، ودخل في الهدى أمده الله تعالى بالألطاف والتوفيق والتنوير، وبذلك تزول الشبهات من قلبه وتنمحي آثارها، فيطهر قلبه، وتستنير بصيرته، وإذا رفض المكلف داعي الله وأعرض عنه واستكبر وأصر على الكفر لم يستحق شيئاً من ألطاف الله وأنواره وتوفيقه التي يعطيها للمستجيب ثواباً على قبوله للهدى وإجابته لداعي الله. والدليل على أن ذلك ثواب على الاستجابة قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد]، وقوله تعالى: ﴿وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ

=

في الدنيا والآخرة.

﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾[(١)] وصف الله اليهود بأنهم يسمعون لأولئك الذين يحرفون التوراة، ويذهبون يجادلون النبي ÷.

﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾[(٢)] الرشوة والربا.

﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ فأنت مخير بين الأمرين، والتخيير منسوخ بما سيأتي من قوله تعالى: ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾.

﴿وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا﴾ إذا رفضت الحكم بينهم فلن يصلوا إليك بضر فلا تخف منهم[(٣)].

﴿نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ [الحديد:٢٨]، وقوله تعالى: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال:٢٩]، ونحو ذلك. والكافر لا يستحق أن يجعل الله له شيئاً من ذلك الثواب، ولا يريد تعالى أن يثيب من لا يستحق الثواب، وتطهرة القلوب من الشك والشبهات هو ثواب كما ذكرنا.

(١)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿سَمَّاعُونَ﴾؟ وهل يجوز أن يكون معنى ﴿لِلْكَذِبِ﴾: أن يكذبوا عليك فيما سمعوه منك؟

الجواب: سماعون: خبر لمبتدأ محذوف أي: هم سماعون، والجملة مستأنفة لتأكيد ما قبلها، ويجوز أن يكون معنى: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ سماعون لما يتلوه النبي ÷ أو يقوله من أجل أن يكذبوا عليه ويحرفوا كلامه.

(٢)- **سؤال:** ما وجه تسمية الحرام بالسحت؟

الجواب: سمي الحرام بالسحت لأنه يسحت صاحبه أي: يهلكه، قال تعالى: ﴿فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾ [طه:٦١]، أي: يهلككم ويستأصلكم بعذاب.

(٣)- **سؤال:** هل كان يخاف النبي ÷ منهم الضرر إن لم يحكم بينهم، أو كان يخشى القالة منهم بعدم تمكنه من الحكم بينهم؟

الجواب: كان يخاف من الإعراض عن الحكم بينهم أن تشتد عداوتهم له، ويزداد جدهم في إلحاق الضرر والأذى به ÷ قولاً وفعلاً، وما يمكن من الترويج والدعايات.

﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[1]
واحكم بينهم بالعدل إذا أحببت أن تحكم بينهم.

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ يُستبعد منهم أن يحكموك، فلا تتوقع ذلك منهم، فهم يعلمون حكم الله إن أرادوه، فهو موجود في التوراة، فإذا أتوك ليحكموك؛ فإنما يقصدون المكر بك والخديعة لك، فكن منهم على حذر.

﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾[2] ثم أعرضوا عما علموه من حكم الله الموجود في التوراة.

﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ وهم بعيدون من الإيمان ومن أحكام الدين.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ فيها شرائع وأحكام من الله تهديهم إلى الطريق المستقيم، وتنور لهم سبل السلام.

﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾[3] أنزل الله التوراة لأجل أن يحكم بها الأنبياء الذين انقادوا لله تعالى، واستسلموا له.

---

(١)- **سؤال:** من هم ﴿الْمُقْسِطِينَ﴾؟ وممَّ اشتقاقه؟

الجواب: المقسطون هم العادلون، وهو مشتق من الإقساط، ويمكن الاستغناء عن هذا المصدر بذكر القسط.

(٢)- **سؤال:** علام عطفت هذه الجملة: ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾؟

الجواب: هي معطوفة على قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾.

(٣)- **سؤال:** ما موقع جملة: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾؟

الجواب: الجملة في محل نصب حال ثانية من التوراة، و﴿فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ هي الحال الأولى، ويصح أن تكون الجملة «يحكم بها» بيانية لا محل لها من الإعراب، وقعت في جواب سؤال مقدر.

﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾[(١)] يحكم بها الأنبياء بين اليهود.

﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ ويحكم بها العلماء؛ والربانيون[(٢)]: هم علماء اليهود، والأحبار: علماء النصارى.

﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ بسبب ما حفَّظَهم الله وعلَّمهم من التوراة وأحكامها، وجعلهم حفظتها وحملتها.

﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ وبسبب أنهم شهداء الله على أن التوراة كتاب الله بُلِّغُوا أحكامَ التوراة.

﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وللمسلمين بأن لا يخشوا اليهود؛ فليقولوا الحق، ويصدعوا بأحكام الله، وإن رغم اليهود.

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ ويحتمل أن تكون خطاباً للربانيين والأحبار نهاهم الله أن يخشوا الناس، ونهاهم أن يحرفوا التوراة مقابل الثمن القليل.

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[(٣)] من لم يحكم

---

(١)- **سؤال:** ما العلة في قوله:﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ بدل قوله: بين الذين هادوا؟

الجواب: العلة –والله أعلم- هي أن الله تعالى أنزل التوراة لليهود خاصة يحكم بها أنبياؤهم وعلماؤهم بينهم وحدهم، فجاءت اللام لبيان ذلك؛ لأن اللام تفيد الاختصاص.

(٢)- **سؤال:** يقال: كيف نجمع بين ما تقدم أن الربانيين المنقطعون إلى الله وهذا؟

الجواب: يمكن الجمع بأن الربانيين مجموع الأمرين، فهم حينئذٍ العلماء المنقطعون إلى الله.

(٣)- **سؤال:** هل في الآية دليل على التكفير بالمعصية؟

الجواب: ليس في الآية دليل على التكفير للعاصي بفعل المعصية، ومعنى الآية: ومن لم يحكم بما أنزل الله بعد علمه به، ثم إنه أعرض عنه، ورأى أن غيره أولى بأن يحكم به، ثم حكم به؛ فإنه يحكم عليه بالكفر، وذلك من حيث أنه استهان بحكم الله، أما الذي يحكم بغير ما أنزل الله: إما عن طريق الخطأ، وإما عن علم من أجل رشوة أو قرابة أو صداقة أو نحو ذلك؛ فلا يحكم بكفره؛ لأنه لم يستهن بحكم الله، ولم ير أن الصواب والحق في غيره. وهذه الآية نزلت في اليهود الذين رفضوا حكم الله تعالى، الذي أنزله عليهم في التوراة برجم الزانيين المحصنين =

من اليهود بما أنزله الله تعالى في التوراة وحكم بغيره فقد كفر وتوغل في كفره وهكذا غيرهم من أهل الملل إذا حكموا بغير ما أنزل الله إليهم فقد كفروا.

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾ أي: في التوراة.

﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾(١) فليس له إلا أن يقتص أو يتصدق وليس في شريعتهم العفو والدية ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾(٢) ومن تجاوز حكم الله الذي أنزله في كتبه فقد بلغ الغاية في الظلم.

وهم عالمون بذلك الحكم، ثم إنهم أنكروه وقالوا: ليس على المحصنين رجم، وحَدُّهما هو التعزير والتشهير، إلا أن الآية -وإن نزلت فيهم- فحكمها عام في جميع من رفض حكم الله ولم يرض به، ورأى أن حكم غيره هو الحق والأولى، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء].

(١)- **سؤال:** ما معنى الباء في قوله: ﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾؟

الجواب: معناها المقابلة، والمعنى: النفس مقتولة في مقابل قتلها للنفس، أو عوض قتلها للنفس، وكما يقال: هذا بذاك، وكما يقال اليوم: واحد بواحد.

سؤال: ما معنى الجروح في قوله: ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾؟

الجواب: المعنى: والجروح ذات قصاص، أي: أن الله تعالى كتب الاقتصاص فيما حصل من الجروح إذا أمكن الاقتصاص بالمثل.

سؤال: هل الضمير في قوله: ﴿تَصَدَّقَ بِهِ﴾ يعود إلى القصاص؟

الجواب: الضمير يعود إلى القصاص، والتصدق يكون من المجروح.

(٢)- **سؤال:** كيف لزمنا الأخذ بها وهي حكم في الكتب السابقة (التوراة)؟

الجواب: لزمنا الأخذ بها من حيث أن الله تعالى حكاها لنا في كتابه الكريم وأقرها، ولم يشرع خلافها، وقد قال تعالى في القرآن إنه: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة]، ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف:٣]، وفي القرآن الكثير والكثير من مثل ذلك، فعم ولم يخص.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى ءَاثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾[1] أتى موسى بالتوراة وبعث الله بعده أنبياء يجددونها؛ لأن بني إسرائيل كانوا يحرفونها، ثم بعث الله بعد ذلك عيسى بكتاب غير كتاب موسى، وهو الإنجيل.

﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾[2] أتى عيسى عليه السلام مصدقاً لما جاء في التوراة، ولم يخالف في شيء منها إلا ما كان تخفيفاً.

﴿فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾[3] ويصدق ما فيها من الأحكام.

﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ۝٤٦﴾ وفيه هدى وموعظة لمن ينتفع بها، ولن ينتفع بها إلا المتقون.

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ۝٤٧﴾[4] أمر الله تعالى النصارى أن يحكموا بما أنزل الله في الإنجيل، وإلا فهم خارجون عن طاعة الله وفاسقون عن أمره.

---

(١)- ما معنى: ﴿قَفَّيْنَا﴾؟ ولِمَ عدّاه بـ«على» في قوله: ﴿عَلَى ءَاثَارِهِمْ﴾؟

الجواب: أتْبَعنا الأنبياء بعدما ذهبوا بعيسى، يسير على طريقهم، ويطأ على آثارهم، وبهذا يظهر وجه التعدية بـ«على».

(٢)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿مُصَدِّقًا﴾؟ وهل معنى: ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أمامه؟

الجواب: ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال من عيسى، و﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ بمعنى: لما تقدمه بزمن قليل كأنه لقربه حاضر بين يديه.

(٣)- **سؤال:** ما الوجه في نصب: ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ وما بعدها؟

الجواب: الوجه في نصب «مصدقاً» أنه معطوف على الجملة الحالية التي قبله: ﴿فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾، ومحلها النصب على أنها حال، وما بعدها -أي: بعد مصدقاً- معطوف داخل في نسق مصدقاً.

(٤)- **سؤال:** هل تعم هذه الآية كل من لم يحكم بحكم الله ولو من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟

الجواب: نعم تعم كل من لم يحكم بحكم الله من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك الآية: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ۝٤٤﴾ على حسب ما ذكرنا من التفصيل.

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾(١) أنزلنا إليك يا محمد القرآن.

﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾ مصدقاً للتوراة والإنجيل(٢).

﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ فهو المسيطر على التوراة والإنجيل(٣) فإذا اختلفوا في حكم من الأحكام فالمرجع إلى القرآن وهو الحاكم على جميع الكتب.

﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ أمر الله تعالى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أن يحكم بين الناس جميعاً(٤) اليهود والنصارى والمسلمين بما أنزل الله في القرآن.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾(٥) فإذا أخبرك أولئك اليهود والنصارى بحكم الله فلا تصدقهم؛ لأنهم قد حرفوا وبدلوا.

---

(١)- **سؤال:** ما معنى الباء في قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾؟

الجواب: معناها المصاحبة إذا أعربناها حالاً من الكتاب.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في عدم قوله: من الكتابين؟

الجواب: «الكتاب» المراد به الجنس الشامل للقليل والكثير، وإنما فسرناه بالكتابين لأنهما المتصفان بـ«بين يديه».

(٣)- **سؤال:** وهل يصح أن يفسر: ﴿مُهَيْمِنًا﴾ برقيب أو شاهد عليه؟

الجواب: معنى «مسيطر على الكتابين» أنه مسيطر بشهادته المقبولة في إحقاق حقها وإبطال دخيلها، ورقيب في ذلك.

(٤)- **سؤال:** يقال: من أين نستفيد التعميم للناس جميعاً مع أن ظاهر ﴿بَيْنَهُمْ﴾ أهل الكتابين؟

الجواب: نستفيده مما علم من دينه صلى الله عليه وآله وسلم أنه مكلف أن يحكم بين أهل الكتاب بما أنزل الله إليه، وبين الناس جميعاً، فأهل الكتاب وغيرهم سواء في ذلك.

(٥)- **سؤال:** ما معنى «عن» في قوله: ﴿عَمَّا جَاءَكَ﴾، وما إعرابها؟

الجواب: «عن» معناها المجاوزة، وجاءت هنا لأن قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ مضمن معنى «يصدنك» و«عن» حرف جر و«ما» اسم موصول بمعنى الذي مجرور بعن، والجملة بعده صلته.

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[١] فمعك يا محمد شريعة، وموسى معه شريعة، وكذلك عيسى معه شريعة.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ولو شاء الله لجعلكم على شريعة واحدة.

﴿وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا ءَاتَاكُمْ﴾ ولكنه خالف بين شرائعكم ليختبر طاعتكم وانقيادكم لربكم[٢].

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾[٣] أمر الله النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه أن يكونوا السابقين إلى الخيرات، وأن يكونوا أول من يعمل بأحكامه، والخيرات هي الإيمان بالله وبرسوله وبكتبه وبملائكته وباليوم الآخر والسمع والطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم، والعمل بشرائع الدين وأحكامه، والاستقامة على ذلك، والالتزام بالتقوى.

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝٤٨﴾ يرجع اليهود والنصارى والمسلمون إلى الله يوم القيامة، فيجازي كلاً بذنبه الذي يستحقه، وهناك يتبين المحق من المبطل، وتنكشف حقائق الناس، ويحكم الله يومئذ بين أهل الحق وأهل الباطل فيما اختلفوا فيه.

---

(١)- **سؤال:** هل معنى «شرعة» شريعة؟

الجواب: شرعة أي: شريعة ودين، وهي مأخوذة من الشريعة وهي مورد الماء.

(٢)- **سؤال:** من أي ناحية تكون البلوى فيما آتاهم سبباً للمخالفة بين شرائعهم؟

الجواب: خالف الله تعالى بين شرائع الأمم ليختبر طاعتهم، فالمخلصون يؤمنون بالشريعة الجديدة، وغير المخلصين يتحمسون لما هم عليه ويأنفون من اتباع الشريعة الجديدة، ويكبر في نفوسهم مخالفة ما كانوا عليه هم وآباؤهم، فيظهر بهذا الاختبار المخلصون، ويتميز غير المخلصين.

(٣)- **سؤال:** هل الخيرات جمع خير أو ماذا؟

الجواب: الخيرات جمع خَيْرة قال تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ۝٧٠﴾ [الرحمن]، لما وصفوا به المؤنث قالوا: فلانة خيرة، وهذا إذا لم يريدوا التفضيل، فإن أرادوا التفضيل قالوا: فلانة خير من فلانة.

﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ أكد الله سبحانه وتعالى لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يحكم بين اليهود والنصارى بما أنزل الله عليه في القرآن الكريم.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾(١) وهو ما يحكمون به من عند أنفسهم مدعين أنه في التوراة فلا تصدقهم فيما أخبروك به من أحكام التوراة.

﴿وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾(٢) فلا تترك الحكم بينهم بما أنزل الله إليك، وتذهب إلى الحكم بما ادعوا أنه في التوراة؛ لأنهم قد حرفوها وبدلوها.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾(٣) إن رفضوا حكمك فاعلم أنه قد استولى عليهم غضب الله وسوف يعذبهم الله في الدنيا ببعض ذنوبهم.

---

(١)- **سؤال:** وهل يصح أن يطلق على ما خالف القرآن أنه أهواءهم؟

الجواب: ما خالف أحكام القرآن من الأحكام فإنما هي أهواء، ويصح أن تسمى أهواء لأنها صادرة عن الأهواء.

(٢)- **سؤال:** ما موضع: ﴿أَنْ يَفْتِنُوكَ﴾ الإعرابي؟

الجواب: يجوز أن يكون بدلاً من الضمير المنصوب بدل اشتمال، ويجوز أن يكون مجروراً بـ«من» مقدرة متعلقاً بـ«احذرهم».

سؤال: ما معنى: ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ﴾؟

الجواب: المعنى: احذر يا رسول الله اليهود غاية الحذر، فإنهم ذوو خبث ودهاء ومكر، فإنهم يريدون أن يستزلوك عن شيء من أحكام القرآن، ويحملوك بمكرهم على ترك بعض شرائعه، فاحتط لنفسك.

(٣)- **سؤال:** هل يصح أن يكون قوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ﴾ دليلاً على تقدم الإرادة على المراد وهو الإصابة، فيكون معناها العلم باشتمال تعذيبهم على مصلحة؟

الجواب: في ذلك دليل على تقدم الإرادة على المراد، مما يدل على صحة قول من يقول: إن الإرادة في حق الله هي علمه باشتمال الفعل على المصلحة في زمن معين في علم الله.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ۝٤٩﴾[1] الغالب على البشر التمرد على الله والخروج عن طاعته، وما يقال في قوله: ((عليكم بالسواد الأعظم)) فلا يراد به الكثرة وإنما المراد به (جماعة الحق وإن قلوا) لأنه الأعظم عند الله، ولو لم يكن إلا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحده.

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ تعجيب من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم من اليهود حيث طلبوا حكم الجاهلية ومالوا إليه مع أنهم من أهل العلم وحملة التوراة.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ۝٥٠﴾[2] لو كنتم يا معشر اليهود من أهل اليقين، والإيمان بالله وبما أنزله في التوراة- لما عدلتم عن أحكام التوراة وطلبتم أحكام الجاهلية؛ لأن أهل الإيمان واليقين لا يرضون بغير حكم الله.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ[3] إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ۝٥١﴾

---

(١)- علام عطفت جملة: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ۝٤٩﴾؟

الجواب: الواو اعتراضية، والجملة معترضة، هكذا يسمي ذلك بعض أهل البيان، وبعضهم يسمي مثل هذا تذييلاً، والمراد بذلك الجملة التي تؤكد معاني الكلام السابق وتقرره.

(٢)- **سؤال:** ما معنى الاستفهام هنا: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ﴾؟

الجواب: معناه التقرير أي: ليس هناك حكم أحسن من حكم الله، ولا أعدل منه.

(٣)- **سؤال:** ما إعراب جملة: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾؟

الجواب: الجملة بيانية لا محل لها من الإعراب، واقعة في جواب سؤال مقدر: بما هي العلة؟ هي: لأن بعضهم أولياء بعض.

سؤال: يقال: كيف يصير حكم الموالي حكم اليهودي أو النصراني، مع أن الموالاة معصية توجب الفسق فقط؟

الجواب: صار الموالي من المسلمين لليهود أو للنصارى في حكم اليهودي أو النصراني من حيث أن الموالي معناه: المناصر لليهود أو للنصارى، ومناصرة اليهود أو النصارى على أمرهم يعتبر حرباً للإسلام ونبي الإسلام وأهل الإسلام، وحرب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودينه وأهل ملته المؤمنين كفر.

سؤال: لو عرّفتم الموالاة بحدٍّ جامع مانع أو ضابط فالمرشدون في حاجته؟

=

كان المسلمون في المدينة مختلطين باليهود، ومجاورين لهم، وكانت بينهم أحلاف وعلاقات من زمن الجاهلية، ولا يريدون أن يقطعوا الود الذي بينهم وبين اليهود مريدين بذلك نصرتهم إذا هجم عليهم عدو في المدينة، أو أصابتهم بلوى أو نحو ذلك، وهؤلاء هم أكثر أهل المدينة، وقلة قليلة هم الذين تركوا هذه الأحلاف والعلاقات بعد الإسلام، وقد نهاهم الله سبحانه وتعالى عن موالاتهم في هذه الآية وحكم أن بعضهم موال لبعض فلا ينبغي للمؤمن موالاتهم، وأخبر الله تعالى بأن من يتولهم منكم فإنه منهم، فمن أصر على مؤاخاة اليهود والاستمرار على محالفتهم ومناصرتهم ومصاحبتهم؛ فإنه ليس بمؤمن، وهو عند الله وفي حكمه يهودي.

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾(1) سترى يا محمد أهل النفاق مسارعين إلى مؤاخاة اليهود(2) ومناصرتهم، وتوثيق العلاقات بهم، معتذرين إليكم بحاجتهم إليهم لدفع الأعداء، ودرء نوائب الدهر.

﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي

الجواب: الموالاة المرادة هي: ربط علاقة بين طرفين على المناصرة وعلى أن أي اعتداء على واحد من أي الطرفين يعتبر عدواناً على الجميع، وعلى التعاون بالنفس والمال والنفقات اللازمة في دفع العدو، و... إلخ. والموالاة مفاعلة وهي صيغة تدل على مشاركة بين طرفين أو أطراف فرادى أو جماعات، ومعنى موالاة: مناصرة ومحالفة.

(١)- **سؤال:** ما هي الدائرة؟ وما إعراب جملة: ﴿يَقُولُونَ نَخْشَى﴾؟

الجواب: الدائرة: هي النكبة من نكبات الزمان، وكأنها سميت دائرة لأن الزمان يدور بها.

وجملة ﴿يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ جملة بيانية أي: لبيان العلة التي جعلتهم يسارعون إلى محالفة اليهود، ويجوز أن تكون الجملة حالية من فاعل يسارعون.

(٢)- **سؤال:** هل تُحمَل المسارعة إلى إخوانهم المسلمين أم أنها إلى اليهود فقط؟

الجواب: المسارعة إلى موالاة اليهود، والضمير في «فيهم» يعود إلى اليهود والنصارى، والتعبير بقوله: «فيهم» يدل على أن الذين في قلوبهم مرض «المنافقين» منغمسون بين اليهود، وفي دائرتهم، يتنقلون من جماعة إلى جماعة، ومن فريق إلى فريق.

﴿أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴿٥٢﴾﴾[١] هذا وعد من الله بنصر عظيم منه سبحانه لنبيه وللمؤمنين، وأنه سيكون لهم قوة وسلطان وغلبة، وسيندم أولئك عندما يرون هذا النصر والتمكين، ويتمنون أنهم انضموا إليكم، وتركوا موالاة اليهود ومناصرتهم.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴿٥٣﴾﴾[٢] يتعجب المؤمنون من هؤلاء الذين بايعوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فانكشف أخيراً أنهم مع اليهود بموالاتهم ومناصرتهم ومناصحتهم ومؤاخاتهم، وقد كانوا يحلفون بأبلغ الأيمان وأغلظها إنهم معكم أيها المؤمنون بسرهم وجهرهم ثم انكشف بعد ذلك كذبهم، وبذلك حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين في الدنيا والآخرة.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ يخبر الله تعالى المسلمين الذين دخلوا في الإسلام بأنه غني عنهم غير محتاج إليهم لنصر دينه ومؤازرة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأنهم إن ارتدوا عن

---

(١)- **سؤال:** ما معنى الفاء في قوله: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾؟

الجواب: الفاء للعطف والتعقيب، فجملة «عسى الله» معطوفة على جملة: «فترى الذين..».

سؤال: ما هو الأمر المقصود بقوله: ﴿أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾؟ هل هو غير الفتح؟

الجواب: الأمر هو غير الفتح، فالفتح هو الانتصار على العدو بسيوف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمسلمين، والأمر هو هزيمة العدو بإلقاء الرعب في قلوبهم من غير أن يوجف عليهم بخيل ولا ركاب.

(٢)- **سؤال:** ما هو إعراب: ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾؟ وما معناها؟ وما إعراب جملة: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾؟

الجواب: ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ مفعول مطلق منصوب، ومعناها: أن المنافقين أبلغوا طاقتهم ونهاية ما في قدرتهم ووسعهم في إقسامهم وحلفهم إنهم مع المؤمنين، وجملة: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

دينهم أو ارتد بعضهم فسيأتي سبحانه بقوم يتحققون بحقائق الإيمان ينصرون دين الإسلام، ويؤازرون نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولا يعوقهم عن ذلك عائق، ولا يردهم عن جهادهم راد.

وقد سئل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن هؤلاء الذين سيبدلهم الله بهم؛ فأجاب بأنهم أهل اليمن، روى ذلك ابن أبي شيبة وإسحاق والحاكم والطبراني والطبري والبيهقي. كما في حواشي الكشاف، والمراد بهم الذين نصروا علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ ثم نصروا أئمة الهدى من بعد ذلك والله تعالى لا يحب إلا أولياءه الصالحين.

﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[1] فهم متواضعون للمؤمنين.

﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ قساة عليهم وليسوا مثلكم متوددين لليهود وموالين لهم ومناصحين.

﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾[2] ليسوا مثلكم، لا يجبنون عن لقاء العدو، ولا يفرون عند شدة الحرب، وليسوا مثلكم يتهربون من الجهاد، ويتحذرون من أن يصدر منهم ما يسيء إلى الكافرين.

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ فوجود أناس على هذه الصفات فضل من الله تفضل بها عليهم، وفي هذه الآية دليل على أنه يوجد أناس أفضل من الصحابة في عصرهم وفي غير عصرهم؛ لأن بعضهم يقول بأن الصحابة الأفضل على الإطلاق.

---

(١)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿أَذِلَّةٍ﴾؟ وهل هي جمع ذليل؟

الجواب: «أذلة» صفة لـ«قوم» مجرورة بالتبعية، وهي جمع ذليل بمعنى متواضع هنا.

(٢)- **سؤال:** هل هذه اللفظة ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ خرجت مخرج ضرب الأمثال في عدم التراجع؟ أم أنها كناية؟ أو ماذا؟

الجواب: قد جرت هذه الجملة مجرى المثل لما فيها من جلالة المعنى وقصر اللفظ، إلا أن المراد بها هنا ظاهر معناها الذي هو مضيهم في الجهاد وقتال الأعداء، لا يردهم خوف ولا لومة أحد.

ثم خاطب الله المؤمنين فقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ لتكن ولايتكم وطاعتكم لله ولرسوله فلا تذهبوا لا إلى اليهود ولا إلى النصارى لتعتزوا بهم، فليس لكم في موالاتهم إلا الخزي في الدنيا والآخرة؛ إنما العزة والقوة والسلطان لله ورسوله فاطلبوها من ثَمَّة فإن الله تعالى هو الولي الحق وهو ربكم وخالقكم وهو أولى بكم من أنفسكم ثم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾(١) فهؤلاء هم الذين ينبغي أن تتولوهم وتعتزوا بهم.

وقوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ نزلت في علي بن أبي طالب(٢) كرم الله وجهه؛ فالمفترض أن يرجعوا إلى الله سبحانه،

---

(١)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ﴾؟

الجواب: بدل من ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فالموصول في محل رفع.

(٢)- **سؤال:** قد يقال: كيف كان المراد بها علياً عليه السلام وهي بصيغة الجمع ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ..﴾؟

الجواب: المراد بقوله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ هو كل من تحققت فيه هذه الصفات من جميع المؤمنين إلا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين بعد البحث عن أهل هذه الصفات لم يجدوا إلا علياً عليه السلام، ولو وجد غيره يتصف بتلك الصفات لشاركه في الولاية، ولكن لم يوجد غيره.

سؤال: إذا قال قائل: قصركم للآية في علي بن أبي طالب عليه السلام من باب قصر العام على سببه وأنتم لا تقولون به، فبماذا يرد عليه؟

الجواب: الآية نزلت لبيان أهل الولاية والطاعة فنصت على أن الولاية لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ولمن اتصف بتلك الصفات، ولم يتصف بتلك الصفات سوى علي بن أبي طالب عليه السلام فتعين أنه المقصود بالولاية، ولم يوجد من اتصف بها لا قبله ولا بعده، وجمهور أهل التفسير يذكرون الروايات المروية بأن علياً عليه السلام هو الذي تصدق بخاتمه وهو راكع.

سؤال: قد يقول المعارضون: إنه لا مال لعلي عليه السلام تجب فيه الزكاة فما هو الذي زكاه؟ فكيف يجاب عليهم؟

الجواب: قد يقال: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلياً عليه السلام والمؤمنين رضوان الله عليهم -وإن كانوا فقراء- فإنها تحسنت أحوالهم في آخر عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم منذ فتح خيبر وإجلاء بني النضير وقتل =

وأن يرجعوا إلى رسوله، وإلى علي بن أبي طالب، ويؤيدوهما ويناصروهما، ولا يخافوا من اليهود والنصارى.

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ۝٥٦﴾[(١)] زيادة تأكيد لهم بأن حزب الله هم الغالبون، وأن العاقبة لمن كان في حزبه، فانضموا إليهم واتركوا أولئك اليهود والنصارى.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ كرر الله عليهم للتأكيد.

﴿لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾[(٢)] فلا توالوا الذين يستهزئون بدينكم من أهل الكتاب والكفار.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ۝٥٧﴾ إذا كنتم صادقين في إيمانكم؛ فلا تعصوا الله وتخالفوا أوامره، واقطعوا حبال المودة بينكم وبين اليهود والكفار.

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ فلماذا توالونهم وتناصرونهم وتناصحونهم، وهم يسخرون منكم ومن دينكم وقد سمعتموهم يسخرون ويستهزئون إذا سمعوا النداء إلى الصلاة.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ۝٥٨﴾[(٣)] ولو نظروا بعقولهم لعلموا أن ما جاء به

بني قريظة و..إلخ حيث أغناهم الله وبسط لهم في الرزق ووسع لهم فيه، وهذه الآية لم تنزل إلا بعدما أيسر الله على المسلمين.

(١)- **سؤال:** هل في الآية دليل على أن المتولي لله ورسوله وأمير المؤمنين من حزب الله؟

الجواب: نعم فيها دليل ينادي بذلك ويصيح به.

(٢)- **سؤال:** علام نصب قوله: ﴿وَالْكُفَّارَ﴾؟ وهل المراد بهم مشركو العرب؟

الجواب: نصب بالعطف على المفعول الأول: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا..﴾ والمراد بهم مشركو العرب وغيرهم من المشركين إن وجدوا.

(٣)- **سؤال:** هل الإشارة في قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ إلى الاستهزاء بالنداء؟

الجواب: تعود الإشارة إلى ما صدر منهم من استهزاء وعبث.

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من الدين حق، ولسارعوا إلى اتباعه ونصرته، ولكنهم لم ينظروا بعقولهم، فكفروا بالإسلام ودينه واستهزئوا به لضياع عقولهم.

﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ۝٥٩﴾[1] فلا تنقمون منا يا معاشر اليهود إلا لأنا آمنا بالله ونبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبالقرآن، وآمنا بما أنزل من قبل وهو التوراة والإنجيل، وليس هذا سبباً يبعثكم على حربنا ويدعوكم إلى عداوتنا، ولأجل أن أكثركم فاسقون ومتمردون، ولا تبالون بما فعلتم بنا من العداوة.

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾[2] لا تستهزئوا يا معاشر اليهود بدين الإسلام وبأتباعه؛ فأنتم أهل الشر ومنتهاه وغايته، حيث لم يلحقكم فيه لاحق، ولم يسبقكم إليه سابق، ولكم عند الله أوفر نصيب من عذابه، وقد لعنكم الله في التوراة والإنجيل والقرآن، وغضب جل جلاله عليكم، وجعل منكم -لعظم شركم وعظيم جرمكم- القردة والخنازير، ومع ذلك فقد عدلتم عن عبادة الله تعالى إلى عبادة الطواغيت، وهذا المراد بقوله: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ

---

(١)- **سؤال:** هل هذه الآية من المدح بما يشبه الذم؟ إلا أنه يشكل عطف قوله: ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ۝٥٩﴾ عليه، فكيف توجهون الآية بما يتناسب مع الإعراب؟

الجواب: الآية من المدح بما يشبه الذم فقد عرَّف أهل البلاغة ذلك بأنه استثناء صفة مدح من صفة ذم منفية عن الشيء بتقدير دخولها في صفة الذم المنفية. وهذا الحد صادق على ما جاء في الآية، ولا يضر عطف ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ۝٥٩﴾ على المستثنى بعد تحقق المطلوب.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿مَثُوبَةً﴾، وما معناها؟

الجواب: تعرب «مثوبة» تمييزاً تمييز نسبة؛ لأن الشرَّ منسوبٌ إلى الأشخاص، ومثوبة هي من المجاز المرسل؛ لأن الثواب هي في الخير، ولا خير في هذه المثوبة بل هي شر، وإنما سميت مثوبة للتهكم والاستهزاء والسخرية.

وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾[١] وهم اليهود فهم أشر؛ لأنهم يطيعون طواغيتهم، ويحرفون التوراة لأجلهم.

﴿أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ۝٦٠﴾[٢] فهم لذلك ولما ذكره الله أشر الناس وأبعدهم عن الهدى، فهم لذلك أهل السخرية والاستهزاء.

﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ﴾ وكذلك هم منافقون ومراوغون، وأهل حيل؛ فإذا جاءوا إليكم ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ مخادعة منهم ومكايدة.

﴿وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾[٣] عندما أتوا إليكم قائلين لكم

---

(١)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ﴾؟

الجواب: «من» في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو من لعنه، ويجوز أن يكون في محل جر بدلاً من «شر».

سؤال: هل معنى: ﴿جَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ﴾ مسخهم إلى ذلك أم ماذا؟

الجواب: المعنى أنه تعالى مسخهم إلى قردة. وكانت عبادتهم للطاغوت وطاعتهم له تفيد أنهم يطيعونهم في تحريف التوراة إلى ما يوافق أهواء الطواغيت.

سؤال: هل قوله: ﴿وَعَبَدَ﴾ جمع عابد؟ أو ماذا؟

الجواب: «عبد» فعل ماضٍ وليس باسم، وهو معطوف على: ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾، وليس معطوفاً على القردة والخنازير.

(٢)- **سؤال:** ما المراد بـ﴿شَرٌّ مَكَانًا﴾؟ وهل هو مجاز أو ماذا؟

الجواب: المراد أن اليهود أهل الشر والضلال وأعظم توغلاً في ذلك ممن اتهمهم اليهود بالشر والضلال زوراً وبهتاناً.

﴿شَرٌّ مَكَانًا﴾ كناية عما ذكرنا؛ بناء على التلازم بين المكان وأهله.

(٣)- **سؤال:** هل المراد بالآية: ﴿وَقَدْ دَخَلُوا...﴾ إلخ التأكيد على أن الكفر مستحكم في قلوبهم؟

الجواب: المراد هو التأكيد على أن الكفر مستحكم في قلوبهم؛ لئلا يغتر بهم المؤمنون المخلصون، ولكي يحذروهم ويتحرزوا من مكائدهم وحيلهم.

آمنا فالحقيقة أنهم قد جاءوكم مصطحبين للكفر، وخرجوا من عندكم وهم كافرون، وقولهم ذلك إنما هو بألسنتهم فلا تصدقوهم ولا تركنوا إليهم واقطعوا ما بينكم وبينهم.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ۝٦١﴾(١) فهو عالم بما في أنفسهم من الحيل والمكايد، واعتقاد الكفر بدين الإسلام ونبيه ﷺ وبما تكنه صدورهم من العداوة والحقد والحسد لكم أيها المؤمنون.

﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ سوف ترى يا محمد هؤلاء القوم يسترسلون في معاصي الله وعدوانهم على العباد من غير مبالاة منهم بعصيان الله.

﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ۝٦٢﴾(٢) ويسترسلون في أكل الربا والرشوة والمال الحرام، فهم لذلك أسوأ الناس أعمالاً؛ فلو نظروا إلى سوء أعمالهم وما هم عليه من الضلال- لما استهزئوا بدين الله وبرسوله ﷺ.

﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ۝٦٣﴾(٣) ثم أخبر تعالى عن توغل اليهود في الشر والضلال فقال: إن

---

(١)- **سؤال:** ما فائدة مجيء: ﴿كَانُوا﴾ مع أنه يصح النظم: بما يكتمون؟

الجواب: الفائدة من مجيء «كانوا» هي تأكيد النسبة بين المسند والمسند إليه وتقريرها، ومجيئها هنا مثل مجيئها في نحو قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا۝٢٧﴾ [الأحزاب]، ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا۝١٣٤﴾ [النساء]، وهي في مثل هذه الحال مجردة عن معنى الكون المنقطع في الزمن الماضي.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب ﴿السُّحْتَ﴾؟ وما معنى اللام أو إعرابه في قوله: ﴿لَبِئْسَ﴾؟

الجواب: السحت مفعول به منصوب، وناصبه المصدر المضاف إلى فاعله، واللام في ﴿لَبِئْسَ﴾ واقعة في جواب قسم محذوف، وهي رابطة بين القسم وجوابه.

(٣)- **سؤال:** ما معنى ﴿لَوْلَا﴾ في الآية؟

الجواب: معناها التحضيض والحث.

سؤال: كيف عمل القول في المفرد في قوله: ﴿قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ﴾؟

الجواب: عمل القول في الإثم وهو مفرد لأنه يراد به (بالإثم) قول يقولونه كذباً وزوراً كقولهم:
=

علماءهم الذين هم الربانيون والأحبار لا يستنكرون على قومهم قول الإثم والباطل؛ فإذا سمعوهم يكفرون بالله وبرسوله، ويستهزئون بشرائعه وأحكامه- سكتوا ولم يستنكروا ولم ينهوا، وإذا رأوهم يأكلون الربا والرشوة والسحت لا يغيرون عليهم، ولا يستنكرون ذلك منهم؛ لذلك فهم مثلهم في الشر والجريمة والعقاب.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، يخبرنا الله بقبائح أقوالهم وأفعالهم، والمعنى أن اليهود يقولون: إن الله بخيل.

﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران:١٨١]، ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة:٦٤]، ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [النساء:١٥٧]، ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ [البقرة:٨٠]، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ [آل عمران:١٨٣]، ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران:٧٥]، ونحو ذلك في القرآن كثير.

سؤال: هل في الآية دليل على أن سكوت علمائهم عنهم أقبح من فعلهم؟

الجواب: قد يؤخذ أن سكوت الربانيين والأحبار عن الإنكار على إخوانهم اليهود أقبح وأعظم جرماً عند الله، وذلك من حيث إن الله تعالى قال في هذه الآية: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ۝٦٣﴾، وقال في اليهود الذين يعملون المنكرات: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٦٢﴾ فسمى الله تعالى معصية الربانيين والأحبار صناعة وأعمال اليهود عملاً، والصناعة هي إتقان العمل وإحكامه، وعلى هذا يكون سكوت الأحبار والربانيين أعظم عند الله وأقبح.

سؤال: يروى عن ابن عباس أن هذه الآية أشد آية في القرآن وعيداً فلماذا؟

الجواب: كانت أشد وعيداً من حيث أن الله تعالى ذكر أعمال اليهود الخبيثة وأنواعها، ثم إنه تعالى وصف سكوت علمائهم بما يقتضي أنه أعظم وأسوأ عند الله من أعمال اليهود على كثرتها، وأيضاً من حيث عموم الابتلاء به لكل زمان تقريباً وتعسر التخلص منه، وشدة التكليف به وحضور الخوف من الظلمة إن تكلم ومن الله إن سكت، فهو لذلك تكليف مستمر وحاضر وليس كغيره من التكاليف يحضر مرة ويغيب مراراً، وعند عروضه يمكن تجنبه والابتعاد عنه، والله أعلم.

﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾(١) رد رد الله تعالى على اليهود أولاً بما لهم عنده من الجزاء على هذه المقولة المستنكرة، وذلك الجزاء هو الأغلال وجهنم التي هي مكان لعنة الله؛ فمن لعنه الله وطرده من رحمته أدخله جهنم خالداً فيها.

ثم رد عليهم ثانياً بما هو عليه من سعة الإعطاء وسعة الرحمة، إلا أنه تعالى يعطي على حسب مقتضى علمه ورحمته وكما يريد لا كما تريد اليهود عليهم لعنة الله.

---

(١)- **سؤال:** كيف يرد على من استدل بالآية على أن لله يدين، تعالى عن ذلك؟ وهل من فرق بين من يقول: يدان حقيقيتان أو يقول: على الحقيقة، وبين من يقول: تليق بجلاله؟

الجواب: نقول لمن يستدل بهذه الآية على أن لله يدين على الحقيقة: يلزمكم أن تؤمنوا بأن للقرآن يدان على الحقيقة لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ...﴾ الآية [فصلت]، ولقوله: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ...﴾ الآية [المائدة:٤٦]. ولا فرق بين من يقول: يدان حقيقيتان أو على الحقيقة أو تليق بجلاله؛ فكل ذلك يثبت لله تعالى كفاً وأصابعاً وساعداً.

سؤال: قد يفهم بعض المرشدين استنكار الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام على من جعل الآية مجازاً عن النعمة على خلاف الواقع، فلو وضحتم لهم ذلك؟ وما رأيكم في نظره على الآية أنها من باب التمثيل أو التشبيه التمثيلي؟

الجواب: الآية ليست مجازاً عن النعمة فاستنكار الإمام يحيى بن حمزة استنكار في محله، وفي الحقيقة والواقع أن الآية من باب الكنايات التي يراد بها لازم معناها كقولهم: «فلان كثير الرماد، وطويل النجاد، وجبان الكلب» وهكذا يقال: «فلان قابض ليده، وباسط ليده». ويمكن توجيه كلام الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام بأن هذه الآية: ﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ قد كثر تداولها حتى صارت مثلاً أو حتى جرت مجرى المثل، وبهذا التوجيه يصح أن يقال: إنها كناية وإنها تمثيل؛ إذ لا منافاة.

سؤال: وإذا قال شخص: أنا لا أعتقد أن له يدين لكنني لا أؤول مثلكم لأنني لا أهتدي إلى تأويلكم، فهل عليه نقص في ذلك؟

الجواب: إذا نزه الشخص ربه عن مشابهة المخلوق فلا يلزمه تأويل المتشابه، ويكفيه الإيمان به، ولا يلحقه بذلك نقص في دينه، فمعرفة تفسير المتشابه وتأويله من عمل العلماء الراسخين.

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾[(١)] فكلما نزل عليك آية من آيات الله ازدادوا في طغيانهم وكفرهم وتمردهم، بعد أن كان المفترض أن يزدادوا هدى ونوراً وإيماناً.

﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[(٢)] جعل الله العداوة والبغضاء بين اليهود جزاءً على أعمالهم؛ فلن يرضى بعضهم على بعض أبداً ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر:١٤]، أي: مختلفة متعادية.

﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾[(٣)] فإذا أضرموا ناراً للحرب ضد

---

(١)- **سؤال:** لماذا يعبر الله بقوله: ﴿كَثِيرًا﴾ هل للاحتراز؟

الجواب: التعبير بـ﴿كَثِيرًا﴾ ليس للاحتراز، بل لأن الواقع كذلك؛ فإن الذين يزدادون طغياناً وكفراً بما أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ من الوحي والقرآن هم رؤساء اليهود وأحبارهم وذوو الرأي والنباهة، دون أتباعهم وجهلتهم الذين لا رأي لهم ولا يفكرون فيما يدور في الساحة، ولا يهمهم ما يجري فيها، وعملهم مقصور على اتباع كبرائهم وطاعتهم لهم.

(٢)- **سؤال:** كيف صح نسبة الإلقاء للعداوة إلى الله؟

الجواب: إلقاء العداوة بين اليهود هو عذاب عاجل في الدنيا، وعقاب استحقوه بذنوبهم، وليس فيه ما يخل بعدل الله وحكمته، وقد علم الله تعالى أن اليهود لا يثوبون إلى الهدى، ولا يقبلونه إلى يوم القيامة، فعاقبهم على ذلك بإلقاء العداوة بينهم إلى يوم القيامة، مع فتحه لهم باب الرحمة والتوبة إلى يوم القيامة، وندائه وتذكيره لهم، وترغيبهم في الدخول في رحمته.

(٣)- **سؤال:** هل قوله: ﴿أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ﴾ مجاز عن تدبير الحيل ونحو ذلك؟

الجواب: ذلك كناية عن التصميم على حرب المؤمنين، وإعداد العدة والتجهيز لها بما يلزم.

سؤال: ما إعراب «كُلَّمَا»؟

الجواب: «كلما» كل: ظرف زمان، اكتسبت الظرفية من إضافتها إلى الزمان المقدر، وهو مضاف إلى المصدر: «ما أوقدوا» والتقدير: «كل وقت إيقادهم للحرب» هكذا الأصل، إلا أنه يقال: «كل» ظرف زمان مضاف للمصدر المؤول من «ما» والفعل.

النبي صلى الله عليه وآله وسلم وضد الإسلام- يطفئها الله.

وتسلطهم الآن على المسلمين بسبب أن المسلمين تركوا العمل بشرائع الإسلام، وابتعدوا عنه؛ فلم يبق لهم من الإسلام إلا الاسم.

﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾(١) طبيعة اليهود هي الفساد في الأرض والسعي في إفساد الحق والدين ومصالح الناس في دنياهم حسداً منهم وبغياً.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ لو أنهم آمنوا بالله وبرسوله وبالقرآن- لسعدوا في الدنيا والآخرة.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾(٢) لأعطاهم الله السعادة والعزة التي يطلبونها في

---

(١)- **سؤال:** علام عطف جملة: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾؟ وما إعراب ﴿فَسَادًا﴾؟

الجواب: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ تسمى الواو اعتراضية والجملة معترضة عند الزمخشري، ويسميها غيره تذييلاً، وتسمى الواو أيضاً استئنافية، وفائدة التذييل تأكيد الكلام السابق وتقريره، وفساداً: مفعول مطلق منصوب إما بـ«يسعون» أو بتقدير فعل من لفظه.

(٢)- **سؤال:** هل المراد بإقامة التوراة والإنجيل إقامة أحكامهما؟ وهل المراد بما أنزل إليهم من ربهم القرآن؟

الجواب: المراد إقامة أحكام التوراة والإنجيل التي كلفهم الله تعالى بأدائها، ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ هو القرآن الكريم.

سؤال: ظاهر مجمل الآية ﴿لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ وعد برغيد العيش، فما المراد بقوله: ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾؟ وماذا يجاب عما يقال بأن المؤمن يتقي الله ويقيم أحكام الله ولا يحصل له رغيد العيش في أغلب الأحوال، فكيف بهذه الآية؟

الجواب: ﴿لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ أي: لأنزل الله تعالى لهم بركات السماء، ولأخرج لهم بركات الأرض، فتكثر الثمار والفواكه، ولكثرتها يتساقط الكثير من ثمارها فيأكلون مما يتساقط ومما على الشجر. وقد يكون قوله: ﴿لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ كناية عن سعة الرزق وكثرته، بحيث أنهم لا يحتاجون إلى عناء في تحصيله. والوعد

=

الدنيا والآخرة.

﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ۝٦٦﴾(١) هناك قلة قليلة أجابوا داعي الله وآمنوا به، ودخلوا في دين الله.

﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَاتِهِ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ۝٦٧﴾(٢) حين آمنت

من الله برغد العيش لعباده المؤمنين وعد صادق، إلا أن الله تعالى يختبر عباده بالشدائد الشديدة ليميز الخبيث من الطيب ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ...﴾ الآية [البقرة:١٥٥]، وقد يطول الاختبار وقد يقصر، ولم يرفع الله تعالى بلواه بالجوع وقلة ذات اليد عن رسوله ﷺ والمؤمنين إلا في الأربع السنوات أو الثلاث قبل وفاته ﷺ.

هذا، وقد يكون في المجتمعات الفاسدة آحاد من المؤمنين، وليس الخطاب لهم في هذه الآية وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا...﴾ الآية، بل هذا الخطاب والوعد موجه إلى أمم ومجتمعات كبيرة، وسيجعل الله تعالى للمؤمن الذي يكون في مجتمعات فاسدة فرجاً ومخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب. والغالب على طول التأريخ الإسلامي أن أهل الإيمان والعمل الصالح يكونون في غاية القلة بين المجتمعات الفاسدة، وإذا عرض لهم تنفس في ساعة من الزمان ففي زاوية ضيقة من الأرض، ثم لا يلبثون في تنفسهم إلا قليلاً ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ۝١٠٣﴾ [يوسف]، ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ۝١٠٢﴾ [الأعراف]، ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ۝١٣﴾ [سبأ].

(١)-**سؤال:** ما معنى: ﴿مُقْتَصِدَةٌ﴾؟ وممَّ اشتق؟ ولماذا ابتدأ بالنكرة ﴿كَثِيرٌ﴾ وأخبر عنها بـ﴿سَاءَ﴾؟

الجواب: «مقتصدة» مشتقة من الاقتصاد وهو الاعتدال في كل شيء، والمراد: أمة مستقيمة على الدين الحق. وصح الابتداء بالنكرة لتخصيصها بالوصف وهو قوله: ﴿مِنْهُمْ﴾، وصح الإخبار بجملة ﴿سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ۝٦٦﴾ وإن كانت إنشائية لإفادتها، وقد وقعت جملة: «نعم الرجل» خبراً عن «زيد» في قولك: «نعم الرجل زيد»، ووقعت «كيف» خبراً في قولك: «كيف زيد» و«أين زيد»، و﴿أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ۝١٢﴾ [الذاريات]، و﴿مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ﴾ [البقرة:٢١٤].

(٢)- **سؤال:** قد يقال: إن قوله: ﴿يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ يؤيد أنها في تبليغ أشياء أخرى غير الولاية، كما رووا أنه كان له ﷺ حرس فتركهم بعد ذلك، فكيف يجاب على ذلك؟

الجواب: بل إن الآية: ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ

=

قريش[١] ودخلوا في الإسلام- هاجروا إلى المدينة ولكنهم ما زالوا مليئين بالحقد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى أمير المؤمنين، وهم عالمون أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا مات فلا يبقى من يأخذون ثأرهم منه إلا علياً عليه السلام؛ فمن هنا أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يبلغ بالولاية في علي عليه السلام؛ لأن قريشاً كانوا الكثرة في المدينة بعدما أسلموا، وأصبحت الكلمة لهم في المدينة؛ فخاف النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أذى قريش إذا نصب علياً؛ لما يعلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كراهتهم له.

وكان يؤخره[٢] من وقت إلى وقت؛ فأوحى الله إليه بضرورة التبليغ، وكان ذلك

رِسَالَاتِهِ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ...﴾ تدل على أن هناك أمراً عظيماً لم يبلغه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأن تبليغه بمنزلة تبليغ الرسالة كلها، وترك تبليغه بمنزلة ترك تبليغ الرسالة، ومن هنا يتبين لنا أن الأمر العظيم -الذي أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتبليغه- هو أمر يتعلق بتبليغ الرسالة، وإقامة حجة الله، وحفظ الدين واستمراريته، وإعلاء كلمة الله، وقد بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا الأمر العظيم، وبلغه للناس يوم غدير خم حين نزلت هذه الآية، والقصة مشهورة مقطوع بصحتها عند أهل الحديث السنة.

(١)- أي في فتح مكة، فالمقصود بقريش هنا: الطلقاء.

(٢)- **سؤال:** من أين نستفيد أن النبي كان يؤخره؟

الجواب: استفدنا ذلك من الآية، فإنها تفيد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أَخَّر تبليغ ولاية علي خوفاً من الناس، ولم يكن ذلك التأخير تفريطاً من النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأن الأمر لم يكن مؤقتاً بوقت، بل كان أمراً مطلقاً، لا يتعلق به تكليف على الأمة إلا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

سؤال: كيف نجيب لو قيل لنا: هذا يعارض ما صح عندكم من خبر الإنذار وتوليته فيه، وخبر المنزلة ونحوها، التي كانت قد تقدمت بسنين عديدة على الغدير؟

الجواب: خبر المنزلة كان خطاباً لعلي عليه السلام، وموجهاً إليه أولاً وبالذات، وليس موجهاً إلى الأمة وإن لزم منه أن يختاروه للولاية، وحديث الدار يوم الإنذار كان موجهاً إلى بني عبدالمطلب، وإن كان فيه النص على الولاية، إلا أنها ولاية خاصة على بني عبدالمطلب؛ لذلك لا توجد معارضة بين ما ذكر وبين تبليغ ولايته عليه السلام في يوم الغدير.

التأخير من النبي صلى الله عليه وآله وسلم خوفاً على نفسه، وعلى علي عليه السلام من الغدر؛ لأن قريشاً كان لها ثأر عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعند علي فإذا مات النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلن يبقى لهم إلا علي عليه السلام؛ لأن حمزة كان قد مات، والعباس كان في مكة ولم يهاجر إلا مع قريش، وبقية بني هاشم كانوا من جملة قريش؛ فلم يبق إذاً ممن ناصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا علي؛ فخاف عليه حينئذٍ؛ فشدَّد الله تعالى الأمر على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في تبليغ الناس ما أمره الله تعالى بتبليغه من ولاية علي عليه السلام من بعده في يوم غدير خم حيث قال: ((من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله))[1].

﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ لستم يا معاشر اليهود والنصارى على دين كما تدعون[2]، بل أنتم عند الله من أهل الضلال، ومن أصحاب النار، وليس لكم في ولاية الله نصيب، لنبذكم أحكام التوراة والإنجيل وراء ظهوركم، ولكفركم بما أنزل الله إليكم على لسان النبي الأمي الذي تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل، ولن تكونوا من أهل ولاية الله، ومن أهل دينه إلا إذا أقمتم أحكام الله التي في التوراة والإنجيل والقرآن.

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ أخبر الله النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه لا يزيد اليهود ما أنزل إليه من ربه إلا كفراً، فلا أمل في إيمانهم ودخولهم في الهدى فلا تأس وتحزن عليهم حين أبوا

---

(١)- استوفى تخاريج الحديث الإمام الحجة مجدالدين المؤيدي عليه السلام في كتابه لوامع الأنوار، تحت عنوان: تواتر خبر الموالاة وهو خبر الغدير ومخرجوه، ط٤/ ج١/ ص٧٦.

(٢)- **سؤال:** هل قوله: ﴿عَلَى شَيْءٍ﴾ كناية عن الدين أو ماذا؟

الجواب: الشيء هو عبارة عن الدين بدليل قوله: ﴿حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

الإسلام، ولا تتعب نفسك في ملاحقتهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴿٦٩﴾﴾[1] ليس الأمر على ما كان يقوله اليهود: إن الجنة خاصة بهم، وإنها لهم وحدهم؛ فقد رد الله عليهم بأنها لمن آمن، سواء كان من اليهود أو من النصارى أو غيرهم.

و«الصابئون»[2] قد يكونون أمة أُرْسِل لهم نبي، ونُزِّل عليهم كتاب، ولكن ضيعوه مع طول الزمان، فعبد ناس منهم النار، وناس غيرها، أي: أنهم صبأوا عن دينهم.

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ في أن يعملوا بالتوراة.

﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا﴾ أرسل الله إليهم بعد موسى رُسُلاً كثيرين رسولاً بعد رسول.

---

(١)- **سؤال:** لحسن فرحان المالكي كلام حول هذه الآية أنها فيمن آمن بالله ولو لم يؤمن بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إنه قد يدخل الجنة من يعمل الصالحات و.. و.. ولو كان يهودياً أو نصرانياً، فما ردكم عليه؟

الجواب: الرد عليه يكون بالآية السابقة وهي: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، وبقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران]، بل إن الآية نفسها التي استدل بها الرجل ترد عليه فإنها تنص على أنه يشترط -في دخول الجنة والأمن من عذاب الله- الإيمان بالله وباليوم الآخر؛ لذلك فإن من كفر بالقرآن فليس بمؤمن بالله الذي أنزل الفرقان وأرسل رسول القرآن صلى الله عليه وآله وسلم.

(٢)-**سؤال:** ما العلة في رفع «الصابئون»؟

الجواب: « الصابئون » رفع عطفاً على محل «إن» واسمها، وقد يكون العدول عن النصب إلى الرفع لأجل التنبيه على أهمية المرفوع من وجه، ولعل الأهمية هنا هي ما قد يحصل من استبعاد استحقاقهم للوعد لكونهم أوغل في الضلال من الذين هادوا والنصارى.

﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ۝٧٠﴾[١] أخبر الله تعالىٰ أن لليهود عادة معتادة وسنة مطردة هي التكذيب برسل الله، والقتل لهم؛ فلا تستنكر ذلك يا رسول الله منهم، ولا يكبر عليك ذلك منهم.

﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا﴾ جَدّ اليهود وسعوا في إبطال أمر محمد ﷺ، وهم يظنون أنهم في مأمن من عذاب[٢] الله وسخطه؛ لكونهم من أهل التوراة، ومن أتباع نبي الله موسىٰ عليه السلام، وقد استهواهم الغرور والعجب بما هم عليه من الذنب، وبكثرة نعم الله عليهم، مع ما جبلوا عليه من طبيعة الحسد والبخل؛ لذلك لم يبصروا الهدىٰ الذي جاءهم به النبي الأمي ﷺ، ولم يسمعوا الرشاد الذي دعاهم إليه.

﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ كانوا في عهد موسىٰ عليه السلام كلما وقعوا في فتنة عصوا الله وتمردوا عليه ثم يتوبون بعد ذلك، فمن ذلك: حين عبدوا العجل، ثم عصيانهم عندما أمرهم بالسجود عند دخول المدينة وغير ذلك.

﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾[٣] في آخر فتنة وهي امتحانهم بمحمد ﷺ؛

---

(١)- **سؤال:** علام نصب ﴿فَرِيقًا﴾؟

الجواب: نصب بالفعل الذي بعده في الموضعين.

سؤال: هل المراد أنهم انقسموا قسمين: قسم كذبوا بالرسل، وقسم قتلوا الرسل أم ماذا؟

الجواب: المراد أن الرسل صلوات الله عليهم فريقان فريق منهم كذبهم اليهود، وفريق منهم قتلوهم.

(٢)- **سؤال:** إذا قيل: ظاهر هذا أن الفتنة في الآية العذاب، وفي قوله: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا﴾ أنها الامتحان؛ فكيف؟

الجواب: الفتنة نوع من العذاب من حيث أنها عقوبة نازلة بسبب عصيانهم: ﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۝١٦٣﴾ [الأعراف]، ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾ [النور].

(٣)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾؟

الجواب: «كثير منهم» بدل من الواو في ﴿عَمُوا وَصَمُّوا﴾ بدل بعض من كل.

فعموا وصموا وأبوا أن يتوبوا وهم الكثرة، والتائبون إنما هم قلة قليلة من اليهود الذين كانوا في المدينة.

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ۝٧١﴾ فهو عالم بأعمالهم وسيجازيهم عليها صغيرها وكبيرها.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾(١) وسبب كفرهم هو مقالتهم هذه.

﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ۝٧٢﴾ فهم يدَّعون له الربوبية وهو حي لم يمت بعد؛ فأنكر عليهم ذلك، ونهاهم عنه، وأمرهم بأن يتوجهوا في عبادتهم إلى الذي خلقهم وخلقه، وحذرهم من الشرك بالله، وأنهم إذا أصروا على مقولتهم بإلاهيته فإنهم عند الله مشركون لا يدخلون الجنة ومصيرهم إلى النار، وقد اختلف فيه اليهود والنصارى فقالت اليهود: إنه ابن زنا وكذاب وساحر، وقالت النصارى: إنه ابن الله؛ فتجاوزوا الحد فيه إلى مقام الربوبية(٢).

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ هم

---

(١)- **سؤال:** ماذا يقصدون بكونه المسيح ابن مريم؟ من فضلكم فصِّلوا القول فيه؟ ومن هم القائلون بهذه المقالة؟

الجواب: الذين قالوا هذه المقالة هم النصارى، فقالوا: إن عيسى بن مريم هو الله، بمعنى: أن الله تعالى تحول إلى جسد وجسم، وظهر للناس وخرج إليهم من بطن مريم.

(٢)- **سؤال:** يقال: إذا كانت النصارى تقول إنه ابن الله فكيف قالوا أيضاً: إنه الله أو ثالث ثلاثة كما في الآيات الأخر؟

الجواب: النصارى تناقضت في مذهبها فتقول: إن المسيح هو ابن الله، ثم تقول: إن المسيح هو الله نفسه، وقد حكى الله تعالى عنهم هذين القولين مع قول ثالث حكاه الله في قوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾.

النصارى فقالوا: إن الله اتحد بعيسى فصار إياه، وبعضهم قال: إن الله ثالث ثلاثة وهم: عيسى، وأمه، والله هو الثالث، فالثلاثة سواء في استحقاق الربوبية.

﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٣﴾(١) تهديد من الله تعالى للنصارى بسبب مقالتهم هذه.

﴿أَفَلَا(٢) يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٧٤﴾ تعجيب من الله لنبيه في عدم توبتهم مع أن باب التوبة مفتوح، وأمر عيسى وأنه خلق ووجد أمر معقول ومحسوس؛ فلماذا يدعون له الربوبية؟ وهم يعلمون أن الله تعالى ليس مخلوقاً، وأن الحدوث منافٍ للربوبية.

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ﴾ وليس رباً كما تقولون أيها النصارى.

﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ قد مضت من قبله الرسل.

﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ مؤمنة، والمراد كثيرة التصديق بالله وبرسله وبكتبه.

﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ وطبيعتهما كطبيعة البشر من الأكل والشرب وقضاء الحاجة وغيرها، ولا شيء فيهما من صفات الربوبية.

﴿انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ۝٧٥﴾(٣) انظر كيف نبين

---

(١)- **سؤال:** لماذا أتى بـ«منهم» في قوله: ﴿كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾؟ هل بعضهم لم يكفروا أو ماذا؟

الجواب: قال الله: ﴿مِنْهُمْ﴾ لأنه تعالى علم أن بعضاً من النصارى سيتوب ويرجع إلى الدين الحق، وقد أسلم منهم جماعة في آخر عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من الحبشة، وأسلم ملكهم النجاشي.

(٢)- **سؤال:** هل يمكن أن يكون معناه للتحضيض بمعنى «هلا»؟

الجواب: هو للتحضيض مثل «هلا»، وفيه التعجيب المذكور.

(٣)- **سؤال:** ما الوجه في فصل ﴿انْظُرْ﴾ عما قبله؟

الجواب: فصل «انظر» عما قبله لكمال الانقطاع، فهذه الجملة إنشائية لفظاً ومعنى، وما قبلها إخبار لفظاً ومعنى.

سؤال: ما معنى: ﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ ۝٧٥﴾ حسب اللغة؟ وما إعرابها؟

الجواب: المعنى: كيف يصرفون بعد البينات الواضحة. وأنى: مفعول مطلق مقدم على عامله. ويؤفكون: مضارع، والواو فاعل. والمعنى: أي إفك يؤفكون.

لهم أن عيسى كان بعد أن لم يكن، وأنه وجد من العدم، وأنه من أكلة الطعام التي هي من صفات البشر، وليس فيه صفة من صفات الربوبية، ثم انظر إلى عصيانهم وتمردهم عن هذه الآيات التي بينها الله لهم.

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝٧٦﴾(١) يستنكر عليهم كيف أنهم يعبدون غير الله مع أنه لا يستطيع معبودهم أن يفعل لهم شيئاً، لا حياةً ولا موتاً ولا رزقاً، وليس بيده شيء من ملك السماوات والأرض.

﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾(٢) فلا تتجاوزوا الحد في أمر عيسى، وتدَّعوا له الربوبية، وقفوا عند الحق، والتزموا بحدوده.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾(٣) فلا تصدقوا أولئك الذين قالوا إنه رب؛ لأن قولهم هذا إنما هو بأهوائهم، وليس حقاً وصدقاً، وقد عُرِفَ ضلالهم من قبل، فليسوا بأهل للأخذ عنهم وتصديقهم.

---

(١)- **سؤال:** بماذا تعلق قوله: ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾؟ وكيف يصير معناه؟

الجواب: ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف، حال من الموصول الذي بعده، والمعنى: أن الله تعالى استنكر أن يعبدوا الأصنام التي لا تقدر على نفعهم ولا ضرهم في حال أنهم يتركون عبادة الله الذي بيده الضر والنفع.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾؟

الجواب: ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ مفعول مطلق أي غلواً غير الحق.

(٣)- **سؤال:** هل ضلالهم من قبل في مقالتهم إنه رب فقط أم لهم ضلالات أخرى يمكن أن تحمل الآية عليها؟

الجواب: كان ضلالهم في قولهم بربوبية عيسى عليه السلام، وذلك لأن ضلال النصارى الذي ذكره الله تعالى في القرآن الكريم هو حول ربوبية المسيح، ولم يذكر الله تعالى من ضلالهم مثل ما ذكر في بني إسرائيل.

﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ أضلوا غيرهم معهم.

﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴿٧٧﴾﴾ ضلوا عن الحق.

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ لعنهم الله على ألسنة أنبيائهم، أي: الذين كفروا بأنبيائهم وعصوهم وقتلوهم، وتمردوا عليهم واستهزأوا بدين الله، فهؤلاء لعنهم الله على لسان داود وعيسى بن مريم.

﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴿٧٨﴾﴾[1] لعنهم بسبب عصيانهم لله وتمردهم عليه وعدوانهم المتواصل.

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴿٧٩﴾﴾[2] لا ينهى

---

(١)- **سؤال:** هل قوله: ﴿مَا عَصَوْا﴾ مصدر في محل جر؟ وهل ﴿كَانُوا يَعْتَدُونَ﴿٧٨﴾﴾ مثله؟

الجواب: «ما» مصدرية مسبوكة مع الفعل الذي بعدها بمصدر مجرور بالباء، و﴿كَانُوا يَعْتَدُونَ﴿٧٨﴾﴾ في تأويل مصدر أيضاً معطوف على المصدر المجرور.

سؤال: فيم كان اعتداؤهم هل هو في السبت أم في غيره؟

الجواب: اعتداؤهم هو في السبت، ثم اعتداؤهم في غيره؛ بدليل الإخبار بالمضارع الذي يدل على تجدد العدوان بعد العدوان على الاستمرار.

(٢)- **سؤال:** ما محل جملة: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾؟

الجواب: لا محل لها من الإعراب؛ لأنها بمثابة التفسير لما قبلها.

سؤال: لماذا ذمهم على عدم التناهي عن المنكر الذي قد فعلوه؟ هل لمصلحة الانتهاء في المستقبل فقد كان من حقه أن يذمهم على عدم تناهيهم عن المنكر الذي لم يكن قد فعل من أجل أن يكون لنهيهم فائدة؟ أم لذلك علة أخرى؟

الجواب: أخبر الله تعالى أنه لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم بسبب أنهم يرون الله تعالى يعصى جهاراً من غير أن ينهوا ولا يستنكروا، حصل ذلك منهم وأقروا المعاصي والعصاة، ولم يغضبوا لله فيما مضى وانقضى، فحلت عليهم اللعنة جزاءً على ما وقع منهم في الماضي، وهو إقرار المنكر، والسكوت عليه من غير إنكار، وليس

=

بعضهم بعضاً عن المنكر.

﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يوالون أعداء الله ويناصحونهم وينصرونهم.

﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ۝٨٠﴾(١) بئس ما فعلوا وقدموا لأنفسهم في صحائفهم لأنهم لم يقدموا في صحائفهم إلا سخط الله وغضبه.

﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ لو كانوا يؤمنون بالله حقاً، وبالنبي ﷺ وما أنزل إليه ما اتخذوا الكفار أولياء، ولعادوهم؛ لأن الله يأمر بمعاداة أعدائه.

﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ۝٨١﴾(٢) خارجون عن الإيمان.

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ يخبر الله نبيه ﷺ بأنك يا محمد سترى أشد الناس عداوة للمؤمنين اليهود والمشركين، وهم قريش ومن تبعهم؛ لأنهم كانوا المتزعمين للمشركين، وبقية العرب تبع قريش، فحين آمنت به قريش دخل البقية في دين الله أفواجاً، وكان إسلام الناس في

هناك مصلحة تراعى مستقبلاً؛ إذ قد غلقت لعنة الله عليهم المصالح المستقبلية، وسدت عليهم منافذها ﴿وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا۝٥٢﴾ [النساء].

(١)- **سؤال:** ما موضع: ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾؟ وعلامَ عطفت جملة ﴿وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ۝٨٠﴾؟ وما إعراب اللام في ﴿لَبِئْسَ﴾؟

الجواب: ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ موضعه الرفع على المبتدأ، والجملة قبله خبر عنه، وهو المخصوص بالذم بالنسبة للمسخوط عليهم، أما بالنسبة لله فهو حق وعدل. وجملة: ﴿وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ۝٨٠﴾ معطوفة على جملة: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾.

(٢)- **سؤال:** ما فائدة التعبير بـ﴿كَثِيرًا﴾ بدلاً من الإضمار «ولكنهم»؟

الجواب: لعل الفائدة أن بعضاً منهم تاب ورجع.

سنة يقال لها عام الوفود، وذلك لما كانوا عليه من الزعامة، وكانوا سكان الحرم، وفعلاً فإن الذين وقفوا في وجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وفي وجه دعوته- هم المشركون بزعامة قريش، ثم اليهود الذين كانوا في المدينة.

﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴿٨٢﴾﴾ أقرب الكفار مودة للمؤمنين هم النصارى؛ لما فيهم من طبائع اللين والتواضع، وسبب ذلك أن فيهم علماءَ وعباداً، وأنهم كانوا غير متكبرين.

ويمكن أنها نزلت في ناس من نصارى الحبشة من قوم النجاشي، وكان قد أسلم سراً؛ فأرسل وفداً منهم إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نحواً من أربعين، وكانوا من أهل العلم؛ فوصلوا إليه وأسلموا عنده، قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾[1] فحين عرفوا الحق تواضعوا له وانقادوا ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴿٨٣﴾﴾[2].

---

(١)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾؟ وما معناها؟

الجواب: «مما»: جار ومجرور، وعرفوا من الحق: صلة «ما»، والعائد محذوف أي: عرفوه، والجار والمجرور متعلق بتفيض، و﴿مِنَ الْحَقِّ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من المفعول به المقدر. والمعنى: أن أعين أولئك النصارى الموصوفين في هذه الآية حينما سمعوا القرآن الكريم بكوا وامتلأت عيونهم من الدمع، وسال دمعها لكثرته على خدودهم، من أجل سماعهم للحق الذي عرفته قلوبهم، واطمأنت إليه نفوسهم.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب جملة: ﴿يَقُولُونَ﴾؟

الجواب: تعرب حالاً من فاعل ﴿عَرَفُوا﴾.

سؤال: هل المراد شهادتهم لله سبحانه أو عرفانهم للحق أو ماذا؟

الجواب: المراد بقولهم: ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴿٨٣﴾﴾ هو: اكتبنا مع المؤمنين من أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الذين قال الله فيهم: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣].

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ﴾[(١)] هذا لا زال من كلام النصارى الذين آمنوا ﴿بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴿٨٤﴾﴾[(٢)] وما الذي يمنعنا من الإيمان بالله بعدما عرفناه، فليس معنا أي حجة أو مبرر بعد أن سمعنا الحق وعرفناه، وهي رغبتنا أن نعرف الحق، وندخل في طاعة الله مع الصالحين.

والنجاشي هذا كان إسلامه سراً، وسبب إسلامه أنه عندما هاجر إليه نفر من المسلمين بعد مضايقة قريش لهم، والتجئوا إليه فآواهم؛ فخرج عمرو بن العاص أرسلته قريش ومعه نفر لأجل أن يشي بهم عنده، ويؤلبه عليهم؛ فقالوا للنجاشي: إن هؤلاء يدعون في عيسى أنه عبد وليس رباً؛ فاستدعاهم الملك وكان كبيرهم جعفر بن أبي طالب، فسألهم الملك، وتحاوروا عنده، ثم اقتنع النجاشي بما احتجوا به، وأسلم من حينه.

﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا﴾ أي: هؤلاء النصارى الذين أتوا إلى النبي ﷺ وأسلموا.

﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴿٨٥﴾﴾ بسبب إيمانهم أثابهم الله جنات النعيم، التي أعدها الله للمحسنين.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴿٨٦﴾﴾ أما الكافرون الذين كذبوا بآيات الله فلا نصيب لهم في ثوابه، وليس لهم عنده إلا عذاب الجحيم خالدين فيها.

---

(١)- **سؤال:** ما إعراب جملة: ﴿لَا نُؤْمِنُ﴾؟ وهل جملة ﴿وَنَطْمَعُ﴾ معطوفة على ﴿لَا نُؤْمِنُ﴾؟ فسيكون ظاهرها تحسرهم على أنهم لا يطمعون في ذلك، أم كيف؟

الجواب: «لا نؤمن» في محل نصب حال من الضمير في «لنا»، والعامل فيه متعلق الجار والمجرور، و«نطمع» حال ثانية من الضمير في «لنا» أيضاً مقيداً بالحال الأولى، وليست معطوفة على جملة: «لا نؤمن».

(٢)- **سؤال:** ما موضع: ﴿أَنْ يُدْخِلَنَا﴾ الإعرابي؟

الجواب: موضعه الجر بحرف جر مقدر، أي: ونطمع في أن يدخلنا.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ۝٨٧ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ۝٨٨﴾(١) عندما سمع ناس من المسلمين القرآن ومواعظ النبي صلى الله عليه وآله وسلم- اجتمعوا فحلف بعضهم ألا يأكل النهار وأنه سيصوم أبداً، وحلف بعضهم ألا يفترش فراشاً في الليل وأنه سيتعبد إلى الصباح، وحلف بعضهم ألا يطأ زوجة وأنه سينقطع إلى عبادة الله؛ فنزلت هذه الآية تنهاهم عن تحريم الطيبات، وقال لهم تعالى: كلوا ولا تجاوزوا الذي حده الله لكم، وأخبرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ((أما أنا فأنكح النساء وأتزوج، وأصوم وأفطر، وأقوم وأنام فمن رغب عن سنتي فليس مني)) فلا تتعدوا سنتي، وكلوا وتزوجوا وناموا.

وكانوا قد حلفوا وأقسموا على ذلك فأراد الله أن يعلمهم كيف يتخلصون من أيمانهم فقال: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾(٢) واليمين المعقودة هي هذه اليمين التي حلفها هؤلاء، ويلزم فيها الكفارة.

واللغو: كأن تحلف أن زيداً في البيت معتقداً لذلك فانكشف خلافه، فلا كفارة عليها(٣).

---

(١)- **سؤال:** هل المراد بأن لا يعتدوا أن لا يتجاوزوا الحد الذي ضربه الله لهم؟ وما موضع جملة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ۝٨٧﴾؟

الجواب: المراد هو أن لا يتجاوزوا ما حدده الله لهم من الحلال والحرام، فلا يحرموا الحلال ولا يحللوا الحرام، ولا موضع لجملة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ۝٨٧﴾؛ لأنها بيانية جاءت لبيان العلة لما قبلها، فهي في جواب سؤال مقدر.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾؟

الجواب: الباء حرف جر، و«ما» مصدرية مؤولة مع الفعل الذي بعدها بمصدر، أي: يؤاخذكم بتعقيدكم الأيمان.

(٣)- **سؤال:** ما رأيكم فيما قاله البعض من أن اللغو: «أما والله، وبلى والله» ونحو ذلك مما يصدر =

﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾ فكفارة هذه اليمين المعقودة إطعام عشرة مساكين في كل يوم وجبتين، أو إعطاء كل مسكين نصف صاع من بر[1] بدلاً عن الوجبتين.

﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ وهو وجبتان لكل مسكين، ويكون من أفضل ما تطعمون أهليكم[2]، وإن أراد تمليكهم أعطى كل واحد نصف الثماني براً

من المرء من غير قصد إلى اليمين، وإنما تجري على لسانه تبعاً للهجته التي نشأ عليها؟

الجواب: هو قول وجيه لصدورها عن غير قصد وعزم إلى الحلف، ولا يصح أن ندخلها في اليمين المعقدة؛ لأن المعقدة هي الصادرة عن عزم وتصميم ونية على فعل أو ترك أمر مستقبل، وليس صدور ما ذكر عن قصد ونية.

سؤال: ظاهر الآية أن اللغو خلاف المعقدة، وقد يكون من يحلف: «إن زيداً في البيت» مثلاً معقداً جازماً بيمينه، فكيف؟

الجواب: اليمين المعقدة هي -كما يظهر- التي يصح فيها البر والحنث، وعلى هذا فمن حلف: إن زيداً في البيت، ثم انكشف أنه ليس في البيت، فتكون اليمين حينئذ مترددة بين الغموس واللغو، فإن كان متعمداً للكذب في يمينه فهي غموس، وإن لم يتعمد الكذب بل حلف معتقداً أنه في البيت فانكشف خلافه فهي لغو، ولا يمكن فيها البر والحنث. والدليل على ما ذكرنا في تعريف المعقدة قوله تعالى: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ...﴾ الآية، وذلك بدلالة الإشارة وما تفيده الفاء من التعقيب.

سؤال: من أين أخذت اليمين الغموس؟

الجواب: أخذت من السنة.

(١)-أو صاع من غيره. ونصف الصاع ربع قوبة، أو نصف الثماني على التقدير الصعدي.

(٢)- **سؤال:** هل مرادكم أن الأوسط بمعنى الأفضل؟ فقد روي أن أوسطه بمعنى المتوسط: ((وأوسطه البر، وأعلاه اللحم))؟

الجواب: الأوسط هو الأفضل، وأيضاً المتوسط بين الأعلى والأدنى، وقوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢]، يصدق على الأفضل وعلى المتوسط بين الأفضل والأدنى، والظاهر أن إطلاق الأوسط على الأمرين هو حقيقة؛ لذلك فالأولى والأرجح هو إخراج الأعلى في الكفارات للاحتياط، وهذا عند إطعام المساكين الطعام المصنوع، فأما إخراج الحب فقد جاءت السنة بتقدير القدر الواجب لكل مسكين.

لكل مسكين، ولا يصح أن يصرفها لواحد، ولا بد أن تكون لعشرة تقسم بينهم، وإذا كان لهذا المسكين أولادٌ فيصح أن يقبل عنهم ويستنفع بها، والكيس البر أربع كفارات، فإن كان قيمته ستة آلاف مثلاً فالكفارة الواحدة ألف وخمسمائة(١).

﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ أن يكسي عشرة مساكين ما يستر أكثر بدنه كالثياب ونحوه، والكسوة أفضل من الإطعام، وذلك لأنه يستمر ثوابها ما دام يستنفع بهذا الثوب، وكُلٌّ يطعم بحسب ما يأكل إن كان غنياً أو فقيراً.

﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ يعتقها.

﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾(٢) إذا لم يجد أي هذه الأصناف في ملكه فصيام ثلاثة أيام متتابعة ولا يجوز تفريقها.

﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ واتركوا الأيمان، أو يكون المراد بها كفِّروا، أي: أخرجوا الكفارة إذا حلفتم.

---

(١)- **سؤال:** قد رأى بعض علمائنا مثلاً أن قدرها ثلاثة آلاف ريال نظراً أن أقل ما يتغدى به المسكين ويتعشى ثلاثمائة ريال، فما رأيكم؟

الجواب: هو تقدير وجيه من حيث أنه جاء تقويمه نظراً إلى الواجب الأصلي الذي هو إطعام المساكين طعاماً مصنوعاً جاهزاً، وهو الأولى من البناء على قيمة الحب؛ لأن الحب في الأصل إنما هو قيمة للطعام المصنوع، هكذا يفهم من كلام علمائنا، ولكن ما دام أن الشارع هو الذي قدر طعام المسكين الواحد بمقدار معين من الحب فلا مانع من البناء عليه، والكل واسع.

(٢)- **سؤال:** إذا لم يجد المكفر المال أو النقود في وقت تكفيره، لكن لديه ضِيَاع ونحوها، هل نقول بأنه غير واجد فيصوم؟

الجواب: إذا كان لمن يريد التكفير ضياع أو سيارة أو بيت أو نحو ذلك مما يعتبر مصدر معيشته هو ومن يعول، وليس فيه فضلة يكون مستغنياً عنها- فيكفر بالصوم، وإذا كان له ضيعة فاضلة عن حاجته هو ومن يعول، ولكن يلحقه ملام وذم ونقص بين مجتمعه إذا باعها- فيصوم.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ۝٨٩﴾[١] والمراد به شكر الله على ما عرَّفنا من كيفية التخلص من الذنوب؛ لأن الحلف على شيء والحنث فيه ذنب، والكفارة تجبر هذا الذنب.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ۝٩٠﴾[٢] وهي آخر آية نزلت في الخمر، وقد نزل قبلها آية في سورة البقرة وآية في سورة النساء.

والميسر: القمار[٣]. **والأنصاب**: هي التي يذبحون فوقها لأصنامهم[٤]،

---

(١)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿كَذَٰلِكَ﴾؟

الجواب: هو في الأصل صفة لمفعول مطلق تقديره: يبين الله لكم آياته تبييناً مثل ذلك التبيين «كذلك التبيين»، فحذف تبييناً ونابت صفته ﴿كَذَٰلِكَ﴾ منابه.

(٢)- **سؤال:** ما معنى قوله: ﴿رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾؟ ولماذا نسبها إلى الشيطان؟

الجواب: صور الله تعالى لعباده الخمر والميسر والأنصاب والأزلام بصورة ذلك المستقذر النجس الذي تنفر عنه وعن مقاربته والدنو منه النفوس أشد النفار، ثم أخبر ثانياً عنه بعد تصويره بتلك الصورة أنه من عمل الشيطان الذي تقرر عندكم وعند الناس جميعاً أن عمله كله شر، ولا يدعو إلا إلى الشر، وكل ذلك لينفر المؤمنين عن الخمر والميسر والأنصاب والأزلام وعن مقاربتها والدنو منها، والابتعاد عنها. ونسبها إلى الشيطان لأنه يدعو إليها.

(٣)- **سؤال:** هل هناك ضابط للقمار؟

الجواب: في التاج: وضابطه: كل لعب يشترط فيه أن يأخذ الغالب من المغلوب شيئاً ذا قيمة، سواء كان بالورق أو بغيره.

(٤)- **سؤال:** ما وجه تحريم الأنصاب إذا كانت هي التي يذبح عليها فقط؟ أتعظيمها أم ماذا؟ وهل يصح حملها على الأصنام نفسها؟

الجواب: في المصابيح: والأنصاب حجارة منصوبة يذبحون عليها تقرباً إليها، واحدها نصب، وقيل: هي الأصنام المنصوبة للعبادة، وفي هذا ما يفيد الجواب على ما تضمنه السؤال.

والأزلام: هي التي كانوا يستقسمون بها، وقد تقدم تفسيره في أول هذه السورة.

والمراد بقوله: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾(١) أي: الخمر.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ يبين الله هنا الحكمة في تحريم الخمر والميسر فذكر تعالى أنهما سبب لإثارة العداوة والبغضاء، فإذا حصلت العداوة والبغضاء حصل الفتك وسفك الدماء وفساد الحرث والنسل وضاع الأمن، وفسدت الحياة الدنيا.

﴿وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ۝٩١﴾ وتسبب الخمر والميسر أيضاً في إبعادكم عن ذكر الله وعن الصلاة فانتهوا أيها المؤمنون عن الخمر والميسر، وكانت هذه هي الآية الثالثة في تحريم الخمر البتةَ؛ لأن تحريمه في الآية الثانية كان حال الصلاة، فنهاهم عن الصلاة حال السكر.

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝٩٣﴾(٢) سأل أناس النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا له: يا رسول الله، كيف بإخواننا الذين ماتوا في بدر مثلاً وهي في بطونهم؟ فأنزل الله بيان رفع الجناح عنهم إذا كانوا من

---

(١)- **سؤال:** وهل يصح أن يحمل الضمير في ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ على الرجس ليوافق الظاهر ويحمل على الجميع؟

الجواب: يجوز أن يرجع إلى الرجس وهو أولى من عوده على مقدر نحو تعاطي الخمر والميسر و.. إلخ.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب «ما» في قوله: ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾؟ وهل هناك سر في المخالفة بين قوله: ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا﴾، وقوله: ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾؟

الجواب: تعرب «ما» صلة وفائدتها التوكيد، والسر في التكرير هو بيان لزوم الاستمرار على الإيمان والتقوى، والتنبيه على أن لا يُخِلُّوا بالإيمان والتقوى فيما يستقبلون من الأوقات، ثم تنبيههم على أن يتزودوا مع ذلك بنوافل الطاعات المقربة إلى الله.

أهل التقوى والإيمان، واستمروا على التقوى والإيمان والاستقامة والأعمال الصالحة، والمراد بقوله: ﴿فِيمَا طَعِمُوا﴾ فيما مضى من شربهم الخمر قبل أن ينزل التحريم.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾(١) كان العرب أهل صيد، وكانوا مولعين به، وكانت متعتهم فيه؛ فابتلاهم الله بتحريم الصيد عليهم حال الإحرام، وأخبرهم بهذه المقدمات؛ لئلا يتورطوا عند إحرامهم بالحج؛ لأنها ستكون سهلة المنال اختباراً من الله لهم في الحرم وحال الإحرام، وذلك مثل ما ابتلى الله أصحاب السبت ليظهر المتقي من غيره، وهذا معنى قوله: ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾، وقد دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم جميع المسلمين في ذلك العام للحج ليعلمهم مناسكه وكيفيته.

﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴿٩٤﴾﴾ أي: بعدما أخبره الله تعالى وأنذره ونهاه عنه.

---

(١)- **سؤال:** ما معنى الباء في قوله: ﴿بِالْغَيْبِ﴾؟

الجواب: الباء هنا بمعنى «في» أي: في الغيب، وبالغيب: متعلق بمحذوف حال إما من ضمير الفاعل، أو من ضمير المفعول.

سؤال: قد يقال بأن الله عالم من قبل، فلماذا قال: ﴿لِيَعْلَمَ﴾؟

الجواب: نقول: إن الله تعالى عليم بما سيفعله كل مكلف في مستقبل الزمان، فإذا فعل المكلف الفعل علم الله أنه فعله، والجزاء لا يكون إلا على ما وقع من المكلف من فعل أو ترك، والمعنى: ليظهر أهل الخوف من الله بأعمالهم، وليظهر أهل النفاق بأعمالهم.

سؤال: لم تنص هذه الآية على أن الصيد في الحرم، فهل هي مطلقة مقيدة بنحو الآية التي بعدها، أم كيف؟

الجواب: ولو لم تنص الآية على أن البلوى للمحرم، فقد دلت على المحرم والإحرام بذكر الصيد الذي تناله أيديهم ورماحهم، من حيث أنه مقرر في أذهانهم أن تحريم الاصطياد إنما هو للمحرم، وأما غيره فهو مباح له.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ نهي من الله للمحرم بحج أو عمرة أو من كان داخل الحرم عن قتل الصيد.

﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾(١) يلزمه جزاء ويكون جزاؤه أن يذبح مثل ما قتله من البقر أو من الإبل أو الغنم؛ فإذا كانت نعامة فجزاءه جمل، وإن كان بقراً وحشياً أو حماراً وحشياً فجزاؤه بقرة، وإن كان غزالاً فشاة.

﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾(٢) يحكم بالجزاء اثنان من أهل العدل.

---

(١)- **سؤال:** ما معنى قوله: ﴿مُتَعَمِّدًا﴾؟ وهل قول أصحابنا: «ولو ناسياً لإحرامه» مستقيم مع هذا الظاهر؟

الجواب: معنى «متعمداً» قاصداً لقتله عازماً عليه وناوياً له، وقول أصحابنا مستقيم لأن من قصد قتل الصيد فقتله وهو ناس أنه محرم يكون متعمداً لقتله، ونسيانه لإحرامه لا يخرجه عن كونه متعمداً.

سؤال: ما الوجه في مجيء الفاء في جواب الشرط ﴿فَجَزَاءٌ﴾؟ وما مسوغ الابتداء بالنكرة ﴿فَجَزَاءٌ﴾؟ وهل الخبر محذوف فما إعراب ﴿مِثْلُ﴾؟ أم أنه الخبر؟ وبماذا تعلق قوله: ﴿مِنَ النَّعَمِ﴾؟

الجواب: الوجه في مجيء الفاء في جواب الشرط هو لأجل الربط بين الشرط والجزاء، و«جزاء» مبتدأ، وخبره محذوف، والتقدير: فعليه جزاء، والمسوغ هو تقدير تقديم المبتدأ، ووصفه بـ«مثل» الذي بعده، و«من النعم» جار ومجرور متعلق بمحذوف يكون تمييزاً للإبهام في «مثل» أو حالاً من ضمير المفعول المقدر العائد إلى «ما».

(٢)-**سؤال:** من أين أخذ أننا نعمل بما حكم به السلف؟ وما محل جملة: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾؟

الجواب: أخذ من قوله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾، فإن ذلك يقتضي وجوب العمل بحكمهم في حقنا وحق قاتل الصيد الذي حكم السلف عليه؛ لأن حكمهم كان في تعيين المثلية، أما وجوبه على الشخص القاتل للصيد فهو واجب عليه بحكم الله، وجملة: ﴿يَحْكُمُ بِهِ﴾ صفة ثانية لجزاء.

﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾[1] يكون هدية للكعبة، أي: يذهب بها أو يرسل بها إلى الحرم، ويأكلها الفقراء في مكة، ولا يلزم في منى إلا إذا كان في الحج: فقيل: في منى، وذكر سيدي مجدالدين في منسكه: أن الحرم محله سواء كان في الحج أو في العمرة.

﴿أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ﴾[2] فبدل الجمل يطعم مائة مسكين وبدل الشاة عشرة وبدل البقرة سبعين.

﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾[3] فبدل إطعام مائة مسكين يصوم مائة يوم، وهكذا.

﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ ليذوق عاقبة عصيانه بقتله للصيد.

﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ فما مضى مما تصيدتم وقتلتم عفا الله عنكم.

﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ۝٩٥﴾[4] ومن عاد إلى قتله بعد بيان تحريمه فسينتقم الله منه.

---

(١)- **سؤال:** ما إعراب ﴿هَدْيًا﴾ بالتفصيل؟

الجواب: ﴿هَدْيًا﴾: حال من جزاء لتخصصه بالوصف، أو مفعول مطلق لمحذوف أي: يهديه هدياً، وتكون الجملة صفةً ثالثة لجزاء، أو حالاً منه لتخصيصه بالوصف.

سؤال: هل يؤخذ من قوله: ﴿بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ أن فضيلة الحرم المحرم كفضل الكعبة حيث أجمعوا على جواز ذبحه في الحرم؟

الجواب: قد يؤخذ منها ذلك؛ لأن تسمية الحرم المحرم باسم الكعبة يشير إلى فضل الحرم المحرم، ومشاركة فضله لفضل الكعبة.

(٢)- **سؤال:** علام عطف: ﴿أَوْ كَفَّارَةٌ﴾؟ وما إعراب: ﴿طَعَامُ مَسَاكِينَ﴾؟

الجواب: ﴿أَوْ كَفَّارَةٌ﴾ معطوف على جزاء، و﴿طَعَامُ مَسَاكِينَ﴾ بدل من كفارة.

(٣)- **سؤال:** لماذا لم يرفع: ﴿صِيَامًا﴾ مثل ﴿أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ﴾؟

الجواب: لم يرفعه لأنه وقع تمييزاً لـ﴿عَدْلُ ذَلِكَ﴾.

(٤)- **سؤال:** لماذا اتصلت الفاء مع أنه مضارع في ﴿فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾؟

الجواب: قال أهل النحو: إن الفاء دخلت هنا لأن التقدير فهو ينتقم الله منه، فيكون دخول الفاء =

﴿أُحِلَّ لَكُمْ(١) صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾(٢) صيد البحر حلال لكم أيها المحرمون فتصيدوه وكلوه وتزودوا منه في سفركم.

﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾(٣) أما صيد البر فهو محرم عليكم ما

لأن الجملة اسمية، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ﴾ [البقرة:١٢٦]، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾﴾ [الجن]. والسر الذي دخلت الفاء هنا من أجله هو -والله أعلم- لتفيد أن قتل العائد للصيد نقمة من الله بسبب عصيانه لله من قَبْلِ قتله للصيد، فسلبه الله تعالى الألطاف والتنوير، وخلى بينه وبين الصيد، ومكنه من قتله، ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور].

هذا، ودلالة الفاء على ما ذكرنا من حيث أنها تدل على أن هناك اسماً مقدراً بعدها، تقديره فهو ينتقم الله منه، فالجملة حينئذ اسمية، فتدل على أن انتقام الله تعالى من العائد إلى قتل الصيد ثابت من قبل عودته للصيد ومن بعده.

سؤال: هل في الآية توكيد لما في الآية السابقة ﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾؟

الجواب: نعم في هذه الآية تأكيد للوعيد السابق، وسبب ذلك -والله أعلم- أن الناس كانوا ذوي هواية للصيد، ورغبة وميول كبير إلى هذه الهواية، فنهاهم الله عن الصيد وقت الإحرام، وكرر التهديد بالوعيد والنقمة ممن يعتدي على الصيد بعد النهي.

(١)- **سؤال:** هل هذا متعلِّقٌ لقوله: ﴿مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾؟ ولماذا عطف «طعامه» على صيده هل لأنه غيره؟ وما إعراب قوله: ﴿مَتَاعًا﴾؟

الجواب: ليس قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ...﴾ متعلقاً بقوله: ﴿مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ فحل صيد البحر على الإطلاق. وعطف «طعامه» على صيده لأنه مغاير له في الصفة، فصيده: هو ما اصطيد بحيلة، وطعامه: ما قذف به البحر أو نضب عنه الماء فأُخِذ بغير تعب، وقيل: إن طعامه هو الذي يملّح ويجفف. و﴿مَتَاعًا﴾: مفعول من أجله.

(٢)- **سؤال:** ما معنى «السيارة» لغة؟

الجواب: السيارة جمع سيار باعتبار الجماعة: القوم المسافرون.

(٣)- **سؤال:** هل الأولى أن يحمل قوله: ﴿مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ على: داخلين في الحرم، لا في الإحرام =

دمتم محرمين، وكذلك أكله ولو قتله غيركم[١]، وأما العسل فليس صيداً، وله أخذه وهو المذهب، وأما النحل فهي صيد فلا يصح تصيدها، وأما البيض فيلحق بالصيد.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٩٦﴾ فلا تخالفوا أوامره.

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ[٢] قِيَامًا لِلنَّاسِ[٣] وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾[٤] جعل الله الكعبة التي هي البيت الحرام الذي يطوف الناس حوله قياماً للناس تقوم عليه مصالح دينهم ودنياهم.

لأجل المقابلة مع قوله: ﴿صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ ويكون قوله: ﴿وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ في الآية السابقة خاصاً بالإحرام بالحج والعمرة؟

الجواب: لا مانع من ذلك للسلامة من التكرير، ولا مانع أيضاً من حملها على ما ذكرنا من المعنيين أي: وأنتم محرمون بحج أو عمرة أو داخلون في الحرم.

(١)- **سؤال:** من أين نأخذ تحريم أكله من الآية؟

الجواب: نأخذ التحريم من عموم المقتضي، أي: حرم عليكم أكله، وبيعه، وشراؤه، وقتله، وطرده، وتنفيره، و.. إلخ.

(٢)- **سؤال:** هل ﴿الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ بدلٌ فيؤخذ منه أن لا فضل للحرم المحرم، وأن الفضل للكعبة وحدها، وهذا مخالف لما قدمناه في ﴿بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ فكيف؟

الجواب: ﴿الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ بدل أو عطف بيان من الكعبة، جيء به للمدح والتعظيم لا للتخصيص بدليل ما تقدم في ﴿بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾.

(٣)- **سؤال:** أوضحوا لنا معنى ﴿قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ فلا زال يشكل علينا: «تقوم عليه مصالح دينهم ودنياهم»؟

الجواب: معنى «قياماً» صلاحاً للناس، أي: مكان صلاح للناس لما يحصل فيه من المصالح الدينية والدنيوية.

(٤)- **سؤال:** من فضلكم كيف يكون الهدي والقلائد قياماً للناس؟

الجواب: كانت قياماً للناس من انتفاع الناس بلحومها ودهونها، حيث أن الناس يشبعون هناك من اللحم والشحم عدة أيام، وقد يتزودون من قديد اللحم فإنهم كانوا يشرقون اللحم في منى على الصخور حتى ييبس ثم يخزنونه ويأكلونه في المستقبل، أما المصالح الدينية فلما يعطيه الله تعالى من الأجر العظيم لمن أهدى وقلد، ولغير ذلك من المصالح.

وكذلك الشهر الحرام جعله الله قياماً للناس؛ لما يحصل فيه من الأمن والأمان، وما يحصل للخائف من الأمن فيه من مصالح التجارة والضرب في الأرض لطلب الرزق.

﴿ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴿٩٧﴾﴾(١) ما يحصل لكم من المصالح هذه، وما اطلعتم عليه فيه، وما يحصل لكم من المنافع الدينية والدنيوية- تعلمون من خلاله أن الله حكيم عليم لم يشرع لكم من الدين إلا ما فيه قيام منافعكم ومصالحكم الدينية والدنيوية.

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴿٩٨﴾﴾ أخبركم الله بتعاليمه؛ فاعلموا أنكم إذا تجاوزتموها فإن الله شديد العقاب وسيعاقبكم، وإذا استجبتم وعملتم بما أرشدكم إليه فهو غفور رحيم، فكونوا على حذر من أن يلحقكم الله تعالى بعذابه، وبادروا إلى العمل بأسباب الفوز والظفر بمغفرته ورحمته.

﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ وليس على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلا تبليغكم فقط، وليس عليه منعكم من المعاصي، ولا إدخالكم في الطاعات.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴿٩٩﴾﴾ والله سبحانه هو الذي سيجازيكم، فهو عالم بما أسررتم وما أعلنتم.

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴿١٠٠﴾﴾ الخبيث هو الكفر وأهله، والطيب هو الإيمان وأهله؛ فلا تميلوا إلى الخبيث وأهله، وتوجهوا إلى الطيب وأهله، ولا تفتتنوا بكثرة الخبيث وأهله، وضعف الطيب وأهله وقلتهم.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا

---

(١)- **سؤال:** هل يصح أن يستدل بهذه الآية على إثبات أن الله عالم؟

الجواب: يصح الاستدلال على علم الله وحكمته بأفعاله المحكمة، ومنها ما شرع لعباده من الأحكام التي تظهر عليها آيات علم شارعها وحكمته.

عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴿١٠١﴾﴾ كان بعض المسلمين يسأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سؤال تعنت، ويسألون عن أشياء لا شأن لهم بها، كما ورد أنه كان بعضهم يسأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن أبيه من هو؟ لأن نكاحهم كان نكاح جاهلية، وقد تكون أمه جاءت به من رجل غير الذي يدعى هذا السائل إليه؛ فالإسلام يريد الستر عليه، وهو يريد أن يكشف أمر المستور[(١)].

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴿١٠٢﴾﴾ اقترحوا على أنبيائهم أحكاماً، ثم كفروا ولم يعملوا بها، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يريد أن ينتظروا إلى أن ينزل القرآن فيشرع لهم أحكاماً يعملون بها، ويتركوا الاقتراحات في تكاليف دينهم؛ لأن في ذلك حرجاً عليهم.

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴿١٠٣﴾﴾[(٢)] نزلت هذه الآية

---

(١)- **سؤال:** ولكن لم يظهر لنا معنى تتمة الآية: ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا...﴾ إلخ فأوضحوه أيدكم الله؟

الجواب: كانت السؤالات الموجهة إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نوعين:

-نوع لا يجوز إطلاقاً، وهو ما لا ينبغي أن يجيء في القرآن والسنة، نحو سؤال أحدهم للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أبي يا رسول الله؟

-ونوع منها يجوز، ولكن جوازه مشروط بأن يكون قد نزل القرآن في موضوع السؤال إلا أن السائل لم يفهم كيفية الحكم، نحو سؤالهم عن كيفية الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعد نزول القرآن بالأمر بها.

سؤال: ما المعفو عنه في قوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ هل الأسئلة أو الأشياء؟ وهل معناها تركها عفواً عنها؟

الجواب: المعفو عنه هي الأسئلة التي صدرت منهم قبل النهي، والمعنى أن الله تعالى ترك مؤاخذتهم عليها وغفرها لهم.

(٢)- **سؤال:** هل قوله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾ يعني: ما شرعها؟

الجواب: معنى الآية: ما شرع الله البحيرة و..إلخ، ولكن المشركين هم الذين شرعوا ذلك من عند أنفسهم، ثم ادعوا أن الله تعالى هو الذي شرع ذلك.

رداً على المشركين وهي خاصة في بهائم الأنعام، فقالوا: هذه لله، فلا يحل لأحد أن يقربها، أو يمنعها من مرعى، أو يحلب منها، أو يركبها، أو يحمل عليها.

والبحيرة: فهي الناقة من الإبل، كانت إذا ولدت خمسة أبطن، فنُتِجَتْ الخامس سَقْبًا -وهو الذكر- ذبحوه فأهدوه للذين يقومون على آلهتهم، وإن كانت أنثى استبقوها، وغذوها، وشرموا أذنها، وسموها بحيرة.

والسائبة: فهي من الإبل، كان الرجل منهم إذا مرض فشفي، أو سافر فوصل أو سأل شيئا فأُعطي- سَيَّبَ من إبله ما أراد أن يُسَيِّبَهُ؛ شكراً لله، ويسميها سائبة، ويخليها تذهب حيث شاءت مثل البحيرة، ولا تمنع من كلأ، ولا حوض ماء، ولا مرعى.

والوصيلة: فهي من الغنم، كانوا إذا ولدت الشاة خمسة أبطن عندهم، وكان الخامس جَدْيًا- ذبحوه، أو جديين ذبحوهما، وإن ولدت عَنَاقَين استحيوهما، فإن ولدت عناقا وجديا تركوا الجدي ولم يذبحوه من أجل أخته، وقالوا: قد وصلته؛ فلا يجوز ذبحه من أجلها.

والحام: فهو الفحل من الإبل، كان إذا ضرب عشر سنين، وضرب ولد ولده في الإبل- قالوا: هذا قد حمى ظهره؛ فيتركونه لما نتج لهم، ويسمونه حامًّا، ويخلون سبيله، فلا يُمنَع أينما ذهب، ويكون مثل البحيرة والسائبة، فلا يجوز في دية، ولا يحمل عليه حمل. فشرائعهم هذه في الأنعام باطلة، وهي كذب وافتراء على الله.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾ كانوا[1] إذا قال لهم النبي ﷺ تعالوا واستمعوا إلى ما قال الله وما أقول لكم، قالوا: يكفينا ما وجدنا عليه آباءنا من الدين.

---

(١)- **سؤال:** هل المراد الذين شرعوا البحيرة؟

الجواب: هم المرادون بذلك.

﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴿١٠٤﴾﴾[(١)] كان المشركون مصرين على اتباع دين آبائهم وأجدادهم ولو كانوا من أهل الجهل تعصباً منهم لهم.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾[(٢)] أنتم مكلفون بأنفسكم.

﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ فوثقوا صلتكم بالله والتزموا بطاعته، ولا بأس عليكم ولو ضل أهل السماوات والأرض.

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ سترجعون جميعاً إلى الله يوم القيامة وسيحكم بينكم بالحق، وقد روي في تفسير هذه الآية عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: ((مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر حتى إذا رأيتم شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة فعليك بنفسك ودع عنك العوام))[(٣)].

﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴿١٠٥﴾﴾ وسوف يجازي كل واحد بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وهذا بعد تبليغهم الحجة وإبلاغ الجهد في الدعوة لهم إلى الهدى[(٤)]، وبعد هذا لا يضركم من ضل، ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [المائدة:٩٩]، ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦]، فلا يلزمكم إدخالهم في الدين.

---

(١)- **سؤال:** هل المراد بالاستفهام هنا الاستنكاري أم ماذا؟

الجواب: هو الاستفهام الاستنكاري التوبيخي.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾؟

الجواب: عليكم: اسم فعل أمر بمعنى الزموا، وأنفسكم: مفعول به منصوب، والفاعل ضمير مستتر.

(٣)- **سؤال:** هل هذا دليل قوي على اشتراط ظن التأثير في الأمر والنهي؟

الجواب: نعم في ذلك دليل على اشتراط ظن التأثير.

(٤)- **سؤال:** هل استفيد هذا من أدلة وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن نحو قوله: ((لأن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس))؟

الجواب: نعم استفيد من نحو قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران:١٠٤].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾(١) اثنان يشهدان على وصيته؛ لأجل أن تنفذ، ولا بد أن يكونا عدلين لتقبل شهادتهما.

﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾(٢) اثنان ولو من أهل الكتاب لكن بشرط: إذا كنتم مسافرين، وحضر الموت ولم تجدوا من يشهد من المؤمنين.

﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾(٣) يشترط في هذين اللذين من أهل الكتاب أن تقبضوهما بعد صلاة العصر فتحلفوهما.

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب قوله: ﴿شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾؟ وهل «بينكم» ظرف متصرف أم لا؟ وما إعراب قوله: ﴿حِينَ﴾ و﴿اثْنَانِ﴾؟

الجواب: « شهادة » مبتدأ وخبره محذوف تقديره -كما قال صاحب الكشاف-: فيما فرض عليكم شهادة، و «بينكم» ظرف غير متصرف وإنما قد يتوسعون فيه بالإضافة كما هنا، و «حين» ظرف لـ«حضر»، و «اثنان» فاعل «شهادة بينكم».

(٢)- **سؤال:** من أين استفيد أن الشرط ﴿إِنْ أَنْتُمْ﴾ خاص في الشاهدين من أهل الكتاب؟

الجواب: أخذ ذلك من الإجماع والاتفاق على أنه لا يشترط السفر في شهادة ذوي عدل من المسلمين.

سؤال: ومن أين نستفيد أن شهادة أهل الكتاب مشروطة بعدم وجود شاهد من المؤمنين؟

الجواب: يستفاد ذلك من قوة الكلام، فقوله: ﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ﴾ تفيد ذلك، فإن الضرب والسفر في الأرض ولا سيما وقت نزول الآية مظنة لعدم وجود شهداء مسلمين.

(٣)- **سؤال:** ما إعراب جملة ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾؟

الجواب: جملة «تحبسونهما» مستأنفة في جواب سؤال مقدر كأنه قيل -كما أفاد في الكشاف-: «فكيف نعمل إن ارتبنا بهما؟».

﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾[١] إذا شككتم في صدق شهادتهما على الوصية فحلفوهما ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ ١٠٦﴾[٢] يكون تحليفهم على هذا، وأنهم سيقولون الحق.

هذا، وإنما يجب الإشهاد إذا خاف الموصي أن يضيع الحق، وأما إذا كان هناك من ينفذ الوصية ويؤدي الحقوق التي عليه، أو لم يكن عليه شيء أو هو عالم أنهم سينفذونها بدون إشهاد- فلا يلزمه.

﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ إذا انكشف أن هؤلاء الشهود[٣] لم يشهدوا بالحق، وكتموا وخانوا- فليقم شاهدان من أهل الميت يحلفان بالله: أن الشاهدين

---

(١)- **سؤال:** هل مرادكم أن قوله: ﴿إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ في محل نصب مقول قول محذوف تقديره: قائلين أم ماذا؟ وهل يصح فيه أن يكون معترضاً بين القسم وقوله: ﴿لَا نَشْتَرِي﴾؟

الجواب: قوله: « إن ارتبتم » أي: إن شككتم في صحة شهادة الشاهدين فيقسمان أما إذا لم ترتابوا فلا حاجة لحبسهما وتحليفهما؛ لأن ذلك لا يكون إلا عند حصول التهمة والريبة، وليس هناك قول مقدر. وهذا الشرط قيد معترض بين فعل القسم وجوابه.

(٢)- **سؤال:** ما معنى: ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾؟

الجواب: المعنى: لا نطلب بيمين الله عرضاً من أعراض الدنيا ولو كان من نشهد له ونحلف من ذوي قرابتنا.

(٣)- **سؤال:** هل المراد عموم الشهود سواء من المؤمنين أو من أهل الكتاب؟

الجواب: الأصل أن الشهود متهمون بالخيانة وأخذ شيء من مال الميت الذي أوصى إليهما، فهم حينئذ مدعى عليهم، ولم يكن لأولياء الميت بينة، فحكم الله في هذه الآية باليمين على المتهمين بالخيانة «الشهود»، ثم حكم الله بعد ذلك باليمين على المدعين، ولكن بشرط أن تظهر أمارات كذب المتهمين، وذلك نحو أن يوجد ما حلفوا عليه بأيديهما بعدما حلفوا أنهم ما أخذوه، وتظهر أمارات أنه نفس المال الذي حلفوا عليه وأنكروه، فإن الأمارات إذا قويت تقوي جانب المدعي، وتضعف جانب المدعى عليه بحيث يكون المدعي أولى بظاهر الملك من المدعى عليه، وقد كان الظاهر مع المدعى عليه لأن الأصل براءة الذمة، وبناءً على هذا فالمراد الشاهدان سواء كانا مؤمنين أم كتابيين.

الأولين شهدا بغير الحق، وأن شهادتنا هي الحق، وما تجاوزنا الحق فيما شهدنا به؛ فإذا حلفوا- أخذوا ما حلفوا عليه، وهذا معنى قوله: ﴿فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ۝١٠٧ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا﴾(١).

﴿أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾(٢) يخافون أن تأتي أيمان بعد أيمانهم

---

(١)- **سؤال:** هل المراد بقوله: ﴿يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ مقام الإشهاد؟

الجواب: المراد مقام الشهود الذين ظهرت خيانتهم.

سؤال: ما إعراب ﴿فَآخَرَانِ﴾ و﴿الْأَوْلَيَانِ﴾؟ وكيف معنى النظم في قوله: ﴿مِنْ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ﴾؟ وكذا على البناء للمجهول في قوله: ﴿اسْتَحَقَّ﴾؟

الجواب: الفاء سببية رابطة، وآخران: مبتدأ وعلامة رفعه الألف، والجملة بعده خبره. وأحسن الأعاريب أن يكون «الأوليان» بدلاً من ضمير الفاعل في «يقومان»، واستقربه الأخفش وقال: إنه قول أكثر البصريين. والمعنى: فليقم الأوليان من الذين استحقت عليهم الوصية، وهم أهل الميت الموصي، وهذا على البناء للمجهول وعلى البناء للفاعل.

سؤال: هل قوله: ﴿لَشَهَادَتُنَا﴾ مبتدأ فما محل الجملة؟

الجواب: شهادتنا: مبتدأ، وأحق: خبره، والجملة جواب القسم لا محل لها من الإعراب.

سؤال: قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ماذا؟

الجواب: الإشارة إلى الحكم المذكور في قوله تعالى: ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ﴾.

سؤال: ما معنى: ﴿أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا﴾؟ وما إعراب: ﴿أَنْ يَأْتُوا﴾؟

الجواب: المعنى: أقرب إلى أن يأتوا بالشهادة الصحيحة، و﴿أَنْ يَأْتُوا﴾ في تأويل مصدر مجرور بـ«إلى» مقدرة متعلق بأقرب.

(٢)-**سؤال:** لماذا عبر بقوله: ﴿تُرَدَّ﴾ بدلاً عن تأتي ونحوها؟ وما الفرق بين ما قبل «أو» وبين ما بعدها؟ فظاهر مؤداهما واحد؟

الجواب: عبر بالرد لأن الإمام أو الحاكم إذا حكم بالأيمان على طرف وعرض ما يمنع من صحة اليمين ردها إلى الطرف الآخر، وهذه دليل على يمين الرد، وهي التي ترد من طرف إلى طرف. والفرق أن الأولى يمين أصلية، والثانية يمين الرد. والأصلية هي لمن الظاهر معه.

وهي أيمان أهل الميت، وذلك لأن ما شرعه الله هنا من الأيمان سبب لأن يتحرى الشاهدان الأولان شهادة الحق وقول الصدق.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا﴾ ولا تخالفوا أوامره ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[١] بمعنى: لا ينيلهم الألطاف والتنوير والتوفيق.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾[٢] يوم القيامة في عرصات المحشر.

﴿فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾[٣] يسألهم الله: كيف كان جواب قومكم حين أرسلتكم إليهم؟ ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[٤].

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾[٥] ثم يسأل الله تعالى عيسى بن مريم وهذا

---

(١)- **سؤال:** ما رأيكم أن هذه الثلاث الآيات أصعب شيء في القرآن نظماً وإعراباً ومعنى؟

الجواب: الأمر كذلك فهي من المشكلات في إعرابها وتفسيرها ومعانيها وأحكامها وقراءتها.

(٢)- **سؤال:** ما هو العامل في نصب ﴿يَوْمَ﴾؟

الجواب: العامل فيه هو فعل مقدر تقديره: اذكروا يوم.

(٣)-**سؤال:** ما محل اسم الاستفهام: ﴿مَاذَا﴾؟

الجواب: محله النصب على أنه مفعول مطلق مقدم أيْ: أيَّ إجابة أجبتم. ولك أن تعرب «ما» مبتدأ، و«ذا»: اسم موصول خبره، و«أجبتم»: صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، والعائد محذوف.

(٤)-**سؤال:** لماذا أجابوا بقولهم: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾، مع علمهم بمن استجاب لهم ومن رفض؟ وما معنى شهادتهم على أممهم؟

الجواب: أجابوا بذلك لأن علمهم قاصر عن علم الله، فعلمهم مقصور على الظاهر، والله جل وعلا مطلع على الظاهر والباطن. وشهادة الأنبياء على أممهم هي أن يشهدوا أنهم قد بلغوهم رسالة الله وأنذروهم عذاب الله و... إلخ.

(٥)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿إِذْ﴾ في قوله: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ﴾؟

الجواب: تعرب بدلاً من «يوم» في قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ﴾.

السؤال ليس لأجله، بل لأجل أتباعه؛ ليعلموا أنهم كانوا على باطل في ادعائهم ربوبيته، ﴿اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾[(١)] بجبريل.

﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾[(٢)] والكهل يطلق على الرجل من حين بلوغ سن الرابعة والثلاثين، وتعليمه الكتاب المراد به جنس الكتب وهي كتب الأنبياء قبله، وقد خص التوراة والإنجيل لشرفهما وعظمهما، وإلا فقد شملهما اسم الكتاب.

﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي﴾[(٣)] يذكر الله تعالى نبيه عيسى عليه السلام بما أكرمه

---

(١)-**سؤال:** هل قوله: ﴿إِذْ أَيَّدْتُكَ﴾ ظرف متعلق باذكر؟ أم لا، فبماذا؟

الجواب: «إذ» بدل من نعمتي، وليس ظرفاً.

(٢)-**سؤال:** ما موضع جملة: ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ﴾؟ وعلام نصب: ﴿وَكَهْلًا﴾؟

الجواب: ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ﴾ في محل نصب حال من ضمير المفعول في ﴿أَيَّدْتُكَ﴾ ويصح أن تكون بيانية في جواب سؤال مقدر، ونصب ﴿وَكَهْلًا﴾ بالعطف على محل الجار والمجرور: ﴿فِي الْمَهْدِ﴾، ومحله النصب على الحالية أي: تكلم الناس طفلاً وكهلاً.

(٣)-**سؤال:** كيف جاز أن ينسب الخلق إلى عيسى عليه السلام، وهو مما يختص به الباري عز وجل؟

الجواب: المراد بالخلق هنا تصوير الطين، وتقديره: حتى يكون على صورة الطير، وليس المراد به الإيجاد من العدم، وهذا هو الذي فعله عيسى بالإضافة إلى النفخ في الصورة، أما الحياة فهي من الله. وسماه الله خلقاً لأن ما جرى على يد نبيه عيسى معجزة لا يقدر عليها إلا الله تعالى، ونسبت المعجزة «الخلق» إلى عيسى لذلك، أي: لتكون معجزةً له وآيةً على صدقه فيما ادعاه من النبوة والرسالة.

سؤال: كيف كان إبراء الأكمه والأبرص؟

الجواب: لعل ذلك كان بالمسح والغمز مع الدعاء فالآية تقتضي أن عيسى عليه السلام كان يباشر الأكمه والأبرص بيده ليبرأ؛ لتظهر آية الله التي جعلها للناس في عيسى، فلو لم يكن عيسى عليه السلام =

تعالىٰ من الكرامات والمعجزات الكبرىٰ فحكىٰ الله تعالىٰ هنا أن عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يصنع من الطين مثل شكل الطير فينفخ فيه عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فيكون طيراً له روح يطير بجناحيه بإذن الله، وكان عَلَيْهِ السَّلَامُ يبرئ الأكمه وهو الذي ولد أعمىٰ فيصير بصيراً بإذن الله، ويشفي الأبرص فيعود سليماً بإذن الله، وكان عَلَيْهِ السَّلَامُ يحيي الموتىٰ بإذن الله.

﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾(١) تبعثهم من قبورهم أحياءً.

﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ ولم يتمكنوا منك، وقد كانوا أرادوا قتلك، وقد ظنوا أنهم قتلوه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء:١٥٧].

﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾ رموه بالسحر حين رأوا هذه المعجزات منه، ذكر الله تعالىٰ في هذه الآيات نعمه العظيمة التي أنعم بها علىٰ نبيه عيسىٰ بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ- ليعلم أتباعه أنه ليس بإله، وأنه بشر أنعم الله عليه بنعم عظيمة.

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ وهم أصحاب عيسىٰ وخاصته وأنصاره.

﴿أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ وقد أوحىٰ الله إليهم علىٰ لسان عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فآمنوا وصدقوا وأشهدوه علىٰ أنهم مسلمون.

يباشر إبراء الأكمه والأبرص بيده لتشكك الناس في آيته، ولقالوا: إنما ذلك صدفة حدثت، ليس لعيسىٰ فيها سبب ولا تأثير.

(١)-**سؤال:** متىٰ يكون هذا الإخراج أو قد كان وحصل؟

الجواب: قد كان ذلك في حياته عَلَيْهِ السَّلَامُ بدليل ما ذكر الله تعالىٰ في سورة آل عمران: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [آل عمران].

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَايِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴿١١٢﴾﴾(١) فلا تسألوا هذا السؤال، وما ينبغي لكم.

﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ قالوا ذلك حين شاهدوا آيات الله، وعرفوا أنهم على الحق، وأنهم أصحاب نبي الحق لتطمئن قلوبهم بالإيمان وتستقر عليه.

﴿وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴿١١٣﴾﴾(٢) لأجل أن نتيقن أننا على الحق، ويشهدوا على نزول هذه المائدة، ويخبروا من بعدهم بهذه الآية العظيمة الدالة على نبوة عيسى عليه السلام وعظيم منزلته عند الله.

تلك المحاورة التي بين عيسى وبين الله تعالى- يوم القيامة، يوم يجمع الله الرسل، وأتباع عيسى يسمعونها، وهم حاضرون هذا الحوار(٣)؛ لأجل أن يعرفوا أنهم كانوا

---

(١)-**سؤال:** لماذا أتوا في سؤالهم بـ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾، ألم يكن شكاً منهم في قدرة الله؟ أو علام يحمل؟

الجواب: في المصابيح عن الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام أن معنى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ هل ذلك مما يجوز طلبنا له.اهـ وعلى هذا المعنى لا يكون في الآية ما يدل على الشك. ومعنى كلام الإمام القاسم عليه السلام في تفسيره لهذه الآية: هل يجوز أن يفعل الله ذلك فتدعوه، قالوا ذلك لمعرفتهم أنه لا ينبغي أو لا يجوز أن يطلبوا من الله أمراً يتنافى مع مقتضى حكمته وعدله ورحمته.

سؤال: هل المائدة مجموع من المأكولات؟ أم ما هي؟

الجواب: المائدة هي الطعام الذي يكون على السُّفْرة (الخوان).

(٢)-**سؤال:** ما موضع: ﴿أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ الإعرابي؟ وعلام عطف قوله: ﴿وَنَكُونَ﴾؟

الجواب: موضع ﴿أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ النصب مفعول به لـ«نعلم» ساد مسد المفعولين، و«نكون» معطوف على «نعلم».

(٣)-**سؤال:** من أين نستفيد أنهم حاضرون هذا الحوار؟

الجواب: الحوار هو: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ إلى آخر السؤال والجواب في يوم القيامة، والمراد بسؤال الله تعالى لعيسى عليه السلام يوم القيامة هو لإظهار الحجة على الذين كفروا بعيسى، وأنهم تعنتوا وتمردوا بعد ظهور حجج الله وبيناته، وبعد معرفتهم لها و.. إلخ.

على الباطل، وأنهم ليسوا على دين عيسى، وأنه لم يدَّعِ الربوبية وإنما هو عبد، وأنه إنما يحيي الموتى بإذن الله وإرادته وأمره، فيبهتون هنالك ويعلمون أنهم كانوا على الباطل.

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ هذا دعاء من عيسى عليه السلام لأجل أن يتخذوا هذا اليوم عيداً يشكرون الله فيه على هذه النعمة التي فضلهم بها، وأنزلت عليهم فيه المائدة، وهذا العيد لأول النصارى وآخرهم إلى يوم القيامة يجتمعون في هذا اليوم ويشكرون الله تعالى على نعمه.

﴿وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ١١٤﴾ وآية تطمئن بها قلوبنا أننا على الحق.

﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ﴾[(١)] أي: فمن كفر بعد أن يعطيهم الله هذه النعمة ويريهم هذه الآية فالله سيعذبه عذاباً منتهياً في الغلظة والشدة وذلك قوله: ﴿فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ١١٥﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وذلك الخطاب في يوم القيامة والنصارى يسمعون هذا الخطاب كما ذكرنا، وقد كانت النصارى حرفت الإنجيل عما أنزل الله[(٢)]، ولم يبق فيه شيء مما أنزل الله على عيسى.

---

(١)-**سؤال:** هل قوله: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا﴾ وعد للمستقبل أم إنجاز في الحال؟ وهل صح ما يقال من استهزاء بعضهم بالمائدة، وأنهم كفروا بذلك فصاروا قردة وخنازير؟

الجواب: ظاهر الآية أن الله تعالى أنزل المائدة وأعطاهم سؤلهم بعدما سألوه في عهد عيسى عليه السلام، وقد روي أنهم شكوا فسألوا آية أخرى فرفع الله المائدة ومسخهم قردة وخنازير، والله أعلم بصحة تلك الروايات، ولكن الوعيد الذي ورد هنا في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ١١٥﴾ يدل على أن الله تعالى عالم بأن بعض الذين سألوا المائدة سيكفرون أو يخرجون عن طاعة الله؛ لذلك تقدم الله تعالى إليهم بالوعيد الشديد الذي بلغ من الشدة غايتها؛ لئلا يكون لهم عذر في الكفر بآيات الله وغمط نعمته.

(٢)- **سؤال:** هل المراد أن الله سيقيم عليهم الحجة بهذه المناقشة لأن في أناجيلهم المحرفة أنه أمرهم أن يتخذوه وأمه إلهين من دون الله؟

الجواب: نسبوا إلى عيسى في أناجيلهم أنه ادعى ذلك وأمر به، ورووه عنه، ونصوص الأناجيل اليوم على هذا.

والأناجيل التي تعترف بها النصارىٰ هي أربعة أناجيل، وكل إنجيل مخالف للآخر.

﴿قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ أنزهك يا رب عن الشريك.

﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾(١) ما ينبغي لي أن أدعي شيئاً لا حق لي فيه.

﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾(٢) يجيب عيسىٰ عليه السلام يوم القيامة عن ذلك السؤال: إن كنتُ ادعيت الإلهية ودعوتهم إلىٰ عبادتي وعبادة أمي من دون الله فإن ذلك لا يخفىٰ عليك، فلا تخفىٰ عليك خافية، تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وأنت علام الغيوب، وبأنه لم يأمر بني إسرائيل بأن يعبدوه هو وأمه، وأنه لم يدعِ الإلهية، وأنه ما قال لهم إلا ما أمره الله تعالىٰ بقوله لهم؛ فهذا هو الذي قلت لهم.

﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ وكنت أسمع ما يقولونه ما دمت حياً بينهم.

﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾(٣) فأنت تعلم بأعمالهم وما يقولونه لا يخفىٰ عليك شيء.

---

(١)-**سؤال:** ما موضع: ﴿أَنْ أَقُولَ﴾؟ وما مفعوله؟

الجواب: ﴿أَنْ أَقُولَ﴾ موضعه الرفع اسم يكون، و«ما» مفعول أقول، وهو موصول والجملة بعده صلته.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب «ما» في قوله: ﴿مَا أَمَرْتَنِي﴾ وكذا: ﴿أَنِ اعْبُدُوا﴾؟

الجواب: الاستثناء مفرغ، و«ما» اسم موصول مفعول به لـ﴿قُلْتُ لَهُمْ﴾، و«أن» مفسرة، و﴿اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ تفسير المأمور به.

(٣)-**سؤال:** ما إعراب الرقيب؟

الجواب: هو خبر كان.

﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ١١٨﴾[١] فلن تعذب إلا من يستحق، ولن تغفر إلا لمن يستحق المغفرة؛ لأنك عزيز حكيم، وهذا من الحكمة.

﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ١١٩﴾[٢] وهو يوم القيامة، وفيه يسأل الله الرسل والمرسل إليهم: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ

---

(١)-**سؤال:** قد يستدل بهذه الآية على أن العبد تحت مشيئة الله تعالى إما أن يعذبه وإما أن يغفر له خصوصاً مع قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾، ومع ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما يوافق هذا المعنى، فكيف يكون الرد؟

الجواب: قوله حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ١١٨﴾ يدل عند التأمل على أن الله تعالى لا يغفر لمن حق عليه الوعيد، وذلك لقوله: ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ١١٨﴾ ومن شأن العزيز الحكيم أن لا يخلف وعده؛ لأن أفعاله وأحكامه مبنية على الحكمة، مع أنه عزيز قاهر لأهل السماوات والأرض، غالب على أمره، ونصوص القرآن الكريم تفند ما روي فيما ذكر، وهذا مع الإجماع على أن الله لا يغفر للكافرين والآية وردت في النصارى الذين عبدوا عيسى وهم كافرون مشركون.

(٢)-**سؤال:** ما السر في ابتداء هذه الآية وآية (١١٥) بقوله: ﴿قَالَ اللَّهُ﴾، مع أنه معلوم أنه من قول الله؟

الجواب: هذه الآية وما قبلها جارية على قوانين المحاورة «المقاولة» في اللغة العربية.

سؤال: هل المراد ينفعهم صدقهم في الجواب يوم القيامة على ما يسألون عنه أو ماذا؟

الجواب: المراد صدقهم في الدنيا في إيمانهم واستقامتهم وعملهم الصالح، بمعنى أن يوم القيامة هو يوم الجزاء على الأعمال الصالحة ويوم الوصول إلى الثواب والأجور في جنات النعيم.

سؤال: ما موضع جملة: ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾؟

الجواب: لا محل لها من الإعراب؛ لأنها بيانية جواب سؤال مقدر.

الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴿٦﴾ [الأعراف]. فيسألون: بماذا أجبتم رسل الله حين دعوكم؟ وكذلك الرسل: ماذا فعلتم في أممكم؟ وهل بلغتموهم؟

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴿١٢٠﴾﴾

ختم الله هذه السورة بهذه الآية، وتفسيرها هو: إن الله تعالى وحده هو المختص بملك السماوات والأرض وما فيهن، ليس له شريك في ذلك، وهو سبحانه المختص بالقدرة ونفاذها في كل مقدور، فهو لذلك الرب الذي يستحق العبادة والطاعة ليس لأحد نصيب في الملك، لا عيسى ولا غيره مع ما هم عليه من الضعف فلا يستحقون العبادة.



سورة الأنعام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الأنعام تتكلم عن المشركين من كفار قريش الذين كانوا يعبدون الأصنام، والسور التي قبلها تتحدث عن المؤمنين واليهود والنصارى من أهل الكتاب.

يعلم الله المسلمين هناك شرائع الإسلام من الصلاة والوضوء والتيمم والحج وأحكامه، والأيمان والصيد، وأحكام النكاح والطلاق والمواريث.

وفي هذه السورة لأهل مكة يخبرهم الله بآياته، ويستدل عليهم بالحجج الدالة على إلهيته وعظمته.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ①﴾ بعدما عرفوا أن الله هو الذي خلق السماوات والأرض- ساووا الأصنام بالله فعبدوها واتخذوها آلهة مع الله. و«جعل الظلمات والنور» بمعنى: خلقهما.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾(١) يخبرهم تعالى بآياته فلعلهم يؤمنون ويتركون ما هم فيه من الشرك إذا عرفوا ما يتلى عليهم من آيات الله وحججه.

﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلًا﴾ خلقكم من طين ثم جعل لكلٍّ منكم أجلاً يموت فيه.

﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾(٢) وهناك أجل مسمى عند الله لا يعلمه إلا هو،

---

(١)-**سؤال:** هل معنى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ خلق أصلكم؟

الجواب: المعنى خلق أصلكم من طين، وأصل البشر هو آدم عليه السلام.

(٢)-**سؤال:** هل المراد به يوم القيامة؟ وهل يصح أن يحمل على الأجلين المحتوم والمخروم؟ ولماذا يستخدم الله التعبير بـ«ثم» في قوله: «ثم أنتم تمترون» ونحوها؟

الجواب: الأجل المسمى عند الله هو يوم القيامة، ولا يصح تفسيره بالمحتوم والمخروم، والدليل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ②﴾ أي: أن الله تعالى ابتدأ خلقكم أيها الناس من طين، فإذا أنتم بشر تنتشرون على ظهر هذه الدنيا، فالذي خلقكم وملأ بكم الدنيا قادر على أن يعيد
=

يبعثكم فيه يوم القيامة.

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ۝٢﴾ ولا زلتم في شككم ورفض الإيمان بيوم البعث، وهو حق لا بد من وقوعه.

﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ۝٣﴾[١] وهو الله المسيطر بسلطانه على السماوات والأرض فهو عالم بما في نفوسكم وما في علانيتكم وما تعملونه، وسيحاسبكم عليه؛ فلا تظنوا أنه بعيد عنكم فهو حاضر معكم.

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ ءَايَةٍ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ۝٤﴾[٢] يعني قريشاً فكلما جاءتهم آية دالة على وحدانيته، وعلى صدق نبيه ﷺ- أعرضوا عنها ولم يقبلوا.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾[٣] كذبوا بالقرآن مباشرة من دون نظر في صدقه، وإنما تمرداً منهم، وعناداً واستكباراً.

خلقكم، فالمفروض أن تؤمنوا بيوم القيامة والبعث؛ لما ترون من أثر قدرة الله، لا أن تنكروه، فجاء بـ«ثم» للدلالة على أن الشك في يوم القيامة أمر مستبعد بعد معرفة آيات قدرة الله. **هذا،** و«ثم» في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ۝١﴾ كان من المفروض بعد معرفة المشركين أن الله تعالى هو الذي جعل الظلمات والنور أن يعبدوه وحده فجاء الله تعالى بـ«ثم» للدلالة على أن الشرك والكفر أمر مستبعد بعد معرفة أن الله تعالى هو الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور.

(١)-**سؤال:** بماذا تعلق الجار والمجرور في قوله: ﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾؟

الجواب: متعلق بالمعنى المقدر في لفظ الجلالة، والتقدير: وهو المعبود في السموات.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ۝٤﴾؟

الجواب: الاستثناء مفرغ، والجملة في محل نصب حال من «آية»، وصح لتخصصها بالصفة.

(٣)-**سؤال:** ما معنى ﴿لَمَّا﴾ وإعرابها؟

الجواب: «لما» بمعنى: حين، فهي ظرفية أي: حين جاءهم، فهي مبنية على السكون في محل نصب وناصبها ﴿كَذَّبُوا﴾.

﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ۝٥﴾ سوف تأتيهم الأخبار التي أخبرهم الله بها في القرآن فاستهزأوا بها من البعث والحساب والجنة والنار، وسيرون صدق ذلك وسيرون ما توعدهم الله به من النكال في الدنيا.

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ۝٦﴾[1] كان المشركون يعلمون بما جرى من قصة صالح وإخراجه الناقة لقومه، وذلك لأن بلاد نبي الله صالح كانت قريبة منهم شمال المدينة، ما بين تبوك والمدينة، وكانوا يتناقلون قصتهم وما جرى منهم، فيما بينهم.

وهم عالمون بقصة هود وما جرى في قومه، وما جرى في قوم لوط بسبب عصيانهم له؛ فلذا قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾[2] يعني أنهم يعلمون ذلك علماً يقيناً،

---

(١)-**سؤال:** ما المراد بالقرن في قوله: ﴿مِنْ قَرْنٍ﴾؟ وما إعراب: «كم» و«ما» في قوله: ﴿مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ﴾ وكذا ﴿مِدْرَارًا﴾؟

الجواب: المراد بالقرن الجماعة من الناس في عصر واحد، هذا معناه في هذا الموضع، ويطلق على مائة سنة، و«كم» مفعول به مقدم وهي خبرية، و«ما» نكرة في محل نصب، وتكون مفعول مطلق والجملة بعده صفة والتقدير: تمكيناً لم نمكنه لكم، وهذا الإعراب أقرب من إعرابها مصدرية أو موصولة، و«مدراراً» حال منصوبة، وصاحبها السماء والمراد بالسماء المطر.

سؤال: ما المراد بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾؟

الجواب: المراد أن الله تعالى أنعم عليهم بكثرة الأمطار حتى جرت الأنهار من تحتهم، أي: من الأماكن المنخفضة، حيث أن الماء في العادة يجري في الأماكن المنخفضة حيث لا يطغى على بيوتهم ولا مزارعهم.

(٢)-**سؤال:** هل تقصدون أنه استفهام تقريري؟

الجواب: هو استفهام تقريري لما بعد النفي، ويصح أن يكون استفهاماً استنكارياً باعتبار النفي، كما قالوا في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ [الشرح:١]، وأمثالها.

فأمرهم الله أن ينظروا في أولئك، وكيف مكنهم الله في الأرض أكثر مما مكن قريشاً، وكانوا أهل غنى وأهل أموال وزراعات، وكيف أن الله أهلكهم واستأصلهم بسبب ذنوبهم وأبادهم، ولم يبق لهم أثر ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ۝٨﴾ [الحاقة]. ثم أنشأ في بلادهم قوماً غيرهم، فكان من المفروض أن يكون علمهم بحال أولئك وما جرى عليهم بسبب تكذيبهم لأنبيائهم سبباً رادعاً لهم عن التكذيب بنبيهم ﷺ، وعبرة لهم تمنعهم من التمرد على الله والعصيان له.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ۝٧﴾ قال الله تعالى لنبيه ﷺ: اقطع طمعك في إيمانهم فلن يؤمنوا أبداً، ولو أنزل الله عليهم قرطاساً من السماء وهم يشاهدون نزوله عليهم، ولمسوه بأيديهم- لما صدقوك، ولما دخلوا في دينك، ولما آمنوا برسالتك؛ فلا تتعب نفسك في ملاحقتهم.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾[1] قال المشركون للنبي ﷺ مقترحين عليه: لو أنزل معه ملك، يشهد له أنه صادق، وأنه نبي من عند الله، قالوا هذا تمرداً وتعنتاً.

﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ۝٨﴾ لو أنزلنا ملكاً يأتي معك لانتهى أمر الحياة الدنيا، ولماتوا جميعاً، ولما أمهلهم الله تعالى إذا لم يؤمنوا بعد مشاهدتهم هذه الآيات[2].

---

(١)-**سؤال:** ما معنى ﴿لَوْلَا﴾ هنا وإعرابها؟

الجواب: معناها التحضيض، وبدخولها على الماضي تفيد التنديم، وهي حرف لا محل لها من الإعراب ولا تحتاج إلى جواب.

(٢)-**سؤال:** هل يموتون بالعذاب بعد مشاهدة الآيات، أو أن الملائكة لا تنزل إلا بالعذاب؟

الجواب: مضت سنة الله فيمن قبل قريش أنهم كانوا إذا اقترحوا آية وأعطوها ثم لم يؤمنوا يعذبهم بعذاب الاستئصال، وقد علم الله تعالى أن قريشاً لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية، والله تعالى لا يريد استئصال قريش بالعذاب؛ لعلمه بأن في أصلابهم من يؤمن بالله ويعبده، =

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ۝٩﴾[(١)] لو أنزلنا معك ملكاً لجعلناه في صورة رجل لتتم المخاطبة والتفاهم إلا أنه لا يرتفع الإشكال والشبهة، فسيقولون: وما يدرينا أنك ملك، وسيبقى الإشكال كما هو.

وإنما لزم أن يجعله الله على صورة رجل؛ لأنه يتعذر الخطاب والمفاهمة إذا كان على صورته الحقيقية؛ لأن جنس الملائكة غير جنس البشر، وكان جبريل عليه السلام ينزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صورة رجل[(٢)]، وإلا لما تحمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم رؤيته على صورته الحقيقية.

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ۝١٠﴾[(٣)] أخبر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن يُهوّن على نفسه فالرسل الذين من قبلك كانت أممهم تفعل بهم من التكذيب والاستهزاء والأذى مثلما يفعل قومك،

يشير إلى هذا ما حكاه الله تعالى من دعاء نبي الله نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا۝٢٦ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا۝٢٧﴾ [نوح]، ففي هذا أن قومه قد استحقوا الاستئصال لاجتماع أسبابه: الكفر، وإضلال عباد الله، ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً، ولم يدع نوح عليه السلام بهذا الدعاء إلا بعد أن أطلعه الله تعالى على أنهم لا يلدون إلا فاجراً كفاراً.

(١)- **سؤال:** لماذا أسند الله اللبس إلى نفسه تعالى، وكان من حقه أن يقال: والتبس عليهم..؟

الجواب: أسند الله تعالى اللبس إلى نفسه على فرض وقوعه؛ لأنه يكون تعالى هو الذي فعل سبب اللبس.

(٢)- **سؤال:** هل كان ينزل في صورة رجل على الإطلاق أو في بعض الأحيان؟

الجواب: كان ينزل في صورة رجل على الإطلاق ولم يره النبي صلى الله عليه وآله وسلم على صورته الحقيقية إلا مرتين، حكاهما الله تعالى في سورة النجم: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى۝٦﴾ إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى۝١٣ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى۝١٤﴾ [النجم].

(٣)-**سؤال:** ما معنى: ﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ﴾؟ وما إعراب ﴿مَا كَانُوا﴾؟

الجواب: فأحاط بالذين سخروا جزاء ما عملوا من الاستهزاء والكفر. و﴿مَا كَانُوا﴾: «ما» اسم موصول في محل رفع فاعل «حاق»، والجملة بعده صلته.

وقد عذب الله تعالىٰ أولئك المستهزئين بسبب استهزائهم، وسيلقىٰ المكذبون بك من النكال مثل ما لقي المكذبون من قبلهم.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ أمر الله نبيه ﷺ بأن يأمر قومه بأن يسيروا في الأرض لينظروا كيف كان عاقبة المكذبين وكيف عذبهم الله واستأصلهم؛ لعلهم يعتبرون فيتركوا التكذيب والاستهزاء.

﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾(١) وقل لهم يا محمد لمن ملك السماوات والأرض وما بينهما، وهم يعلمون أنها لله، ولكنهم قالوا: إنما نعبد الأصنام لتقربنا إلىٰ الله.

﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾(٢) يعني أنه لا يعذب أحداً إلا بذنبه، وأنه لا يريد أن يعذب أحداً: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [النساء:١٤٧].

﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ سوف يجمعكم جميعاً يا محمد

---

(١)-**سؤال:** ما الحكمة في أمر الله لنبيه أن يجيب علىٰ نفسه بقوله: ﴿قُلْ لِلَّهِ﴾؟

الجواب: السر في ذلك أن جواب السؤال ظاهر يعترف به المسؤولون «المشركون» ولا ينكرونه ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥]، ولا يحسن أن يجيب السائل علىٰ سؤاله إلا إذا كان الجواب ظاهراً لا يستطيع أحد دفعه ولا إنكاره، وهاهنا الأمر كذلك.

(٢)-**سؤال:** هل معنىٰ ﴿كَتَبَ﴾ هنا: فرض وحتم؟ فما رأيكم هل يكون دليلاً علىٰ صحة إطلاق الفرض أو الوجوب علىٰ الله كما هو رأي المعتزلة؟ وهل المراد بالرحمة عدم إرادته التعذيب لأحد فقط ؟ أم أنه أحد مدلولاته؟

الجواب: معنىٰ «كتب» هو فرض وحتم في حق المكلفين، أما في حق الله تعالىٰ فالمعنىٰ: أن من شأن الله تعالىٰ الرحمة بعباده، والإحسان إليهم، والفضل عليهم، والحلم والعفو والمغفرة؛ لعظمته وغناه، وعلمه وحكمته، فرحمة الله بعباده والإحسان والفضل و.. إلخ لما كانت سنة لله لا تتخلف ولا تتغير أطلق عليها لفظ الكتب؛ لهذا الوجه الذي هو واقع لا يتخلف.

أنت وأصحابك ومن كذبوك يوم القيامة، وسوف يلقى كلٌّ جزاء عمله في يوم القيامة، الذي يكذبون به وهو حق لا ريب فيه.

﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ[١] فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ۝١٢﴾ احسم طمعك يا محمد منهم فلن يؤمنوا. وهم كفار قريش، وإيمانهم يوم فتح مكة لم يكن إيماناً قال أمير المؤمنين عليه السلام: (والله ما أسلموا ولكن استسلموا)، ولن يدخل الإسلام في قلوبهم أبداً أبداً[٢].

﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ۝١٣﴾ أي: كل ما خلق الله، السماوات وما فيها والأرض وما فيها فهو ملك لله، وليس للآلهة التي تعبدونها نصيب في ملك السماوات والأرض.

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾[٣] أمر الله نبيه بأن يقول لهم: أتريدونني أن أتخذ رباً غير الله أيها المشركون، والله هو فاطر السماوات والأرض، وهو الذي يرزق الناس، لا من تدعونه إلهاً أيها المشركون؛ فكيف أعدل عن عبادة الخالق الرازق إلى عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر.

---

(١)- **سؤال:** ما الوجه في فصل جملة: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ عن الجملة التي قبلها؟

الجواب: أعربوا «الذين» بدلاً من المفعول في ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ أو مرفوعاً بتقدير: هم، أو منصوباً بتقدير: أذم، وعلى هذا فالفصل لكونه كالتابع لما قبله.

(٢)- **سؤال:** قد يقال بأنه قد ذُكِر في التاريخ بعضٌ من مسلمة الفتح حسن إسلامهم، فهل تريدون بهذا الغالب أو ماذا؟

الجواب: الحكم بعدم إيمانهم وعدم دخولهم في الدين -يظهر- أنه حكم أكثري وغالب، وليس المراد كل فرد فرد؛ لما ذكر في التاريخ.

(٣)- **سؤال:** ما معنى: ﴿وَلِيًّا﴾ في الآية؟ وما إعراب ﴿غَيْرَ اللَّهِ﴾ و﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ﴾؟

الجواب: «ولياً» أي: مالكاً وحافظاً وناصراً أو معبوداً، و﴿غَيْرَ اللَّهِ﴾ مفعول به مقدم لأتخذ، و﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ﴾ صفة لله مجرورة.

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴿١٤﴾﴾(١) أمره الله بأن يخبرهم بأنه أول من آمن بالله، واستسلم لعظمته، وانقاد لعزته.

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴿١٥﴾ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴿١٦﴾﴾(٢) السلامة من عذاب يوم القيامة هو الفوز العظيم.

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴿١٧﴾﴾(٣) فإذا مس الله الإنسان بضر فلن يرفع الضر غير الله، وإن

---

(١)-**سؤال:** ما الوجه في تغيير الخطاب من المتكلم ﴿أَكُونَ﴾ إلى المخاطب ﴿تَكُونَنَّ﴾؟

الجواب: الوجه هو إيقاظ السامع وتنبيهه إلى ما يُخاطَب به، ولما كان الشرك أكبر الكبائر وأعظم الجرائم عند الله استدعت الحال تنبه المخاطب إلى الإصغاء إلى ما يقال له، وتغيير الخطاب من أسلوب إلى أسلوب آخر مما يستفتح به أذن المخاطب ويستدعي إصغاءه.

(٢)-**سؤال:** مقتضى النظم أن يقال: «فقد رُحِمَ»، فلماذا غير؟

الجواب: بني الفعل للمعفول في ﴿يُصْرَفْ عَنْهُ﴾؛ لأنه الأهم الذي سيق له الكلام حيث جاء بعد قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴿١٥﴾﴾، فانصب لذلك الاهتمام في قوله: ﴿مَنْ يُصْرَفْ...﴾ إلى صرف عذاب اليوم العظيم، فسيق الكلام لذكره، فبني الفعل له، ولم يسق الكلام لذكر الصارف من هو؟ أما في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ فالكلام مسوق لذكر الراحم وفضله والمرحوم وفوزه فبني الفعل للفاعل.

سؤال: ما هو المصروف؟ ومن هو الراحم؟ ومن هو المرحوم؟

الجواب: المصروف هو عذاب اليوم العظيم، أي: عذاب يوم القيامة. والراحم هو الله تعالى. والمرحوم هو المصروف عنه ذلك العذاب في يوم القيامة.

سؤال: ما الوجه والنكتة في أمره صلى الله عليه وآله وسلم بأن يخبرهم أنه يخاف العذاب؟

الجواب: هي -والله أعلم- تنبيه المشركين وإيقاظهم عن غفلتهم عن خطر عصيان الله، وما يلقاه العصاة من الجزاء في يوم القيامة.

(٣)-**سؤال:** ما الوجه في استعمال «إن» بدلاً من «إذا»؟

الجواب: الوجه في ذلك أن الآية وردت لبيان نفوذ قدرة الله واستيلائها وإحاطتها وعموم نفوذها في كل شيء، فما أراد كان وحصل لا رادّ لما يريد على الإطلاق، سواء أراد إنزال خير بأحد أم أراد إنزال شر بأحد، وإذا أنزل ذلك فلا يرفعه أحد، ولم يُرَدْ في هذه الآية بيان
=

مس الإنسان بخير فلن يستطيع أحد أن يرده عنه.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ بقدرته وسلطانه.

﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴿١٨﴾﴾ الحكيم يعني أن أفعاله كلها حكمة ومصلحة وهو خبير يضع كل شيء في موضعه على أكمل وجه، فهذا هو الذي ينبغي أن نتوجه إليه بعبادتنا.

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً[(١)] قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ ما هو أكبر شيء يشهد أني على الحق، وأنكم على الباطل؟ فأمره أن يجيب بأن الله هو الذي يشهد بأني نبي صادق، وأنكم على الباطل، وشهادة الله هي بآياته التي أرسله بها.

﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْءَانُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾[(٢)] لأجل أن ينذر قريشاً ومن بلغه القرآن من سائر الناس إلى يوم القيامة.

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَى﴾ يستنكر الله تعالى على المشركين ما هم عليه من الشهادة للأصنام بأنها آلهة مع الله وعبادتهم لها.

﴿قُلْ لَا أَشْهَدُ﴾ فلا أشهد معكم أن مع الله آلهة أخرى.

﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴿١٩﴾﴾[(٣)] قل لهم يا محمد ليس

المتوقع الكثير وبيان النادر القليل، والمراد كما ذكرنا: بيان نفوذ إرادته على أي الوجهين المفروضين، و«إن» تستعمل عند الفرض والتقدير، فيقال: «إن كان الأمر كذا فكذا وإن كان...» فعلى هذا «إن» في موضعها وفي مكانها اللائق بها.

(١)-**سؤال:** ما الوجه في انتصاب ﴿شَهَادَةً﴾؟

الجواب: نصبت شهادة على التمييز.

(٢)-**سؤال:** ما الوجه والنكتة في حذف الفاعل والمفعول في قوله: ﴿بَلَغَ﴾؟

الجواب: جاء الفاعل على الأصل ضميراً مستتراً يعود للقرآن، وحذف المفعول للاختصار وهو مقدر وهو عائد الموصول.

(٣)-**سؤال:** ما الوجه في فصل الجمل المصدرة بـ﴿قُلْ﴾ عن بعضها البعض؟

الجواب: الوجه في فصل الجمل المصدرة بـ﴿قُلْ﴾ عن بعضها البعض هو أن كل جملة تستقل =

الأمر كما تدعون أيها المشركون من وجود شركاء مع الله في الإلهية إنما هو إله واحد وهو الله رب العالمين، أما آلهتكم التي تعبدونها فأنا بريء منها لا أرضاها ولا أؤمن بها.

﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ﴾ أهل الكتاب يعرفون أن محمداً صادق من عند الله معرفة مستحكمة لا لبس فيها ولا غموض، معرفة مثل(١) معرفتهم لأبنائهم.

﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ۝﴾(٢) وهم المشركون لن يؤمنوا بك يا محمد أبداً.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ۝﴾ فلا أحد أظلم من المشركين الذين يفترون على الله الكذب، أو يكذبون بآيات الله.

بموضوع خاص لا علاقة له بما قبله من حيث أن كل جملة مصدرة بـ﴿قُلْ﴾ لها سبب باعث على الأمر بها. ويمكن توضيح ذلك بمثال هو نحو: أن تأمر ولدك بعد الأكل فتقول: «قل الحمد لله رب العالمين» فيأتي سائل فتأمره مرة ثانية: «قل الله كريم» فتفصل بين الأمرين. فالجملة الأولى: ﴿قُلْ سِيرُوا...﴾ السبب الباعث على الأمر هو استهزاء المشركين الأولين برسلهم، والجملة الثانية السبب اتخاذ المشركين آلهة يعبدونها مع الله، والثالثة دعاء المشركين النبي ﷺ إلى عبادة الأصنام واستنكارهم عليه عبادة الله وحده، وهكذا سائر الجمل الواردة هنا.

(١)-**سؤال:** هل تريدون أن الكاف في: «كما» بمعنى «مثل»، وأنها صفة لمصدر محذوف و«ما» حرف مصدري؟

الجواب: المراد هو ذلك.

(٢)-**سؤال:** قد يقال: ما الوجه في حمل الخاسرين على المشركين مع أن الذي قبله: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ...﴾إلخ، في أهل الكتاب؟

الجواب: السياق هو في المشركين وآية: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ..﴾ جاءت للاحتجاج على المشركين.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا[١] ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴿٢٢﴾﴾ يوم يحشر الله المشركين سيسألهم: أين آلهتكم التي كنتم تعبدونها؟ لماذا لا تدعونها لتنفعكم؟ فأنتم الآن في أشد حاجة إليها.

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴿٢٣﴾﴾ لم يكن جوابهم[٢] إلا أن أنكروا وجحدوا شركهم الذي كانوا عليه؛ لشدة ما يرونه يوم القيامة من أهوال العذاب وشدة الحساب وغضب رب الأرباب.

﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴿٢٤﴾﴾ انظر يا محمد وأنت أيها الناظر إلى حيرة المشركين يوم الحساب وما كان منهم من إنكارهم

---

(١)-**سؤال:** هل يصح أن نحمل ﴿جَمِيعًا﴾ على الموحدين والمشركين بدليل: ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾؟

الجواب: فسرت بالمشركين لأن السياق في المشركين، والضمير في ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾ عائد إليهم، وقوله: ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا...﴾ من وضع الظاهر موضع المضمر، والتقدير: «ثم نقول لهم» إلا أنه جاء بالظاهر ليفيد أن الباعث على السؤال هو كونهم مشركين.

(٢)-**سؤال:** كيف نفهم أن جوابهم معنى «فتنتهم»؟

الجواب: المعنى: ثم لم تكن عاقبة «فتنتهم» -أي: كفرهم- حين سئلوا بهذا السؤال إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين، فمن هنا صح لنا تفسير المعنى: ثم لم يكن جوابهم إلا أن قالوا...

سؤال: ما الوجه في انتصاب ﴿فِتْنَتُهُمْ﴾ على قراءة نافع؟ وما إعراب ﴿أَنْ قَالُوا﴾ مع التعليل أيدكم الله؟

الجواب: انتصبت ﴿فِتْنَتُهُمْ﴾ على أنها خبر لـ﴿تَكُنْ﴾، و«إلا» أداة استثناء، و﴿أَنْ قَالُوا﴾ «أن» والفعل في تأويل مصدر اسم لتكن مؤخر.

سؤال: هنا نفى المشركون الإشراك وفي آيات كثيرة اعترفوا بذنبهم فكيف يجمع بينهما؟

الجواب: يجمع بينهما بأن الإنكار كان في موقف، والاعتراف كان في موقف آخر، يفعلون كما يفعل المتورط في تهمة بين يدي السلطان، ينكر مرة ويعترف مرة؛ لعله ينتفع بأيهما.

أنهم كانوا مشركين، وكيف ضاعت آلهتهم التي كانوا يعبدونها في الدنيا[(١)].

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ ومن المشركين ناس يستمعون القرآن.

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾[(٢)] يستمعون إلى القرآن لكنهم لا يفهمونه، وإنما سماعهم كسماع الأنعام؛ فلا يعون ما تقوله يا محمد ولا يفهمونه؛ لأن قلوبهم قد غطاها الكفر فلا تفقه شيئاً واستولى عليها الكبر والكفر والتمرد.

---

(١)-**سؤال:** يقال: ظاهر الكلام أنه ضاع اعتقادهم في الآلهة، فكيف؟

الجواب: يحتمل الكلام الأمرين:

- إما أنه ضاع معبودهم الذي كان من المفروض أن يحضر ليخلصهم من شدائد يوم القيامة وأهوالها.
- وإما أنه ظهر لهم بطلان الشرك الذي كانوا يظنون أنه الحق النافع.

(٢)-**سؤال:** ما وجه نسبة جعل الأكنة إلى الباري تعالى؟ ويشكل أيضاً ما يفهم من ظاهرها أن الأكنة جعلت من أجل أن لا يفقهوه؟

الجواب: قد تقدم الجواب على ذلك في أول سورة البقرة عند قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ۝٦ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ...﴾ الآية [البقرة]، ونزيد ذلك توضيحاً وشرحاً فنقول: أعرض المشركون عن دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ عليهم القرآن ليفهموه، فيستمعون إليه سماع استخفاف، لا يفتحون لسماعه آذان عقولهم، ولا يتفكرون في معانيه، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحاول أن يفهموا ويفقهوا ما يقرأه عليهم ليؤمنوا، ولكنهم أعرضوا عن تفهم ما يقال لهم، وعن التفكر فيه بعقولهم؛ لذلك مثل الله تعالى حالهم هذه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وللمؤمنين بحالة من جعل الله على عقله وقلبه غطاءً يحول بين العقل وبين التفكر والتفهم لما يقال له، بالإضافة إلى سد الطريق على العقل؛ لئلا يصل إليه شيء بواسطة السمع، فجعل في السمع وقراً -أي: ثقلاً وصمماً- يحول دون سماع ما يقال، وكل ذلك لكراهة أن يفقه العقل ما يقال له. فالمشبه به هو كل هذا بما فيه كراهة أن يفقه العقل، والغرض من هذا التمثيل والتصوير هو حسم طمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورجائه وأمله في إسلام قريش.

﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ لأنهم قد أجمعوا على عدم اتباعه وعزموا على ذلك، وأنه مهما أتى به فلن يؤمنوا فلا تتوقع منهم يا محمد الإيمان والتصديق وليس كفرهم لضعف ما جئتهم به من الآيات والبينات بل عدم إيمانهم لشدة كبرهم وتعاليهم وقوة حميتهم وعصبيتهم للكفر و...إلخ.

﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴿٢٥﴾﴾ يأتون إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ويجادلونه فيقولون: إن ما أتى به ليس إلا خرافات وخزعبلات من قصص الأولين وحكاياتهم.

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ ينهون عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يقربه أحد ويصدونهم عنه، ويبتعدون عنه بأنفسهم.

﴿وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴿٢٦﴾﴾ فهم يسعون في هلاك أنفسهم، ويظنون أنهم في خير العمل.

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴿٢٧﴾﴾ لو تراهم يا محمد يوم القيامة وهم واقفون على شفير جهنم- لرأيت أمراً عظيماً من الحسرة والندم الذي هم فيه، وكيف يتمنون أنهم لو يردون إلى الدنيا، ويعملون الأعمال الصالحة.

﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ والذي بدا لهم: سيئات أعمالهم، وعاقبة تكذيبهم واستهزائهم باليوم الآخر وبالجنة والنار، وفي الحقيقة إنهم إنما جحدوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وكذبوا به- تعنتاً منهم وتمرداً عليه، وإلا فهم عارفون بصدقه، وأنه نبي صادق من عند الله.

﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴿٢٨﴾﴾ فلو ردهم الله إلى الحياة الدنيا لعادوا إلى التكذيب والكفر، والاستكبار والعلو في الأرض، وهم كاذبون في قولهم ذلك.

﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ۝٢٩﴾ فأنكروا البعث والحساب، وقالوا: ليس محمد إلا ساحراً وكذاباً.

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾ لو ترى يا محمد حين يقفون للحساب بين يدي الله لرأيت أمراً عظيماً من خوفهم وجزعهم وفزعهم، وجواب «لو» محذوف هو ما ذكرنا؛ فحينها لا يسعهم الإنكار.

﴿قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ۝٣٠﴾ قالوا: بلى إنه لحق وصدق، فيقال لهم: ذوقوا العذاب بسبب كفركم.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ خسروا أنفسهم بدخولهم جهنم خالدين فيها أبداً جزاءً على تكذيبهم بلقاء الله في يوم الحساب.

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَاحَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ يتحسر المشركون يوم يبعثهم الله في يوم القيامة بسبب تفريطهم وعدم إيمانهم، وذلك عند معاينتهم البعث والحساب والجنة والنار.

﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ فكل امرئ حامل ذنبه على ظهره.

﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ۝٣١﴾ تعجيب من سوء أوزارهم وتعظيم لما يحملون من ذنوبهم الموبقة.

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ فلا يغترن بها أحد، فليست إلا كلعبة الأطفال عندما يتسلون ويلعبون ساعة، ثم يتركون ما في أيديهم من اللعبة.

﴿وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ۝٣٢﴾ فهي أفضل من الحياة الدنيا لأهل التقوى، ولو عقل أهل التكذيب وتفكروا، وتركوا العناد والاستكبار لرجعوا إلى الهدى وسلكوا الطريق التي ستوصلهم إلى نعيم الجنة.

وقوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ۝٣٢﴾ لأن العقل لا يختار إلا الأفضل، ومن شأن العقلاء أن يختاروا الحياة الدائمة والنعيم الباقي على المتاع الفاني والمنقطع.

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ أخبر الله نبيه ﷺ بأنا نعلم أنه

يحزنك يا محمد تكذيب المشركين، واستهزاؤهم بك وتمردهم.

﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ۝٣٣﴾[1] فهم عالمون أنك نبي صادق، وأن ما جئت به هو الصدق والحق، ولكنهم يجحدون هذا الذي يصدقون به في أنفسهم وينكرونه بألسنتهم عتواً وكبراً ونفوراً منهم عن الحق.

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾[2] فقد لحق الرسل الذين من قبلك مثل ما لحقك فلا تحزن؛ يريد الله أن يهوِّن على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم؛ وكان صلى الله عليه وآله وسلم قد استاء وحزن عندما رفضوا دعوته، ولم يستجيبوا له، واستخفوا به وآذوه؛ فأراد الله تعالى أن يخفف على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم من شدة صدمة قومه له بالتكذيب والكفر والتمرد فأخبره بما لقيه المرسلون من قبله فإذا علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن المصيبة قد عمت جميع الأنبياء- هانت عليه مصيبته.

﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾[3] فلا تستبطئ يا محمد النصر، فقد وعدك الله

---

(١)-**سؤال:** لماذا أظهر لفظ ﴿الظَّالِمِينَ﴾ بدل إضماره: «لكنهم»؟

الجواب: أظهر لِيَسِمَ المشركين بالظلم ويسجله عليهم، وليفيد أنه العلة الباعثة لهم على جحود آيات الله.

(٢)-**سؤال:** لماذا أنث الفعل ﴿كُذِّبَتْ﴾؟ وما إعراب: ﴿مَا كُذِّبُوا﴾؟ وهل ﴿أُوذُوا﴾ معطوف عليه؟

الجواب: أنث الفعل لأن ﴿رُسُلٌ﴾ جمع تكسير، وجموع التكسير مؤنثة على معنى جماعة رسل، و﴿مَا كُذِّبُوا﴾ في تأويل مصدر مجرور بـ«على» و﴿أُوذُوا﴾ معطوف على كذبوا، والتقدير: فصبروا على تكذيبهم وأذاهم.

(٣)-**سؤال:** هل المراد بكلمات الله وعد الله بالنصر؟ ولماذا؟

الجواب: المراد بكلمات الله ما وعده الله من النصر لرسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وللمؤمنين، وسمي كلمات لأنه صدر بكلمات قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ۝١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ۝١٧٢ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ۝١٧٣﴾ [الصافات].

النصر[(١)]، ولا مبدل لكلماته.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ۝٣٤﴾[(٢)] لقد قص الله عليك يا محمد أخبار المرسلين من قبلك فقد لقوا من أممهم مثل ما لقيت ولحقهم مثل ما لحقك فاصبر كما صبروا، وانتظر العاقبة الحسنى كما انتظروا وسيأتيك النصر كما أتاهم.

﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ۝٣٥﴾[(٣)] كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم حريصاً على إيمان قريش أشد الحرص،

---

(١)- **سؤال:** يقال: بعض الأنبياء قتل وبعضهم أهين وشُرِّد فما المراد بالنصر الذي لا يتبدل؟

الجواب: للنصر صور كثيرة منها: ما حكاه الله تعالى بقوله: **﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا...﴾** [التوبة:٤٠]، ومنها: أن يسلط الله الأعداء بعضهم على بعض كما قال الله تعالى: **﴿وَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ...﴾** [الحج:٤٠]، ومنها: غلبة العدو في ميدان المعركة بالسيف: **﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ...﴾** [آل عمران:١٢٣]. **هذا،** وقتل بعض الأنبياء والرسل وتشريدهم قد كان وحصل إلا أن الآية لم تذكر إلا جماعة من الرسل ولم تعم جميعهم، ولعل ما حصل عليهم من القتل والتشريد لم يحصل إلا بعد أن بلغوا رسالات الله وأقاموا حجته.

(٢)-**سؤال:** ما الوجه في الإتيان بـ«من» في قوله: ﴿مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ۝٣٤﴾؟

الجواب: الوجه هو إفادة أن الذي جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو بعض أخبار المرسلين.

(٣)-**سؤال:** ما معنى: ﴿كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾؟ وأين جواب الشرط هنا؟ وأين جواب الشرط ﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ﴾؟ وما العلة في حذفه؟

الجواب: معنى: ﴿كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ هو: شق عليك إعراضهم وساءك مساءة شديدة. وجواب الشرط ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ هو الشرط الذي بعده وجوابه ﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ...﴾، فمجموعهما هو جواب الشرط. وجواب الشرط الثاني: ﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ...﴾ محذوف دل عليه السياق تقديره: فافعل، والعلة في حذفه هو الإيجاز وعدم اللبس لوجود ما يدل عليه.

سؤال: ما المقصود بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ۝٣٥﴾؟ فقد يفهم منه البعض أن =

وقد أتعب نفسه في طلب هداهم وإيمانهم، فما لقي منهم إلا التكذيب والإعراض عن دعوته، فتمنى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يعطيه الله تعالى آية عظيمه تذعن لها قريش، ولا تستطيع ردها؛ فأنزل الله تعالى عليه هذه الآية تخبره بأن الله تعالى قد صَرَّف لهم آياته، وضرب لهم الأمثال، ونَوَّع الدلالات، فلم يبق لهم عذر عنده تعالى، فاحْسِمْ طمعك يا محمد من إيمانهم، فلن يؤمنوا أبداً.

فإن بقي لك مطمع في إيمانهم فابحث لهم عن آية في باطن الارض أو في عنان السماء، ولكن ذلك ليس تحت قدرتك، والقدرة هي لله تعالى وحده، فلو شاء أن يدخلهم في الإيمان كرهاً لأدخلهم؛ لأنه على كل شيء قدير، غير أن الله تعالى قد قضت حكمته بأن يترك الاختيار إلى عبيده، فمن شاء فليؤمن باختياره، ومن شاء فليكفر، فلا تطمع يا محمد فيما ليس فيه مطمع.

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى(١) يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ۝٣٦﴾(٢) لا يستجيب لدعوتك يا محمد ولا ينتفع بها إلا الذين يسمعون، أما قومك من

الجهل محمول على حرص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على هدايتهم؟

الجواب: حرص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على إسلام قريش ليس جهلاً، وخطابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بـ«لا تكن من الجاهلين» مثل خطابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بقوله: **﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١٤﴾** [الأنعام]، **﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾** [هود:١٧]، والمراد بخطابه ذلك إبعاد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن شدة الحسرة والضيق لإعراض قومه، فإنه بعد علمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن جده وسعيه في ملاحقتهم لا ينفع، وبعد تبليغه رسالات الله إليهم يكون سعيه إذا سعى بعد ذلك عبثاً، لا يفعله إلا الجاهل الأحمق، ولم يكن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد فعل إلا أن الله تعالى نهاه أن يفعل.

(١)-**سؤال:** هل مرادكم أن الموتى استعارة فمن أي أنواعها؟

الجواب: الموتى مستعار للمعرضين عن دعوة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من قريش، والعلاقة المشابهة، وهي استعارة تصريحية أصلية.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في الإتيان بـ«ثم» في قوله: **﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ۝٣٦﴾** إذا كان البعث هو نفس الرجوع؟

الجواب: الوجه في الإتيان بـ«ثم» أن الرجوع إلى الله للحساب والجزاء أعظم من البعث من الموت، والرجوع إلى الله غير البعث من الموت.

قريش فهم كالأموات لا ينتفعون بدعوتك وموعدهم القيامة للحساب والجزاء.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ۝٣٧﴾(١) إن قومك يا محمد قد تعنتوا وتمردوا بعدما سمعوا دعوتك وتحققوا ما تلوت عليهم من آيات ربك، ولزمتهم الحجة، ومع ذلك طلبوا منك يا محمد على جهة التعنت والتكبر أن تأتيهم بآية (معجزة) لعدم اعتدادهم بما جئتهم به من الآيات التي فيها ما يكفي من الحجة والبرهان، فقل لهم يا محمد: إن الله على كل شيء قدير، لا ينزل آياته(٢) إلا على قدر ما تقتضيه حكمته ومصالح عباده، وقد أتاكم فيما أنزل عليكم ما يكفي من الحجة والبرهان، ولكنكم أيها المشركون تجهلون حكمة الله تعالى.

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ۝٣٨﴾(٣) إنكم أيها المشركون تكذبون

---

(١)-**سؤال:** ما معنى «لولا» في الآية؟

الجواب: معناها التحضيض أصلاً، فإذا دخلت على الماضي أفادت التنديم.

(٢)-**سؤال:** من فضلكم ما هو الذي اقتضى هذه التقديرات: «لا ينزل آياته...إلخ» «وقد أتاكم..إلخ»؟

الجواب: الذي اقتضاها أن أفعال الله تعالى مبنية على الحكمة والمصلحة لا يفعل إلا حسب ما تقتضيه الحكمة، ولا ينبغي أن يفعل الله تعالى ما يقترحه عليه المشركون أو غيرهم مما لم تقض به حكمة الحكيم العليم؛ لذلك قال في آخر الآية: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ۝٣٧﴾.

(٣)- **سؤال:** ما إعراب ﴿دَابَّةٍ﴾؟ وما الوجه في دخول «من»؟ وإعراب: ﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾؟

الجواب: ﴿دَابَّةٍ﴾ مبتدأ مجرور لفظاً مرفوع محلاً، والوجه في دخول «من» هو تأكيد العموم في النكرة المنفية، و﴿أُمَمٌ﴾ خبر المبتدأ، و﴿أَمْثَالُكُمْ﴾ خبر ثان.

سؤال: قد يستدل بالآية ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ﴾ على أنه لا حاجة بنا إلى السنة وأن كل الأحكام مبينة في الكتاب، فكيف نرد على ذلك؟

الجواب: حقاً ما فرط الله تعالى في الكتاب من شيء، ومما بينه في الكتاب الكريم ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر:٧]، وقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي =

باليوم الآخر وما فيه من الحساب والجزاء على الأعمال، ولو كنتم تخافون عذاب الآخرة لما تعنتم في الكفر، ولما تمردتم على الله تعالى، وهو وعد حق فما من دابة في الأرض تدب على رجليها، ولا طائر يطير في السماء إلا ويبعثه الله تعالى يوم القيامة كما يبعثكم؛ فانظروا لأنفسكم أيها المشركون قبل أن يحل بكم هذا اليوم الذي لا ريب فيه، فقد أعذر الله تعالى إليكم.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝٣٩﴾(1) صور الله تعالى لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ صورة المكذبين ليحسم طمعه في إيمانهم، وليهون على نفسه من ملاحقتهم، فذكر له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنهم كالصم الذين لا يسمعون، والبكم الذين لا يفقهون، ومع ذلك فهم في ظلمات لا

رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ...﴾ [الأحزاب:٢١]، فقد بين الله تعالى لنا في هاتين الآيتين أن علينا أن نطيع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فيما أمرنا به، وأن نتنهي عما نهانا عنه، وأن نقتدي بأفعاله، ونهتدي بهديه، ونسير بسيرته، ونسلك سبيله؛ فليس في الآية دليل على ما يقولون.

سؤال: هل جملة: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ معترضة فبين ما اعترضت؟ ولماذا أتى بـ«بثم» في قوله: ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ۝٣٨﴾؟

الجواب: ﴿مَا فَرَّطْنَا﴾ جملة معترضة بين المعطوف ﴿إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ۝٣٨﴾ والمعطوف عليه ﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾، و«ثم» على أصلها للترتيب والتراخي؛ لأن الحشر متراخ حقيقة عن حياة الأحياء في هذه الدنيا.

(1)-**سؤال:** ما إعراب ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾؟ وما معنى ﴿بُكْمٌ﴾؟

الجواب: في الظلمات: خبر ثان. والبكم: هم الذين لا يقدرون على الكلام.

سؤال: هل المراد بجعلهم على صراط مستقيم تثبيتهم عليه؟ فلو تفضلتم بذكر بعض من الأدلة على هذا المعنى؟

الجواب: المراد هو تثبيتهم على الدين الحق بما يمدهم به من الألطاف والتنوير والمعونة، ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم:٢٧]، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩]، ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال:٢٩].

يبصرون، فكيف يقدر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مع ذلك على إسماعهم؟!!

وقد أراد الله تعالى لأولئك المكذبين المتمردين أن يمنع عنهم ألطافه وأنوار هداه؛ لأنها لا تجدي فيهم[١]، فهم عنده ضُلَّال لا يتأتى رجوعهم إلى طريق الرشاد، أما من استجاب لدعوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فإن الله تعالى قد أراد أن يمدهم بألطافه وتوفيقه، وأنوار هداه.

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ۝[٢] بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ

---

(١)- **سؤال:** كيف جاز على الله أن يمنع عنهم ألطافه وأنوار هداه، وذلك يؤدي إلى امتناعهم عن الهدى؟

الجواب: أعطى الله تعالى كل مكلف من العقل ما يهديه إلى طرق الرشاد، ويوصله إلى السعادة، وبه يميز الحسن والقبيح، والحق والباطل، والهدى والضلال، وللعقل في هذا المجال قدرة بالغة ومدى بعيد، فإن أجاب المكلف داعي الله زاده الله بصيرة في عقله، وأمده بالألطاف والمعونة، وإن أعرض لم يعطه الله شيئاً مما أعطاه المستجيب، وتركه على ما هو عليه من العقل الكافي الذي فطره الله عليه، ولو أنه رجع إلى عقله لدله على الهدى وطرق الرشاد، وليس هناك ما يمنع من رجوعه إلى الهدى، فإن معه من العقل ما يكفي. أما الألطاف والتنوير الذي يعطيه الله المستجيب فهو ثواب زائد على القدر الكافي.

(٢)-**سؤال:** هل قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ۝﴾ متعلق بقوله: ﴿أَرَأَيْتَكُمْ﴾؟ وكيف كانت: ﴿أَرَأَيْتَكُمْ﴾ بمعنى: أخبروني، وما إعرابها؟

الجواب: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ۝﴾ جوابه محذوف دل عليه: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾ والتقدير: فادعوا غيره. وكانت «أرأيتكم» بمعنى أخبروني عن طريق المجاز بوضع السبب مكان المسبب من حيث أن الرؤية سبب للإخبار عن المرئي. وإعرابها هو: الهمزة: للاستفهام، ورأيت: فعل وفاعل، والكاف: حرف خطاب جيء به مع الميم لبيان أن الفاعل جمع مذكر، وذلك لأن التاء لا تغير سواء أكان الفاعل مفرداً أم جمعاً أم مثنى، أم ذكراً أم أنثى؛ لذلك ألحقوا الكاف لبيان الفاعل فإذا كان مفرداً قيل: أرأيتكَ، أو مثنى: أرأيتكما، أو جماعة إناث: أرأيتكن.... والمعنى: أخبرني أخبروني.. إلخ.

وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴿٤١﴾﴾[١] أخبروني أيها المشركون المكذبون لو أن الله تعالى أتاكم بعذاب من عنده في الدنيا أو جاءتكم القيامة هل تستغيثون بأصنامكم وتطلبونها رفع العذاب عنكم؟ أم أنكم تدعون الله ربكم الذي خلقكم، وتسألونه كشف العذاب عنكم؟

حقاً إنكم لا تدعون إلا الله تعالى، ولا تلتفتون إلى أصنامكم؛ لعلمكم أنها لا تقدر على دفع الضر عنكم، فإذا سألتم الله ربكم فإنه يكشف عنكم عذابه حين دعوتموه؛ لعلمكم أنه وحده الذي بيده دفع الضر عنكم، فما بالكم أيها المكذبون تعرضون عمن يملك النفع والضر، وتتوجهون إلى الأصنام التي لا تملك لكم ضراً ولا نفعاً؟

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴿٤٣﴾﴾[٢] لا يكبر في نفسك يا محمد تكذيب قومك، ولا

---

(١)- **سؤال:** هل معنى «بل» حقاً أم ماذا؟

الجواب: ليس معناها حقاً، و«بل» حرف عطف للإضراب، وقد جاءت هنا للإضراب عن الكلام السابق المنفي، وعطفت عليه كلاماً مثبتاً. وقولنا في التفسير: «حقاً» إنما هو تفسير للمعنى في الجملة.

سؤال: هل «ما» في قوله: ﴿مَا تَدْعُونَ﴾ موصولة فأين العائد؟ أم مصدرية فكيف معناها؟

الجواب: «ما» موصولة، والعائد الضمير في: ﴿إِلَيْهِ﴾.

سؤال: ما السر في أنه علق كشفه للضر عنهم بقوله: ﴿إِنْ شَاءَ﴾؟

الجواب: السر في ذلك –والله أعلم– أن أفعال الله مبنية على الحكمة فإذا اقتضت حكمته تعالى كشف الضر كشفه، وإن اقتضت عدم كشفه لم يكشفه.

(٢)- **سؤال:** ما معنى «لولا» وما إعراب «إذ» ومعناها؟

الجواب: «لولا» للتحضيض، وإذا دخلت على الماضي أفادت التنديم، و «إذ» ظرف لما مضى من الزمان متعلق بـ«تضرعوا».

يتعاظم كفرهم لديك فأمم الأنبياء من قبلك قد كذبوا كما كذب قومك، وتمردوا على أنبيائهم كما تمرد قومك، وقلبنا تلك الأمم في الخير والشر[١]، والعسر واليسر؛ لعلهم يتذكرون، فلم ينفع فيهم ذلك، ولم يتنازلوا عن تمردهم وكفرهم، بل أصروا وازدادوا عتواً ونفوراً، كما ترى من قومك، فما لقيت من قومك يا محمد فقد لقي مثله الأنبياء من قبلك، ومعنى «البأساء»: الفقر وقلة المال والجدب، و«الضراء»: ضعف الأبدان والهزال والمرض .

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ[٢] فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ[٣] أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ[٤]﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴿٤٥﴾﴾[٥] فأسبلنا النعم على تلك الأمم الخالية، ثم

---

(١)-**سؤال:** يقال: ظاهر الآية أنها مؤاخذة بالبأساء والضراء فكيف؟

الجواب: هي مؤاخذة لظاهر الآية على ذنوبهم، ولكنها مؤاخذة في صالح المؤاخذين ومن أجل مصلحتهم كما قال الله في قريش: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴿٢١﴾﴾ [السجدة]، وكما قال تعالى في المنافقين: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴿١٢٦﴾﴾ [التوبة]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴿٧٦﴾﴾ [المؤمنون].

(٢)-**سؤال:** هل النسيان على حقيقته أم لا في قوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾؟

الجواب: يراد بالنسيان هنا الترك لما ذكروا به.

(٣)- **سؤال:** هل فتح الأبواب بمعنى إسبال الأرزاق والنعم؟

الجواب: هو بمعنى إسبال الأرزاق والأموال وأصناف النعم.

(٤)- **سؤال:** ما معنى «حتى»؟ وما إعراب ﴿بَغْتَةً﴾ وقوله ﴿فَإِذَا...﴾؟

الجواب: معنى «حتى» الغاية، وتعرب هنا ابتدائية، و﴿بَغْتَةً﴾ مفعول مطلق مبين للنوع. ﴿فَإِذَا﴾: الفاء سببية عاطفة، وإذا: هي الفجائية وهي حرف عند الكوفيين وظرف عند سيبويه والبصريين منصوب بالخبر ﴿مُبْلِسُونَ﴿٤٤﴾﴾ أي: أبلسوا وقت مجيء العذاب.

(٥)- **سؤال:** ما الوجه في عطف الجملة الاسمية ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴿٤٥﴾﴾ على التي قبلها مع أنها فعلية؟

=

أخذناهم بعذابنا واستأصلناهم بنقمتنا.

فاصبر يا محمد حتى يأتي أمر الله تعالى وعذابه على المكذبين من قومك، فسيقطع الله تعالى دابر المكذبين كما قطع دابر تلك الأمم المكذبة، وبقطع دابر القوم الظالمين تتم نعمة الله تعالى على أنبيائه وعلى المؤمنين، فإذا حصل ذلك فأكثروا من الحمد لله والثناء عليه.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴿٤٦﴾﴾(١) أخبروني أيها المشركون لو أن الله سبحانه وتعالى أخذ سمعكم فلا تسمعون، وسلب أبصاركم فلا تبصرون، وغطى على قلوبكم فلا تفقهون، هل تقدر تلك الأصنام التي تعبدونها أن ترد عليكم أسماعكم وأبصاركم؟ أم أنه لا يقدر على ذلك إلا ربكم الرحمن، الذي خلقكم وجعل لكم السمع والأبصار؟ فما بالكم تعرضون عن عبادة خالقكم الذي أنعم عليكم بالأسماع والأبصار، وتُقْبِلون على عبادة الأصنام التي لا تقدر على نفعكم ولا ضركم؟

فاعجب يا محمد من سخافة عقولهم كيف نوضح لهم آياتنا ثم يعرضون؟!

الجواب: هو أن الله تعالى يستحق الثناء الحسن والشكر على الدوام وفي كل وقت وحين في الماضي والحال والاستقبال؛ فلزم الإتيان بالاسمية لأنها هي التي تفيد ذلك دون الفعلية، ومراعاة المعاني أولى من مراعاة الألفاظ بل إنه الواجب.

(١)-**سؤال:** لماذا نكر قوله: ﴿إِلَٰهٌ﴾؟ وما إعراب جملة: ﴿يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾؟

الجواب: جاء نكرة لقصد التعميم، ثم الاستثناء ليحصل الحصر والقصر. وجملة ﴿يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾ صفة لإله، وهي في محل رفع.

سؤال: ما معنى تصريف الآيات؟ وهل ﴿يَصْدِفُونَ﴾ بمعنى يعرضون؟

الجواب: تصريف الآيات هو تنويعها، و﴿يَصْدِفُونَ﴾ بمعنى يعرضون وينأون عن طريق الرشاد.

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴿٤٧﴾﴾(١) إن عذاب الله تعالىٰ إذا نزل فلا يصيب به إلا القوم الظالمين، أما المؤمنون الذين استجابوا لربهم فهم في منجاة وأمن لا يلحقهم شيء من ذلك العذاب.

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴿٤٩﴾﴾(٢) أخبر الله تعالىٰ أنه لا يرسل رسله إلىٰ عباده إلا ليخبروهم بما أعده الله من الثواب للمؤمنين الذين يعملون الصالحات في جنات النعيم، وليخبروا الظالمين المتمردين بما أعد الله تعالىٰ لهم إن أصروا علىٰ كفرهم وتمردهم من العذاب الأليم(٣).

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾؟ وهل معنىٰ «هل» في الآية معنىٰ «ما» النافية؟

الجواب: ﴿بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾ مفعول مطلق، وهذا أولىٰ من جعلهما حالين. و«هل» معناها النفي بدليل الاستثناء.

(٢)-**سؤال:** ما المراد بقوله: ﴿وَأَصْلَحَ﴾ في الآية؟

الجواب: المراد أصلح عمله ونيته واستقام علىٰ طاعة ربه.

سؤال: لماذا عبر الله بقوله: ﴿يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ﴾ فظاهره التهوين في عذابهم؟

الجواب: إذا كانت يد العذاب هي التي تمسهم فلا تهوين، جعل العذاب في هذا التعبير حياً ليصور بهذا التعبير أن للعذاب قصداً وإرادة في تعذيب أهل العذاب، وإذا كان العذاب هو نار جهنم فإنها تباشر بحريقها جلود أهل النار، ويلتصق لظاها بأجسامهم فهذا هو معنىٰ: يمسهم العذاب، وكما ترىٰ فليس تهوين عذابهم، بل إن فيه تهويل عذابهم وتعظيمه.

سؤال: هل «ما» في قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴿٤٩﴾﴾ مصدرية؟

الجواب: «ما» مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر أي: بفسقهم.

(٣)-**سؤال:** هل تريدون أنه من باب التوزيع وأن قوله ﴿فَمَنْ آمَنَ﴾ يعود إلىٰ التبشير، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ يعود إلىٰ الإنذار؟

الجواب: نعم ذلك من باب التوزيع والتفريع، والفاء هي التي تسمىٰ التفريعية.

﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴿٥٠﴾﴾[١] قل يا محمد لقومك المكذبين إنما أنا واحد منكم وبشر مثلكم لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً ولا أتصرف في شيء من خزائن السماوات والأرض، ولا أعلم شيئاً من أمور الغيب، ولست ملكاً من الملائكة، وقل لهم أيضاً: إن الله تعالى أوحى إلي بالرسالة لأبلغكم إياها وأقرأها عليكم فما أنا إلا متبع لما يوحى إليَّ فقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم وأديت رسالة ربي إليكم فلا عذر لكم عند الله تعالى يوم القيامة، ولكنه لا ينتفع بتذكيري ورسالتي إلا ذوو البصر والبصيرة، أما العمي فإنهم لا يبصرون ولا يهتدون، فما لكم أيها المشركون لا تتدبرون رسالتي إليكم، ولا تتفكرون فيما أوحاه الله تعالى إليكم.

﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴿٥١﴾﴾[٢] توخى يا محمد في تذكيرك المؤمنين الذين يخافون الآخرة[٣] فإنهم هم الذين ينتفعون بتذكيرك ويصغون إلى تلاوتك؛ لأنهم مؤمنون

---

(١)-**سؤال:** ما المراد بالاستفهام: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾؟ وهل في الآية دليل على أن الملائكة أفضل من الأنبياء؟

الجواب: المراد بالاستفهام النفي أي: ما يستوي الأعمى والبصير، أي: المهتدي والضال، وفي الآية دليل على أن الملائكة أفضل من الأنبياء وذلك دليل واضح.

(٢)-**سؤال:** ما موضع جملة: ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ الإعرابي؟

الجواب: الجملة في موضع نصب على الحالية من فاعل ﴿يُحْشَرُوا﴾.

(٣)- **سؤال:** مفهومه أنه لا ينذر من لا يخاف الآخرة فهل يعمل بهذا المفهوم؟ وهل يؤخذ منه أن التأثير شرط معتبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

الجواب: أمر الله تعالى نبيه بأن ينذر الذين يخشون أن يحشروا بعد أن آيسه الله من إسلام قريش في الآيات السابقة، وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد أنذرهم وبالغ في ذلك وأجهد نفسه، ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ

=

بالله تعالى ولا يشركون به غيره ويؤمنون بأنه ليس مع الله تعالى شريك، ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه.

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴿٥٢﴾﴾(١) واحذر يا محمد أن تستجيب للمشركين فيما دعوك إليه من طرد المساكين عن مجلسك وإبعادهم عن قربك، وإنما طلب المشركون طرد المساكين تعنتاً عليك وتمرداً على الله تعالى، وحسابك وحسابهم على الله تعالى، فكل منكم مسؤول يوم القيامة عن عمله، وسيلقى جزاءه.

وأنك إن طردتهم ستكون عند الله تعالى من جملة الظالمين، وهذا التحذير موجه

عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴿٣٥﴾﴾ [الأنعام]، لذلك فلا يعمل بهذا المفهوم. ويؤخذ منها أن شرط التأثير معتبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن بعد تعريف المأمور والمنهي بحكم ما يفعله إن كان جاهلاً، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴿٩﴾﴾ [الأعلى].

(١)-**سؤال:** كيف كان عدم تحملهم لشيء من حساب النبي ﷺ علة في طردهم حتى قال: ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ﴾ بنصب الفعل؟

الجواب: أفادت الآية أن طردهم معلل بما ذكرتم، وذلك لأن طردهم يكون لمصلحة المطرودين، فيحسن من الرجل المصاب بمرض معدي أن يطرد من أتى ليجلس عنده؛ لئلا يصاب بعدوى مرضه، بل إنه يلام إذا لم يطرد جليسه أو لم يحذره.

سؤال: لماذا نهي عن طردهم وقد يكون هناك مصلحة في الاهتمام بكبرائهم إذا خلوا عن مجلسه ﷺ؟

الجواب: نُهيَ ﷺ عن ذلك لأن الله لا يحب الكبر والمتكبرين، ولا يريد من رسوله ﷺ أن يجعل للكبر وأهله مكانة ومقاماً يميزهم به عن غيرهم، ويرفع قدرهم فوق قدر المؤمنين، وفوق مكانتهم الرفيعة.

للنبي ﷺ والمراد به المشركون، فإنهم إذا سمعوا هذا التحذير اقتنعوا وأيسوا من استجابة النبي ﷺ فيما طلبوا.

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ۝٥٣﴾ إن الله تعالى بعلمه وحكمته رفع بعض الناس على بعض في الدنيا، وفضل بعضهم على بعض من أجل أن يختبرهم ليتبين المطيع من العاصي[1].

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ۝٥٤﴾[2] إذا أقبل إليك يا محمد المؤمنون فاستبشر بإقبالهم، وادع لهم بالسلامة

---

(١)-**سؤال:** هل المراد بالعاصي الذي لا يرضى بقسمة الله؟ أم ماذا؟

الجواب: رفع الله تعالى بعض الناس على بعض فرفع الله تعالى شرف نبيه محمد ﷺ فوق كل شرف، ورفع المؤمنين فوق شرف الكافرين، و... إلخ؛ للاختبار الذي به يظهر ويتميز المتواضع لله الذي يسمع ويطيع ربه من المتكبر الذي يأنف من قبول حكم الله، ويترفع من الرضا به.

(٢)-**سؤال:** لماذا نكر لفظة ﴿سَلَامٌ﴾ في قوله: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾؟

الجواب: نكر ليفيد تعظيم السلام، وتعظيمه هو من حيث كونه للسلامة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

سؤال: هل قوله: ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ﴾ بدل من قوله ﴿الرَّحْمَةَ﴾؟

الجواب: ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ...﴾ بفتح همزة «أن» بدل من ﴿الرَّحْمَةَ﴾.

سؤال: من أين أخذ أهل المذهب أن الإصلاح أن لا يتوب من ذنب دون ذنب؟ ولو فسرتم الجهالة في الآية فالمرشد ولا بحاجة معرفتها؟

الجواب: أخذوا ذلك من قوله: ﴿وَأَصْلَحَ﴾ أي: أصلح عمله، فمن تاب من ذنب دون ذنب غير مصلح لعمله، والوعد بالمغفرة مشروط بالتوبة وإصلاح العمل، وإصلاح العمل هو فعل الواجبات وترك المحرمات. وقوله: ﴿عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ﴾ أي: أقدموا على معصية الله مع علمهم بأنها معصية، ومع معرفتهم بأن الله تعالى يعاقب من فعلها، فمن =

والتوفيق، وانبسط إليهم، وبشرهم بما أعد الله تعالىٰ لهم من رحمته الواسعة، ومن عفوه ومغفرته، وأنه تعالىٰ يغفر لأهل الذنوب إذا تابوا وأصلحوا ورجعوا إليه، ولا يؤاخذهم بها، رحمة منه تعالىٰ بهم وإحساناً إليهم.

﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾[1] إن الله سبحانه وتعالىٰ قد فصل للناس فيما أوحاه إلىٰ رسوله ﷺ من القرآن آياته وبينها وأوضحها؛ لأن يهدي بها عباده ويوصلهم بها إلىٰ دار ثوابه، ومن أجل أن تتضح طرق الضلال؛ ليحذرها الناس.

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[2] كان المشركون يحاولون أشد المحاولة لرد رسول الله ﷺ إلىٰ دينهم، وترك ما جاء به من الرسالة، فأمر الله تعالىٰ رسوله ﷺ أن يقول للمشركين: إن ما تريدونه أيها المشركون مني لا يكون أبداً؛ لأن الله تعالىٰ نهاني أن أعبد الأصنام التي تعبدونها، ولا أتبع شرائعكم التي شرعتموها بأهوائكم؛ لأن من اتبعها في ضلال عن الهدىٰ.

أقدم علىٰ معصية الله كذلك فإنه يسمىٰ جاهلاً وأحمق، وسمي جاهلاً لأن من شأن العاقل أن لا يقدم علىٰ فعل وهو يعلم أن في عمله ضرراً عظيماً.

(١)-**سؤال:** ما إعراب ﴿كَذَلِكَ﴾؟ وعلام عطف قوله: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾؟

الجواب: «كذلك» جار ومجرور صفة لمصدر محذوف، حذف المصدر وأقيم الجار والمجرور مقامه، والفعل المؤكد هو ﴿نُفَصِّلُ﴾، والتقدير: نفصل الآيات تفصيلاً كذلك التفصيل.

﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ معطوف علىٰ مقدر، أي نفصل الآيات لكذا وكذا، ولتستبين سبيل المجرمين.

(٢)-**سؤال:** لماذا فصلت جملة «قل» الثانية عن الأولىٰ؟

الجواب: فصلت لأنها بمنزلة التأكيد لجملة «قل» الأولىٰ حيث أن المعنىٰ واحد في الجملتين.

﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ[١] مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ[٢] الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ۝٥٧ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ۝٥٨﴾ وقل لهم يا محمد: إنك على طريق واضح من الهدى قد بينه الله تعالى لك وأوضحه بالبراهين القاطعة والحجج المنيرة، وكذبتم به مع وضوح الحجة والبرهان، فكيف تطلبون مني أن أترك ذلك، وأعدل إلى دينكم الذي افتريتموه من تلقاء أنفسكم ليس عليه حجة بينة ولا آية واضحة؟

وقد كان المشركون طلبوا من النبي ﷺ أن يعجل لهم العذاب الذي أنذرهم به وحذرهم حلوله بهم؛ تعنتاً منهم وتكذيباً، فأمره الله تعالى أن يجيب عليهم بأن تعجيل العذاب ليس بيده، ولا تحت مقدرته، وأن أمر ذلك إلى الله تعالى وحده، وتحت مشيئته وسلطانه، وهو القادر عليه وحده، والحكم له وحده، وسيحكم بيني وبينكم بحكمه الحق، وهو خير الحاكمين، لا يظلم مثقال ذرة، ولو كان العذاب في يدي أيها المكذبون لأخذتكم به وعجلته لكم، وقضيت عليكم وعلى شرككم، والله سبحانه وتعالى هو عالم بما تستحقونه من العذاب، وسينزله بكم في وقته.

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ[٣] لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا

---

(١)-**سؤال:** الضمير في «به» في قوله: ﴿وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾ إلام يرجع؟ إن كان إلى البينة فلماذا ذكَّره وهي مؤنثة؟

الجواب: الضمير في «به» عائد إلى «ربي» في قوله: ﴿إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾.

(٢)- **سؤال:** ما محل جملة: ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ﴾؟ وما المراد بقص الحق؟

الجواب: ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ﴾ جملة حالية في محل نصب من لفظ الجلالة، ومعنى ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ﴾: يتبع الحكمة والحق، فكل أفعاله تعالى وأحكامه مبنية على الحكمة والحق، ويقص: من قص الأثر أي تتبعه.

(٣)- **سؤال:** ما هي مفاتح الغيب؟ وما نوع اسميتها؟ وما وجه إطلاق الكتاب على علم الله؟

=

تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا(١) وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴿٥٩﴾﴾ يختص الله سبحانه وتعالىٰ بعلم الغيب فهو عالم سبحانه وتعالىٰ بما تجهلون أيها الناس من الأمور المستقبلة الذي يأتي بها الزمان المستقبل، وعالم بما غاب في السماوات، وبما غاب في باطن الأرض، وبما غاب في البحار، وما غاب في صدور الناس، وبما غيبته الحجب والأستار، وبما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار، وعالم بما غاب في القرون الماضية، وهو عالم سبحانه بما كان، وما سوف يكون، وما هو كائن، لا تخفىٰ عليه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماوات، ولا يتحرك متحرك، ولا يسكن ساكن فيما مضىٰ وفي الحال وفي الاستقبال إلا وهو عالم به، ولا تسقط ورقة من شجرة إلا وهو عالم بسقوطها ومكان سقوطها وبمصيرها، ولا حبة في ظلمات الأرض إلا وهو عالم بها، وما يسقط من رطب ولا يابس في السماوات ولا في الأرض إلا وهو عالم به، لا يغيب عن علمه شيء.

﴿وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴿٦٠﴾﴾ إن الله سبحانه وتعالىٰ هو الذي يتوفاكم ويأخذ أرواحكم في الليل وأنتم نائمون في مراقدكم لا تملكون لأنفسكم نفعاً ولا ضراً، ويعلم سبحانه وتعالىٰ ما تعملونه بجوارحكم في النهار، وبقدرته تعالىٰ وبعلمه وحكمته بعثكم من نومكم(٢)، ورد

الجواب: شبه الغيب بالمخازن تشبيهاً مضمراً في النفس، والمفاتح استعارة تخييلية وهي قرينة التشبيه المضمر، ولا يخفىٰ أن الذي بيده مفاتح المخازن يكون عالماً بما فيها، ومفاتح: جمع مفتح، والمراد أن الله تعالىٰ عالم بالمغيبات، وأطلق الكتاب علىٰ علم الله لأن المعلومات تكتب -لحفظها- في كتاب.

(١)-**سؤال:** ما محل جملة ﴿يَعْلَمُهَا﴾ في قوله: ﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾؟

الجواب: جملة ﴿يَعْلَمُهَا﴾ في محل نصب حال من ورقة، وجاز ذلك لوجود المسوغ وهو النفي.

(٢)-**سؤال:** ما وجه تسمية رد الأرواح بعثاً؟ وإلىٰ أين يرجع الضمير: ﴿يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾؟

الجواب: سمى ردها بعثاً لأنه سمى النوم وفاة «موتاً»، ويعود الضمير «فيه» إلىٰ النهار.

إليكم أرواحكم ليمتعكم في الحياة الدنيا إلى أن يحين أجل الموت الذي كتبه لكم، فإذا حضر الأجل أخذ أرواحكم، ثم بعد ذلك يبعثكم من قبوركم للحساب والجزاء الذي أنذركم به، وحذركم من القدوم عليه، وهناك سيلقى كل مكلف جزاء عمله.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ۝٦١ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ۝٦٢﴾ إن الله سبحانه وتعالى هو القاهر بقدرته وسلطانه لجميع مخلوقاته، فلا يظن المشركون أنهم في مأمن من أخذه، وملائكته تحفظ عليهم أعمالهم(١) وتحصي حركاتهم وسكناتهم، وكل ما نطقت به ألسنتهم؛ فإذا جاءت آجالهم التي كتبها الله تعالى على كل واحد منهم انتزعت ملائكة الموت أرواحهم كما أمرهم الله تعالى لا يفرطون ولا يقدمون ولا يؤخرون، ثم يردون بعد الموت إلى ربهم الحق الذي كانوا يشركون به ليحاسبهم على كل صغير وكبير من أعمالهم، وهو الحاكم وحده يوم القيامة، والأمر له كله.

ولا تستبعدوا ذلك أيها المشركون فإنه حين يحل بكم ستعلمون أنه قريب، وتقولون: ما أسرع قدوم هذا اليوم الذي كنا نستبعده(٢)، وكأنهم لم يلبثوا إلا عشية

---

(١)- **سؤال:** هل يصح أن تحمل الحفظة على ملائكة يحفظونه من أسباب الموت ونحوه أم لا؟ وما إعراب ﴿مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾؟

الجواب: الأولى أن الحفظة هم الذين يحصون أعمال المكلفين ويسجلونها لقوله: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ فقوله: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ يفيد ما ذكرنا، ولو كان المراد الحفظ من أسباب الموت لقال: ويرسل لكم حفظة، ثم إن سياق الآية يرشد إلى ما ذكرنا: ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ۝٦٢﴾. و﴿مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾ صفتان تابعتان للفظ الجلالة.

(٢)-**سؤال:** إذا قيل: ظاهر الآية أنه في سرعة إجراء الحساب، فكيف يتوجه الكلام؟

الجواب: ما ذكرنا هو أحد التفاسير التي يذكرها المفسرون، والمناسب للتخويف هو ما ذكرنا أي أن =

أو ضحاها؛ وقد سئل أمير المؤمنين عليه السلام: كيف يحاسب الله تعالى الخلائق يوم القيامة في وقت واحد؟ فأجاب عليه السلام: (كما يرزقهم في وقت واحد كذلك سيحاسبهم).

﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۝٦٣ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ۝٦٤﴾[1] إنكم أيها المشركون تعلمون أن الله سبحانه وتعالى هو الذي ينجيكم من المهالك التي تلقاكم وأنتم على ظهر البحر والأمواج تحيط بكم، وينجيكم من المهالك التي تلقاكم في متاهات البر، ويخلصكم منها، تدعونه حينئذٍ فيجيبكم، فما هو الذي صرفكم عن عبادته إلى عبادة الأصنام التي لا تنفعكم؟ وتعلمون أنها لا تملك النفع لكم، ولا تستطيع دفع المهالك عنكم.

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ۝٦٥﴾[2] تظنون أيها المشركون أنكم إذا خرجتم من مهالك

الحساب آت لا محالة، وكل آت قريب فاحذروا، أما سرعة إجراء الحساب بين الخلائق يوم القيامة فليس فيه من التخويف مثل ما ذكرنا من حيث أن التخويف بسرعة الحساب أو ببطئه سواء. **هذا**، ولا محذور في التفسير بالأمرين أي سرعة مجيئه وسرعة إجرائه بين الخلائق.

(١)-**سؤال:** ما المقصود بظلمات البر والبحر؟ ولماذا سميت ظلمات؟

الجواب: المقصود مخاوف البر والبحر وشدائدهما التي يشرفون فيها على الهلاك، وسميت ظلمات لأنهم لا يهتدون إلى كيفية الخروج من الأهوال والمخاوف إلا بالدعاء الخالص لله.

سؤال: ما محل جملة ﴿تَدْعُونَهُ﴾؟

الجواب: هي في محل نصب حال من الكاف في ﴿يُنَجِّيكُمْ﴾.

(٢)-**سؤال:** ما معنى: ﴿يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ وكيف جاز نسبته إلى الله سبحانه وتعالى؟

الجواب: المعنى: يخلطكم فرقاً مختلفة الأهواء والمذاهب كل فرقة تكره الأخرى وتعاديها. وجاز نسبة =

البحر وأمواجه إلى البر أنكم قد أصبحتم في مأمن، فعدتم إلى الشرك بعد إخلاص الدعاء لله تعالى في البحر، فلا تظنوا ذلك فإن قدرة الله تعالى محيطة بكم حيثما كنتم، فهو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من السماء يستأصلكم به، أو يخرج عليكم عذاباً من باطن الأرض يأخذكم به، أو يسلط بعضكم على بعض بالقتل حتى يستأصلكم؛ فتعجب منهم يا محمد، وانظر إلى سخافة عقولهم كيف وضحنا لهم الحق، وكشفنا لهم عن سبيله، وبيناه بالحجج والبراهين من أجل أن يعرفوا الحق ويفهموه، ولكنهم مع كل ذلك أعرضوا وتمردوا، بعدما استحكمت معرفتهم به.

﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ۝٦٦ لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٦٧﴾[1] إن قومك يا محمد قد كذبوا بما جئتهم به من عند الله تعالى

ذلك إلى الله تعالى لأن المخاطبين قد استحقوا في حكم الله العذاب، وله جل وعلا أن يأخذهم بعذاب من عنده أو أن يسلط بعضهم على بعض، ولا شبهة في جواز أن يفعل الله أي الأمرين شاء بمن استحق العذاب، وبعد فقد أمر الله المؤمنين على عهد رسول الله ﷺ بقتال طوائف من أهل الكفر.

سؤال: ما معنى ﴿نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾؟

الجواب: نكررها أي: يأتي بها مرة بصورة دليل عقلي، ومرة بصورة التنبيه، وأخرى بالتذكير، ومرة بالترغيب، ومرة بصورة ترهيب، وأخرى...إلخ.

(١)-**سؤال:** إلام يعود الضمير: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ﴾؟ وهل سبق له ذكر؟

الجواب: يعود الضمير إلى العذاب المذكور في الآية التي قبلها، أو إلى القرآن الذي يدل ذكر آياته ووعيده على ذكره.

سؤال: ما معنى «مستقر» في قوله: ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ حسب أصل اللغة؟

الجواب: الصيغة موضوعة وضعاً نوعياً صالحة في وضعها أن تستعمل اسم مفعول أو اسم زمان أو اسم مكان أو مصدراً، وهي هنا اسم زمان، والمعنى أن لكل نبأ أخبر الله به من وعد ووعيد وغير ذلك زمناً يحصل فيه ويتحقق ما أخبر به أي أن ما يخبر الله به حق =

مع أنه حق واضح لا غموض فيه ولا التباس، فلا عذر لهم عنده تعالى، وقد بلغت رسالة ربك إليهم أكمل تبليغ، وما عليك إلا البلاغ، وليس عليك أن يهتدوا ويستجيبوا لدعوتك ورسالتك، وقل لهم إنك لست موكلاً عليهم تحصي عليهم أعمالهم، وتحاسبهم عليها.

وما جاءكم به الرسول ﷺ من أخبار القيامة والجزاء والحساب، وما وعدكم به من العذاب سيتحقق على حسب ما أخبركم به، وستعلمون صدقه حين لا ينفعكم العلم والتوبة.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ لا تجلس يا محمد عند القوم الذين يكذبون بآيات الله تعالى ويستهزئون بدينه، ولا تقعد عندهم في حال حديثهم وابتعد عنهم واهجرهم ما داموا في حديث التكذيب والاستهزاء والسخرية من الدين، فإذا دخلوا في حديث آخر ليس فيه استهزاء ولا تكذيب بالدين فلا حرج عليك في القعود معهم والجلوس عندهم[1]، وإذا نسيت ما أمرناك به من الابتعاد عن الخائضين في التكذيب فقعدت معهم فإذا ذكرت أمر ربك ونهيه لك فابتعد عنهم وأعرض عنهم.

وصدق، ولا بد أن يقع تصديق ذلك حسب ما أخبر به.

(١)-**سؤال:** كيف يجمع بين جواز الجلوس معهم إذا خاضوا في غير التكذيب وبين النهي عن مجالسة الفاسق؟

الجواب: الجمع هو بأن يقال: جواز الجلوس مع الظالمين المصرين على ظلمهم هو في حال التذكير لهم والترغيب في الهدى أو للإصلاح أو لمصلحة خاصة أو عامة أو نحو ذلك. والتحريم هو أن لا يكون الجلوس لنحو ما ذكرنا بل للرغبة في مجالستهم ومسامرتهم ومضاحكتهم. ودليل ذلك أن رسول الله ﷺ كان يذهب إلى مجالس المشركين لتذكيرهم وترغيبهم في الإسلام، وكان ﷺ يسير لحاجته لنحو بيع وشراء وقضاء واستقضاء، ولعقد صلح و.. إلخ.

﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴿٦٩﴾﴾ وليس على الذين يطيعون الله تعالىٰ فيما أمرهم، ويتقون ما نهاهم عنه أي ذنب ما داموا مطيعين لله تعالىٰ ومتقين له، ولا تتعدىٰ ذنوب المكذبين إلىٰ المتقين ولا تتجاوزهم إليهم، ولكن عليهم أن يذكروهم ويعظوهم ليتذكروا ويتعظوا.

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴿٧٠﴾﴾(١) لا يهمنك يا محمد ما تراه من استرسال قومك في التكذيب والاستهزاء والتمرد على الله تعالىٰ فقد بلغتهم ما أمرك الله بتبليغه من الرسالة، وليس عليك أن يؤمنوا، فدعهم فيما هم فيه، وربك هو الذي سيتولىٰ جزاءهم.

وذكر بآيات القرآن وبما أوحىٰ الله تعالىٰ إليك إعذراً وإنذاراً قبل أن يقعوا في الهلكة، ويحيط بهم العذاب، يوم لا ينفع مال ولا بنون، ولا تنفع الشفاعة ولا الفدية، هنالك يسلمون إلىٰ الهلكة، ويستولي عليهم عذاب الله تعالىٰ وسخطه في عذاب جهنم خالدين، شرابهم الحميم جزاءً علىٰ كفرهم وتكذيبهم بآيات الله تعالىٰ ورسوله.

---

(١)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾ وما معناها؟ وهل يصح أن يكون معناها: تحبس في النار؟

الجواب: قد أعربت ﴿أَنْ تُبْسَلَ﴾ مفعول من أجله علىٰ تقدير: مخافة أن تبسل، وأن والفعل في تأويل مصدر مجرور بالإضافة أو منصوب علىٰ نزع الخافض، وقد ذكروا في معنىٰ «تبسل»: أن تُسْلَمَ للهلكة، أن تحبس، أن تفضح، أن تؤخذ بما كسبت، أن تجزىٰ، أن ترتهن، وكلها متقاربة المعنىٰ.

سؤال: ما محل جملة: ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ﴾؟ وما معنىٰ: ﴿وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾؟

الجواب: الجملة في محل رفع صفة لنفس، ﴿وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ وإن تفد كل فداء والعدل الفدية سميت عدلاً لأن المفدىٰ يُعْدَلُ بمثله من المال.

﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ(١) لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ۝٧١﴾(٢)

كيف تدعوننا أيها الكفار إلى عبادة الأوثان التي لا تنفع ولا تضر؟ ونترك عبادة الله تعالى الذي خلق السماوات والأرض وخلقنا، وبيده حياتنا وموتنا، وهو على كل شيء قدير؛ أتريدون أن نترك الهدى بعد أن دخلنا فيه واستوضحت لنا سبله؟ فنكون كالسائر في التيه، تستغويه الشياطين وتبعده عن الطريق(٣)، فهو في ضلاله متحير، وله أصحاب ينادونه ليرجع إلى الطريق فلا يقدر أن يهتدي إليها.

واعلموا أيها المشركون أن الهدى الحق هو الهدى الذي أرسلني به الله تعالى إليكم دون ما أنتم عليه من الشرك، وقد أمرنا الله تعالى أن نستجيب لطاعته، ونستسلم

---

(١)- **سؤال:** ما إعراب ﴿حَيْرَانَ﴾ و﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ﴾؟

الجواب: «حيران» منصوب على الحالية من ضمير المفعول في ﴿اسْتَهْوَتْهُ﴾ و﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ﴾ حال ثانية من ضمير المفعول، و﴿يَدْعُونَهُ﴾ في محل رفع صفة لأصحاب.

(٢)- **سؤال:** هل المراد بالهدى الاهتداء في الطريق الحقيقية؟ وهل معنى: ﴿ائْتِنَا﴾ هلم إلينا؟

الجواب: المراد بالهدى هو الاهتداء في الطريق، ومعنى ﴿ائْتِنَا﴾ هلم إلينا، تعال إلينا.

سؤال: كان مقتضى النظم: «وأمرنا بأن نسلم» فلماذا عدل إلى «لنسلم»؟

الجواب: اللام هي لام التعليل والمعنى أن الله تعالى أمرنا بما أمرنا به من الأحكام لكي نكون مسلمين.

(٣)-**سؤال:** هل المثل حقيقي: «تغولته الغول»، وأن الشياطين تغوي الإنسان عن الطريق؟

الجواب: يأتي الشيطان الإنسان السائر لوحده في طريق بوساوس يشغله بها عن تعرف المغاوي والحذر منها فيقع بسبب تلك الوساوس في المغاوي والضلال، فمن هنا يصح القول إن الشياطين أغوته عن الطريق وأوقعته في الضياع ويكون قولهم: «تغولته الغول» حقيقياً، أي: بواسطة الوساوس والتشويش بها على السائر في الطريق، وليس للشيطان «الغول» عمل سوى الوسوسة والتشويش بها على الذهن.

لأمره، فلا يسعنا الخروج عن طاعة الله وهداه، ولا تطمعوا في ذلك منا.

﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٧٢﴾[١] وأمرنا سبحانه وتعالى بإقامة الصلاة، وأن نحذر مخالفته وعصيانه، وأخبرنا بأن مرجعنا إليه في يوم القيامة للحساب والجزاء.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ[٢] يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۝٧٣﴾ إن الله تعالى خلق السماوات والأرض وما بينهما لغرض عظيم وحكمة بالغة وذلك ليرتب على خلقهما الثواب والعقاب في يوم القيامة، وليس الأمر كما تظنونه أيها المشركون أن الحياة الدنيا تنتهي بالموت وليس بعدها لا جزاء ولا حساب، ولا بعث ولا نشور، وذلك وعد من الله تعالى حق لا ريب فيه وليس بعسير عليه

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿أَنْ أَقِيمُوا﴾؟

الجواب: أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالعطف على ما دخلت عليه اللام.

(٢)-**سؤال:** ما هو العامل في ﴿يَوْمَ﴾؟ وما هو الذي عطف بالواو في قوله : ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ...﴾؟

الجواب: يوم: ظرف زمان متعلق بمحذوف خبر مقدم، و﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ مبتدأ مؤخر، والمعطوف بالواو وهو الجملة المكونة من المبتدأ والخبر ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ﴾ جملة معطوفة على الجملة التي قبلها، و﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ خبر مبتدأ محذوف، وهاهنا جمل متعاطفة هي كما يلي:

- الله وحده هو الذي خلق السموات والأرض لأمر عظيم ولحكمة بالغة.
- وقضاء الله تعالى قضاء حق حين يقضي بالبعث والقيامة.
- وله وحده الملك في يوم البعث والحساب.
- وهو سبحانه وتعالى عالم الغيب والشهادة لا تخفى عليه خافية من أعمال الخلق ما ظهر منها وما خفي وما كبر وما صغر.
- وهو تعالى الحكيم الذي لا يحكم إلا بالحق والعدل «الخبير» المطلع بعلمه على السرائر والضمائر لا تخفى عليه خافية يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

تعالىٰ، فإنه إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون، وكل ما أتاكم الله تعالىٰ به من الوحي والقرآن فهو حق وحقيقة فسيبعث الله تعالىٰ الناس جميعاً، ويحشرهم يوم القيامة لا يغادر منهم أحداً، ولا ينسىٰ؛ لأنه عالم الغيب والشهادة، لا تخفىٰ عليه خافية في الأرض ولا في السماء، بذلك قضت حكمته، وهو المطلع علىٰ ما ظهر وما بطن.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾(١) لا يكبر في نفسك يا محمد ما تلقاه من المشركين من التكذيب لآيات الله تعالىٰ والكفر به فقد لقي أبوك إبراهيم ﷺ مثل ما لقيت من التكذيب والعناد حتىٰ من أقرب أقاربه وهو أبوه، حين دعاهم إلىٰ الإيمان بالله تعالىٰ وترك عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، وبيَّنَ لهم طريق الهدىٰ والدين الحق، وبيَّن أن ما هم عليه من الشرك ضلال مبين، فلم يستجيبوا له، وكذبوا به، وتمردوا عليه، ثم أجمعوا علىٰ تحريقه بالنار.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾(٢) إن الله سبحانه وتعالىٰ وضح لإبراهيم وأراه آيات عظمته وجلاله،

---

(١)- **سؤال:** هل لتنكير المفعولين: ﴿أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ علة أو نكتة؟

الجواب: التنكير قد يفيد هنا التحقير.

سؤال: يقال: إن فائدة ذكر اسم الأب «آزر» ليعلم أنما هو أخو أبيه «عمه» فما رأيكم؟ أو ترونه أباه حقيقة؟

الجواب: الظاهر أن آزر أبو إبراهيم عليه السلام الحقيقي: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ [التوبة:١١٤]، ﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي﴾ [الشعراء:٨٦]، ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ [الممتحنة:٤]، ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ... يَاأَبَتِ... يَاأَبَتِ... يَاأَبَتِ﴾ [مريم:٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥]، وغير ذلك، وظاهر الإطلاق الحقيقة، وكثرة ذلك في القرآن يقوي الظاهر. ولا نقص في مكانة إبراهيم عليه السلام بكفر أبيه ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام:١٦٥]، كما أنه لا نقص علىٰ نوح عليه السلام بكفر ابنه.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ وحَلُّ معناها؟

=

وآيات قدرته وعلمه، ودله على سبل المحاججة وقوة البيان، وتماماً كما فصل الله سبحانه وتعالى من بيان محاججة إبراهيم لقومه في هذه الآيات؛ ليحمله رسالته إلى قومه(١)، ولينذرهم بما أوحاه إليه، وليكون إبراهيم عليه السلام على يقين من دينه وإيمانه.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ(٢) بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي(٣) فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي

الجواب: ﴿كَذَلِكَ﴾ أعربت مبتدأ أي: مثل ذلك التعريف الذي عرفناك يا محمد عرفنا إبراهيم.. أي: أن الكاف مبتدأ بمعنى مثل. وقد أعربت ﴿كَذَلِكَ﴾ مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف مقدر قبلها، وأيضاً مفعولاً مطلقاً للفعل الذي بعدها.

سؤال: ما معنى ﴿مَلَكُوتَ﴾؟ ومم أخذت؟

الجواب: ﴿مَلَكُوتَ﴾ الملك العظيم، وهو مأخوذ من الملك بزيادة الواو والتاء لإفادة أنه عظيم.

(١)- **سؤال:** هل مرادكم أن قوله: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ معطوف على محذوف تقديره ما ذكرتموه: ليحمله رسالته.. إلخ؟

الجواب: المراد هو ذلك لأن العطف يدل على أن ثمة معطوفاً عليه.

(٢)-**سؤال:** لماذا ذكّر الصفة ﴿بَازِغًا﴾ مع القمر، وأنثها مع الشمس، وكلاهما مؤنث؟

الجواب: لفظ القمر مذكر ولفظ الشمس مؤنث بدليل: **﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ...﴾** [يس:٣٩]، **﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا...﴾** [يس:٤٠]، **﴿وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾﴾** [القمر]، **﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾﴾** [الشمس]، **﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾﴾** [التكوير]، **﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾** [طه:١٣٠]**﴿وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾﴾** [الفرقان]، **﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾﴾** [الانشقاق].

(٣)- **سؤال:** هل قوله: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ على جهة الإقرار أم الاستفهام وحذف حرفه، أم ماذا؟

الجواب: بعدما استدل إبراهيم عليه السلام على بطلان إلهية المعبودات الأرضية «الأصنام» توقع أو خاف من قومه أن يعبدوا الأجرام السماوية الكبيرة وأعظمها الشمس والقمر والنجوم الزاهرة بنورها، فأراد عليه السلام أن يبطل إلهيتها وربوبيتها قبل أن يحتج لإلهية رب السماوات والأرض لتوقعه أنهم سيفتنون بإلهية الكوكب أو القمر أو الشمس فتنازل لهم في معرفته حتى كأنه أحدهم فأراهم الكوكب الزاهر بعد طلوعه فتكلم هو عليه السلام بما توقع أن يقولوه هم ويعتقدوه، وكأنه يتكلم باسمهم وبما يلوح لهم في أذهانهم عند رؤية الكوكب؛ =

رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ[1] لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ يبين الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات طرق الحجاج الحكيمة[2] التي علمها نبيه إبراهيم عليه السلام، وذلك أن قومه كانوا يعبدون الأصنام التي ينحتونها ويصورونها بأيديهم ثم ينصبونها للعبادة، فدعاهم إبراهيم عليه السلام إلى ترك عبادتها؛ لأنها لا تنفع ولا تضر، ودعاهم إلى عبادة رب السماوات والأرض وما بينهما.

ومعنى الآية: فلما دخل الليل رأى كوكبا لامعاً في السماء ودعا قومه إلى النظر إليه، وقال: هذا أكبر من الأصنام[3] وأعلا منها وأعظم، فهو أحق بالعبادة، ثم لما كان آخر

ليطمئنوا إليه، ولم يقل إبراهيم عليه السلام ﴿هَذَا رَبِّي﴾ لا اعتقاداً ولا استفهاماً، وإنما قاله على سبيل الفرض والتقدير ليتسنى له إبطال إلهيته.

(١)- **سؤال:** ما معنى: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾؟

الجواب: المعنى: أنه وجه عبادته وطاعته لله.

(٢)-**سؤال:** هل هي براهين عقلية حاججهم بها ليوصلهم إلى معرفة الله؟ وهل يؤخذ منها وجوب المحاججة بالعقل في إثبات التوحيد؟

الجواب: حاجج إبراهيم عليه السلام بحجج العقل التي يفهمها العقل بفطرته، وقد حكى الله تعالى في القرآن تلك الحجج أو بعضها ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات]، ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الشعراء]، ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنبياء]، وإلى آخر ما حكاه الله تعالى من حجج إبراهيم عليه السلام التي حاجج بها قومه وهي حجج عقلية. ويؤخذ من هنا ومن قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل:١٢٥]، الاستدلال والاحتجاج بالحجج العقلية التي من شأنها أن يفهم منها الحق ويستوضحه، والحكيم هو الذي يحتج لكل خصم بما يتناسب مع فهمه من أدلة العقول.

(٣)-**سؤال:** من أين نفهم أنه قال: هذا أكبر من الأصنام؟

الجواب: نفهم ذلك مما حكاه الله تعالى من استنكار إبراهيم عليه السلام لعبادة قومه للأصنام وهي حجارة لا تضر ولا تنفع، وأنها لا تصلح للإلهية والربوبية فأراهم إلى أنه يبحث عن الإله

=

الليل غاب ذلك النجم، ثم رجع إبراهيم إليهم قائلاً: إن رب السماوات والأرض لا ينبغي أن يغيب عن ملكه فلذلك لا يصلح للربوبية.

فلما كانت الليلة الثانية طلعت القمر وكانت أعظم من ذلك النجم، وقال لقومه: هذه القمر أعظم منه وأكبر، وأعظم من الأصنام التي تنحتونها، وهي أحق بالربوبية، ثم لما غابت القمر أظهر إبراهيم عليه السلام التحير وقال: ﴿لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي...﴾ إلخ[1] ليبين لقومه أن عليهم أن يواصلوا البحث والنظر معه حتى يصلوا إلى معرفة الإله الحق.

ثم طلعت الشمس في اليوم الثاني فقال لقومه: هذه أعظم وأكبر من الأصنام ومن النجم ومن القمر، وهي أحق بالربوبية والعبادة، ثم لما غربت الشمس قال إبراهيم: لا يصح أن يغيب الرب عن مملكته، فلنطلب لنا رباً غير الأصنام والنجوم والقمر والشمس، وما هو إلا الذي خلق السماوات والأرض والنجوم والشمس والقمر وخلق الأحجار والجبال والحيوانات، فهذا هو الرب الذي ينبغي أن نميل إلى عبادته، ونستسلم لعزته، ونترك عبادة ما سواه.

فقد أرانا إبراهيم عليه السلام بحسن محاجته لقومه كيفية الوصول إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، وإبطال ربوبية ما سواه بما علمه الله تعالى، وأراه من آياته الدالة عليه.

الحق، واستَجَرَّهم معه إلى ما ذكر الله تعالى هاهنا من قصة البحث والنظر، وعند البحث والنظر قال لهم عليه السلام: هذا الكوكب الزاهر أعظم وأكبر من الحجارة التي تعبدونها، ثم طلع القمر ثم الشمس، و... إلخ. وكل ذلك الحجاج من إبراهيم عليه السلام هو من أجل إبطال إلهية الأصنام، وإبطال عبادتها، وبيان إلهية الله تعالى وربوبيته، واستحقاقه للعبادة.

(١)- **سؤال:** وما معنى قوله: ﴿لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ۝٧٧﴾ فظاهره عدم معرفته؟

الجواب: قد ذكرنا أنه عليه السلام يتكلم وكأنه كأحدهم في الجهل بربه من أجل أن يستجرّهم إلى البحث والنظر، ولم يقل ذلك عن نفسه وإنما قاله عن قومه.

﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا[١] وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا[٢] أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ۝٨٠ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ۝٨١﴾[٣] ثم رجع قوم إبراهيم إلى محاجته بعدما بين لهم الحق بالحجج الواضحة والبراهين النيرة، ولكنهم تعنتوا واستكبروا وتمردوا بعد وضوح الحجة وبيان المحجة، وخوفوه آلهتهم، وحذروه أن يناله منها ما يكره، فقال إبراهيم عليه السلام: أتطمعون بمحاجتكم لي أن تردوني عن الهدى، وقد بصرني ربي أنواره، وهداني إليه، واستقر علمه في قلبي، واستيقنته نفسي، وكيف تخوفوني أصنامكم؟!! وهي لا تقدر على الضر والنفع، ولا تملك ذلك، وإنما هي حجارة لا حياة فيها، ولا قدرة ولا علم، وأنتم تعرفون ذلك، وأنتم الذي صنعتموها بأيديكم، فكيف أخافها؟!!

---

(١)-**سؤال:** كيف صح له عليه السلام الاستثناء بقوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾؟

الجواب: المعنى: إلا أن يشاء الله تعالى أن يجعل ما يُخَافُ في شيء مما يعبد من دون الله كالشهاب الثاقب «النيزك» الذي ترمى به الشياطين فقد يكثر الله ذلك كثرة يخاف منها، والنيازك هي قطع من الكواكب وهذا على تقدير أنهم كانوا يعبدون الكواكب، فمن هذه الناحية استثنى إبراهيم عليه السلام مثل هذه الحالة المفروضة التي من شأنها أن يحصل الخوف منها.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿عِلْمًا﴾؟

الجواب: يعرب تمييزاً «تمييز نسبة».

(٣)-**سؤال:** كيف صح له عليه السلام الاستثناء بقوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾؟

الجواب: المعنى: إلا أن يشاء الله تعالى أن يجعل ما يخاف في شيء مما يعبد من دون الله كالشهاب الثاقب «النيزك» الذي ترمى به الشياطين فقد يكثر الله ذلك كثرة يخاف منها، والنيازك هي قطع من الكواكب وهذا على تقدير أنهم كانوا يعبدون الكواكب، فمن هذه الناحية استثنى إبراهيم عليه السلام مثل هذه الحالة المفروضة التي من شأنها أن يحصل الخوف منها.

سؤال: ما إعراب: ﴿عِلْمًا﴾؟

الجواب: يعرب تمييزاً «تمييز نسبة».

وكيف لا تخافون أنتم من غضب رب العالمين حين أشركتم به، وعبدتم سواه، وهو يدعوكم إلى عبادته، وترك عبادة من سواه، فأنتم أحق أن تخافوا من رب العالمين؛ لأنه على كل شيء قدير، وهو بكل شيء عليم، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فأنتم لذلك أحق بأن تخافوا الله تعالى، أما الأصنام فليس بيدها قدرة ولا علم، فكيف أخافها ولا دليل لكم على ربوبيتها؟ فمن هو الأحق بالأمن أنا أم أنتم؟

﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴿٨٢﴾﴾ قال إبراهيم صلى الله عليه وآله لقومه: إن من آمن ولم يخلط إيمانه بشرك[١] هم الآمنون من غضب الله سبحانه وتعالى وعذابه، وكان قومه قد خوفوه من الأصنام بأنها ستصيبه بغضبها، وتُلْحِق به الأذى عندما يعاديها.

ثم أخبرهم بأن الذين هم أحق بالأمن[٢] هم الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم.

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾[٣] أورد إبراهيم صلى الله عليه وآله على قومه الحجج الواضحة والقاطعة عند مجادلته لهم حتى اضطروا[٤] إلى أن يُسَلِّموا له بأنه

---

(١)-**سؤال:** يقال: ظاهر السياق أن الظلم هو الشرك، وفيه روايات عند أهل السنة، وظاهر استدلال أئمتنا بالآية عموم الظلم في أي معصية، وقد تكلم الزمخشري بنحو هذا فما رأيكم؟

الجواب: استدلال أئمتنا عليهم السلام صحيح لعموم الآية، وسياق الآية غير مانع من الحمل على العموم؛ لأن المعتبر عموم اللفظ لا خصوص السياق والسبب: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام:١٩].

(٢)-**سؤال:** هل المراد الأمن من خوف الأذى؟ أو الأمن في يوم الفزع الأكبر؟

الجواب: الأولى أن يفسر بالأمن العام مما خوفوه من آلهتهم ومما يخاف من الإله الحق.

(٣)-**سؤال:** إلام أشير بقوله: ﴿تِلْكَ حُجَّتُنَا...﴾؟ وبماذا تعلق قوله: ﴿عَلَى قَوْمِهِ﴾؟

الجواب: الإشارة هي إلى ما احتج به إبراهيم على قومه من قوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ إلى ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴿٨٢﴾﴾ و﴿عَلَى قَوْمِهِ﴾ متعلق بـ﴿حُجَّتُنَا﴾.

(٤)-**سؤال:** من أين نفهم هذا؟

الجواب: نفهم من قصته عليه السلام في سورة الأنبياء: ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴿٦١﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَاإِبْرَاهِيمُ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ

=

الذي على الصدق، غير أنهم بعد ذلك رجعوا إلى شركهم وضلالهم.

﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء﴾[(١)] رفع الله سبحانه وتعالى إبراهيم صلى الله عليه وآله بالعلم عندما حاججهم وأبطل حججهم، واضطرهم إلى القول بأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يستحق العبادة وحده.

﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ فلا يرفع درجات أحد إلا وهو عالم بأنه يستحق ذلك، وأنه أهل للرفعة، ولحمل العلم ونشره وتبليغه.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا﴾ أنعم الله سبحانه وتعالى على نبيه إبراهيم صلى الله عليه وآله بإسحاق ويعقوب وجعلهما أنبياء، وهذا من ثواب الدنيا لنبيه إبراهيم صلى الله عليه وآله.

﴿وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ وذكر الله سبحانه وتعالى نبيه نوحاً عليه السلام، وهو قبل إبراهيم صلى الله عليه وآله وأخبرنا أنه هداه بالوحي والرسالة والنبوة.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ﴾[(٢)] وهدينا

يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾، فقوله: ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ إقرار واعتراف ببطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام وبطلان إلهيتها.

(١)-**سؤال:** ما فائدة التنكير في قوله: ﴿دَرَجَاتٍ﴾؟

الجواب: يفيد التعظيم والتفخيم.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾؟

الجواب: ﴿دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾ الأول مفعول به لفعل محذوف والثاني معطوف عليه، والتقدير: وهدينا داود و.. إلخ.

سؤال: هل يصح إرجاع الضمير في قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ﴾ إلى نوح؛ لأنه أقرب ملفوظ أم لا يصح ولماذا؟

الجواب: الضمير عائد إلى إبراهيم عليه السلام لأن السياق في ذكر إبراهيم وذكر قصته وذكر ما وهب الله له من البركة في ذريته، وإنما عرض ذكر نوح عليه السلام عند ذكر إبراهيم عليه السلام لأن الكريم يذكِّر بالكريم.

من ذرية إبراهيم ﷺ هؤلاء وجعلناهم أنبياءَ ورسلاً يحملون هدى الله للناس.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ﴾[١] هذا جزاء لإبراهيم ﷺ حيث بارك في ذريته وجعلهم أنبياء ورسلاً يحملون العلم والحكمة والهدى للناس.

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً﴾ وكذلك إسماعيل هداه الله سبحانه وتعالى وهو من ذرية إبراهيم، ولوطاً[٢] ليس ابنه، ولم يؤمن من قوم إبراهيم إلا هو وحده، وهاجر معه إلى الشام.

﴿وَكُلاًّ فضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ هؤلاء الذين عددهم الله سبحانه وتعالى اصطفاهم الله سبحانه وتعالى في الدنيا، وفضلهم على العالمين، ورفع درجاتهم في الدنيا والآخرة.

﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ﴾[٣] وغير هؤلاء الذين تقدم ذكرهم من آبائهم وذرياتهم ومن إخوانهم، قد هداهم الله سبحانه وتعالى، وفضلهم على العالمين، وجعلهم أنبياءَ.

﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ اختارهم الله سبحانه وتعالى، وهداهم إلى الدين الحق.

﴿ذَٰلِكَ هُدَى اللهِ[٤] يَهْدِى بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ فالله سبحانه وتعالى هو

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب ﴿كَذَٰلِكَ﴾؟

الجواب: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مفعول مطلق والتقدير: نجزي المحسنين جزاءً مثل ما جزينا إبراهيم.

(٢)-**سؤال:** يقال: هل هذا قرينة على عود الضمير إلى نوح أم كيف؟

الجواب: ذكر لوط عليه السلام في قصة إبراهيم عليه السلام كما ذكر نوح عليه السلام.

(٣)-**سؤال:** هل تقصدون أن ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ﴾ معطوف على معمول «هدينا»؟

الجواب: هو معطوف على معمول «هدينا».

(٤)-**سؤال:** الإشارة إلى ماذا بقوله: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى اللهِ﴾؟ وهل المراد بالهدى هنا المجازاة والمكافاة؟

الجواب: الإشارة إلى الهداية المفهومة من قوله: ﴿كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ وهي الهداية التي يعطيها الله للمحسنين ثواباً على إحسانهم وإيمانهم.

الذي هداهم؛ لَمَّا علم أنهم يستحقون ذلك.

﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴿٨٨﴾﴾ ولو أشرك هؤلاء لحبطت أعمالهم، ولعذبهم الله مع المشركين.

﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾[1] أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن هؤلاء هم الذين أعطاهم الله الكتاب والعلم والحكمة والنبوة واختارهم على العالمين.

﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ﴿٨٩﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه بأن قريشاً إن كفرت بما جئت به من الحكمة- فالله ليس محتاجاً لهم، وسيحمل دينه غيرهم إن هم كفروا ولم يقبلوا منك، فعندما لم تستجب قريش للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وتمردت عليه هيأ الله سبحانه وتعالى لدينه قوماً[2] غيرهم، فنصروا دينه وحملوه وبلغوه، وقاتلوا دونه.

﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[3] أخبر الله سبحانه وتعالى

---

(١)-**سؤال:** هل الحكم مأخوذ من الإحكام أو من الإجادة في القضاء؟

الجواب: آتى الله تعالى أنبياءه الكتاب «الكتب» والقضاء بأحكامها وإظهار العدل في الأرض: **﴿يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾** [ص:٢٦]، **﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ...﴾** [المائدة:٤٩]، **﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾** [المائدة:٤٤]، وإحقاق الحق وإبطال الباطل هو من أعمال الأنبياء وخلفائهم.

(٢)-**سؤال:** هل المراد بهم الأنصار؟

الجواب: المراد بهم الأنصار والمهاجرون الذين صدقوا في إيمانهم واستقاموا عليه، **﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ...﴾** [الفتح:٢٩]، إلى آخر السورة.

(٣)-**سؤال:** كيف أُمِرَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالاقتداء بهداهم وهو منسوخ بشريعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟

الجواب: أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن يقتدي بهم في طاعة الله وتبليغ رسالاته والصبر على أذى قومه، وليس المراد الاقتداء بهم في الأحكام الفرعية العملية وتفاصيلها لما علم من اختلاف شرائع الأنبياء فيها، ولما علم من أن شريعة الإسلام ناسخة لما تقدمها من الشرائع العملية، **﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً**

=

نبيه ﷺ بأن هؤلاء هم الذين هداهم الله سبحانه وتعالى، فاقتد بهديهم يا محمد، والمراد بهم الأنبياء.

﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ۝﴾(١) قل يا محمد لقريش: إني لم أطلب منكم أجراً على تبليغ الرسالة حتى تتهربوا، والقرآن لم آت به إلا لأذكر الناس بالحق ومعالم دينهم وبما أعد الله للمطيعين من الثواب العظيم في جنات النعيم وما أعده للمجرمين من العذاب الأليم في نار الجحيم.

﴿وَمَا قَدَرُواْ اللَّه حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾(٢) سأل المشركون اليهود عن محمد ﷺ، وعن أمره وصحة نبوته- فأجابتهم اليهود: بأن الله سبحانه وتعالى لم ينزل عليه شيئاً، ولم يوح إلى بشر، وليس نبياً وإنما هو كذاب؛ خوفاً منهم -إن هم أخبروا المشركين بالحقيقة- على مراكزهم ومكانتهم.

﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِى جَاء بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ﴾ أمر الله سبحانه وتعالى محمداً ﷺ بأن يسألهم: من نزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس، تجعلونها -أيها اليهود- قراطيس(٣) فلا تنتفعون بها؟

وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً...﴾ الآية [المائدة:٤٨].

سؤال: ما هي هذه الهاء في قوله: ﴿اقْتَدِهْ﴾؟

الجواب: تسمى هذه الهاء هاء السكت، وهي حرف يجتلب للوقف عليه.

(١)-**سؤال:** كيف نوفق بين هذه الآية وآية الشورى: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى:٢٣]؟

الجواب: تخصص هذه الآية بما خصصت به آية الشورى.

(٢)-**سؤال:** ما معنى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ اللَّه حَقَّ قَدْرِهِ﴾؟ وإعراب ﴿حَقَّ قَدْرِهِ﴾؟

الجواب: المعنى: وما عظموا الله حق تعظيمه، و﴿حَقَّ قَدْرِهِ﴾ مفعول مطلق منصوب.

(٣)-**سؤال:** هل المراد مثل القراطيس الفارغة أو ماذا؟

الجواب: المعنى: أنهم قطعوا الكتاب في كراريس وأوراق ليظهروا منها ما أرادوا ويخفوا ما أرادوا، وهذا بعد أن حرفوا وغيروا وصارت عندهم بمنزلة القراطيس التي لا وزن لما فيها عندهم ولا مكانة لها في نفوسهم.

﴿تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً﴾ يعني أن اليهود لم ينتفعوا بها، وإنما هي في أيديهم مثل القراطيس، وقد أخفيتم كثيراً مما جاء في التوراة؛ فحرفتموه من عند أنفسكم، وعلى حسب أهوائكم، وقد كان اليهود فرقوا التوراة في كراريس كثيرة فكانوا يبدون بعضها ويخفون الكثير منها قصداً منهم إلى تضييع الحق المنزل في التوراة فكانوا إذا سئلوا عن صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم في التوراة أخرجوا بعض الكراريس وقالوا هذه هي التوراة ليس فيها ما تسألون عنه.

﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ﴾ علمهم الله سبحانه وتعالى في التوراة ما لم يعلموه هم ولا آباؤهم، فقد أنزل الله سبحانه وتعالى علماً وحكمة في التوراة إلا أنهم قابلوا ذلك بالكفران.

﴿قُلِ اللّهُ﴾ أخبرهم يا محمد بأن الذي أنزله هو الله سبحانه وتعالى، وهذا هو جواب قوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ﴾.

﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴿٩١﴾﴾[١] اتركهم يا محمد يخوضون في باطلهم وغيهم وتكذيبهم، والمراد بهم اليهود والمشركون.

﴿وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾[٢] أي: القرآن فيه الكثير من المنافع والمصالح للناس في الدنيا والآخرة.

﴿مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ مصدق لما سبقه من التوراة والإنجيل.

---

(١)-**سؤال:** هل المراد بالأمر: ﴿ذَرْهُمْ﴾ التهديد للخائضين أو إباحة تركهم؟

الجواب: المراد به إباحة تركهم بعد بيان الحجة لهم، وفيه التلويح بتهديدهم من حيث أن المعنى: فمرجعهم إلينا للجزاء.

(٢)-**سؤال:** لماذا لم ينصب قوله: ﴿مُبَارَكٌ﴾ على الحال؟

الجواب: لم ينصب على الحال لأنه المقصود بالخبر ومحط الفائدة التي يريدها المتكلم، وهي مثل صالح في قوله: «هذا رجل صالح» فلم يقصد الإخبار بأنه رجل، بل يقصد الإخبار عن صلاح الرجل.

﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[(١)] أنزل الله سبحانه وتعالىٰ إليك القرآن أيضاً لتنذر أهل مكة ومن حولها.

أمر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ في أول الأمر أن يخص أهله بالدعوة إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء]، ثم بعد ذلك أمره الله سبحانه وتعالىٰ بتبليغ الناس جميعاً وإنذارهم: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾ [الأعراف١٥٨].

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾[(٢)] الذين يؤمنون بالحساب والعقاب ويخافون الله سبحانه وتعالىٰ سيؤمنون بالقرآن.

﴿وَهُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴿٩٢﴾﴾[(٣)] فهؤلاء هم الذين سيؤمنون ولا يتوقع الإيمان من غيرهم.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ[(٤)] مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنَزلَ اللّهُ﴾ كان المشركون واليهود قد بلغوا النهاية في الظلم والتمرد وفعل المعاصي، ولم يبق شيء من المعاصي إلا وقد فعلوه، وكانوا

---

(١)-**سؤال:** علام عطف قوله: ﴿وَلِتُنذِرَ﴾؟

الجواب: عطف علىٰ ما دل عليه ﴿مُبَارَكٌ﴾ أي: أنزلناه للبركة والنفع ولتنذر....

(٢)-**سؤال:** هل الواو في: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ للاستئناف؟

الجواب: الذي ظهر لي أنها عاطفة، والمعطوف عليه مقدر دل عليه قوة الكلام: ﴿... وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ فأنذرهم النبي ﷺ فكفروا والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به.

(٣)-**سؤال:** علام عطف جملة: ﴿وَهُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴿٩٢﴾﴾؟

الجواب: عطف علىٰ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾.

(٤)-**سؤال:** هل يستعمل هذا التعبير: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ في المبالغة في الظلم؟

الجواب: المراد بالظلم في قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ هو الكفر والتمرد والفسوق أي أنهم بلغوا الغاية التي ليس وراءها غاية في كفرهم بالله وفسوقهم عن أمره.

يفترون على الله سبحانه وتعالىٰ الكذب ويحلون ويحرمون ما أحبوا ثم يقولون إن الله هو الذي حرم وأحل- كذباً وافتراءً عليه، وكذلك يدعي بعضهم النبوة ويقول: إن الله سبحانه وتعالىٰ قد أنزل عليه الوحي كذباً وافتراءً عليه، ومنهم من قال: سأنزل مثل القرآن الذي أنزله الله، ولكن الله سبحانه وتعالىٰ قد تحدىٰ بالقرآن أفصح فصحاء العرب بأن يأتوا بمثله، أو بسورة من مثله، وهيهات أن يستطيع أحد ذلك.

﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴿٩٣﴾﴾[1] لو ترىٰ يا محمد، وكذلك أنت أيها الرائي- وقت نزول الموت بالكافرين[2]، وكيف حالهم عند نزع الملائكة أرواحهم، كيف يكون موقفهم وحالهم بين أيدي الملائكة، لاحول لهم في ذلك الوقت ولا قوة، قد استولت عليهم الحسرة والندم وسيطرت عليهم الحيرة واليأس وأيقنوا بالعذاب الدائم في جهنم.

ومعنىٰ ﴿بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾ أي: أن الملائكة قد بدأت في مزاولة انتزاع أرواحهم، قائلة لهم ومخاطبة: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ[3] الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ

---

(١)-**سؤال:** ما موقع جملة: ﴿إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾؟ وجملة: ﴿وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ﴾؟

الجواب: «إذ» في محل نصب مفعول به وهو مضاف والجملة مضاف إليه في محل جر.

وجملة: ﴿وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ﴾ في محل جر بالعطف على الجملة التي قبلها.

(٢)-**سؤال:** هل يصح تعميم الآية في كل من صدر منه الظلم؟

الجواب: فسرناها بالكافرين لورودها في سياقهم وقصتهم، وتعم كل ظالم.

(٣)-**سؤال:** هل المراد بقول الملائكة: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾ تحديهم بأن يخرجوا أرواحهم، أو ماذا؟

الجواب: المراد بقوله الملائكة: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾ خلصوا أنفسكم من عذاب الله إن استطعتم، أو يراد به: تولوا إخراج أنفسكم إلينا وأدوها لمصيرها المشؤوم وعاقبتها السيئة يقال ذلك لهم من أجل العنف عليهم والتشديد في إزهاق أرواحهم والإلحاح وعدم الإمهال.

تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴿٩٣﴾﴾[١].

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾ تقول لهم الملائكة[٢] بأنكم أيها المجرمون قد جئتمونا فرادى ليس معكم شيء مما قد جمعتموه في الدنيا.

﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ[٣] أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ﴾ كما جئتمونا حال ولادتكم، تاركين ورائكم ما قد أعطاكم الله سبحانه وتعالى في الدنيا من الأموال والأولاد، ولم تأخذوا معكم شيئاً.

﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء﴾[٤] أين شركاؤكم الذين كنتم تعبدونهم في الدنيا من دون الله.

---

(١)- **سؤال:** هل في الآية دليل على عذاب القبر وأن الظالم يحل به العذاب من وقت الموت انطلاقاً من قوله: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾؟

الجواب: تدل الآية على أن الملائكة يأخذون النفس من جسد الظالم وينتزعونها إلى العذاب المعد لها، وأنها تصير إليه من ذلك الحين.

سؤال: ما هو غير الحق الذي قالوه على الله؟

الجواب: هو ما حكاه الله عنهم في نحو قوله: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ...﴾ [الأنعام:١٤٨]، ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة:٧٣]، ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٩١]، ونحو ذلك مما حكاه الله عن الكافرين من الكذب على الله والافتراء عليه.

(٢)-**سؤال:** وهل يصح أن يضاف الكلام للباري لقوله: ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ﴾؟

الجواب: أضيف الكلام للملائكة للسياق ولأنهم رسل الله الذين أرسلهم لتنفيذ قضائه وحكمه.

(٣)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ﴾؟

الجواب: ﴿فُرَادَى﴾ حال من فاعل ﴿جِئْتُمُونَا﴾. ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ الكاف حرف جر، و«ما» والفعل في تأويل مصدر، والجار والمجرور صفة لمصدر محذوف أي: مجيئاً مثل مجيئكم يوم خلقناكم أول مرة.

(٤)-**سؤال:** لم يتضح معنى ﴿فِيكُمْ﴾ في قوله: ﴿فِيكُمْ شُرَكَاء﴾ فلو وضحتموه تبعاً للإعراب والتركيب؟

الجواب: المؤمن يجعل نفسه خالصة لله فيعبده وحده لا يشرك معه غيره، والمشركون جعلوا =

﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾[1] الآن قد انقطع ما بينكم وبينهم من الصلات.

﴿وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴿٩٤﴾﴾ ضاع من بين أيديكم أولئك الذين كنتم تزعمون أنهم سينفعونكم، وضلوا من بين أيديكم، ولن يغنوكم شيئاً الآن.

﴿إِنَّ اللَّه فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ فهو سبحانه الذي خلق الحبة وأخرج منها الزرع، وهو الذي فلق النوى -وهي العجمة التي بداخل التمرة- وأخرج منها الشجر الكبار، وليست الأصنام التي تعبدونها هي التي فعلت ذلك، فلماذا تعبدونها وتتركون عبادة الله سبحانه وتعالى الذي يفعل ذلك كله وحده لا يستطيع أحد أن يفعل مثل فعله، وهيهات أن يستطيع؟

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾[2] بقدرته هو الذي فلق الحب والنوى، وأخرج منها الزرع والشجر التي فيها مطعمكم ورزقكم، وبقدرته هو وحده يخرج الحي من الميت، فيخرج الدجاجة من البيضة وهي ميتة، ويخرج الإنسان وهو حي من النطفة وهي ميتة.

أنفسهم لآلهة مع الله فعبدوها مع الله، وبذلك يكون للآلهة نصيب في نفس المشرك، وعلى هذا فالمعنى في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء﴾ أنهم في استعبادكم وطاعتكم شركاء. و﴿فِيكُمْ﴾ في الأصل صفة لـ﴿شُرَكَاء﴾ فلما قدم صار حالاً، و﴿شُرَكَاء﴾ خبر «أن».

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿بَيْنَكُمْ﴾؟ وأين فاعل: ﴿تَّقَطَّعَ﴾؟

الجواب: ﴿بَيْنَكُمْ﴾ ظرف مكان وفاعل تقطع ضمير مستتر يعود إلى الوصل المفهوم من قوله: ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء﴾.

(٢)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾؟ وهل يصح أن يُحمل إخراج الحي من الميت على المجاز: (المؤمن من الكافر) أم لا؟

الجواب: محلها الرفع خبر ثان. لا يجوز أن تكون مستأنفة. والحمل على الظاهر أولى من الحمل على المعنى المجازي لعدم القرينة أو خفائها.

﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ يخرج بقدرته البيضة من الدجاجة ونحوها.

﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ﴾ فهو المعبود الحق الذي ينبغي أن تتوجهوا إليه بعبادتكم.

﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴿٩٥﴾﴾ فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة الأصنام؟ وما هو الذي صرفكم؟ كيف تصرفون عن عبادته -مع هذه الدلائل الدالة على إلهيته وعظمته وقدرته- إلى عبادة تلك الأحجار التي تنحتونها بأيديكم وتعبدونها؟

﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾(١) هو سبحانه وتعالى الذي يخرج نور الفجر عن ظلمة الليل بقدرته، وليست الأصنام التي تعبدونها من دون الله.

﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً﴾ جعل الله سبحانه وتعالى بقدرته الليل ليرتاح فيه الإنسان، وتهدأ جوارحه وأعصابه، حتى لا يأتي صباح اليوم الثاني إلا وقد ذهب تعب اليوم الذي سبقه.

﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً﴾(٢) جعلهما الله سبحانه وتعالى معالم للناس يعرفون بها أوقاتهم ومواعيد زراعتهم، وهناك حساب للشمس وحساب للقمر، فالسنة الشمسية تحسب بها منازل الزراعة(٣)، وتعرف بها الشهور الميلادية، وحساب القمر تحسب به الشهور الهجرية، ومواعيد الصيام والحج.

---

(١)-**سؤال:** هل قوله: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ خبر مبتدأ محذوف؟ أو ماذا؟

الجواب: هو خبر مبتدأ محذوف أي: هو فالق الإصباح.

(٢)-**سؤال:** هل قوله: ﴿حُسْبَاناً﴾ مصدر أو ماذا؟ وكيف جعل مفعولاً ثانياً «خبراً في الأصل عن المبتدأ»؟

الجواب: ﴿حُسْبَاناً﴾ مصدر كالغفران والشكران، وصح جعله مفعولاً ثانياً لأن التقدير: وجعل سير الشمس والقمر حسباناً أي: على حساب دقيق.

(٣)-**سؤال:** قد يقال: إنما تحسب منازل الزراعة بالنجوم فكيف تحسب بالشمس؟

الجواب: نجوم الزراعة مبنية على سير الشمس وعلى منازلها، فهي تنزل في كل نجم أياماً معلومة.

﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ حساب السنة الشمسية والقمرية تقدير من الله سبحانه وتعالىٰ قدره إذ هو الغالب لكل شيء، والعالم بكل شيء، قدرها سبحانه وتعالىٰ بعلمه حساباً دقيقاً في منتهى الدقة.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ للعرب زيادة اختصاص من بين سائر الناس بمعرفة النجوم، والاهتداء بها في أسفارهم؛ لأن بلادهم كانت صحراء، وكانوا أهل سفر، وكانوا لا يعرفون الطريق في أسفارهم إلا بها، وهذه نعمة عظيمة، وكذلك في البحر يعرف بها السائرون فيه طرقهم.

﴿قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ وضح الله سبحانه وتعالىٰ الآيات الدالة علىٰ عظمته وقدرته، وعلىٰ إلهيته وعلمه وحكمته- لأجل أن يعلمه ويعرفه الناس فيعبدوه ويتركوا عبادة الأصنام.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ بقدرته أنشاكم من نفس آدم عليه السلام، وهو أصل البشر.

﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾(١) جعل الله سبحانه وتعالىٰ بقدرته مستقركم في أصلاب الرجال، ومستودعكم في أرحام النساء، والمراد به أن التوالد يكون من الأصلاب والأرحام، تستقر النطف في الأصلاب، ثم تودع في الأرحام، وهكذا علىٰ هذا المنوال.

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ وهل يصح أن يحمل المستقر علىٰ نفس المستودع لاستقرار النطفة في رحم المرأة؟

الجواب: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ الفاء تفريعية، ومستقر: مبتدأ وخبره محذوف أي: فلكم مستقر في الأصلاب ومستودع في الأرحام، وهو معطوف علىٰ المبتدأ، ويصح أن يحمل المستقر علىٰ نفس المستودع لقوله تعالىٰ: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾ [الحج:٥]- ويحمل المستودع حينئذ علىٰ القبر. وقد فسر المستقر بالأرض لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة]، والمستودع بالقبر لأنه الذي يعقب الحياة علىٰ الأرض.

﴿قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ۝٩٨﴾ وضح الله سبحانه وتعالى لهم الآيات الدالة على قدرته؛ لأجل أن يعلموها.

﴿وَهُوَ الَّذِىَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ بقدرته أنزل المطر، يخبرهم الله سبحانه وتعالى بآياته ويفصلها لهم؛ لأجل أن يعبدوه، وتركوا عبادة الأصنام، وكانوا معرضين عنه سبحانه وتعالى؛ فكرر الله سبحانه وتعالى لهم آياته الدالة على قدرته وإلهيته- لعلهم يرجعون عن شركهم إليه، وليستنقذهم من كفرهم وتمردهم، الذي بسببه يدخلون النار إلى جنته التي أعدها لمن أطاعه واتقاه.

﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾[1] أخرج الله سبحانه وتعالى بالمطر أنواع النباتات.

﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً﴾[2] وهو أول مراحل النبات يخرج إلى الأرض فيزينها بخضرته.

﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً﴾[3] ثم بعد ذلك يخرج من هذا النبات الأخضر الحب في سنابله مرصوصاً حبة فوق حبة.

﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ وأخرج الله سبحانه وتعالى بقدرته لهم من طلع النخل هذا المطو[4] الذي يخرج التمر فيه، فيقطفها الإنسان عند تمام نضجها قريبة المجتنى.

---

(١)-**سؤال:** كيف أضاف النبات إلى كل شيء؟ هل يريد من أنواع النباتات أو ماذا؟

الجواب: أضاف نبات إلى كل شيء لأنه يريد نبات كل صنف من أصناف النبات.

(٢)-**سؤال:** هل يصح أن يحمل قوله: ﴿خَضِراً﴾ على المادة الخضراء التي يسميها علماء العصر الحديث مادة «الكلوروفيل» التي هي أصل النبات ليتناسب مع قوله: ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً﴾؟

الجواب: «الكلورفيل» ويسمى اليخضور هو الذي يعطي بمشيئة الله النبات اللون الأخضر، والمناسب في الآية أن يراد بالخضر النبات الأخضر في أول مراحل نموه.

(٣)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً﴾؟

الجواب: الجملة في محل نصب صفة لخضراً، وعبر بالمضارع لاستحضار الصورة.

(٤)-**سؤال:** يقال: فعلام رفع قوله: ﴿قِنْوَانٌ﴾؟

الجواب: رفع ﴿قِنْوَانٌ﴾ على أنه مبتدأ و﴿مِنَ النَّخْلِ﴾ خبر مقدم، و﴿مِن طَلْعِهَا﴾ بدل من الخبر و﴿دَانِيَةٌ﴾ صفة، وكان التفسير مبنياً على المعنى المقصود في الآية في الجملة.

﴿وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ وأخرج الله سبحانه وتعالىٰ بقدرته لكم من الماء النازل من السماء بساتين من أعناب.

﴿وَالزَّيْتُونَ﴾ وأخرج لكم منه أشجار الزيتون.

﴿وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ هذه الأصناف متشابهة وغير متشابهة(١)، فالأعناب: منه الأبيض ومنه الأسود ومنه الأحمر، والعنب الأبيض منه أنواع كثيرة، وكل نوع له طعم ونكهة تميزه، فسبحان من خالف بينها، وهذا في غير المتشابه.

﴿انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾(٢) حثنا الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ النظر والتفكر في ثمرته وقت الإثمار وكيفية نضجه وصلوحه وحلاوته بعدما كان شديد الحموضة، من أين اكتسب هذه الحلاوة؟ فإذا نظرنا عرفنا أن كل ذلك لم يحصل إلا بقدرة قادر حكيم، وهو الله سبحانه وتعالىٰ.

---

(١)-**سؤال:** يقال: فلِمَ لم يجمعها «مشتبهات وغير مشتبهات»؟

الجواب: لم يجمعها للاكتفاء بوصف واحد وفيه التنبيه علىٰ بقية الأوصاف كقوله:

.... فإني وقيار بها لغريب

وكقوله:

رماني بأمر كنت منه ووالدي بريئاً.... البيت.

وهو من شواهد تفسير الرازي والزمخشري.

سؤال: لماذا قال: ﴿مُشْتَبِهاً﴾ ولم يقل: متشابهاً ليناسب المعطوف؟

الجواب: قد قالوا إن بين الصيغتين تقارباً كثيراً ولكن يظهر لي أن المشتبه هو تقارب الشبه بين الشيئين حتىٰ لا يميز بينهما من شدة التشابه، والمتشابه هو ما يحصل معه التمييز بين المتشابهين فلعل المخالفة بين الصيغتين كانت من أجل ذلك، والله أعلم.

(٢)-**سؤال:** هل المراد بـ«ينعه» المصدر (صلاحه ونضجه) أم الاسم ليقابل قوله: «ثمرِهِ»؟

الجواب: المراد: انظروا حال ينعه وصفته عند ينعه.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1] في هذا الذي عدده الله سبحانه وتعالى آيات للذين يؤمنون بالله سبحانه وتعالى تدل عليه إذا تفكروا فيها ونظروا، فستسوقهم إلى صانعها ومدبرها الحكيم، أما أولئك المشركون والمعرضون عن الله سبحانه وتعالى فلا حظ لهم في ذلك؛ لأنهم قد أعرضوا عن الله سبحانه وتعالى.

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ﴾[2] أخبر الله سبحانه وتعالى بأنهم يعرفونه ويعرفون آياته ولكنهم أعرضوا وتمردوا، وجعلوا معه آلهة أخرى مشاركةً له في إلهيته، وكانت العرب تعبد الجن مع الله سبحانه وتعالى[3].

﴿وَخَلَقَهُمْ﴾[4] والله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الجن.

---

(١)-**سؤال:** لماذا قال: ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ وإنما يتوصلون بالتفكر فيها إلى الإيمان؟

الجواب: هي آية لمن يطلب الإيمان وينظر في دلائله ليؤمن؛ لأنه لا ينتفع بها إلا من كان كذلك، وإلا فهي آية للناس جميعاً.

سؤال: ما السر في الإشارة باللام والكاف والمشار إليه قريب في قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾؟

الجواب: جاءت الإشارة كذلك للتنبيه على عظم شأن الآيات التي أشار إليها.

(٢)-**سؤال:** هل قوله: ﴿الْجِنَّ﴾ بدل من ﴿شُرَكَاء﴾ فهل يصح بدل المعرفة من النكرة؟

الجواب: ﴿الْجِنَّ﴾ هو المفعول الأول لـ﴿جَعَلُواْ﴾ و﴿شُرَكَاء﴾ المفعول الثاني وليس الجن بدلاً ولا عطف بيان.

(٣)- **سؤال:** هل كانت العرب وقريش تعبد الجن مع الأصنام، أم أنها طائفة أخرى منهم غير المشهورة؟

الجواب: كانوا يعبدون الأصنام، والذي أمرهم بذلك وزينه لهم هو الشيطان: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ [يس:٦٠]، والمراد بالجن الشيطان وأعوانه من الشياطين.

(٤)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾؟

الجواب: الجملة في محل نصب حال من فاعل «جعلوا» أي: والحال أنهم قد علموا أن الله وحده هو الذي خلقهم دون الجن، والضمير في «خلقهم» يعود على المشركين الذين جعلوا لله شركاء.

﴿وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[١] اختلقوا لله سبحانه وتعالى البنين والبنات افتراءً عليه وكذباً، قالوا ذلك عن غير علم منهم.

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٠٠﴾[٢] تقدس وتعالى عن أقوالهم هذه فيه وتنزه عما أضافوه إليه من البنين والبنات.

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ فهو الذي خلق السماوات والأرض وابتدعهما بقدرته وعلمه وحكمته ابتداءً على غير مثال، وإنما من العدم.

﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ﴾[٣] كيف يكون له ولد من دون زوجة.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[٤] وهو الذي خلق كل شيء، فليس محتاجاً للأزواج والأولاد.

---

(١)-**سؤال:** هل جملة: ﴿وَخَرَقُواْ﴾ معطوفة على جملة ﴿وَجَعَلُواْ﴾؟ وهل «خرقوا» بمعنى «اختلقوا»؟

الجواب: الجملة معطوفة على جملة «جعلوا»، وخرقوا بمعنى اختلقوا، وأصل الخرق قطع الشيء على سبيل الفساد من غير تدبر ولا تفكر قال تعالى: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ [الكهف:٧١]. اهـ من تفسير الرازي نقلاً عن الراغب.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿سُبْحَانَهُ﴾؟ و﴿بَدِيعُ﴾؟

الجواب: «سبحانه» مفعول مطلق لفعل محذوف وجوباً، والأصل: أسبحه سبحانه أي: أسبحه تسبيحاً مثل تسبيحه لنفسه، و«بديع» خبر لمبتدأ محذوف أي: هو بديع السموات.

(٣)-**سؤال:** ما محل «أنى» الإعرابي؟ وهل «كان» تامة؟ وما محل جملة: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ﴾؟

الجواب: «أنى» منصوبة على الحال من «ولد» و«يكون»: تعرب تامة أو ناقصة. و﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ﴾ في موضع نصب حال من الضمير في «له» والعامل فيها هو العامل في الجار والمجرور.

(٤)-**سؤال:** علام عطف قوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾؟

الجواب: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ معطوفة على الجملة الحالية قبلها.

سؤال: ما إعراب: ﴿رَبُّكُمْ﴾ ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾؟

=

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴿١٠١﴾﴾ علمه محيط بكل شيء.

﴿ذَلِكُمُ اللَّه رَبُّكُمْ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴿١٠٢﴾﴾ صانع كل هذه الأشياء وفاعلها ومبتدعها، وهو الذي يستحق الإلهية وأن يعبد؛ لأنه المتفرد بهذه الصفات، لا يشاركه فيها أحد، فاعبدوه دون هذه الأصنام التي لا نفع فيها ولا ضرر منها، وقد أحاط علمه(١) بكل شيء؛ فسيحاسبكم وسيجازيكم.

﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ ليس مما يدرك بالأبصار، فليس من جنس المبصرات؛ لأنه ليس جسماً، لأنه لو أدرك لكان مخلوقاً مثلنا، لأن البصر لا يدرك إلا الأجسام المخلوقة.

﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ يحيط بها علمه، ولا يخفى عليه منها شيء ويراها من غير آلة.

﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴿١٠٣﴾﴾ لطُف عن أن يُدْرَكَ بالأبصار؛ لأن اللطيف هو الذي لا يُدْرَكُ، وهو خبير وعليم بكل شيء، ويُدْرِكُ كل شيء(٢).

الجواب: ﴿رَبُّكُمْ﴾ خبر ثان، ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ خبر ثالث.

(١)-**سؤال:** هل تريدون بهذا معنى: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴿١٠٢﴾﴾ أم ماذا؟

الجواب: المراد هو ذلك، وإنما قلنا ذلك لأن معنى «وكيل» يعود إلى العلم؛ لأن معناه أنه تعالى رقيب على أعمال عباده وحفيظ عليها، وسيلقون جزاء كل عمل عملوه؛ لأن الله تعالى كان يحفظ عليهم كل عمل عملوه، وكان رقيباً على ما يصدر منهم، وكل ذلك بمعنى أن الله تعالى كان يحصي أعمالهم بعلمه الذي أحاط بكل شيء.

(٢)-**سؤال:** هل تريدون أن هذه المقابلة تعود إلى كل من الوصفين السابقين؟

الجواب: نعم تعود إلى الوصفين السابقين.

سؤال: إذا قيل: إن هذه الآية عامة في جميع الأوقات والروايات خصصتها بجواز الرؤية في الآخرة للمؤمنين فكيف الرد؟

الجواب: يكون الرد كما يلي:

- مدح الله تعالى نفسه بهذا المدح: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ...﴾ [الأنعام:١٠٣]، والتخصيص يبطل المدح =

﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾[١] قد أتيناكم بآيات بينات تبصركم وتدلكم على الهدى، وتدلكم على الإله الحق.

﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾ فمن أراد أن يهتدي إلى طريق الحق فقد أحسن إلى نفسه، ومن عمي عن الحق فلن يضر إلا نفسه.

﴿وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ١٠٤﴾ قال النبي ﷺ للمشركين: لست بحفيظ عليكم أحصي أعمالكم وأحاسبكم عليها، فمن أراد أن ينفع نفسه فقد أحسن إليها، ومن أراد خلاف ذلك فلن يضر إلا نفسه، والله سبحانه وتعالى هو الذي سيحاسبكم، وما عليَّ إلا أن أبلغكم.

﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ﴾ نوضح الآيات ونتوعها ونكررها ونبينها لكم، فتكون حجة عليكم؛ لئلا يأتي يوم القيامة فتقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير.

لأن كثيراً من الأجسام حينئذ تكون مشاركة له في ذلك المدح لأنها تختفي في وقت وتظهر في وقت آخر.

- لا يجوز التخصيص في المسائل العلمية بالمخصص المنفصل، وذلك لما فيه من حمل المخاطب على اعتقاد الجهل والباطل إلى أن يأتي المخصص المنفصل.
- المفروض على المؤمن هو العلم بالله وبما له من العظمة والجلال والكمال علماً تطمئن إليه النفس وتسكن، والروايات التي رويت في رؤية الله تعالى يوم القيامة إذا صحت فلا يحصل للمؤمن إلا الظن بصدقها، والظن لا يكفي في هذا السبيل.
- على سبيل المثال حديث الرؤية: «لا تضامون في رؤيته...» قد اختلف الرواة في رفعه إلى النبي ﷺ ووقفه، فبعضهم رفعه وبعضهم وقفه، وبعضهم رواه بلفظ: «لا تضامون» وبعضهم: «لا تضارون» بتخفيف الراء، وبعضهم بتشديدها، وما كان كذلك لا تطمئن النفس على الاعتماد عليه والركون إليه.

(١)-**سؤال:** هل في هذه الآية ﴿بَصَآئِرُ﴾ إشارة إلى أن الآيات التي قبلها في نفي الرؤية من المحكم لا المتشابه؟

الجواب: نعم فيها ما يدل على أن ما تقدمها من الآيات من المحكم.

﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾[١] عندما تقرأ عليهم القرآن يا محمد سيقولون إنك درست وتعلمت عند الكهنة، ولم ينزل عليك من عند الله شيء، فلم يتأملوا ويتفكروا فيها ولم ينتفعوا بها، بل قالوا: إنما درس هذه الآيات عند الكهنة وتعلمها عندهم.

﴿وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ۝١٠٥﴾ يصرف الله سبحانه وتعالى الآيات ويبينها ويوضحها لأولئك الذين سيستفيدون منها، ولن يستفيد منها إلا أولئك المؤمنون الذين يتدبرون آيات الله فيعلمون ما فيها من البيان والعبرة.

﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ﴾ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه بأن يتبع ما نزل إليه من الوحي ويعمل به.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ۝١٠٦﴾ اتركهم ولا تستمع إليهم، وكان النبي ﷺ قد صدم بتكذيب قومه له، وقلت معنوياته حين دعاهم وبالغ في دعوتهم سنة بعد سنة ولم ير منهم أي استجابة، وإنما يزدادون طغياناً وكفراً كلما بلغهم، فأمره الله سبحانه وتعالى بأن يعرض عنهم، ولا يستمع لاستهزائهم به وبآيات الله سبحانه وتعالى، وأن يتبع ما يوحى إليه ويتوجه إلى عبادة الله وحده.

﴿وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكُواْ﴾ لو أراد الله سبحانه وتعالى أن يمنعهم من الشرك لمنعهم، ولكنه أراد أن يكونوا مختارين ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩]، لأجل أن يجازيهم.

﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾ تحفظ أعمالهم وتجازيهم عليها وتحاسبهم، وما عليك إلا تبليغهم فقط.

---

(١)-**سؤال:** قوله: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾ علة فما هو معلولها في الآية؟ وإذا كان تصريف الآيات فعلى ظاهر الآية لا يصح أن يكون قولهم: درس عند الكهنة مقصوداً من تصريف الآيات؟ وعلام عطف قوله: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾ من فضلكم أوضحوا هذا كله فهو يشكل علينا؟

الجواب: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾ علة معطوفة على علة محذوفة، والتقدير: وكذلك نصرف الآيات لكذا ولكذا.. وليقولوا درست، والمعلل هو تصريف الآيات واللام هي لام التعليل استعيرت للعاقبة.

﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾[١] تحصي عليهم أعمالهم، فإذا بلغتهم فقد أديت ما عليك وسنتولى الباقي.

﴿وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ[٢] يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً[٣] بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[٤] نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين عن سب الأصنام؛ لأنه يؤدي إلى أن يسبوا ربكم ويتجرؤوا على ذمه، فلا تثيروهم فيسبوا الله سبحانه وتعالى.

﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ

---

(١)-**سؤال:** يقال: هل معنى قوله: ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ نفس معنى: ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾، فما فائدة التكرير أم أنهما مختلفان؟

الجواب: ليس المعنى واحداً بل المعنيان متقاربان فقوله: ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ بمعنى: لست وكيلاً لله في كل ما هو إلى الله، فلن يسألك الله عما اقترفوه من المعاصي، ولا عن تمردهم، وليس عليك إلا تبليغ رسالة الله إليهم، والله جل وعلا هو الذي سيحاسبهم وهو مطلع على أعمالهم لا يخفى عليه شيء منها. ومعنى: ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾ هو ما كلفناك يا محمد أن تحفظهم من الوقوع في المعاصي والمهالك، ولا أن تحفظ عليهم أعمالهم فالله تعالى هو الذي سيحاسبهم ويجزيهم على أعمالهم وهو عالم بأعمالهم، وليس عليك يا محمد إلا تبليغ رسالة ربك فبين الأمرين اختلاف واتفاق. والحفيظ: هو المتولي لحفظ نحو الغنم والإبل والأموال، والوكيل: هو المتولي لأعمال موكله.

(٢)- **سؤال:** ما وجه التعبير بـ«الذين» والأصنام لا تعقل؟

الجواب: ساغ التعبير بـ«الذين» لأن المشركين نزلوها منزلة من يعقل أو فوق منزلة من يعقل.

(٣)- **سؤال:** ما إعراب ﴿عَدْواً﴾ وما أصلها؟

الجواب: تعرب «عدواً» مفعولاً مطلقاً لأنه من نوع الفعل، وتعرب مفعولاً من أجله، وعدواً أي: ظلماً، وهو مصدر عدا يعدو، وهو الاعتداء.

(٤)- **سؤال:** من أين استدل أصحابنا بهذه الآية على أنه لا يجوز النهي عن المنكر إذا أدى إلى أنكر منه؟ ومن أي أنواع الدلالة المعروفة؟

الجواب: استدلوا بهذه الآية من حيث جعلوها أصلاً قاسوا عليه كل ما كان مثلها في العلة أن النهي عن المنكر إذا أدى إلى أنكر منه حرم.

يَعْمَلُونَ﴿١٠٨﴾ زين الله تعالى لكل الناس الدين الحق على ألسنة[1] رسله يبعث الله سبحانه وتعالى لكل أمة رسولاً يزين لهم الحق، ويخبرهم به، ويدلهم عليه بالحجج والبراهين الواضحة، ويخبرهم بالكفر والمعاصي، فمنهم من يتبعه، ومنهم من يكذبه، ثم يحشرهم الله سبحانه وتعالى إليه يوم القيامة فيخبرهم بأعمالهم، ويحاسبهم عليها، ويجازيهم كلاً بما عمل.

﴿وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾[2] أقسم المشركون لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بأنه لو جاءهم بآية لآمنوا بها، قالوا ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ليعلموه بأن ما جاءهم به من الآيات ليس بشيء ولم تطمئن إليه قلوبهم، فإن كنت رسولاً من عند الله كما تدعي فأتنا بآية مثل آية الرسل الذين كانوا قبلك، وإنما قالوا ذلك تعنتاً وتمرداً واستكباراً، وإلا فقد عرفوا واستيقنوا بأنك رسول من عند الله وأن ما جئتهم به حق من عند الله، عرفوا ذلك وتحققوه بسبب ما آتاك الله من الآيات البينات والحجج الواضحة.

﴿قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللّهِ﴾ لأنهم كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتيهم بآية ليؤمنوا، فأمره الله سبحانه وتعالى بأن يخبرهم بأن الآيات من عند الله، وليست إلي ولا تحت قدرتي وما أنا إلا رسول مبين أبلغكم رسالة ربي.

---

(١)-**سؤال:** يقال: ظاهر الآية تزيين العمل بقسميه «الخير والشر» فما قرينة العدول عن الظاهر خصوصاً مع قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ على مقتضى الإعراب؟

الجواب: ذكر نحو ما ذكرنا الشرفي في المصابيح، وتأولها الزمخشري بعدة تأويل، وإنما عدلنا عن تزيين الشر الذي هو الكفر بالله والشرك والفسوق والعصيان؛ لأن الله تعالى ذم كل ذلك ونهى عنه وذم أهله وقبح أعمالهم. أما قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ فالإشارة به إلى بيان الله لآياته للمشركين وتزيينها لهم مع إعراضهم وإصرارهم على الكفر والفسوق والعصيان.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾؟ وما معناه؟

الجواب: ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ مفعول مطلق، ومعناه أعظم أو أكبر أيمانهم.

﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[1] كأن المؤمنين قد توسموا صدق المشركين، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لو جاءهم بآية لآمنوا؛ فهموا بسؤال النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن يأتيهم بآية، فقال الله لهم: وما أدراكم أنهم سيؤمنون[2] إذا جاءتهم آية، فلا تصدقوهم فلن يؤمنوا أبداً ولو جاءتهم كل آية.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[3] عندما لم يؤمنوا به أول مرة فلن تنفع فيهم الآيات؛ فقد عميت قلوبهم وأبصارهم، ولن يؤمنوا أبداً، وسيظلون على كفرهم وتمردهم؛ فالشخص إذا آمن واستجاب عند أول داعٍ يدعوه إلى الإيمان فسيزيده الله سبحانه وتعالى هدىً ونوراً في قلبه، وسيزيده بصيرة، والذي يعاند من أول ما يأتيه الحق فيعرفه ويتمرد فيقسو قلبه ويزداد عمىً في قلبه، ويسلبه الله سبحانه وتعالى ألطافه وهداه، ويتركه الله سبحانه وتعالى في ضلاله وطغيانه.

---

(١)-**سؤال:** ما محل «أن» وما بعدها في قوله: «أنها إذا جاءت»؟

الجواب: محلها النصب المفعول الثاني لـ«يشعركم».

(٢)-**سؤال:** يقال: ظاهر الآية نفي الإيمان فكيف؟

الجواب: ظاهر الآية نفي الإيمان إلا أن السياق يدل على ما ذكرنا، وقد تأول المفسرون الآية على حسب ما ذكرنا، وقوله: ﴿لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ ليس خبر «أن» بل هو رد على من اعتقد أنهم يؤمنون إذا جاءت الآية، والتقدير: وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون، لا يؤمنون، هذا هو ما دل عليه السياق وقد قال بعض المفسرين: إن «أن» في الآية بمعنى «لعل» ومنهم الزمخشري في تأويله لهذه الآية، وقيل: إن «لا» صلة، ونقلوا في تأويل هذه الآية كلاماً عن الخليل وسيبويه و.. إلخ.

(٣)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ﴾؟ وكيف صح أن ينسب تقليب القلوب والأبصار إلى الباري تعالى؟

الجواب: «ما» مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مجرور بالكاف، والمعنى على التعليل أي لعدم إيمانهم به أول مرة. ونسبة تقليب قلوبهم وأبصارهم إلى الله من حيث أنه تعالى منعهم من الألطاف والتوفيق والتنوير حين أعرضوا عن الإيمان عندما دعوا إليه فتسبب ذلك في حصول عمه القلوب والأبصار، ولم يحصل من الله تعالى سوى ذلك.

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلآئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ﴾ أراد الله سبحانه وتعالى أن يحسم طمع نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وطمع المؤمنين في إيمان المشركين، وأنهم لن يؤمنوا أبداً أبداً، وعندما أسلموا يوم الفتح بقوة الإسلام والسيوفُ على رؤوسهم فلم يكن إسلاماً وإنما كان استسلاماً، فقد أخبر الله سبحانه وتعالى أنهم لن يؤمنوا أبداً، ولن يدخل الإيمان في قلوبهم، ولو نزلت الملائكة تخبرهم بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صادق فيما جاء به، وكذلك لو بعث الله سبحانه وتعالى لهم أهل القبور يشهدون لهم بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صادق فيما جاء به- لما آمنوا، وكذلك لو حشر الله سبحانه وتعالى لهم كل شيء ويرونه علانية من الأموات والأحياء جميعاً، وجاء لهم بكل الآيات- لما آمنوا، ولما صدقوا محمداً ورسالته؛ فاحسم طمعك من إيمانهم فلن يؤمنوا، ولن يؤمنوا إلا إذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يدخلهم في الإيمان مكرهين وملجئين، ولكنه لم يرد ذلك، وجعل ذلك موكولاً إلى مشيئتهم واختيارهم.

وإسلامهم يوم الفتح إنما كان خوفاً واستسلاماً، ولم يسلموا في الحقيقة، وكانوا قد طردوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مكة وشردوه هو ومن معه، فلما قويت شوكة الإسلام، وصارت له هيبة ودولة عندها فتح النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة ودخلها عنوة، فحينئذٍ استسلموا وانقادوا مكرهين، وهذا ليس إسلاماً؛ لأنهم إنما أسلموا بألسنتهم فقط، وهذا كما أخبر الله سبحانه وتعالى أنهم لن يؤمنوا أبداً، وهذا في الجملة فقد يكون من أتباعهم من حسن إسلامه.

﴿وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴿١١١﴾﴾ يظن أكثر المسلمين[1] أن المشركين سيؤمنون

---

(١)-**سؤال:** يقال: ظاهر السياق حمله على المشركين الذين لا يؤمنون فكيف؟

الجواب: يذكر المفسرون الأمرين معاً منهم صاحب الكشاف، وحمله على أي التفسيرين جائز، وليس على أكثر المسلمين نقص أو ذم في جهلهم لعدم إيمان المشركين ولو جاءتهم كل آية، =

إذا طلبوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتيهم بآية ولكن الله سبحانه وتعالى رد عليهم بأن الأمر ليس كما تظنون فلن يؤمنوا أبداً.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه لم يبعث نبياً إلا ويكون له أعداءٌ من أمته، وكذلك أنت يا محمد لك أعداء من شياطين الإنس والجن، قائمون في وجه دعوتك، ومحاربون لك، ومستهزئون بك وبمن معك.

وليس المراد بالجعل هنا أنه الذي صيرهم كذلك، وإنما اقتضت حكمته تعالى التخلية بين الناس، وجعل ذلك متوقفاً على مشيئتهم وإرادتهم، ولما كان الأمر كذلك انقسم الناس قسمين: فمنهم من آمن باختياره، ومنهم من كفر باختياره، واقتضت حكمته أن يخلي بين هذين القسمين؛ ليصح التكليف، وما يترتب عليه من الثواب والعقاب، وكذلك هو ابتلاء منه سبحانه وتعالى وامتحان ليتميز المحسن من المسيء، فهذا هو معنى الجعل(١).

﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً﴾(٢) يتعاونون فيما بينهم،

وسؤالهم لنزول آية بلسان الحال أو المقال إنما كان لشدة رغبتهم في إسلام المشركين ودخولهم في الدين، وذلك ليس مما يخل بإيمانهم قبل أن يخبرهم الله بأنهم لن يؤمنوا ولو جاءتهم كل آية.

(١)-**سؤال:** هل هو مجاز أم استعارة؟ ومن أي الأقسام؟

الجواب: هو مجاز وليس باستعارة من إقامة المسبب مقام السبب حيث نسب المعاداة إلى نفسه وحصول المعاداة ناتج عن التخلية.

(٢)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ...﴾؟

الجواب: قد تكون جملة مستأنفة لبيان حال الجن والإنس فلا محل لها من الإعراب، وقد تكون حالاً منهم فتكون حينئذٍ في محل نصب.

سؤال: ما إعراب: ﴿غُرُوراً﴾؟

=

ويعلم بعضهم الآخر كيف يدخلون الشبه على الناس، ويلبسون عليهم في دينهم، وكيف يأتون بأقوال مزينة ومزخرفة يكون ظاهرها على ما يوافق الشرع، ولكنها في باطنها ليست إلا هدماً وتخريباً للدين، فيغتر بها ضعاف الإيمان ويصدقونها، وكذلك يزينون لهم التكذيب بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ويزينون لهم الباطل.

﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ لو شاء الله سبحانه وتعالى أن يمنعهم من التلبيس والتشكيك على الناس في دينهم لفعل، ولكن مشيئته سبحانه وتعالى اقتضت التخلية؛ لما يترتب عليها من التكليف والثواب والعقاب.

﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴿١١٢﴾﴾ اتركهم وباطلهم وافتراءهم وتكذيبهم وزخرفتهم الباطل.

﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾[1] الذين لا يؤمنون بالآخرة هم الذين يستمعون لأولئك الذين يزخرفون الباطل ويزينونه.

﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾ يميل الكافرون بآذانهم إلى استماع الباطل وما زخرفه الشياطين ويحبونه ويرضونه وتطمئن قلوبهم إليه.

﴿وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴿١١٣﴾﴾[2] ثم يتوجهون إلى اقتراف الجرائم من الكفر بالله والشرك به والتكذيب بآياته والاستهزاء برسوله صلى الله عليه وآله وسلم و...إلخ.

الجواب: «غروراً» مفعول من أجله.

(١)-**سؤال:** هذا وما بعده علة فأين المعلول؟ أم أنه إخبار فما وجه استخدام لام التعليل؟

الجواب: المعلول هو قوله: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ...﴾ وليس بإخبار، وقوله: ﴿وَلِتَصْغَى﴾ معطوف على ﴿غُرُوراً﴾.

(٢)-**سؤال:** ما الوجه في إبهام المفعول به: ﴿مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴿١١٣﴾﴾؟

الجواب: الوجه أن شياطين الإنس والجن سهلوا أسباب المعاصي وزينوا للناس الوقوع فيها من غير قصد إلى نوع دون نوع أو معصية دون معصية لذلك جاء التعبير في المفعول بالاسم الموصول الشامل لأي معصية تقع من الناس.

﴿أَفَغَيْرَ اللّهِ أَبْتَغِي حَكَماً﴾(١) إن رسول الله ﷺ لا يرضى بغير حكم الله ولن يتوجه إلى حكم سوى الله فلا تتوقعوا منه غير ذلك.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنَزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً﴾(٢) كيف يطلب حكماً غير الله سبحانه وتعالى وهو الذي أنزل الكتاب مفصلاً ومبيناً فيه الحق والباطل.

رفض المشركون أن يحتكموا إلى النبي ﷺ وأرادوا أن يحتكم النبي ﷺ إلى شريعتهم الباطلة وحكم الجاهلية، وأن يدخل في دينهم فنزل القرآن برفض مطلبهم.

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴿١١٤﴾﴾ لا يغرك يا محمد تكذيب أهل مكة ومن حولها بالقرآن، وبما جاءك من عند الله سبحانه وتعالى، فلا تظنن أن القرآن ليس حقاً عندما ترى ذلك وترى عدم إيمانهم وتصديقهم، فعلماء أهل الكتاب يعلمون أنه منزل من عند ربك، وأنه حق وصدق، فلا يداخلك الشك يا محمد. والله سبحانه وتعالى وجه الخطاب إلى النبي ﷺ والمراد به أصحابه؛ لأن النبي ﷺ منزه عن ذلك، وعن أن يخالجه الشك في الله تعالى وفي القرآن.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً(٣) لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴿١١٥﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه ﷺ بأن لا يدخلكم -أيها المؤمنون- الشك في وعد الله سبحانه وتعالى لكم بالنصر؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد وعد نبيه ﷺ والمؤمنين بأنه سيظهر دينه على جميع الأديان ولو كره

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب ﴿غَيْرَ اللّهِ﴾؟

الجواب: ﴿غَيْرَ اللّهِ﴾ مفعول به لأبتغي.

(٢)-**سؤال:** ما محل جملة ﴿وَهُوَ الَّذِي..﴾؟

الجواب: في محل نصب حال من لفظ الجلالة.

(٣)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿صِدْقاً وَعَدْلاً﴾؟

الجواب: تعرب تمييزاً «تمييز نسبة».

المشركون، وسيورثهم الأرض، وسيقهر الشرك والمشركين، وسيسيطر الإسلام على الدنيا، وسيكون للإسلام دولة وكيان، وسيقهر المسلمون كسرى وقيصر، ويستولون على ممالكهم[(١)].

ومع طول المدة والابتلاء كأن المؤمنين قد دخل في قلوبهم الشك في وعد الله سبحانه وتعالى لهم بذلك، فرد الله سبحانه وتعالى عليهم بأنه قد تمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً، وهو وعد حق ولا بد أن يقع، فانتظروا واصبروا فالفرج لا يكون إلا بعد شدة، وهو عالم بما ينزل عليكم من المشركين، وسيثيبكم على صبركم، وسيعاقب أولئك على كفرهم.

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ﴾[(٢)] كان الشك يدخل في قلوب المؤمنين عندما يرون قلة أهل الحق وكثرة أهل الباطل، وبدأوا يشكون في دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم هل هي حق؟ ويتساءلون كيف يمكن أن يكون أهل الكثرة على الباطل؟ فأنزل الله سبحانه وتعالى: بأنك يا محمد إن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله.

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾ لأنه ليس معهم في قلوبهم إلا أوهام يتوهمونها، ولا أدلة لهم ولا حجة في عبادتهم الأصنام وادعائهم إلهيتها، وإن هم إلا يكذبون فيما يدعونه فلا تغتروا بكثرتهم.

---

(١)-**سؤال:** من أين يظهر لنا أن كلمة الله وعده للمسلمين بالنصر؟ وهل يصح أن تعم؟

الجواب: قد استعملت هذه العبارة لما ذكرنا في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات]، وإنما لم نجعلها عامة لورودها في سياق ذكر المشركين وما هم عليه من التكذيب والتمرد حين كان المسلمون في مكة وقريش في جبروتها وقوتها والمسلمون في ضعف شديد وذلة.

(٢)-**سؤال:** هل المراد طاعة جماعتهم أو طاعة أفراد الأكثر فرداً فرداً؟

الجواب: المراد طاعة أفراد الأكثر فرداً فرداً.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴿١١٧﴾﴾ فهو يعلم سبحانه وتعالى من هم الضالون، ومن هم المهتدون، فأنت يا محمد ومن معك الذين على الهدى، وأولئك على الضلال.

﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴿١١٨﴾﴾ كان المسلمون يتشككون في أنهم على الحق، وأن المشركين هم الذين على الحق، والسبب في ذلك أن المشركين كانوا يدخلون الشبه على المسلمين، ومنها أنهم كانوا يستنكرون على المسلمين كيف تأكلون مما ذبحتم، ولا تأكلون مما ذبحه الله؟!! ومرادهم بذلك الميتة، فبدأ الشك يدخل في قلوب المسلمين؛ لأن المشركين كانوا يأكلون الميتة ويقولون: إنها ذبيحة الله، فكانوا يجادلون المؤمنين في ذلك، ويدخلون عليهم الشبه، ويزينون باطلهم بذلك ويزخرفونه؛ فأخبرهم الله سبحانه وتعالى وأمرهم أن يأكلوا مما ذبحوه بأيديهم، وليس حراماً كما يزعم المشركون(١).

﴿وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ﴾(٢) كان أصحاب النبي ﷺ

---

(١)-**سؤال:** يقال: ظاهر شبهة المشركين أن ما ذبحوه بأيديهم حلال وأن الميتة «ما ذبحه الله» أحلُّ منه، فمن أين يُفْهَم تحريمُهم لما ذبحوه هم؟

الجواب: يفهم من الآية التي بعدها ﴿وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ﴾ بل ومن هذه الآية أيضاً ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴿١١٨﴾﴾ فإن الآيتين تدلان على أن المسلمين امتنعوا وتحرزوا من أكل ما ذكر اسم الله عليه غاية التحرز الذي هو معنى التحريم.

(٢)-**سؤال:** يا حبذا لو أعربتم الجملة: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُواْ﴾؟ وذكرتم محل جملة: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم...﴾؟

الجواب: «ما لكم» مبتدأ وخبر. «أن لا تأكلوا» أن مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر وهو مجرور بفي مقدرة، والتقدير: وأي غرض لكم في عدم الأكل. «وقد فصل لكم» الجملة حالية من لفظ الجلالة في محل نصب والواو رابط للجملة.

يداخلهم الشك فلا يأكلون مما ذبحوه بأيديهم، فاستنكر عليهم الله سبحانه وتعالى ذلك.

﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾(١) قد فصل الله سبحانه وتعالى ووضح لكم ما حرمه عليكم كالميتة والدم ولحم الخنزير والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع، فلا تأكلوا من الميتة إلا إذا حصلت الضرورة، فلا بأس أن تأكلوا منها.

﴿وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾(٢) كثير من الناس يضللون على غيرهم، ويلبسون عليهم دينهم بغير حجة، ليس معهم حق ولا دليل ولا برهان.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ۝١١٩﴾ فهو عالم بالذين يعتدون فيحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحل الله.

﴿وَذَرُواْ ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين أن يتركوا ظاهر الإثم، وهو: ما كان واضحاً يعلمه المرء من المعاصي، وباطنه: هو الإثم الذي لا يتضح للمرء إثمه وقبحه، وقد بعث الله سبحانه وتعالى أنبيائه ليبينوا للناس هذه الأشياء المحرمة(٣).

---

(١)-**سؤال:** هل مقتضى السياق: «وقد فصل لكم ما حرم عليكم، وليس منه ما ذكر اسم الله عليه»؟

الجواب: نعم مقتضى السياق هو ذلك.

(٢)-**سؤال:** بماذا تعلق قوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ إن كان بـ«يضلون» فهل يصح أن يتعلق حرفان من جنس واحد بمتعلق واحد؟

الجواب: ﴿بِأَهْوَائِهِم﴾ متعلق بيضلون، و﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ متعلق بمحذوف حال أي: حال كونهم متلبسين بالجهل فلم يتعلق الحرفان بمتعلق واحد.

(٣)-**سؤال:** وهل يصح حمل الآية على ما ذكر في التكملة بأن الباطن معاصي القلب والظاهر معاصي الجوارح؟ وكذا حمل الباطن على ما يفعل في السر؟

الجواب: الآية محتملة لكل ذلك، ويصح تفسيرها بأي مما ذكر ما دام التفسير عاماً لجميع المعاصي ظاهرها وخفيها.

فالظاهر إذاً هو الذي يعلمه المرء، ويعلم بفطرته قبحه وخبثه، ولا يحتاج فيه إلى من يخبره بذلك، كالبول والغائط فالإنسان بعقله وفطرته يستقبحه ويستخبثه وينفر عنه، وكالميتة المتعفنة فإن العقل ينفر منها بفطرته، وهو يعلم أنه لا يجوز أكلها، وما أشبه ذلك.

وأما الإثم الباطن فكالميتة حديثة الموت فإن الإنسان لا يعلم بفطرته أنها خبيثة وأنه لا يجوز له أكلها، فاحتاج إلى من يخبره بذلك وكالدم ولحم الخنزير.

والله سبحانه وتعالى لا يحرم علينا شيئاً إلا لمصلحة قد نعلمها وقد لا نعلمها ويعلمها هو.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ[1] سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ﴿١٢٠﴾﴾ الذين يفعلون المآثم ويقدمون على فعلها؛ فسيجزيهم الله سبحانه وتعالى بذلك.

﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾[2] المذبوح الذي لم يذكر اسم الله سبحانه وتعالى عليه نهى الله سبحانه وتعالى عن الأكل منه، كالميتة وذبائح المشركين؛ لأنه فسق وخروج عن أمر الله.

---

(١)-**سؤال:** ما النكتة في التعبير بالمفرد في الإثم دون الجمع؟

الجواب: النكتة -والله أعلم- هي:

- قد قيل: إن عموم المفرد الجنسي الذي دخلت عليه أل الجنسية أشمل من عموم الجمع المحلى بأل.
- المفرد أوجز من الجمع أي أن حروفه أقل من حروف الجمع، فكان أولى.

(٢)-**سؤال:** هل يؤخذ من الآية أن الذبيحة التي لا يسمى عليها محرمة لا يجوز أكلها؟ وما حكم الناسي مع دليله أيدكم الله بتأييده؟

الجواب: يؤخذ من الآية تحريم أكل كل ذبيحة لم يسم الله عليها عند ذبحها، والتحريم في هذه الآية يعم ذبيحة الكافر والمسلم التارك لذكر اسم الله على الذبيحة عامداً أو ناسياً. وحكم ناسي التسمية هو حل ذبيحته لحديث: ((رفع عن أمتي الخطأ والنسيان)) وحل ذبيحته هو مذهب القاسم والهادي عليهما السلام وجماعة من الصحابة والتابعين، وهذا -أي: قول القاسم والهادي وغيرهم- هو الذي رجح القول بالحل؛ لضعف عموم الحديث عن عموم القرآن.

﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ يوحي الشياطين إلى أوليائهم من المشركين ليجادلوكم أيها المؤمنون لماذا لا تأكلون مما ذبحه الله.

﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾[1] إذا رضيتم لهم في قولهم هذا وأطعتموهم- صرتم مشركين مثلهم.

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ[2] كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ[3] لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

---

(١)-**سؤال:** ما سبب سقوط الفاء من الجواب مع كونه جملة اسمية؟

الجواب: يمكن أن يقال: إن قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ جواب قسم محذوف وهو ساد مسد جواب الشرط.

سؤال: لماذا حُكِمَ بالشرك في ظاهر الآية على من أكل الميتة؟

الجواب: حكم بالشرك في هذه الآية على من أطاع المشركين في حل الميتة ودان بدينهم فيها وذلك من حيث أن مطيعهم قد جعلهم أهلاً لتشريع الشرائع والسمع والطاعة بالالتزام بها والتعبد بمقتضاها، وذلك لا ينبغي ولا يجوز إلا للإله الحق رب العالمين.

(٢)- **سؤال:** هل معنى ﴿فِي النَّاسِ﴾ بين الناس أم كيف؟

الجواب: معنى يمشي به: يهتدي به إلى طرق مصالحه في الأرض، إلا أنه لما كان الناس هم أهل الأرض وسكانها الذين خلق الله لهم ما في الأرض جميعاً، وهم مكان حكمة خلق الله تعالى للأرض حيث كلفهم حمل دينه والعمل بشرائعه و.. إلخ، فلما كان الأمر كذلك عبر بالناس مكان الأرض إما لأنهم جزء من الأرض، وإما لأنهم عليها ومستوطنون فيها وكونهم جزءاً من الأرض لأنهم خلقوا من ترابها، وعلى هذا فيكون «الناس» من المجاز المرسل لعلاقة الجزئية أو المظروفية. وقد قالوا: لا يصح استعمال الجزء إلا إذا كان له خصوصية كالعين في الجاسوس، وهاهنا الخصوصية أن معرفة أهل الحق وأهل الباطل ودعاة الحق ودعاة الباطل والاطلاع على أعمال المخلصين وسيرهم وعلى أعمال المنافقين وسيرهم و... إلخ هي المقصود الأعظم الذي يراد من النور.

(٣)- **سؤال:** ما معنى قوله: ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ﴾؟

الجواب: المعنى أن الشيطان زين للكافرين أعمالهم الخبيثة تزييناً مثل تزيين الله تعالى دين الحق للمؤمنين فكل من الكافرين والمؤمنين قد حسن في قلبه ما هو فيه من العمل.

أخبر الله سبحانه وتعالى بأنه لا يستوي من كان ميتاً ثم أحياه الله بالإسلام فاهتدى[١] وآمن، هو والذي في ظلمات الجهل ولم يهتدِ، والشيطان وأولياؤه هم الذين يزينون للمشركين الباطل والشرك وعبادة الأصنام وأكل الميتة.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾[٢] أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأن كل قرية بَعَثَ فيها نبياً فإن أكابر أهلها يقومون في وجوه أنبيائهم، ويحاربونهم ويمكرون بالمؤمنين، وكذلك هؤلاء الذين بعثت فيهم يا محمد يمكرون بالإسلام وبأهله، ويستهزئون بهم، ويحاربون الدين، ويصدون الناس عنه، ولكنهم بهذا لا يضرون إلا أنفسهم، وذلك باستحقاقهم سخط الله سبحانه وتعالى وعذابه، والله سبحانه وتعالى سيظهر دينه ولو كره المشركون، ولو أراد الله سبحانه وتعالى أن يمنعهم من ذلك لفعل، ولكن حكمته اقتضت التخلية فيما بين خلقه ليترتب على ذلك الجزاء، والجعل[٣] هنا هو التخلية بين الأنبياء وأعمالهم وبين المجرمين وأعمالهم.

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾[٤] كان المشركون أهل تكبر يحبون الرياسة والوجاهة والتعالي على الناس؛ فإذا جاءتهم آية

---

(١)-**سؤال:** هل يصح أن يحمل الإحياء على الاهتداء بنور العلم والمعرفة؟

الجواب: ذلك هو المعنى المقصود في الآية.

(٢)-**سؤال:** هل اللام في قوله: ﴿لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ للتعليل أو للعاقبة؟

الجواب: اللام هي لام العاقبة، وهي أصلاً للتعليل ثم استعيرت للعاقبة.

(٣)-**سؤال:** كيف كانت التخلية جعلاً؟

الجواب: لما كانت التخلية سبباً في حصول ما يحصل من مكر المجرمين وكيدهم وعداوتهم لأهل الحق والتخلية هي من الله وبفعله ساغ أن ينسب ما يحصل بها إلى الله على سبيل المجاز المرسل.

(٤)-**سؤال:** هل يريدون بما أوتي رسل الله النبوة والمعجزات؟

الجواب: يريدون النبوة: ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ﴾ [الإسراء:٩٣].

تدل على صدق نبوة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كذبوا بها، وقالوا: لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي أنبياء الله ورسله، فرد الله سبحانه وتعالى فقال: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ﴾ فلا يؤتيها إلا لمن علم أنه أهل لحملها وتبليغها.

﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ اللهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ﴿١٢٤﴾﴾(١) أكابر المجرمين الذين تكبروا وتمردوا سيجازيهم الله سبحانه وتعالى من جنس أعمالهم، فسينالون بدل الرياسة والشرف والكبر في الدنيا الصغار وهو الذل والخزي والهوان. وقد نزلت هذه الآية في أكابر قريش ورؤسائها.

﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ﴾ الذي آمن واستجاب من أول ما بلغته الدعوة فهذا هو الذي أراد الله سبحانه وتعالى أن يهديه، ومن أراد الله سبحانه وتعالى أن يهديه شرح صدره ووسعه، وجعل له راحة في صدره(٢).

﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء﴾ إن من أعرض عن دعوة أنبياء الله ورسله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وكذب بها حين وصلته سيحرم من الألطاف والتنوير وسيتركه الله لشأنه جزاءً على تكذيبه وكفره، وبحرمانه من رحمة الله وألطافه تضيق به الدنيا وتكثر في صدره الهموم فلا يتسع صدره بعد ذلك للإسلام والهدى(٣).

---

(١)- **سؤال:** هل «ما» في قوله: ﴿بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ﴿١٢٤﴾﴾ موصولة أو مصدرية؟

الجواب: هي مصدرية وليست موصولة للسلامة من كثرة التقدير.

(٢)-**سؤال:** من فضلكم ما هو الدليل على أن المراد بالهداية هنا هدى المجازاة؟

الجواب: الدليل هو أن الهداية التي بمعنى الدلالة يعطيها الله تعالى لعموم المكلفين لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت:١٧]، فلما خص الله تعالى في هذه الآية الهداية بالمسلم دون الضال علمنا أنه أراد بها الهداية التي بمعنى الثواب والجزاء.

(٣)-**سؤال:** كيف صح أن يكون سلب الألطاف والتنوير إضلالاً؟ وما معنى ﴿حَرَجاً﴾؟ وما إعرابها؟

الجواب: حرمان المعرضين عن الإسلام من التنوير والألطاف سبب أو كالسبب في استرسالهم في الضلال والتوغل فيه، فجاز لذلك أن يقال على سبيل المجاز المرسل: إن الله أضلهم، =

﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴿١٢٥﴾﴾ يجعل الله سبحانه وتعالى هذا الضيق على هذا الذي رفض الهدى عندما جاءه ولم يؤمن به(١).

﴿وَهَـذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً﴾ الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو الصراط المستقيم والدين الحق الذي لا عوج فيه.

﴿قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴿١٢٦﴾﴾ وضحنا الآيات لمن أراد أن يذَّكَّرها، فمعرفة الله سبحانه وتعالى ووحدانيته وإلهيته موجودة في العقل، وقد فطره الله سبحانه وتعالى على ذلك، والله سبحانه وتعالى يفصل آياته لمن تذكرها وعقلها، وبحث في عقله وفكر فيها، فآيات الله سبحانه وتعالى تثير العقل وتجعله ينظر فيها، وهي مطابقة لما ركزه الله سبحانه وتعالى في عقله إذا تأمل فيها وتفكر(٢).

من إقامة المسبب عن السبب. ومعنى ﴿حَرَجاً﴾ ضيقاً شديد الضيق وهو وصف بالمصدر، ويعرب صفة لضيقاً، أو مفعولاً ثالثاً.

سؤال: ما معنى: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء﴾ وما إعرابها؟

الجواب: تفيد هذه العبارة: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء﴾ المبالغة في وصف صدر الضال بالضيق حيث بلغ به الضيق إلى حد يشابه فيه من يحاول ما لا يقدر عليه بحال وهو صعود السماء، أو يشابه من يتنفس الصعداء وينفخ في السماء رافعاً رأسه إلى السماء لأخذ الهواء ورده، والجملة في محل نصب حال أي: مشابهاً من يتصعد في السماء.

(١)-**سؤال:** ما وجه تسمية الضيق بالرجس؟

الجواب: سمي الضيق رجساً لأنه أثر من آثار الضلال والكفر ونتيجة من نتائجه، والضلال والكفر رجس، أو أنه سمي رجساً لأنه ناتج عن عقوبة نازلة من الله، والعقوبة هي حرمان الضال من الألطاف والتنوير وزيادة الهدى.

(٢)-**سؤال:** قد يقول القائل: إذا كان هذا هو الواقع فلسنا بحاجة إلى أن ندرس في كتب أصول الدين من أجل معرفة الله فكيف يرد عليه؟

الجواب: القرآن حجة الله على عباده المكلفين إلا أنه لا بد له من تراجمة يبينونه للناس، وقد كان =

فالأوهام والعادات التي نشأوا عليها في الجاهلية قد غطت عقولهم واستولت عليها، فأنزل الله سبحانه وتعالىٰ آياته لتزيل هذه الأوهام والعادات، إذا تفكروا فيها وتذكروها.

﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ هؤلاء الذين يتذكرون بآيات الله سبحانه وتعالىٰ ويستجيبون لها؛ فلهم الجنة.

﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴿١٢٧﴾﴾ فالله سبحانه وتعالىٰ ناصرهم بسبب أعمالهم في الدنيا والآخرة.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً﴾ المشركين والكفار. وعند حشرهم يخاطبهم الله سبحانه وتعالىٰ فيقول: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ﴾(١) قد اقتطعتم في صفكم أكثر الإنس(٢).

﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ استمتعنا بالجن في

رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في حياته هو المبين: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤]، ثم إن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جعل للقرآن تراجمة بعد عهده يترجمون للناس ما أنزله الله تعالىٰ في الكتاب الكريم فقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الحديث المتواتر المشهور: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتىٰ يردا عليَّ الحوض))، وقد كان أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يبين للناس أصول الدين من فوق المنابر، وخطبه عَلَيْهِ السَّلَامُ محفوظة إلىٰ اليوم في أصول الدين وفي غيره، فلما كان عصر التأليف والتصنيف ألف تراجمة القرآن «أهل بيت النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» كتباً في أصول الدين ترجموا فيها ما جاء في الذكر الحكيم من معارف أصول الدين وبينوها للناس كما يشاء الله؛ لذلك فلا غنىٰ بالناس عن نبي الإسلام، ولا عن خليفته علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا عن أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ ليبينوا للناس أحكام القرآن وشرائع الفرقان، من أصول الدين ومن غيره من علوم الإسلام وشرائعه.

(١)-**سؤال:** ما موضع: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ﴾ الإعرابي؟

الجواب: موضعه النصب، مقول قول محذوف.

(٢)- **سؤال:** ما معنىٰ اقتطاعهم لأكثر الإنس؟ هل أدخلوهم فيما دخلوا فيه؟

الجواب: المعنىٰ أنهم أدخلوهم فيما دخلوا فيه من الضلال.

الدنيا، واستنفعنا بهم فيها وتمتعنا، وهم قد استمتعوا بنا[(١)].

﴿وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِىَ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ الأجل الذي كتبته لنا، وهو القيامة.

﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ﴾ ليس معناه أنهم سيخرجون من النار؛ لأن المسلمين قد أجمعوا على عدم الخروج من النار لأنهم كفار، والمراد بقوله: ﴿إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ﴾ المراد بهذا الاستثناء أن خلود أهل النار بمشيئة الله ولو شاء لم يخلدهم فيها، وقد أخبر تعالى أن الكفار لا يخرجون من النار إطلاقاً وأنهم خالدون فيها أبداً.

﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَليمٌ﴿١٢٨﴾ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴿١٢٩﴾﴾ يسلط الله سبحانه وتعالى بعض الظالمين على بعض بسبب أعمالهم وذنوبهم[(٢)].

---

(١)-**سؤال:** ما صور استمتاع الجن بالإنس والعكس؟

الجواب: استمتاع الإنس بالجن هو أن الجن أوصلوهم إلى شهواتهم وإشباع رغباتهم وأهوائهم، وعلموهم السحر وكيفية الانتفاع به، وبما يوصلونه إلى الكهنة من السمع المسترق. واستمتاع الجن بالإنس معنوي هو: السيطرة على الإنس بوساوسهم والتعاظم بطاعتهم لهم، فكانوا بسبب ذلك بمنزلة الأرباب لهم.

(٢)-**سؤال:** من أي ناحية صارت التولية بمعنى التسليط في قوله: ﴿نُوَلِّي﴾؟ وما المقصود بكذلك قبلها؟ وما إعراب بعضاً الثانية؟

الجواب: نقل في المصابيح عن البرهان: وقد تكون التولية بمعنى التسليط أي: التخلية من التوفيق فيتعدى بعضهم على بعض، ويظلم بعضهم بعضاً.. إلخ، وفيها أيضاً: وجه التشبيه في «كذلك» تقديره: كذلك التولي بتخلية بعضهم مع بعض للامتحان الذي معه يصح الجزاء على الأعمال، توليتنا إياهم بجعل بعضهم يتولى أمر بعض للعقاب الذي يجري على استحقاق، ونقل فيها عن الهادي عليه السلام قوله: ومنها تسليط بعضهم على بعض، وذلك قوله سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴿١٢٩﴾﴾. و«بعضاً» الثانية: المفعول الثاني لنولي، أو منصوب على نزع الخافض أي: على بعض.

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾ يناديهم الله سبحانه وتعالى ثم يخاطبهم قائلاً: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ[(١)] يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ يخبرونكم بآيات الله سبحانه وتعالى وبيناته.

﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَـذَا﴾ ويحذرونكم يوم القيامة والبعث والحساب.

﴿قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا﴾ قالوا: نعم نحن نقر بأنه قد جاءتنا الرسل فكذبنا بها.

﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ غرتهم الحياة الدنيا بزينتها ومتاعها وملذاتها فمالوا إليها وتركوا الإيمان والهدى، وشهدوا يوم القيامة أنهم كانوا كافرين بالله ورسله.

﴿ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ[(٢)] مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾﴾ اقتضت سنة الله سبحانه وتعالى وحكمته ألا يؤاخذ أهل القرى بمعاصيهم وكفرهم، وهم غافلون عن شريعة الله سبحانه وتعالى، ولم يكونوا قد علموا بها، ولم تكن قد بلغتهم دعوة الرسل، وهذا هو المراد بغفلتهم.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾﴾[(٣)] الثواب

---

(١)-**سؤال:** كيف عبر بـ: ﴿رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ ولم يُعلم رسول من الجن، وإنما الرسل من الإنس؟

الجواب: قد يكون ذلك من باب التغليب، أو يعود إلى الإنس خاصة لعدم اللبس لوجود قرينة وهي العلم بأن الرسل من الإنس.

(٢)-**سؤال:** إلامَ الإشارة بقوله: ﴿ذَلِكَ﴾؟ وما إعرابها؟ وما إعراب: ﴿أَن لَّمْ يَكُن﴾؟

الجواب: «ذلك» إشارة إلى إرسال الله تعالى للرسل إلى عباد الله، وإنذارهم لهم، وتعرب الإشارة خبراً لمبتدأ محذوف تقديره: الأمر ذلك. و﴿أَن لَّمْ يَكُن﴾ مؤول بمصدر مجرور بلام الجر «لام العلة» أي: لعدم كون ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون.

(٣)-**سؤال:** يقال: ما الذي يدلنا على أن ﴿لِكُلٍّ﴾ يعود إلى الثواب والعقاب؟

الجواب: المراد أن الثواب والعقاب درجات متفاوته وسيلقى كل عامل جزاء عمله بقدر ما يستحقه فمن زاد عمله كان في درجة أرفع ممن دونه في العمل.

=

والعقاب درجات متفاوتة، وكل امرئ على حسب عمله في الدنيا، وكل سينال على قدر عمله، لا يخفى على الله سبحانه وتعالى شيء مما عمل.

﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾(١) فليس محتاجاً إلى المشركين، وهو غني عنهم، غير أن الله سبحانه وتعالى رحيم بعباده حين يناديهم لأجل أن يدخلهم في رحمته التي وسعت كل شيء.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم(٢) مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ۝١٣٣﴾ فهو غني عنكم، ولو أراد أن يستأصلكم، ويخلق بدلاً منكم قوماً آخرين مثلما خلقكم وأنشأكم من ذرية قوم آخرين لفعل.

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ۝١٣٤﴾ أكد الله سبحانه وتعالى لهم بأن ما وعدهم على لسان رسوله في القرآن لا بد أن يقع، ولن يعجزوا الله، ولن يستطيعوا الهرب من قبضته.

﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ(٣) إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ

سؤال: ما معنى: ﴿مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ وما إعرابها؟

الجواب: ﴿مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لدرجات، و«ما» مصدرية أو موصولة، أي: من عملهم، أو من الذي عملوه، والمعنى: أن لكل درجات من أعمالهم صالحة أو سيئة فتكون درجة كلٍّ بقدر العمل الصالح أو السيئ.

(١)-**سؤال:** هل يمكن أن تكون رحمته هنا في عدم استئصالهم والاستخلاف بدلهم؟

الجواب: رحمته هنا هي إمهالهم والتأني بهم وعدم استئصالهم مع أنهم قد استحقوا العذاب.

(٢)-**سؤال:** بم تعلق قوله: ﴿مِن بَعْدِكُم﴾؟ وما إعراب: ﴿كَمَا أَنشَأَكُم﴾؟

الجواب: ﴿مِن بَعْدِكُم﴾ جار ومجرور حال من الاسم الموصول الذي بعده. ﴿كَمَا أَنشَأَكُم﴾ جار ومجرور صفة لمصدر محذوف.

(٣)-**سؤال:** هل قوله: ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾ اسم أو مصدر؟ وعلى أيهما كان بمعنى الجهد؟ وهل يصح أن يكون بمعنى الطريقة؟

=

لَهُ عَاقِبَةُ الدِّارِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴿١٣٥﴾﴾ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأن يقول لقومه: اعملوا جهدكم في كفركم وباطلكم، وأنا سأعمل جهدي في تبليغ رسالتي، وسوف تعرفون من الذي هو على الحق؟ ومن ستكون العاقبة الحسنة له؟ وأنتم تعلمون عاقبة الظالمين بأنهم لا يفوزون في نهاية الأمر، وأن عاقبتهم تكون الخسران والبوار.

﴿وَجَعَلُواْ لِلّهِ مِمِّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ[1] وَالأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُواْ هَـذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ كان المشركون أهل رعي، وأصحاب إبل وبقر وغنم وماعز؛ فقسموا هذه الأصناف، فجعلوا لله سبحانه وتعالى نصيباً من أنعامهم[2]، وللأصنام وللأصنام نصيبا.

﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللّهِ﴾ فلا يعطون الله منها شيئاً.

﴿وَمَا كَانَ لِلّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ﴾ فيجعلون نصيب الله سبحانه وتعالى لأصنامهم.

الجواب: قال صاحب الكشاف: المكانة تكون مصدراً يقال: مكن مكانة إذا تمكن أبلغ التمكن، وبمعنى المكان، يقال: مكان ومكانة، ومقام ومقامة، وقوله: ﴿اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ يحتمل: اعملوا على تمكنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وإمكانكم، أو اعملوا على جهتكم وحالكم التي أنتم عليها... إلى آخر كلام صاحب الكشاف. فكما ترى فقد ذكر الزمخشري التفسيرين الذي ذكرته والذي ذكره السائل.

(١)-**سؤال:** ما معنى قوله: ﴿ذَرَأَ﴾؟ وكيف جعلوا لله نصيباً من الحرث؟

الجواب: معنى «ذرأ» خلق وأنشأ، وكانوا يجعلون لله نصيباً مما أخرجته الأرض من الثمار والحبوب فإذا حصدوا أو جذوا الثمر أو قطفوا أخرجوا من ذلك نصيباً فقالوا: هذا لله، ثم أخرجوا نصيباً آخر وقالوا: هذا لشركائنا «لآلهتنا» أي لأصنامهم التي يعبدونها.

(٢)- **سؤال:** لو وضحتم ما معنى جعلهم لله نصيباً من الأنعام هل بالذبح أو بالتعيين؟

الجواب: نصيب الله تعالى في الأنعام يكون عند المشركين بالتعيين.

﴿سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴿١٣٦﴾﴾ فهذا الحكم باطل سيئ، وبئس الحكم.

﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلاَدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ[1] لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾[2] أخبر الله سبحانه وتعالى أن الشياطين زينت للمشركين ووسوست لهم أن يقتلوا بناتهم، فكان من ولدت له بنت يقتلها، زينت لهم الشياطين ذلك؛ ليوقعوهم في سخط الله سبحانه وتعالى وغضبه وعذابه؛ لأن الشياطين عالمة بالحق وعارفة له، ولكنهم قد تمردوا على الله سبحانه وتعالى، وكفروا وضلوا عن سواء السبيل.

﴿وَلَوْ شَاء اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ لو شاء الله سبحانه وتعالى أن يمنعهم بالقسر والإلجاء لمنعهم عن التزيين والوسوسة، ولكن مشيئته اقتضت التخلية.

﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴿١٣٧﴾﴾ أعرض عنهم يا محمد، واتركهم وافتراءاتهم وكذبهم، ما عليك إلا تبليغ دينك، فلا يهمك أمرهم وما هم فيه.

﴿وَقَالُواْ هَـذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لاَّ يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَن نّشَاء بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لاَّ يَذْكُرُونَ اسْمَ اللّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاء عَلَيْهِ[3] سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴿١٣٨﴾﴾ كان مع المشركين مذاهب وأحكام في التحليل والتحريم، وكان لهم أحكام وتشريعات في الحرث والأنعام، ومعنى «حجر»: حظرٌ، منع

---

(١)-**سؤال:** يقال: ما وجه التخالف في معنى الشركاء في هذه الآية ومعناه في الآية التي قبلها؟

الجواب: الشيطان «الشياطين» هم الذين أمروا المشركين بعبادة الأصنام وزينوها لهم ورغبوهم فيها: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي ءَادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ [يس:٦٠]، فعُبّاد الأصنام هم عُبّاد الشيطان.

(٢)- **سؤال:** كيف تلبس الشياطين على المشركين دينهم بقتل أولادهم؟

الجواب: زينت الشياطين للمشركين الشرك وقتل أولادهم فدخلوا في الشرك وقتلوا أولادهم، زينت لهم ذلك ليلبسوا عليهم دينهم الحق الذي كانوا عليه وهو دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وليخلطوه عليهم حتى لا يتبين لهم فيعتقدوا أن ذلك المختلط بالباطل دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

(٣)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿افْتِرَاء عَلَيْهِ﴾؟

الجواب: تعرب مفعولاً مطلقاً مؤكداً لمضمون الجملة لأن معنى الكلام كله أنهم افتروا ذلك.

أي: لا يحل قربها لأحد.

فصنف من الأنعام والحرث لا يطعمها إلا أناس مخصوصون، وصنف من الأنعام يحرم ركوبها إذا بلغت حداً قد حددوه ووقتاً قد رسموه[١]، ونوع من الأنعام جعلوا ذكر الله سبحانه وتعالى عليها عند ذبحها محرماً.

وسوف يجازيهم الله سبحانه وتعالى بسبب أعمالهم هذه التي افتروها عليه.

﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَـذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾ جعلوا الحمل الذي تحمله بعض الأنعام في بطونها حلالاً للذكور[٢] وحراماً على الإناث.

﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاء﴾ وإذا خرج هذا الحمل ميتاً فهو حلال لذكورهم وإناثهم.

﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ[٣] إِنَّهُ حِكِيمٌ عَلِيمٌ﴿١٣٩﴾﴾ سيحاسبهم على ما عملوه من التحريم والتحليل؛ لأن أمر التحريم والتحليل إلى الله سبحانه وتعالى وحده.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُواْ أَوْلاَدَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[٤] وهذا من تفاهة عقولهم وسخافتها عندما يقدمون على قتل الأولاد من دون علم.

---

(١)-**سؤال:** هل المراد بهذه السائبة والبحيرة ونحوها مما حرمه المشركون؟

الجواب: نعم يراد بها ذلك.

(٢)-**سؤال:** هل عرف هذا الذي خصصوه للذكور فما هو؟

الجواب: المراد بـ﴿مَا فِي بُطُونِ هَـذِهِ الأَنْعَامِ﴾ ما في بطون السوائب والبحائر من الأجنة، فإن خرج حياً فهو للذكور خاصة، وإن خرج ميتاً اشترك فيه الذكور والإناث.

(٣)-**سؤال:** ما إعراب ﴿وَصْفَهُمْ﴾؟ وهل معناه التحليل والتحريم؟ فما وجه تسميته وصفاً؟

الجواب: «وصفهم» مفعول به ثان لـ«سيجزيهم»، أي: سيجزيهم جزاء وصفهم، ووصفهم هو كلامهم الذي افتروه في التحليل والتحريم. وسمي وصفاً لأنهم وصفوا الأنعام فقالوا: هذا لله، وهذه أنعام وحرث حجر و..إلخ.

(٤)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿سَفَهاً﴾؟ وما معنى السفه؟ وبماذا تعلق قوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾؟

الجواب: «سفهاً» مفعول من أجله، أي: لخفة عقولهم وجهلهم «لسفههم». و﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ متعلق بـ«قتلوا»، أي: جاهلين أن الله تعالى هو الرازق لهم ولأولادهم.

﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ۝١٤٠﴾[١] حرم المشركون بعض ما أعطاهم الله من الرزق من تلقاء أنفسهم ونسبوا ذلك زوراً وكذباً إلى الله فضلوا وما أصابوا حكم الله ولم يهتدوا إلى الحق فيما فعلوا.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ إن الله سبحانه وتعالى هو الذي أنشأ وخلق الجنات المعروشات وغير المعروشات، فالمعروشات مثل العنب الذي يحتاج إلى شيء يعتمد عليه ويتمدد فوقه، وغير المعروشات التي بخلاف ذلك كالرمان وما أشبهها.

﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ﴾ الله سبحانه وتعالى هو الذي أنشاها بقدرته، وجعلها متفاوتة في طعمها.

﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾[٢] فهو وحده الذي أنشاها، وخالف بينها.

﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ فكلوا وتمتعوا بما أنعم الله عليكم من الفواكه والأثمار.

﴿وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ أخرجوا زكاتها عند حصادها. والآية قد نزلت في مكة ولم تكن الزكاة قد شرعت، غير أن هناك حقوقاً يعرفها الناس كإعطاء الفقراء والمساكين، فكانوا يخرجون جزءاً من أموالهم للفقراء ونحوهم من قبل أن تنزل آية الزكاة[٣].

---

(١)-**سؤال:** هل المراد بما حرموه بعض الحرث والأنعام التي مرت؟ وما إعراب ﴿افْتِرَاءً﴾؟

الجواب: المراد ذلك، وتعرب ﴿افْتِرَاءً﴾ مفعولاً مطلقاً مؤكداً لمضمون الجملة.

(٢)-**سؤال:** هل يعود الحال: ﴿مُتَشَابِهاً﴾ إلى الرمان فكيف يكون غير متشابه؟ أم إلى الجميع فبعضها متشابه وبعضها غير متشابه؟

الجواب: اكتفى بأحد الحالين عن الآخر، والمراد أن الزيتون متشابه وغير متشابه، والرمان كذلك متشابه وغير متشابه، ويكون الرمان غير متشابه باختلاف نوعه، كما قال في النخل والزرع: ﴿مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ﴾ [الأنعام:١٤١].

(٣)-**سؤال:** إذا كان نزولها قبل شرعية الزكاة فمن أين نفهم بأن معناها: أخرجوا زكاتها..إلخ، أم أنها كالتوطئة والتمهيد لتوطين أنفسهم على الامتثال؟

الجواب: قد قالوا في توجيه الآية: إن المقصود توطين النفس على أداء الزكاة عند وجوبها، وقالوا أيضاً: =

﴿وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴿١٤١﴾﴾ لا تحرموا بعض هذه الأشياء من عند أنفسكم، وتحللوا بعضها؛ لأن حقيقة الإسراف: هو مجاوزة الحد فيما أنزله الله وحدَّه(١) في كتابه ومن حرم ما أحله الله فقد جاوز حدود الله.

﴿وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً﴾(٢) خلق الله سبحانه وتعالى من الأنعام حمولة، وهي: الأنعام التي تحمل الأمتعة ونحوها، والفرش: هي الحيوانات الصغار التي لا تركب ولا يحمل عليها كالأغنام(٣).

إن المراد بالزكاة هنا هو حق غير الزكاة، والذي أحوج إلى هذه التأويلات هو أن السورة مكية، ولم تكن الزكاة قد فرضت إذ لم تفرض إلا في المدينة. ويمكن أن يقال: إن الزكاة كانت مفروضة قبل الإسلام في دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وقريش تدعي أنها على دين إبراهيم؛ لذلك قال الله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ...﴾ [فصلت]، فيكون الأمر بالزكاة مصروفاً إلى ذلك، وقد كانوا عالمين بالحق الواجب عليهم في الزكاة، والخطاب موجه للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة؛ لذلك قال في آخر الآية: ﴿وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴿١٤١﴾﴾ أي: أدوا ما أوجب الله في المال واتركوا ما تفعلون فيها من الأنصباء لله وللأصنام ولا تبحروا ولا تسيبوا ولا... إلى آخر ما تفعلون في أموالكم مما لا يرضاه الله ولا يحبه.

(١)-**سؤال:** هل يصح أن يحمل الإسراف على الإنفاق في المعاصي كما صرح به الإمام الهادي عليه السلام، أو على التبذير في الإنفاق الذي لم يحتج إليه بقرينة قوله: ﴿كُلُواْ﴾؟

الجواب: الإسراف هو الإنفاق في المعاصي، وقد أسرف المشركون حين جعلوا من أموالهم أنصباء لله ولشركائهم، وحين جعلوا البحائر والوصائل والحام، وحرموها على أنفسهم وعلى غيرهم، ويعتبر ذلك إسرافاً من حيث أنهم وضعوا أموالهم في المعاصي.

(٢)-**سؤال:** هل قوله: ﴿حَمُولَةً﴾ معطوف على معمول أنشأ؟

الجواب: هو معطوف على معمول «أنشأ».

(٣)-**سؤال:** ما هي العلة في تسميتها ﴿فَرْشاً﴾؟

الجواب: ذكر الزمخشري أمرين في وجه تسميتها فرشاً:

أحدهما: ما ذكرنا، وعلل ذلك بكونها دانية من الأرض للطافة أجرامها مثل الفرش المفروش.. إلخ.

الثاني: ما يفرش للذبح أو ينسج من وبره وشعره وصوفه الفرش.

﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ﴾ فهي حلال لكم كلها فلا تحرموا شيئاً منها من تلقاء أنفسكم، كما فعل المشركون.

﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[١] لا يستغوينكم الشيطان بزخارف باطله.

﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ خلق الله[٢] سبحانه وتعالى للناس ثمانية أزواج من بهيمة الأنعام.

﴿مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ فكل صنف من هذين الصنفين زوجان ذكر وأنثى.

﴿قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ﴾[٣] ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يسأل المشركين: ما الذي حرمه الله سبحانه وتعالى أهو الذكر أم الأنثى؟

﴿أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ﴾[٤] أم حرم الله سبحانه وتعالى ما تحمله

---

(١)-**سؤال:** ما هي خطوات الشيطان؟ وما العلة في تسميتها خطوات؟

الجواب: قد تقدم في سورة البقرة جواب السؤال. [على الآية ١٦٨].

(٢)-**سؤال:** ما القرينة في تقدير عامل النصب في ثمانية بـ«خلق»؟

الجواب: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ هي بدل من ﴿حَمُولَةً وَفَرْشاً﴾ والعامل في البدل هو العامل في المبدل منه. و«أنشأ» هو العامل في «جنات» وما عطف عليه، وأنشأ هو بمعنى خلق، والبدل كما يقال هو على نية تكرير العامل.

(٣)-**سؤال:** هل المراد بالذكرين ذكر الضأن وذكر المعز؟

الجواب: ذلك هو المراد.

سؤال: هل لتقديم المفعول علة في قوله: ﴿آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ﴾؟

الجواب: قدم المفعول في قوله: ﴿آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ﴾ لأنه الذي وقع السؤال عنه بسؤال الاستنكار.

(٤)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿أَمَّا اشْتَمَلَتْ﴾؟

الجواب: «أم» حرف عطف وتسمى المعادلة، و«ما» اسم موصول مبني على السكون في محل =

إناث الضأن والمعز؛ أراد الله سبحانه وتعالى أن يحيّرهم في الجواب ويُعَجِّزَهم.

﴿نَبِّؤُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴿١٤٣﴾﴾ أخبروني ما هو الذي حرمه الله سبحانه وتعالى من هذه الأشياء؟ وما هو الدليل على ذلك.

﴿وَمِنَ الإِبْلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾ ذكراً وأنثى. ﴿قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ﴾ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه أن يسأل المشركين ذلك كما في المعز والضأن سواء.

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ وَصَّاكُمُ اللّهُ بِهَـذَا﴾ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يسأل المشركين هل كنتم حاضرين عندما شرع الله سبحانه وتعالى هذه التشريعات[١]؟ وسيكون جوابهم بـ: لا، لم يكن شيء من ذلك، وإنما سمعنا آباءنا كذلك يقولون.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً﴾ لقد توغلتم في الظلم بافترائكم الكذب على الله وادعائكم عليه أنه حرم بعض الأنعام.

﴿لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴿١٤٤﴾﴾ فمن أظلم من هذا الذي يفتري على الله سبحانه وتعالى الكذب- ليدخل الناس في الضلال، فهؤلاء لن يوفقهم الله سبحانه وتعالى؛ لأنهم قد بلغوا غاية الظلم ونهايته.

﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً[٢] أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾ لم أجد في الوحي الذي أنزل علي محرما إلا الميتة

نصب بالعطف على ﴿آلذَّكَرَيْنِ﴾ وما بعده جملة فعلية صلة الموصول.

(١)-**سؤال:** هل المراد بهذه التشريعات ما تبعوا فيه الشياطين من التحليل والتحريم أم غيرها؟

الجواب: المراد ما اتبعوا فيه الشياطين من التحليل والتحريم.

(٢)-**سؤال:** إذا قيل بأن مفهوم الآية: إن الدم غير المسفوح حلال فكيف الجواب؟

الجواب: قد فسر العلماء الدم المسفوح بأنه الذي من شأنه أن يسيل ويقطر، وغير المسفوح هو الدم الذي لا يسيل ولا يقطر، وحددوا ذلك بما دون القطرة. وعلى هذا فما كان أقل من القطرة من الدم فلا يلزم الاحتراز منه لا في الأكل ولا في الطهارة؛ لذلك يجوز أكل اللحم =

والدم المسفوح ولحم الخنزير، فهذا الذي وجدته محرماً.

﴿فَإِنَّهُ رِجْسٌ[(١)] أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ﴾[(٢)] وكذلك المذبوح لغير الله سبحانه وتعالى فإنه محرم، كأن يقول: باسم اللات، ونحو ذلك.

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ[(٣)] فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴿١٤٥﴾﴾ من ألجأته الضرورة إلى أكل الميتة أو لحم الخنزير أو نحو ذلك- فهو جائز له، لكنه لا يتجاوز الحد، فلا يأكل منها أكثر من سد جوعته، ومن أكل أكثر من ذلك فهو باغ، وأما من أكل قبل أن تلجئه الضرورة فهو عادٍ[(٤)].

ولو خالطه شيء من الدم الباقي بين اللحم بعد الذبح، ويعتبر طاهراً، ولا يلزم غسل اللحم بعد الذبح إلا دم المذبح الذي يبقى في الرقبة والرأس أو في مكان النحر فيلزم غسله لأنه من بقايا الدم المسفوح.

(١)-**سؤال:** ما معنى: ﴿فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾؟ وإلام يعود الضمير في قوله: ﴿فَإِنَّهُ﴾؟

الجواب: ﴿فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ فإنه قذر ونجس يضر ولا ينفع، وضمير «فإنه» يعود إلى الخنزير، ويجوز عود الضمير إلى المضاف إليه إذا كان المضاف جزءاً من المضاف إليه.

(٢)- **سؤال:** ظاهر الآية قصر المحرمات على هذه الأشياء المذكورة، فكيف بذي الناب من السبع وذي المخلب من الطير ونحوها؟

الجواب: هذه الآية نزلت في مكة قبل الهجرة ولم يكن نزل حينها إليه صلى الله عليه وآله وسلم غير ذلك المذكور، ثم أنزل الله إليه بعد الهجرة إلى المدينة سائر المحرمات.

سؤال: لماذا سمي المذبوح لغير الله ﴿فِسْقاً﴾ بالمصدر؟

الجواب: سمي فسقاً لتوغله في الفسق، حيث أن الذابح تقرب بذبيحته إلى غير الله. وذلك غاية الفسوق.

(٣)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾؟ وهل يصح الحمل على العكس في الباغي والعادي؟

الجواب: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ منصوب على الحالية، وما ذكرنا من التفسير هو أحد الوجوه التي قيلت في تفسير ذلك، ويجوز العكس، وبه فسر الزمخشري، وقد قيل غير ذلك.

(٤)- **سؤال:** قد يقال: إذا كان تفسير العادي بهذا فقد أفهمه قوله: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ فيصير تكريراً، أم له محمل آخر؟

=

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ﴾(١) أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما هو الذي حرمه على اليهود، فقال: ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ كل حيوان له ظفر فهو محرم على اليهود(٢).

﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾(٣)

الجواب: تكون: ﴿وَلاَ عَادٍ﴾ حال مؤكدة ليتنبه المضطر عند الإقدام فلا يقدم على الأكل إلا بعد أن ينظر في ضرورته هل بلغت حد الضرورة أم لا.

(١)- **سؤال:** هل هناك علة في تسميتهم «هادوا» أو اليهود؟

الجواب: قد تكون العلة في تسميتهم يهوداً هي كون بعض اليهود من نسل يهوذا بن يعقوب عليه السلام فغلب عليهم جميعاً، و«هادوا» هو منحوت من اسمهم، وكلام الكشاف يدل عليه. وقد تكون «هادوا» بمعنى: مالوا وتابوا كقوله تعالى: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:١٥٦]، أي: تبنا إليك، وهائد: تائب، وليس هذا منحوتاً، وفي شعر الزمخشري:

يـــا راكـــب الـــذنب هُـــدْ هُـــدْ واســـــجد كأنـــــك هدهـــــد

(٢)-**سؤال:** هل يشمل التحريم الدجاج ونحوها؟ وقد يقال بأن للشاة والمعز ظفراً فهل دخلت في التحريم أم المراد ما كان له أصبع والظفر فيها؟

الجواب: ﴿كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ قال المرتضى: هو ما كان له ظفر يعرف به ويقع عليه اسم الظفر. وفي البلغة: كل ما ليس بمنفرج الأصابع فيدخل في ذلك جميع السباع، ويدخل فيه الكلب والسنور وسائر ما يصطاد بظفره. وفي البرهان: فيه قولان أحدهما: ما ليس بمنفرج الأصابع كالأنعام والأوز والبط. والثاني: كل ما صاد بظفره من الطير. اهـ من المصابيح باختصار. وعلى هذه الأقوال لا تدخل الدجاج في التحريم؛ لأنها منفرجة الأصابع ولا تصطاد بظفرها، والشاة والمعز والبقر وإن كان لها أظفار إلا أن الله تعالى ذكر هنا أنه حرم عليهم شحومها إلا ما استثني، فلم تدخل في التحريم.

(٣)-**سؤال:** ما هي الشحوم المحرمة؟ وفي ذهني أن شحم الكليتين والكرش منها، فكيف؟

الجواب: من المحرمات شحم الكرش وثوب البطن وشحم الخصيتين، أما شحم الكليتين فهو مما حمله الظهر.

شحم الكلية، والذي على الظهر، ﴿أَوِ الْحَوَايَا﴾[١] وهي المباعر، ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ واسمها الثربة عندنا (الإلية).

﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وِإِنَّا لَصَادِقُونَ۝١٤٦﴾[٢] لم نحرم هذه الأشياء إلا عقوبة لهم على معاصيهم.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ يا محمد في قولك لهم: ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ ومن رحمته ألا يجازيكم في العاجل، وإمهالُهُ لكم سنة بعد سنة، وهو قادر على أخذكم، أليس في هذا رحمة لكم؟ فهو يمهلكم لعلكم تتوبون وترجعون إليه.

وهذا من رحمته سبحانه وتعالى لهم أن أمهلهم في الدنيا، ومتعهم بالصحة والعافية، وأنعم عليهم بالمال والولد، وأمد في أعمارهم؛ لعلهم يتوبون، وهو سبحانه وتعالى لن يفوته أحد منهم، فمتى أراد أن يقبضه قبضه.

وكذلك ليقطع عليهم العذر في يوم القيامة.

---

(١)-**سؤال:** هل هذه معطوفة على: ﴿مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾؟

الجواب: هي معطوفة عليها وهي من المستثنى.

(٢)-**سؤال:** هل بقيت هذه المحرمات حراماً على اليهود في شريعتنا أم أنها قد نسخت بتحليلها للمسلمين أم أنه بقي التحريم على من كان يهودياً؟

الجواب: قد نسخت هذه المحرمات على اليهود، وصارت حلالاً بدليل قوله تعالى: ﴿وَءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ...﴾ [البقرة:٤١]، فأوجب الله عليهم الإيمان بالدين الإسلامي الذي جاء به ﴿النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف:١٥٧]؛ لذلك لم يبق حكم لتلك الأحكام وصاروا مكلفين بالإيمان بدين الإسلام وبما فيه من الشرائع والأحكام، سواء دخلوا في الإسلام أم لم يدخلوا فيه.

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ﴾ [فاطر٣٧]، فمن أراد أن يتذكر فقد جعل الله سبحانه وتعالى له مدة العمر يمكنه أن يرجع إليه في هذه المدة.

﴿وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ۝١٤٧﴾ ولن يستطيع أحد أن يرد عذابه إذا نزل، ولا بد أن يقع على المجرمين، وهم الذين يفعلون الجرائم، والجريمة: الذنب بدليل: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ۝٧٨﴾ [القصص].

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾[1] سيجادل المشركون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ويقولون له: لو شاء الله سبحانه وتعالى ألا نشرك به لم نشرك، ولو شاء لما حرمنا شيئاً، ولكن الله قد شاء ذلك، وهذا هو دينه ومراده، ونحن أهل الله وسكان حرمه.

وهذا هو نفسه ما تقوله المجبرة، وقد تحير الرازي عند هذه الآية، وهو من أكابر علماء المجبرة، ولم يستطع جواباً عليها.

﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن الكفار الذين كانوا قبلهم كانوا يقولون مثل قول المشركين هذا، وينسبون أفعالهم إليه جل وعلا[2]. ﴿حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا﴾ إلى أن نزل بهم عذاب الله سبحانه وتعالى واستأصلهم.

﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾[3] أمر الله سبحانه وتعالى

---

(١)-**سؤال:** ما فائدة دخول «من» على المفعول به: ﴿مِن شَيْءٍ﴾؟

الجواب: الفائدة في دخولها هي تأكيد العموم فيما دخلت عليه بحيث يصير عمومه شاملاً لكل فرد من أفراده.

(٢)-**سؤال:** يقال: الكفار الذين قبلهم هم أهل الكتاب فهل عرف أن هذه مقالة أحد منهم؟ أم المراد بهم أسلاف المشركين من مشركي العرب؟

الجواب: الأقرب أن المراد بالذين من قبلهم أسلافهم المشركون لا أهل الكتاب.

(٣)-**سؤال:** ما فائدة دخول: «من» في قوله: ﴿مِّنْ عِلْمٍ﴾؟

الجواب: الفائدة من دخولها تأكيد العموم، والاستفهام بمعنى النفي.

نبيه ﷺ أن يسأل المشركين من قريش: هل لكم دليل[١] على هذا الذي تدعونه على الله سبحانه وتعالى في المشيئة؟ فهاتوا الدليل إن كان؛ لأن من ادعى دعوى لا بد من برهان عليها، وإلا لم تقبل دعواه عند أي أحد.

﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ۝١٤٨﴾[٢] فلا حجة لكم على دعواكم هذه، وإنما تتبعون أوهاماً، وتكذبون على الله سبحانه وتعالى، وتفترون عليه.

﴿قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾[٣] الدليل مع نبيه ﷺ، وهو الذي يأتيكم بالحجج البالغة القاطعة التي يقتنع العقل عندها؛ لأن العقل لا يقتنع إلا بالصدق،

---

(١)-**سؤال:** ما وجه إطلاق العلم على الدليل؟

الجواب: يطلق العلم على المعلومات حقيقة، والدليل هو من جملة المعلومات، غايته أن يكون من استعمال المطلق في المقيد كقوله:

فيا ليت كل اثنين بينهما هوى ... من الناس قبل اليوم يجتمعان

أي: قبل يوم القيامة.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ۝١٤٨﴾؟

الجواب: « إن » نافية، « أنتم » مبتدأ، « إلا » أداة استثناء، « تخرصون » جملة في محل رفع خبر المبتدأ، والاستثناء مفرغ.

(٣)-**سؤال:** يقال: ظاهر الآية: فلله الحجة البالغة لا لكم، فكان من المناسب أن يقول: قد شاء عدم إشراككم فأشركتم، أو يقول: بأنه لم يشأ إشراككم، فكيف أجاب بقوله: ﴿فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ۝١٤٩﴾؟ فكأنه في الظاهر قرر حجتهم، فلو وضحتم المناسبة بين هذا الجواب ومقالهم؟ وكيف صار هذا الجواب حجة بالغة؟

الجواب: قد أوضح صاحب الكشاف معنى هذه الآية إيضاحاً يتبين به جواب السؤال المذكور فقال: فإن كان الأمر كما زعمتم أن ما أنتم عليه بمشيئة الله فلله الحجة البالغة عليكم «أيها المشركون» على قود «حسب» مذهبكم، فلو شاء لهداكم أجمعين، منكم ومن مخالفيكم في الدين، فإن تعليقكم دينكم بمشيئة الله يقتضي أن تعلقوا دين من يخالفكم أيضاً بمشيئته تعالى فتوالوهم ولا تعادوهم وتوافقوهم ولا تخالفوهم؛ لأن المشيئة تجمع بين ما أنتم عليه وبين ما هم عليه. اهـ كلام صاحب الكشاف.

وقد فطره الله سبحانه وتعالى على هذا، وهو من أكبر الحجج، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم قد جاءهم بما يوافق العقل ويطابقه.

﴿فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴿١٤٩﴾﴾ لو شاء الله سبحانه وتعالى أن يلجئكم إلى الإيمان لفعل، ولكنه لم يشأ ذلك كما ذكرنا؛ لما يترتب على ذلك من الثواب والعقاب، إذ لو كان كذلك وألجأهم إلى الإيمان لما صح ثواب ولا عقاب، ولبطلت دعوة الرسل، وكان ذلك كما قال الشاعر:

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له ... إياك إياك أن تبتل بالماء

ألا ترى أنك ستحكم عليه بالظلم لو عاقب هذا المكتوف الذي ألقاه بين الماء؟ فكذلك الله رب العالمين لو كان هو الذي يفعل المعصية ثم يعاقب عليها ماذا ستحكم عليه؟ فكل عاقل يحكم عليه بأنه ظالم إذ يعاقب المرء على شيء لم يفعله.

ويثيب الآخر على فعل لم يفعله؛ فهل يستحق هذا الثواب؟ طبعاً سيحكم العقل بأنه لا يستحقه.

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءكُمُ[١] الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّه حَرَّمَ هَـذَا﴾[٢] أمر الله

---

(١)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿هَلُمَّ شُهَدَاءكُمُ﴾؟ وما معناها اللغوي؟

الجواب: «هلم» اسم فعل أمر وفاعله مستتر، و«شهداءكم» مفعول به مضاف، وضمير المخاطبين مضاف إليه، والمعنى: هاتوا شهداءكم.

(٢)-**سؤال:** يقال: قول المشركين هذا لا يدل على أنهم يعتقدون أن الله تعالى خلق الشرك فيهم، فكيف يقال بأنهم كالمجبرة يقولون بخلق الأفعال فيهم؟

الجواب: قد اشترك الفريقان في القول بأن أفعالهم حصلت بمشيئة الله، وبذلك لزم المجبرة لزوماً لا مفر منه ولا مخرج بطلانُ مذهبهم لاتحاد دعاويهم، ولا يصح لهم تفسير مذهب المشركين بما يخرجهم من مشابهتهم لاتحاد الدعوى «لو شاء الله ما فعلنا». أما غير المجبرة (العدلية) فيمكنهم تفسير مذهب المشركين بغير مذهب المجبرة فيقال: إن المشركين ادعوا أن ما هم عليه من الشرك وتحريم ما حرموا هو دين الله الذي أمرهم به وشاءه وأراده ورضيه لهم ديناً، ولم يريدوا أن الله تعالى خلق فيهم الشرك وخلق فيهم ما هم عليه من العقيدة والدين.

سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يسأل المشركين أن يأتوا بشهود يشهدون أن الله سبحانه وتعالى قد حرم هذا الذي ذكرتموه.

﴿فَإِن شَهِدُواْ فَلاَ تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ إذا جاؤوك بشهود فهم شهود زور؛ فلا تشهد معهم لأنهم ليسوا صادقين.

﴿وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ لا تصدقهم فيما قالوه فليست إلا أهواء، ولا دليل لهم على ذلك ولا حجة.

﴿وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ۝١٥٠﴾[1] يعدلون به إلى عبادة الأصنام.

﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾[2] أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يقول للمشركين: تعالوا أخبركم ما هو الذي حرمه ربكم عليكم وهو: ﴿أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً﴾[3] هذه هي الأولى، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ هذه الثانية، ﴿وَلاَ

---

(١)-**سؤال:** يقال: الظاهر في الاستعمال أن يقال: «عدلت عنه»، لا: «عدلت به»، فكيف يوجه ذلك؟

الجواب: المراد هنا أنهم ساووا بين الله وبين غيره في العبادة والإلهية، أي: يعدلون به غيره، مأخوذ من العدل بكسر العين، كانوا يحملون على الراحلة رجلين يجعلون كل واحد في طرف على جانب الراحلة، فإذا لم يكن إلا رجل واحد وضعوا في الجانب الآخر ما يعادله ويساويه في الثقل، ويسمونه عدلاً.

(٢)-**سؤال:** ما هو إعراب: ﴿تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ﴾؟

الجواب: تعالوا: فعل أمر وفاعله، وأتل: فعل مضارع مجزوم في جواب الأمر، وفاعله ضمير مستتر وجوباً، و«ما» اسم موصول في محل نصب مفعول به، وحرم: فعل ماض، وربكم: فاعل، والجملة لا محل لها صلة «ما»، والعائد محذوف.

(٣)-**سؤال:** ما موضع: ﴿أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً﴾؟

الجواب: أن: مفسرة، ولا: ناهية، وتشركوا: فعل وفاعل، ولا محل للجملة من الإعراب لأنها من الجمل التي لا محل لها من الإعراب.

سؤال: على الظاهر أنه حرم عدم الإشراك والواقع أنه إنما حرم الإشراك فكيف؟

الجواب: «أن» مفسرة كما ذكرنا، والتقدير: أي لا تشركوا به شيئاً ولا إشكال على هذا، إلا أنهم =

تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ﴾[١] لا تقتلوهم خوف الفقر والعار، وهذه الثالثة، ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ قد تكفل الله سبحانه وتعالى برزقكم وإياهم فلا تقتلوهم خوفاً من الفقر.

﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[٢] والفواحش هي التي يستقبحها العقل ويستفحشها، وهذه الرابعة، ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴿١٥١﴾﴾[٣] هذه الخامسة؛ فهذه الأشياء قد وصاكم بها في كتابه.

﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وهذه السادسة مما حرمه الله سبحانه وتعالى، فلا تقربوا أموال اليتامى إلا بنية إصلاحها والقيام عليها وتنميتها، ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾[٤] حتى يبلغوا مبالغ الرجال ثم أدوا إليهم أموالهم.

استشكلوا عطف قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ وما بعده على قوله: ﴿أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً﴾ من حيث أن الجملة وما عطف عليها تفسير لما حرم الله فيكون الإحسان على هذا مما حرم الله، وأجيب على هذا الإشكال بأن التحريم راجع إلى أضداد الأوامر المذكورة.

(١)-**سؤال:** ظاهر: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ﴾ أنها عطفت على: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ مع أنها إنشائية فكيف؟

الجواب: «ولا تقتلوا ..» معطوف على «لا تشركوا ..»، و«بالوالدين إحساناً» هو إنشاء؛ لأن التقدير: وأحسنوا بالوالدين إحساناً.

(٢)-**سؤال:** هل قوله: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ مثل قوله: ﴿ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام:١٢٠] المتقدم؟

الجواب: هي مثلها وتفسر بما تفسر به، وقد مضى هناك فيما تقدم سؤال وجواب فليرجع إليه.

(٣)-**سؤال:** ما المراد بقوله: ﴿إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾؟

الجواب: أراد الله تعالى أنكم لستم منهيين عن قتل النفس بالحق، كالقصاص وحد الزنا والردة والحرابة فقتلها في ذلك حق غير منهي عنه ولا محرم.

(٤)-**سؤال:** لماذا عبّر الله بقوله: ﴿أَشُدَّهُ﴾ وفي أول النساء: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ [النساء:٦]؟

الجواب: قد فسروا «أشده» هنا ببلوغ النكاح، وهو تفسير صحيح، فأصح التفاسير تفسير القرآن بالقرآن.

﴿وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[١] فهذه هي السابعة، فالله سبحانه وتعالى لا يكلف النفس إلا بما تتحمله وتطيقه.

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ أمرهم الله سبحانه وتعالى بالعدل في الشهادة ونحوها، ولو على القريب ولو على النفس، وهذه الثامنة.

﴿وَبِعَهْدِ اللّهِ[٢] أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴿١٥٢﴾﴾ إذا عاهدوا الله سبحانه وتعالى بشيء فعليهم أن يوفوا به، وهذه هي التاسعة.

﴿وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ﴾ وهذا من بقية ما أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يتلوه على قومه، وهو أن يتبعوا دينه؛ لأنه الدين الحق[٣].

﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[٤] ولا تتبعوا غير هذه السبيل

---

(١)-**سؤال:** لماذا عقب الله هذه الوصية بقوله: ﴿لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾؟

الجواب: الفائدة هي أن المكلف -وإن جد واجتهد- لا يأتي بما كلف به على الوجه الذي يريده الله بالكمال والتمام فنبه الله تعالى هنا المكلفين بأن عليهم أن يؤدوا ما وجب عليهم، وما عليهم -بعد إخلاص النية والجد في عمل ما كلفوه- حرج فيما حصل من النقص والخلل.

(٢)-**سؤال:** هل يشمل عهد الله العهود التي بين الناس، وكذا الأوامر والنواهي التي أمر بها أو نهى عنها؟

الجواب: يشمل «عهد الله» العهود التي بين الناس، والأوامر والنواهي، وكل ما وجب على المكلف بنذر ونحوه؛ لأن المكلف قد رضي وقبل دين الإسلام بكل ما فيه، وآمن بالله ورسوله، واستجاب وسمع وأطاع، إما عن طريق البيعة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو لمن قام مقامه وإما عن طريق الالتزام والرضا بما جاء عن الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك بمنزلة العهد.

(٣)-**سؤال:** هل تقصدون أن المصدر المؤول من أن وما بعدها في محل نصب عطفاً على محل «ما»؟

الجواب: أن وما دخلت عليه في محل جر بلام العلة وهو متعلق بقوله: ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾.

(٤)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾؟ وما معناها حسب ذلك؟

الجواب: تفرق: مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية المسبوقة بالنهي، و«بكم» جار

=

التي أنا فيها وأدعوكم إليها، فإنكم إذا اتبعتم غيرها ابتعدتم عن الحق وطريقه.

﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴿١٥٣﴾﴾[1] وصاكم الله سبحانه وتعالى بهذا لتكونوا في زمرة المتقين.

ومجرور متعلق بتفرق، و﴿عَن سَبِيلِهِ﴾ جار ومجرور متعلق بتفرق أيضاً، وقد يتعلق بمحذوف ويكون في محل نصب حال، أي: حال كونكم تائهين عن سبيله، والباء في «بكم» للتعدية أي: فتفرقكم عن سبيله، والمعنى: أنهم إذا اتبعوا السبل فإنها تبعدهم عن سبيل الحق التي هي سبيل الله.

(١)-**سؤال:** هل هناك نكتة في المخالفة بين قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴿١٥١﴾﴾ وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴿١٥٣﴾﴾؟

الجواب: الأمور الأولى الخمسة واضحة جلية فحسن أن يقال بعد التوصية بها: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴿١٥١﴾﴾، والخمسة التي بعدها خفية تحتاج إلى الفكر فحسن أن يقال بعدها: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴿١٥٢﴾﴾، وجاءت ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴿١٥٣﴾﴾ بعد النهي عن اتباع السبل لكي يتقوا الوقوع فيها.

سؤال: يقال: هذه الوصايا العشر لم تنسخ من عهد آدم إلى قيام الساعة، فهل هذا صحيح؟

الجواب: القول هذا صحيح ودليله قائم في الوصايا نفسها: فالشرك باطل عقلاً، وشكر المحسن واجب عقلي، وإحسان الوالدين إلى ولدهما ظاهر ليس فوقه إحسان إلا إحسان الله تعالى ورسله صلوات الله عليهم، وقتل الأولاد لخوف الفقر أو لأي سبب ظلم كبير، والفواحش ما ظهر منها وما بطن مما تعالى الله سبحانه عن إرادته والأمر به ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [النحل:٩٠]، وقتل النفس بغير حق ظلم كبير مقرر في فطر العقول، وأكل مال اليتيم من الظلم الكبير المقرر في العقول، وقول الحق والعدل حسن عقلاً، وقول الباطل والجور قبيح عقلاً، وأحكام الفطرة لا تتغير.

وبخس الكيل والوزن ظلم وخيانة تستقبحه الفطر السليمة، والوفاء بالعهد تحتمه العقول وتذم الناكث والخائن، وسلوك سبيل السلامة توجبه الفطرة وتنهى عن سلوك سبل الهلاك والضلال، وتعالى الله وتقدس عن أن يأمر بما يستنكر في فطر العقول.

﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَاماً عَلَى الَّذِيَ أَحْسَنَ﴾[1] أنزل الله سبحانه وتعالى التوراة على نبيه موسى عليه السلام؛ لأنه كان أهلاً لأن يحمل رسالة الله سبحانه وتعالى ويبلغها.

﴿وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴿١٥٤﴾﴾ وفي هذا الكتاب تفصيل لأحكام دين اليهود من الحلال والحرام وغيرهما، وكذلك في التوراة هدى لهم ورحمة، وكل ذلك لأجل أن يؤمنوا بالبعث والنشور.

﴿وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾[2] أي: القرآن أنزله الله سبحانه وتعالى وفيه المنافع الكثيرة للناس.

---

(١)-**سؤال:** كيف جاءت «ثم» هنا مع أن الأولى حسب الظاهر «الفاء»؟

الجواب: بعد أن ذكر الله تعالى الوصايا المذكورة عقبها بذكر خبر عظيم هو: أنه آتى موسى الكتاب ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ [الأنبياء:٥٠]، فجاء الترتيب بين الوصايا العشر وبين هذا الخبر العظيم بـ«ثم» لتفيد بعد المسافة بين عظمة الوصايا وبين الكتابين «التوراة والقرآن».

سؤال: فضلاً ما إعراب: ﴿تَمَاماً عَلَى الَّذِيَ أَحْسَنَ﴾؟ وما معناه حسب مفرداته اللغوية؟

الجواب: ﴿تَمَاماً﴾ مفعول من أجله. ﴿عَلَى الَّذِيَ أَحْسَنَ﴾ جار ومجرور متعلق بتماماً، و«أحسن» فعل ماض وفاعله ضمير يعود على الذي، والمعنى: أن الله تعالى أعطى موسى عليه السلام الكتاب «التوراة» ليتم نعمته بذلك على الذين آمنوا، وهذا إذا جعل «الذي» عاماً، ويجوز أن يراد به موسى عليه السلام فيكون المعنى: ليتم نعمته على موسى لإحسانه ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴿١٤﴾﴾ [القصص]، وفي هذه الآية ما يرجح أن المراد بـ﴿الَّذِيَ أَحْسَنَ﴾ هو موسى عليه السلام.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب ﴿مُبَارَكٌ﴾؟ ولِمَ لم ينصب على الحال؟ وهل هو مأخوذ من البركة أو من الزيادة أو ممَّاذا؟

الجواب: يعرب ﴿مُبَارَكٌ﴾ صفة لكتاب، ويجوز أن ينصب على الحال لتخصص النكرة «كتاب» بالصفة «أنزلناه»، أو من ضمير «كتاب» في أنزلناه إلا أن القراءة هكذا وردت فلا تخالف لأنها سنة متَّبَعَة، و«مبارك» من البركة والمراد أنه كثير الخير والنفع.

﴿فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ۝١٥٥﴾[١] اتقوا مخالفته لتنالوا رحمة الله سبحانه وتعالىٰ.

﴿أَن تَقُولُواْ إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ۝١٥٦﴾[٢] كراهة أن تقولوا أيها المشركون يوم القيامة عند دنو العذاب: إن الكتاب قد أنزل علىٰ اليهود والنصارىٰ ونحن لا كتاب لنا، فلماذا تعذبنا؟ فأخبر الله سبحانه وتعالىٰ أنه أنزل لهم القرآن ليقطع عليهم الأعذار وليكون حجةً عليهم.

﴿أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى﴾ وبالفعل كانوا يقولون قبل نزول القرآن عليهم: لو كان معنا كتاب لكنا أهدىٰ من اليهود والنصارىٰ.

﴿فَقَدْ جَاءكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ فقد نزل إليكم القرآن فيه بيان كل شيء، وفيه هدىٰ ورحمة لمن اهتدىٰ به.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ فلا أحد أظلم من هؤلاء الذين كذبوا بالقرآن عندما أنزله الله سبحانه وتعالىٰ رحمة لهم فأعرضوا عنه. ومعنىٰ «صدف»: أعرض.

﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ۝١٥٧﴾[٣] سينيلهم الله سبحانه وتعالىٰ العذاب الشديد بسبب إعراضهم عن كتابه.

---

(١)-**سؤال:** هل لحذف مفعول ﴿اتَّقُواْ﴾ نكتة بلاغية؟

الجواب: الوجه هو الإيجاز وعدم الإلباس لوجود القرينة «اتبعوه» أي: واتقوا مخالفته لما يترتب عليها من العقاب أو: واتقوا عقاب الله في مخالفة أمره.

(٢)-**سؤال:** من فضلكم ما إعراب: ﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ۝١٥٦﴾؟ وما معناها؟

الجواب: «إن» مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير محذوف. «كنا» كان الناقصة والضمير اسمها. «لغافلين» خبر كان، واللام هي الفارقة، و«عن دراستهم» جار ومجرور متعلق بغافلين. والمعنىٰ: وإنا كنا جاهلين فلم يأتنا مثل ما أنزل علىٰ الطائفتين «اليهود والنصارىٰ» أي: ليس لنا كتاب من عند الله مثلهم.

(٣)-**سؤال:** هل قوله: ﴿مَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ۝١٥٧﴾ في تأويل مصدر فكيف تأويله؟

الجواب: «ما» مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر أي: بصدفهم أي: بإعراضهم.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ﴾[١] أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن قريشاً ومن معهم من المشركين قد تمردوا على الله سبحانه وتعالى واستحقوا عذابه، ولم يبق إلا أن تأتيهم الملائكة بعذاب الله سبحانه وتعالى.

﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ يأتي بعذابه: إما في غمام، أو حجارة من السماء.

﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً﴾[٢] فلن ينفع الإيمان عند

---

(١)-**سؤال:** ما معنى ﴿هَلْ﴾ هنا؟ وما إعراب: ﴿أَن تَأْتِيهُمُ﴾؟

الجواب: «هل» هنا للنفي، و«أن تأتيهم» أن مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر مفعول به.

(٢)-**سؤال:** قد فسرت ﴿بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن كثير من أئمتنا منهم المنصور بالله والزمخشري وغيرهما: أنها طلوع الشمس من مغربها وأنها علامة القيامة، وأنه ينقطع التكليف عندها، فما مدى صحة هذا القول؟

الجواب: التفسير صحيح لأن طلوع الشمس من مغربها آية من آيات الله العظيمة ولا سيما بعد تقدم الخبر بذلك من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا مانع من ظهور آية أخرى أو آيات من آيات الله التي يحصل عندها العلم الضروري بالله.

سؤال: ما إعراب جملة: ﴿لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ﴾؟ وما محلها؟

الجواب: الجملة في محل نصب صفة لـ«نفساً» و«تكن» فعل مضارع ناقص مجزوم بلم، واسمها ضمير يعود إلى «نفساً»، و﴿آمَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ جملة في محل نصب.

سؤال: هل في الآية دليل على وعيد أهل الكبائر غير الكفار بعدم نفع إيمانهم لأنهم لم يكونوا قد كسبوا فيه خيراً؟ وما معنى: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً﴾؟ وعلام عطفت؟

الجواب: نعم، فيها دليل على ذلك؛ لأنه يراد بكسب الخير فعل الأعمال الصالحة وترك الأعمال السيئة فمن أعطاك مائة وأخذ عليك مائتين أو مائة غصباً أو خيانة لا يقال إنه كسب خيراً، ولا يعد من أهل المكاسب الصالحة وما ذلك إلا لجمعه بين العملين، وهذا إذا كانت السيئة كبيرة. وجملة ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً﴾ معطوفة على جملة «آمنت» أي: أو لم =

نزول الملائكة أو إتيان العذاب؛ لأن التكليف قد انقطع بحصول الموت ودنوه، وقد ارتفع الحجاب حينئذٍ؛ لأن المرء في الدنيا وحال التكليف قد أمره الله سبحانه وتعالىٰ بأن يؤمن بالغيب ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة٣]، والغيب: هو البعث والحساب والجنة والنار والإيمان بالله سبحانه وتعالىٰ، وهذه أمور غيبية، والمرء مختار في أن يؤمن بها أو لا يؤمن، وعند حصول آيات الله سبحانه وتعالىٰ أو بعض آياته، وهو نزول العذاب ودنو الموت يكون المرء مضطراً إلىٰ الإيمان وملجأً إليه؛ لأن نزول العذاب به سيضطره إلىٰ الإيمان.

﴿قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ۝١٥٨﴾ انتظروا -أيها المشركون- سخط الله سبحانه وتعالىٰ فهو نازل بكم، ونحن منتظرون لذلك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ[(١)] وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ[(٢)] إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى

تكن كسبت في إيمانها خيراً ومحلها النصب، والمعنىٰ: أن الإيمان وحده لا ينفع إلا إذا اقترن بالأعمال الصالحة وترك الأعمال السيئة

(١)-**سؤال:** من فضلكم ما معنىٰ: ﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ حسب اللغة والشرع؟

الجواب: معنىٰ ﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ اختلفوا في دينهم بحيث أن يكون دين ذلك الفريق مخالفاً لدين الفريق الآخر، ويدخل فيه اختلاف المذاهب في أمة محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: إمامية، جعفرية، أشعرية، مجبرة، و... إلخ، حيث قد صار كل أهل مذهب يدين بخلاف دين المذهب الآخر، إلا أنه قام الدليل علىٰ استثناء الخلاف في المسائل الفرعية الظنية فقد حصل الإجماع والاتفاق بين علماء الأمة الإسلامية علىٰ أن الخلاف فيها لا يخل بالإيمان، وأنه ليس من التفرق المذموم، ولقوله تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ﴾ [الأحزاب:٥]، ((رفع عن أمتي الخطأ والنسيان)).

(٢)- **سؤال:** كان مقتضىٰ السياق: «ليسوا منك في شيء» فلِمَ عدل عنه؟

الجواب: المعنىٰ: لست منهم يا محمد في عقاب ولا ذم ولا تفرق ولا مسؤولية فلست مسؤولاً عن أعمالهم. وقد قيل له صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذلك لما قد كان في قلبه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أو قد يكون من توهم أي مسؤولية عن أولئك الذين تفرقوا في دينهم وضلالهم من حيث أنه رسول من الله تعالىٰ
=

اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴿١٥٩﴾ كل الفرق الذين تراهم يا محمد، والذين قد صاروا أحزاباً من اليهود، والنصارى، والمجوس، والمشركين، وعبدة الشمس، وعبدة النار، وعبدة الجن؛ فدينك يا محمد بريئ من هذه الأديان، وأنت على الحق، وهم على الباطل.

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ وهو الذي سيتولى جزاءهم.

﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴿١٥٩﴾﴾ سوف يخبرهم الله سبحانه وتعالى يوم

لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور. ولو قيل: ليسوا منك في شيء لفهم من ذلك أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ توهم أن تلك الفِرَق تشاركه فيما هو فيه من الأعمال الصالحة، وبعيد غاية البعد أن يكون قد لاح في قلب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أو خطر بباله ذلك التوهم، وعلى هذا فالسياق على بابه.

سؤال: قد يستدل بعض العوام بالآية على أني إذا انتميت إلى الزيدية فإنه من التفرق المذموم، فكيف الجواب؟

الجواب: ورد الذم في هذه الآية للفرق التي خالفت الحق، ولذلك لم يدخل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الذم في هذه الآية لأنه على الحق هو ومن في حزبه، والزيدية ليست داخلة في الذم لأنها سلكت سبيل الحق والهدى الذي كان عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وعلي والحسن والحسين الذين جمعهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في كساء وقال: ((اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً)) وقد أورد ابن كثير حديث الكساء في تفسير سورة الأحزاب مستدلاً به هناك، وهو حديث صحيح مجمع على صحته عند السنة والشيعة عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب]، وفي حديث الثقلين المجمع على صحته أيضاً وهو قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)) وهو في صحيح مسلم. فمن هنا يتبين أن الزيدية ليست من الفرق المذمومة، بل الذم للفرق الأخرى المخالفة للحق التي ليس لها حجة ولا دليل على أنها على الحق والهدى.

القيامة بأعمالهم الباطلة ويجازيهم عليها.

﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴿١٦٠﴾﴾ فالحسنة سيضاعفها له، والسيئة جزاؤها بمثلها، والسيئات ولو كنا نراها صغاراً عندنا فهي عند الله سبحانه وتعالى كبيرة، ألا ترى إلى قوله: ﴿مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾ [المائدة٣٢]، من عهد آدم إلى أن تقوم الساعة بما فيهم الأنبياء جميعا، فانظر إلى عظم هذا عند الله سبحانه وتعالى، وكذلك بقية المعاصي هي هكذا عند الله سبحانه وتعالى(١).

وكذلك من زنى، انظر إلى عظم معصيته هذه وفظاعتها، فهو بسبب الزنا سيخلط بين الأنساب ويجعل هذا رحماً لهذا، ويدخل نسبه بين أولئك، ويجعل هذا

---

(١)-**سؤال:** قد يقال: سلمنا أننا نعلم عظم مثل هذه السيئات التي ذكرتها فكيف نعلم بعظم البعض الآخر مثل سرقة عشرة دراهم، مع قوله تعالى: ﴿فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام]؟

الجواب: سرقة عشرة دراهم هي سرقة صغيرة وجرم صغير في بادئ الرأي، ولكن الله تعالى قد بين كبر ذلك على لسان رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حيث جاء عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((حرمة مال المسلم كحرمة دمه))، ((ألا إن دماءكم وأعراضكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا..)) أو كما قال. **وبعد،** فأخذ مال المسلم عليه بغير حق ظلم يترتب عليه فساد كبير، فالمأخوذ عليه سيغتاظ ويحقد على الآخذ ويشايعه على ذلك إخوته وأولاده وأولياؤه و..، وقد يحصل بسبب ذلك قتل وعداوات وانتقام تنتهك فيه الحرمات ويقلق الأمن وتراق دماء وتفسد أموال، وقد يتفشى الفساد فيعم أمة كبيرة، وكل ذلك بسبب سرق عشرة دراهم أو اغتصابها أو خيانتها، فجريمةٌ من شأنها أن يترتب عليها مثل ما ذكرنا حقيقة بأن يعاقب صاحبها بعقاب عظيم في الدنيا والآخرة، وحقاً فقد قال الله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة]، فهذا الجزاء الكبير في الدنيا وفي الآخرة عذاب النار الخالد، وما ذاك إلا لعظم الجريمة. ومثل ما ذكرنا انتهاك عرض المسلم وأذاه في نفسه أو ذويه بكلام أو بإيلام.

وارثاً لهذا؛ فانظر ما خلفته هذه المعصية من الآثار، وانظر إلى كبرها عند الله سبحانه وتعالى ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور١٥].

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ هدى الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بالوحي والقرآن إلى الدين الحق.

﴿دِيناً قِيَماً﴾[1] ديناً مستقيماً لا عوج فيه.

﴿مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾ بعث الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ بدين إبراهيم عليه السلام الذي كان حنيفاً، أي: مائلاً عن الباطل.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴿١٦١﴾﴾ لأن قريشاً كانت تدعي أنها على ملة إبراهيم ودينهِ وإبراهيمُ عليه السلام لم يكن مشركاً.

﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴿١٦٢﴾﴾[2] قل يا محمد للمشركين: إن الله أمرني أن أجعل صلاتي ونسكي -وهي الذبيحة- ومحياي ومماتي، كل هذه لله رب العالمين؛ لأن المشركين كانوا ينسكون للأصنام فيقولون: باسم اللات وباسم العزى وباسم هبل، وكانت صلاتهم لغير الله سبحانه وتعالى.

﴿لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ أمرني ربي بالتوحيد، وأن أعبده لا شريك له.

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿دِيناً﴾ و﴿مِّلَّةَ﴾؟

الجواب: «ديناً» منصوب على البدلية من محل «إلى صراط» أو بفعل مضمر. و«ملة» بدل من ديناً.

سؤال: هل يصح أن يحمل ﴿قِيَماً﴾ على أنه مقوم لأمور الناس أو أمور المعاد؟

الجواب: قالوا: إن «قيماً» بكسر القاف وفتح الياء مصدر بمعنى القيام وصف به للمبالغة أي: قائماً، والمعنى: أنه حق تظهر على وجهه علامات الحق وأماراته ودلائله وحججه وبيناته ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا﴿١﴾﴾ [الكهف]، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت:٤٢]، وإذا كان قائماً مستقيماً قام به الحق والعدل وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة.

(٢)-**سؤال:** من فضلكم ما معنى ﴿مَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾؟ وما حقيقتهما؟ وممَّ اشتقت الكلمتان؟

الجواب: معناهما: حياتي وموتي، وهما مصدران ميميان مشتقان من حيّ يحيى حياة، ومات يموت موتاً.

﴿وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ۝١٦٣﴾[١] محمد هو أول من آمن واستسلم لله سبحانه وتعالى، وأول من انقاد له.

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِي رَبّاً﴾[٢] هل تريدون أيها المشركون أن أطلب رباً غير الله سبحانه وتعالى ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وهو الذي يربي كل شيء.

﴿وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا﴾ كأن المشركين كانوا يقولون لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: تعال إلينا، ونحن سنتحمل ذنبك ووزرك؛ فقال لهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما أنزله الله سبحانه وتعالى عليه: أن كل نفس سيكون وزرها عليها، ولن يحمل أحد ذنب أحد.

﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[٣] فلا أحد يحمل ذنب أحد.

﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾ المؤمنين والمشركين جميعاً.

﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ۝١٦٤﴾[٤] يحكم بينكم بالحق فيثبت المحق ويعذب المبطل.

---

(١)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ۝١٦٣﴾؟

الجواب: يحتمل أن تكون الواو اعتراضية والجملة معترضة (تذييل)، وفائدة هذا الاعتراض (التذييل) هو تأكيد الكلام السابق وتقريره، وهذه الجمل في المعنى مثل معاني الجمل السابقة ابتداء من قوله: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي...﴾ إلى: ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾، ويحتمل أن تكون الواو للعطف والجملة معطوفة على جملة: ﴿إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ...﴾ وعلى هذا فلا محل لها من الإعراب، ومقول القول هو الكلام كله الذي آخره: ﴿وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ۝١٦٣﴾ ومحله النصب.

(٢)-**سؤال:** ما معنى الاستفهام هنا: ﴿أَغَيْرَ اللّهِ﴾؟ وما إعراب «غير الله»؟

الجواب: الاستفهام للإنكار، و«غير الله» حال من «رباً» وقد كان صفة فلما قدم أعرب حالاً.

(٣)-**سؤال:** مم اشتقت الكلمات: تزر، وازرة، وزر؟

الجواب: اشتقت من المصدر وهو الوزر، والمراد بالوزر هنا الذنب.

(٤)-**سؤال:** هل سيأتي الفصل يوم القيامة في كل مسألة خلافية بعينها بين المحقين والمبطلين أم إجمالاً فقط؟

الجواب: الذي يترجح أن الفصل يكون في كل مسألة ظهر فيها الخلاف وكانت سبباً لتضليل المختلفين كل منهم لمخالفه، دون المسائل التي لم تكن كذلك.

﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾(١) خاطب الله سبحانه وتعالىٰ الناس جميعاً المسلمين والكافرين: أنه هو الذي جعل الناس خلائف يخلف بعضهم بعضاً في هذه الحياة الدنيا تموت أمة ويخلفها أمة، وهو الذي رفع بعضكم علىٰ بعض في الدنيا فجعل هذا غنياً وهذا فقيراً، وهذا شريفاً وهذا وضيعاً، وهذا مريضاً وهذا صحيحاً، وكل هذا اختبار منه جل وعلا، فالغني هل سيشكر أم سيكفر، وهل سيبخل أم سينفق؟ وهذا الفقير هل سيصبر؟ وهذا الشريف هل سيتواضع؟ وهو سبحانه وتعالىٰ سريع العقاب لمن عصاه وتمرد عليه، وغفور رحيم لمن تاب إليه ورجع واستجاب له.



(١)-**سؤال:** هل قوله: ﴿خَلاَئِفَ الأَرْضِ﴾ علىٰ معنىٰ «في» فيكون التقدير: خلائف في الأرض؟ أم ماذا؟

الجواب: المعنىٰ: علىٰ تقدير «في» أي: جعلكم خلائف في الأرض بدليل قوله تعالىٰ في آية أخرىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يونس].

سؤال: ما مناسبة ختم هذه السورة بهذه الآية؟

الجواب: في هذه الآية ما يشعر بتمام السورة ونهايتها، وذلك من حيث أنه بين فيها عواقب المكلفين وما سيصيرون إليه بعد الحياة الدنيا من العقاب الشديد والمغفرة والثواب الذي هو خاتمة الحياة الدنيا ونهاية التكليف فيها.

سورة الأعراف

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾ جعل الله سبحانه وتعالى هذه الأحرف المقطعة في أول السورة ليلفت أسماع المشركين إليها، ولأجل أن يتساءلوا ما هذا الكلام الغريب الذي نسمعه، مما يجعلهم يستمعون له، ويصغون له آذانهم[١].

﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾[٢] سمى الله سبحانه وتعالى هذه السورة كتاباً.

﴿فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾[٣] فلا تضق نفسك يا محمد بالقرآن ذرعاً؛ وكان تبليغ الرسالة وتلاوة القرآن على المشركين مع تكبرهم وإعراضهم عنه قد شق عليه صلى الله عليه وآله وسلم، فأمره الله سبحانه وتعالى أن يصبر ولا يضيق صدره، ويستمر في تبليغ رسالة ربه.

﴿لِتُنذِرَ بِهِ﴾ لأجل أن تنذر به المشركين.

﴿وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ ولتذكر بآياته المؤمنين.

﴿اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن يأمر المشركين أن يتبعوا القرآن. ﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء﴾ لا تتبعوا أرباباً غير الله سبحانه وتعالى. ﴿قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾[٤] لم ترض قريش أن تتذكر، وإنما عاندت واستمرت على عنادها وإعراضها.

---

(١)-**سؤال:** هل تريدون أن بقية الأقوال غير محتملة هنا في ﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾ أم كيف؟

الجواب: الافتتاح بهذه الحروف المقطعة يستدعي الاستغراب والإصغاء والتساؤل على أي وجه فسرت.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب قوله: ﴿كِتَابٌ﴾؟

الجواب: «كتاب» خبر لـ«المص»، ويحتمل أن يعرب ذلك على غير هذا الإعراب.

(٣)-**سؤال:** ما معنى «من» في قوله: ﴿منه﴾؟

الجواب: معناها معنى الباء أي: بسببه، والجار والمجرور «منه» متعلق بمحذوف صفة لحرج.

(٤)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾؟

الجواب: «قليلاً» صفة لمصدر محذوف أي: تذكراً قليلاً، وناصبه: «تذكرون»، و«ما» صلة مؤكدة للقلة «قليلاً» ويحتمل أن قليلاً صفة لزمان محذوف فتكون قليلاً منصوبة على الظرفية لتذكرون.

﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾[١] يخبر الله سبحانه وتعالى قريشاً بأنه كم من قرية قد أهلكها؛ لأجل تكذيبهم بأنبيائهم وتمردهم عليهم، وقص الله سبحانه وتعالى هذا عليهم ليعتبروا وليحذروا أن يحل بهم عذاب الله كما حل بمن قبلهم من أهل القرى.

﴿فَجَاءهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ۝﴾[٢] أتاها عذاب الله سبحانه وتعالى في الليل وهم نائمون، أوفي وقت قيلولتهم وراحتهم، وهو وقت الظهر عند عودتهم للراحة من حر الشمس.

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ[٣] إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا إِلاَّ أَن قَالُواْ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ۝﴾ عند نزول العذاب بأهل القرى الذين كذبوا بأنبيائهم ينادون بويلهم، ويعترفون بظلمهم، ويتندمون على ما قدموا من كفر وعناد وتكذيب واستهزاء.

﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ۝﴾[٤] أخبر الله سبحانه وتعالى بأنه يوم القيامة سيسأل الأمم الذين أرسل إليهم رسله: هل صدقوا رسله أم كذبوهم؟

---

(١)-**سؤال:** هل «كم» في الآية خبريةٌ؟ وما محلها؟ وأين تمييزها؟

الجواب: «كم» خبريةٌ في محل رفع مبتدأ، و﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ تمييزها في محل نصب.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب ﴿بَيَاتاً﴾؟ وما محل جملة ﴿هُمْ قَآئِلُونَ۝﴾؟

الجواب: «بياتاً» يجوز أن يكون ظرفاً باعتبار المعنى «ليلاً» وأن يكون مصدراً في موضع الحال أي: بائتين. و«هم قائلون» في محل نصب على الحالية.

(٣)-**سؤال:** ما الوجه في التعبير عن الدعاء بالدعوى؟

الجواب: الدعوى المذكورة هي دعواهم ما كانوا عليه من الدين فقد كانوا يدعون أنهم على الدين الحق، يؤيد ذلك آخر الآية: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ۝﴾.

(٤)-**سؤال:** يقال: لماذا حذف المسؤول عنه؟ هل لإفادة التعميم أم لماذا؟

الجواب: حذف ذلك لوجود القرينة وهي ذكر الرسل والمرسل إليهم، فإن ذلك قرينة على أن السؤال هو عن رسالة الله هل بلغها رسل الله إلى المرسل إليهم، وهل قبلوها أم رفضوها، وإلى آخر ما يتعلق بالرسالة.

وماذا فعلوا معهم؟ وكيف عاملوهم؟ وسيسألهم الله سبحانه وتعالىٰ أسئلة دقيقة، وكذلك سيسأل الأنبياء الذين أرسلهم إليهم: هل بلغتموهم، وكررتم عليهم التبليغ؟

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ۝٧﴾ وسيخبر الله سبحانه وتعالىٰ الأمم والرسل بما فعل كل واحد منهم؛ لأنه مطلع عليهم بعلمه.

﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾[1] حسابٌ دقيقٌ، كل امرئ علىٰ قدر عمله من الثواب والعقاب ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾ [الكهف٤٩].

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ۝٨﴾[2] الذي عمل الأعمال الصالحة في الدنيا، واستغرق عمره في طاعة الله سبحانه وتعالىٰ وذكره؛ فهذا هو المفلح.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يِظْلِمُونَ۝٩﴾ والذي ضيع عمره في المعاصي واتباع الأهواء والشهوات فهذا قد خسر نفسه في الآخرة، وسيدخل النار بسبب أعماله هذه.

ولا ميزان في الحقيقة[3]، وإنما عبر الله سبحانه وتعالىٰ به؛ لأنه لما كان حسابه في

---

(١)-**سؤال:** من أين استدل أصحابنا علىٰ أن الميزان عبارة عن إقامة العدل؟

الجواب: يستدل أصحابنا بأن أعمال العباد أعراض لا توزن لذاتها، ولا توصف بالثقل والخفة لذاتها، والوزن إنما يكون لما يوصف بالثقل والخفة، وبأن الله تعالىٰ غير محتاج لآلة وزن لمعرفة مقادير الأعمال ولا يحتاج للآلة إلا المخلوق.

(٢)-**سؤال:** ما الوجه في التعبير عن الأعمال الصالحة بثقل الموازين؟ وعن الأعمال السيئة بخفة الموازين؟

الجواب: عبر الله تعالىٰ هاهنا عما ذكر بطريق الكناية لأنها أبلغ من الحقيقة وأدل علىٰ المعنىٰ المراد من حيث أن الكناية تفيد المعنىٰ ودليله.

(٣)-**سؤال:** وهل يلزم محذور من القول بالميزان الحقيقي، ويكون في علم الله، لا علىٰ ما في روايات الحشوية، وما قالوه من العبث ينتفي بأن يكون فيه حكمة ومصلحة غير إحصاء الأعمال، كأن يكون فيه لطف للعباد في أن يدققوا في أعمالهم إذا علموا بالوزن الأخروي، وتماماً مثل شهادة الأعضاء والجوارح؟

الجواب: لا مانع من أن يظهر الله تعالىٰ مقادير الأعمال يوم الحساب ليراها أهلها؛ لما في ذلك من إظهار العدل الإلهي، وحتىٰ يعلم العاملون خيراً أو شراً أن الله تعالىٰ لم يظلمهم مثقال ذرة

=

منتهى الدقة، ولا يضيع عنده شيء مما عمله المرء في الدنيا، ومطلع على كل صغير وكبير، لا ينقص من عمل أحد مثقال ذرة- عبر حينئذٍ بالميزان ليصور لنا دقة الحساب ومنتهى العدل(١).

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ﴾ قد مكنا لكم أيها المشركون في الأرض وجعلنا لكم فيها سلطة.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾(٢) أسبغنا عليكم النعم، وبسطنا لكم في الأرزاق.

﴿قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ۝١٠﴾(٣) ولكنكم لم تشكروا الله سبحانه وتعالى عليها، وكفرتم وتمردتم عليه.

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ۝٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ۝٨﴾ [الزلزلة]، بل إن ذلك هو المفروض وقوعه، وفي هذا لطف ومصلحة، بغض النظر عن الطريقة التي تنكشف عن طريقها مقادير الأعمال لأهل الموقف، والله على كل شيء قدير فقد تكون شهادة الأعضاء والجوارح يوم القيامة بإحضار صور العصاة وهم يعملون المعاصي على وجه أكمل مما يرى اليوم على الشاشات الحية، والله تعالى قادر على أن يري أهل الموقف مقادير الأعمال فيرونها بأعينهم ويعلمون المقادير عن طريق لا نعلمها تسمى موازين والله أعلم.

(١)-**سؤال:** ما هي النكتة البلاغة في هذا؟

الجواب: النكتة البلاغية هي تصوير المعاني الدقيقة بالمتصَوَّر المحسوس.

(٢)-**سؤال:** ما نوع اسمية: ﴿مَعَايِشَ﴾؟ ومن أين أخذ أصلها؟

الجواب: «معايش» جمع معيشة وهي مأخوذة من العيش والياء أصلية.

(٣)-**سؤال:** يقال: ظاهر الإعراب في ﴿قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ۝١٠﴾ أنه أثبت لهم الشكر القليل، فكيف؟

الجواب: يمكن أن يقال: إن الشكر القليل الذي يفيده ظاهر الآية هو اعتراف المشركين بأن الله تعالى هو الذي خلقهم وخلق السموات والأرض الذي حكاه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ...﴾ [لقمان:٢٥]، ونحو ذلك مما يعترفون به عند السؤال، والاعتراف بمثل ذلك شكر.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ[1] ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴿١١﴾﴾[2] أخبر الله سبحانه وتعالى المشركين بأنه قد كرمهم في الدنيا، ورفع من أقدارهم، ونَوَّه بشرفهم بأنه قد خلقهم في أحسن الصور، وجعلهم مشرفين من بين سائر الخلق، وأمر الملائكة بالسجود لآدم أبيكم، وكفى بهذا تعظيماً، فلماذا تتمردون على ربكم، ولا تشكرونه؟

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن شأن إبليس حين استكبر عن السجود لآدم وقال: كيف أسجد لبشر- ألم يعلم بأن الله سبحانه وتعالى هو الذي أمره بالسجود؟ وليس آدم هو الذي أمره، فالمفروض أن يمتثل لأمر الله سبحانه وتعالى، فلماذا استكبر عن أمر الله سبحانه وتعالى؟

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾[3] قال الله سبحانه وتعالى لإبليس: لماذا

---

(١)- **سؤال:** المعلوم أن التصوير من جملة الخلق، فلماذا عطفه عليه بـ«ثم» المفيدة للتراخي؟ وما الوجه في العطف بها في قوله: ﴿ثُمَّ قُلْنَا﴾؟

الجواب: خلق الله تعالى آدم طيناً غير مصور ثم صوره، فـ«ثم» على بابها، و﴿ثُمَّ قُلْنَا﴾ تفيد «ثم» تراخي الفضل والكرامة أي أن فضل كرامة الله تعالى لآدم بسجود الملائكة أعظم من كرامته له بالخلق والتصوير.

(٢)- **سؤال:** يقال: من المعلوم أنه قد استفيد عدم سجود إبليس من الاستثناء فما فائدة قوله: ﴿لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴿١١﴾﴾؟ وما إعرابه؟

الجواب: ﴿لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴿١١﴾﴾ معناها مثل معنى قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف:٥٠]، والجن ليسوا من الساجدين «الملائكة»، وتعرب: ﴿لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴿١١﴾﴾ استئنافية لبيان العلة في عدم سجوده.

(٣)- **سؤال:** كيف سيكون نظم الآية مع تأويل المصدر: ﴿أَلاَّ تَسْجُدَ﴾ موافقاً لبلاغة القرآن؟

الجواب: قد قالوا: إن «لا» زائدة، وعلى هذا فيقدر: ما منعك من السجود، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥].

سؤال: ما إعراب «إذ» في قوله: ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾؟

الجواب: تعرب «إذ» ظرفاً لما مضى من الزمان، أي: حين أمرتك بالسجود لآدم.

لم تسجد وتمتثل لأمري، وأنا الذي أمرتك؟

﴿قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ أنا أفضل من آدم. ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴿١٢﴾﴾ والنار أشرف من التراب.

تعزز إبليس واستكبر عن السجود، وتكبره هذا يعتبر تكبراً على الله سبحانه وتعالى وليس على آدم، فالمفروض أن يتواضع لله سبحانه وتعالى ويطيعه، ولا يتكبر عن الامتثال لأمر ربه.

﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾[1] اخْرُج من الجنة، ﴿فَمَا يَكُونُ[2] لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴿١٣﴾﴾ ما ينبغي أن تمكث فيها وأنت متكبر على الله سبحانه وتعالى، ومتمرد عليه.

والجنة[3] هذه هي بستان كبير من بساتين الأرض، خلق الله سبحانه وتعالى فيه أنواع الثمار، وأظن أنها كانت في الهند، وقد خلق الله سبحانه وتعالى آدم فيها، وأمره أن يمكث ويتنعم فيها، ولكن بشرط ألا يطيع إبليس، وأن يحذر منه؛ لأنه إن أطاعه

---

(١)-**سؤال:** هل قد سبق لضمير الجنة ذكر؟ وما الوجه في الإضمار؟

الجواب: قد سبق ذكرها ضمناً من حيث أن خلق آدم وتصويره وأمر إبليس بالسجود له كان في الجنة، والوجه في الإضمار شهرة ما ذكرنا من أن خلق آدم وتصويره وأمر إبليس بالسجود كان في الجنة.

(٢)-**سؤال:** هل كان في قوله: ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ تامة أو ناقصة؟

الجواب: «يكون» فعل مضارع تام أي: ما ينبغي أو ما يصح، و«أن» وما دخلت عليه في تأويل مصدر فاعل «يكون».

(٣)-**سؤال:** وهل يصح أن نجعلها الجنة الموعود بها؟ وإذا كان المانع لزوم فنائها فكيف بجنة المأوى المتفق على وجودها؟

الجواب: جنة المأوى متفق على وجودها، ولا يلزم من فنائها العبث؛ لأنه قد حصل المقصود من خلقها، فقد جعلها الله تعالى مأوى لأرواح عباده الصالحين.

سيخسر، وقد أمر الله سبحانه وتعالى الملائكة بالسجود لآدم في هذه الجنة؛ فعندما استكبر إبليس طرده الله سبحانه وتعالى منها، وصغره وحقره، فهذا جزاؤه عندما تكبر، والجزاء من جنس العمل.

وقد جعل الله سبحانه وتعالى هذا السجود امتحاناً واختباراً للملائكة وإبليس، وجعل آدم عليه السلام قبلة لهم يتوجهون بسجودهم إليه، لا أن يقصدوا بسجودهم له؛ لأنه لا ينبغي السجود إلا لله سبحانه وتعالى وحده.

﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ۝١٤﴾ طلب إبليس من الله سبحانه وتعالى أن يمهله إلى يوم القيامة.

﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ۝١٥﴾(١) أجاب الله سبحانه وتعالى إبليس فيما طلبه وسيمهله، وهذا الإمهال له وحده، وليس لجميع جنس الشياطين.

﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي(٢) لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ(٣) الْمُسْتَقِيمَ۝١٦﴾ قال إبليس: سأقابل حكمك علي بالضلال والغواية بإغواء ذرية آدم وسأقعد على طريق الحق وأزين لهم الخروج منها إلى طريق الضلال.

---

(١)-**سؤال:** هل لإنظاره علة؟

الجواب: أنظره الله تعالى لما في إنظاره من التكليف والابتلاء وزيادة المشاق على المكلفين فيما كلفوا به، وذلك أن الثواب العظيم والعذاب الشديد مترتبان على التكاليف الشاقة على المكلفين.

(٢)- **سؤال:** هل يصح لنا أن نقول: إن إبليس نسب إغواءه إلى الله؟

الجواب: سياق القصة يفيد أن ﴿أَغْوَيْتَنِي﴾ بمعنى: حكمت بغوايتي وبتجريمي، ولم يرد إبليس أن الله تعالى أدخله في الغواية كما تقوله المجبرة. فسياقها أن إبليس امتنع من السجود معتقداً أن له حجة وعذراً يعذره الله به: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ۝٧٦﴾ [ص]، فلما رأى أن حجته وعذره لم يخلصه عند الله بل طرده الله تعالى وصغّره بعد أن بين حجته وعذره قال: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ ولو كان إبليس يعتقد مذهب الجبر لما قال: ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ۝١٦ ثُمَّ...﴾ فكما ترى فإن قوله هذا يدل على أن إبليس أقسم على نفسه أنه سيضل بني آدم عن الصراط المستقيم «دين الحق والهدى»، ولو كان يعتقد الجبر لما قال ذلك.

(٣)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿صِرَاطَكَ﴾؟

الجواب: منصوب على نزع الخافض أو على الظرفية.

﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ[١] وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ[٢] تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ سأقف لهم بالمرصاد في هذه الطريق، وسأدخل عليهم من جميع المداخل: من اليمين ومن الشمال، ومن خلف ومن قدام، وكل مدخل أجده سأدخل عليهم منه لأصرفهم عن الهدى، وأجرهم إلى الضلال والهلاك.

﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُوماً مَّدْحُوراً﴾ اخْرُج من الجنة مطروداً ملعوناً، هذا معنى مدحوراً، ومعنى مذؤوماً: مذموماً، وهو مِنْ «ذأمه» إذا ذمه.

﴿لَّمَن[٣] تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ومن تبعك فسأدخله معك جهنم.

﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ أمر الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام بعدما طرد إبليس أن يسكن في الجنة.

﴿فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٤]

---

(١)- **سؤال:** هل المراد بقوله: ﴿مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ..﴾ التعبير عن كثرة أسباب الوسوسة للشيطان أو ماذا؟

الجواب: المراد كثرة الطرق والوسائل التي يأتيهم منها بوساوسه الخبيثة.

(٢)- **سؤال:** علام عطفت الجملة: ﴿وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾؟ ومن أين عرف إبليس ذلك إذا كانت من كلامه؟

الجواب: عطفت الجملة على جملة: ﴿لآتِيَنَّهُم﴾ التي هي جواب القسم. وعرف إبليس ذلك من تجربته مع آدم فظن بسبب ذلك أنه يقدر على إضلال ذريته بالأولى؛ لأن آدم رسول ونبي، وذريته ليسوا كذلك.

(٣)-**سؤال:** ما هي اللام الداخلة على «من» في قوله: ﴿لَّمَن تَبِعَكَ﴾؟

الجواب: هي لام التوطئة، وقوله: ﴿لأَمْلأَنَّ﴾ جواب القسم الذي آذنت به لام التوطئة.

(٤)-**سؤال:** هل في الآية دليل على أن من خالف أمر الله يصير ظالماً لمخالفته أمره؟

الجواب: فيها دليل واضح على أن مخالفة أمر الله ظلم، وأن مخالف أمر الله أو نهيه يسمى ظالماً.

وكلا من حيث شئتما من أثمار الجنة وعَيَّنَ الله تعالىٰ لهما شجرة وحذرهما من الأكل منها وأخبرهما أن الأكل منها معصية، وكان منع الله سبحانه وتعالىٰ لآدم عليه السلام وزوجته- امتحاناً منه واختباراً وابتلاءً.

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا﴾ وكانت هذه أول تجربة لإبليس لعنه الله في الوسوسة والإغواء، فانخدع آدم عليه السلام وزوجته بوسوسته؛ لأنهم لم يجربوا وسوسَتَه، وكانت أول مرةٍ، ووسوسته هذه لأجل أن يظهر قبائحهما من المعاصي والأخطاء.

﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ۝٢٠﴾ قال لهما إبليس في وسوسته: إن الله لم ينهكما عن هذه الشجرة إلا كراهة أن تكونا من الملائكة، ولئلا تكونا من الخالدين.

﴿وَقَاسَمَهُمَا[1] إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ۝٢١﴾ وحلف لهما إبليس في وسوسته، ولم يكونا يريانه.

﴿فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ﴾ اغترا بوسوسته[2]، وبدأا بالأكل من الشجرة، ولم يأكلا منها إلا وفي نيتهما أن يتقربا إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، وينالا درجة الملائكة في طاعة الله سبحانه وتعالىٰ.

﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾ عندما بدأا بالأكل من الشجرة ظهرت لهما سيئات[3] أعمالهما وعرفا أنهما قد وقعا في الخطيئة.

---

(١)-**سؤال:** ما الوجه في التعبير بـ«قاسمهما» دون «أقسم لهما»؟

الجواب: ﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ تفيد أنه جرىٰ من آدم وحواء ما يشبه القسم، أو طلبا منه القسم، أو جرت بين الطرفين محاورة ومناكرة واتهام، فسمي قسم إبليس مقاسمة لذلك.

(٢)-**سؤال:** يقال: ظاهر معنىٰ التدلية الإنزال فكيف؟ وهل المراد بالغرور هنا الخداع؟

الجواب: المعنىٰ: أن الشيطان أنزل آدم وحواء من مقام طاعة الله إلىٰ ذل معصيته بغروره أي: بخداعه لهما بالقسم واليمين إنه لهما لمن الناصحين، فظنا أنه صادق في نصيحته حين أقسم لهما.

(٣)-**سؤال:** قد يقال: بأن إظهار الله لعورتهما الحقيقية لا قبح فيه من حيث أنهما زوجان ولا =

﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ[(١)] عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ ليستظلا بها خصفا من حر الشمس[(٢)].

﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا

ثالث لهما، ومن حيث إن فيه حثاً لهما على المبادرة بالتوبة، وإن الله عالم بعدم استمراره لعلمه بتوبتهما، فما رأيكم؟

الجواب: ما ذكرت قريب ومحتمل، ولكن ما حكى الله تعالى عن إبليس في قوله: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا..﴾ يفيد أن قصد إبليس وغرضه من وسوسته لهما هو أن تظهر سوآتهما، ولا يخفى أن قصد إبليس من آدم وحواء وذريتهما أن يوقعهم في معصية الله: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ۝٨٢﴾ [ص]، ويدخلهم في الغواية التي دخل فيها، وتتكشف معاصيهم كما تكشفت معصيته. وكأن آدم وحواء كانا يظنان أنهما من أهل طاعة الله على الإطلاق، ولا يظنان ولا يتوقعان أن تحصل منهما معصية الله، أو أن وقوعها منهما مستحيل أو شبه المستحيل، أو بعيد غاية البعد، فأراد إبليس أن يظهر لهما فساد ما ظنا وأن معصية الله متوقعة منهما وأنهما ليسا كما ظنا. فهذا ما تفيده الآية عند التأمل ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا﴾ فإن ذلك يفيد أن ثمة أمراً محجوباً علمه عن آدم وحواء، ومن البعيد أن تكون السوأة الحقيقية هي ذلك الأمر المحجوب علمه عنهما فالمفروض أن آدم وحواء على الطبيعة البشرية يأكلان ويشربان ويتبولان ويتغوطان، ويتناكحان، على مقتضى الطبيعة البشرية، وأنهما كانا يتنزهان عن البول والغائط ويتطهران بالماء على مقتضى الفطرة؛ لذلك رجحنا أن ﴿سَوْءَاتِهِمَا﴾ هي السوءات المعنوية التي هي المعاصي.

(١)-**سؤال:** ما معنى: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾؟ وهل ظاهرها يؤيد القول بانكشاف العورة؟

الجواب: معنى «طفقا» شرعا وأخذا يخصفان عليهما من ورق الجنة، والمراد أن الله تعالى سلب عن آدم وحواء بسبب وقوعهما في المعصية ما كان أنعم به عليهما فيها: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ۝١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ۝١١٩﴾ [طه]، فأصبح آدم يضحى بعد أن كان لا يضحى، واحتاج بعد المعصية أن يعمل ويتسبب في حصول ما يحتاجه من الأكل والشرب واللباس والظل والكن، بعد أن كانت حاجاته مهيأة له ولزوجته بغير عناء وتعب.

(٢)- **سؤال:** يقال: من أين تظهر لنا هذه العلة: «ليستظلا بها خصفا من حر الشمس»؟

الجواب: ظهرت من قوله: «عليهما» فظاهر ذلك أن الخصف فوقهما وهما تحته.

عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴿٢٢﴾﴾[1] قال الله لهم ذلك موبخاً لهما.

﴿قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴿٢٣﴾﴾ آدم وحواء عندما عصيا الله سبحانه وتعالى قالا هذا القول: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾.

لم يكونا يعلمان كيف يستغفران من خطئهما ومعصيتهما؛ فعلمهما الله سبحانه وتعالى كيف يتوبان عندما علم منهما إرادة التوبة، وأن يقولا هذا القول: ﴿قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴿٢٣﴾﴾، فغفر الله سبحانه وتعالى لهما وقبل توبتهما.

﴿قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾[2] اخرجا من الجنة جزاءً على عصيانكما، اخرجا إلى الأرض مع الشيطان وقد عرفتم عداوته لكما ولذراريكما.

﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴿٢٤﴾﴾[3] فلكم في الأرض موطن

---

(١)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ...﴾ الآية؟

الجواب: محل ذلك النصب على أنه مقول قول محذوف.

سؤال: ما فائدة دخول «ما» في قوله: ﴿تِلْكُمَا﴾؟

الجواب: «ما» هي علامة تثنية المخاطبين.

(٢)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾؟

الجواب: محلها النصب على أنها حالية أي: متعادين.

(٣)-**سؤال:** يقال: ظاهر قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ﴾ مع قوله: ﴿اهْبِطُواْ﴾ أن جنة آدم ليست في الأرض فما قرائن العدول عن هذا الظاهر؟

الجواب: خلق آدم من الأرض، وطبيعته أرضية، وقد قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]، ولو كانت جنة آدم في السماء لما أمكن إبليس الدخول إلى جنته ليوسوس إليه لمنع الشياطين من الوصول هناك.

- قالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة:٣٠]، لذلك فمعصية آدم وحواء كانت في الأرض.

=

تستقرون فيه ونعم تتنعمون فيها إلى وقت معلوم عند الله.

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴿٢٥﴾﴾ أخبرهم الله سبحانه وتعالى أن بني آدم سيعيشون على ظهرها، وسيموتون ويقبرون فيها، وسيبعثون منها يوم القيامة إلى الحساب والجزاء.

﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً﴾(١) خاطب الله سبحانه وتعالى جميع بني آدم، وتمنن عليهم- بأنه قد خلق لهم لباساً يستترون به، وخلق لهم أيضاً لباساً يتزينون به بين الناس.

﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ﴾(٢) ثم دلهم الله سبحانه وتعالى على ما هو الأفضل

- وجنة آدم كانت في مرتفع من الأرض ربوة ذات قرار ومعين، حيث تزكو الثمار وتقل الحشرات ويطيب الهواء وتنشرح الصدور، فلما عصى آدم وحواء أمرهما الله تعالى بالهبوط من ذلك المرتفع المبارك إلى الأرض الطويلة العريضة للاستقرار فيها والتوالد عليها وتحمل التكاليف والمصاعب فيها.

(١)-**سؤال:** ما الفرق بين «لباساً» و«ريشاً»؟ ومم أخذ «ريشاً»؟

الجواب: الأول للستر، والثاني «ريشاً» للزينة، وهو مأخوذ من ريش الطائر.

سؤال: قد يقال بأن هذا وهو أن السوءة والمواراة على حقيقتهما مؤكد بأنه في حق آدم على حقيقته فكيف؟

الجواب: المراد هنا هو: يغطي عوراتكم عن أعين الناظرين، والمراد هناك أن الشيطان وسوس لآدم وحواء من أجل أن يُظهر لهما ما حجب عنه علمهما ورؤيتهما، أي ليبدي لهما ما جهلاه.

ومن البعيد أن يكون قصد إبليس أن تظهر لهما عوراتهما الحقيقية التي هي الفرجان.

ومعرفة آدم بعوراتهما من الضروريات، وكيف تخفى عليهما بعض أعضائهما الظاهرة؟!

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ﴾ على قراءة الرفع وقراءة النصب؟

الجواب: على قراءة النصب: يكون معطوفاً على قوله: ﴿لِبَاساً﴾. وعلى الرفع يكون مبتدأ وما بعده خبره ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾.

لهم من اللباس، وهو التقوى فإنها زينة وجمال في الدنيا والآخرة.

﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴿٢٦﴾﴾ اللباس آية من آيات الله سبحانه وتعالى خلقها لنا لنعرف قدرته وفضله علينا ونعمته.

﴿يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾ حذرنا الله سبحانه وتعالى من إبليس ومن مكايده، وحذرنا من فتنته وإغوائه، كما فعل بأبينا آدم عليه السلام.

﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا[(١)] لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا﴾ فاحذروا عداوته؛ فقد سبق لكم تجربته في آدم عليه السلام وزوجته حواء، وكيف نزع عنهما لباسهما بسبب معصيتهما[(٢)]، وكيف ارتفعت نعمة الله عنهما حين عصيا وأخرجهما إلى الأرض يتكسبان فيها ويتعبان، بعدما كانا يأكلان في الجنة من دون تعب ولا مشقة، وكيف احتاجا إلى أن يتعلما في الأرض كيف يغزلان وينسجان، وكيف يخيطان، وكذلك كيف يحرثان الأرض، ثم يزرعانها، ثم كيف يحصدان، ثم يطحنان، ثم يخبزان.

﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ﴾[(٣)] أخبر الله سبحانه وتعالى أن

---

(١)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾؟

الجواب: محلها النصب على الحالية من فاعل: ﴿أَخْرَجَ﴾.

(٢)-**سؤال:** يقال: ظاهر الآية أن نزع اللباس سبب في المعصية: ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا﴾ فكيف؟

الجواب: الذي يظهر أن المراد في هذه الآية هو: لا يفتننكم الشيطان كما فتن أبويكم ليريهما سوءاتهما، وإنما قلنا ذلك ليتوافق المعنى مع معنى قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا﴾ وعلى هذا فقوله: ﴿لِيُرِيَهُمَا﴾ متعلق بالمصدر المؤول المقدر أي: فتنة كفتنة إخراج أبويكم من الجنة نازعاً لباسهما.

(٣)-**سؤال:** ما المراد بـ«قبيله»؟ وما فائدة التقييد بقوله: ﴿مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ﴾؟

الجواب: «قبيله» هم جنوده وأعوانه، وفائدة هذا القيد ﴿مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ﴾ هو حمل =

الشياطين يروننا ويراقبوننا، ويترصدون لإضلالنا وإغوائنا في كل طريق، ويحاولون الدخول علينا من كل باب يستطيعون الدخول علينا منه لنأخذ حذرنا من مكائده.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أن الشياطين مسلطون[١] على الكافرين بما جعله الله تعالى من التخلية بين الشياطين وبين بني آدم يرمون بهم في أودية الضلال ويقحمونهم في ارتكاب العظائم والجرائم، وأما المؤمنون الذين قد خلص إيمانهم فالشيطان عاجز عن الدخول فيهم وإضلالهم[٢]، ولا يجد مدخلاً يدخل عليهم منه، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران].

﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللَّه أَمَرَنَا بِهَا﴾ إن أولياء الشياطين الذين قد تسلطت عليهم، وقد أصبحوا تحت أيديهم وسيطرتهم إذا فعلوا

المخاطبين على شدة الحذر والتحرز، وذلك أن العدو إذا كان بمرأى عدوه يخف التحذر والتحرز ويطمئن القلب ما دام يراه، فإذا اختفى العدو عن العين اشتد القلق واشتد التحرز منه واشتدت العناية والاحتياط منه.

(١)-**سؤال:** هل الولاية بمعنى التسلط في الآية أم ماذا؟

الجواب: المعنى: أن الله تعالى جعل -أي: سلط- بالتخلية الشياطين أولياء للكافرين يطيعونهم فيما زينوه لهم من الجرائم والعظائم.

(٢)-**سؤال:** يقال: ظاهر الآية التي استدللتم بها أن الشيطان يدخل عليهم بوساوسه إلا أنهم يتذكرون الله قريباً فيتراجعون وكم من عالم أو مؤمن يزل، فلا زال يشكل علينا خاصة مع قول الله: ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر:٤٢]، ومع كلامكم أيدكم الله؟

الجواب: قال الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت]، فمن دخل في الفتنة ولم يتراجع وتوغل فيها وأصر على توغله فليس من الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر:٤٢]. أما الذين ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ فهم من عباد الله الذين لا سلطان للشيطان عليهم؛ لأنه إذا استغفلهم وأوقعهم في زلة ردهم إيمانهم واستغفروا لذنوبهم وحينئذ يرجع الشيطان خائباً متحسراً.

معصية- يختلقون الافتراءات على الله سبحانه وتعالى، ويقولون: هو الذي أمرهم بها، وقد رضيها لهم.

﴿قُلْ إِنَّ اللَّه لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ(١) عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴿٢٨﴾﴾ كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينهى المشركين عن عبادة الأصنام، وعن فعل الفواحش، وكان المشركون يقولون: إنا وجدنا آباءنا يفعلون ذلك، والله هو الذي أمرنا بها؛ فرد عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله سبحانه وتعالى لا يأمر بالفحشاء، وإن كان يأمر بها فما هو دليلكم؟ وهاتوا حجة على ما تزعمون؟ ولن يستطيعوا دليلاً عليه؛ لأنهم إنما قالوا ذلك من عند أنفسهم واتباعاً لأهوائهم.

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾(٢) قل يا محمد لقريش: إن الله سبحانه وتعالى لم يأمر إلا بالحق والعدل.

﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ(٣) عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾(٤) وأمركم بعبادته والصلاة والسجود له.

﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ واعبدوا الله سبحانه وتعالى وحده مخلصين له الدين، فلا تشركوا معه أحداً في عبادتكم.

---

(١)-**سؤال:** ما معنى الاستفهام هنا: ﴿أَتَقُولُونَ﴾؟

الجواب: معناه الإنكار لما قالوه على الله من الكذب.

(٢)-**سؤال:** «أمرنا بالفحشاء»، وقوله: ﴿أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ ما يسمى الجمع بينهما؟

الجواب: الجمع بينهما يسمى المقابلة، وذلك من المحسنات البديعية التي تكسب الكلام حسناً وتملأ المسامع استحساناً، وقد يسمى هذا التطبيق والتكافؤ.

(٣)-**سؤال:** ما المراد بقوله: ﴿أَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ﴾؟

الجواب: المراد: أخلصوا عبادتكم لله ولا تميلوا إلى عبادة غيره.

(٤)- **سؤال:** هل المراد بالمسجد مكان السجود أو زمانه؟

الجواب: يجوز الأمران: مكان السجود أو زمانه، والمراد عند كل صلاة.

﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[1] مثلما خلقكم على الدنيا ستعودون إليه يوم القيامة، فكما خرجتم من بطون أمهاتكم، ولا شيء معكم، ولا حول لكم ولا قدرة ولا قوة- أيضاً ستعودون إليه كذلك.

وظاهر هذه الآية أن الناس سيحشرون يوم القيامة إلى ربهم عراة كما خرجوا من بطون أمهاتهم، وأما الإمام الهادي عليه السلام فقال: إن المرء سيحشر يوم القيامة في كفنه؛ لأنه قبيحٌ على الله سبحانه وتعالى أن يحشرهم عراة وهو قول قوي[2].

﴿فَرِيقاً[3] هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ﴾[4] انقسم بنو آدم قسمين:

---

(١)-**سؤال:** يقال: ما وجه انفصال هذه الجملة عما قبلها؟ وما إعرابها؟

الجواب: فصلت لأنها مستأنفة لبيان العلة لما قبلها فالمعنى: أخلصوا العبادة... لأنكم ستعودون إلى الله فرادى كما بدأ خلقكم على هذه الدنيا، فيجازي كلاً على ما يستحقه.

(٢)-**سؤال:** قد وردت بعض الآثار في حشرهم عراة واستنكار عائشة على ذلك فأجيب عليها بما معناه أن الناس مشغولون بأنفسهم عن الرؤية فهل يبقى القبح مع عدم رؤية أحد لعورة أحد؟

الجواب: أهل الإيمان يوم القيامة في ظل الله وفي كرامته، ومن الكرامة بل ومن أول الكرامة أن يكسوهم الله ويستر عوراتهم، ولا ريب أن الله تعالى سيظهر كرامته على أوليائه يوم العرض ليميزهم عن أعدائه، ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ [التحريم:٨]، ﴿انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ [الحديد:١٣]، وقد يكون تغطية عوراتهم بالنور أي يكون بلباس من نور.

وأما أعداء الله فقد يكون حالهم على العكس من حال أولياء الله، فيغشون بالسواد والظلام بدليل قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ [يونس:٢٧]، ويدل قوله: ﴿انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ [الحديد:١٣]، أن المنافقين قالوا ذلك وهم في ظلم، وعلى هذا فيكون أهل الموقف بغير لباس، وإنما النور والظلام، وبهذا يجمع بين ما روي في الحديث وبين ما ذكر من استقباح حشر أهل الموقف عراة.

(٣)-**سؤال:** ما الوجه في تقديم المفعول؟

الجواب: وجه تقديمه اختصاصه بالهدى دون الفريق الضال.

(٤)- **سؤال:** يقال: هل يصح أن يحمل الهدى على هدى المجازاة، والضلالة على الحكم والتسمية كما هو ظاهر الآية والتعليل؟

الجواب: الهدى هو هدى المجازاة، والضلالة يراد بها الحكم والتسمية أي: أن الفريق الذي =

فريق دخلوا في الهدى وآمنوا بالله سبحانه وتعالى وبرسله، واستجابوا وأطاعوا، وفريق ضلوا عن الهدى، ودخلوا في الضلالة.

﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ اللهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ۝٣٠﴾ السبب في أنهم استحقوا الضلالة هو أنهم أطاعوا الشياطين واتبعوهم وعبدوهم من دون الله سبحانه وتعالى، وهم مع ذلك ظانون أنهم على الحق، وأنهم في الهدى.

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ[1] وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ۝٣١﴾ كان المشركون يطوفون بالكعبة وهم عراة؛ لأجل ألا يعبدوا الله سبحانه وتعالى في زعمهم في ثياب قد عصوه فيها، وكانوا يأمرون من يأتي حاجاً أو معتمراً بذلك، وجعلوه شرعاً شرعوه من عند أنفسهم، فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية، وأمرهم بلبس الثياب عند إرادة الصلاة والعبادة سواء في المسجد الحرام أو في غيره، والطواف عبادة.

وأقل الزينة ستر العورة؛ لأن ستر العورة زينة، وسمى الله سبحانه وتعالى الثوب زينةً لأنه يستر العورة التي هي قبيحة، والثوب يستر هذا القبح، ويزين المرء، فسمي زينة من هذه الناحية.

﴿وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ۝٣١﴾ فكلوا واشربوا من نعم الله سبحانه وتعالى التي أنعم بها عليكم، ولا تحرموا بعضه؛ وقد كان المشركون يحرمون أشياء من عند أنفسهم، ومن جملة ما حرموه اللباس عند الطواف. والإسراف هو: تحريم ما أحل الله سبحانه وتعالى، وتحليل ما حرمه.

استجاب وآمن زاده الله هدى، والفريق الذي اختار الضلال حق عليه اسم الضلالة، والضلالة هي اسم فيه مبالغة زائدة على الضلال.

(١)-**سؤال:** يقال: ما الحكمة في التعبير بقوله: ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ ولم يقل: عند كل صلاة؟

الجواب: قد تكون الحكمة –والله أعلم– ليشمل التعبير الطواف مع الصلاة، ويشمل العبادات التي تكون في المساجد.

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف٣٢]، أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يسأل المشركين: من حرم زينة الله سبحانه وتعالى، وطيبات الرزق؟

ولم يحرمها إلا المشركون من تلقاء أنفسهم كتحريم اللباس عند الطواف، وتحريم بعض الأنعام التي تقدم تفصيلها في سورة الأنعام؛ فحرموها من دون دليل ولا حجة، لا من نبي ولا من كتاب.

﴿قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قل يا محمد: إن زينة الله سبحانه وتعالى وطيبات الرزق في الدنيا للذين آمنوا بالله سبحانه وتعالى وبما جاء به.

﴿خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[1] وتكون خالصة لهم يوم القيامة دون المشركين؛ لأنهم في الدنيا مشتركون فيها هم والمؤمنون، وأما يوم القيامة فهي للمؤمنين خالصة، وأيضاً تكون للمؤمنين في الدنيا باستحقاق، دون المشركين فليست لهم باستحقاق يستحقونها، وإنما يستحقونها بشرط الإيمان[2]، وإلا قاتلهم المسلمون إلى أن يسلموا، فإن أسلموا فقد استحقوها حينئذٍ، وإلا قتلوهم وأخذوا أموالهم وتغنموها.

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب ﴿خَالِصَةً﴾؟

الجواب: تعرب نصباً على الحال من الضمير المستتر في المستقر الذي تعلق به: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُواْ﴾.

(٢)-**سؤال:** فهل يؤخذ من هذا أنها محرمة على الفاسقين والكافرين في الدنيا فكيف بظاهر قوله: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ [الأحقاف:٢٠]، الإجماع على عموم الإباحة ونحو ذلك، أفيدونا رفع الله مقامكم في الدارين؟

الجواب: هي مباحة للناس جميعاً ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء]، إلا أنها مع ذلك حق للمؤمنين لهم أن يأخذوها إذا أصر الكافرون على كفرهم وعداوتهم للدين ولم يدخلوا في الإيمان، وقد قال أهل العلم: إن دار الحرب دار إباحة. وحرمة أموال المعاهدين إنما كانت لأجل العهد والذمة فلو لم يدخلوا في العهد والذمة لحلت وأبيحت للمؤمنين وكانت حقاً لهم. وحرمة أموال المنافقين والفاسقين لإظهارهم كلمة العصمة «الشهادتين» ولو أنهم أبانوا ما في نفوسهم وما هم عليه في حقيقة الأمر لاستباح أولياء الله أموالهم وأنفسهم.

﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ۝٣٢﴾ يوضح الله سبحانه وتعالى آياته وما هو الحلال وما هو الحرام لقوم يفهمونها ويعقلونها، وأما أولئك المشركون الذين هم كالأنعام أو أضل منها- فلن يفهموها ولن يعقلوها، وسيموتون على باطلهم، ما داموا على عاداتهم وعادات آبائهم مصرين، وما داموا رافضين تعاليم الله سبحانه وتعالى التي أنزلها في كتابه.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ كل ما حرمتموه أيها المشركون فليس محرماً في الحقيقة؛ لأن الله سبحانه وتعالى لم يحرم إلا الفواحش، وهي الأشياء التي يستفحشها العقل ويستقبحها، والفواحش: منها ما هو ظاهر فحشها للعقل كالظلم والكذب وما أشبههما، ومنها ما هو خفي، وقد بين الله تعالى القسمين جميعاً في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[1] وحرم ربي فعل الإثم وحرم البغي والعدوان على الناس، والإثم: هو المعاصي التي ليست واضحة القبح في العقل، وقيل: هو الخمر.

﴿وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ﴾ وحرم الشرك.

﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً﴾ وأن تشركوا بالله سبحانه وتعالى شيئاً ليس عليه دليل ولا حجة، فلا دليل لهم على ربوبية الأصنام، وإنما يعبدونها من دون حجة ولا دليل.

﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ۝٣٣﴾ وحرم ربي أن تقولوا عليه أشياء لم يقلها، فتقولوا: حرم الله هذا، وأحل هذا كذباً وافتراءً عليه.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ۝٣٤﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن لكل أمة من الأمم التي كذبت بأنبيائها

---

(١)-**سؤال:** ما فائدة التقييد للبغي ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ مع ظهور أن البغي لا يكون إلا بغير حق؟
الجواب: الفائدة من القيد بـ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ هي في مفهومه أي: أنه يجوز القتل مثلاً لحق القصاص، ولولا هذا القيد لم يظهر هذا الحكم، وهذا مثل قوله تعالى: **﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾** [الأنعام:١٥١].

ميعاداً[١] قد جعله لوقت هلاكها؛ لأنه كان قد لحق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من الأذى من المشركين ما لا يقدر قدره، واستمروا على أذاه زماناً طويلاً، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ منتظر للفرج ولنصر الله سبحانه وتعالى أن ينزل، فأخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن لكل أمة أجلاً، ولن يهلكها إلا عند حصول ذلك الوقت الذي قد قدره لهلاكها، لا يستأخرون ساعة عن ذلك ولا يستقدمون[٢].

﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي[٣] فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ۝٣٥﴾ خاطب الله سبحانه وتعالى بني آدم وناداهم الله سبحانه وتعالى بأنه إذا بعث إليهم رسولا يبلغهم آياته ورسالته فمن آمن واتقى وأصلح فسينال رضوانه، وسيأمن من عذابه، وسيدخله في رحمته.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ۝٣٦﴾ والذي لم يستجب لدعوة الرسل والأنبياء واستكبر عن الإيمان فهو من أصحاب النار خالداً فيها مخلداً.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ أخبر الله سبحانه

---

(١)- **سؤال:** وهل يصح أن تحمل الآية على العموم لكل واحد من الناس أو لكل جماعة منهم؟

الجواب: يصح أن تحمل على العموم، ولكن الأولى حملها على ما ذكرنا؛ لأن الآية وردت في سياق ذكر المشركين وشركهم وما هم عليه من الكفر والتمرد للتهديد والوعيد، وللتسلية للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين الذين ينتظرون النصر وهلاك الكافرين ونزول نقمة الله بهم.

(٢)- **سؤال:** قد يقال: بأنه إذا قتل أحد منهم قبل حلول أجله فسيستقدم أجله، فكيف؟

الجواب: يمكن أن يقال: إن لكلٍّ أجلاً معلوماً عند الله يموت فيه سواء أكان بالقتل أو من الله، فإذا حصل ذلك الأجل المعلوم فلا يستأخر ولا يستقدم، ولا خلاف في هذا، وإنما الخلاف في المقتول لو سلم من القتل هل سيعيش قطعاً أم لا؟

(٣)-**سؤال:** ما إعراب ﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾؟ وكذا ما معنى الفاء في «فمن»؟

الجواب: «إما» هي «إن» الشرطية و«ما» الزائدة أدغمت النون فيها، وإذا زيدت «ما» بعد «إن» وجب تأكيد الفعل بالنون. والفاء في ﴿فَمَنِ اتَّقَى...﴾ هي فاء السببية الرابطة للجواب بالشرط والشرط الثاني وجوابه هو جواب الشرط الأول.

وتعالى أنه ليس أحد أظلم من قريش فقد بلغوا الغاية في الكفر والعصيان لله سبحانه وتعالى؛ لأنهم افتروا على الله سبحانه وتعالى الكذب، ونسبوا إليه التحريم والتحليل كذباً وافتراءً، وكذبوا بآيات الله سبحانه وتعالى، وبالقرآن الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿أُوْلَـئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ﴾ سينالون نصيبهم مما كتبه الله سبحانه وتعالى في كتابه من العذاب للمكذبين، فلهم حصة[1] من العذاب قد كتبها الله لهم وخصها بهم.

﴿حَتَّى[2] إِذَا جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُواْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ﴿٣٧﴾﴾ إذا جاءت ملائكة الموت يتوفون هؤلاء الذين كذبوا من قريش فستسأل هذا الكافر الذي نزلت تقبض روحه: أين هؤلاء الذين كنت تعبدهم من دون الله؟ فناد عليهم ليأتوا يخلصوك، فأنت الآن في أشد الحاجة لهم، وهم في هذه الحالة يُرُونهم ما قد أعده الله سبحانه وتعالى لهم من العذاب؛ فيجيبونهم: بأنهم قد ضاعوا عنا، فحينئذٍ يقرون ويعترفون أنهم كانوا متمردين على الله سبحانه وتعالى.

﴿قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ[3] قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ﴾ عندما تأتي ملائكة الموت لنزع أرواح اولئك المكذبين بآيات الله سبحانه وتعالى وبعد إقرارهم واعترافهم أنهم كانوا مكذبين بآيات الله سبحانه وتعالى ستقول لهم حينئذٍ: ادخلوا –في جملة الأمم التي قد كفرت قبلكم– في نار جهنم.

---

(١)-**سؤال:** يقال: ظاهر الحصة أنها في الدنيا فما رأيكم؟

الجواب: هي مكتوبة لهم في الدنيا قبل يوم القيامة.

(٢)-**سؤال:** ما معنى «حتى»؟ وكيف يكون نظم الآية على معناها؟

الجواب: معنى «حتى» هو الغاية، والمعنى: أن العذاب المكتوب لهم في الدنيا إذا نزل بهم فإنه يقيم عليهم ولا ينفك عنهم إلى أن تأتيهم رسل الموت لقبض أرواحهم.

(٣)-**سؤال:** هل معنى ﴿فِي أُمَمٍ﴾: بين أمم؟

الجواب: الدخول في أمم هو الدخول بينهم، ولا حاجة للقول بأن «في» بمعنى «بين».

﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾(١) كلما دخلت أمة إلى التي قبلها في النار لعنتها؛ لأنها تسببت في ضلالها.

﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعاً﴾(٢) اجتمعوا فيها جميعاً.

﴿قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ﴾ والأخرى هم التابعون، والأولى هم المتبوعون.

﴿رَبَّنَا هَـؤُلاء أَضَلُّونَا﴾ ينادون الله سبحانه وتعالى بأن هؤلاء هم الذين دعونا إلى الضلال، وتسببوا في ضلالنا وهلاكنا.

﴿فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ﴾(٣) فضاعف لهم العذاب يا ربنا؛ لأنهم تسببوا في هلاكنا وضياعنا ودخولنا جهنم.

﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـكِن لاَّ تَعْلَمُونَ﴿٣٨﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أن العذاب مضاعف للتابع(٤) والمتبوع، وأنهم يستحقون ذلك؛ لأن لهم عذاباً بسبب

---

(١)-**سؤال:** ما المراد بـ«أختها» في الآية؟

الجواب: المراد بأختها في الدين؛ لأن أهل الدين الواحد من أديان الباطل يضل بعضهم بعضاً، وإنما قلنا إنها تلعن التي قبلها في النار لقوله: ﴿وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ...﴾ الآية [الأعراف:٣٩]، فكأن الرؤساء المتبوعين يدخلون النار قبل أتباعهم، فإذا دخل أتباعهم ورأوا رؤساءهم لعنوهم.

(٢)-**سؤال:** ما معنى «حتى»؟

الجواب: معنى «حتى» الغاية، سواء أكانت ابتدائية أم جارة.

(٣)-**سؤال:** كيف وصف العذاب بالضعف، فقد كان من حقه أن يقول: مضاعفاً؟

الجواب: قد قالوا إن «ضعفاً» صفة لعذاب، ولا مانع من ذلك، ولا يحتاج إلى تأويل لأن «ضعفاً» يستعمل بمعنى: «مضاعفاً» يقال: هذا ضعف هذا، أي: مثله مرتين، فيكون معنى الآية: لكل من العذاب مثل ما ترونه مرتين، فآتهم عذاباً مثل ما نراه أو نحسه مرتين.

(٤)-**سؤال:** يقال: كيف تكون المضاعفة بالنسبة للتابعين؟

الجواب: قد كانوا جميعاً ضالين مضلين، فإن التابع يضل أهله وأولاده على أقل تقدير، وقد يحصل الضعف في التابع لسبب آخر كما في قوله: ﴿مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب:٣٠]، ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان]، =

ضلالهم وعذاباً بسبب إضلالهم، لأنه سيلحقهم وزر الذين أضلوهم، وهذا بالنسبة للمتبوعين.

﴿وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ﴾ وقال الرؤساء والمتبوعون للتابعين: ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ نحن وأنتم سواء؛ فلماذا يخفف الله عنكم العذاب دوننا، ونحن في الضلال سواء[1]؟

﴿فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ۝٣٩﴾ فذوقوا العذاب مثلنا؛ فنحن سواء في استحقاق العذاب.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ۝٤٠﴾ يهددهم الله سبحانه وتعالى، ويؤيسهم من رحمته جزاءً على استكبارهم وتكذيبهم، فلا نصيب لهم في رحمته ولا في مغفرته[2] ولا في ثوابه، ولن يدخلوا الجنة أبداً أبداً، حتى يلج الجمل في سم الخياط وهو مدخل الخيط من الإبرة، وهذا من المستحيل.

والجمل المراد به الحبل الذي تربط به السفينة[3] عند إرسائها، وليس الحيوان المعروف.

بعد ذكر الشرك والقتل والزنا في سورة الفرقان.

(١)-**سؤال:** هل يصح أن يكون من المتبوعين توبيخاً للتابعين واستهزاءً حيث حكم سبحانه بأنهم سواء في المضاعفة؟

الجواب: لم يظهر لي فيما قاله الأتباع أي توبيخ لكبرائهم الذين أضلوهم، ولا من المتبوعين لأتباعهم.

(٢)-**سؤال:** ما العلاقة بين عدم فتح السماء لهم وبين عدم مغفرة الله لهم؟

الجواب: عدم تفتيح السماء كناية عن عدم قبول أعمالهم ودعائهم، وفتح الباب وإغلاقه كناية مشهورة حتى في عصرنا يقال: أغلقوا الباب في وجهه، وما فتحوا له الباب، لا أحد يفتح له بابه، يراد بذلك بيان حقارة الشخص أو تحقيره.

(٣)- **سؤال:** ما الوجه في استحسان هذا المعنى في نظركم الثاقب دون الجمل المعروف؟

الجواب: وجه الاستحسان هو المناسبة بينه وبين «سم الخياط» وعن ابن عباس: أن الله أحسن تشبيهاً من أن يشبه بالجمل، يعني أن الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم الإبرة والبعير لا يناسبه.

وكل مجرم[١] سواءً كان مسلماً أم غير مسلم سينال هذا الجزاء، ولن يدخل الجنة أبداً، ولا نصيب له فيها أبداً، ولن يرفع لهم عمل، ولن يقبل الله سبحانه وتعالى منهم براً، ولن يستجيب لهم دعوة ولو كانوا يعملون أعمال البر ما داموا مكذبين بآيات الله سبحانه وتعالى ومستكبرين عنها، ولا يتواضعون لأوامر الله سبحانه وتعالى ولا يمتثلون لها، وقد أرسل الله لهم الرسل، ومن عليهم بالنعم والأرزاق، ومتعهم بالصحة والعافية والأمن، وكرمهم من بين سائر الخلق، ثم بعد ذلك يعرضون عن آياته ويستكبرون عنها، أفلا يستحق هؤلاء غضب الله سبحانه وتعالى وسخطه؟ إذاً فهم يستحقون عذابه وسخطه ولو عملوا أعمال البر مع ذلك.

والمشركون كان لهم أعمال بر يعملونها، وكانوا يتنافسون فيها، فكانوا يطعمون الطعام، ويكرمون الضيف، ويحمون الجار، ويغيثون الملهوف، ويعدون ذلك من الشرف، ولكن الله سبحانه وتعالى أخبرهم أنه لن يقبل منهم شيئاً من ذلك ما داموا مكذبين بآياته ومستكبرين عنها.

﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ فراشهم من نار جهنم، ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾[٢] ولهم من فوقهم نار تغشاهم بسعيرها. ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِى الظَّالِمِينَ﴿٤١﴾﴾ وسينال هذا الجزاء كل ظالم.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴿٤٢﴾﴾ أما المؤمنون بالله سبحانه وتعالى والمصدقون به، ومع ذلك يعملون الأعمال الصالحة- فسيدخلون الجنة خالدين فيها أبداً، والله

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما هو تعريف المجرم لغة وشرعاً؟

الجواب: الجرم والجريمة: الذنب، هكذا في الصحاح، وعلى هذا يكون المجرم هو المذنب أي فاعل الذنب. وفي الشرع: هو مرتكب الذنب الكبير الذي توعد الله على ارتكابه نار جهنم: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة].

(٢)-**سؤال:** «غواش» جمع غاشية فلماذا سميت غاشية؟

الجواب: سميت غاشية لأنها عذاب من نار جهنم يظلهم ويغطيهم: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴿٧٨﴾﴾ [طه]، أي: غطاهم.

سبحانه وتعالىٰ لا يكلف نفساً إلا وسعها[1]، فهو عالم بضعف الإنسان، وأنه لا يخلو من الزلات والأخطاء والنسيان، وأنه يقع في المعصية ثم يستغفر منها، وهو عالم بطبيعة الإنسان وطاقته وقوته، وعالم أنه لا بد أن يقع منه الزلل، وليس معصوماً إلا أنبياؤه ورسله، فما دام غير مصر علىٰ معاصيه بل إذا وقعت منه معصية سارع إلىٰ الاستغفار والندم فسيغفر الله سبحانه وتعالىٰ له مثلما فعل آدم عليه السلام عندما أخطأ وتاب، قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران١٣٥].

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ﴾ ينزع الله سبحانه وتعالىٰ من صدور أهل الجنة طبائع الغل والحقد التي كانت في الدنيا، وستزول طبائع الشر التي كانت في الدنيا؛ لأن الله سبحانه وتعالىٰ قد جعل هذه الطبائع في الدنيا ابتلاءً منه واختباراً، وقد أمرنا بمجاهدة هذه الطبائع وعدم الاستجابة لها، وهي موجودة في كل شخص، فعند كل خصلة خير في الإنسان خصلة شر، والمؤمن إن لم يجاهد نفسه ويدافع طبائع الشر خرج عن اسم الإيمان وهذا لأجل التكليف، فلا بد أن يذكر المرء نفسه بالله سبحانه وتعالىٰ في كل وقت، وإلا ساقته نفسه إلىٰ هذه الطبائع والأهواء والشهوات، فلا بد أن يقهر نفسه ويجاهدها لإزالة هذه الطبائع؛ لأن النفس قد جبلت علىٰ حب الشهوات والأهواء، فإذا جاهد نفسه وقهرها أدخله الله سبحانه وتعالىٰ الجنة بسبب تَغَلُّبِهِ علىٰ نفسه وأهوائها وشهواتها،

---

(١)-**سؤال:** هل يُفهَم من هذا أن قوله: ﴿لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ جملة معترضة بين المبتدأ والخبر؟

الجواب: هي جملة معترضة لبيان أن التكليف إنما هو في حدود القدرة والاستطاعة لإبعاد اليأس من قلوب المؤمنين الذين يعملون الصالحات إلا أنهم يرون ويجدون أعمالهم الصالحة التي اجتهدوا في عملها ناقصة وليست كما ينبغي مع اجتهادهم وتحريهم.

واستجابته لدعوة الله سبحانه وتعالىٰ، وعصيانه لما تدعوه إليه نفسه. فهذه الأشياء سيزيلها الله سبحانه وتعالىٰ يوم القيامة؛ لأنه لم يجعلها في الدنيا إلا للتكليف، أما في الجنة فستذهب هذه الطبائع لأنه لا تكليف في الجنة[١].

﴿وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَـذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ﴾ حمدوا الله سبحانه وتعالىٰ على هدايته لهم لدخول الجنة؛ لأن الله سبحانه وتعالىٰ هو الذي هداهم وليست هدايتهم من عند أنفسهم، ولولا هو لما عرفوا الطريق التي توصلهم إلىٰ الجنة، فهو الذي بعث لهم الأنبياء والرسل يدلونهم عليها، ولو أراد الإنسان أن يهدي نفسه للجنة لما استطاع أن يهتدي إليها، ولما عرف الطريق التي توصله إليها.

﴿لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ بعد قولهم: الحمد لله يقولون: قد جاءت رسل ربنا بالحق والصدق، وها نحن قد وصلنا إلىٰ ما وعدنا بسببهم.

﴿وَنُودُواْ﴾ تناديهم الملائكة أو يسمعون نداءً من عند الله سبحانه وتعالىٰ ﴿أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ[٢] أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ۝٤٣﴾ هذه الجنة التي دخلتموها قد استحققتموها بسبب[٣] أعمالكم في الدنيا وهي جزاء لكم، وهذا من تفضل الله

---

(١)-**سؤال:** يقال: لا زال يشكل علينا دخولهم الجنة وهم مشتملون على الغل والحقد والعداوة وهي معاص قد تبرأ منها المؤمنون في قولهم: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحشر:١٠] فكيف؟

الجواب: المقصود أن أهل الجنة لا توجد فيهم طبائع الغل والحقد التي كانت موجودة فيهم في دار الدنيا، ودعاؤهم: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ لا يتنافىٰ مع وجود الطبيعة، فالمؤمنون إخوة لا غل ولا حقد بينهم مع وجود الطبيعة التي طبعوا عليها، إلا أن المؤمن يجاهد نفسه في كل ما تدعوه إليه ويكبح جماحها.

(٢)-**سؤال:** ما محل: ﴿أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ﴾؟ وما إعرابها؟

الجواب: «أن» مفسرة، و«تلكم الجنة» مبتدأ وخبر، ولا محل للجملة من الإعراب لأنها مفسرة لـ«نودوا».

(٣)-**سؤال:** يقال: كيف كانت الأعمال سبباً لاستحقاق الجنة ونحن نقول: إنما الأعمال شكر لله على نعمه؟

الجواب: الأعمال الصالحة هي شكر لله تعالىٰ، إلا أن الله تعالىٰ تفضل على الشاكرين بالثواب الجزيل على شكرهم، وجعله بفضله حقاً لهم على شكرهم له.

سبحانه وتعالى أن جعلها جزاءً على الأعمال.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن[1] قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُواْ نَعَمْ﴾[2] ينادي أصحاب الجنة أصحاب النار لأجل أن يشمتوا بهم، ويدخلوا عليهم الغيظ والضيق: انظروا هذا ما وعدنا ربنا قد وجدناه وقد تحقق، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم؟ فيجيبونهم: نعم قد وجدناه.

﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴿٤٤﴾﴾ أذن بين أهل الجنة مؤذن باللعنة على الظالمين، واللعنة: هي استحقاقهم النار، وهاهم قد أصبحوا فيها.

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ﴾ كانوا يمنعون الناس عن الإيمان.

﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾[3] لا يحبون الحق ولا يريدون الصراط المستقيم وإنما يريدون الباطل ودين الشرك وما تدعوهم إليه شهواتهم وأهواؤهم.

﴿وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ﴿٤٥﴾﴾ وهم منكرون للآخرة وللبعث فبسبب ذلك كله استحقوا دخول النار.

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ بين أهل الجنة وأهل النار حجاب، وهو: سور يفصل بين الفريقين.

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا﴾؟ وما إعراب: ﴿حَقّاً﴾؟

الجواب: «أن» هي المفسرة، والجملة التي بعدها مفسرة لا محل لها من الإعراب، و«حقاً» مفعول ثاني لوجدتم ووجدنا.

(٢)- **سؤال:** هل المراد بـ«ما وعدكم ربكم»: الله سبحانه، أم الشيطان؟ إن كان الأول فلماذا اللعنة؟ وإن كان الثاني فكيف كذبوا وقد رأوا الأهوال واعترفوا بذنوبهم ونحو ذلك؟

الجواب: المراد بـ﴿رَبُّكُمْ﴾ الباري جل وعلا فإنه تعالى وعدهم في الدنيا على ألسنة رسله بالبعث والجزاء على الأعمال، فكذبوا، فناداهم أهل الجنة على جهة الاستهزاء بهم والتبكيت لهم والسخرية منهم: هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ قالوا: نعم، وقد كانوا ينكرون البعث، ويكذبون الرسول والقرآن، وقد يكون المؤذن ملكاً، وقد يكون من أهل الجنة، وقد يكون من الأعراف، واللعنة كانت لتكذيبهم وكفرهم الذي استحقوا به اللعنة «النار».

(٣)-**سؤال:** إلام يعود الضمير في ﴿يَبْغُونَهَا﴾؟ وهل المعنى: يريدونها معوجة؟

الجواب: يعود إلى سبيل الله، والمعنى: أنهم يريدون أن تكون سبيل الله معوجة.

﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ﴾ والأعراف مكان مرتفع مشرف على الجنة وعلى النار، وعليه رجال مؤمنون وهؤلاء الرجال يرون من يدخل الجنة ومن يدخل النار، ويعرفون كل شخص باسمه وبصفته[1].

---

(١)-**سؤال:** فضلاً وما رأيكم في قول بعض المفسرين: إن أهل الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم بدليل قوله: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ أي الجنة ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴿٤٦﴾﴾ أي: في دخولها، فلو كانوا مؤمنين لدخلوها مع طمعهم في دخولها؟ وأيضاً كيف يحل الإشكال لو قلنا بأنهم من المؤمنين، في: «لم يدخلوها» في حال طمعهم في دخولها؟

الجواب: الذي يترجح أن أصحاب الأعراف من ذوي المنازل الرفيعة عند الله الذين كان لهم عناية في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يوقفهم الله تعالى يوم القيامة على الأعراف للسلام على أهل الجنة وتهنئتهم بالسلامة والفوز العظيم وللشماتة بأهل النار وتوبيخهم، وإدخال الغم والحسرة عليهم، ولم يوقفهم الله تعالى على الأعراف إلا لرفع شأنهم وإظهار فضلهم، والذي يرجح ذلك:

- ﴿يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ﴾ ﴿مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴿٤٨﴾﴾ مما يدل على أنه قد جرى بينهم في الدنيا مراجعات حول الإيمان وطاعة الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- ﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ التعبير هذا يوحي بشأن وعظمة.
- ﴿أَهَـؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ اللّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ فإن ذلك يدل على أنه كان قد جرى في الدنيا جدال حار بين أصحاب الأعراف والكافرين من أهل زمانهم حول الدين وأهل الدين، فإن القسم لا يكون إلا بعد أن يصر كل طرف على ما هو عليه، وبعد أن يطول الجدال والمراجعة.
- التوبيخ لأهل النار والشماتة بهم والتنديم لهم لا يكون كما ينبغي إلا إذا صدر عن ذوي الشأن والمكانة الرفيعة، وكذلك التهنئة لا تكون كما ينبغي إلا إذا صدرت عن ذوي الشأن والمكانة الرفيعة.
- ووقوف رجال الأعراف على الأعراف للشماتة على من يعرفون من أهل النار والتشفي منهم وتوبيخهم وتنديمهم وإدخال الغم عليهم دليل على أنهم قد لقوا منهم في الدنيا شدائد =

﴿وَنَادَوْاْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ﴾(١) ينادي أصحاب الأعراف أهل الجنة بالسلام عليهم والتهنئة لهم بالفوز العظيم ودخول جنات النعيم.

﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ۝٤٦﴾(٢) وأصحاب الأعراف واقفون على الأعراف ينادون أهل الجنة وأهل النار قبل أن يدخلوا الجنة وسيدخلون الجنة بعد أن يهنئوا أهل الجنة ويوبخوا أهل النار ويشمتوا بهم وأهل الأعراف هم من المؤمنين(٣).

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاء أَصْحَابِ النَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ۝٤٧﴾ وإذا نظر أصحاب الأعراف إلى أهل النار تعوذوا بالله وسألوه أن يجيرهم من حال أهل النار ومن نار جهنم، ومن هول ما يرونه فيها من أصناف العذاب، أجارنا الله منها.

وعظائم، وحينئذ يكون وقوفهم على الأعراف لرؤية ظالميهم في وسط الجحيم من أعظم النعم والثواب، ولعله لا يطيب لهم النعيم والثواب إلا بعد أن يروا أعداءهم وهم يسحبون في قعر جهنم على وجوههم خالدين فيها أبداً.

(١)-**سؤال:** فضلاً ما محل ﴿أَن سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ﴾ وإعرابه؟

الجواب: «أن» هي المفسرة، ولا محل للجملة: ﴿سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ﴾، وسلام: مبتدأ، وعليكم: خبره، وصح الابتداء بالنكرة لأنها موصوفة في التقدير أي: سلام عظيم، ولا سلامة أعظم من السلامة من النار ودخول الجنة.

(٢)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ۝٤٦﴾؟

الجواب: جملة: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ۝٤٦﴾ حالية في محل نصب من الضمير في «نادوا» وجملة: «وهم يطمعون» حالية في محل نصب من فاعل «يدخلوها».

(٣)- **سؤال:** روى السيد العلامة علي بن محمد بن سليمان الرسي في تفسيره عن ابن عباس قال: الأعراف موضع من الصراط عال عليه علي وحمزة وجعفر وعباس عليهم السلام يعرفون محبيهم ببياض الوجوه، ومبغضيهم بسواد الوجوه، فهل هو موافق لقولكم، وما رأيكم؟

الجواب: في هذه الرواية ما يؤيد ما ذكرنا، وقد ذكرنا في جواب السؤال السابق ما يدل على ما ذكرنا، أما هذه الرواية ففيها ما يؤكد وفيها بعض إشكال.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُواْ مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[١] ونادى أصحاب الأعراف رجالاً كانوا يعرفونهم في الدنيا فقالوا لهم لم تنفعكم أموالكم التي جمعتموها في الدنيا ولم ينفعكم تعاليكم في الدنيا واستكباركم فيها، يقولون لهم ذلك ليزيدوهم حسرة مع حسراتهم وضيقاً مع ضيقهم وألماً مع آلامهم.

﴿أَهَـؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ اللّه بِرَحْمَةٍ[٢] ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾[٣] كان المشركون يحلفون أن المؤمنين لن يدخلوا الجنة لِما كانوا يرونه فيهم من الضعف والفقر، وكانوا يظنون أنهم هم الذين يستحقون الكرامة عند الله سبحانه وتعالى، فيقول أصحاب الأعراف لهم: انظروا إلى هؤلاء الذين كنتم تستهزئون بهم في الدنيا، وتقسمون أنهم لن ينالوا رحمة الله سبحانه وتعالى، انظروا أين صاروا اليوم وأنتم أين قد صرتم.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّه قَالُواْ إِنَّ اللّه حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ۝ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً

---

(١)-**سؤال:** هل «ما» في قوله: ﴿مَا أَغْنَى عَنكُمْ﴾ نافية أو استفهامية؟

الجواب: هي محتملة للأمرين، ولا مانع من التفسير بأيهما فالمعنى واحد.

سؤال: هل «ما» في قوله: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ مصدرية أو موصولة فأين العائد؟

الجواب: الأولى أن تكون مصدرية للسلامة من كثرة التقادير.

(٢)-**سؤال:** ﴿لاَ يَنَالُهُمُ اللّه بِرَحْمَةٍ﴾ ما موضع هذه الجملة؟

الجواب: لا محل لها من الإعراب لأنها جواب القسم.

(٣)- **سؤال:** ما محل: ﴿ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾؟ وهل هو معمول لمحذوف؟ وما إعراب عامله؟

الجواب: محل ذلك النصب، وهو معمول لقول محذوف أي: قد قيل لهم، وهو خبر ثان لاسم الإشارة أو حال منه أي مقولاً لهم ذلك.

﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾(١) فقد حرمها الله سبحانه وتعالى على أولئك الذين كانوا يتخذون دينهم هزواً ولعباً ويسخرون به ويستهزئون، والذين قد اغتروا بالدنيا وزينتها.

﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هَـذَا﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه في ذلك اليوم سيتركهم من الثواب والرحمة لأجل نسيانهم لهذا اليوم وعدم استعدادهم له وكفرهم به.

﴿وَمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴿٥١﴾﴾ ولأجل جحدهم بآياتنا في الدنيا وكفرهم بها، و«ما» مصدرية وليست نافية.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴿٥٢﴾﴾(٢) أخبر الله سبحانه وتعالى عن المشركين الذين كفروا بالنبي ﷺ واتخذوا دينهم سخرية وهزؤاً ولعباً بأنه قد جاءهم بكتاب نزله بعلمه، وهو حق، وفيه هدى ورحمة للمؤمنين، وليس موضع سخرية واستهزاء.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ﴾(٣) فسيحصل هذا الذي كانوا يكذبون به في الدنيا

---

(١)-**سؤال:** ما معنى: ﴿اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْواً﴾؟

الجواب: معناه: جعلوه موضعاً للهو أي: للسخرية والاستهزاء والضحك.

(٢)-**سؤال:** ما معنى قوله: ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾؟ وبماذا تعلق؟ وما إعراب ﴿هُدًى﴾ وما بعدها؟

الجواب: «على علم» جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من فاعل: ﴿فَصَّلْنَاهُ﴾ أو من مفعوله أي: حال كوننا عالمين، أو حال كونه مشتملاً على علم، وبإعرابه يتبين معناه. و﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ مفعول من أجله، أي: فصلناه للهدى والرحمة.

(٣)-**سؤال:** ما معنى «هل» في الآية؟

الجواب: معناها النفي.

سؤال: إلام يعود الضمير في ﴿تَأْوِيلَهُ﴾؟

الجواب: يعود الضمير إلى «كتاب» المذكور قبله.

سؤال: هل معنى ﴿تَأْوِيلَهُ﴾ تصديق ما أخبر به على أرض الواقع؟ أم عاقبة مواعيده؟

الجواب: معنى تأويله: هو تصديق ما أخبر به من الوعيد الذي أنكره المشركون وجحدوه وكذبوا به.

وسيتفاجأون عند حصوله إذا حصل.

﴿يَوْمَ[١] يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ حين يبعث الله الأموات ويحشرهم على أرض المحشر للحساب.

﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾ فسيقول أولئك الذين تركوه في الدنيا، وكانوا يستهزئون به: ﴿قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ سيقولون حينئذٍ: قد جاءت رسل ربنا بالحق، وأخبرتنا بالصدق.

﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا﴾ يبحثون في يوم البعث عمن يشفع لهم عند الله سبحانه وتعالى ليسلموا من عذابه، ولكن حين لا تنفع الشفاعة ولا يجدون لهم ناصراً ولا مدافعاً.

﴿أَوْ نُرَدُّ[٢] فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ أو هل يمكن أن نرد إلى الدنيا فنعمل الأعمال الصالحة بدلاً من تلك التي كنا نعملها.

﴿قَدْ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ۝٥٣﴾ قد انتهى الأمر وقد خسروا أنفسهم، ولا شفيع لهم، ولن ينفعهم الندم، فقد كان أمر خلاصهم بأيديهم عندما كانوا في الدنيا، وأما اليوم فقد انتهى كل شيء ولم يبق إلا الحصاد لما بذروه في الدنيا.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى بأنها قد ضاعت عنهم تلك الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله، ويقولون: إنها ستشفع لهم، وستقربهم إلى الله سبحانه وتعالى.

---

(١)-**سؤال:** ما الذي عمل النصب في ﴿يَوْمَ﴾؟

الجواب: العامل فيه ﴿يَقُولُ﴾ الذي بعده.

(٢)-**سؤال:** قوله: ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ علام عطف؟ وهل على فعل أم اسم؟

الجواب: ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ إذا قرئ بالرفع فهو معطوف على متعلق «لنا» أي: هل يوجد لنا شفعاء أو هل نرد فهو داخل في الاستفهام، وإذا قرئ بالنصب فهو معطوف على اسم مقدر تقديره: هل لنا شفاعة أو رد؟

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[١] ثم يذكرهم الله سبحانه وتعالى بأنه الذي خلق السماوات والأرض، وليست تلك الأصنام والأحجار التي يعبدونها من دونه؛ ليتوجهوا إليه ويعبدوه ويتركوا عبادة الأصنام.

﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ بعد أن خلق الله سبحانه وتعالى السماوات والأرض وما بينهما أخبر أنه سيطر على ملك السماوات والأرض وما فيهما واستولى على ذلك[٢].

وهذا هو معنى الاستواء: أنه خلق السماوات والأرض، وهما ملكه، ثم سيطر على هذا الملك، ولم يذهب من تحت قدرته وسيطرته، وما زالت إدارة هذا الملك بيده، وهو الذي يدبر الأمر.

---

(١)-**سؤال:** هل هناك منافاة بين قوله: «في ستة أيام» وقوله: ﴿كُنْ فَيَكُونُ۝﴾ [يس]، فظاهرها أن لا مدة في أفعاله تعالى؟ أم لا؟ فما فائدة التقييد بقوله: «في ستة أيام» إذاً؟

الجواب: لا منافاة بين خلقه للسماوات والأرض في ستة أيام وبين قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ۝﴾ [يس]، وإنما رتب خلقهما لحكمة عظيمة، وقد ظهر في هذا العصر طرف من الحكمة حيث توصل العلم الحديث وأثبت علماء الطبيعة أن الكون محدث، وأن الفضاء كان غازاً وفي ذلك تصديق لكتاب الله تعالى وحجة قائمة على المكذبين، فقد نطق الكتاب المبين في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ...﴾ الآية [فصلت:١١]، أن الفضاء كان دخاناً «غازاً»، ولم يسبق علماء الطبيعة أحد من البشر يقول بذلك القول فهم أول من قرره وأثبته إلا القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى على رسوله الأمين محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ لذلك فإن علماء الطبيعة سيعلمون أن ما جاء به القرآن ليس من علوم البشر ولا من معارفهم لقصور علوم البشر في التاريخ الماضي عن معرفة ذلك أو الوصول إلى معرفته فتلزمهم الحجة أن القرآن من عند الله تعالى.

(٢)-**سؤال:** هل تريدون أن التعبير بالسيطرة في الاستواء أولى من التعبير بالاستيلاء فهذا قوي لما يلزم عند العوام من الممانعة والمغالبة إذا عبرنا بالاستيلاء؟ وإن كان ممنوعاً لوجود نظيره وهو صفة قهار؟

الجواب: ليس لي قصد إلى ما ذكرتم، بل المراد أن السيطرة تؤدي معنى الاستيلاء، والحمد لله على التوفيق.

﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً﴾[١] وهذا من تدبيره أن الليل يغطي بظلمته النهار على طول الزمان، لا يتغير هذا النظام ولا يختلف.

﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ[٢] وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ تجري هذه الأشياء في منازلها التي قد قدرت لها، لا تختلف عن ذلك منذ أن خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلى أن تقوم الساعة، وهذا معنى كونها مسخرات بأمره، وكل ذلك بأمره وإرادته وتدبيره وحكمته.

﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ الخلق كله له، وهو مالكه، وتدبير شؤون السماوات والأرض وما فيهما بيده، أحاط علمه بكل شيء، واستولى بقدرته على كل شيء.

﴿تَبَارَكَ[٣] اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴿٥٤﴾﴾ إشارة إلى كثرة منافعه[٤] للناس، والشمس

---

(١)-**سؤال:** لو تفضلتم بإعراب جملة: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً﴾ كلها؛ ليتبين معناها؟

الجواب: «يغشي» فعل مضارع وفاعله ضمير الله تعالى، يتعدى إلى مفعولين: الليل المفعول الأول، والنهار المفعول الثاني، والليل هو الفاعل في المعنى فهو الذي يغشى النهار. و«يطلبه حثيثاً» الجملة في محل نصب حال من النهار، ويطلبه: فعل مضارع وفاعله ضمير النهار والهاء مفعول به، و«حثيثاً» مفعول مطلق أي: طلباً حثيثاً. والجملة: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً﴾ مستأنفة لبيان سلطان الله وسيطرته على الملك ونفوذ مشيئته فيه، وقد تكون في محل نصب على الحال من فاعل: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ﴾.

(٢)-**سؤال:** علام عطفت ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾؟

الجواب: عطفتا على السماوات والأرض في قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ أي: وخلق الشمس والقمر.

(٣)- **سؤال:** هل يصح أن يحمل «تبارك الله» على أنه تعظم سبحانه وتنزه وتقدس؟ أم الأولى تباركت منافعه؟

الجواب: تبارك: مأخوذ من البركة وهي الخير الكثير، وكأن المقصود التنبيه على ما خلق الله تعالى لعباده من النعم العظيمة الكثيرة التي ملأت الكون التي توجب له الشكر والعبادة دون ما يعبد من دونه، فهذا أولى من إخراج تبارك عن معناها الظاهر، وتفسيرها بتعظم وتنزه وتقدس تفسير صحيح، ولكن ما ذكرنا أقرب إلى ظاهر العبارة.

(٤)-**سؤال:** لعل مرادكم أن التبارك في منافع الله فهو على حذف مضاف؟

=

والقمر والنجوم من منافعه، وغير ذلك كثير من المنافع التي يصعب تعدادها.

﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً[١] وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ توجهوا بالدعاء والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى، واطلبوه متذللين كحال المسكين عندما يتذلل ويخضع لمن يطلبه، وأظهروا فقركم لله سبحانه وتعالى وحاجتكم؛ فويل لمن ظن أنه غير محتاج إلى الله سبحانه وتعالى فذلك من المتكبرين، وادعوه أيضا خفية فهو يسمعكم، وهو بغير حاجة إلى رفع أصواتكم، والإخفاء أدعى إلى الإخلاص له سبحانه وتعالى وأقرب إلى استجابة الدعاء.

﴿إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ فادعوه ولا تدعوا غيره.

وقد يقال: إن رفع الصوت من الاعتداء وفي الحقيقة إنه لا يسمى عدوانا، ولا مَنْ رفع صوته معتدياً؛ وذلك أن الإسرار بالدعاء ليس إلا تأدبا، ورافع الصوت إنما ترك الأحسن، وتارك الأحسن لا يسمى معتدياً؛ فالاعتداء[٢] إنما هو دعاء

الجواب: المعنى هو على حذف مضاف أي: تكاثرت نعم الله على خلقه وتزايدت منافعه لهم.

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾؟

الجواب: ﴿تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾ يعرب حالاً أي: ذوي تضرع وذوي خفية، ويجوز أن ينصب ﴿تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾ على أنه مفعول مطلق أي: دعاء تضرع ودعاء خفية.

(٢)-**سؤال:** يقال : ظاهر قوله: ﴿إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ علة للإخفاء، ففيه إشارة إلى أن من لم يخف فإنه معتدٍ، فما رأيكم؟ وتفضلوا علينا بإيراد بعض من صور الاعتداء حفظكم الله؟

الجواب: الاعتداء هو تجاوز الحدود المشروعة، ورفع الصوت إلى حد فاحش قبيح ﴿إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان]، وهكذا رفع الصوت للرياء، أو إذا كان رفعه يجر إلى الرياء، أو يكون مظنة لأن يتهم بالرياء. ومن صور الاعتداء الدعاء بما لا يكون كأن يدعو الداعي بأن يرفع الله عنه التكليف بالصلاة وأن يحط عنه فريضة الزكاة، وأن يدخل الجنة بغير عمل، وأن يغفر للمشركين، وأن يرفع يوم القيامة منازل الفاسقين، ونحو ذلك، وكالدعاء على المؤمنين بغير سبب، والدعاء على من لا يستحق الدعاء عليه، ومن الاعتداء دعاء غير =

غير الله سبحانه وتعالى.

﴿وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا﴾[1] قد أصلح الله سبحانه وتعالى الأرض، وأراد لها أن تكون صالحة، فلا تفسدوا فيها بالبغي والعدوان، وتحريم ما أحله الله، وتحليل ما حرمه الله سبحانه وتعالى.

﴿وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً[2] إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ۝٥٦﴾[3] وكونوا في دعائكم لله سبحانه وتعالى خائفين منه، وطامعين في رحمته، ومعظمين له في قلوبكم، وكونوا في دعائكم عارفين أن بيده الضر والنفع، والخير والشر، وأنه قادر

الله؛ وذلك أن رفع الصوت بالدعاء مشروع فقد شرع الله الجهر في بعض الصلوات بالقراءة وفيها دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ۝٦...﴾ الآية [الفاتحة]، والدعاء في خطبة الجمعة، وفي الحج، وفي مواطن أخرى، وقد رويت أدعية كثيرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سمعها منه رواتها إلا أن الإسرار بالدعاء وإخفاءه أقرب إلى الإخلاص والإجابة؛ لذلك قلنا إن إخفاء الدعاء أدب وليس فرضاً مفروضاً، وقد ذكرنا بعضاً من صور الاعتداء في الدعاء.

(١)-**سؤال:** هل التخريب والعبث بالعمائر والأموال من الإفساد؟

الجواب: إذا كان ذلك بحق فليس من الإفساد المنهي عنه، وإن كان بغير حق فهو من الإفساد المحرم.

(٢)-**سؤال:** هل: ﴿خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ في الآية حالان فكيف صحا حالين وهما جامدان؟

الجواب: صحا حالين بسبب التأويل، والذي أحوج إلى التأويل مع أنه خلاف الظاهر هو أن المعنى لم يستقم على الظاهر.

(٣)- **سؤال:** هل المراد بالمحسنين الذين يتقنون أعمالهم ويحسنونها، أم الذين يعملون الإحسان من أعمال البر التي لم تجب عليهم؟

الجواب: المراد بالمحسنين الذين يؤدون ما افترض الله عليهم، وينتهون عما نهاهم عنه، ومن زاد على ذلك من أعمال البر التي ليست بواجبة عليهم زادهم الله، وأهل الإحسان درجات عند الله قال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى۝٣١﴾ [النجم].

على عقابكم إن تمردتم، واعلموا أن ثوابكم وعقابكم بيده، وكونوا خائفين في دعائكم من نقمته وعذابه وسطوته، وكونوا راجين لمغفرته ورحمته وفضله، والله سبحانه وتعالى إنما يستجيب للمؤمنين، وهم الذين يعملون الأعمال الصالحة.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ﴾ يذكر الله سبحانه وتعالى الناس هنا بآياته وقدرته وبرحمته، فذكر هنا الرياح التي هي من رحمته ومن آياته الدالة على عظمته وقدرته وربوبيته.

﴿بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾[1] يرسلها الله سبحانه وتعالى قبل أن يأتي المطر وهو المراد بقوله ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ أي قدام نزول المطر.

﴿حَتَّى[2] إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً﴾ هذه الرياح تحمل السحاب المحمل بالماء وتسير به.

﴿سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ ساقها الله سبحانه وتعالى إلى بلد قد أخذه الجفاف ويبست أشجاره.

﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء﴾[3] ثم ينزل المطر من هذا السحاب.

﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ فينبت الله سبحانه وتعالى به الأشجار،

---

(١)-**سؤال:** ما هو معنى «نُشُراً» [على قراءة نافع]؟ ومم أصله؟

الجواب: ﴿نُشُرًا﴾: جمع نَشُور كـ«رُسُل ورَسُول»، والنَّشُور بمعنى المَنَشَّر كالرَّكُوب بمعنى المركوب، ومعنى المَنَشَّر المفَرَّق، فيكون المعنى: أن الرياح مفرقة في الجهات

(٢)-**سؤال:** ما معنى «حتى» هنا؟

الجواب: معناها الغاية، لا يفارقها هذا المعنى، والمعنى: أن الرياح لا تزال مثارة مفرقة في المكان الذي يريد الله تعالى أن ينزل عليه رحمته «المطر» إلى أن ينزل المطر، فإذا نزل ذهبت ثورة الريح وسكن هبوبها.

(٣)-**سؤال:** هل تريدون أن الباء في «به» بمعنى: من؟

الجواب: قد تكون الباء بمعنى «من»، وقد تكون الباء على أصلها، وتكون للآلة بمعنى: أن السحاب آلة لإنزال المطر، أو للسببية أي: بسببه.

ويخرج الثمار.

﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴿٥٧﴾﴾ فلا تستبعدوا قدرة الله سبحانه وتعالى على بعثكم بعد الموت وإحيائكم، فكما يستطيع بقدرته أن يحيي البلد الميت الذي قد أخذ في اليباس والجفاف كذلك يستطيع إحياء الموتى، فحالكم كحال البلد الميت سواء سواء.

وهذه آية بينة لنا لنعلم قدرته على إحياء الموتى، تأمل إذا نظرت في بلاد قد يبست وقد تأخر عنها المطر سنين؛ فانظر إلى عروق أشجار نبات هذه البلد كيف يكون قد تفتت وتهشم في وقت الجدب، فإذا ما نزل عليه المطر فانظر كيف سترى الحياة تدب في هذه الأرض من جديد، والخضرة كيف تبدأ تخرج من تلك العروق التي قد يبست وتفتتت، فكذلك سيحيي الله سبحانه وتعالى بقدرته العظام التي قد هشمها الزمان وفتتها.

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِى خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً﴾(١) إذا أرسل الله سبحانه وتعالى المطر على الأرض وصادف أرضاً خصبة صالحة للنبات فانظر لجودة نباتها وصحته وصلاحه، وإذا وقع في أرض سبخة غير صالحة فانظر كيف يكون نباتها وكيف رداءته، فكذلك يكون حال بني آدم، فمنهم من إذا سمع المواعظ والتذكير بآيات الله سبحانه وتعالى تثمر في قلبه وتنفع فيه المواعظ ويتعظ ويؤمن، ومنهم من هو كالبلد الخبيث لا تثمر فيه المواعظ، ولا تنفع فيه آيات الله سبحانه وتعالى وتذكيره شيئاً.

(١)-**سؤال:** ما معنى ﴿نَكِداً﴾؟ وما إعرابه؟

الجواب: معنى «نكداً»: لا خير فيه، وهو منصوب على أنه حال، وذكرت هذه الآية استطراداً على أنها مثلٌ أو جارية مجرى المثل للمؤمن الذي تنفع فيه مواعظ الله وغير المؤمن الذي لا ينتفع بمواعظ الله.

﴿كَذَلِكَ نُصَرِّفُ[١] الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ۝٥٨﴾ يبينها الله لهم ويوضحها، ولكن لا ينتفع بآيات الله إلا المؤمنون الشاكرون لله.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين، وقص عليهم أخبار الأنبياء السابقين؛ ليعرفوا ما مضىٰ عليهم من أممهم من التكذيب والاستهزاء، وما قاسوه من أممهم.

﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ﴾[٢] كان قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ مثل قريش يعبدون الأصنام فدعاهم نبيهم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ عبادة الله وحده، وأخبرهم أنه ليس لهم رب سواه أما الأصنام فليست آلهة ولا يستحق العبادة لأنها لا تنفع ولا تضر.

﴿إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ۝٥٩﴾ إذا أصررتم علىٰ عبادة الأصنام فإني أخاف أن يأتيكم عذاب عظيم يستأصلكم فلا يبقي علىٰ أحد منكم، وهذا في الدنيا[٣].

---

(١)-**سؤال:** ما المراد بالتصريف «نصرف» في الآية؟ وماذا يكون معناها؟

الجواب: التصريف يراد به التنويع والتكرير، أي: أن الله تعالىٰ نوع آياته وكررها وذلك لأن بعضهم يتأثر بنوع منها وآخر بنوع آخر، و.. إلخ، فيعود المعنىٰ إلىٰ أن الله تعالىٰ وضحها وكشفها للناس جميعاً.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿إِلَـهٍ غَيْرُهُ﴾؟

الجواب: «إلهٍ» مجرور لفظاً مرفوع محلاً لأنه مبتدأ دخلت عليه «من» الزائدة للتوكيد، و«غيره» صفة لإله رفعت نظراً إلىٰ محل «إله» فمحله الرفع كما ذكرنا.

(٣)-**سؤال:** هل يصح أن نحمله علىٰ أنه عذاب يوم القيامة أم لا؟

الجواب: ليس ما ذكر هو عذاب يوم القيامة بدليل ما بعده: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ۝٦٤﴾، ولهم يوم القيامة عذاب جهنم خالدين فيها أبداً.

﴿قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ الملأ: هم كبار القوم ورؤساؤهم وأشرافهم، وهم الذين صدوا عن دعوة نوح عليه السلام، وبقية القوم تابعون لهم؛ لأن الكلمة هي كلمة كبير القبيلة والباقي تابعون له.

فقال الملأ لنوح: لست في صواب، ولست على حق، ولا على الهدى، ونحن الذين على الحق.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ﴾ لست في ضلال، ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾[1] أرسلني الله سبحانه وتعالى إليكم لأبلغكم رسالاته ودينه، وأنصحكم وأستنقذكم من الهلاك الذي ينتظركم إن لم تتوبوا وترجعوا إلى الحق الذي جئتكم به.

﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ فأنا عالم بأن الله سبحانه وتعالى سيعذبكم بذنوبكم، وأنا نذير لكم من عذاب الله سبحانه وتعالى وسخطه.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ[2] ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أعجبتم عندما جاءكم رسول منكم؟! وكانوا قد تعجبوا وتساءلوا: كيف يصح أن يبعث الله رسولاً من البشر، وعندهم أنه لا يصح رسول إلا أن يكون من جنسٍ غير جنسهم؛ إما من الملائكة أو نحو ذلك، فهل تتعجبون أن يأتي رجل منكم ينقذكم من عذاب الله سبحانه وتعالى وسخطه؟

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ مصرين على تكذيبه فأخذهم الله سبحانه وتعالى بالعذاب واستأصلهم.

---

(١)-**سؤال:** ما معنى: ﴿أَنصَحُ لَكُمْ﴾؟

الجواب: معنى: «أنصح لكم»: أنصحكم إلا أن في «أنصح لكم» بزيادة اللام مبالغة.

(٢)-**سؤال:** ما موضع: ﴿أَن جَاءكُمْ﴾؟ وهل المراد بالذكر ما جاء به نوح عليه السلام عن الله؟

الجواب: موضع: «أن جاءكم» الجر بـ«من» مقدرة، والمراد بالذكر ما جاء به نوح عليه السلام من عند الله تعالى من الرسالة التي كلف بتبليغها إلى قومه.

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾ أنجى الله تعالى نوحاً والمؤمنين، وذلك أن الله سبحانه وتعالى أمره أن يصنع سفينة يركب فيها هو ومن آمن معه لينجوا من الغرق، فركب فيها نوح والمؤمنون ونجوا.

﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ ثم أغرق الله تعالى قومه بالطوفان العظيم.

﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً عَمِينَ۝٦٤﴾ لأنهم كانوا متعامين عن الحق، ورافضين أن ينزلوا عند حكمه وينقادوا له، وكان نوح عليه السلام قد لبث يدعوهم إلى الله سبحانه وتعالى ألف سنة إلا خمسين عاماً، ولم يكن في الأرض ذلك الوقت إلا هم، فكان عليه السلام يدعوهم ويلاحقهم في كل مكان، فيذهب إلى أماكن تجمعاتهم يذكرهم بالله سبحانه وتعالى، وكذلك يلاحقهم في بيوتهم يدعوهم إلى الله سبحانه وتعالى، كل واحد في بيته، فتارة يدعوهم جماعة وتارة وحداناً، وتارة سراً وتارة علانية.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً۝٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً۝٩﴾ [نوح]، ولم تبق وسيلة إلا وقد جربها فيهم، ومع كل ذلك لم يستجيبوا له حتى بعض أولاده كانوا من جملة من كفر، وكذلك إحدى زوجاته لم تؤمن به ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [هود٤٠].

هذا، وذرية بني آدم الذين على وجه الأرض من بعد نوح إلى اليوم هم متناسلون من ذرية نوح الناجين، قال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [الإسراء٣].

﴿وَإِلَى عَادٍ﴾ أي: أرسلنا إلى قوم عاد، وعاد: هي قبيلة في جنوب اليمن في أرض حضرموت يقال لها الأحقاف، ومعنى الأحقاف: أرض الكثبان الرملية.

﴿أَخَاهُمْ هُوداً﴾ أرسلنا إليهم رجلا من قبيلتهم، واسمه هود عليه السلام.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ۝٦٥﴾ فدعاهم هود عليه السلام إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام وقال: لماذا لا تتقون الله سبحانه وتعالى وتخافونه وهو القادر القهار الذي بيده ملكوت كل شيء فهو الحقيق بأن يتقى.

﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ﴾ وهم كبار القوم وأشرافهم، وكانوا هم الذين يتصدرون للجواب على رسل الله عليهم السلام ويردون دعوتهم ويحملون الناس على التكذيب والاستهزاء ولو أنهم استجابوا لأنبياء الله لاستجاب بقية القوم؛ لأن الكلمة تكون لكبار القوم والباقون لهم تبع.

﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ في خفة عقل وليست دعوتك دعوة حق. ﴿وِإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ۝٦٦﴾ وليس ما تدعو إليه حقا وإنك لتكذب على الله.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ۝٦٧ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ[1] رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ۝٦٨﴾ فرد عليهم هود عليه السلام رداً جميلاً فقال لهم: أنتم تعلمون أني من أوفركم عقلاً وأبعدكم عن الجهالة والخفة، وليس بي شيء من السفاهة ولكني رسول من رب العالمين الخالق لكل شيء أرسلني إليكم لأبلغكم رسالاته فاستمعوا لرسالات الله وأصغوا بأسماعكم إليها وما زلت لكم ناصحاً وبكم شفيقاً لا أخفي عليكم شيئاً من النصيحة، ويريد عليه السلام أن يستنقذهم من عذاب الله سبحانه وتعالى وسخطه؛ لأنهم بكفرهم بالله وبعبادتهم الأصنام قد استحقوا عذاب الله سبحانه وتعالى وسخطه.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ استنكر عليهم تعجبهم حين أرسل الله سبحانه وتعالى إليهم رسولاً منهم وقالوا: كيف يكون رسول من عند الله وهو من البشر؟ واستبعدوا ذلك أشد الاستبعاد.

﴿وَاذكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ اذكروا نعمة الله سبحانه

---

(١)-**سؤال:** يقال: ما الوجه في جمع ﴿رِسَالاتِ﴾ وقد كان يقوم بالفائدة المفرد «رسالة»؟ وما المقصود بها؟

الجواب: قد يكون الوجه -والله أعلم- أنه جاءهم بمواعظ الله التي أرسل بها آدم وشيث وإدريس ونوح عليهم صلوات الله وسلامه.

وتعالى عليكم حين استخلفكم بعد قوم نوح عليه السلام الذين استأصلهم وأبادهم؛ لأجل تكذيبهم بنبيهم وكفرهم بربهم.

﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ وفضلكم ربكم على من قبلكم بزيادة القوة وكمال الأجسام.

﴿فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ﴾ اذكروا نعمه التي أنعم بها عليكم حين استخلفكم وزادكم قوة وطولاً في أجسامكم(١).

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ۝٦٩﴾ إذا تذكرتم نعمه عليكم فستفلحون وتظفرون بالفوز في الدنيا والآخرة.

﴿قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّه وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ أتريد أن نترك ما يعبده آباؤنا ونعبد الله وحده؟ كيف يكون ذلك؟!! استنكروا عليه طلبه هذا، وقالوا: هذا ما لا يكون.

﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ۝٧٠﴾ إن كنت صادقاً فيما تدعيه فأتنا بعذاب الله وأنزله بنا.

---

(١)-**سؤال:** هل صح لديكم ما قيل عنهم أن طول الشخص منهم يبلغ فوق عشرة أمتار أو نحوها؟ أم أنها إسرائيليات؟

الجواب: الأولى أن معنى: ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ أن الله تعالى زادهم كمالاً في بنية أجسامهم، ولا تعويل على ما روي من أن طول أحدهم كان ستين ذراعاً أو مائة ذراع؛ لأنه لا فائدة للإنسان من هذا الطول، وأي بيت يسعه؟ وأي كن يكنه؟ وكم من الطعام يحتاج لتغذية جسمه، وفي الأثر: ((المرء بأصغريه)) قلبه ولسانه، وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ۝٤٩﴾ [القمر]، أي على حسب ما تقتضيه الحكمة من الكبر والصغر والطول والعرض و..إلخ، وقد خلق الله تعالى بني آدم الأولين على مقاديرهم اليوم لا يتفاوتون إلا مثل التفاوت الذي نراه اليوم. وتدل آثارهم اليوم على أنهم كغيرهم من بني آدم فإرم ذات العماد اليوم في أبوابها وبيوتها تدل على ما ذكرنا، وهي في سلطنة عمان كما وصفها الله تعالى.

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾[1] قد كتبه الله سبحانه وتعالى عليكم، وسينزله بكم عما قريب، فتداركوا أنفسكم قبل نزوله إن أردتم. عبَّر الله سبحانه وتعالى عنه بالوقوع؛ لأنه لما كان متحققاً وقوعه، وأنه سيقع بهم لا محالة- جعله بمنزلة الواقع.

﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ كيف تجادلونني في هذه الأصنام التي سميتموها آلهة، فتقولون: هذا الصنم إله وهذا إله وهذا.. وهذا..، فهذه كلها إنما هي أسماء سميتموها بأفواهكم، ولا تحمل من صفات الإلهية شيئا، ولا دليل لكم على إلهيتها ولا حجة.

﴿فَانتَظِرُواْ إِنِّي[2] مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴿٧١﴾﴾ انتظروا سخط الله سبحانه وتعالى وغضبه الذي سينزله الله سبحانه وتعالى بكم.

---

(١)-**سؤال:** ما المراد بالرجس والغضب هنا؟

الجواب: الأولى أن الرجس هو العذاب، وعطف عليه الغضب لبيان أن الله تعالى قد أراد الانتقام منهم ولا يرفعه عنهم إذا نزل لاستحكام غضب الله عليهم، وذلك لأن الله تعالى قد ينزل عذابه بقوم ثم يرفعه عنهم إذا تابوا أو إذا اقتضت حكمته رفعه كالطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم التي أرسلها عذاباً على قوم فرعون حين كذبوا موسى، وكالدخان المبين «سبع سنين كسني يوسف» عذب الله تعالى بها قريشاً ثم رفع العذاب عنهم، أما العذاب المذكور في هذه الآية: ﴿رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾ فلا يرفع أبداً عند نزوله، فكان الأمر كذلك قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴿٨﴾﴾ [الحاقة].

(٢)-**سؤال:** ما الوجه في كسر همزة «إن» في قوله: ﴿إِنِّي مَعَكُم﴾؟

الجواب: كسرت الهمزة لأن الكلام الذي وقعت في صدره مستأنف لبيان العلة في الأمر بانتظار القوم، أي: انتظروا نزول العذاب بكم لأني منتظر نزوله بخبر الصادق الوعد جل وعلا فهو نازل بكم لا محالة.

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ أنزل الله سبحانه وتعالى عليهم العذاب، واستأصل الله سبحانه وتعالى قوم عاد جميعاً، ولم يبق منهم أحد إلا[(١)] نبيه هود عليه السلام والذين آمنوا معه، قال تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ۝٨﴾ [الحاقة]، واستأصلهم جميعاً.

والذراري[(٢)] التي في اليمن هي من ذريته عليه السلام، وأما بقية قومه فلم يبق منهم أحد.

﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ أبادهم الله سبحانه وتعالى عن آخرهم[(٣)].

---

(١)- **سؤال:** هل مقصودكم أن قوله: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ...﴾ معطوف على محذوف في القصة للاختصار؟ وما يسمى هذا في البلاغة؟

الجواب: نعم ذلك معطوف على محذوف مقدر حذف لوجود القرينة، ويسمى إيجاز الحذف.

سؤال: يقال: بماذا كان استئصالهم؟

الجواب: كان استئصالهم بـ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا...﴾ إلى آخر هذه الآيات من سورة الحاقة.

(٢)-**سؤال:** هل تريد بالذراري ذراري القحطانية أو همدان أو من كان في تلك البلاد فقط؟

الجواب: المراد ذراري قحطان فإن بعض المؤرخين والنسابين نسبوا جميع القبائل القحطانية إلى نبي الله هود عليه السلام، وأما البعض الآخر فقد نسبوا القحطانيين إلى نبي الله إبراهيم عليه السلام، واستدلوا بعدة أدلة مثل الحديث: ((ارموا يا بني سلمة فإن أباكم كان رامياً)) يريد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن أباكم إسماعيل كان رامياً، وبني سلمة من أهل المدينة وهم قحطانيون، ونزل قوله تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج:٧٨]، في المدينة، وكانت الكثرة الكاثرة من المسلمين في المدينة هم من القحطانيين. **وبعد،** فهناك تشابه كبير بين سكان جزيرة العرب، كالتشابه الحاصل بين القبط وكالتشابه بين الترك وإلى آخر ما يوجد من تشابه بين كل أمة تشابهاً تختص به من بين الأمم، إلا أنه لا يدرك هذا التشابه وتلك الميزة إلا الأمم الأخرى، وقد سمعت رجلاً من دولة أخرى يقول: إنه اشتبه عليه رجل فلم يعرفه من بين الرجال لأن صور أهل اليمن متساوية أو متشابهة إلى حد يوقع في الالتباس.

(٣)-**سؤال:** فضلاً من أين يؤخذ أن الدابر هو الآخر؟

الجواب: مأخوذ من قولهم: دبره يدبره، إذا تبعه فكان في دبره، أي: خلفه.

﴿وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴿٧٢﴾﴾ وكانوا من الجاحدين الكافرين المتمردين.

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً﴾ أرسل الله سبحانه وتعالىٰ إلىٰ قوم ثمود صالحاً عليه السلام، وهو من نفس القبيلة[1]، وكان في شمال المدينة، ولا زالت مساكنهم باقية إلىٰ الآن تسمىٰ مدائن صالح، وآثارها موجودة إلىٰ اليوم، وكانوا ينحتون في الجبال بيوتاً، قال تعالىٰ: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً﴾ [الشعراء١٤٩].

﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ عندما أخبرهم أنه نبي من عند الله سبحانه وتعالىٰ وأمرهم بعبادة الله سبحانه وتعالىٰ وحده- طلبوا الدليل علىٰ صحة نبوته، وطلبوا أن يأتيهم بآية تدل علىٰ ذلك، فأعطاه الله سبحانه وتعالىٰ آية واضحة تدل علىٰ صحة نبوته، وهي الناقة التي أخرجها لهم من الجبل.

﴿هَـذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً[2] فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴿٧٣﴾﴾ أرسل الله سبحانه وتعالىٰ لهم هذه الناقة من الجبل آية تدل علىٰ صدق نبوة نبي الله صالح، وأمرهم أن يتركوها تأكل وترعىٰ، ونهاهم عن منعها من ذلك[3]، وأخبرهم أنهم إذا مسوها بسوء فسينزل بهم عذابه وسخطه،

---

(١)-**سؤال:** هل تريد قبيلة ثمود؟ وأين هي بالنسبة للمدن الأخرىٰ المعروفة الآن؟

الجواب: المراد قبيلة ثمود، وكانت تسكن بين المدينة وتبوك، وتسمىٰ بلادهم اليوم «مدائن صالح» ولا زالت مساكنهم اليوم قائمة علىٰ ما كانت عليه، وهي بيوت منحوتة في الجبال، وكان لهم في سهول البلاد «جزيرة العرب» قصور كما ذكر الله تعالىٰ: ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً﴾، إلا أنها لم يبق لها وجود اليوم لطول الزمان، ولعلها كانت مبنية من الطين، أما بيوتهم المنحوتة في الجبال فهي موجودة ولا زالت إلىٰ اليوم.

(٢)-**سؤال:** علام انتصب قوله: ﴿آية﴾؟ وبماذا تعلق قوله: ﴿لكم﴾؟

الجواب: «آية» منصوبة علىٰ أنها حال من ﴿نَاقَةُ﴾، و«لكم» متعلق بمحذوف خبر ثان أو حال.

(٣)-**سؤال:** يقال: هل أباح لها الأكل من أموالهم أم من المباحات فقط؟

=

وكان قوم صالح هؤلاء رعاة، وكانت هذه الناقة كبيرة الحجم حتى إنها تستهلك مثل ما يستهلكه جميع أنعام بقية قوم صالح، ولهذا قسم الله سبحانه وتعالى الماء والمرعى بينهم وبينها، فجعل لها يوماً ولهم يوماً، قال تعالى: ﴿لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء١٥٥]، ونهاهم أن يرعوا ويستقوا في وردها.

﴿وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ﴾ أمر نبي الله صالح عليه السلام قومه أن يتذكروا نعمة الله سبحانه وتعالى عليهم حين جعلهم خلفاء في الأرض من بعد عاد، ومكنهم في الأرض، وجعلها مستقراً لهم(١).

﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً﴾(٢) السهول تبنونها قصوراً، والجبال تنحتونها بيوتاً.

﴿فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ﴾ اذكروا نعمه عليكم ولا تكفروا به.

﴿وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ ولا تكثروا الفساد في الأرض فالمفروض بكم أن تقابلوا نعمه بالشكر والإيمان والطاعة، والامتثال لما أمركم به، ولا تقابلوها بالكفر والفساد.

﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ﴾ وهم الكبار من قومه والزعماء.

الجواب: أباح الله لها الأكل من مراعيهم التي كانوا يعتادون الرعي فيها ويحمونها لأنعامهم ويمنعون غيرهم من الرعي فيها، وليس لهم ملك في المراعي إلا أنهم اعتادوا الرعي فيها.

(١)-**سؤال:** يقال: هل التبوء هو التمكين أو الإحلال والإسكان؟ وما هي الأرض التي بوأهم فيها؟

الجواب: التبوء هو الإسكان والإنزال، والأرض التي بوأهم فيها هي الحجر بين المدينة وتبوك وفيها مدائن صالح المنحوتة في الجبال.

(٢)-**سؤال:** هل المراد يبنون القصور في السهول أم يبنون القصور من طين السهول؟ وما محل جملة: ﴿تَتَّخِذُونَ﴾ الإعرابي؟ وما إعراب ﴿بُيُوتاً﴾؟

الجواب: المراد: يبنون القصور في السهول بالطين «اللبن أو الآجر» وجملة ﴿تَتَّخِذُونَ﴾ في محل نصب على الحالية من مفعول ﴿بَوَّأَكُمْ﴾، و«بيوتاً» منصوب على الحال.

﴿لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾(١) قالوا لأولئك الضعاف المؤمنين.

﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُواْ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ۝﴾(٢) والذين قالوا: إنا مؤمنون- هم المستضعفون من قومه.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا بِالَّذِىَ آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ۝﴾ وهؤلاء الذين قد استكبروا هم كبار قومه وزعماؤهم ووجهاؤهم.

﴿فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ عزموا على قتل الناقة وقتلوها، واعتدوا على ما أمرهم الله سبحانه وتعالى في شأن الناقة من عدم المساس بها، واستكبروا عليه وخالفوه.

﴿وَقَالُواْ يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ۝﴾ تحدوا الله سبحانه وتعالى أن ينزل عليهم عذابه الذي قد وعدهم به إن مسوا الناقة، وهذا يدل على شدة استكبارهم وعتوهم وتمردهم.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ۝﴾ نزل عليهم عذاب الله سبحانه وتعالى، وهو الرجفة فما أصبح الصباح عليهم إلا وكل واحد منهم قد جثم على وجهه ميتاً، ولم يبق على أحد منهم، وأبادهم جميعا كبارهم وصغارهم، نساءهم ورجالهم.

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ رحل نبيهم صالح عليه السلام عن تلك البلاد، وكره المقام في المكان الذي كانوا فيه ورحل إلى حضرموت.

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب ﴿لِمَنْ آمَنَ﴾ وما فائدة إعادة حرف الجر «اللام» في ﴿لِمَنْ آمَنَ﴾؟

الجواب: ﴿لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾ الجار والمجرور بدل من قوله: ﴿لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ﴾ ولزم إعادة اللام في البدل لأنه على نية تكرير العامل أي: قالوا لمن آمن.

(٢)-**سؤال:** هل أرادوا منهم دليلاً قطعياً حين قالوا لهم: ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ﴾؟

الجواب: لم يريدوا منهم دليلاً وإنما قالوا ذلك للاستنكار عليهم حين آمنوا بصالح عليه السلام والإيمان هو ناتج عن العلم بصدق صالح في دعواه الرسالة فاستنكروا على المؤمنين دعواهم العلم بنبوة صالح؛ لأنه بزعمهم لم يأت بما يوجب العلم.

﴿وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴿٧٩﴾﴾ تألم في نفسه عند رؤيته لهم على هذه الحالة وقال مسلياً نفسه: لكني قد نصحتكم، وأبلغت جهدي في هدايتكم، وأخبرتكم ما الذي سيحل بكم إن عصيتم وتمردتم، فلن أندم بعد ما قد فعلت لكم كل هذا، خاطبهم بكل هذا وهم أموات مسلياً على نفسه وعلى المؤمنين معه.

﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً[١] مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴿٨١﴾﴾ أرسل الله سبحانه وتعالى لوطاً[٢] عليه السلام إلى قومه فأنذرهم سوء أعمالهم التي يعملونها والتي لم يسبق أن فعلها أحد من العالمين؛ لشدة فحشها وقبحها، وهو اللواط، فقد انتشر بينهم بشكل عام، وقد أسرفوا وتجاوزوا الحد في الكفر والعصيان.

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ[٣] إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ

---

(١)- **سؤال:** ما محل جملة ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ﴾؟ وما إعراب ﴿شَهْوَةً﴾؟ وبماذا تعلق ﴿مِّن دُونِ النِّسَاء﴾؟

الجواب: لا محل لجملة: ﴿مَا سَبَقَكُم...﴾ لأنها مستأنفة لبيان شدة القبح وتأكيده، و«شهوة» مفعول من أجله منصوب، و﴿مِّن دُونِ النِّسَاء﴾ حال من فاعل «تأتون» أي: متجاوزين النساء، وهو متعلق بمحذوف.

(٢)-**سؤال:** هل تريدون أن «لوطاً» مفعول لفعل محذوف، أم معطوف على ما قبله؟

الجواب: يجوز أن يقدر الفعل فيكون من عطف الجمل، ويجوز أن يعطف على: «نوحاً» فيكون من عطف المفردات، ثم إنه يجوز أن ينتصب بـ«اذكر» محذوفاً أي: واذكر لوطاً إذ قال لقومه...

(٣)-**سؤال:** يقال: ما الوجه في جعل قوله: ﴿جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ الخبر لـ«كان» مع أن قولهم: ﴿أَن قَالُواْ﴾ يصح أن يكون محطاً للفائدة؟

الجواب: الوجه في ذلك أنه لم يكن لهم جواب على لوط أصلاً فيما دعاهم إليه من ترك الفواحش بل فاجأوه بالأمر من بعضهم البعض بطرده من بلدهم وإخراجه من بينهم، فأخبر الله تعالى =

﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾ كان قوم لوط عليه السلام يتراودون فيما بينهم ويتآمرون على نبي الله لوط عليه السلام بأن يطردوه من بينهم هو وأهله؛ لأنهم كانوا يتنزهون عن أعمالهم هذه القبيحة.

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾[1] أنجاه الله سبحانه وتعالى وأهله إلا امرأته؛ لأنها كانت كافرة فأهلكها الله معهم.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾[2] أمطر الله سبحانه وتعالى على قرى قوم لوط حجارة من السماء، وقلب[3] الله سبحانه وتعالى عاليها سافلها، وأما الذين كانوا بعيداً منهم عن بيوتهم فقد رماهم الله سبحانه

بأن قولهم هذا هو الذي صدر عنهم وسماه جواباً -وإن لم يكن جواباً- على سبيل قوله:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلولٌ من قراع الكتائب

وقوله:

تحية بينهم ضرب وجيع

ولما لم يصدر منهم جواب أصلاً وصدر منهم قول صح أن يجعل القول المعلوم موضوعاً «مبتدأ» ليبني عليه الخبر.

(١)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب جملة: ﴿كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾؟ وما هو الغابر لغة؟ وكيف معناها في الآية؟

الجواب: ﴿كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ مستأنفة جواب عن سؤال نشأ من استثناء المرأة كأنه قيل: فما حالها؟ فقيل: كانت من الغابرين، والغابر: الباقي، والمعنى: كانت من الذين بقوا فهلكوا.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾؟

الجواب: كيف: هو خبر كان مقدم، وعاقبة: اسمها، والمجرمين: مضاف إلى عاقبة.

(٣)- **سؤال:** من فضلكم كيف كان قَلْبُه لعاليها سافلها بالتفصيل؟

الجواب: رفع الله تعالى بلادهم من مكانها وقلعها ثم قلبها وردها مكانها وهي مقلوبة فجعل مساكنهم تحت الأرض، وجعل باطن الأرض هو الأعلى، وتماماً كما ذكر الله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ [الحجر:٧٤].

وتعالى بالحجارة وأبادهم جميعاً، وهذه القرى هي في بلاد الأردن.

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً﴾ أرسل الله سبحانه وتعالى إلى قبائل مدين شعيباً عليه السلام وهو من نفس قبيلتهم، ومدين[١] تقع على خليج العقبة شرقاً بين الأردن والسعودية، ولا زالت آثارهم باقية إلى اليوم.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ كانوا يعبدون الأصنام فأنذرهم شعيبٌ، ونهاهم عن عبادة الأصنام، وأخبرهم أنه قد أنزل الله سبحانه وتعالى لهم حجة[٢] واضحة على صدق رسالته، وأنه رسول من عند الله سبحانه وتعالى.

﴿فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ[٣] وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ﴾[٤] كانوا أهل تجارة

---

(١)-**سؤال:** هل لا زال اسم هذه المدينة «مدين»؟

الجواب: الظاهر أن «مدين» اسم للقبيلة سميت باسم جدها وليس اسماً لقريتهم.

(٢)-**سؤال:** يقال: ما هي هذه الحجة والمعجزة على صدق رسالته؟ وهل يصح أن تحمل البينة التي جاء بها على الأمر بإيفاء الكيل؟

الجواب: لم يذكر الله تعالى ما هي المعجزة التي جاء بها شعيب عليه السلام، وليست المعجزة هي الأمر لهم بإيفاء الكيل والميزان؛ لأن الفاء تدل على تقدم المعجزة.

(٣)-**سؤال:** يقال: ما الوجه في تعبيره باسم الآلة «الميزان» بدلاً عن اسم الحدث «الوزن» في الآية الكريمة؟

الجواب: إيفاء الميزان هو أن تضع في كفته من الموزون مقداراً يعادل المقدار الذي في الكفة الأخرى، بحيث تعتدل الكفتان، وبذلك يستوفي الميزان، فإذا نقص عن ذلك لم يكن مستوفياً، ويكون التعبير على هذا مجازاً مرسلاً من باب تسمية الشيء باسم محله والأصل: أوفوا الموزون.

(٤)- **سؤال:** هل نقصان السعر من المشتري على البائع يعد بخساً؟

الجواب: المساومة جائزة فللمشتري أن يدفع للبائع السعر الذي يريد أن يشتري به السلعة، إلا =

وبيع وشراء، وبلاد الشام بشكل عام في ذلك الزمان كانت سوقاً تجارياً يقصده الناس من جميع البلاد، فأمرهم أن يوفوا في الكيل والوزن، وأن يعطوا الحق، ولا ينقصوا منه شيئا.

﴿وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ۝٨٥﴾ أن تكونوا من أهل الوفاء والإصلاح في الأرض هو الأفضل لكم في الدنيا والآخرة من عبادة الأصنام، والفساد في الأرض.

﴿وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ[1] وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾ كانوا يقعدون للناس في كل طريق، وكل من أراد الذهاب إلى شعيب عليه السلام والسماع منه كانوا يصدونه عن ذلك، ويتوعدونه ويتهددونه بالقتل وغيره، ويمنعونه من الذهاب؛ لأنهم لا يريدون الحق، فيصدونهم عنه إلى الباطل.

﴿وَاذْكُرُواْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ﴾ اذكروا نعمة الله سبحانه وتعالى عليكم إذ كثركم بعد أن كنتم قليلي العدد.

﴿وَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ۝٨٦﴾ اعتبروا بأولئك الذين رفضوا الإيمان والانقياد لأنبيائهم ومكثوا على فسادهم وضلالهم كقوم لوط وصالح وهود وغيرهم كيف كان مصيرهم أن أنزل الله سبحانه وتعالى عليهم عذابه، واستأصلهم عن آخرهم.

﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُواْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يْؤْمِنُواْ فَاصْبِرُواْ

إذا أراد بدفع السعر الناقص أن يبخس السلعة ويوهم الزبائن الحاضرين أن السعر ناقص فإن ذلك يعد بخساً محرماً.

(١)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ﴾؟

الجواب: توعدون: في محل نصب حال من فاعل ﴿وَلاَ تَقْعُدُواْ﴾، والجملة التي بعدها معطوفة عليها وحكمها حكمها.

﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ۝٨٧﴾ إذا كان أناس منكم قد آمن، وأناس لم يؤمنوا وظلوا على كفرهم- فانتظروا[١] واصبروا إلى أن ينزل حكم الله سبحانه وتعالى علينا، وهو أن يعذب الكافرين، وينجي المؤمنين.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ﴾ وهم كبار قوم شعيب ورؤساؤهم وزعماؤهم.

﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ فإما أن ترجع إلى ما نحن عليه، أو لنطردنك ولنخرجنك ومن معك.

﴿قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ۝٨٨﴾[٢] هل تريدون أن نرجع إلى ملتكم، ولو كنا كارهين للرجوع فيها؟

﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا﴾[٣] لو رجعنا إلى ملتكم لكنا من المفترين على الله سبحانه وتعالى الكذب، فهل تريدون أن نعود إليها وقد نجانا الله سبحانه وتعالى منها، وهدانا إلى الحق؟

﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا﴾ ما ينبغي أن نعود إليها أبداً بعد أن عرفنا الحق والهدى.

---

(١)-**سؤال:** يقال: ما العلة في أَمْرِهم بالصبر بدلاً عن الانتظار؟

الجواب: أمرهم بالصبر لأنه انتظار مع تحمل المشاق والشدائد الشديدة، ففيه الأمر بشيئين، والأمر بالانتظار ليس كذلك.

(٢)-**سؤال:** لو تفضلتم بتفصيل القول في إعراب قوله: ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ۝٨٨﴾؟

الجواب: الهمزة للاستفهام، والواو: واو الحال، والجملة بعدها في محل نصب على الحالية من ضمير المفعول في قوله: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ﴾ وما عطف عليه.

(٣)-**سؤال:** ما موضع «إذ» من الإعراب في قوله: ﴿بَعْدَ إِذْ﴾؟

الجواب: موضعها الجر بالإضافة.

﴿إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّه رَبُّنَا﴾[(١)] إلا أن يشاء الله لنا أن نتقي شركم إذا تهددتمونا بالقتل والعذاب فتكلمنا بما تريدون مما ظاهره الكفر ولا حرج علينا حينئذ لأننا في هذه الحال مكرهون وقلوبنا مطمئنة بالإيمان.

﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ أحاط علمه بكل شيء سبحانه وتعالى.

﴿عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا﴾ سنصبر على ديننا، وسنتوكل على الله سبحانه وتعالى إلى أن ينصرنا.

﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ۝٨٩﴾ دعا نبي الله شعيبٌ عليه السلام ربه بعد أن توكل عليه بأن يحكم بينه وبين قومه بالحق وهو خير الحاكمين، وحكم الله: أن يعذب المبطل وينجي المحق.

﴿وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً[(٢)] لَّخَاسِرُونَ۝٩٠﴾ قال أشراف قومه وأعيانهم لأفراد القبيلة: إنكم إذا اتبعتم شعيباً وآمنتم به كنتم خاسرين حينئذ وضائعين.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ۝٩١﴾ عندما طال عصيانهم وتمردهم، ولم تنفع فيهم دعوة نبي الله شعيب، ولا الحجج التي جاءهم بها- عذبهم الله سبحانه وتعالى حينئذ بالرجفة، فبادوا عن آخرهم.

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّه﴾؟

الجواب: «إلا» أداة استثناء، «أن يشاء الله» أي: إلا حال أن يشاء الله أو وقت، وهذا الاستثناء كما يقال هو مستثنى من أعم عام الأحوال أو الأوقات، أي: ما يكون لنا أن نعود في ملتكم في أي وقت من الأوقات إلا وقت أن يشاء الله، فعلى هذا فـ«أن يشاء الله» في تأويل مصدر منصوب على نزع الخافض أي: وقت أو حال، أو مجرور بالإضافة المقدرة.

(٢)-**سؤال:** يقال: ما الوجه في سقوط الفاء من جواب الشرط: ﴿إِنَّكُمْ إِذاً﴾؟ وما إعرابه؟

الجواب: «إنكم إذاً» ليس جواباً للشرط، وإنما هو جواب للقسم الذي آذنت به اللام وهو ساد مسد جواب الشرط، وإنكم: «إن» الناصبة للاسم، والضمير اسمها، و«إذاً» هي الشرطية، وجملة الشرط محذوفة، والتنوين عوض، والتقدير: إنكم إذا اتبعتموه.

﴿الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْباً كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا﴾[1] وكأن أحداً لم يكن قد عاش في تلك البلاد التي نزل بها عذاب الله سبحانه وتعالى وسخطه.

﴿الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْباً كَانُواْ هُمُ الْخَاسِرِينَ۝٩٢﴾ لقد حق عذاب الله على قوم شعيب الذين كذبوه فأبادهم الله تعالى بعذابه فخسروا الدنيا والآخرة فأصبحوا هم الخاسرين.

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ هاجر من تلك البلاد بعد نزول العذاب بها. ﴿وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ۝٩٣﴾ قال ذلك تسلية لنفسه، وكان قد داخله الأسى والحزن لما نزل بقومه من العذاب وكان شديد الشفقة عليهم يريد أن يستنقذهم من سخط الله ويردهم إلى رحمته فخاطبهم وهم أموات عندما رأى نزول العذاب بهم: لقد نصحتكم وبالغت في نصحي لكم، وحذرتكم بأس الله وعذابه، فكيف أحزن عليكم وأنتم الذين تسببتم على أنفسكم فيما نزل بكم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ۝٩٤﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لم يرسل نبياً إلى أمة إلا ويبتليهم ببلاء شديد من الفقر والجدب والأمراض لعلهم يرجعون ويتضرعون إليه، ومعنى البأساء: الفقر من البؤس، والضراء: الأوجاع والمرض.

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾[2] ثم يبدل الله سبحانه وتعالى السراء والضراء عندما يرفضون الإيمان والرجوع؛ يبدل ذلك بالخير فينزله عليهم.

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا﴾؟

الجواب: كأن: مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن، وجملة «لم يغنوا فيها» في محل رفع خبرها.

(٢)-**سؤال:** ما هو إعراب: ﴿مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾؟

الجواب: الحسنة: مفعول به لـ«بدلنا»، ومكان السيئة: ظرف مكان على معنى «في» لـ«بدلنا» أي: وضعنا الحسنة في مكان السيئة.

﴿حَتَّى عَفَواْ﴾ إلى أن يرجعوا إلى حالتهم الأولى[1] التي كانوا عليها قبل أن يأخذهم بالبأساء والضراء.

﴿وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ آبَاءنَا الضَّرَّاء وَالسَّرَّاء﴾ قالوا: هي عادة الزمان وتقلبه، فتارة يكون الناس في خير، وزماناً في شر، ولم يلتفتوا إلى الله سبحانه وتعالى ويقولوا: إن الله سبحانه وتعالى هو الذي أبدلهم وغير أحوالهم ولم يشكروه على ذلك.

﴿فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴿٩٥﴾﴾[2] يرسل الله سبحانه وتعالى نبيه إلى أمة فيبتليهم بالشر بعدما كانوا في خير لعلهم يرجعون إليه ويدعونه، ثم يبدلهم الله سبحانه وتعالى مكان الشر الخير لعلهم يرجعون إليه ويشكرونه؛ فإذا رفضوا ذلك أخذهم الله سبحانه وتعالى حينئذٍ بالعذاب والسخط، واستأصلهم وأبادهم على حين غرة وهم في أمن وطمأنينة لا يتوقعون أن ينزل بهم عذاب الله.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ﴾[3] لو أنهم آمنوا برسالة أنبيائهم، واستجابوا لدعوتهم إلى الله سبحانه وتعالى وصدقوا وتركوا الكبر والفساد، ﴿وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾- لأغدق الله سبحانه وتعالى عليهم نعمه، وأرسل لهم بركات السماء من المطر، وبركات الأرض من الشجر والثمر.

---

(١)-**سؤال:** من أين أخذنا أن العفو هو الرجوع إلى الحالة الأولى؟

الجواب: في الكشاف عند تفسير هذه الآية: حتى عفوا: كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم من قولهم: عفا النبات وعفا الشحم والوبر إذا كثرت...إلخ، وهذا معنى ما ذكرنا.

(٢)-**سؤال:** ما هو إعراب: ﴿بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴿٩٥﴾﴾؟

الجواب: بغتة: مفعول مطلق وعامله «أخذناهم» أي: بغتناهم بغتة، والواو واو الحال، ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴿٩٥﴾﴾ جملة حالية في محل نصب، وصاحبها ضمير المفعول في «أخذناهم».

(٣)-**سؤال:** هل في: ﴿أَهْلَ الْقُرَى﴾ إشارة إلى قرى معينة، أم المراد بها العموم؟

الجواب: المراد بها العموم للقرى التي أرسل الله تعالى إليها رسلاً المذكورة في قوله مثل هذه الآية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا..﴾ [الأعراف:٩٤].

﴿وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ۝٩٦﴾ ولكنهم كذبوا وتمردوا- فجازاهم الله سبحانه وتعالىٰ بسبب تكذيبهم بالمصائب والبلايا.

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ[1] بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ۝٩٧﴾ استنكر الله سبحانه وتعالىٰ عليهم كيف يأمنون عذاب الله سبحانه وتعالىٰ وسخطه أن يأتيهم وهم نائمون.

﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ۝٩٨﴾ واستنكر عليهم كيف أنهم يأمنون بأسه وعذابه أن ينزل عليهم نهاراً وهم في لهوهم ولعبهم ومعاصيهم في النهار.

﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ﴾ يُعَجِّبُ الله سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ كيف أنهم يأمنون مكر الله سبحانه وتعالىٰ وعذابه ﴿فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ۝٩٩﴾ فلا يأمن عذاب الله سبحانه وتعالىٰ وسخطه[2] إلا أولئك الذين كفروا بالله سبحانه وتعالىٰ وتمردوا عليه.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ[3] أَصَبْنَاهُم

---

(١)-**سؤال:** من فضلكم ما إعراب: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ﴾ بالتفصيل؟

الجواب: الهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي، والفاء حرف عطف للسببية والجملة التي بعدها معطوفة على ما دل عليه قوله: ﴿فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ۝٩٦﴾ والتقدير: أي أَعَرَفوا ما أنزل الله بالمكذبين فأَمِنُوا فقد كان من الحقيق بالعاقل أن يتعظ بما عرف من عاقبة المكذبين برسل الله وبما صاروا إليه من العواقب المشؤومة فلا يقعوا في مثل ما وقعوا فيه. و«أن يأتيهم» مجرور بـ«من» مقدرة، ولك أن تقول: إن المصدر المؤول في محل نصب على نزع الخافض.

(٢)-**سؤال:** يقال: لماذا سمى الله عذابه وسخطه مكراً؟

الجواب: سمي عذابه مكراً على سبيل المجاز، حيث أن الذي يريد أن يمكر بصاحبه منا فإنه يوقعه في البلاء من حيث لا يشعر به، فسمى العذاب مكراً لنزوله بهم من حيث لا يشعرون.

(٣)-**سؤال:** فضلاً ما معنى: ﴿يَهْدِ﴾ في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ...﴾ لغة؟ وما محل المصدر: ﴿أَن لَّوْ نَشَاء أَصَبْنَاهُم﴾ من الإعراب؟

الجواب: يهد: هو من الهداية، هداه هداية وهدى يهديه... إلا أنه عدي باللام لتضمنه معنى =

بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ﴿١٠٠﴾﴾ هؤلاء الذين أورثهم الله سبحانه وتعالى الأرض من بعد أولئك الذين أخذهم الله سبحانه وتعالى بعذابه- استنكر الله على الوارثين الأرض أولئك عدم تبين إصابة الله لهم لو أراد بسبب ذنوبهم أو خذلانه لهم حتى تكون قلوبهم كالمغطاة بسبب كفرهم ومعاصيهم وأهوائهم حتى لا ينتفعوا بما سمعوا ولا يهتدوا بها أبصروا فكيف لم يتبين لهم ذلك وقد علموا وتيقنوا ما صنع الله بمن كان قبلهم من المكذبين والمتمردين حيث أهلكهم الله ودمرهم بأنواع العذاب.

ثم قال الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ: ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأخبار تلك القرى التي قد أخذها بسبب ذنوبهم وتكذيبهم.

﴿وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَىَ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴿١٠١﴾﴾ أتتهم رسلهم بالبينات والحجج فلم يؤمنوا ولم يصدقوا، فهم والذين أرسلناك إليهم يا محمد على طريقة واحدة.

وفيما قص الله سبحانه وتعالى من أنباء الأمم السابقة وأخبارها، وما حصل عليها- تسلية للنبي ﷺ عندما كذبت به قريش ولم يؤمنوا به؛ لأنه كان قد اصطدم من فعل قومه، وقد أصابه الوهن؛ فأخبره الله سبحانه وتعالى بذلك لأجل أن يصبر، ولأجل أن يخفف عنه ما أصابه من الهم والحزن على تكذيبهم.

وجميع الأمم السابقين لم يؤمنوا بأنبيائهم إلا قوم يونس من بين كل هؤلاء فإنهم تراجعوا وندموا وآمنوا عندما رأوا نزول العذاب بهم.

﴿وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴿١٠٢﴾﴾[1] أخبر

التبيين، فيهد هنا بمعنى: يبين، وفاعله المصدر المسبوك من «أن» وما دخلت عليه ﴿أَن لَّوْ نَشَاء أَصَبْنَاهُم﴾ فهو في محل الرفع على الفاعلية.

(١)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿مِّنْ عَهْدٍ﴾؟ وهكذا: ﴿وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴿١٠٢﴾﴾؟ وما فائدة دخول اللام على «فاسقين»؟

=

الله سبحانه وتعالىٰ أن جميع الأمم لا عهد لهم ولا ذمة ولا وفاء، وإنما هم متمردون علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ ثم بعث الله تعالىٰ نبيه موسىٰ عليه السلام بعد تلك الأمم التي قد قصها الله سبحانه وتعالىٰ إلىٰ فرعون وكبار دولته وأشرافها.

﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾(١) فكفروا بموسىٰ وعاندوا بعد أن رأوا الآيات التي تدل علىٰ صدقه فيما ادعىٰ.

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ١٠٣﴾ انظر يا محمد إلىٰ عاقبة أمرهم كيف كانت، وكيف أغرقهم الله سبحانه وتعالىٰ جميعاً في البحر، وذلك عندما خرج موسىٰ عليه السلام ومن معه من بني إسرائيل هاربين من فرعون وبطشه، وكيف لحق بهم فرعون فغرق في البحر هو ومن معه.

﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ١٠٤﴾(٢) عندما أمره الله

الجواب: «من عهد» مفعول به لوجدنا مجرور لفظاً بـ«من» المؤكدة في محل نصب، و«إن» هي المخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، والجملة في محل رفع خبر «إن»، واللام هي الفارقة بين النافية والمؤكدة.

(١)-**سؤال:** ما معنىٰ الباء في قوله: «بها»؟ ولماذا سمىٰ الله معاندتهم للآيات ظلماً؟

الجواب: ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾ مضمن معنىٰ كفروا، فعدي بالباء لذلك، فالباء للتعدية، وسمىٰ الله معاندتهم ظلماً من حيث أنهم حرموا أنفسهم حظها من الخير وأدخلوا عليها الضرر العظيم بسبب الكفر، وأيضاً فإن تكذيب الصادق ظلم له لأنه يتضرر بذلك ويدخله من الألم ما الله عالم به.

(٢)-**سؤال:** هل هناك من نكتة أو حكمة في إجمال الله لخبر موسىٰ ثم تفصيله بقوله: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ...﴾؟

الجواب: الذي يظهر -والله أعلم- أن قصة موسىٰ المجملة سيقت لغرض، والمفصلة لغرض =

سبحانه وتعالىٰ أن يذهب إلىٰ فرعون وينذره قال له: يا فرعون، إني رسول الله إليك، وقد أمرني ربي أن أدعوك إلىٰ الإيمان به، وأن تترك تعذيب بني إسرائيل، وأن تسلمهم لي؛ لأنهم كانوا في المهانة والذلة عند فرعون، يعذبهم ويستعبدهم، ويقتل أبناءهم، ويستحيي نساءهم فأراد الله تعالىٰ أن يستنقذهم من ظلم فرعون علىٰ يد موسىٰ عليه السلام.

﴿حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾(١) وهذا من قول موسىٰ لفرعون، وقد كان فرعون عارفاً لموسىٰ حق المعرفة، وأنه من أهل الصدق، ومن الموثوق فيهم؛ لأنه تربىٰ عنده وفي بيته، ولكن نزعة الكبر أخذت فرعون واستولت عليه، وقد عرف أن موسىٰ يقول الحق.

﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ ومع معرفة فرعون بصدق موسىٰ أكد له

آخر، فالغرض والحكمة من المجملة بيان العاقبة المشؤومة التي وقع فيها فرعون وقومه بسبب الكفر والتكذيب بموسىٰ عليه السلام. وسيقت المفصلة لغرض وحكمة أخرىٰ هي: التسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين بذكر ما لقي موسىٰ وقومه من الأذىٰ والشدائد الطويلة التي قابلوها بالصبر، فكانت لهم العاقبة الحسنة: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ...﴾ [الأعراف:١٣٧].

(١)-**سؤال:** فضلاً ما هو إعراب: ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾؟ وما معنىٰ حقيق؟ وما هو إعرابها علىٰ القراءة الأخرىٰ: ﴿عَلَيَّ أَن لاَّ أَقُولَ..﴾؟

الجواب: ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾ حقيق: خبر مبتدأ محذوف تقديره: أنا حقيق. «علىٰ ألا أقول»: جار ومجرور متعلق بحقيق، و«علىٰ» موضوعة موضع الباء أي: أنا جدير أو حَرِيٌّ بأن لا أقول...؛ لإفادة التمكن نحو: جئت علىٰ حال حسنة، وتناوب حروف الصفات مذهب مشهور. وأما علىٰ قراءة نافع: ﴿حَقِيقٌ عَلَيَّ أَن لاَّ أَقُولَ..﴾ فحقيق: مبتدأ، وعليَّ: متعلق بحقيق، و«أن لا أقول» هو الخبر، ويكون معنىٰ حقيق في هذه القراءة أي: واجب عليَّ أن لا أقول إلا الحق، أو يجعل الأول خبراً والمتأخر مبتدأ. هذا ما رأيت من إعراب سهل وقريب لهذه الجملة علىٰ القراءتين، والله أعلم.

صدقه بما جاء به من الحجة الواضحة.

﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴿١٠٥﴾﴾ أخرجهم من تحت يدك ومن ظلمك لهم، وهاتهم معي لأخرجهم من مصر إلى الشام.

﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴿١٠٦﴾﴾ إذا كان معك دليل أنك نبي مرسل من عند الله سبحانه وتعالى فهاته إن كنت صادقاً.

﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ﴿١٠٨﴾﴾ وهاتان معجزتان أتاهم بهما موسى لعلهم يؤمنون ويرجعون عن كفرهم وضلالهم ويصدقونه فيما ادعاه من النبوة والرسالة.

﴿قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴿١٠٩﴾﴾ حين جاء موسى بالحجة الواضحة اتهمه أشراف القوم وكبارهم الذين كانوا عند فرعون بالسحر مع أنهم قد عرفوا أن ما اتهم به ليس من السحر في شيء، وأنه من عند الله سبحانه وتعالى، وكان السحر في ذلك العصر قد راج عندهم وانتشر في مصر، وكثر فيه علماء السحر.

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴿١١٠﴾﴾ قالوا: يريد موسى أن يسيطر على البلاد بسحره، ويحتلها بعد أن يخرجكم منها، فقال لهم فرعون[1] طالباً للمشورة: ماذا تقترحون وما رأيكم؟

﴿قَالُواْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴿١١٢﴾﴾ قالوا لفرعون: أخِّرْه مع أخيه وأعطه ميعاداً، وابعث الرسل في البلاد يستدعون السحرة ليأتوا إليك ليبطلوا بسحرهم سحر موسى.

---

(١)–**سؤال:** يقال: ظاهر الآية أن: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴿١١٠﴾﴾ من قول الملأ، وظاهر الآية التي بعدها أنه من قول فرعون، فهل ذلك من الاختصار أم كيف؟

الجواب: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴿١١٠﴾﴾ هو من قول فرعون إلا أن في الكلام اختصاراً «إيجاز الحذف».

﴿وَجَاء السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُواْ إِنَّ لَنَا لأَجْراً[١] إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ۝١١٣ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ۝١١٤﴾ أتى السحرة إلى فرعون، واجتمعوا عنده مع موسى، وطلبوا الأجرة إن هم غلبوا موسى وسحره، فأجاب عليهم سأعطيكم الأجرة وأقربكم إن غلبتموه، وأجعلكم في مجلسي تدخلون وتخرجون متى شئتم.

﴿قَالُواْ يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ۝١١٥﴾ بعدما اجتمع السحرة بموسى في ميدان يجتمع فيه الناس في المناسبات، وحضر الناس جميعاً ليشاهدوا؛ قالوا لموسى: إما أن تبدأ أو نبدأ نحن؟

﴿قَالَ أَلْقُوْاْ فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ[٢] النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ۝١١٦﴾[٣] قال لهم موسى: ابدأوا أنتم، فلما ألقوا بحبالهم وعصيهم خاف

---

(١)-**سؤال:** ما موضع: ﴿قَالُواْ إِنَّ لَنَا لأَجْراً...﴾؟

الجواب: موضعها النصب على أنها مقول القول.

(٢)- **سؤال:** لو فصلتم القول في معنى سحرهم لأعين الناس؟

الجواب: معنى ذلك: أن الناس الذين جمعوا في ذلك اليوم الذي تواعدوا للاجتماع فيه للنظر إلى ما يفعله السحرة الذين جمعهم فرعون ليبطلوا بسحرهم الآيات التي جاء بها موسى للدلالة على أنه رسول من عند الله تعالى، فلما ألقى السحرة حبالهم وعصيهم في وسط الساحة رأى الناس بسبب السحر صوراً مرعبة، وأشباحاً مخيفة، تذهب وتجيء، تقشعر لها الأبدان، وترعب القلوب، فامتلأت نفوس الناس خوفاً من هول ما رأوا، حتى موسى عليه السلام مع قوة قلبه وشدته فإنه خاف خوفاً شديداً، فأوحى الله إليه: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى۝٦٨ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى۝٦٩﴾ [طه].

(٣)- **سؤال:** يقال: هل في الآية إثبات لوقوع السحر بقوله: ﴿سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ وقوله: ﴿بِسِحْرٍ عَظِيمٍ۝١١٦﴾؟ وما معنى قول بعض أئمتنا: «إن القول به كفر»، هل يريدون إثبات تأثيره كتأثير الخالق، أو مجرد إثبات وقوع التخييل فيه، فهذه مشكلة قد تشكل على بعض العلماء دع عنك العوام؟

=

الناس مما رأوا من السحرة وعصيهم، حتى موسى خاف من هول ما رأى من صنيع السحرة.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾(١) ألقى موسى عصاه فانقلبت ثعباناً ضخماً اِلْتَهَمَ جميع ما ألقاه السحرة.

﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ ظهر الحق عند إلقائه بعصاه وبطل سحرهم، فعصا موسى قد انقلبت ثعباناً حقيقياً التهم(٢) السحر الذي جاءوا به وجعلوا الناس يرونه ثعابين قد ملأت الساحة في نظر عيونهم، وأما في الحقيقة فليست شيئاً، وهذا بخلاف عصا موسى فقد كانت ثعباناً حقيقياً أكل ما ألقاه السحرة.

﴿فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَانقَلَبُواْ صَاغِرِينَ ۝ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ عند أن

الجواب: للسحر تأثير بنص القرآن: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾ [البقرة:١٠٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق]. والذي يظهر لي أن عمل السحر لا يتم إلا بالدخول في الكفر بالله أو في الشرك به أي: أن الكفر شرط في صناعة السحر وعمله، وقد يدل على ذلك قوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:١٠٢]. ولا يصح القول بأن إثبات تأثير السحر أو تأثير الساحر كفر، وذلك لأن تأثير السحر ثابت بالنص، وكذلك تأثير الساحر بسحره: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ [البقرة:١٠٢]، وفاعل السبب فاعل المسبب شرعاً. وعلى هذا فيكون حكم الكفر لاحقاً لمن رضي عن الساحر وأيده في عمله السحر، أو أتاه ليؤلف بينه وبين زوجته أو لينقض السحر أو نحو ذلك، أما القول بتأثيره فليس كفراً كما يظهر.

(١)-**سؤال:** ما معنى: ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾؟

الجواب: أي: عصيهم وحبالهم التي قلبوها بسحرهم إلى صور الحيات.

(٢)-**سؤال:** ما هو السحر الذي التهمه ثعبان موسى هل طلاسم أو شيئاً عينياً أو نفس الحبال أو ماذا؟

الجواب: التهم ثعبان موسى عليه السلام الحبال والعصي التي وضعوا فيها السحر.

أكلت عصا موسى ما ألقاه السحرة علموا وتيقنوا أن الذي جاء به موسى ليس سحراً وأنه آية عظيمة من عند الله تعالى، فآمنوا بموسى وسجدوا لله سبحانه وتعالى؛ لأنهم عرفوا أن الذي جاء به آية من آيات الله سبحانه وتعالى.

﴿قَالُواْ آمَنَّا بِرِبِّ الْعَالَمِينَ[1] ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ فآمن السحرة وخروا سجداً لله سبحانه وتعالى من ساعتهم تلك، واستيقنوا بأن موسى نبي صادق، وأنه مرسل من عند الله.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ﴾ استنكر فرعون على السحرة لماذا آمنوا قبل أن يأذن لهم.

﴿إِنَّ هَـذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾[2] قال لهم فرعون: إنها مؤامرة بينكم وبين موسى قد فعلتموها قبل خروجكم إلى الميدان، قال فرعون ذلك أمام المشاهدين لأجل أن يخدعهم، ولأجل ألا ينخدع الحاضرون بما حصل ويصدقوا بموسى كما صدق السحرة وآمنوا، وهو في الحقيقة قد عرف أن ما جاء به موسى هو الحق والصدق، وإنما قال هذا القول أمام الجماهير خوفاً أن يؤمنوا بموسى عليه السلام، ويسيطروا على البلاد، وهذا معنى قوله: ﴿لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا﴾.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ سوف أجازيكم على هذا الذي فعلتموه أنتم وموسى لتستولوا على البلاد.

﴿لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ[3] ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾﴾

---

(١)-**سؤال:** ما الوجه في فصل الجملة: ﴿قَالُواْ آمَنَّا بِرِبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾﴾؟

الجواب: فصلت لأنها مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر ناشئ عن سجودهم.

(٢)-**سؤال:** ما الوجه في فصل: ﴿إِنَّ هَـذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ﴾ عما قبله مع أنه من قول فرعون؟

الجواب: الوجه في الفصل أن الجملة الأولى إنشائية وهذه خبرية، فبين الجملتين كمال الانفصال.

(٣)-**سؤال:** بماذا تعلق قوله: ﴿مِّنْ خِلاَفٍ﴾؟

الجواب: متعلق بمحذوف حال من: ﴿أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم﴾ أي: مختلفة من طرف يد ومن طرف رجل.

توعد فرعون السحرة الذين آمنوا بقطع أيديهم وأرجلهم اليد اليمنى والرجل اليسرى، وبتسميرهم على جذوع النخل ونفذ فيهم ذلك التهديد الظالم.

﴿قَالُواْ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴿١٢٥﴾﴾(١) قال السحرة بعدما آمنوا: نحن لا نخاف منك ومن بطشك، فسنرجع إلى الله سبحانه وتعالى، وسيجازينا ويثيبنا، ويعاقبك ويعذبك، فقد استحكم الإيمان في قلوبهم، وثبتوا على دينهم، وأخلصوا لله سبحانه وتعالى.

﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءتْنَا﴾ الذي كرهته ونقمته علينا هو أننا آمنا بالله سبحانه وتعالى حين جاءتنا آياته، والإيمان بالله سبحانه وتعالى لا يعد جريمة، فافعل ما بدا لك.

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴿١٢٦﴾﴾(٢) يدعون الله سبحانه وتعالى أن يثبتهم على دينه، ويعينهم على الصبر على تعذيب فرعون، وفعلاً قد عذبهم فرعون

---

(١)-**سؤال:** يقال: كيف تهيأ للسحرة هذا الإيمان الراسخ من مجرد هذا الموقف؟

الجواب: تهيأ لهم ذلك الإيمان الراسخ لرؤيتهم الآية، التي جاء بها موسى فأكلت سحرهم العظيم. وكان قد اشتهر في مصر ما يدعو إليه موسى عليه السلام من الإيمان بالله وباليوم الآخر، وبما وعد الله فيه من الثواب العظيم والعذاب الأليم و.. إلخ، فلما رأوا الآية العظيمة علموا أنه صادق فيما ادعاه من النبوة والرسالة، وأن دين فرعون وقومه دين باطل فدخلوا في الإيمان والدين على يقين ثابت وعلم راسخ.

سؤال: هل كان يجوز للسحرة أن ينطقوا بالكفر مع وعيد فرعون هذا وهم مطمئنون بالإيمان كما فعل عمار بن ياسر؟ وإذا جاز لهم فأي الأمرين أولى؟

الجواب: الذي يظهر -والله أعلم- أنه كان يجوز لهم أن ينطقوا بكلمة الكفر كما فعل عمار، وذلك لظاهر قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ...﴾ [النحل:١٠٦]، وما فعلوه هو الأولى؛ لأن فعل العزيمة أفضل من فعل الرخصة من حيث كونها رخصة، ولأن فيما فعلوا تأييداً لدعوة موسى عليه السلام وتصديقاً له وتوهيناً لما يدعيه فرعون.

(٢)-**سؤال:** ما النكتة في التعبير هذا: ﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً﴾؟

الجواب: النكتة هي ما فيه من الإيحاء بحاجتهم إلى الصبر الكثير، وأن صبرهم قد نفد أو كاد، مع إبراز هذا المعنى في صورة محسوسة تكاد ترى بالعين.

وصلبهم وقتلهم، وقد صبروا وثبتوا رحمة الله عليهم.

﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ﴾ وهم وزراؤه وندماؤه وأهل مجلسه.

﴿أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ(١) فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ هل ستترك موسى وبني إسرائيل يدعون الناس إلى دينهم، ويفسدون في الأرض، ويتركون دينك وآلهتك.

﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ وَنَسْتَحْيِـي نِسَاءهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴿١٢٧﴾﴾(٢) قال فرعون: سأستمر على القتل فيهم، ومن ولد له مولود منهم فسأقتله، وسأسبي نساءهم(٣)، وهذا حين عرف من الكهنة أنه سيولد مولود من بني إسرائيل يكون هلاكه على يديه.

فمكث على القتل بعد الذي حصل بين موسى والسحرة ليوهم الناس أن موسى ليس إلا ساحراً، وليس هو المولود الذي ذكر الكهنة أن هلاك آل فرعون على يديه؛ لأنه كان قد اشتهر بين الناس قصة الكهنة مع فرعون، وما سيحصل له؛ لأنهم إذا عرفوا أنه موسى فسيؤمنون به ويتركون فرعون، فسنقتلهم لأنهم تحت سيطرتنا ونحن قاهرون لهم ومتمكنون منهم.

---

(١)-**سؤال:** ما معنى اللام الداخلة على الفعل «يفسدوا»؟

الجواب: معناها التعليل المجازي «لام العاقبة».

(٢)-**سؤال:** كيف عطفت الاسمية: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴿١٢٧﴾﴾ على الفعلية: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ﴾؟ أم أن الواو ليست عاطفة؟

الجواب: الواو اعتراضية، والجملة معترضة لتأكيد الكلام السابق «تذييل».

(٣)-**سؤال:** يقال: أصل الاستحياء: ترك النساء على الحياة، فكيف يوجه المعنى حتى صار: إبقاءهن سبايا للخدمة؟

الجواب: المقصود أنه كان يمتهن النساء في الخدمة، ويطلب سلامتهن من القتل لهذا الغرض، بدليل الألف والسين والتاء فإنها للطلب بمعنى أنه كان يقصد ويتعمد حياتهن.

﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُواْ[١] إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴿١٢٨﴾﴾ أمر موسى قومه أن يطلبوا الإعانة من الله سبحانه وتعالى، وأن يصبروا على البلاء الذي يلحقهم من فرعون، فالعاقبة ستكون لهم، وأخبرهم أنهم سيرثون الأرض في آخر الأمر، وأن النصر سيكون حليفهم، فما عليهم إلا أن يصبروا والفرج لا يأتي إلا بعد الصبر.

﴿قَالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ قالت بنو إسرائيل لموسى شاكية إليه: نحن تحت سيطرة فرعون وظلمه من قبل أن تأتينا يا موسى ومن بعدما جئتنا.

﴿قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾[٢] قال موسى هذا القول لبني إسرائيل لأن الله سبحانه وتعالى قد وعده بأنه سينصره وسيهلك فرعون ومن معه، وقد اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن النصر والظفر لا يأتي للأنبياء إلا بعد ابتلاء وتمحيص وطول مدة.

---

(١)-**سؤال:** يقال: هل تدل الآية على أن الصبر على ظلم الطاغية وعدم قتاله قد يكون الخيار الوحيد أمام طائفة الحق في بعض الظروف، بل وسبباً في النجاح والظفر وإهلاك الطاغية وإبادته خصوصاً مع قوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف:١٣٧]؟

الجواب: الصبر هو الخيار الوحيد في بعض الظروف، وذلك نحو الظروف التي كان عليها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأصحابه في مكة قبل الهجرة: ﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [النساء:٧٧]، فلو أنهم في تلك الحال دافعوا ظلم المشركين وأذاهم بالسيف لاستأصلهم المشركون لكثرة المشركين وقوتهم وكثرة عتادهم، ولضعف النبي وأصحابه في تلك الحال، وعاقبة الصبر محمودة ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾.

(٢)-**سؤال:** هل قال موسى ذلك على سبيل الترجي أم على سبيل القطع؟

الجواب: قال ذلك على سبيل القطع بدليل: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴿٤٨﴾﴾ [طه].

﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[(١)] سيهلك الله تعالى عدوكم فرعون، وستخلفونه في الأرض؛ ليختبركم كيف سيكون حالكم عندما يمكنكم فيها؟ هل ستطيعونه، أم ستعصونه وتفعلون مثل فرعون ومن سبقه، ممن تمردوا وعاثوا في الأرض فساداً؟

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ[(٢)] فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ بعد قصة موسى والسحرة استمر فرعون في قتل أبناء بني إسرائيل وظلمهم وقهرهم، ثم إن الله سبحانه وتعالى ابتلاه مع قومه بالجدب وقلة الأمطار- لعلهم يتراجعون عن كفرهم وتمردهم ويرجعون إليه سبحانه.

﴿فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ﴾ عندما أرسل الله سبحانه وتعالى موسى إلى آل فرعون وقد مكث في دعائهم إلى الله سبحانه وتعالى نحواً من أربعين سنة فكانوا إن أصابهم خير وأمطار قالوا: لم ينزل علينا هذا الخير إلا لأنا نستحقه ونحن أهل لذلك، وإن أصابهم جدب أو مرض أو نقص في الأمطار والثمار قالوا: هذا من شؤم موسى وأصحابه.

﴿أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ[(٣)] عِندَ اللَّهُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ أخبر الله

---

(١)-**سؤال:** ما موقع «كيف» الإعرابي؟

الجواب: موقعها النصب على أنها مفعول مطلق مقدم.

(٢)-**سؤال:** هل المقصود بآل فرعون أقاربه أم أتباعه؟ وهل ذلك حقيقة أم مجاز؟

الجواب: المراد بآل فرعون أتباعه، والآل يطلق على الأتباع: «إن آل كسرى يجزون لحاهم» وهو إطلاق مجازي؛ لأن المتبادر من إطلاق الآل الأقارب، والتبادر علامة الحقيقة.

(٣)-**سؤال:** لماذا استخدم في الرد عليهم كلمة ﴿طَائِرُهُمْ﴾ ؟ هل لأجل عادة العرب في التشاؤم بالطائر؟ أم لشيء آخر؟

الجواب: استعمل «طائرهم» في الرد لأنها بمعنى: «شؤمهم» في لغتهم واستعمالهم، وقد صار ذلك حقيقة عرفية.

سبحانه وتعالىٰ أن شؤمهم من عند الله سبحانه وتعالىٰ، وأنه إنما يجازيهم علىٰ سوء أعمالهم، وهم يظنون مع ذلك أنهم في خير العمل.

﴿وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن آيَةٍ[1] لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴿١٣٢﴾﴾ قال آل فرعون لموسىٰ: لن نصدقك مهما أتيت به من الآيات، ولن نؤمن بك، فلا تتعب نفسك.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ﴿١٣٣﴾﴾ أرسل الله عليهم هذه الآيات لأجل أن يذكَّروا ويرجعوا إليه، فأرسل الله سبحانه وتعالىٰ عليهم الطوفان وهو فيضان ماء النهر؛ فأفسد مزارعهم ولحق ضرره ببيوتهم وحيواناتهم، ثم أرسل عليهم الجراد تأكل مزارعهم وثمارهم؛ وأهل مصر كانوا أهل زراعة، وكانوا علىٰ طرف النيل، ثم أرسل عليهم القمل يؤذيهم ويقلقهم، ثم أرسل الضفادع فكثرت عليهم، ثم أرسل عليهم الدم، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم بكيفية تعذيبهم بالدم، وقد يكون بالنزيف عن طريق الأنف[2].

وهذه الآيات[3] التي أرسلها الله سبحانه وتعالىٰ عليهم كانت كل واحدة تلو

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿مِن آيَةٍ﴾؟

الجواب: جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من الضمير المجرور في «به» العائد إلىٰ «مهما»، وبهذا الحال يرتفع الإبهام الذي في «مهما».

(٢)-**سؤال:** قد نسمع أن تعذيبهم بالدم مثل تعذيبهم بالضفادع يأتي في مأكلهم ومشربهم، فما رأيكم؟

الجواب: ليس هناك ما يركن عليه في كيفية تعذيبهم بالدم؛ لذلك فما ذكرتم محتمل، وما ذكرناه محتمل، وقد يكون علىٰ خلاف ذلك، والله أعلم.

(٣)-**سؤال:** ذكر الله تعالىٰ هنا خمس آيات وفي سورة الإسراء أنها تسع آيات، فما هي البقية؟

الجواب: هذه خمس والعصا واليد، هذه السبع كانت آيات لبني إسرائيل ولآل فرعون، ويلحق بذلك حلُّ عقدة لسان موسىٰ عليه السلام فقد كان آل فرعون وبنو إسرائيل عالمين بما في لسانه =

الأخرى، فلا يخرجون من محنة إلا وتبعتها الأخرى، ولكنهم استكبروا على الله سبحانه وتعالى ولم تنفع فيهم هذه المصائب، ولم يتواضعوا لربهم ويعلموا أنه قادر عليهم متى أراد، ومكثوا على كفرهم وتمردهم وإجرامهم وعصيانهم له سبحانه وتعالى.

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُواْ يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ[1] عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ[2] لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴿١٣٤﴾﴾ كلما وقع عليهم آية أو محنة من تلك التي قد ذكرها الله سبحانه وتعالى وقصها في الآية السابقة قالوا لموسى: ادع لنا الله سبحانه وتعالى أن يكشف عنا هذه المحنة، ونحن سنؤمن لك، وسنعطيك بني إسرائيل تأخذهم معك.

من العقدة التي تحبسه عن الكلام، فلما أكرمه الله تعالى بالنبوة أزالها الله تعالى حين دعاه موسى، والتاسعة أنه ألقى عصاه يوم الزينة «العيد» في محفل عظيم، فأكلت كل ما ألقاه السحرة في الساحة من الحبال والعصي، وكان كماً عظيماً مهيباً مرعباً سحروا به أعين الناس، وجاءوا بسحر عظيم، وهذه الآية هي آية أخرى غير قلب العصا حية، والدليل: أن السحرة آمنوا في ذلك المحفل الكبير حين رأوا ما صنعت عصا موسى من أكل سحرهم. وقد يكون فلق البحر لموسى بعصاه هي الآية التاسعة لأنها كانت آية لأهل مصر ولبني إسرائيل. وأما إنزال المن والسلوى، وتظليل بني إسرائيل بالغمام، وانبجاس الحجر بالماء بضربه بعصاه، وإحياء بني إسرائيل الذين أماتهم الله بالصاعقة، فليست من التسع الآيات؛ لأنها خاصة لبني إسرائيل، والتسع هي لأهل مصر وبني إسرائيل، بدليل قوله بعد مجيء موسى بالتسع الآيات: ﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَامُوسَى مَسْحُورًا﴿١٠١﴾﴾ [الإسراء].

(١)-**سؤال:** قوله: ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ هل هو متعلق بما قبله أم بما بعده؟ وما هو الذي عهد عنده؟

الجواب: الأولى أن يتعلق بما قبله، والذي عهد عند موسى هو النبوة التي أكرمه الله بها، ورفع بها درجته؛ لذلك لا يرد الله دعوته لكرامته عليه، ورفيع منزلته عنده.

(٢)- **سؤال:** لماذا سمى الله عذابه رجزاً؟

الجواب: سماه رجزاً لشبهه بالرجز في كون كل منهما مكروهاً تنفر منه النفس، وفائدة الاستعارة إبراز المعقول في ذهن السامع في صورة المحسوس.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴿١٣٥﴾﴾[1] بمجرد أن يرفع الله سبحانه وتعالىٰ عنهم البلاء والمحنة يرجعون إلىٰ حالتهم التي كانوا عليها، وينكثون العهد الذي قد قطعوه لموسىٰ، وينقضونه ويرجعون علىٰ ما كانوا عليه من الكفر والعصيان، وقد أرسل الله سبحانه وتعالىٰ آياته هذه عليهم في مدة دعاء موسىٰ لهم، وهي سنون كثيرة.

﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾[2] ثم لما لم تنفع فيهم هذه الآيات انتقم الله سبحانه وتعالىٰ منهم، وأغرقهم في البحر.

﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ﴿١٣٦﴾﴾ أهلكناهم بالغرق بسبب تكذيبهم بآياتنا وغفلتهم عنها، ويسمىٰ المكان الذي غرقوا فيه خليج السويس من البحر الأحمر.

وذلك أن موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما هرب ببني اسرائيل نحو الشام سار بهم إلىٰ أن وصلوا عند البحر، فصار البحر من أمامهم وفرعون وجنوده من ورائهم يطاردونهم، ثم إن الله سبحانه وتعالىٰ أوحىٰ إلىٰ نبيه أن يضرب بعصاه البحر فانفلقت له طريق في وسطه، وسار بقومه، ثم إن فرعون لحق به فما إن توسط البحر هو وقومه انطبق عليهم، وغرق هو ومن معه بعد أن نجىٰ الله سبحانه وتعالىٰ موسىٰ ومن معه، وكان المفترض بفرعون عندما رأىٰ هذه المعجزة لموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وانفلاق البحر أن يؤمن عند رؤيته لذلك، ولكن الكبر قد غطىٰ قلبه، والمعاصي قد

---

(١)-**سؤال:** ما معنىٰ قوله: ﴿إِلَى أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ﴾؟

الجواب: كشف الله تعالىٰ عنهم العذاب ورفعه عنهم إلىٰ أن حل الأجل الذي قضىٰ الله تعالىٰ أن يعذبهم فيه فلما حل هذا الأجل نكثوا عهودهم التي أعطوها موسىٰ علىٰ الإيمان فكفروا ولم يبالوا بها.

(٢)-**سؤال:** يقال: ظاهر الآية إغراقهم عقيب الانتقام منهم، وهو في الواقع نفسه، فكيف؟

الجواب: قد يقال: إن الفاء للتفصيل، وهو واضح هنا.

تمكنت فيه، وبقي على كفره، فعذبه الله سبحانه وتعالى بالغرق هو ومن معه.

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ وهم بنو إسرائيل كانوا مستضعفين تحت سيطرة فرعون، وكان مستعبداً لهم.

﴿مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ المغارب هي أرض الشام، وقد بارك الله سبحانه وتعالى في أرضها فكانت أرضاً خصبة، ومشارقها(١) هو ما يلي أرض الشام من العراق، وهي مخططة لليهود في توراتهم(٢)، ولا يزالون يدَّعون أنها لهم من عهد موسى.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ حصل وعد الله سبحانه وتعالى لهم بالنصر والظفر والتمكن في الأرض والاستخلاف فيها، وذلك بسبب صبرهم على ما نزل عليهم من البلاء والظلم من فرعون، وصبرهم على إيمانهم، ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ﴾ [يونس٨٣]، يعني: أنهم لم يؤمنوا لموسى إلا بتعب ومشقة؛ لأنهم كانوا خائفين من فرعون وبطشه.

---

(١)-**سؤال:** يقال: لماذا أطلق على العراق والشام مشارق الأرض ومغاربها؟

الجواب: أطلق ذلك لأن الشمس تشرق كل يوم من مكان غير المكان الذي طلعت منه في اليوم الأول، وهكذا في غروبها.

(٢)- **سؤال:** هل يعني التخطيط في توراتهم أنه مأذون لهم بسكناها؟ أم ماذا؟

الجواب: المعنى أن الله تعالى جعلها لهم، وملكهم إياها، وأذن لهم أن ينتزعوها من أيدي أهلها الكافرين، وهذا معنى قوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا...﴾ أي: أن الله جعل مشارق الأرض ومغاربها إرثاً لبني إسرائيل وهذا كما قال الله تعالى للصحابة: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا...﴾ [الأحزاب:٢٧]، إلا أن ذلك مرهون بالاستقامة على طاعة الله وامتثال أمره. أما مع الإصرار على معصية الله فلا يستحقون ما كتب لهم، وذلك لأن الله كتب لهم ما كتب ثواباً وأجراً عاجلاً في الدنيا بما صبروا؛ ﴿لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة]، ومع ارتكاب كبائر الذنوب يبطل الثواب ويحبط الأجر وتنعكس النتيجة من الثواب إلى العقاب.

﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾ أهلك الله سبحانه وتعالى فرعون ودمر مملكته ودمر أرض مصر وأهلك زرعها وثمرها وبخس خيراتها، وقد كان أهل مصر أصحاب صناعة وكانت الصناعة رائجة ومتطورة في ذلك العصر والدليل على ذلك هو ذلك العجل الذي صنعه لهم السامري، وكان لهذا العجل خوار وصوت، وكذلك الأهرامات التي بناها الفراعنة تدل على أنهم كانوا أهل حضارة وأهل تقدم وتطور.

وذهبت مملكة فرعون وانتهت، وقوله ﴿وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾ فيه دلالة على أنهم كانوا يزرعون العنب؛ إذ كانوا يعرشون أغصانه على قواعد يجعلونها تمتد عليها، ويزيد ذلك دلالة قوله تعالى في أهل مصر: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف٤٩]، فهو يدل أيضا على أنهم كانوا يعتمدون في معيشتهم على زراعته.

﴿وَجَاوَزْنَا[1] بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ يعني به لما خرجت بنو إسرائيل من البحر.

﴿فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ مروا في طريقهم على قوم يعبدون الأصنام.

﴿قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ طلبوا من نبيهم موسى عليه السلام أن يصنع لهم إلهاً يعبدونه مثل أولئك القوم، قالوا ذلك وأرجلهم لا زالت خضراء من ماء البحر كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام.

﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ فقال لهم موسى عليه السلام أنتم أهل جهالة عظيمة وكبيرة، كيف تقولون هذا القول وأنتم لم تخرجوا إلا هذه اللحظة؟ ولا زلتم قريبي العهد بمشاهدة آيات الله ومعجزاته التي تدل على قدرته وعظمته وربوبيته، ووبخهم موسى عليه السلام أشد التوبيخ على طلبهم هذا، وعنفهم على قولهم هذا.

---

(١)-**سؤال:** ما الوجه في نسبة المجاوزة إليه سبحانه وتعالى؟

الجواب: نسبت إليه تعالى لما كانت بأمره وتدبيره.

﴿إِنَّ هَـؤُلاء مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ وهؤلاء القوم الذين يعبدون الأصنام إنما هم في باطل، ودينهم هذا ليس دين حق وإنما هو دين ضلال وكفر، وعبادتهم هذه باطلة. ومعنى «متبر» مدمر ومكسر.

﴿قَالَ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـهاً وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أتريدونني أن أدلكم على إله غير الله تعبدونه، وقد فضلكم واصطفاكم على العالمين؟ استنكر موسى عليهم من قولهم ذلك، وكيف يتخذ لهم إلها غير الله سبحانه وتعالى يعبدونه؟! الذي أنقذهم من ظلم فرعون وشق لهم البحر وفضلهم على العالمين.

﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَونَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ[(١)] يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء[(٢)] مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ اذكروا نعمة الله سبحانه وتعالى عليكم هذه، وهي أن الله سبحانه وتعالى قد أنجاكم من آل فرعون كانوا يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم، وأي نعمة أكبر من هذه التي أنعم الله سبحانه وتعالى بها عليكم؟

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ واعد الله تعالى موسى ثلاثين ليلة، ثم مدَّد الله سبحانه وتعالى المهلة لموسى إلى أربعين ليلة؛ ليذهب موسى والسبعون الذين معه من بني إسرائيل إلى الطور؛ ليسمعوا كلام الله سبحانه وتعالى الذي هو التوراة، ويكتبوه في هذه المدة (أربعين ليلة)، وهؤلاء السبعون قد اختارهم موسى عليه السلام من خيار بني إسرائيل، وذلك

---

(١)-**سؤال:** ما معنى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ﴾؟ وما محل جملة: ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءكُمْ﴾؟
الجواب: المعنى: يبغونكم أشد العذاب. ولا محل لجملة: ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءكُمْ﴾ لأنها منزلة منزلة عطف البيان للجملة الأولى، ولا محل للجملة الأولى لأنها مستأنفة استئنافاً بيانياً.

(٢)-**سؤال:** ما معنى ﴿بَلاء﴾ في الآية؟ والإشارة بـ﴿ذَلِكُم﴾ إلى ماذا؟
الجواب: في الكشاف: البلاء النعمة أو المحنة، وذلكم: إشارة إلى الإنجاء أو العذاب «المحنة».

ليكونوا شهوداً عند بقية بني إسرائيل على أنهم قد سمعوا كلام الله سبحانه وتعالى، وأن موسى عليه السلام قد جاء به من عند الله سبحانه وتعالى، وكان موسى عليه السلام قد اختارهم لأنه كان يعلم أنهم سينكرون فيما بعد أنه من عند الله سبحانه وتعالى، وأنه إنما يفتري عليهم الكذب، لأن عادتهم التمرد والجحود.

﴿وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ١٤٢﴾ أمر موسى أخاه هارون بأن يلبث بين بني إسرائيل ليخلفه فيهم، ويقوم عليهم ويرعاهم في غيبته، ويصلح أمورهم إلى أن يرجع بعد أن يكتب التوراة.

﴿وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي﴾ طلب بنو إسرائيل موسى أن يريهم(١) الله سبحانه وتعالى عياناً، وإلا فلن يؤمنوا، فسأل موسى عليه السلام ربه هذا السؤال، وطلب أن يريه الله سبحانه وتعالى نفسه فأجاب الله تعالى فقال: ﴿لَن تَرَانِي﴾.

ولم يسأل موسى هذا السؤال إلا لأجل أن يتأكد بنو إسرائيل أنها لا تصح ولا تجوز الرؤية عليه، وليتيقنوا أنه لا يمكن ذلك، وأما في نفسه فهو يعلم علم اليقين أنه لا يصح، وأن الرؤية لا تجوز عليه سبحانه وتعالى، وسؤالهم هذا من أكبر الكبائر، قال تعالى: ﴿فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُواْ أَرِنَا اللّهِ جَهْرَةً﴾ [النساء١٥٣](٢).

---

(١)-**سؤال:** يقال: للإمام الهادي عليه السلام كلام واسع مفاده أنه لم يطلب إلا آية لا الرؤية نفسها، فكيف؟

الجواب: موسى عليه السلام -وإن قال- ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ لم يرد طلب رؤية الله تعالى لعلمه باستحالة ذلك، وإنما قال ذلك ليَردّ الله على بني إسرائيل رداً شافياً، فكان الرد من الله على بني إسرائيل بصاعقة أنزلها الله تعالى بهم صعقتهم فماتوا.

(٢)-**سؤال:** قد يقال: لو كان سؤالهم كبيراً في العقول لأجاب عليهم بمثل ما أجاب به عليهم في الآية السابقة: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَـهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ١٣٨﴾، فكيف؟

الجواب: قد أجاب موسى عليه السلام عليهم ولم يقتنعوا منه بجواب، كما اقتنعوا فيما سبق لهم من السؤالات، بل أصروا غاية الإصرار على مطلبهم وقالوا له: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة:٥٥]، فأقنعوه أنهم سيكفرون به وبكل ما جاء به، إذا لم يسعفهم في مطلبهم الرؤية.

﴿وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ انظر إلى ذلك الجبل فإن ثبت مكانه- فسوف تراني.

﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً﴾ فلما توجه إليه بقدرته، وأراد أن يدك هذا الجبل دكه، وحين رأى موسى ذلك خر مغشياً عليه، ومات جميع قومه عندها، ولكن الله سبحانه وتعالى قد بعثهم بعد ذلك وأحياهم من جديد، نعمة أنعم بها عليهم وخصهم بها.

﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴿١٤٣﴾﴾ فلما أفاق موسى عليه السلام من صعقته قال: أنزهك يا الله عن الرؤية وجوازها عليك، وأنا تائب إليك من طلبي هذا لأنه معصية، وأنا أول من آمن بك فتب علي.

توسل موسى عليه السلام إلى ربه بأن يقبل توبته؛ لأنه أول من آمن به ونزهه.

﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي﴾ بعدما أفاق موسى من الصعقة اعتذر إلى الله تعالى من السؤال قال الله تعالى له: إني اخترتك على الناس واختصصتك برسالاتي وبكلامي.

﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴿١٤٤﴾﴾ فنفذ ما أمرتك به على أحسن وجه، وكن من الشاكرين لهذه النعمة العظيمة التي أنعمت بها عليك.

﴿وَكَتَبْنَا(١) لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾(٢) كتب موسى والسبعون الذين معه التوراة في الألواح في مدة الأربعين الليلة، وفيها الشرائع والأحكام والمواعظ والعلم والحكمة، ﴿مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ فيها تفصيل كل الأحكام والشرائع، ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ اعمل بها بجد واجتهاد، ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ

---

(١)-**سؤال:** ما العلة في نسبة الكتابة إلى الله سبحانه؟

الجواب: لأنها كتبت بأمره وإرادته.

(٢)- **سؤال:** بم تعلق: ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾؟ وهل قام مقام المفعول به، فـ﴿مَّوْعِظَةً﴾ ما يكون؟

الجواب: «من كل شيء» في محل المفعول به، ومحله النصب. وموعظة: بدل منه.

بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴿١٤٥﴾[(١)] أمر الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام أن يأمر قومه بأن يعملوا ويأخذوا بالأحسن منها؛ لأنه كان في شريعته الرخص والعزائم[(٢)]، والعزيمة أفضل من الرخصة، فأوحى إليه الله سبحانه وتعالى أن يأمرهم بالأفضل، وكان قد أنزل على موسى عليه السلام أنه سيأمرهم أن يدخلوا الأرض المقدسة، فأخبر الله سبحانه وتعالى هنا أنه سيريهم هذه الأرض، وسوف يدخلونها ويسكنونها، وهي أرض العمالقة.

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[(٣)] فالمتكبرون عن الحق لن يفهموا الأحكام التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على نبيه موسى عليه السلام، ولن يفهموا شرائعه، وسيصرفها الله سبحانه وتعالى عنهم؛ لأنه لا يوفق لفهم آياته وأحكامه إلا أولئك المتواضعون له ولما جاء به.

﴿وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا﴾ لشدة عنادهم وتمردهم وشدة كبرهم إذا رأوا الآيات كفروا بها.

---

(١)-**سؤال:** يقال: هنا سماها ﴿دَارَ الْفَاسِقِينَ﴿١٤٥﴾﴾ وهناك الأرض المقدسة فكيف؟

الجواب: لا منافاة بين الوصفين فهي أرض مقدسة، وسكانها فاسقون في ذلك الحين، وتماماً كمكة هي أرض مقدسة وكانت داراً للمشركين إلى يوم فتحها.

(٢)-**سؤال:** من أين استفدنا أن في شريعته الرخص والعزائم؟

الجواب: استفدنا ذلك من حيث أن الحكمة تقتضي الفرق بين تكليف المريض والصحيح، والتفريق بين حالة الضرورة والاختيار ونحو ذلك. وقد يستفاد ذلك من قوله: ﴿بِأَحْسَنِهَا﴾ فإنه يفيد أن فيها حسناً وأحسن منه.

(٣)-**سؤال:** ما المراد بصرفهم عن آيات الله، فقد يستدل به المخالفون على إرادة الله لكفرهم؟ أم أن المراد به صرف التوفيق الزائد في فهمها عن هؤلاء؟

الجواب: الذي صرفه الله تعالى عن المتكبرين هو التوفيق والتنوير الذي يعطيه لأوليائه ثواباً على تواضعهم لقبول الحق من ربهم. وأما العقل الكافي الذي لا يتم التكليف إلا به فقد آتاهم الله ذلك، إلا أنهم لتكبرهم لم يلتفتوا لدواعي عقولهم التي تدعوهم إلى الرشد والفلاح.

﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً﴾ إذا رأوا الحق وعلموا أن هذه هي طريقه انصرفوا عنه ورفضوا الدخول فيه.

﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً﴾ فهذه أوصاف المتكبرين الذين سيصرف الله سبحانه وتعالىٰ عنهم آياته وفهمها، وسبيل الغي: هي سبيل الضلال.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ﴿١٤٦﴾﴾ صرفهم عن آيات الله وفهمها والعلم بها هو بسبب تكذيبهم بها وتوغلهم في اتباع الأهواء والشهوات فهم لذلك يسلكون سبيل الغي ويتركون سبيل الرشاد لأجل تكذيبهم بآيات الله سبحانه وتعالىٰ وغفلتهم عنها.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَلِقَاء الآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ فهؤلاء ولو عملوا أعمال البر فلن تقبل منهم، ولن يقبل الله سبحانه وتعالىٰ منهم أي بر ما داموا مكذبين بالله وبآياته ومستكبرين عنها.

﴿هَلْ[1] يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴿١٤٧﴾﴾ فالله سبحانه وتعالىٰ لن يظلمهم عندما يعذبهم؛ لأنهم قد استحقوا العذاب بسبب أعمالهم، وليس إلا جزاءً عليها.

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ[2] عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ﴾ عندما ذهب موسىٰ عليه السلام لميقات ربه إلىٰ الطور ليكتب التوراة لبني إسرائيل- قام بنو إسرائيل بصنع تمثال علىٰ هيئة العجل ليعبدوه، ويتخذوه إلهاً من دون الله سبحانه

---

(١)-**سؤال:** ما معنىٰ «هل» في الآية؟

الجواب: خرجت عن معنىٰ الاستفهام هنا وصارت للنفي.

(٢)-**سؤال:** قوله: ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ هل معناه أنهم صنعوا التمثال من الذهب والفضة أم ماذا؟

الجواب: نعم، صنعوا العجل من الحلي «الذهب والفضة».

سؤال: ما إعراب: ﴿جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ﴾؟

الجواب: جسداً: بدل من «عجلاً». «له خوار»: مبتدأ وخبر، والجملة في محل نصب صفة لـ«جسداً».

وتعالىٰ، وادعوا أنه إلههم وإله موسىٰ، فانظر لشدة تمردهم علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ؛ فما إن غاب نبيهم عنهم حتىٰ رجعوا إلىٰ الكفر والشرك، وحنُّوا إلىٰ عاداتهم القديمة، وهذا مع معرفتهم بصدق نبوة موسىٰ عليه السلام وصدق ما جاءهم به، ومعرفتهم بالله سبحانه وتعالىٰ وآياته وحججه، ففي هذا أكبر دليل علىٰ أنهم يستحقون أن يعذبهم الله سبحانه وتعالىٰ أشد العذاب، وهذا العجل الذي اتخذوه وصنعوه كان له صوت مثل صوت البقرة[1].

﴿أَلَمْ[2] يَرَوْاْ أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً﴾ وإنما يصدر منه الخوار فقط، فلا ينفعهم ولا يضرهم بشيء، ولا يملك من صفات الإلهية شيئاً.

﴿اتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَالِمِينَ﴿١٤٨﴾﴾[3] كانوا ظالمين بسبب عبادته من دون الله سبحانه وتعالىٰ؛ وذلك لأن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، وهم قد وضعوا العبادة لمن لا يستحقها، فسماهم الله ظالمين بسبب هذا.

---

(١)-**سؤال:** هل ما ورد في بعض التفاسير بأن هذا الجسد كان به حياة حصلت من التبرك بآثار جبريل: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ [طه:٩٦]- صحيح؟

الجواب: ليس ذلك بصحيح، وليس لجبريل فرس، وليس جبريل عليه السلام جسماً له ثقل يحتاج إلىٰ أن يحمل عليه، فالملائكة أرواح ذوو أجنحة مثنىٰ وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء، ومعنىٰ: «ذوي أجنحة»: أن الله تعالىٰ جعل للملائكة قوة علىٰ قطع المسافات الفضائية بين السماوات والأرض، وبين سماء وسماء، وبين النجوم. ولعل الصناعات كانت قد تطورت بعض التطور في مصر في ذلك الحين، وكان السامري من أهل الخبرة في الصناعة، لذلك صاغ حلي النساء، وجعل منها تمثالاً علىٰ شكل عجل، وجعل في جوفة آلة تصوّت.

(٢)-**سؤال:** ما معنىٰ الاستفهام في هذه الآية: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ﴾؟

الجواب: يصح أن يقال: إنه استفهام إنكاري، ويصح أن يقال: إنه استفهام تقريري لما بعد النفي.

(٣)-**سؤال:** لماذا فصلت هذه الجملة: ﴿اتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَالِمِينَ﴿١٤٨﴾﴾؟

الجواب: فصلت لأنها مستأنفة عن سؤال مقدر.

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ۝١٤٩﴾ هؤلاء الذين عبدوا العجل تابوا وندموا، وذلك بعد أن رجع إليهم موسى ووبخهم ووعظهم، وأحرق هذا العجل، وطرد السامري، فعند ذلك علموا بخطئهم فندموا عليه، ومعنى ﴿سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾: ندموا أشد الندم.

فحين تابوا تاب الله سبحانه وتعالى عليهم وقبل توبتهم، ولكن الله سبحانه وتعالى لم يقبل توبتهم إلا بشرط أن يقتلوا أنفسهم.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ رجع من ميقات ربه من جبل الطور، ورأى منهم ما كبر في نفسه، وامتلأ غيظاً وغضباً من فظاعة ما رآه منهم.

﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ﴾ بئس هذا العمل السيئ الذي فعلتموه حين ذهبت من عندكم.

﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾[1] لماذا استعجلتم ولم تنتظروا إلى أن آتيكم بحكم الله سبحانه وتعالى وأمره الذي غبت عنكم هذه المدة لأجله؟ والمراد به التوراة.

﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ﴾ من شدة الغضب ألقى من يده الألواح التي قد ذهب لكتابتها في الطور ولم يلقها استهانة بها، وإنما ألقاها لحدوث ما هو أعظم من الاهتمام بها[2].

---

(١)-**سؤال:** القياس أن يتعدى «عجل» بحرف الجر: «عجلت إليك» أو «عجل على كذا» فلماذا عُدّي بنفسه في الآية؟ وما النكتة في ذلك؟

الجواب: تعدى بنفسه لأنه ضمن معنى «سبق» المتعدي بنفسه، والنكتة في ذلك: زيادة المعنى فبالتضمين يصير عجل لمعنيين: عجل، وسبق.

(٢)-**سؤال:** قال لي شخص: أن ألقي الكتب العلمية وأرفضها لأنها أقل شأناً من الألواح التي ألقاها موسى مستدلاً بهذا، فكيف يمكن الجواب عليه؟

الجواب: ألقى موسى عليه السلام الألواح ثم أخذها قال تعالى: **﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ**

=

﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ ظنًّا(١) منه أنه قد فرط في وصيته له بإصلاح

الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴿١٥٤﴾ [الأعراف]. **وبعد**، فإن طلب الشخص منك أن تلقي الكتب العلمية من أصله مرفوض؛ لأن العلم ودراسته ومطالعة الكتب والتوغل في ذلك من أعظم مطالب سكان الكرة الأرضية، ومعرفة ما دوّن في كتب العلم القديمة والجديدة من أفضل المكاسب عندهم؛ لذلك بنيت المدارس والمعاهد والجامعات في دول العالم التي على وجه الكرة الأرضية، وفي أوربا وأمريكا تدرس العلوم الإسلامية وعلوم اللغة العربية وتاريخ الإسلام في أقسام عليا. وقد أطبق البشر على حسن العلم وقبح الجهل. وأخيراً الدعوة إلى الجهل مرفوضة من أساسها.

سؤال: يقال: هل يحق الإلقاء مع هذه العلة؟

الجواب: إلقاء موسى عليه السلام للألواح إنما كان من شدة الغضب، ومع ذلك فهو إلقاء مؤقت بوجود الغضب، فلما سكت الغضب أخذ الألواح.

(١)-**سؤال:** قد يقال: هل ظنه لتفريط أخيه يجوّز له أذية أخيه وظلمه؟ وما السر في دعائه لنفسه بالمغفرة؟

الجواب: غضب موسى عليه السلام وما ظهر منه عليه السلام من الأفعال الغاضبة هو موجه إلى عبدة العجل، وموسى وهارون عليهما السلام كالنفس الواحدة، ومع الغضب فقد يفعل الإنسان بنفسه بعض الأفعال، كعض شفته أو يده، أو يقد ثوبه، أو نحو ذلك؛ ليرهب بذلك المغضوب عليهم وليعلموا أنه قد اشتد حنقه وغضبه عليهم إلى حد يجزمون عنده أنه سيصب عليهم غضبه؛ لذلك فإن ما فعله موسى بهارون وما قال له، هو لتخويف بني إسرائيل الذين عبدوا العجل، وليس هارون عليه السلام هو المقصود. ودليل ذلك: أن الله تعالى قد أخبر موسى بما صنعه بنو إسرائيل بعد ذهابه إلى ميقات ربه: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴿٨٥﴾﴾ [طه]، لذلك قلنا: إن غضبه هو على عبدة العجل والسامري دون هارون. ومن المتوقع أن موسى عليه السلام لو وصل إليهم وهو هادئ الطبع، ووضع الألواح برفق، واستخبر هارون عن قصة ما حصل بهدوء ولين و..إلخ- لاستضعفه عبدة العجل كما استضعفوا هارون، وتغلبوا عليه واستخفُّوا به، وربما قتلوه، وحين أظهر الغضب العظيم، والتصرف الغاضب، والقول الشديد، انخلعت قلوب عَبَدَة العجل، وفزعت أشد الفزع، واستكانت لموسى، ولم تحرك ساكناً، ولا أبدت عصياناً، وقد استمر موسى على إظهار الغضب والحنق: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَاسَامِرِيُّ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً

=

بني إسرائيل ودفع المفاسد عنهم.

﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي﴾(١) قال هارون لأخيه موسى: لم أفرط فيهم، ولم أتركهم، وقد حاولت في منعهم، ولكنهم قد استضعفوني، ولم يستمعوا إلي حتى كادوا يقتلونني(٢).

﴿فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأعْدَاء﴾ لا تفعل بي ما يبعث عدوي على الشماتة بي.

﴿وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴿١٥٠﴾﴾ لا تحكم علي بالعصيان؛ فقد رفضت عملهم هذا، ونهيتهم عنه، ولكنهم لم ينتهوا.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴿١٥١﴾﴾ دعا موسى عندما عرف براءة أخيه هارون لنفسه ولأخيه هارون فقط دون بقية القوم؛

مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴿٩٧﴾﴾ [طه]، وقد يكون السامري استقل هذا من موسى بعدما رأى من غضب موسى وخشونته مع أخيه، وربما أنه توقع أن يوقع به موسى وقعة أكبر من هذه. **هذا،** وربما أن الله تعالى هو الذي دبر رسوله موسى عليه السلام أن يفعل كذلك؛ ليتغلب على عبدة العجل. وإظهار موسى عليه السلام الدعاء بالمغفرة له ولأخيه من أجل أن يبين لبني إسرائيل رضاه عن أخيه هارون، وأن غضبه عليهم دون هارون: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴿١٥١﴾﴾، ولم يصدر من موسى ذنب حتى يستغفر الله منه، وإلقاؤه الألواح وجره برأس أخيه، ليس غضباً على التوراة، ولا على أخيه، وإنما هو -كما ذكرنا- مقصود لإرعاب بني إسرائيل، وإدخال الخوف والفزع إلى قلوبهم.

(١)- **سؤال:** هل في الآية دليل قوي على جواز ترك النهي عن المنكر عند خشية القتل؟

الجواب: نعم في الآية دليل على ذلك، وقد قبل موسى عذر هارون حين اعتذر بخشية القتل في الظاهر وإن كانت الحقيقة أن هارون ليس مقصوداً بالغضب.

(٢)-**سؤال:** هل وافق موسى أخاه في اعتذاره بأنهم كادوا يقتلونه؟

الجواب: نعم وافقه وقبل عذره وصدقه وقال: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴿١٥١﴾﴾.

لأنهم كانوا قد ضلوا جميعاً السبعون[١] الذي ذهبوا معه إلى الطور لكتابة التوراة والذين تركهم عند أخيه هارون عليه السلام كلهم ضلوا وفسقوا عن أمر الله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾[٢] سيجازيهم الله سبحانه وتعالى حتى في الدنيا بسبب عصيانهم وتمردهم وكفرهم؛ لأنهم كانوا قد بلغوا الغاية في ذلك، وهذا بعد أن رأوا آيات الله الواضحة وحججه المنيرة، فقد استحقوا غضب الله سبحانه وتعالى وسخطه في الدنيا والآخرة.

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُواْ السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِهَا وَآمَنُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾﴾ مهما عمل الإنسان من المعاصي فباب التوبة مفتوح له، وهذا من رحمته جل وعلا بعباده.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ[٣] عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ[٤] يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ لما هدأ موسى وسكنت أعصابه، وعندما انتهى من قضية العجل- أخذ الألواح بعد أن كان قد ألقاها من يده، وبدأ يلقنهم

---

(١)-**سؤال:** من فضلكم بم ضل السبعون؟

الجواب: ضلوا بطلب الرؤية.

(٢)-**سؤال:** هل أشار إلى معينين بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾؟ أم المراد بهم عبدة العجل؟

الجواب: أراد الله سبحانه وتعالى بالمفترين المشركين الذين اتخذوا لهم آلهة من دون الله.

(٣)- **سؤال:** ما العلة في تعبيره عن سكون الغضب بالسكوت؟

الجواب: ليدل بذلك على بلوغ الغضب غايته في موسى فكأن الغضب هو الذي يتكلم ويقول ويفعل، وكأن الناس «عبدة العجل» لم يروا إلا الغضب يهدر عليهم ويتوجه إليهم.

(٤)- **سؤال:** ما فائدة اللام التي دخلت على «ربهم»؟

الجواب: فائدتها تقوية التعدي فكأن الفعل ضعف عن نصب المفعول لما تقدم عليه فجيء باللام لتعدي الفعل وتوصله إلى المفعول به المتقدم عليه، ولو لم يتقدم عليه لتعدى إليه بنفسه من غير لام.

ويعلمهم ما شرع الله سبحانه وتعالى لهم فيها من الأحكام والشرائع التي فيها هداهم، إلا أنه لا ينتفع بها إلا الذين يخافون ربهم ويخشونه.

﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا﴾ لما حضر الوقت الذي حدده الله تعالى لموسى ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ ليكتب له التوراة، اختار موسى من بني إسرائيل سبعين رجلاً من خيارهم ليصحبوه إلى المكان الذي عينه الله تعالى لكتابة التوراة ليسمعوا كلام الله ويشهدوا على كتابتها وأنها من الله، وكان ذلك عند طور سيناء، وقد ذكر الله تعالى طور سيناء في مواضع كثيرة من القرآن وأقسم به في قوله: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣﴾ [التين]، وفي قوله: ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ۝٣﴾ [الطور]، فأقسم الله تعالى بالطور وبالتوراة التي كتبت عنده.

وقوله: «لميقاتنا» يراد به المكان والزمان.

فلما حصل من السبعين المختارين ما حصل من الإلحاح في طلب رؤية الله العلي العظيم أنزل الله تعالى بهم عذابه، وقد سمى الله تعالى هنا العذاب بالرجفة وسماه في آية أخرى بالصاعقة، وعند نزول العذاب بهم قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ﴾ والمعنى: أن موسى عندما رأى العذاب تمنى -إذا كان الله قد أراده وشاءه- أنه كان قد نزل قبل ذلك الوقت وفي غير هذا المكان المقدس، وفي غير حضرة العلي العظيم، وفي حال القرب منه وسماع كلامه، كأن موسى استعظم نزول العذاب في ذلك المكان القريب المقدس، وفي حال سماع كلام الله، وفي حال القرب منه جل وعلا، وتمنى أن يرحمهم الله كعادته معهم فيما مضى.

أو أن تمني موسى عليه السلام من أجل ما يتوقعه من بني إسرائيل حين يعود إليهم وحده فيقولون له: ذهبت بخيارنا فأهلكتهم.

وقوله: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا﴾ يعود معنى الاستفهام إلى النفي أي:

إنك يا رب عدل حكيم لا تهلكنا جميعاً، وأنا لم أفعل ما أستحق به العذاب.

كان موسى عليه السلام قد سأل الله سبحانه وتعالى الرؤية، ولم يكن سؤاله هذا لشك في نفسه تجاه ربه، وإنما السفهاء من بني إسرائيل كانوا قد ألجأوه إلى ذلك وألحوا عليه؛ لأنه عليه السلام كان يعرف الله سبحانه وتعالى حق معرفته، وأنه ليس من جنس المرئيات، وأنه ليس كمثله شيء، وإنما أراد بذلك أن يقتنعوا من عند الله سبحانه وتعالى بعدم صحة رؤيته؛ لأنه قد حاول إقناعهم ولكنه لم يفلح في ذلك؛ فأجابهم الله سبحانه وتعالى بالرجفة ودك الجبل وبصاعقة أنزلها بهم؛ ليعرفوا أن ما سألوه معصية كبيرة؛ لأن طلب رؤيته سبحانه وتعالى كفر، ولذا عذبهم الله سبحانه وتعالى بما عذب به الكافرين الذين سبقوهم من قوم شعيب وصالح وغيرهم بالصاعقة.

﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء﴾[1] عندما سمعوا كلام الله سبحانه وتعالى افتتنوا في أنفسهم، وكان ذلك اختباراً منه جل وعلا لهم؛ لأنهم لما سمعوا كلامه قالوا: ما دمنا قد سمعنا كلامه فيصح أن نراه ونشاهده، هكذا توهموا فطلبوا رؤية ربهم.

﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴿١٥٥﴾﴾ ندم موسى على سؤاله لربه هذا السؤال، وطلب منه التوبة والمغفرة.

﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَـذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً[2] وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَـا إِلَيْكَ﴾ وهذا من

---

(١)-**سؤال:** فضلاً لو فسرتم: ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء﴾؟

الجواب: جعل الله تعالى هذه الحياة الدنيا دار اختبار، والمراد بالفتنة في قوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ﴾ الاختبار، والاختبار هو من الله، وبالاختبار يتبين المطيع من العاصي والضال من المهتدي، فالضلال والهدى ناتج عن الاختبار، فالاختبار هو السبب في حصول الضلال والهدى، وجاز نسبة الإضلال إلى الله لأنه هو الذي فعل السبب «الاختبار».

(٢)-**سؤال:** ما المراد بالحسنة في قوله: ﴿فِي هَـذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾؟

الجواب: المراد بالحسنة: الهداية إلى الصراط المستقيم بزيادة التوفيق والتنوير والتسديد، والدليل =

بقية دعاء موسى عليه السلام بعد نزول الصاعقة، دعا ربه بالمغفرة والرحمة وتوسل إليه، ومعنى «هدنا إليك»: رجعنا إليك وتبنا إليك.

﴿قَالَ عَذَابِى[(١)] أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى بأن هذا هو عذابه يعذب به من يشاء، وهو سبحانه لا يعذب إلا من استحق العذاب.

﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ ورحمة الله التي وسعت كل شيء هي خاصة للذين يتقون معصية الله سبحانه وتعالى ويخافون منه، والضمير في «سأكتبها» عائد على الرحمة، والرحمة من الله سبحانه وتعالى معناها التوفيق والتسديد والهداية والدلالة[(٢)] على الخير والألطاف والسعة في الرزق والعافية

على ذلك: دعاء فاتحة الكتاب: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ۝٦﴾ وفاتحة الكتاب هي السورة الوحيدة التي فرض الله تعالى قراءتها في كل صلاة فرض عين على كل مكلف، وفيها هذا الدعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ۝٦﴾ فإن ذلك يدل على أن الهداية هي أعظم المطالب الحسنة التي يعطيها الله تعالى في الدنيا، وأولاها بالطلب. **وبعد،** فإن الهداية إلى الصراط المستقيم طلبة عظيمة يترتب عليها خير الدنيا والآخرة، وشرف الدنيا والآخرة، و..إلخ. والحسنة في الآخرة هي الجنة.

(١)-**سؤال:** هل تريدون أن «عذابي» خبر مبتدأ محذوف؟

الجواب: قد أعرب عذابي بالوجهين: مبتدأ، وخبر؛ فإن أعربناه مبتدأً فخبره الجملة بعده، وإن أعربناه خبراً لمبتدأ محذوف كانت الجملة بعده في محل نصب حال.

سؤال: هل أشير بقوله: «عذابي» إلى نزول الصاعقة؟

الجواب: نعم يشار بها إلى العذاب المعد في الدنيا للكافرين.

(٢)-**سؤال:** يقال: إذا كان معنى الرحمة: الدلالة على الخير والسعة في الرزق والعافية وطول العمر وقد حكم بأنها خاصة للمتقين فيشكل علينا شمولها للكفار والفساق ونحوهم؟ أم أن المراد بها في الآية المغفرة والثواب لقوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾؟

الجواب: رحمة الله عامة للناس جميعاً، وقوله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ المراد: فسأكتبها كتبة خاصة للمتصفين بتلك الصفات المذكورة هنا، وكأن هذه الكتبة الخاصة لبني إسرائيل لقوله في آخر الصفات: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِىَّ الأُمِّىَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِى

=

وطول العمر والبركة في المال والأولاد، والمغفرة والثواب والجنة، فهي عامة لخير الدنيا والآخرة.

﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَـاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ١٥٦﴾ فهؤلاء هم الذين يستحقون رحمة الله سبحانه وتعالى دون أولئك.

﴿الَّذِينَ(١) يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ﴾ لا يعطي رحمته إلا لأهل هذه الصفات، ومن جملتها اتباع النبي محمد ﷺ فهم مأمورون باتباع الرسول ﷺ من عهد موسى، وكان ذلك مما قرأه عليهم فيها وأمرهم به وبالإيمان به متى بعثه الله سبحانه وتعالى لذلك خرج اليهود من الشام مهاجرين إلى يثرب (المدينة المنورة) فسكنوا فيها وحولها منتظرين بعث النبي محمد ﷺ ليؤمنوا به وينصروه ويقاتلوا بين يديه فلما بعثه الله كفروا به.

﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ(٢) وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ كان الله سبحانه وتعالى قد كلف بني إسرائيل بتكاليف شاقة جزاءً على معاصي اقترفوها، فأخبر الله سبحانه وتعالى بأنه سيبعث نبياً هذه صفته، وأمرهم بالإيمان به واتباعه لينالوا رحمته، وأخبرهم بصفاته، ومنها أنه سيحط عنهم هذه التكاليف التي قد شدد الله عليهم فيها بسبب ذنوبهم، **والإصر**: هو الأحمال الثقيلة، **والأغلال**: هي قيود تقيد بها الأيدي إلى الأعناق.

التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ...﴾.

(١)-**سؤال:** هل قوله: «الذين» لا زال من تلك الأوصاف؟

الجواب: هو من جملة الأوصاف التي كتب الله تعالى للمتصفين بها رحمةً خاصة.

(٢)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ...﴾؟

الجواب: محلها النصب على الحال من الرسول أو من الضمير في ﴿مَكْتُوباً﴾ حال مقدرة.

﴿فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾ آمنوا بالنبي ﷺ، وعزروه ونصروه. كلمتان مترادفتان تقريباً لأن معنى عزروه: منعوه حتى لا يقوى عليه أحد.

﴿وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴿١٥٧﴾﴾ أي: أتبعوا القرآن الكريم فهؤلاء هم الذين سيفوزون ويظفرون برحمة الله سبحانه وتعالى وثوابه في الدنيا والآخرة.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يخبر جميع الناس العرب منهم والعجم، واليهود والنصارى، وأهل الأديان جميعاً، وكذلك المشركين وغيرهم بأنه نبي مرسل إليهم من الله سبحانه وتعالى ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ﴾.

﴿فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ[١] الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ أمرهم بأن

---

(١)-**سؤال:** تكررت هذه الصفة﴿النَّبِيِّ الأُمِّيِّ﴾ فهل معناها: لا يقرأ ولا يكتب؟ وهل استمرت في النبي ﷺ حتى مات أم لا؟ وهل سيعارض حادثة يوم الخميس في مرضه ﷺ: ((أكتب لكم كتاباً لا تضلوا من بعده أبداً...إلخ))؟

الجواب: الذي يظهر -والله أعلم- أن النبي ﷺ كان لا يقرأ ولا يكتب طول حياته، وذلك لعدة أمور:

١- قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴿٤٨﴾﴾ [العنكبوت].

٢- المعروف أنه كان للنبي ﷺ كُتّاب يكتبون له مذكورون في كتب السير معروفون بأسمائهم، ولم يرو أنه كتب بيده مرة واحدة مع حرص الرواة على نقل أفعاله ﷺ وحركاته وسكناته.

٣- أن الأمية «عدم القراءة والكتابة» من أمارات نبوته وصفاته المذكورة في الكتب السابقة «مصاحفهم صدورهم» أي: أن من صفات النبي ﷺ وأصحابه حفظ القرآن المنزل إليهم في صدورهم، ولا يكتبونه في المصاحف. هذا، وأما الخبر فيحمل على أنه ﷺ يملي لهم ما يكتبه غيره مما يكون سبباً في نجاتهم بعده.

يؤمنوا بالله سبحانه وتعالىٰ وبالنبي الذي هذه صفته، وهي أنه يؤمن بالله وبجميع ما نزل من عنده.

﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ۝١٥٨﴾ لتدخلوا في سلك المهتدين، ولن تسموا مهتدين إلا إذا اتبعتموه.

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ۝١٥٩﴾ كان قد بقي قلة قليلة من بني إسرائيل في عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يعرفون الحق والهدىٰ ولم يكن الحق قد انطمس تماماً بين اليهود.

﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ(١) اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾(٢) كانت اليهود اثنتي عشرة قبيلة، وكل قبيلة منفصلة عن الأخرىٰ؛ لأن نبي الله سبحانه وتعالىٰ يعقوب -وكان اسمه إسرائيل- كان له اثنا عشر ولداً، وكل واحد منهم ترك ذرية.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ(٣) بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ أوحىٰ الله سبحانه وتعالىٰ إلىٰ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما طلب منه بنو إسرائيل الماء- أن يضرب الحجر بعصاه، فضربها فتفجرت من هذه الحجر اثنتا عشرة عيناً.

---

(١)-**سؤال:** ما معنىٰ: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ﴾؟ وهل ذلك جزاء علىٰ عنادهم؟

الجواب: المعنىٰ أن الله تعالىٰ فرقهم إلىٰ اثنتي عشرة أمة كل أمة تخالف ما سواها من هذه الأمم، والذي يظهر أن ذلك عقاب وجزاء علىٰ خروجهم عن طاعة الله، وذلك لأن الله تعالىٰ يؤلف بين قلوب أوليائه، والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض. وقال تعالىٰ في اليهود في سورة المائدة: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ...﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ...﴾ الآية [المائدة:٦٤].

(٢)- **سؤال:** ما هو إعراب: ﴿أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾؟ ولماذا أنّث: ﴿اثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ والسبط مذكر؟

الجواب: «أسباطاً»: بدل من اثنتي عشرة. «أمماً» بدل من «أسباطاً». وأنث ﴿اثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ ذهاباً إلىٰ «أمماً» فأنث لذلك، ولو ذكر اثنتي عشرة نظراً لأسباطاً لجاز. هكذا أعربوا والله أعلم.

(٣)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿أَنِ اضْرِبْ﴾؟

الجواب: «أن» مفسرة، ولا محل للجملة التي بعدها من الإعراب لأنها مفسرة.

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ فكان لكل قبيلة من هذه القبائل عين تشرب منها؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد علم أنهم سيتقاتلون ويتنازعون إذا اجتمعوا على الماء؛ لأنهم أهل عناد وشقاق واختلاف، فأخرج لهم هذه الاثنتي عشرة عيناً، لكل قبيلة عين تستقي منها، فقسمها موسى عليه السلام بينهم، ونهاهم أن يعتدي أحدهم على الآخر.

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[1] مكثوا في التيه أربعين عاماً؛ فجعل الله سبحانه وتعالى لهم الغمام يظلهم من حر الشمس؛ لأنهم بعد أن خرجوا من مصر أمرهم الله سبحانه وتعالى أن يدخلوا الأرض المقدسة التي جعلها وطناً لهم وبلاداً يسكنونها، فرفضوا أمر الله سبحانه وتعالى، واعتلوا بأن فيها قوما جبارين، وقالوا لموسى عليه السلام اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، فحينئذ حرم الله سبحانه وتعالى هذه البلاد عليهم أربعين سنة فلا يدخلونها، إلا بعد مضي هذه المدة، وضرب عليهم التيه، وهو الضياع والضلال في الأرض، فلا يهتدون إلى طريق، ويسيرون على غير هدى، يمسون حيث يصبحون، ويصبحون حيث يمسون، وعلى هذا؛ لمدة أربعين سنة، والأرض هذه التي تاهوا فيها أرض صحراء على طريقهم إلى أورشليم، وقد أنزل الله سبحانه وتعالى لهم المن والسلوى وهم في أرض التيه، وهو طعام ينزله الله سبحانه وتعالى وهو جاهز للأكل، والمن: مادة كالعسل، وفي تفسيره عدة أقوال، والسلوى: طائر يقال له السُّماني، فبالرغم من عصيانهم وتمردهم لا زال الله سبحانه وتعالى يقلبهم بين نعمه، مما يدل على عظيم كرمه وغناه، فهو سبحانه يمهل ولا يهمل.

﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ١٦٠﴾ بتمردهم وعصيانهم، وإنما ظلموا أنفسهم وضروها.

---

(١)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ...﴾؟

الجواب: محلها النصب على أنها مقول قول محذوف.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ وهي التي كتبها الله سبحانه وتعالى لهم، ويقال لها: أورشليم، وقد دخلوها بعد انتهاء مدة التيه التي ضربها الله سبحانه وتعالى عليهم، وفي مدة التيه مات موسى وهارون فبعث الله سبحانه وتعالى بعدهما يوشع بن نون، وهو الذي أمرهم بالدخول، ودخل بهم، وكان يقال له: فتى موسى لأنه كان صاحبه الخاص، وأشد الناس قرباً منه.

﴿وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ[1] وَقُولُواْ حِطَّةٌ[2] وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴿١٦١﴾﴾ أمرهم الله سبحانه وتعالى بدخول القرية، وشرط عليهم أن يستغفروا حال دخولهم، وأن يقولوا: يا الله، حط عنا ذنوبنا، وهذا معنى: ﴿حِطَّةٌ﴾، وأمرهم أن يدخلوها وهم متواضعون وخاضعون لله سبحانه وتعالى، ولا يدخلوها دخول المستكبرين، بل متذللين خاضعين شاكرين نعمة الله سبحانه وتعالى عليهم، وسائلين له أن يحط عنهم ذنوبهم، وملتزمين بأوامر الله سبحانه وتعالى ونواهيه، فإنهم إذا فعلوا ذلك وامتثلوا ما أمروا به غفر الله لهم ذنوبهم، وقوله: «سنزيد المحسنين» جملة مستأنفة مقطوعة عما قبلها؛ ليفيد ذلك أن الزيادة تفضل خالص ونعمة مبتدأة ليست في مقابلة دخول القرية كما أمرهم الله.

ورسول الله ﷺ حين دخل مكة فاتحاً كان في أشد الخضوع والتذلل لله سبحانه وتعالى، وكان يكثر من الدعاء بالمغفرة والرحمة، شاكراً لله سبحانه وتعالى على ما منحه من النصر والظفر.

---

(١)-**سؤال:** ما المقصود: بـ﴿حَيْثُ شِئْتُمْ﴾؟

الجواب: المقصود بذلك هو إباحة الأكل مما جعل الله في القرية من المآكل الواسعة من غير أن يستثني منها شيئاً.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿حِطَّةٌ﴾؟

الجواب: تكون مرفوعة على أنها خبر مبتدأ محذوف أي: أَمْرُنا حطة.

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾[(١)] فبدلوا الاستغفار حين دخولهم بكلام فيه السماجة والسخرية والاستهزاء.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً[(٢)] مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴿١٦٢﴾﴾ ثم إن الله سبحانه وتعالى أنزل عليهم العذاب بسبب عصيانهم هذا، وتمردهم واستهزائهم ومخالفتهم لما أمرهم الله به.

ذكر الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ أفعال بني إسرائيل بأنبيائهم؛ وقد كانوا يقولون للنبي ﷺ: نحن شعب الله المختار، ونحن صفوة الله من خلقه، والمفضلون على جميع العالمين، والجنة لنا، ولن يدخلها أحد غيرنا، فأخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأعمالهم هذه ليطلعه على حقيقة أمرهم.

ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه فقال: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ كان اليهود يخفون هذه الحادثة والقصة، ولا يطلعون أحداً عليها لشدة شناعتها وفظاعتها؛ وذلك لأن الله سبحانه وتعالى كان قد مسخهم قردة بسبب ما فعلوه، فأمره الله سبحانه وتعالى أن يسألهم عنها، وكانت على ساحل البحر[(٣)].

﴿إِذْ يَعْدُونَ فِى السَّبْتِ﴾ كان يوم السبت يوم عيد لهم قد حرم الله سبحانه

---

(١)-**سؤال:** هل عرف قولهم الذي قالوه؟ فما هو؟

الجواب: قد ذكر في بعض كتب التفسير شيء من ذلك، ولكن لا معول على ما ذكروا لعدم صحة روايتها.

(٢)-**سؤال:** قيل إن الرجز هو الطاعون أرسله الله عليهم، فهل هذا صحيح؟

الجواب: قد يكون الرجز هو الطاعون، وقد يكون غيره والله أعلم، والذي ذكر الله في القرآن أن الله تعالى عذبهم بعذاب أنزله عليهم من غير أن يبين نوع العذاب.

(٣)-**سؤال:** هل عرف لهذه القرية اسم، فما هو؟

الجواب: ذكروا فيها خمسة أقاويل: أيلة. قرية ساحل مدين. مدين وهي قرية بين أيلة والطور. قرية يقال لها مقتا بين مدين وعينونا. والقول الخامس طبرية.

وتعالىٰ عليهم فيه أي عمل يعملونه من شؤون الدنيا، ومعنىٰ «إذ يعدون»: حين يعتدون في السبت بعد أن حرم الله عليهم أن يعتدوا فيه.

﴿إِذْ[١] تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً[٢] وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ۝١٦٣﴾ وهذا اختبار من الله سبحانه وتعالىٰ لهم، فكانت الحيتان في يوم السبت تظهر علىٰ وجه الماء، وعلىٰ طرف الساحل وهذ امعنىٰ «شرعاً»، وفي غيره من الأيام تذهب وتختفي، وقد جعل الله سبحانه وتعالىٰ هذا الامتحان والابتلاء جزاءً علىٰ أعمالهم القبيحة التي كانوا يعملونها، فقد سلبهم ألطافه؛ لأنه سبحانه وتعالىٰ لا يمنحها إلا لأوليائه وعباده المؤمنين، ويجنبهم مثل هذه المحن والفتن التي تعرَّضَ لها بنو إسرائيل ثم إنهم خرجوا لاصطيادها في يوم السبت[٣] واستمروا علىٰ ذلك وكانت طائفة منهم ينهونهم ويعظونهم ويحذرونهم من عصيانهم، ولا زالوا يحذرونهم ويعظونهم ولكنهم لم يقلعوا ولم ينتهوا.

---

(١)-**سؤال:** ما معنىٰ «إذ» هذه؟

الجواب: هي بمعنىٰ حين، وهي بدل.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿شُرَّعاً﴾؟ ومم أخذت؟

الجواب: «شرعاً»: منصوب علىٰ الحالية من ﴿حِيتَانُهُمْ﴾، و«شرعاً»: جمع شارع وشارعة، وكل شيء دانٍ «قريب» من شيء فهو شارع، ودار شارعة أي: دنت من الطريق، ونجوم شارعة أي دنت من المغيب، أفاد هذا في تفسير الرازي، وعلىٰ هذا فخروج السمك من تحت الماء إلىٰ وجهه هو دنوها إلىٰ من يصيدها.

(٣)-**سؤال:** روي أنهم كانوا يتحيلون لصيدها بوضع شبكات الصيد يوم الخميس في المكان الذي تخرج فيه الأسماك وتكثر ثم يأخذون الشبك يوم الأحد وقد امتلأت سمكاً فهل هذا صحيح؟ وهل يدل علىٰ تحريم التحيل في مخالفة أوامر الله؟

الجواب: قد رويت هذه الحيلة وذكرت في تفسير هذه القصة، وسواء أكانت صحيحة أم لا، فإن الحيلة المذكورة غير مبررة ولا مخلّصة عند الله؛ لذلك لعنهم الله ومسخهم قردة وخنازير، فلا تجوز الحيلة التي يتوصل بها إلىٰ فعل المحرم وأكل الحرام، وفعل المعصية، وتجاوز حدود الله.

﴿وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً﴾[(١)] كان هناك قوم يقولون لهؤلاء الناهين عن المنكر: لماذا تعظونهم، والله تعالى سيعذبهم لا محالة وسيهلكهم؟ ولماذا تنهونهم ما داموا قد استحقوا ذلك؟ فأجابهم هؤلاء الناهون عن المنكر: ﴿قَالُواْ مَعْذِرَةً[(٢)] إِلَى رَبِّكُمْ﴾[(٣)] فقالوا: ليكون ذلك عذراً لنا عند الله سبحانه وتعالى، وتبليغاً للحجة التي نحن مأمورون بتبليغها، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴿١٦٤﴾﴾ عسى أن ينفع وعظنا لهم فيرجعوا إلى الله سبحانه وتعالى.

﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ﴾ فلما لم يؤثر فيهم ما ذكرهم به أولئك، فلم يسمعوا ولم ينزجروا.

﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾ عذبهم الله وأنجى أولئك الذين كانوا ينهون عن المنكر.

---

(١)-**سؤال:** هل يصح أن يجعل الهلاك في الدنيا والتعذيب في الآخرة، للفصل بينهما بـ«أو»؟

الجواب: الذي يظهر أن المراد أن القوم قد استحقوا على جريمتهم إما الهلاك الذي هو استئصالهم بالموت والفناء، وإما أن يعذبهم من غير هلاك عذاباً شديداً.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿مَعْذِرَةً﴾؟

الجواب: تعرب على أنها مفعول من أجله لفعل محذوف دل عليه السؤال الذي قبله: ﴿لِمَ تَعِظُونَ﴾ تقديره: نعظهم معذرة، أي: ليكون لنا عذر عند الله يوم القيامة إذا سألنا.

(٣)- **سؤال:** من أين يظهر لنا استدلال الإمام القاسم بن محمد من هذه الآية على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند عدم ظن التأثير مع أن جوابهم صريح في أنهم نهوهم لمجموع العلتين: الاعتذار ورجاء تقواهم؟

الجواب: يظهر من حيث أن المعذرة لا تكون إلا عن واجب، ولو لم يكن النهي واجباً مع ظن عدم التأثير لم يجيبوا بذلك. إلا أن جوابهم بمجموع العلتين يدل على أنهم راجين لتأثير مواعظهم، وليسوا كالطائفة الساكتة معتقدين لعدم التأثير، فلا يكون في الآية دليل واضح على وجوب النهي مع اعتقاد عدم التأثير.

﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ۝١٦٥﴾ عذب الباقين وهم الذين كانوا يذهبون للصيد، والساكتون[1] الذين لم يأمروا بمعروف ولم ينهوا عن منكر، ومعنى «عذاب بئيس»: عذاب شديد.

﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ۝١٦٦﴾ عندما تركوا الرجوع والانتهاء وتكبروا على الله سبحانه وتعالى- مسخهم الله سبحانه وتعالى فأصبحوا قردة، ومكثوا على هذه الحال -كما قيل- ثلاثة أيام ثم ماتوا بعد ذلك.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أعلن الله سبحانه وتعالى على ألسنة رسله وأنبيائه أنه سيبعث على بني إسرائيل من يلحق بهم الأذى والعذاب، وسيسلط عليهم من يعذبهم إلى يوم القيامة، وينكل بهم ويذلهم بسبب معاصيهم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ إذا أراد أن يعذب قوماً فلا راد لعذابه.

﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ۝١٦٧﴾ لمن رجع إليه وتاب وندم.

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَماً﴾ ثم إن الله سبحانه وتعالى مزقهم في الأرض وشتت شملهم، وفرقهم في البلاد بأن سلط عليهم من يقصدهم بالقتال في بلادهم، فهربوا وتشردوا عن بلادهم -وهي الشام- وتشتتوا في كل بلاد، ولم يجتمعوا إلا بعد الحرب العالمية الثانية، فحينها رجعوا إلى القدس، وجعلوها وطناً لهم.

---

(١)- **سؤال:** يقال: من أين نستفيد دخول الساكتين في مصير المرتكبين للمنكر فظاهر الآية ذكر نجاة الناهين وتعذيب المرتكبين للمنكر؟

الجواب: لم يذكر الله تعالى إلا فريقين «الناهين، والمجرمين» ولم يذكر الفريق الثالث «الساكتين»، وفي الحقيقة والواقع أن الساكتين إن أنكروا المنكر بقلوبهم وأظهروا الكراهة للمنكر وأهله بأفعالهم، ظهوراً مكشوفاً على الساحة، بحيث أنهم يتميزون به ويعرفون فهم من الناجين، وإن لم يظهروا الكراهة كذلك فهم من الهالكين لأن الراضي كالفاعل، ولا يخلصهم كراهة قلوبهم للمنكر مع مخالطة أهل المنكر ومجالستهم ومخالقتهم والانبساط إليهم ومعاملتهم الحسنة.

﴿مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾[١] قلة منهم صالحون، والباقي على خلاف ذلك.

﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴿١٦٨﴾﴾ يبتليهم الله سبحانه وتعالى تارة بالخير وتارة بالشر، يقلبهم في ذلك- لعله ينفع فيهم فيرجعوا إليه.

﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ تركوا ذراري بعدهم.

﴿وَرِثُواْ الْكِتَابَ[٢] يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـذَا الأدْنَى﴾[٣] ورثوا عنهم التوراة فحرفوها، وكانوا يأخذون الرشوة على ذلك، فيفتون من يدفع لهم على حسب ما أراد، وعلى حسب ما يدفعه، فحرفوا كتاب الله سبحانه وتعالى وبدلوه.

﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾[٤] كانت لهم أماني يختلقونها، فكانوا يقولون: نحن

---

(١)-**سؤال:** قد يقال: ما وجه استحقاق الصالحين منهم للتمزيق والتشتيت في البلاد؟

الجواب: ألحق الله تعالى ببني إسرائيل التمزيق والتشتيت في البلدان عقوبة للمجرمين، وابتلاء وتمحيصاً للصالحين، ونظير ذلك ما حصل يوم أحد فقد نزل من البلاء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبالمؤمنين المخلصين الذين لم يصدر منهم معصية ما هو معلوم مشهور، وقد كان ذلك نتيجة لعصيان بعض أهل أحد.

(٢)- **سؤال:** هل استحقوا الوراثة للكتاب بحكم الله أم أنها صارت بديهة إلى هؤلاء الخلف؟

الجواب: أرسل الله تعالى موسى عليه السلام إلى بني إسرائيل وآتاهم التوراة وأمرهم بالعمل بأحكامها، وخَلَفُ بني إسرائيل مكلفون بما كلف به سلفهم من العمل بأحكام التوراة لذلك صاروا أهل التوراة بعد أن كان سلفهم هم أهل التوراة، فهذا معنى الوراثة للكتاب، وهو بحكم الله تعالى.

(٣)- **سؤال:** قد فهمنا أن العَرَض الرشوة فهل المراد بـ:﴿هَـذَا الأَدْنَى﴾ الدنيا؟ فلماذا ذَكّر الإشارة إليها؟

الجواب: «هذا» هو إشارة إلى متاع الدنيا، وهو مذكر، ولا يشار بهذا إلا إلى المذكر فلزم تقدير المشار إليه مذكراً. والأدنى: صفة لمذكر فلزم تذكيره، والمؤنث دنيا.

(٤)- **سؤال:** هل نأخذ من الآية أن لا توبة ولا مغفرة مع الاستمرار على الذنب أو مثله؟

الجواب: الآية دليل على ذلك، وأيضاً فإن الإصرار على المعصية أو على فعل مثل ما تاب منه ينافي التوبة، فإن معنى التوبة هي: الاعتذار إلى الله عما وقع من المعتذر من الإساءة إلى الله

=

أهل التوراة وأهل الله وخلفاؤه في أرضه، وسيغفر الله سبحانه وتعالى لنا؛ لأنا أهل المغفرة وأحباب الله وأهل كرامته.

﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ أصبحت الرشوة طبيعة لهم، فكانوا يأخذونها باستمرار، ويغيرون ويحرفون ويبدلون التوراة على حسب ذلك.

﴿أَلَمْ[1] يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يِقُولُواْ[2] عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾ استنكر الله تعالى عليهم لماذا لا يحكمون بالحق وبما جاء في التوراة وقد عاهدوا الله سبحانه وتعالى على ذلك وقد أخذ عليهم المواثيق والعهود على أن يقيموا أحكام التوراة.

﴿وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ﴾ وهم مع ذلك عالمون بما جاء في التوراة، وهم أهل بصيرة وعلم.

﴿وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴿١٦٩﴾﴾ كيف تؤثرون يا أهل الكتاب متاع الدنيا الزائل على النعيم الأبدي في جنات النعيم الذي أعده الله للمتقين الذين يعملون الصالحات وقد علمتم ذلك فكيف تعدلون إلى العرض الزائل وتعرضون عن النعيم الباقي، هل ضاعت عقولكم حتى أسأتم الاختيار.

﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴿١٧٠﴾﴾[3] الذين تمسكوا بالتوراة وما نزل فيها ولم يضيعوها، وعملوا بما

بارتكاب محارمه، وإذا كان المعتذر إلى الله مقيماً على فعل الإساءة إلى الله بارتكاب محارمه فاعتذاره كاذب.

(١)-**سؤال:** هل يصح أن يحمل الاستفهام على التقرير؟

الجواب: قد قالوا في مثل هذا إنه يجوز أن يعرب الاستفهام على أنه استفهام للتقرير بما بعد النفي وأن يعرب للإنكار للنفي: «لم يؤخذ».

(٢)- **سؤال:** ما موضع المصدر: ﴿أَن لاَّ يِقُولُواْ...﴾؟

الجواب: ﴿أَن لاَّ يِقُولُواْ﴾ في موضع رفع بدل من ﴿مِّيثَاقُ﴾.

(٣)-**سؤال:** لماذا عبر بـ﴿يُمَسِّكُونَ﴾ بدلاً عن: يتمسكون؟ وما المراد بالإصلاح في الآية؟

الجواب: مسَّك هو بمعنى تمسّك مثل: قدّم بمعنى تقدم. والمراد بالإصلاح هو التمسك بالكتاب وإقامة الصلاة.

جاء فيها- فسيوفيهم الله سبحانه وتعالى أجورهم.

﴿وَإِذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ[(١)] وَظَنُّواْ أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴿١٧١﴾﴾ عندما رجع موسى عليه السلام من ميقات ربه بالتوراة وقرأها عليهم، وأمرهم أن يعملوا بما فيها- حينها رفضوا ذلك وتمردوا عليه، ثم إن الله سبحانه وتعالى رفع فوقهم جبل الطور كأنه ظلة فوقهم، مهدداً لهم به إن لم يمتثلوا ما جاءهم فيها، ويتلقوها بجد وعزيمة، ويعطوا العهود والمواثيق على ذلك ليوقعنه عليهم.

يذكِّرُ اللهُ سبحانه وتعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم يهودَ المدينة الذين في زمانه أن يتذكروا هذه القصة التي قد مضت على آبائهم، وكيف عاهدوا على العمل بالتوراة؛ لعلهم يؤمنون به إذا تذكروا ذلك، وكان من ضمن ما نزل في التوراة ذكر أوصافه صلى الله عليه وآله وسلم، وأمرهم بالإيمان به ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف١٥٧].

﴿وَإِذْ أَخَذَ[(٢)] رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ[(٣)] ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴿١٧٢﴾﴾ بنو آدم يتناسلون نطفاً من أصلاب الرجال، فتصبح هذه النطفة إنساناً سوياً؛ فأخذ الله سبحانه وتعالى العهد على هؤلاء الذين قد صاروا بشراً يعقلون،

---

(١)-**سؤال:** ما المراد بالظلة؟

الجواب: المراد بالظلة نحو سقف الخيمة التي يتظللون تحتها من الشمس.

(٢)-**سؤال:** ما العلة في تعبير الله تعالى بالماضي «أخذ» مع أن الأمر كما قلتم من أن المراد به الموجودون من كل أمة من بني آدم؟

الجواب: كان التعبير بالماضي نظراً لمن مضى من الأمم ولمن هو موجود عند ابتداء هذا القول الرباني.

(٣)- **سؤال:** ما إعراب الجار والمجرور: ﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾؟

الجواب: ﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ بدل من قوله: ﴿مِنْ بَنِي ءَادَمَ﴾ بعض من كل.

وليس كما يقول البعض: إن الله سبحانه وتعالى أخرج بني آدم كالذر من ظهر أبيهم آدم، وأخذ العهد عليهم في تلك الحال وأشهد.

والمراد أن الله سبحانه وتعالى قد ركز في العقول، وجعل فيها قوة يستطيع الإنسان من خلالها أن يعرف الله سبحانه وتعالى، ويعرف وحدانيته وربوبيته، وقد فطره على ذلك[1]، وليس المراد بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى﴾ أن الله سبحانه وتعالى خاطبهم فأجابوه، بل المراد من ذلك هو الذي ذكرناه في العقل، وما قد ركز الله سبحانه وتعالى فيه؛ إذ أن كل مَنْ خلق الله سبحانه وتعالى له عقلاً فهو معترف بالله سبحانه وتعالى.

وذلك لأنه سبحانه وتعالى قد هيأه لذلك، فإذا نظر في السموات والأرض وما فيهما فحتماً سيوصله ذلك إلى العلم اليقين بأنه لا بد لهذا الخلق من خالق، وهكذا إلى أن يتوصل إلى أن هذا الخالق ليس من جنس هذه المخلوقات، ولا يشبهها، فانظر إلى الطفل ما إن يكبر قليلاً حتى يبدأ يتساءل ويسأل والديه من أين جاء؟ ومن الذي أوجده؟ ومن الذي خلق هذا؟ وخلق ذاك؟ وعلى مدى الأيام يظل كذلك إلى أن توصله فطرة عقله إلى الحقيقة التي تسكن لها نفسه، وتطمئن إليها غريزته، وهو أن هذا الفعل لا بد له من فاعل أوجده، وصانع صنعه، وأنه لم يوجد من العدم، وأن كل ما يشاهده في هذا الكون من التغيرات كسير الشمس والقمر، وتقلب الليل والنهار، ونزول الأمطار، ووجود النبات وكيفية إنباته لا بد لكل شيء

---

(١)-**سؤال:** هل يشهد لكلامكم قوله: ﴿مِنْ بَنِي ءَادَمَ﴾ ولم يقل: من آدم؟

الجواب: نعم ذلك دليل على ما ذكرنا، فمعنى الآية أن الله تعالى خلق بني آدم من النطف المستقرة في ظهور آبائهم وقد أقرت بنو آدم «أهل العقول» بربهم الذي خلقهم: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥]، ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [يونس:٢٢]، ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ [الزخرف:٤٩].

منها من فاعل فعلها، ومدبر قائم عليها، وأنه ذو قدرة عظيمة، وحكيم وغني، وأنه لا يصح عليه النوم ولا الغفلة، و..و..و. إلخ، وأنه ليس كمثله شيء(١).

هذا، وقد جعله الله سبحانه وتعالى حجة على الإنسان حتى إذا جاء يوم القيامة سيسأله الله سبحانه وتعالى لماذا كذبت ولم تؤمن؟ ولماذا كفرت وجحدت مع أني قد جعلت لك عقلاً تعرفني من خلاله، وتعرف أني الإله الحق الذي تحق له العبادة والطاعة؟ قال تعالى: ﴿أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ۝١٧٢﴾ يعني: فكل هذا كراهة لقولكم واعتذاركم بعدم المعرفة لله سبحانه، فكل عاقل لا بد أن يفكر، ولا بد أن يوصله تفكيره إلى معرفة الله سبحانه وتعالى وربوبيته.

فعُبَّاد الأصنام، والذين يعيشون بينهم، والذين يعيشون في بلاد الكفر حالهم كحال غيرهم في معرفة الله سبحانه وتعالى، غير أن الأوهام التي قد ملأوا عقولهم بها، والخرافات التي يحكونها لهم قد غطت على الحقيقة التي في عقولهم، وكذلك الهوى الذي في أنفسهم قد منعهم عن إنصاف النظر، وداعي الفطرة لايزال

---

(١)-**سؤال:** قد يقول القائل: فعلى هذا لا يحتاج للدراسة في كتب أصول الدين لنصل إلى المعرفة الحقيقية فكيف يكون الجواب؟

الجواب: حجة الله تعالى قائمة بما صرّف الله تعالى من الحجج والآيات والبراهين في كتابه الكريم، وكتب أصول الدين لم تأت بشيء آخر، وإنما قربت وفصّلت وشرحت ما بينه الله تعالى في كتابه الكريم، وأخرجته للناس في صورة قريبة لفهم الناس، وجمعت ما تفرق في آيات القرآن الكريم، وإلا فالقرآن هو أصل العلوم الدينية؛ فأخرج العلماء منه علم أصول الدين وعلم الفقه وعلم المواريث، وعلوم اللغة العربية، ففيه تقريباً جل ما يحتاج إليه من مفردات اللغة. أما علم النحو والصرف وعلوم البلاغة وعلم أصول الفقه فإن لم تكن موجودة فيه بالفعل فهي موجودة فيه بالقوة،من هنا استخرج العلماء منه هذه العلوم، ولا يمكن العامي معرفة تفاصيل العلوم التي شملها القرآن الكريم، إنما يعرفها ذوو الذكاء والفطنة من الراسخين في العلم.

يدعوهم إلى الله سبحانه وتعالى، وأنه الإله الحق الذي يستحق الربوبية والعبادة، ويعرف أيضا أن هذه الأصنام التي يعبدها لا تستحق شيئا من هذا الذي يعطيها غير أنه يغالط نفسه، ويعرض عن هذه الحقائق كلها، فيستجيب لدواعي الشيطان والهوى والضلال من حوله[1]، نعوذ بالله من ذلك كله.

﴿أَوْ تَقُولُواْ[2] إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴿١٧٣﴾﴾ ولن ينفعكم أن تعتذروا بأن آباءكم كانوا مشركين وقد فعلتم مثلهم عندما رأيتموهم، فهذه أعذار واهية وساقطة، ولن تنفعكم؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد جعل لكم العقول التي تجعلكم تميزون بين الحق والباطل إذا استعملتموها، فما إن ينظر العاقل في الآيات التي قد بثها الله في السماوات والأرض حتى يتوصل إلى معرفته حق المعرفة؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد فطره على ذلك، وعلى التفكير الذي يوصله إلى ذلك.

﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴿١٧٤﴾﴾[3] يفصل الله سبحانه وتعالى ويوضح آياته للمشركين ولبني إسرائيل عسى أن تنفع فيهم ليرجعوا إليه.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِىَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾ قص عليهم يا محمد قصة

---

(١)-**سؤال:** إذا قيل: فما فائدة إرسال الرسل بناءً على هذا الكلام فكيف نجيب على ذلك؟

الجواب: يرسل الله تعالى رسله مبشرين ومنذرين، فإن المشركين غافلون عما أعده الله تعالى للمشركين والكافرين من العذاب الأليم. وأيضاً لتأكيد ما تدعو إليه العقول وتدل عليه بفطرتها، ولتنبيه أهل الغفلة وإيقاظهم عن غفلتهم.

(٢)-**سؤال:** علام عطف قوله: ﴿أَوْ تَقُولُواْ﴾؟

الجواب: عطف على «تقولوا» في قوله: ﴿أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

(٣)-**سؤال:** علام عطف قوله: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴿١٧٤﴾﴾؟

الجواب: هو معطوف على محذوف أي: ليتدبروها ولعلهم يرجعون، وذكر التفصيل يدل على ذلك.

ذلك الرجل[1] الذي أعطاه الله سبحانه وتعالى علم التوراة فانسلخ منها، وتركها وترك العمل بما فيها، وكان ذلك الرجل في عهد موسى عليه السلام.

﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ۝١٧٥﴾[2] ثم إن الشيطان سيطر عليه، وتمكن منه، ومن إدخاله في الكفر والضلال.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ لو شاء الله لرفع منزلته بما آتاه من العلم والحكمة كما قال الله: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١]، فلأهل العلم عند الله منازل رفيعة.

﴿وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ ولكنه مال إلى هوى نفسه وشهواتها[3]، وبسبب ذلك لم يستحق أن يرفعه الله سبحانه وتعالى في الدنيا. ومعنى

---

(١)-**سؤال:** هل صح أنه كان معه اسم الله الأعظم فأظن في كلام الإمام الهادي في رسائله ما يوحي بذلك؟

الجواب: قد ذكر في المصابيح كلام الإمام الهادي عليه السلام، وذكر فيه أن عنده أسماء الله و.. ولم يذكر «الأعظم» إلا أن في كلامه في المصابيح نقصاً. والآية تدل على صحة جملة كلام الهادي من حيث منزلة بلعم بن باعورا في العلم والحكمة، وإجابة الدعوة، والمنزلة العظيمة، فإن قوله تعالى: ﴿ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا﴾ يدل على أنه حظي بعناية الله وتوفيقه، فحفظ العلم الذي أنزله الله تعالى على أنبياء بني إسرائيل، وفهمه حق فهمه، وحفظه في لبه، وأنه كان يعمل بعلمه، ويعبد الله حق عبادته؛ لأن العلم يستدعي العمل، إلى أن انسلخ، وانسلاخه كان بترك العمل بعلمه في بعض التكاليف.

(٢)-**سؤال:** ما الوجه في التعبير بـ﴿أَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ ولم يقل: فتبعه الشيطان؟

الجواب: قد قيل: إن معنى: ﴿أَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ أدركه الشيطان، وقيل: أتبعه الشيطان كُفَّارَ الإنس وضُلَّالَهم أي: جعلهم أتباعاً له، أي: أن الهمزة للتعدية.

(٣)-**سؤال:** هل ميله إلى هوى نفسه متمثل في عدم تواضعه لموسى وتكبره عليه، لَمَّا أمره الله أن يكون تابعاً له، على ما روي؟

الجواب: إذا صحت الرواية فذلك هو الذي مال بهواه إليه، وقد علل الله تعالى انسلاخه بشيئين: ﴿أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ﴾، ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾، أي: أخلد إلى متاع الأرض وزينتها، واتبع هواه، =

«أخلد إلى الأرض»: لزم الأرض وسَكَنَ إليها، ومنه: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: ساكنين فيها ملازمين لها لا يخرجون عنها.

﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ فحاله كحال الكلب إن طردته يلهث، وإن تركته يلهث، وهذا الرجل اسمه بلعام بن باعورا، فلما لم يعمل هذا الرجل بعلمه، واتبع شهواته وهوى نفسه أسقط الله سبحانه وتعالى قدره في الدنيا، فصار حاله كحال الكلب في الخسة[(١)].

﴿ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ فبنو إسرائيل حالهم كحال هذا الرجل الذي هو كالكلب حين لم يؤمنوا بك يا محمد، وقد عرفوا أنك نبي صادق من عند الله سبحانه وتعالى.

﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦﴾ لعلهم يتفكرون ويرجعون عن كفرهم وتمردهم وضلالهم.

﴿سَاء مَثَلاً[(٢)] الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ ١٧٧﴾ هذا المثل السيئ قد انطبق عليهم، وقد استحقوا المذلة والهوان والصغار بسبب تكذيبهم

أي: أنه جعل هوى نفسه إماماً فما دعاه إليه هواه أطاعه واستجاب له. وتفيد هاتان الصفتان أنه خرج من الدين خروجاً كلياً، وطرح نفسه بعد ذلك بين متاع الحياة الدنيا وشهواتها، وأطلق قياد الهوى لتشبع نفسه مما تهواه.

(١)-**سؤال:** هل عرف مصير هذا الرجل ومآله أم لا؟

الجواب: قد أخبر الله تعالى عن مصير هذا الرجل ومآله: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ فمصيره الذي صار إليه هو الخسة في الدنيا، والدناءة والحقارة، عرف بذلك بين الناس فهو بينهم يمشي لطلب هوى نفسه، يظهر عليه الحرص في الطلب والإعياء من شدة التعب في هذا السبيل، فلا يرى إلا في حالة مزرية دنية كحالة الكلب اللاهث، فلم يبق له قدر ولا مكانة.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿سَاء مَثَلاً الْقَوْمُ﴾؟

الجواب: ساء: فعل ماض من أفعال الذم، وفاعله ضمير مستتر وجوباً، ومثلاً: تمييز للفاعل المستتر، أي: ساء المثل. القوم: المخصوص بالذم، وهو مبتدأ والجملة قبله في محل رفع خبر.

بآيات الله سبحانه وتعالى، وقد جنوا على أنفسهم بسبب تكذيبهم هذا وظلموها، واستحقوا العذاب بما جنته أيديهم.

﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ۝١٧٨﴾ من هداه الله سبحانه وتعالى وأخبر أنه مهتدٍ فهو المهتدي بحق، ومن أخبر أنه ضال فقد استحق الضلال والخسران، وبنو إسرائيل لن ينفعهم قولهم بأنهم هم المهتدون وغيرهم في ضلال، بل من حكم الله سبحانه وتعالى بهداه فهو المهتدي، ومن حكم بضلاله فهو الضال والخاسر.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾ ذرأهم الله سبحانه وتعالى في القبور، وهو الذرء الثاني(١)، وأما الذرء الأول فهو الذي يكون في أرحام النساء، فبعد أن يذرأهم الله سبحانه وتعالى في القبور سينبتون يوم القيامة كالحبة يضعها المزارع في الأرض، فتنبت بعد ذلك، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ۝٧٩﴾ [المؤمنون]، أي: الذرء الثاني، وسيذرأهم الله سبحانه وتعالى إلى جهنم وبئس المصير.

---

(١)-**سؤال:** هل معنى الذرء الثاني: الخلق والإيجاد في القبور؟ ومن ذهب إليه من أئمتنا عليهم السلام؟

الجواب: ذكر ذلك في المصابيح عن الإمام الهادي عليه السلام، قال الهادي: ذرأنا فهو أنشأنا وجعلنا، وهو الذرء الآخر والنشأة الآخرة في يوم القيامة عند خروج الناس من قبورهم، فينشأ كل أهل دار إلى دارهم..إلخ. وفي شمس العلوم: ذرأنا الأرض أي بذرناها، وهكذا في كتاب العين. فهذا الذي قصدناه في التفسير، أي: أن ذرأنا بمعنى بذرنا، أي: أن الكفار يدفنون في الأرض كما تدفن بذرة النبات، ثم إن الكفار سيخرجون من الأرض أحياءً، كما تخرج البذرة من الأرض وهي حية، وبَذْرُ الكفار على ما ذكرنا هو لجهنم، وليس في هذا ما يخالف قول الإمام الهادي عليه السلام، بل إنه موافق له، فقد ذكر أنه الذرء الثاني أي: بعثهم من الأرض يوم القيامة.

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا﴾[١] خلق الله سبحانه وتعالىٰ لهم قلوباً يستبصرون بها ويعرفونه من خلالها، ولكنهم لم ينتفعوا بها، والمراد بالقلوب: العقول.

﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ لا يبصرون بها مراشدهم، ولا يبصرون بها الحق وأنوار الهدىٰ ويسيرون فيها، بل مكثوا علىٰ ضلالهم وغيهم وباطلهم.

﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أعطاهم الله سبحانه وتعالىٰ السمع فلم يسمعوا إلىٰ الحق ويتبعوه، بل ضلوا كالأصم الذي لا يسمع شيئا.

﴿أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ١٧٩﴾ فأولئك الذين ذرأهم الله سبحانه وتعالىٰ لجهنم هم أهل هذه الصفات فهم كالأنعام، بل وأضل من الأنعام، فهؤلاء هم الغافلون عن ذكر الله سبحانه وتعالىٰ.

﴿وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ تمدح الله سبحانه وتعالىٰ بأن له هذه الصفات والأسماء، وهي خاصة به، وقد أمرنا بتسميته بها، كقادر وعظيم وعالم[٢]...إلخ، وليس للأصنام من أسمائه الحسنىٰ نصيب بل هو الله تعالىٰ المختص بها، ومعنىٰ «الحسنىٰ»: الدالة علىٰ الكمال والرفعة والجلال.

---

(١)-**سؤال:** قد يقول القائل بأن هذه الأوصاف: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ...﴾ قرينة علىٰ أن المراد الذرء الأول لا الثاني؛ لأنه أشار فيها إلىٰ أن هذه الأوصاف في الدنيا، فما يجاب عليه؟

الجواب: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ﴾ استئناف لبيان السبب الذي استحقوا به أن يذرأهم الله إلىٰ جهنم، وليس في هذا الاستئناف ما يدل علىٰ الذرء الأول دون الثاني بل هو صالح لكل منهما لأنه لبيان السبب الذي استحقوا به جهنم. ويصلح تفسير الذرء بالذرء الأول، وتكون اللام في «لجهنم» لام العاقبة، لا لام العلة؛ لأن الله تعالىٰ ابتدأ خلق الناس لعبادته: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ٥٦﴾ [الذاريات].

(٢)-**سؤال:** هل إطلاقنا لقادر ونحوه علىٰ البشر يعارض هذه الآية أم لا؟

الجواب: إطلاق بعض أسماء الله الحسنىٰ علىٰ البشر كالقادر والعالم والسميع والبصير و.. إلخ لا يخالف ولا يعارض ما ذكر الله تعالىٰ هنا من اختصاصه جل وعلا بالأسماء الحسنىٰ، وذلك لاختلاف المعنىٰ، فمعناها عند إطلاقها علىٰ البشر غير معناها عند إطلاقها علىٰ الله تعالىٰ.

﴿وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ﴾ اتركوا أولئك الذين يسمون بأسماء الله سبحانه وتعالى غيره من الأصنام، فيميلون(١) بأسمائه إلى غيره.

﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ۝١٨٠﴾ سوف يجازيهم الله سبحانه وتعالى على أعمالهم هذه، وعلى تسمية غيره بأسمائه.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ۝١٨١﴾ من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فإذا اختلفت الأمة وصارت أحزاباً وفرقاً شتى- فلا بد من فرقة بينهم تكون على الحق، وقد بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الفرقة التي مع الحق وتهدي بالحق، وذلك في الحديث المجمع على صحته بين الأمة، حديث الثقلين: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض))، وكل الأمم كذلك على مر العصور، فلا بد لكل أمة في كل زمان من الاختلاف والتفرق، وفرقة واحدة هي التي تكون على الحق، وبنو إسرائيل كذلك قد اختلفوا، وكان منهم فرقة على الحق كباقي الأمم.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ۝١٨٢﴾(٢) يقربهم إليه ثم يأخذهم، وذلك بأن يسبغ عليهم نعمه، ويتركهم يسرحون ويمرحون في الأرض ويتمتعون فيها، ألا ترى لو فرت عليك بهيمة من بين بهائمك فإنك تتحيل لها الحيل لكي تمسك بها، فتضع العلف أمام عينيها، وتتلطف لها إلى أن تطمئن وتتمكن منها ثم تأخذها، ويسمى هذا الاستدراج، وليس معنى ذلك في حق الله

---

(١)-**سؤال:** هل من الميل في أسمائه تغييرها مثل كريم إلى: مكيرمان أو كريمان أو نحوها؟ أم لا؟

الجواب: إذا كان تغييرها مخرجاً لها عن معانيها المقصودة منها فلا يجوز إطلاقها على الله، ويجوز إطلاقها على غيره، ولا يكون ذلك من الإلحاد في أسمائه جل وعلا.

(٢)-**سؤال:** هل مراده بقوله: ﴿مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ۝١٨٢﴾ أنهم لا يتنبهون لذلك؟

الجواب: ذلك هو المراد، يسبل الله تعالى على المكذبين نعمه، ويغدقها عليهم، فلا يحذرون نقمة الله، ولا يتنبهون لما يراد بهم.

سبحانه وتعالىٰ أنه غير متمكن إلا بالاستدراج، وإنما على سبيل التمثيل والتفهيم.

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ۝١٨٣﴾[1] يمهلهم الله سبحانه وتعالىٰ ويمد لهم في الأعمار، ويبسط لهم في الأرزاق، ويتركهم في غيهم وضلالهم، ولا يعاقبهم؛ فيظنون عند رؤية ذلك أنهم في خير العمل، وأنهم على الطريق المستقيم حتى يباغتهم ويأخذهم فجأة، فهذا هو الكيد من الله سبحانه وتعالىٰ.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾[2] يحث الله سبحانه وتعالىٰ المشركين واليهود على النظر والتفكر في شأن محمد ﷺ وأمره، وكانوا يتهمونه بالجنون والسحر، وأنهم لو نظروا وتفكروا في أمره حق التفكر لعرفوا أنه ليس كما يتهمونه.

﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ۝١٨٤﴾ وله علامات واضحة وصفات تدل على صدق ما يدعي، وأنه نبي مرسل من عند الله سبحانه وتعالىٰ، وليس فيه ما يدل على ما يتهمونه به من الجنون والسحر.

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ لم يأت النبي ﷺ بشيء غريب فانظروا وتفكروا في ملكوت السماوات والأرض، وتفكروا فيما خلق الله من الأشياء التي ترونها في السماوات والأرض، وسوف تعرفون صدق ما جاءكم به، وأنه نبي مرسل من عند الله سبحانه وتعالىٰ،

---

(١)-**سؤال:** ما معنى ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ۝١٨٣﴾؟

الجواب: المعنى أن استدراج الله تعالىٰ للمكذبين وإمهالهم، ثم أخذهم إلى عذابه ونقمته- قويٌّ لا يقدر أحد على إبطاله ولا رده.

(٢)-**سؤال:** ما معنى الاستفهام في قوله: «أو لم يتفكروا»، وفي قوله: «أو لم ينظروا»؟ وما موضع جملة: ﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾؟

الجواب: الاستفهام إنكاري في الموضعين، أو يقال: تقريري لما بعد النفي، وموضع جملة: ﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾ النصب على المفعولية لـ«يتفكروا»، و«ما» نافية علقت ليتفكروا عن العمل في اللفظ فعملت في المحل.

وستعرفون الله سبحانه وتعالىٰ حق معرفته، وأنه الإله الحق الذي يستحق العبادة والربوبية وحده، وستعرفون أن هذه الأصنام لا تملك من صفات الإلهية شيئاً، يحثهم الله سبحانه وتعالىٰ في هذه الآية علىٰ النظر والتفكر لعلهم يؤمنون.

﴿وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾(١) فلماذا لا تخافون من الله سبحانه وتعالىٰ وتؤمنون به، فلعل أجل عذابكم قد اقترب وأوشك علىٰ الحلول بكم، أليس من شأن العاقل أن يتحذر إذا أخبره مخبر بأنه قادم علىٰ أمر خطير؟ أليس من شأن العاقل أن يأخذ حذره ويستعد بما أمكنه لدفع الخطر، فكل عاقل سيحذر هذا الأمر المحتمل لا محالة، فما دام الأمر هكذا فكيف إذا كان الذي أخبركم بهذا الأمر الخطير الذي أنتم قادمون عليه هو محمد ﷺ؟ وأتىٰ بأدلة واضحة، وبمعجزات خارقة تؤيد صدق ما يقول، وهذا مع ما قد عرفتموه من صدقه وأمانته، فلماذا لا تحذرون ما قد أنذركم به وتستعدون له؟ أين عقولكم عن كل هذا؟ لماذا لا تطلبون لأنفسكم سبيل النجاة؟

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ۝١٨٥﴾ فإذا لم يؤمنوا بهذا الحديث الحق، ويصدقوا به وهو بهذه الصفات الجامعة لكل صفات الصدق والحق، فلا يتوقع منهم أن يصدقوا بحق ولا صدق.

﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ﴾ من أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أنه ضال وحكم عليه بالضلال فلن يحكم بهداه أحد ويكون محقاً في حكمه.

﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٨٦﴾ فمن كان من أهل الضلال فالله سبحانه وتعالىٰ سيتركه في ضلاله وطغيانه، وسيمهله ويستدرجه، فإما أن يتوب، وإما أن يزداد في طغيانه وكفره، فيتضاعف عليه العذاب، والعمه في البصيرة كالعمىٰ في البصر، ومعنىٰ «يعمهون»: يسيرون علىٰ غير هدىٰ.

---

(١)-**سؤال:** هل لا زال قوله: ﴿وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ...﴾ من جملة ما أمروا أن يتفكروا فيه؟
الجواب: ذلك مما أمروا أن يتفكروا فيه.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ يسألون النبي ﷺ متى ستقوم القيامة؟ ومتى سيحين وقتها؟

﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ فهو وحده يعلم متى وقتها، ولا أحد غيره يعلم ذلك، لا من الملائكة، ولا من البشر، ولا من الجن.

﴿لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ﴾ لن يظهرها إلا الله سبحانه وتعالى وحده. ومعنى «لوقتها»: عند وقتها، وتسمى هذه اللام توقيتية.

﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ عظم خبرها في أهل السماوات وفي أهل الأرض، وكبر شأنها في نفوسهم، فلا يعلمون من أمرها شيئاً.

﴿لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً﴾[1] على غير استعداد لها وإنما ستباغتهم.

﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ يسألونك يا محمد كأنك قد ألححت على الله سبحانه وتعالى حتى أطلعك على أمرها، وكأنك تكثر عليه في السؤال عنها وتتابع أخبارها، ويظنون أن جواب ما يسألون عنه عندك.

﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾[2] أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأن يخبرهم بأنه لا يعلم من شأنها وأمرها شيئاً، وأن الله سبحانه وتعالى هو الذي قد اختص بعلمها.

﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً[3] إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ[4] وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿بَغْتَةً﴾؟

الجواب: مفعول مطلق لتأتيكم، و«بغتة» نوع من الإتيان.

(٢)-**سؤال:** ما المراد بـ﴿لاَ يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾؟

الجواب: المراد لا يعلمون أن الله تعالى لم يطلع أحداً من خلقه على علمها، وأنه وحده اختص بعلمها.

(٣)-**سؤال:** المعروف أن «الضر» بضم الضاد، فلماذا فتحت؟

الجواب: الضَّر بالفتح ضد النفع، والضُّر بالضم الهزال وسوء الحال. اهـ من مختار الصحاح، فعلى هذا هما كلمتان مختلفتان.

(٤)- **سؤال:** ما المراد بقوله: ﴿إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ﴾؟

الجواب: المراد: إلا ما ملكني ربي سبحانه من النفع فيلهمني ويوفقني لتحصيله.

الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ فلن أستطيع أن أجلب لنفسي نفعاً، ولا أن أدفع عنها ضراً، فالنفع والضر بيده وحده، وتحت مشيئته، ولو كنت أعلم الغيب لاستطعت أن أتجنب أسباب كل ما يضرني، ولرتبت جميع أموري حتى لا يبقى مجال لأي شر أو ضر، ولتجنبت كل ما علمت أنه سيضرني، ولجلبت كل ما أجد أنه سوف ينفعني.

﴿إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ۝١٨٨﴾ لست إلا رسولاً من عند الله سبحانه وتعالى أنذر المجرمين عذاب الله وسخطه، وأبشر المؤمنين بما أعده الله سبحانه وتعالى لهم من النعيم، وأما علم الغيب فلا نصيب لي فيه، ولا أعلم منه شيئاً.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ خلقكم من نفس[1] آدم، وخلق لآدم زوجة من جنسه؛ ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾[2] لأنهما إذا كانا من جنس واحد فستسكن النفس وتطمئن وتستأنس كل نفس إلى أختها، بخلاف ما لو كانا من جنسين مختلفين.

﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى عن طبيعة البشر في كيفية التوالد والتناسل والحمل، وليس المراد به آدم حين تغشى حواء[3]. ومعنى

---

(١)-**سؤال:** يقال: ظاهر الآية أنه خلقنا من نفس واحدة، والواقع أنه من نفسين اثنتين «آدم وحواء» فكيف؟

الجواب: أصل خلق بني آدم هو آدم، وجعل له من جنسه زوجاً «حواء»، وقد أثبت العلم الحديث أن ماء الرجل هو الأصل الذي يتكون منه الجنين.

(٢)-**سؤال:** إلامَ عاد الضمير في ﴿لِيَسْكُنَ﴾؟

الجواب: الضمير عائد إلى ﴿نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾، وإنما ذكّر نظراً إلى المعنى، ولئلا يتوهم عوده إلى الأنثى ﴿زَوْجَهَا﴾.

(٣)-**سؤال:** يقال: فما فائدة العطف بالفاء إذاً؟

الجواب: الذي أحوجنا إلى الخروج عن الظاهر في تفسير: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾ هو قوله بعد ذلك: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ۝١٩٠﴾ وحاشا نبي الله آدم عليه السلام من الشرك هو وزوجته «حواء»، وقد استحسنت حاشية على الكشاف =

«فمرت به» أي: ذهبت به وجاءت من غير أن تحس بحمله في بطنها لخفته.

﴿فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّه رَبَّهُمَا﴾ فمن حين بلوغها نحواً من الشهر السابع في الحمل يبدآن باللجوء إليه سبحانه وتعالىٰ والتضرع والإخلاص في الدعاء له.

﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴿١٨٩﴾﴾[1] عهداً يعاهدان الله سبحانه وتعالىٰ به.

﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا﴾ فحين آتاهما المولود معافىً سليماً صحيحاً جعلاه عبداً لصنم أو نحوه، وجعلوا للأصنام نصيباً فيه، أو يجعلانه من سدنة هذا المعبد وخادماً لهذه الآلهة، ونسيا ذلك العهد الذي قطعاه علىٰ أنفسهما لله سبحانه وتعالىٰ.

﴿فَتَعَالَى اللَّه عَمَّا يُشْرِكُونَ﴿١٩٠﴾﴾ بعدما دعوَا الله سبحانه وتعالىٰ أن يأتيهما بهذا المولود الصالح، وبعد أن استجاب الله سبحانه وتعالىٰ لدعائهما رجعا إلىٰ الأصنام، ونسيا ما كانا عاهدا الله سبحانه وتعالىٰ عليه، والله جل جلاله منزه عن الشركاء.

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴿١٩١﴾﴾ كيف يشركون هذا الصنم في العبادة، وهو لا يستطيع فعل أي شيء، ولا تملك الأصنام من صفات الإلهية شيئاً، بل هي في أنفسها مخلوقة.

﴿وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴿١٩٢﴾﴾ فلا يستطيعون أي:

علىٰ تفسير قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ...﴾، لفظها: خلقكم جنساً واحداً، وجعل أزواجكم منكم لتسكنوا إليهن، فلما تغشىٰ الجنس الذي هو الذكر الجنس الآخر الذي هو الأنثىٰ...إلخ. اهـ وليس هذا التفسير ببعيد فقوله: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يفيد أن الله خلقكم أيها المخاطبون جنساً واحداً..إلخ، وعلىٰ هذا فيكون العطف بالفاء مستقيماً.

(١)-**سؤال:** من فضلكم أوضحوا محل: ﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً..﴾ الإعرابي؟

الجواب: محلها النصب علىٰ أنها مقول لقول محذوف: «قائلين لئن...».

الأصنام أن يدفعوا عنكم أي مكروه أو ضرر، ولا يجلبون لكم أي منفعة، حتى أنفسهم لا يستطيعون أن يدفعوا عنها شيئاً.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَتَّبِعُوكُمْ﴾ إذا ناديتم الأصنام إلى بيان الهدى فلن تستطيع إفادتكم والجواب عليكم.

﴿سَوَاء عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ[١] أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ﴿١٩٣﴾﴾ فلن يستطيعوا أن يأتوا دعوتموهم أم لم تدعوهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ ينحتون الحجر على صورة شخص ثم يعبدونها، ألا تعلمون أن هذا الذي تعبدونه ليس إلا مخلوقاً مثلكم[٢]؟

﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ[٣] لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴿١٩٤﴾﴾ ادعوهم فانظروا هل سيستجيبون لكم؟ فإن أجابوكم حينئذٍ، وأعطوكم ما تطلبونه منهم- فقد صدقتم في ادعائكم أنها آلهة.

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا﴾ كلا، ولن يستطيعوا ذلك، وإنما هي تماثيل مصورة على هيئة شخص أو نحوه، فادعوا هذا التمثال، وانظروا هل يستطيع أن يمشي إليكم برجليه؟

﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿سَوَاء عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ﴾؟

الجواب: سواء: خبر مقدم، والجملة التي بعده مؤولة بمصدر مبتدأ مؤخر.

(٢)-**سؤال:** ما العلة في إطلاق العبادة عليها، وهي لا تطلق في الظاهر إلا على الحي؟

الجواب: أطلق عليها لأنها ليست إلا تماثيل وصوراً لمعبوديهم فعبادتهم في الواقع هي لمعبودين أحياء أو كانوا أحياء.

(٣)-**سؤال:** هل خرج الأمر ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ﴾ عن الطلب؟

الجواب: لم يخرج عن الطلب بل هو على الظاهر، الأمر للمشركين بدعاء الأصنام، والأمر للأصنام بأن تجيب دعاءهم، والمراد بأمر الأصنام بيان عجزها وبطلان إلهيتها.

بِهَا﴾ وإنما هي صورة فقط، ولا تستطيع فعل أي شيء لكم، لا تبصر بعيونها، ولا تسمع بآذانها.

﴿قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ﴿١٩٥﴾﴾ ادعوا هؤلاء الذين تعبدونهم، وافعلوا جهدكم معهم، ولا تمهلوني وافعلوا بي ما شئتم أنتم وأصنامكم التي تخوفونني من بأسها وتحذرونني من نقمتها.

﴿إِنَّ وَلِيِّـيَ اللّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴿١٩٦﴾﴾ فالله ناصري ومؤيدي؛ لأنه سبحانه ناصر الصالحين ووليهم.

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾ أما هؤلاء الذين تعبدونهم من دون الله سبحانه وتعالى فلا يستطيعون فعل شيء لكم.

﴿وَلا أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴿١٩٧﴾﴾ ولا حتى أنفسهم لا يستطيعون لها شيئاً.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَسْمَعُواْ وَتَرَاهُمْ[1] يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴿١٩٨﴾﴾ فإذا دعوتموهم لا يسمعونكم، وإذا وقفت أمامهم رأيت أعينهم ناظرة إليك، ولكنها لا تبصرك؛ لأنها ليست إلا صورة فقط، فكيف تعبدون من هذه صفاتها؟!!

﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾[2] أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يعفو عنهم، ولا يؤاخذهم بما لحقه من الأذى بسببهم وباستهزائهم به، بل أمره أن يصبر وأن يعفو عنهم، ولا يجازيهم أبداً أبداً.

---

(١)-**سؤال:** ما النكتة في تغيير الضمير من الجمع إلى المفرد في قوله: ﴿وَتَرَاهُمْ﴾؟

الجواب: النكتة هي أن الناظر إلى الصنم يراه ناظراً إليه وحده دون غيره.

(٢)-**سؤال:** من فضلكم ما معنى «خذ العفو» بالنسبة لأصل اللغة؟

الجواب: معناه استعمل العفو، إلا أنه في الآية شبه العفو بالجسم المحسوس تشبيهاً في النفس وجاء بشيء من لوازمه «خذ».

﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾[(١)] أخبرهم بالحق وبسبيل نجاتهم، ومرهم بالمعروف، وانههم عن المنكر، وبالغ في النصح لهم، وحذرهم أن عذاب الله سبحانه وتعالى نازل بهم إن لم يقلعوا عن كفرهم وضلالهم.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ۝١٩٩﴾ وكانوا يسلطون سفهاءهم على النبي ﷺ يسبونه ويؤذونه؛ فأمره الله سبحانه وتعالى بأن يعرض عنهم، ولا يلتفت إليهم، وأن يكون كأنه لم يسمع شيئاً ولا يجازيهم.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ۝٢٠٠﴾ إذا غضبت وزاد غضبك وفار دمك بسبب ما يوجهونه إليك، وهممت بالرد عليهم- فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم، فإنما هي نزغة من نزغات الشيطان، والله سبحانه وتعالى سيعينك على الصبر، وسيسمع دعاءك وسيستجيب لك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ[(٢)] مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ۝٢٠١﴾ من صفات المؤمنين أنهم إذا وقعوا في معصية أو هموا بها تذكروا الله سبحانه وتعالى، وتملكهم الخوف منه ومن سخطه وعقابه- فيرجعون إلى الله ويستغفرونه.

﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ۝٢٠٢﴾[(٣)] وأما المشركون فإذا

---

(١)-**سؤال:** هل للتعبير بالعرف بدلاً عن المعروف نكتة معلومة أم لا؟

الجواب: العرف والمعروف بمعنى واحد، والنكر والمنكر بمعنى واحد، ولعل ورود «العرف» هنا بدلاً عن «المعروف» لكونها أخصر وأنسب بنغم الآية.

(٢)-**سؤال:** ما وجه التعبير عن الوسوسة بالطائف؟

الجواب: قد يكون ذلك لأن صدور المتقين مشغولة بالتقوى وذكر الله لا مجال فيها ولا اتساع لوساوس الشيطان، فعبر بالطائف لأن الشيطان لم يقدر إلا على الخواطر العارضة التي تعرض ولا تستقر، ولا يسمى ذلك وسوسة، فكلمة وسوسة تفيد التكرير والكثرة.

(٣)-**سؤال:** يقال: ظاهر الآية أن المشركين «إخوان الشياطين» هم الذين يمدون الشياطين فكيف؟ وعلام عطفت الجملة؟

=

أغوتهم الشياطين وأوقعتهم في المعاصي فإنهم يستمعون إليهم، ويصغون آذانهم لهم، فيمكثون في غيهم وضلالهم ومعاصيهم، ولا يتذكرون الله سبحانه وتعالى وبأسه، ولا يتخلصون منها، بل يمكثون عليها وعلى إصرارهم.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُواْ لَوْلاَ اجْتَبَيْتَهَا﴾(١) كان المشركون يقولون للنبي ﷺ: لو أتاهم بآية تدل على صدقه لآمنوا به ولصدقوه؛ فعندما لا يأتيهم بآية استنكروا عليه، وقالوا: لو كان قد جاءنا بآية لآمنا، غير أن الله سبحانه وتعالى قد علم بتمردهم وكذبهم، وأنه لو جاءهم بكل آية أو نزل إليهم الملائكة أو حشر عليهم كل الأموات لما آمنوا به ولما صدقوه. ومعنى «اجتبيتها»: اخترتها.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يِوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ الإتيان بالآيات ليس بيدي، وليس تحت قدرتي، وإنما أمر ذلك إلى الله سبحانه وتعالى، وأما أنا فما أنا إلا رسول من عنده أتبع ما أوحى به إلي.

﴿هَـذَا بَصَآئِرُ(٢) مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ۝٢٠٣﴾ يأتيهم الله

الجواب: الضمير المرفوع «الواو» يعود إلى الشياطين «الشيطان» والمراد به الجنس في الآية السابقة وعلى هذا فسرها الزمخشري. والواو في أول هذه الآية لعطف قصة إخوان الشياطين على قصة المتقين؛ لما بين الوصفين من التناسب، فالأولى في بيان حال المتقين مع الشيطان، والثانية في بيان حال الكافرين والفاجرين مع الشيطان.

(١)-**سؤال:** ما معنى: ﴿لَوْلاَ﴾؟ وهل تعمل «لم» بعد «إذا» مطلقاً في فعل الشرط؟

الجواب: «لولا» للتحضيض، فلما دخلت على الماضي أفادت التنديم فهي هنا للتنديم. و«لم» تعمل مطلقاً بعد «إذا» وغيرها، وليس في ذهني أنها تُعلّق عن العمل أو تهمل، والله أعلم.

(٢)-**سؤال:** إلام يشار بـ﴿هَـذَا بَصَآئِرُ﴾؟

الجواب: الإشارة بهذا إلى القرآن الكريم، وذلك أن القرآن هو آية النبي ﷺ، ولكن المشركين تجاهلوا هذه الآية العظيمة، وسألوا غيرها، فقال الله تعالى: ﴿هَـذَا بَصَآئِرُ﴾ أي: هذا الحاضر الذي يتلى عليكم هو آية بينة واضحة مكشوفة.

سبحانه وتعالى بآيات بينات واضحات تبصرهم طريق الحق وتضيئه لهم، وفيها الهدى والنور، ولكنه لن ينتفع بها إلا المؤمنون الذين يخافونه، ويحذرون عقابه.

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ۝٢٠٤﴾ ثم خاطب الله سبحانه وتعالى المؤمنين بأن ينصتوا عند سماعهم كلام الله سبحانه وتعالى، وأن يعملوا بما جاءهم ليدخلوا في رحمته؛ لأنهم إذا سمعوه عرفوا أحكام الله سبحانه وتعالى التي أنزلها عليهم وشرعها لهم وعملوا بها، فاستحقوا ثواب الله سبحانه وتعالى حينئذ ورحمته.

وقد يكون الاستماع والإنصات واجباً، وذلك حال خطبة الجمعة، وحال الصلاة، وأما ما سوى ذلك فمستحب[١].

والواجب على المرء أيضاً أن يؤمن بكل ما جاء فيه، وأن يؤدي الفرائض التي أوجبها الله سبحانه وتعالى فيه، وأن ينتهي عن النواهي التي نهاهم عنها فيه، ويجب عليه أيضا أن يسأل عن الأحكام التي أمر الله سبحانه وتعالى بها في القرآن ويعمل بها؛ لأنه يتعذر أن يعلم الناس جميعاً أحكامه وفرائضه، وأن يكونوا جميعاً علماء، ولكن يكفي أن يكون فيهم علماء يرجعون إليهم ويسألونهم عما أشكل عليهم.

وتعلمه فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الآخرين، فإذا لم يكن فيهم متعلم يرجعون إليه- فحينئذ يلحقهم الإثم جميعا حتى يكون فيهم من يتعلم، ولا يجوز لهم أن يتركوا العلم حتى لا يبقى بينهم عالم؛ فإذا فعلوا ذلك أثموا جميعاً[٢].

---

(١)-**سؤال:** لو تكرمتم بذكر دليل على هذا؟

الجواب: قد قال العلماء: إنه لم يقم الدليل على وجوب الاستماع إلى القرآن إلا في حال الصلاة وفي حال خطبة الجمعة، ولا خلاف في وجوب الاستماع في الخطبة والصلاة وأمر العلماء الأولين والآخرين على هذا ، فلم يصدر من أي عالم أن يستنكر أو يُؤَثِّم من مر على تالٍ للقرآن ولم يقف عنده للاستماع إلى قراءته للقرآن.

(٢)-**سؤال:** يا حبذا لو ذكرتم ما هو الفرض العيني من التعلم على المكلفين؟

الجواب: الواجب من العلم على كل مكلف هو:

=

﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ[١] تَضَرُّعاً وَخِيفَةً[٢] وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ ينبغي لكل امرئ أن يذكر الله سبحانه وتعالى في نفسه، ويكون حال ذكره متذللاً بين يدي الله سبحانه وتعالى، مظهراً لفقره وحاجته إلى الله سبحانه وتعالى، وأن يكون سؤاله لله سبحانه وتعالى سؤال مذلة ومسكنة، وأن يكون خائفاً منه، وألا يرفع صوته زيادة على المعتاد، وقوله: ﴿بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ فيه دلالة على زيادة الفضيلة في هذين الوقتين.

﴿وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ۝٢٠٥﴾ فيه حث للنبي[٣] صلى الله عليه وآله وسلم على الدعاء لله

١- العلم بتوحيد الله وما له من الكمال والعظمة والجلال، والعلم بعدله، وبوعده ووعيده، ومعرفة الحق وأهله، والإيمان برسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وسائر أنبياء الله ورسله، وبما أنزل الله على رسله، والإيمان بملائكته وما يلحق بذلك.

٢- معرفة الطهارة والصلاة كما أمر الله.

٣- إذا كان المكلف غنياً فيجب عليه أن يتعلم ما فرضه الله عليه من الزكاة، وأن يتعلم مناسك الحج أو يحج بصحبة من يعلمه.

٤- المعرفة لحقوق الوالدين والأرحام والجيران، وحقوق المؤمن، وحقوق الزوج والزوجة و.. إلخ.

٥- أن يتعلم ما هي الذنوب الخفية كي يحذرها، أما الذنوب الواضحة فهي معلومة من ضرورة الدين.

٦- أن يتعلم التوبة وكيفية التخلص من الحقوق والذنوب.

(١)-**سؤال:** هل المراد بالذكر النفسي ما ذكرتموه سابقاً من الذكر بالقلب؟

الجواب: المراد بالذكر النفسي هنا ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ هو أن يكون ذكر الله تعالى بالقلب، ويكون اللسان تابعاً له وترجماناً عنه، وأن يتطابق اللسان والقلب، ولا بد من مجموع الأمرين في هذا الأمر؛ لأن المراد بهذا الأمر صلاة الصبح والعشي.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿تَضَرُّعاً وَخِيفَةً﴾؟

الجواب: النصب على أنه مفعول من أجله، أو على أنه مفعول مطلق، أو على الحالية أي: متضرعين وخائفين.

(٣)-**سؤال:** هل هذا خاص بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم أم عام للناس جميعاً؟

الجواب: الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، والمراد جميع المؤمنين.

سبحانه وتعالىٰ، والإكثار منه ومن التضرع إليه، ولا يكون مثل المشركين في غفلتهم عنه، بل يكون ذاكراً له في كل أوقاته.

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ۩﴾[1] أخبر الله سبحانه وتعالىٰ عن الملائكة، وكيفية عبادتهم وخضوعهم له جل وعلا غير مستكبرين عن ذلك، بل متذللين خاضعين، بخلاف ما عليه أهل الأرض من الأنفة والكبر عن عبادته، وكيف عبدوا الأصنام من دونه.





الجزء الأول ويليه الجزء الثاني أوله
سورة الأنفال

---

(١)-**سؤال:** ما هي مناسبة ختم هذه السورة بهذه الآيات العظيمة؟

الجواب: تحدثت السورة «الأعراف» عن صراع النبي ﷺ مع المشركين، وجده في دعوتهم إلى الهدى، وما لاقاه من الرد والتكذيب والاستهزاء في دعوته لهم وفيما يتلوه عليهم من آيات الله البينات والمواعظ والعبر والقصص فلم يقابل إلا بالرد والتكذيب والاستهزاء. فهذا هو الموضوع الذي تركزت حوله سورة الأعراف من أولها إلى آخرها تقريباً. وفي آخرها قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ...﴾ إلى آخر السورة فكأن الله تعالى يقول لنبيه ﷺ: قد أديت ما عليك، وبلغت رسالة ربك، وأكملت مهمتك وأتممتها، فتوجه إلى عبادة الله وذكره، ووجه سعيك كله في هذا السبيل، كالملائكة الذين هم في عبادة الله وذكره ليلهم ونهارهم لا يفترون، وهذا الكلام يشعر بتمام السورة ونهاية القصة التي تعرضت لها السورة، والله أعلم.

الفهرس